٤٧

انوار الحقائق الربانية

بخطه

٦٥

٤٤

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 50/3

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وفي عبده

٦٥

الجزء السادس والسابع والثامن من انوار الحقايق الربانيه في تفسير اللطايف القرانيه

نومرو
٦٥

فهرست اجزاء التفسير

ورق	
1	ابتداء الجزء السادس
178	ابتداء الجزء السابع
349	ابتداء الجزء الثامن وهو آخر الاجزاء وبه تم التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم   رب يسر واعن يا كريم

سورة الحج مكية

غير ست ايات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد
ابو صالح عن ابن عباس انها مكية كلها غير ايتين نزلتا بالمدينة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
والتي تليها وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها مدنية الا اربع ايات نزلت بمكة وهي قوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول الى اخر الاربع عطا نزلت بمكة الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة هذان خصمان والتان بعدها ابو
سليمان الدمشقي اولها مدني الى قوله وبشر المحسنين وسايرها مكي هبة الله بن سلامة هي من اعاجيب
سور القران لان فيها مكيا ومدنيا وحضريا وسفريا وحربيا وسلميا وليليا ونهاريا وناسخا ومنسوخا فاما
المكي فمن راس الثلاثين منها الى اخرها واما المدني فمن راس خمس وعشرين الى راس ثلاثين منها واما الليلي فمن اولها
الى خمس ايات واما النهاري فمن راس خمس الى راس سبع واما السفري فمن راس تسع الى اثني عشرة واما الحضري
فالى راس العشرين نسب الى المدينة لقرب مدته وهي خمسة الاف وخمسة وتسعون حرفا والف ومايتان واحدى
وتسعون كلمة وثمان وسبعون اية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمر بعدد من حج واعتمر فيما مضى وبقي **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم   اتقوا ربكم احذروا عقابكم ان زلزلة الساعة
شدة التحريك والازعاج وان تضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها من قولهم زلت قدمه اذا
زالت عن الجهة مسرعة ثم ضوعف اضافة الزلزلة الى الساعة تحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى الفاعل
بان تقدر الساعة فاعلة للزلزلة كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي او على الاستعارة بالكناية بان
تجعل الساعة استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة
ويحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى المفعول فيه على طريقة الاتساع في الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله
تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها قيل وقت هذه الزلزلة يوم
القيمة بعد النشور روى عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا ان زلزلة الساعة
شيء عظيم قال تدرون اي يوم ذلك فانه يوم ينادي الرب عز وجل ادم عليه السلام قم فابعث بعث النار
من ولدك فيقول يا رب من كل كم فيقول الله من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين الى النار فحينئذ يشيب

المولود

المولود وتضع كل ذات حمل حملها وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها يعني انها تقارن قيام الساعة
وتكون معها الحسن والسدي هذه الزلزلة تكون يوم القيمة وقيل انها تكون في الدنيا قبل القيامة وقيل من
اشراط الساعة قاله علقمة والشعبي وابن جريج وروى ابو العالية عن ابي بن كعب قال ست ايات
قبل القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ
وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت ففزع الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير
والوحش فماج بعضهم في بعض فقالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحور فاذا هي نار تاجج فبينما هي
كذلك اذ تصدعت الارض الى الارض السابعة وتصدعت السماء الى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم
الريح فاماتتهم مقاتل هذه الزلزلة قبل النفخة الاولى وذكر ان مناديا ينادي من السماء يا ايها الناس اتى امر الله
فيفزعون فزعا شديدا فيشيب الصغير وتضع الحوامل شيء عظيم لا يوصف لعظمه ان الله امر بالتقوى من الكفر
ومن المحظورات ترك الواجبات وارتكاب المحرمات ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة
لينظروا الى تلك الصفة ببصايرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد
ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى التي لا يومنهم تلك الافزاع الا ان يتردوا
به **قوله تعالى** يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد   يوم ترونها منصوب بتذهل الضمير
المنصوب في ترونها للزلزلة وقيل للساعة تذهل تغفل والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة وقيل
تسلو وقيل تنسى كل مرضعة وهي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع الذي شانها ان ترضع
وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجيت به هذه وقد القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة وذكر كل مرضعة على سبيل العموم تنبيه على ان الهول
عظيم لتاثيره في الكل عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل جعلت من حمله ما لا
يعقل وتضع كل ذات حمل حملها الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل في بطنها لغير
تمام وهذا يدل على ان الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى قرا حمزة والكسائي وخلف سكرى وما هم بسكرى والباقون سكارى وما هم بسكارى والمعنى ترى
الناس سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد هو الذي اذهب عقولهم
وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم
بسكارى من الخمر قال اولا ترونها لان الرؤية علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها واخيرا ترى
لان الرؤية معلقة بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لساير هم **قوله تعالى**
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله

ويهديه الى عذاب السعير نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدال يقول الملايكة بنات
الله والقران اساطير الاولين ويزعم ان الله غير قادر على احيا من بلى وعاد ترابا وهي عامة في كل
من يجادل في الله فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال بغير علم وليس فيه اتباع للبرهان
فهو يخبط خبط عشوا غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في جداله كل شيطان مريد عات غاو مجرد للفساد
وكتب عليه كتب الله وقضى عليه على الشيطان المريد وقيل كتب فيما تقدم من الكتب الاخبار بذلك
انه اي الامر والشان من تولاه من تبع الشيطان واحبه ورضي فانه فان الشيطان يضله ويجوز
ان يكون الضمير المنصوب لمن او للامر اي يضله عن الصراط السوي ويهديه الى عذاب السعير وقيل
تقديره من تولى الشيطان يضله الله ويهديه الى عذاب السعير والمعنى كتب الله على اضلال من تولاه
وهدايته الى عذاب النار وقال صاحب الكشاف وما ارى رؤسا اهل الاهواء والبدع والحشوية
المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا
واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم
ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من شان اعوجاج في طريقته عوجا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملايكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين هذا الذي
ذكره صحيح ان لم يرد به باطل ولا يعارض بطريق التغلب قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل
زوج بهيج الله سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في اثبات الحشر والنشر وذمهم
اورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين احدهما مراتب الخلقة الاولى يا ايها الناس يا اهل مكة ان
كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في
بدء خلقكم ان للشرط في الاستقبال والاصل فيها الخلو عن الجزم بوقوعه وعدم الجزم بوقوع الشرط فاذا
استعملت في مقام الجزم لم يخل عن نكتة وهي اما التجاهل لاستدعا المقام اياه واما ان المخاطب ليس
بجازم كما تقول لمن يكذبك فيما انت تخبره واما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه بموجب العلم
ولامتناع الجزم بتحقق المعلق بما في تحققه شبهة فما ترك المضارع الى الماضي للمؤذن بالتحقيق
نظرا الى اللفظ من غير نكتة مثل ما اذا لم يحتمل المعلق بشبهة اذا عرفت هذا فنقول قال ان كنتم
في ريب ولم يقل ان ارتبتم ليدل على ان الريب كان متحقق واكد تحقق الريب بجعله ظرفا
لهم وايراد لفظ ان مع المرتابين لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها وتصوير

ان كنتم في ريب من البعث

ان المقام

ان المقام لا يصلح الا لمجرد الفرض للارتياب كما قد تفرض المحالات متى تعلقت بفرضها اغراض
فانا خلقناكم من تراب قيل يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل وولد البشر من تراب وقيل انا
خلقناكم من تراب لا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره فانه كما ان النطفة من تراب خلقة البشر
كقولك التراب ايضا من مراتبها فان النطفة من دم الطمث وهي من الاغذية والاغذية من الحيوان
والنبات والحيوان من النبات والنبات من التراب والما فصح قوله خلقناكم من تراب من غير تاويل
ثم من نطفة وهي المني واصلها الما القليل ثم من علقة قطعة دم جامدة ثم من مضغة قطعة لحم مقدار
ما يمضغ مخلقة مستواة ملسا من النقصان والعيب يقال الخلق السوا والعود اذا سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقا اذا كانت ملسا ابن عباس وقتادة مخلقة تامة الخلق وغير مخلقة غير تامة
مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط فكان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل
الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم
وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما بلغناكم من حال ومن خلقة الى خلقة عن ابن مسعود
اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله عز وجل ملكا فقال يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال هي غير مخلقة
مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب فما صفة هذه النطفة اذكر ام انثى ما رزقها ما اجلها اشقي
ام سعيد فقال له انطلق الى ام الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها
فلا يزال معه حتى ياتي على اخر صفتها لنبين لكم هذا التدريج والانتقال من نوع الى اخر كما قال قدرتنا وحكمتنا
في نقلكم اطوارا وخلقكم وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين
التراب والنطفة وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة
والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل
غير متعدي الى المبين اعلام بان افعاله هذه نتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف
وقيل لنبين لكم رشدكم وضلالكم وقيل نقلناكم في ابتدا الخلق من حال الى حال مع قدرتنا على انشائكم دفعة
واحدة لنبين قدرتنا على ما نشاء ونقر في الارحام استيناف واخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقر
من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع او كما شاء وقدر
وما لم يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته وقيل يحتمل ان يكون لنبين تعليلا لقوله غير مخلقة اي غير
مخلقة مجتها الارحام لنبين لكم على سبيل المشاهدة الحكم على هذه الصورة فنقلناكم من هذه الحال الى حالة
الكمال ليدل على كمال قدرتنا ثم استانف وقال ونقر في الارحام ثم نخرجكم طفلا ثم نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا
اي صغارا والطفل يقع على الجمع كقوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا وقيل نخرج كل واحد طفلا وقيل ان الاصل
مصدر ولهذا لم يجمع وطفلا نصب على الحال ثم لتبلغوا فيه اضمار تقديره ثم نعمركم لتبلغوا اشدكم كمال قوتكم

وعقلكم وتمييزكم وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقيود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم وهو اهونه واخسه عند اهله لانه يصير كلا عليهم وقيل ارذل العمر الشيب لانه لا يرجو بعده قوة ولا بقاء افاد بقوله يرد الرجوع الى حالة كان عليها قبل وهي الضعف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به وقيل ليصير نسيا بحيث اذا اكتسب علما في شيء لم يحسب ان نسيه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وترى الارض هذا هو الوجه الثاني من الدلالة على صحة البعث باحياء الارض ولظهورها وكونها مشاهدة كررها الله في كتابه الكريم هامدة ميتة يابسة لا نبات بها فاذا انزلنا عليها الماء يعني المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وقيل زادت واضعفت النبات بمجيء المطر وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن سار للناظر اليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحيا الارض مع ما في تضاعيف ذلك من انواع الحكم واصناف اللطائف لتعلموا بان الله هو الحق الثابت الموجود وانه يحيي الموتى اي وانه قادر على ان يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية وان الله يبعث من في القبور قال الامام انه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر خمسة امور احدها ذلك بان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه سبحانه بين ان هذه الاطوار المساعد المتواردة على الاجسام تدل على وجود الصانع وثانيها قوله وانه يحيي الموتى فهذا تنبيه على انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وثالثها قوله وانه على كل شيء قدير يعني ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشياء لا بد وان يكون واجب الاتصاف بالقدرة لذاته ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة ورابعها قوله وان الساعة اتية لا ريب فيها اي انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة فيجب ان تاتي الساعة بلا ريب وخامسها قوله وان الله يبعث من في القبور فالمعنى انه سبحانه لما اقام الدليل على ان الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل هذا مما نزل في النضر بن الحارث وكرر كما كرر سائر الاقاصيص وفائدة التكرار المبالغة في الذم وقيل الاول في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي وقيل بغير علم

حجة

حجة وبرهان وعقل ولا هدى سنة متبعة ولا كتاب منير واضح مبين انزل من عند الله وحصول علم الانسان من هذه الوجوه الثلثة اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة ثاني عطفه متكبرا وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء لتصعير الخد ولي الجيد وقيل ثني العطف عبارة عن الاعراض ليضل تعليل للمجادلة فانه لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في الدنيا خزي اي عذاب وهوان وهو ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي ذلك اي خزي الدنيا وعذاب الاخرة بما قدمت يداك من الجدال بغير علم والشرك وانكار البعث وان الله ليس بظلام للعبيد فيعذبهم بغير ذنب وهو سبحانه على اي وجه تصرف في عبده فانه غير ظالم بل الظالم المتعدي المتحكم في غير ملكه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله ما لا ينفعه وما لا يضره ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير عن ابن عباس ان ناسا من العرب كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نحن على دينك فان اصابوا معيشة ونتج خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمانوا وقالوا هذا دين حق وان لم يجر الامر على ذلك قالوا هذا دين سوء فينقلبون عن دينهم فنزلت هذه الاية وقيل ان رجلا من اليهود اسلم فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني هذا خيرا اذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال كما يسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب فنزلت هذه الاية ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونه على قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه مجاهد على شك وقيل على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف مضطربا فيه وقيل على لون واحد في الاحوال كلها يتبع مراده ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته ونقص في الاموال والانفس والثمرات انقلب على وجهه اي ارتد فرجع الى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله والاخرة بذهاب ثواب الصابرين ذلك خسران الدنيا والاخرة هو الخسران المبين الظاهر حاله لا خسران اعظم منه يدعوا من دون الله يعبد من دون الله ما لا يسمعه وما لا يضره ذلك اي دعاؤه لمن لا ينفعه ولا يضره هو الضلال البعيد من الضلال من ابعد في التيه ضالا لا وطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعوا لمن ضره

اطمان به اي رضي واطمان به واقام عليه وان اصابته فتنة بلاء في جسمه وضيق في معيشته م

فيه تقديم وتاخير ليس في النظم الكريم هكذا بل فيه يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه فتنبه

قيل هذه اللام صلة والتقدير يدعوا من ضره اقرب من نفعه وحكى الزجاج عن البصريين
والكوفيين ان اللام معناها التاخير والمعنى يدعوا من لضره قال الزجاج وجه هذا ان اللام للتمييز
والتوكيد فحقها ان تكون اول الكلام فقدمت ليجعل حقها وقيل اللام جواب قسم بعده يدعوا
والله لمن ضره اقرب من نفعه وقيل يدعوا بمعنى يقول ولمن ضره مبتدا وخبره مضمر تقديره يقول لمن
ضره اقرب من نفعه مولاى وقيل يدعوا تكرار للاولى ومفعوله هو مفعول الاول لمن ضره مبتدا خبره
لبيس المولى وقيل يدعوا حال من الضلال البعيد وقيل هاهنا موصول هو الضلال البعيد صلته
وهو نصب بيدعوا ويجوز ان يكون رفعا خبره يدعوا على تقدير يدعوه قال صاحب الكشاف
الضر والنفع منفيان عن الاصنام متبان لهاتين الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل هذا المعنى
ذهب هذا الوهم وذلك بان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد
فيه بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعا
وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التى ادعاها
لها لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبيس المولى لنا ولبيس العشير الصاحب
كقوله فبيس القرين قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصلحات جنات
تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد لا راد لحكمه ولا دافع لارادته ولا مانع قوله تعالى
من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر
هل يذهبن كيده ما يغيظ قيل نزلت الاية ابتداء من غير سبب ذكره اكثر القراء وقيل هو متصل
بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقيل نزلت فى قوم من اسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام
وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ولا يأوونا وقيل
كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطؤن ما وعدهم من النصر والاخرون
من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يتم امره فنزلت الاية ثم فى قوله من كان يظن عام
على قول من لم يذكر للاية سبب نزول وخاص فى قول من يحكى له سببا قيل ضمير المفعول فى ينصره عايد
على من والنصر بمعنى الرزق عن ابن عباس وقف علينا سايل من بنى بكر فقال من ينصرنى نصره الله اى
من يعطينى اعطاه الله ويقال نصر المطر ارض كذا اى جادها واحياها قال الراعى وانصرى ارض
عامر ومعنى الكلام من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى سما البيت
فليختنق ولينظر هل يذهبن فعله ما يغيظ وهو خوفه ان لا يرزق والنصر على هذا القول الرزق وتقول
العرب من ينصرنى نصره الله اى من يرزقنى رزقه الله قال ابو عبيدة تقول العرب ارض منصورة اى
ممطورة كان الله تعالى اعطاها المطر قال الفقعسى وانك لا تعطى امرأ فوق حقه ولا تملك الشق الذى امرؤ

القيت

العيت ناصره واكثر المفسرين على ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة يقول الله
من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء اى بحبل الى السماء
الى السقف فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق به قراه ابو عمرو وابن عامر ليقطع ثم
ليقضوا ابن عامر وابو نوافل ليطوفوا بكسر اللام ايضا وكسر ابن كثير لام ليقضوا بحسب وقرا عاصم
وحمزة والكسائى بسكون هذه الايات وكذلك فى كل القران اذا كان قبلها واو وفاء او ثم فلينظر هل يذهبن
كيده صنيعه وحيلته ما يغيظ هذا قول اكثر اهل التاويل وانما معنى الاية فليتصور هذا الامر بنفسه
وليس بحتم لانه اذا اختنق ومات لا يمكنه القطع والنظر وهذا كما تقول فى الكلام للحاسد او المعاند
ان لم ترض لهذا فاختنق وقيل السماء فى هذه الاية هى السماء المعروفة بعينها ومعنى الاية من كان يظن
ان لن ينصر الله نبيه ويكايده فى دينه وامره ليقطعه عنه فليقطع ذلك من اصله من حيث ياتيه
فان اصله فى السماء فليمدد بسبب بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع عن النبى صلى الله
عليه وسلم الوحى الذى ياتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع اصله عنه فلينظر هل يقدر على اذهاب
غيظه بهذا الفعل وقيل هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ينصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الدنيا والاخرة من كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه
ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده فى ازالة ما يغيظه بان
يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور فى نفسه
انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على
سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس بمذهب
لما يغيظ وقيل معناه ان الارزاق بيد الله عز وجل لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته
فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك
لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا قوله تعالى وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدى
من يريد يدل على الهداية بفعل الله ومشيته ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شىء
شهيد لما قال تعالى وان الله يهدى من يريد بين فى هذه الاية من يهديه ومن لا يهديه
المجوس هم الذين اعترفوا بوجود واتبعوا الملك كان متنبيا عن قتادة الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن ان الله يفصل بينهم الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم
جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد وقيل يفصل بينهم اى بين المومنين والكافرين يوم القيمة

ان الله يفصل بينهم خبر لقوله ان الذين امنوا ادخلت على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد
ونحوه قول جرير ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ان الله على كل شيء شهيد عالم به حافظ له
ولا حاجة الى نفسه لكل شيء بقوله من اعمالهم قوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات
والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء الم تر يعني بقلبك وعقلك ان الله يسجد له
قيل يطيع له فيما يحدث من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعته
بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فانه قيل السجود على
المعنى الذي فسرته به لا يختص ببعض الناس دون بعض فانه عام في كل الناس فاسناده الى كثير من الناس
يكون تخصيصا من غير فائدة وايضا قد اسند اولا على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن
فاسناده الى كثير من الناس آخرا مناقضة لان معناه بعض الناس لا يسجدون اجيب بان السجود
بالمعنى الذي ذكرناه وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم بكبره وتركه السجود في الظاهر فهذا الشخص وان
كان ساجدا بذاته لا يكون ساجدا بظاهره واما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره فلاجل هذا الفرق
حصل التخصيص بالذكر وهذا الجواب لا يستقيم على تقدير ان تفسير السجود بمعنى واحد عام للجمع وبان
يجعل كثير مرفوعا بالابتداء ولا يجعل معطوفا على المفردات المتناسقة التي هي فاعلة ليسجد والخبر محذوف
وهو مثاب والمعنى وكثير من الناس مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ورد
هذا بان الاصل عدم الحذف على انه يخرج الكلام من الانتظام الملايم لبلاغة القرآن وقيل يجوز ان يجعل من
الناس خبرا له اي وكثير من الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ورد بان هذا تعسف ينبغي
ان ينزه القرآن عنه وقيل يجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليه
العذاب كانه قيل وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ولا يخفى ان هذا الوجه يوجب تفكيك النظم البليغ
القرآني الى ما لا يلايمه قال صاحب الكشاف لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل
وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي
هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين
مختلفين ولقائل ان يقول لا محظور في استعمال اللفظ الواحد على معنيين مختلفين لما بين في المقدمة
والزام استعمال اللفظ الواحد على معنيين اولى من تقدير لفظ آخر يدل على المعنى المذكور ومن يهن الله
بالشقاوة وادخال النار فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء قوله تعالى هذان خصمان اختصموا
في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق الخصم

صفة

صفة وصف بها الفوج او الفريق كانه قيل هذان فوجان او فريقان مختصمان وهذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا هذان اي جمع المؤمنين والكفار وعن ابن عباس
رجع الى الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته عكرمة انها نزلت في اختصام الجنة والنار
فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته وعن ابن عباس وقتادة انها نزلت
في اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا ثم كفرتم
به حسدا فنزلت هذه الاية روى قيس بن عباد ان ابا ذر الغفاري كان يقسم بالله سبحانه انه نزلت
هذه الاية في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعبيدة بن
الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال علي رضي الله اني لاول
من يجثو للخصومة يوم القيمة بين يدي الله فالذين كفروا هذا احد الفريقين قطعت لهم ثياب
من نار وسويت وجعلت لباسا وقدرت كان الله تعالى قدر لهم نيرانا على مقادير جثتهم يشتمل عليهم
كما يقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس
بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران عن سعيد بن جبير ثياب من نحاس من نار وليس في الاية شيء
اذا حمي اشد حرا منه يصب من فوق رؤسهم الماء الحار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحميم ليصب الحميم
على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان
يصهر به اي يذاب يقال صهرت الالية والشحم اذا اذبتها والجلود اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في
الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله تعالى وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم ولهم مقامع اي سياط من حديد واحدتها مقمعة سميت بذلك لانها تقمع المضروب
اي تذلله عن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لاذابتها وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها
في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غمها وحزنها خرجوا اعيدوا
فيها ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع
فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ولؤلؤا قراءة نافع وابو بكر عن عاصم
ولؤلؤا بالنصب على انه مفعول يحلون عطفا على اساور ولؤلؤ والباقون بالجر على انه عطف على
ذهب اي يحلون اساور من ذهب ومن لؤلؤ وهدوا اي هداهم الله الى الطيب وهو شهادة
ان لا اله الا الله والحمد لله والله اكبر وقيل القرآن وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدوا

الى صراط الحميد عن بن عباس هو طريق الاسلام وقيل وهدوا الى طريق الجنة قوله تعالى
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله اى يمنعون
الناس من الدخول في الاسلام ويصدون عن سبيل الله الصدود منهم مستمر دائم لا يراد حال
او استقبال يقال فلان يحسن الى الفقرآ لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان
ومنه قوله تعالى ويصدون والمسجد الحرام اى ويصدون عن المسجد الحرام اى جعلناه وبيناه للناس
كلهم اى الذين يقع عليهم اسم الناس لم يخص به منهم بعضا دون بعض سواء العاكف المقيم فيه والباد
الطارى المسافر اليه من غيره من غير فرق بين حاضر وباد وثاني وطارى ومكى وافاقى قيل سواء العاكف
فيه والباد في تعظيم حرمته وقضاء النسك به وحق الله الواجب عليهما فيه واليه ذهب مجاهد وقيل
هما سواء في النزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الاخر وحرموا بهذه الاية كراء دور مكة
وكرهوا اجارتها في ايام الموسم قال عبد الله بن عمر سواء البيت محرما وكراء دور مكة وقال عبد الرحمن ابن
سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم فكان الرجل اذا وجد سعة
نزل ففشا فيهم السرق وكل انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فارسل اليه عمر رضي الله عنه
اتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته ليحترز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال
البادى فيه كالمقيم ليس احد احق بمنزله من احد الا ان يكون سبق الى منزل والى هذا القول ذهب بن
عباس وبن جبير وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل عن اسحق بن راهويه جالست الشافعي بمكة فتذاكرنا
في كرا بيوت مكة وكان الشافعي يرخص فيه وكنت لا ارخص فيه فذكر الشافعي حديثا وسكت واخذت
انا في الباب اسرد قال الشافعي لي انا ناظر قلت وللمناظرة جئت فقال قال الله الذين اخرجوا من ديارهم
نسب الديار الى مالكها او غير مالكها قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن
ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن وهل ترك لنا عقيل من رباع نسب الديار الى اربابها وقال لي اشترى
عمر بن الخطاب دار السجن من مالك او غير مالك فلما علمت ان الحجة قد لزمتني قمت قرا حفص عن عاصم
سواء بالنصب قال ابو على الفارسي ابدل العاكف والبادى من الناس من حيث كانا كالشامل لهم
فصار المعنى جعلناه للعاكف والبادى سواء والباقون بالرفع وقرا ابن كثير وابو عمرو البادي بغير الف ابن
كثير وقف بياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير يا في الحالين ومن يرد فيه بالحاد وهو العدول عن القصد
واصل الالحاد الحافر بالحاد بظلم حال مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما عن مجاهد وقتادة بالحاد بظلم هو الشرك ان يعبد فيه
غير الله عز وجل وقيل هو استحلال الحرام وركوب الاثام فيه عن بن مسعود ما من رجل يهم بسيئة

ملس

فيكتب عليه ولو ان رجلا هم بقتل مؤمن عند البيت وهو بعدن اذاقه الله من الدنيا من عذاب اليم
وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل في
المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم
فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد ان يقول الرجل لا والله
بلى والله نذقه من عذاب اليم في الآخرة جواب الشرط كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد
ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد
والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا
ويصدون نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك قوله تعالى واذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في
الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في
ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق واذكروا اذ جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة مرجعا يرجع اليه
للعبادة والعمارة وقيل واوصينا اذ بوأنا لابرهيم مكان البيت يقول تبوأ الرجل منزلا اتخذه وبوأه
غيره منزلا اعطاه واصله باء اذا رجع وبوأته جعلته منزلا يرجع اليه واللام في لابرهيم زيادة لقوله
بوأنا بني اسرائيل وقوله تبوئ المؤمنين مكان البيت موضع الكعبة قيل المكان جوهر يمكن ان يثبت
عليه غيره كما ان الزمان عرض يمكن ان يحدث فيه غيره واراد بالبيت الكعبة فان قيل كيف يكون النهي
عن الشرك والامر بالتطهير تفسيرا للتبوئة اجيب بانه كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه
قال تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار للطائفين
والقائمين والركع السجود اي المصلين لان الصلاة قيام وركوع وسجود والركع جمع راكع والسجود
جمع ساجد ولم يذكر الواو بين الركع والسجود وذكر بين القائمين والركع لكمال الاتصال بين الركوع
والسجود اذ لا ينفك احدهما عن الاخر في الصلاة فرضا ونفلا وينفك القيام عن الركوع فلا يكون بينهما
كمال الاتصال بين الركوع والسجود اذ لا ينفك احدهما عن الاخر في الصلاة فرضا ونفلا وينفك القيام
عن الركوع فلا يكون بينهما كمال الاتصال وقيل القائمين بمعنى المقيمين واذن ناد عطف على طهر في الناس
بالحج والنداء بالحج ان تقول حجوا قيل لما فرغ ابرهيم من بناء البيت امره الله ان يؤذن في الناس بالحج فقال
ابرهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ روي انه صعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس ان
ربكم قد بنى بيتا فحجوا بيت ربكم فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النساء وما بين المشرق والمغرب
والبر والبحر ممن سبق في علم الله ان يحج الى يوم القيمة فاجابوه وقالوا لبيك اللهم لبيك وعن بن عباس

اراد بالناس اهل القبلة وزعم الحسن ان قوله واذن في الناس بالحج كلام مستانف وان المامور بهذا
التاذين محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم
جمع راجل مثل قايم وقيام وصايم وصيام وعلى كل ضامر اي وركبانا رجالا حال وعلى كل ضامر حال معطوفة
على حال كانه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول ياتين صفة لكل ضامر لان كل ضامر في معنى الجمع
اراد النوق من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا ليحضروا منافع لهم نكرها لانه اراد منافع مختصة
بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وقيل التجارة وقيل العفو والمغفرة
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة وقيل تسعة ايام من العشر وقيل يوم الاضحى
وثلثة ايام بعده وقيل ايام التشريق وقيل انها خمسة ايام اولها يوم التروية وقيل ثلثة ايام اولها يوم عرفة
قيل انما قال معلومات ليحرص على علمها بحسابها من اجل ان وقت الحج في اخرها والذكر ههنا يدل على التسمية
على ما ينحر لقوله على ما رزقهم الله من بهيمة الانعام قيل اي عند النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام
لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصل فيما يتقرب به الى الله
ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم
ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيا من ذلك الحسن والروعة على ما رزقهم من
بهيمة يعني الهدايا والضحايا من الابل والبقر والغنم والبهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر
فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل
الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسايكهم لما فيه من مواساة الفقرا ومساواتهم ومن استعمال التواضع واطعموا
البايس الذي اصابه بوس اي شدة والفقير ذهب الاكثرون الى انه ليس بواجب ومنهم من قال من الذي اضعفه الاعسار م
اهدى او ضحى فحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير و
منهم من قال ياكل الثلث ويتصدق بالثلث ومذهب الشافعي الاطعام بشي منها واجب فان اطعم
جميعها جاز وان اكل جميعا لم يجز هذا فيما اذا كان تطوعا فاما الواجبات كالنذور والكفارات والجبران
للنقصان مثل دم التمتع ودم القران ودم الاساة ودم القلم والحلق فلا ياكل منها ثم ليقضوا تفثهم
عطا عن ابن عباس قضا التفث حلق الراس واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقص الاظفار
والاخذ من العارضين ورمي الجمار والوقوف بعرفة وقيل مناسك الحج وقيل حلق الراس وقيل الشعر والظفر
والاول اصح لان التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث وقضاوه نقضه واذهابه
والحاج مغبر شعث لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالحلق والقلم وقص الاظفار
ولبس الثياب ونحو ذلك فهذا قضا تفثه قال الزجاج اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير
وكانه الخروج من الاحرام الى الاحلال وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من اعمال البر

في حجهم

في حجهم وليطوفوا اراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضة والزيارة الذي يطاف بعد
الوقوف اما يوم النحر او بعده بالبيت العتيق بالكعبة سمي العتيق لان الله اعتقه عن الجبابرة
ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار ولم يسلط عليه الا من يعظمه ويحترمه وقيل سمي العتيق
لقدمه فانه اول بيت وضع للناس وقيل لانه اعتق من الغرق يوم الطوفان قوله تعالى
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ومن يعظم
حرمات الله فيجتنب ما حرمه الله والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله بهذه الصفة من مناسك
الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وقيل هي المناسك
فهو خير له اي التعظيم خير له عند ربه ثواب له مدخر والتعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام
لمراعاتها واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق ثم انه تعالى عاد الى احكام الحج فقال واحلت لكم بهيمة الانعام فقد كان
يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره فالانعام يحرمها فبين ان الاحرام لم يوثر فيها في محللة له واحلت
لكم بهيمة الانعام ان تاكلوها اذا ذكيتموها الا ما يتلى عليكم في القران وهو قوله عز وجل حرمت عليكم
الميتة اي مباح اكلها الا ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة وقيل واحلت لكم الانعام في حال احرامكم الا ما يتلى
عليكم من الصيد فانه حرام في حال الاحرام والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه
فحافظوا على حدود الله واياكم ان تحرموا مما احل الله شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسايبة وغير
ذلك وان تحلوا ما حرم الله كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرها فاجتنبوا الرجس من الاوثان لما حث
على تعظيم حرمات الله واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله
ونفي الشركا عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك
لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان
التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك
بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني
كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه
على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس
مجتنب وقيل سمي الوثن رجسا لان وجوب تجنبها اوكد من وجوب تجنب الرجس والرجس ولان
عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات وقيل انما وصف بذلك استحقارا واستخفافا فمن الاوثان

بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل
فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه
اذا صرفه وقيل قول الزور الكذب والبهتان وقيل قول الزور قول المشركين في تلبيتهم في قولهم
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قول الزور قول المشركين في الانعام هذا حلال
وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح
فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله وتلا هذه الاية وقيل الشرك حنفاء نصب على الحال اي مستقيمين مخلصين لله
لا تنتسبون الى دين غير الاسلام وقيل حجاجا غير مشركين به لانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا
شريك هو لك تملكه وما ملك ثم ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء قال
صاحب الكشاف يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه
قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرق مزعا قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان
مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء
التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي
بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرأ نافع فتخطفه الطير بتشديد الطاء والباقون بسكون الخاء
من غير تشديد الطاء قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ثم انه
تعالى اكد ما تقدم فقال ذلك ومن يعظم ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب
جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا قيل يدخل في الشعائر كل
عبادة لانها من معالم الدين وقيل المناسك في الحج وقيل الشعائر الهدايا لانها من معالم الحج وتعظيم الشعائر
ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث
ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت
منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك
وقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة
الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها اي فان تعظيمها
من تقوى القلوب من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات اي التعظيم والافعال وذوي
ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى

عدلت شهادة الزور الاشراك بالله م

التي

التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء قوله تعالى لكم فيها منافع
الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق لكم فيها منافع يدل على ان المراد بشعائر الله
الهدايا التي لكم فيها اي لكم في الهدايا منافع كثيرة قبل ان يسميها صاحبها بدنة او هديا
ويشعرها ويقلدها في رسلها ونسلها واصوافها واوبارها وركوبها الى اجل مسمى وهو ان يسميها
هديا ويشعرها ويوجبها فاذا فعل ذلك لم يكن من منافعها شيء هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة
ورواية مقسم عن ابن عباس وقيل معناه لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا ان
تركبوها اذا احتجتم الى شيء او تشربوا البانها اذا اضطررتم اليها الى اجل مسمى الى ان تنحر وهذا قول عطاء
وقيل اراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة ومعنى الاية لكم في المناسك منافع بالتجارة والاسواق
الى اجل مسمى وهو الخروج من مكة وهذه رواية ابي رزين عن ابن عباس وقيل معناه لكم فيها منافع بالاجر
والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى وهو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي منحرها الى
البيت العتيق اي ارض الحرم كلها نظيره قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اي الحرم كله
من قال الشعائر المناسك قال معنى الاية ثم محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق ان يطوفوا به طواف
الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك وقيل الى اجل مسمى الى ان تنحر وتتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم
للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم
وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه
المنافع وابعدها شوطا في المنافع محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها
منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم
هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده
قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله
واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم
والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اي لكل امة من الامم السالفة من عهد ابرهيم عليه
السلام الى من بعده جعلنا منسكا اي ينسكون له اي يذبحون لوجهه على وجه التقريب قرأ حمزة
والكسائي وبعض اصحاب ابي عمرو بكسر السين على ان يكون مكان النسك كالمجلس والمقطع والباقون
بفتح السين على ان يكون مصدرا من نسك ينسك ليذكروا اسم الله علة للذبح جعل العلة في ذلك
ان يذكر اسم الله تعالى تقدست اسماؤه على المناسك فله اسلموا اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجه
الله سالما اي خالصا لا يشوبوه باشراك وبشر المخبتين المتواضعين الخاشعين المطمئنين الى الله
تعالى من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا الذين

اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه وخوفا والصابرين على ما اصابهم من المكاره والشدايد
والباسا والمقيمي الصلاة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون قوله تعالى والبدن جعلناها لكم
من شعاير الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى
منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين البدن جمع بدنة سميت بذلك
لعظم بدنها وهي الابل لعظام الضخام الاجسام وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت
البدن في الشريعة متناول الجنسين عند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله عليهم جعلناها
لكم من شعاير الله من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعالى تعظيم لها فالبدن
خير وهو النفع في الدنيا والاجر في الاخرة ومن شأن الحاج ان يحرص على شي فيه خير ومنافع لشهادة الله
عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول
لكم فيها خير وقيل من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب فاذكروا اسم الله عليها عن بن عباس
ذكر اسم الله ان تقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر منك واليك صواف قايمات صففن
ايديهن وارجلهن وقيل اي قياما على ثلاث قوايم قد صففت رجليها واحدى يديها ويدها اليسرى معقولة
فينحرها كذلك روى يعلى بن عطا عن بجير بن سالم قال رايت بن عمر وهو ينحر بدنة فقال صواف كما قال الله
سبحانه وتعالى فينحرها وهي قايمة معقولة احدى يديها وقال مجاهد الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى
وقامت على ثلاث وينحر كذلك فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الارض
وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحايط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت
والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها فكلوا منها واطعموا القانع السايل من
قنعت اليه اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال وقيل القانع الذي يقنع بما اعطي
ويرضى بما عنده ولا يسال وقيل القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر السايل الذي يعتريك ويسالك
وقيل القانع اهل مكة وجارك وان كان غنيا وقيل القانع المسكين الذي يطوف ويسال والمعتر
الصديق الزاير الذي يعتر بالبدن وقيل القانع الطامع والمعتر الذي يعتر بالبدن من غني وفقير
وقيل القانع المسكين والمعتر الذي يعتر القوم للحمهم يقال اعتر اذا اتاه طالبا معروفه كذلك
سخرناها لكم لعلكم تشكرون من الله سبحانه على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير
الذي راوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوايمها ثم يطعنون في
لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل

فوق

فوق وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها ولا دماوها وذلك ان اهل الجاهلية
كانوا اذا نحروا البدن لطخوا حيطان الكعبة بدمايها فهم المسلمون بمثل ذلك فانزل الله عز وجل لن
ينال الله اي لن يصل الى الله لحومها المتصدق بها ولا الدما المهراقة بالنحر ولكن يناله التقوى منكم قيل
معناه لن يقبل الله اللحم والدم ولكن يقبل التقوى وقيل لن يصعد اليه اللحم والدم ولكن يصعد اليه
الكلم الطيب وقيل معنى يناله التقوى يعتد بذلك منكم ويحسن موقعها عنده وقيل معناه ينفعكم ذلك
التقوى وقيل لن ينال رضى الله اللحم والدم ولكن ينال رضى الله التقوى والمعنى لن يرضي المضحون والمتقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات
الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم كذلك
سخرناها لكم كرره تذكيرا للنعمة بالتسخير اي بتسخير البدن ثم قال لتكبروا الله اي لتشكروا الله ضمن
التكبير معنى الشكر وعدى تعديته على ما هداكم على هداية اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا
وتهللوا وبشر المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه فان لم يروه فانه يراهم بقوله وقيل بالجنة ٥
قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه وما فيه من
منافع الدنيا والاخرة وقد ذكر من قبل ان الكفار صدوهم اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويمكن من
الحج فقال ان الله يدافع قرا ابن كثير وابو عمرو يدفع معناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل
المغالب يجي باقوى وابلغ ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل الدفع عن الذين امنوا اي ان الله لا يحب
اضداد الذين امنوا اي لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمة ربه اذن قرا نافع وابو عمرو وعاصم
المكيين اذن بضم الهمزة والباقون بفتحها للذين يقاتلون قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح التاء
والباقون بكسرها اي اذن للذين يقاتلون في القتال فحذف الماذون فيه اي القتال لدلالة يقاتلون عليه
بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يوذونهم
اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه
في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم
وان الله على نصرهم لقدير اخبر الله تعالى بانه قادر على نصرهم وهذا الاخبار عدة من الله تعالى بنصر الذين

خير — والباقون يدافع

ظلموا واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا الذين
اخرجوا لما بين ان الاذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اوجب
اخراجهم الا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق يعني لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله اي بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين لا موجبا للاخراج والتسيير نظيره هل تنقمون منا
الا ان آمنا بالله ولولا دفع الله قراءة ابن كثير دفع الله بغير الف على مصدر دفع والباقون بالف بعد الفاء
على مصدر دافع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع قراءة ابن كثير ونافع لهدمت خفيفة والباقون
بتشديد الدال صوامع عن ابن عباس صوامع الرهبان وعن قتادة صوامع الصابئين وبيع جمع بيعة وهي
بيع النصارى وصلوات قيل مواضع الصلوات فقيل كنائس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا وقيل مساجد
الصابئين وقيل هي الصلوات حقيقة والمعنى ولولا دفع الله عن المسلمين وتسليطه اياهم على المشركين
بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجدا ولغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه
وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين يذكر فيها اسم الله قيل يذكر
في جميع الاماكن المذكورات وقيل يذكر في جميع الاماكن المذكورات وقيل يذكر في المساجد خاصة لان
سائر المواضع المذكورة الغالب فيها الشرك ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه وشرعه
ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم والمراد من هذا التمكين النصر على عدوهم وقيل هو السلطنة
ونفاذ القول على الخلق لان المتبادر من قوله مكناهم في الارض ليس الا هذا وقيل المراد بهم المهاجرون لان
الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم وهم الذين اخرجوا من ديارهم والانصار ما اخرجوا من ديارهم فتصير
معنى الاية ان الله وصف المهاجرين بانه ان مكنهم في الارض واعطاهم السلطنة فانهم اتوا بالامور الاربعة
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن قد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة
الراشدين في الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم اتين بهذه الامور الاربعة واذا كانوا آمرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت الاية على امامة الاربعة
ولا يجوز حمل الاية ان الاية دالة على الجمع وفي قوله ولله عاقبة الامور دلالة على ان ذلك الذي تقدم ذكره
من سلطنتهم وملكهم كائن لا محالة ثم ان الامور ترجع الى الله تعالى بالعاقبة فانه سبحانه هو الذي
لا يزول ملكه قيل الذين ان مكناهم اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
رضي الله عنهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله
عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقيل فيه دليل
على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من

المهاجرين

المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب
بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى
حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير انه تعالى لما بين فيما تقدم اخراج الكفار المومنين من ديارهم
بغير حق ووعد الرسول النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية
للرسول في الصبر على ما هم عليه من اذية المومنين بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك اي
مشركوا مكة يا محمد فلست باول من كذبه قومه فقد كذبت قبل هولاء المشركين قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين رسلهم نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه
شي آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم
معجزاته فما ظنك بغيره وان يكذبوك شرط جزاؤه مضمر تقديره وان يكذبوك فلا تحزن والفاء في قوله
فقد كذبت لعطف جملة على جملة بينهما اتصال شديد وليس بجزاء الشرط لوقوع التكذيب
منهم قبلهم فامليت للكافرين امهلتهم الى الوقت المعلوم عندي ثم اخذتهم بالعقوبة
فكيف كان نكير انكاري عليهم بالعذاب والهلاك اليس كان واقعا قطعا ابدلتهم بالنعمة نقمة
وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا الست اعطيت الانبياء جميع ما وعدتهم من النصر
على اعدائهم والتمكين لهم في الارض قوله تعالى فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي
خاوية ساقطة من خوى النجم اذا سقط او خالية من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن
الحامل على عروشها جمع عرش وهو كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم على عروشها
قيل متعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف وقيل انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وقيل
على عروشها خبر بعد خبر كانه قيل هي خالية على عروشها اي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف
سقطت على الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مايلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة
وهي ظالمة في محل نصب على الحال فهي خاوية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل
ليس له محل وبئر قرا ورش عن نافع بغير همز والباقون مهموزة ومعنى المعطلة انها عامرة
فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر
مشيد مجصص عال معطل ايضا ليس فيه ساكن والمعنى وكم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها

وقصر مشيد اخلينا عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان عروشها
بمعنى مع اوجه عن الضحاك ان هذه البير انما كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا
وذلك ان اربعة الاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام نجوا من العذاب اتوا حضرموت
ومعهم صالح فلما حضروه مات فسمي حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حاضورا
وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا يقال له جاهس بن جلاس واقاموا بها زمانا وتناسلوا
حتى نموا وكثروا ثم عبدوا الاصنام وكفروا بالله فارسل الله عز وجل نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان
حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بيرهم وخربت قصورهم افلم يسيروا اي قومك
في ارض اليمن والشام يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم
ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا ويحتمل انهم قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا
ولم يروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد اذ انظروا اثار من هلك او اذان
يسمعون بها ما يجب سماعه من اخبار الامم المكذبة فيتفكروا ويعتبروا فانها الضمير ضمير
الشان والقصة ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه لا تعمى الابصار
لانها صحيحة سالمة لا عمى بها ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل معناه لا يعتد بعمى الابصار
فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وفايدة ذكر الصدور مع ان القلوب لا تكون الا في الصدور
التوكيد لان الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة
بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من
نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج الى هذا التصوير الى زيادة تعيين
وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضا للسيف ولكنه
للسانك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضا هو هو لا غير وكانك
قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهو مني ولكني تعمدت به اياه
بعينه تعمدا **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
انه تعالى لما حكي عنهم من تعظيم ما هم عليه من التكذيب انهم يستهزون باستعجال
العذاب نزلت في النضر بن الحارث واصحابه وهو قولهم متى هذا الوعد ونحوه من
استعجالهم انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كانه قيل ولم
تستعجلون بالعذاب كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف
والله عز وجل لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل

ومن حمله

ومن حمله وقاده واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة مما تعدون
وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم
لان ايام الشدايد مستطالة وقيل كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني
العذاب وقيل لن يخلف الله وعده في النظر والامهال قرا عاصم وابو عمرو وابن عامر تعدون
بالتا على سبيل الخطاب والباقون بالتا على الغيبة فان قيل كان انصرف الكلام من ذكر العذاب
الى قوله وان يوما عند ربك ففيه جوابان احدهما انهم استعجلوا العذاب في الدنيا فقيل لهم
لن يخلف الله وعده في انزال العذاب بكم في الدنيا وان يوما من ايام عذابكم في الاخرة كالف
سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب فقد تضمنت الايه وعدهم بعذاب الدنيا
والاخرة وثانيها وان يوما عند الله الف سنة سوا في قدرته على عذابهم فلا فرق بين وقوع ما استعجلوه
وبين تاخيره في القدرة الا ان الله تعالى تفضل عليهم بالامهال وكاين من قرية وكم من اهل قرية كانوا
مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والي حكمي ولما كان قوله فكاين
من قرية اهلكناها وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير ذكر بالفا وكاين من قرية امليت لها حكمها
حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك كالف سنة **قوله تعالى** قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين قل يا محمد يا ايها الناس
يا اهل مكة انما انا لكم نذير مبين امرت بان ادبم لكم التخويف والانذار ولا يصدني ما يكون
منكم من الاستعجال للعذاب على سبيل الهزء عن ادامة التخويف والانذار **قوله تعالى** فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معجزين اولئك اصحاب
الجحيم ورزق كريم قيل الجنة لان الكريم من الاشيا هو الذي تضايله نوعه جميعا فيه والجنة
كذلك وقيل كريم حسن وقيل شريف وقيل لا تكتسب بالدنسات من التذلل للخلق والاخذ من
المنان وارتكاب الظلم ثم انذر فقال الذين سعوا اجتهدوا في ابا تنا في رد اياتنا القران وغيره
من المعجزات يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين مغالبين مسابقين
وقيل مسابقين يقال عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا
سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
واساطير الاولين ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم قرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد بغير الف اي مثبطين الناس
عن الايمان والباقون معاجزين بالالف اي ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا انهم لا يبعثون وانه
لا جنة ولا نار فان قيل كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده اجيب

بان الكلام مسوق الى المشركين و يا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا
بالاستعجال وانما اقحم المومنون وثوابهم ليغاظوا قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله
اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم
وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم قيل الرسول هو النبي والنبي هو الرسول والفرق
بينهما بالاعتبار وقيل الرسول اعلى شانا لان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل الرسول
صاحب الشرع والنبي هو الذي يامر باتباع شرع سابق وقيل الرسول الذي ياتيه الملك بالوحي والنبي
الذي يرى فى المنام ما يوحى اليه وقيل النبي المحدث الذي لم يرسل قوله من رسوله ولا نبي دليل
بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الانبيا فقال ماية الف واربعة
وعشرون الفا قيل لكم الرسل منهم قال ثلثماية وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول
من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما
امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما راى اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم مما جاءهم به من الله عز وجل تمنى فى نفسه
ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه وان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم
عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه فجلس ذات يوم فى نادي من اندية قريش كثير اهله فاحب
يوميذ ان لا ياتيه من الله تعالى شي ينفروا عنه وتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى
فاخذ يقراها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان فى امنيته التي تمناها اي وسوس
اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل وقيل تكلم به الشيطان
بذلك فاسمعه الناس فلما سجد فى اخرها سجد معه جميع من فى الوادي وطابت نفوسهم وكان
تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلا زاد المنافقون به شكا وظلمة والمومنون نورا
وايقانا والمعنى ان الرسل والانبيا من قبل كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت
مكن الله الشيطان ليلقي فى امانيهم مثل ما القى فى امنيتك ووجد اليه سبيلا واكثر
المفسرون على ان تمنى بمعنى تلا وقرا كتاب الله القى الشيطان فى امنيته اي فى قراته
وتلاوته نظيره قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني قراة تقرا عليهم وقال الشاعر

فى عثمان رضى الله عنه حين قتل تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى الحمام المقادر وعن الحسن
اراد بالغرانيق العلى الملايكة يعني اذا الشفاعة ترتجى منهم لا من الاصنام وهذا ليس بمرضى
ولا قوي لقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت الله
اياته والله عليم بوحيه حكيم بخلقه ليجعل ما يلقي الشيطان ضلالا وقيل امتحانا وقيل عذابا اي سبب
عذاب للذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق وهم المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم وهم
المشركون وان الظالمين يريد وان هولا المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر
حكما عليهم بالظلم لفى شقاق خلاف بعيد عن الحق وقيل شقاق بعيد خلاف طويل مع النبي والمومنين وليعلم
الذين اوتوا العلم الايمان والتوحيد وهم المومنون وقيل اوتوا العقل والتمييز انه الحق من ربك ان الذي
احكم الله من ايات القران هو الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين
امنوا الى صراط مستقيم اي يثبتهم عليه وقيل لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه بالتاويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الصحيح الذي يقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة
حتى لا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزل اقدامهم وقيل لهادي الذين امنوا الى تحقيق
ما هو محكم والسكوت عما هو متشابه ولا يتبعوا التاويل ويقولوا امنا كل من عند ربنا قوله تعالى
ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ
لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى فقال ولا يزال
الذين كفروا فى مرية منه من القران او من الرسول او من الدين وقيل مما القى الشيطان على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من سجود النبي حتى تاتيهم الساعة القيمة وقيل
الموت بغتة فجاة من دون ان يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم لانهم يومنون عند اشراط
الساعة على سبيل الالجا او ياتيهم عذاب قيل او للاحد التشبيه على اصله وقيل بمعنى الواو يوم
عقيم يوم بدر وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم
لم يلدن وقيل لان المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على
سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا وقيل
لا مثل له فى عظم امره لقتال الملايكة فيه وعن الضحاك يوم عقيم اي يوم القيمة والمراد
بالساعة مقدماته وقيل يجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه قيل حتى
تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ تقديره
الملك يوم يومنون او يزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تاتيهم الساعة

لله وحده من غير منازع ولا مدع يحكم بينهم ثم بين حكمه فيهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين **قوله تعالى** والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير لما ذكر ان الملك له يوم القيمة وانه يحكم بينهم ويدخل المومنين الجنات اتبعه بذكرالوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم فقال تعالى والذين هاجروا الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله ثم قتلوا قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد او ماتوا لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطى من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا وقيل اراد من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاهدا او في سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعد وقيل يحتمل الامرين وقيل المراد قوم مخصوصون روي مجاهد انها نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم والظاهر العموم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل رزقا حلالا وقيل الجنة ونعيمها وقيل الشهادة ثم الجنة وقيل العلم والحكمة وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزقهم ما لا نهاية له ليدخلنهم مدخلا قرا نافع بفتح الميم والباقون بضمها مكانا هو الجنة وقيل هو مصدر والمعنى ليدخلنهم ادخالا وعلى الوجهين يرضونه وصف له اي مكانا يرضونه او ادخالا يرضونه وان الله لعليم بنياتهم واسرارهم وعلانيتهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه ذلك الامر والشان ذلك اي الامر ما قصصنا عليك نزل في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتال المشركين وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم تسميه الابتدا بالعقاب الذي هو الجزا للملابسة من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض ثم بغي عليه اي حاربوه بعد ذلك وقيل ثم بغي عليه اخرج من منزله ان الله لعفو للمنتصر من الظالم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله على الاحلال بالعقاب والعفو عن الجاني

على طريق

على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحينئذ لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من احلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما لا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون ومعنى ايلاج الليل في النهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضيا النهار بتغييبه الشمس وايلاج النهار في الليل تحصيل ضيا النهار في مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس كما يضي السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما بنقص من الاخر من الساعات ذلك الذي فعل من نصر المومنين بان الله هو الحق اي هو الاله الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لما دل على قدرته من ايلاج الليل في النهار وعكسه ونبه به على نعمه اتبعه بانواع اخر من الدلايل على قدرته ونعمه الم تر ان الله انزل من السما مطرا هذا استفهام معناه الخبر فتصبح وانما قال فتصبح ولم يقل فاصبح لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف شكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ان كانت مسودة يابسة ان الله لطيف لا يخفى عليه شي وقيل

لطيف باستخراج النبات منها خبير عالم بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في
الارض وان الله لهو الغني عن خلقه الحميد على فعله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من البهايم
مذللة للركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره وهي عطف على ما وتجري حال لها اي سخر لكم
الفلك جارية في البحر بامره ويمسك السما كراهة ان تقع وقيل لئلا تقع على الارض الا باذنه
وارادته ان الله بالناس لرؤوف رحيم تفضل عليهم بما عدد في الاية وهو الذي اي من سخر لكم
هذه الامور وانعم عليكم هو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم يميتكم عند الموت ثم يحييكم للبعث والنشور ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من
ضروب النعم وقيل اراد بالانسان الكفار **قوله تعالى** لكل امة جعلنا منسكا هم
ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل
الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون لما ذكر نعمه اتبعه
بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة وانما لم يذكر الواو لانفصال هذا الكلام عما قبله منسكا قيل
موضع الذبح وقيل قربانا وقيل زمانا معينا لاداء العبادات وقيل مكانا معينا لادائها وقيل
اراقة دم وقيل ذبيحة وقيل شريعة تعبدوا بها هم ناسكوه هم ينسكون تلك المناسك
فلا ينازعنك في الامر اي ليس لليهود وغيرهم من ذوي الاديان والمشركين ان ينازعوك
في شريعة قومك وذبايحهم وقيل نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم
ولا تمكنهم ان ينازعوك وقيل هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في الدين وامر الذبح وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقا وبشر
بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون
ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله اي الميتة وادع الى ربك دين ربك انك
لعلى هدى مستقيم على طريق واضح مستقيم قال الزجاج هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جايز في الفعل الذي لا يكون
الا بين اثنين والمراد تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه
لله ولدينه ومنه قوله فلا يصدنك عن ايات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا
للكافرين وهيهات ان يرتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما
ذكر من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته
اي لا يغلبنك في المنازعة وان جادلوك اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك
ان لا يكون بينك وبينهم تنازع ولم يقبلوا منك فادفعهم وقل الله اعلم بما تعملون من اعمالكم

فهو

فهو يجازيكم به وهذا وعيد وانذار فيه رفق ولين الله يحكم بينكم خطاب للمومنين والكافرين
فتعرفون حينيذ المحق من المبطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب
اليه الاخر وقيل يفصل بينكم بالثواب والعقاب وهذا ادب حسن علمه الله تعالى عباده
فيمن جادل على سبيل التعنت والمراد كفعل السفها ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا
القول الذي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما كان يلقى منهم **قوله تعالى** الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب
ان ذلك على الله يسير لما قال من قبل الله يحكم بينكم اتبعه بما به يعلم انه عالم بالمحق والمبطل
فيحكم بينهم بالعدل فقال الم تعلم على لفظ الاستفهام لكن معناه تقوية قلب الرسول
صلى الله عليه وسلم والوعد له والوعيد للكافرين يعلم ما في السما والارض فيعلم اعمالكم
فيجازيكم ان ذلك كله في كتاب يعني في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير بكونه بقوله
كن وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله **قوله تعالى** ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا على عبادته وما ليس لهم به علم اي يعبدونه
جهلا وتقليدا لا عن عقل وسمع وقيل يعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان نازل
من السما من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها حجة عقلية
وما للظالمين اي الواضعين العبارة في غير موضعها من نصير يمنعهم من عذاب الله
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر
من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير واذا تتلى
عليهم على اهل مكة اياتنا اي القران بينات لكونها متضمنة للدلايل العقلية
الدالة على التوحيد وبيان الاحكام والحلال والحرام وهي منصوبة على الحال
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار والعبوس والكراهة
يكادون يسطون يقعون ويبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا السطو
الوثب والبطش يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالعنف والشدة
قل يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم عليكم واكره لكم من
الذي تسمعونه وقيل شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم وقيل من ذلكم مما اصابكم من الكراهة والضجر

بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو
النار وعدها ابتدا استيناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا و وعدها
خبرا الذين كفروا وبئس المصير **قوله تعالى** يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز لما بين من قبل انهم يعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ذكر في هذه الاية ما يدل على ابطال
قولهم ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون هذا ليس بمثل بل صفة سميت الصفة
او القصة الرايعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها مستحسنة مشعر بها عندهم ومعنى الاية جعل المشركون الاصنام شركاي
فعبدوها من فاستمعوا حالها ثم بين بقوله ان الذين تعبدون من دونه لن اخت لا في نفي
المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب الذي هو
في غاية الضعف والصغر غير مقدور لهم ولو اجتمعوا الحلقة محلها النصب على الحال كانه قيل
ممتنع ان تخلقوا ذبابا مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه الذباب واحد
وجمعه للقليل اذبة والكثير الذباب مثل غراب واغربة وغربان وهذا من ابلغ ما انزل الله
في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزامه حيث وصفوا
بالالهية التي منها ان يقدر على اقل ما خلق الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتظاهروا
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ولا يقدروا عليه ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بين الطالب اي الصنم والمطلوب وعند التحقيق وجدت
الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان والصنم جماد والذباب غالب
والصنم مغلوب وقيل الطالب الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم
وذلك ان الكفار كانوا يلطخون اصنامهم بالعسل في كل سنة مرة ثم يغلقون
عليها ابواب البيوت فيدخل الذباب في الكوا فيا كل ذلك العسل وينقيها منه
فاذا راوا ذلك قالوا اكلت الهتنا العسل وقيل الطالب عابد الصنم يطلب
التقرب بعبادته والمطلوب المعبود اي الصنم ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا
الله حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته اذ سموا باسمه
من هو منسلخ عن صفاته باسرها واشركوا به واهلوه للعبادة ما هو اضعف من الذباب

ان الله

ان الله قوي قادر عزيز غالب فكيف يتخذ الضعيف العاجز المغلوب شبيها به **قوله تعالى**
الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله
ترجع الامور لما قدم ما يتعلق بالالهيات اردفه ما يتعلق بالنبوات الله يصطفي يختار من الملايكة
رسلا كجبريل وميكال وغيرهما ومن الناس ايضا رسلا مثل نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله
وسلامه عليهم هذا رد لما انكروا من ان يكون الرسل من البشر يعني نزلت هذه الاية لما قال المشركون انزل
عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشا من خلقه فيختار من الملايكة رسلا
ويختار من الناس رسلا ان الله سميع بكل ما قاله قايل سرا وعلانية بصير بما يختار لرسالته يعلم ما بين
ايدي الملايكة والناس ما مضى من احوالهم وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو
بهذه الصفة لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله **قوله**
تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون لما تكلم
في الالهيات ثم في النبوات اتبعه بالكلام في اصول الشرايع والصلوة سابق لغيرها من الطاعات
فمن ثم دعا المومنين اولا الى الصلاة قال المفسرون المراد من قوله اركعوا واسجدوا اصلوا لان الصلاة
لا تكون الا بالركوع والسجود ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على ساير
الخيرات عن الكلبي كان اول الاسلام يصلون بغير ركوع ولا سجود فامروا بها وقيل معناه صلوا
ولا تقصدوا بالركوع والسجود غير الله من صنم او ربا لعلكم تفلحون كي تفلحوا وتفوزوا وتسعدوا في الجنة
وقيل لتكونوا على رجاء الفلاح وعن علي رضي الله عنه اذا فعلتم ذلك ظفرتم بالمراد وقيل اعبدوا ربكم
اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم
الاخلاق وقيل لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا
تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم
ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين
في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل
ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة **قوله تعالى** وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم
فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا في سبيل الله اعداء الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة
فيه قاله ابن عباس وعنه ايضا لا تخافوا في الله لومة لايم وذلك هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

وقيل في الله اى في ذات الله ومن اجله حق جهاده تقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وعالم جدا ومنه
حق جهاده قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه الاضافة اى اضافة الجهاد الى ضميره تعالى وكان القياس
حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اى اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج اى
ضيق فلا يبتلى المومنين بشىء من الذنوب الا جعل له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بالقصاص وبعضها
بالحد وبعضها برد المظالم وبعضها بانواع الكفارات فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص
من العقاب فيه ولا ذنب يذنبه المومن الا وله منه في دين الاسلام مخرج ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هى الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة
وقيل وما جعل عليكم في الدين من ضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر والاضحى ووقت الحج
اذا التبست عليكم وشكا الناس فيها ولكنه وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا محلها ملة ابيكم نصب الملة بمضمون
ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل منصوب
على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحميد وقيل منصوب بنزع الخافض اى وما جعل عليكم
في الدين من حرج كملة ابيكم نصب بنزع الكاف وقيل منصوب على الاغراء اى الزموا واتبعوا ملة ابيكم ابرهيم
وليس جميع المخاطبين يرجع الى ولادة ابرهيم عليه السلام فان معناه ان حرمة ابرهيم عليه السلام
على المسلمين كحرمة الوالد كما قال عز وجل وازواجه امهاتهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لكم مثل الوالد
بعض العارفين ملة ابيكم هو السخا والبذل والاخلاق بالخروج من النفس والاهل والمال والولد وقال
الجنيد امر الله العوام ان تتبعوا ملة ابرهيم في الشريعة وامر الخواص ان تتبعوا ملته في بذل المال والنفس
والولد لمولاه وتوافقوه موافقة الخليل في كل الاوقات هو سماكم اى الله سماكم المسلمين ويشهد له قراة ابى بن
كعب الله سماكم المسلمين من قبل اى في التورية والانجيل وساير كتبه وفي هذا اى القران وفي هذا الزمان وقيل ابرهيم
سماكم المسلمين والمعنى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم لاكرام ليكون اى اجتباكم وسماكم ليكون الرسول
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم يوم القيمة انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل
قد بلغتهم فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة واعتصموا بالله واذ خصكم الله بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا
به ولا تطلبوا النصر والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن ابن عباس سلوا ان يعصمكم من كل ما يسخط ويكره

سورة المومنين مكية

وهى مائة وثماني عشرة اية واربعة الاف وثمان مائة وحرفان والف وثمان مائة واربعون كلمة عن ابى بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المومنين بشرته الملايكة يوم القيمة بالروح والريحان وعن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عنده دوي
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد انزلت علينا عشر ايات من اقامهن دخل وارضنا كاف
الجنة ثم قرا قد افلح المومنون الى عشر ايات عن ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله حاط حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيده فقال لها تكلمي فقالت قد افلح
المومنون فقال لها طوبى لك منزل الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون
والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وقد تقرب الماضي من الحال فدل على ان فلاحهم قد حصل وهم عليه
في الحال وهذا ابلغ في الصفة من تجريد ذكر الفعل اخبر الله تعالى عن فلاح المومنين وانهم قد نالوا البغية ولم يزالوا
البقاء الدائم عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد افلح المومنون ولا شك ان المومنين
كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه
والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلح اصاره
الى الفلاح ثم وصف الله تعالى هؤلاء المفلحين فقال الذين هم في صلاتهم خاشعون عن ابن عباس مخبتون اذلاء
الحسن ومقاتل خائفون مقاتل متواضعون على رضي الله عنه الخشوع في القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك
ولا يلتفت مجاهد هو غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة يهاب الرحمن
تعالى ان يشد بصره الى شىء او ان يحدث نفسه بشىء من شان الدنيا عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود
ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلوة ابن سيرين وغيره هو ان لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقالوا
كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يرفعون ابصارهم في الصلاة وينظرون يمينا ويسارا حتى نزلت
هذه الاية فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما راى بعد ذلك احد منهم الى السماء زبيع هو
ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه
بين عيني الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن ادم اقبل على فانا خير لك
ممن تلتفت اليه عطا هو ان لا تعبث بشىء من جسدك في الصلوة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قام احدكم الى الصلوة فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى ويقال نظر الحسن الى رجل يعبث
بالحصى ويقول اللهم زوجني من الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث قتادة هو وضع اليمين

على الشمال في الصلوة قيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ابو بكر الواسطي هو الصلوة لله تعالى على
الخلوص من غير عوض ابي الود يحتاج المصلي الى اربع خلال حتى يكون خاشعا اعظام المقام واخلاص المقال واليقين
التام وجمع الهم وانما اضيف الصلوة اليهم لانها دائرة بينهم وبين الله تعالى وهم المنتفعون بها وهي عدتهم وذخيرتهم
وصلاتهم واما الله المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم عن اللغو معرضون ابن عباس
اللغو الحلف الكاذب الحسن عن المعاصي مقاتل الشتم والاذى غيرهم ما لا يحمد من القول والفعل وقيل الفعل الذي
لا فائدة فيه وقيل اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم
للزكوة فاعلون الزكوة مشترك يجمع بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه من النصاب الى الفقير والمعنى (المزكي)
فعل المزكي الذي هو التزكية والمراد ههنا بالزكوة التزكية فجعل الله المزكين فاعلين له لانه ما من مصدر الا يعبر
عن معناه ويقال لمحدثه فاعل يقال للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل الزكوة والتحقيق فيه
انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولا يجوز ان يراد بالتزكية العين
لانه يمتنع الزكاة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لا يخرجها من صحة ان يتناولها الفاعل لانها
محدثة وكل محدث يتناوله الفاعل لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد والامية ابن ابي الصلت المطعمون
الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو (في السنة)
الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة ودخل اللام لتقدم المفعول لان اسم الفاعل
لا يبلغ قوته في العمل قوة الفعل تقول هذا ضارب لزيد ولا يصح ضرب لزيد قيل يحتمل ان يكون المفعول
محذوفا واللام لام العلة والمعنى للزكوة فاعلون ما يفعلون اى ليصيروا عند الله زكيا والذين هم لفروجهم
حافظون لا يبذلونها في الحرام الحسن لثيابهم ودخل اللام لتقدم المفعول والفرج اسم لجميع سوءات الرجال
والنساء فالقائلان وما حولهما كله فرج والمراد بالفرج ههنا فروج الرجال خاصة الا على ازواجهم الا
على نسائهم واماءهم اطلق ما على الاماء لانهن جاريات مجرى غير العقلاء من حيث ان حكمهن حكم الاموال
التي هي ملك تحت يد المالك قيل على بمعنى من اى لفروجهم حافظون الا من الازواج وقيل على ازواجهم
في موضع الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف
عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت
المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حالة تزوجهم او تسريهم وقيل هي متعلق
بمحذوف يدل عليه قوله غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى لفروجهم حافظون يلامون على
كل مباشر الا على ما اطلق لهم من ازواجهم وما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقيل ضد الحفظ الاسترسال
وهو يقتضي على اى لفروجهم حافظون غير مسترسلين الا على ازواجهم وقيل الحفظ معنى الامتناع اى

ممتنعين

ممتنعين الا على ازواجهم فمن ابتغى وراء ذلك فمن التمس وطلب سوى ازواجهم وما ملكت ايمانهم فاولئك
هم العادون من الحلال الى الحرام وقيل من طلب من غير الازواج والاماء قضاء شهوته فهو متجاوز حده لانه من
الحلال الى الحرام ومن استمنى بيده فهو من العادين وسئل ابن عباس عن ذلك فهو ناكح يده قيل جعل المستمنى
حدا اوجب التوقف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر
ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيه
دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم
سمي الشيء الموثوق عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني وتخان الموثوق عليه لا الامانة في نفسها والراعي
القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اى متوليه وصاحبه ويحتمل
العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوا من امانات
الناس وعهودهم قال بعض العارفين جوارحك كلها امانات عندك امرت في كل واحد منها بامر فامانة العين
الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وامانة السمع صيانتها عن اللغو والرفث واحضارها مجالس الذكر
وامانة اللسان اجتناب الغيبة والبهتان ومداومة الذكر وامانة الرجل المشي الى الطاعة والتباعد
عن المعاصي وامانة الفم ان لا يتناول بها الا الحلال وامانة اليد لا يمدها الى حرام ولا يمسكها عن الامر
بالمعروف وامانة القلب بمراعاة الحق على دوام الاوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن
الا اليه وعهدهم راعون ثم العهد عليك في حمل الامانة رعايتها في صنيع الامانة وصف بالجهل ومن
لم يراع العهد وصف بالظلم والذين هم على صلواتهم قرأ حمزة والكسائي صلوتهم على التوحيد وهو اسم
جنس والباقون صلواتهم على الجمع يداومون على فعلها ويراعون اوقاتها فامر بالمحافظة عليها كما امر
بالخشوع فيها فذكرها اولا واخرا ليس بتكرار لانه اولا وصفهم بالخشوع في صلواتهم واخرا بالمحافظة
عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما
ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة اى صلوة كانت
وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة
وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الحاجة وغير ذلك (وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح م)
من النوافل والافتتاح بها والختم عليها تنبيه على شرفها ومزيد رتبتها قوله تعالى اولئك
هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون لما ذكر الله مجموع هذه الاوصاف قال
اولئك هم الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون يوم القيمة الاحقاء بان يسموا الوارثين دون غيرهم
من عداهم ثم بين الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لانهم لا يخفى على الناظر

الفردوس البستان يجمع محاسن النبات والاشجار والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوسا
انث الفردوس على تاويل الجنة قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون
ثم انكم يوم القيمة تبعثون ﴿ لما اخبر الله تعالى عن فلاح المومنين وانهم قد نالوا البغية ووصفهم
بانهم في صلوتهم خاشعون وانهم عن اللغو معرضون وهذه الاوصاف عبادات والعبادات لا تنفع الا
بعد معرفة الله تعالى ذكر ما يدل على التوحيد واتصافه بصفات الجلال فذكر من الدليل انواعا النوع الاول
الاستدلال في اطوار الخلقة وهي سبعة للاول قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء القلة كالقلالة والقمامة ولقد خلقنا الانسان
قيل يعني ادم من سلالة من طين استل من الارض قاله قتادة بن عباس ومجاهد خلقنا الانسان يعني
ابن ادم من سلالة من طين من صفوة ماء ادم الذي هو من الطين ومنيه والعرب تسمي نطفة الرجل وولده
سليله وسلالته لانهما مسلولان منه قال الشاعر ﴿ فجاءت به عضب الاديم غضنفرا سلالة
فرج كان غير حصين ﴾ وقال اخر ﴿ وهل كنت الامهرة عربية سليلة افراس تجللها بغل ﴾
ثم جعلناه اي ابن ادم على قول من يقول المراد بالانسان ابن ادم ظاهر وعلى قول من يقول المراد بالانسان
ادم الضمير في جعلناه عائد الى ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر ولان المعنى لا يصلح الا له وقيل
ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان ادم لم يصير نطفة والمعنى ولقد
خلقنا جوهر الانسان من سلالة من طين ثم جعلنا جوهره بعد ذلك نطفة في قرار مستقر وهو في
الاصل مصدر قر يقر قرارا سمي الموضع الذي يقر فيه قرارا مكين حرز حصين منيع والمراد الرحم وصفت
بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي
واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرناها وقدرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى
الى مفعول واحد والمعنى احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة احلنا العلقة مضغة مقدار
ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما احلناها وصيرناها عظاما قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم عظما فكسونا
العظم والباقون عظاما فكسونا العظام لحما انبتنا على العظام لحما فصار اللحم كاللباس للعظام ثم انشاناه
اي جوهر الانسان وقيل ثم انشانا المذكور خلقا اخر مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله
حيوانا وكان جمادا ناطقا وكان ابكم سميعا وكان اصم بصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من
اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة عن ابن عباس في جماعة انه نفخ فيه الروح قتادة
والضحاك نبات الاسنان والشعر ابن عمر استواء الشباب العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف احواله

بعد الولادة خرج من بطن امه بعد ما خلق فكان من بدو خلقه للاخر ان استهل ثم كان من خلقه ان ادل على ثدي
امه ثم كان من خلقه ان علم كيف يبسط رجليه الى ان قعد الى ان حبا الى ان قام على رجليه الى ان مشي الى ان فطم
فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى ان بلغ الحلم الى ان بلغ يتقلب في البلاد وقيل الذكورية والانوثية وقيل
اعطاء العقل والفهم فتبارك الله اي استحق التعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال من البروك وهو الثبوت فتبارك
الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين المقدرين تقديرا ترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحو
طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وقيل احسن المصورين تصويرا وقيل احسن الصانعين
صنعا ابن جريج انما جمع الخالقين لان عيسى ابن مريم عليه السلام كان يخلق فاخبر عن نفسه انه يخلق احسن
مما كان يخلق قيل لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين قال
ابن عباس فان عبد الله بن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاملى عليه هذه الاية فلما بلغ قوله
خلقا اخر خطر بباله وتبارك الله احسن الخالقين فلما املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال
ابن ابي سرح ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده
كان بالمدينة وهذه السورة مكية ثم انكم بعد ذلك بعد الخلق الاخر وقيل بعد ما ذكر من امركم لميتون اي
لصائرون اليه فنزل منزلة الجاحدين اذ لا بد من كونه واكده بايراد الجملة اسمية موكدة بالصيغة المفيدة
للمبالغة وبان وباللام كانهم لتماديهم في رعاية الامور المتعلقة بالحياة وغفلتهم عن الموت منكرون للموت فنزلهم
منزلة المنكر فذكر ما يصلح ان يكون ردا للمنكر ثم انكم يوم القيمة تبعثون لما كان دلائل البعث ظاهرة اورد
صيغة صالحة لان يخاطب بها غير المنكر جعل الاماتة والاحياء بعدها دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد
الاختراع والانشاء ولا دلالة للكلام على ان الحياة الاحياة الانشاء وحياة البعث لانه لم يلزم من ذكر الحياتين
نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس
عندك وايضا الغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس
الاعادة قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين هذا نوع ثان
من الاستدلال سبع طرائق اي سبع سموات لانه طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله
فهو طريقة وتقول العرب طارقت النعل اي جعلت بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة وقيل لان
واحدة منها طريقة اي سيرة وصنعة غير صنعة للاخرى وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما
كنا عن خلق السموات كانه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقكم
بقدرتنا وقيل اراد عن خلق الناس وانه انما خلقها فوقكم لتفتح عليكم الارزاق والبركات منها وينفعكم
بانواع منافعها وما كان غافلا عنكم وما يصلح به الحس وما كنا عن الخلق غافلين اذ ينزل عليهم ما يحييهم
من المطر قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون

فلحق ص ... ثم اسلم يوم الفتح كن ف

فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور
سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين اعلم ان الماء في نفسه نعمة وانه مع ذلك سبب
لحصول النعم فلا جرم ذكره الله اولا ثم ما يحصل به من النعم ثانيا وانزلنا من السماء ماء بقدر
بعلمه الله تعالى لا ينقص منه ولا يزيد عليه وقيل بقدر ما يكفيهم لشربهم وزرعهم وقيل بقدر يسلمون
معه من المضرة ويصلون الى المنفعة فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا في الارض لينتفع به
عباده في شربهم ومعايشهم وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة
والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدرنا على انزاله فانا على ذهاب به
لقادرون قال صاحب الكشاف قوله وانا على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى
على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء
اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد
ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشانا لكم به بالماء
جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون شتاء وصيفا وانما خص النخيل
والاعناب لان اهل الطائف فذكر القوم ما يعرفونه من نعمه قيل التمر والعنب ليس من الفواكه ولهذا
افرد الفواكه بالذكر ومنها تاكلون قيل من النخيل والاعناب وقيل من ثمار الجنات وزروعها وقيل
من الفواكه على تقدير لتتفكهوا بها وقيل يجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من
حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل
رزقه وكانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون وشجرة عطف
على جنات اي وانشانا لكم ايضا شجرة تخرج من طور سيناء وهي الزيتون قيل خص هذه الانواع الثلاثة
لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه
فاكهة يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا ورطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح
للاستصباح والاصطباغ جميعا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو سيناء مكسورة السين والباقون
مفتوحة السين وكلهم مدها وهي لا تنصرف لانها جعلت اسما للبقعة او ارض وكذلك سينين قيل
طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان
يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعلبك فمن اضاف فمن كسر سين
سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا تكون الفه للتانيث كعلباء
وحرباء ومن فتح لم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء والطور الجبل وسيناء ابو صالح عن ابن عباس الحسن

الضحاك

الضحاك الطور الجبل بالسريانية وسيناء الحسن العوفي عن ابن عباس ابن المبارك مجاهد انه اسم حجارة
بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده ابن السائب طور سيناء الجبل المشجر وقيل ان سيناء اسم
المكان الذي به هذا الجبل ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى وهو بين مصر وايلة وقيل هو جبل
فلسطين تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن فقوله بالدهن في موضع الحال قرا ابن كثير وابو عمرو
تنبت بضم التاء وكسر الباء والباقون بفتح التاء وضم الباء قيل نبت وانبت لغتان معناهما واحد
يقال نبت الشيء وانبت في معنى واحد قال زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت
البقل وقيل تنبت متعد مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وصبغ غمس للايتدام وقيل
الصبغ هاهنا الزيت لانه يلون الخبز اذا غمس فيه والمراد به هاهنا ادام يصطبغ به قوله
تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى
الفلك تحملون هذا نوع ثالث من الاستدلال وان لكم في الانعام لعبرة ذكر ان فيها عبرة مجملا ثم
اردفه بالتفصيل من اربعة اوجه احدها نسقيكم مما في بطونها والمراد منه جميع وجوه الانتفاع فيه
انها تجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق
للشهوة ويصير غذاء فمن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته كان ذلك معدودا في النعم الدينية
ومن انتفع به فهو نعمة في الدنيا وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها الى الضروع تجدها وافرة اذا ذبحتها
لم تجد لها اثرا وذلك دال على عظم قدرة الله قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم نسقيكم بفتح النون
والباقون بضمها وثانيها ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها والبانها واولادها واصوافها واشعارها
وثالثها ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فتنتفعون بعد الذبح ايضا بالاكل ورابعها عليها
وعلى الفلك تحملون لان وجه الانتفاع بالابل في الحمولات على البر عن لها الانتفاع بالفلك في البحر فلذلك
بلغ جمع بين الوجهين في الانعام قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به
جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص
كما هو العادة في ساير السور وقيل هذا ابتداء تسلية للكفار قريش بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا ففي ضمن ذلك
الوعيد بان يحل بها ولاء نحو ما احل باولئك وقيل هذه تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر هذا الرسول
الصابر ليتاسى به في صبره وليعلم ان الرسل قبله قد كذبوا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله وحده واطيعوه ما لكم من اله من معبود غيره افلا تتقون اي افلا تخافون ان يهلككم
في الدنيا بعذاب النار فقال الملا الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد

ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرءسكم وقيل يتكلف افضل منكم فتطيعوه فيما يامركم به وينهاكم
عنه ولو شاء الله ارسال رسول لارسل ملائكة ما سمعنا بهذا اشارة الى نوح اى ما سمعنا بمثل هذا
الذى يدعى وهو بشر انه رسول الله وقيل بهذا اشارة الى ما كلمهم به نوح من الحث على عبادة الله اى ما
سمعنا بمثل هذا الكلام وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم
ما سمعنا بهذا يدل على انهم واباءهم كانوا فى فترة متطاولة او تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لان يدفعوا
الحق ما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين الصدق والكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس
عقلاً واوزنهم قولا ان هو الا رجل به جنة جنون وقيل به جن يخبلونه فتربصوا به فانتظروا واحتملوه الى ان يموت
فتخلصوا منه ولا تقتلوه وقيل حتى يفيق من جنونه فيدع هذا ويستبين جنونه فيعذروه وقيل احتملوه واصبروا
واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرنى بما
كذبون فلما ايس من ايمانهم قال رب انتقم لى فاهلكهم بسبب تكذيبهم اياى وقيل انصرنى بدل ما كذبونا
كما تقول هذا بذاك اى بدل ذلك ومكانه والمعنى ابدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرنى
بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قوله
تعالى فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك
فيها من كل زوجين اثنين الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا
استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلنى منزلاً
مباركاً وانت خير المنزلين ان فى ذلك لايات وان كنا لمبتلين قرا حفص عن عاصم من كلٍ بالتنوين اى
من كل امة زوجين واثنين تاكيد وبيان لان المعنى من كل امة زوجين اثنين والباقون بالاضافة والمعنى
من كل زوجين من كل امتين زوجين وهما امتا الذكر والانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين
من زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة واهلك الا من سبق عليه جئ بعلى مع سبق الضار كالجئ باللام مع سبق النافع قال
الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا على ولا لى وقل رب انزلنى نهاه
اولاً عن الدعاء لهم بالنجاة وقد بالغ فى ذلك حيث اتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب
ان ينزله فى السفينة او فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدنيا
وان يشفع الدعاء بالثناء المطابق لمسئلته وهو قوله وانت خير المنزلين قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم
وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة

تلك

تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبى قرا ابو بكر عن عاصم مَنزِلاً بفتح الميم اسم لكل ما انزل به والباقون
بضمها المصدر بمعنى الانزال تقول نزلته انزالا ومنزلا قيل انما قال نوح هذا القول وقت نزوله فى السفينة
وقيل بنزوله من السفينة ان فى امر نوح وقومه لايات وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب
شديد وقيل معناه مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر
قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
اى اهلكنا قوم نوح ثم انشانا احدثنا من بعد قوم نوح قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم يعنى هودا عليه
السلام وقومه قاله ابن عباس حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ وتشهد له
قصة هود على اثر قصة نوح فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء قال صاحب الكشاف
فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التى هى وجه وبعث وانفذ فما باله عدى فى القران بالى تارة
وبفى اخرى كقوله كذلك ارسلناك فى امة وما ارسلنا فى قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى فى عاد
وفى موضع اخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة
او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك فى
قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ان اعبدوا الله ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول
ان اعبدوا الله ذكر مقال هود فى جوابه فى حكم نوح فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال
الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فعطف
لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما وقال الملا من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقوله يا جنة احوالها ومكة
اى جوار الله فى مكة واترفناهم فى الحياة بكثرة المال والاولاد فتنعموا فيها ذكر فى قصة نوح لانه جواب
لقوله فقال يا قوم اعبدوا الله واقع عقيبه وذكرها هنا بالواو لانه ليس جوابا له متصلا بكلامه
واخر من قومه عن الذين كفروا فى قصة نوح فذكر المجرور بعد صفة الملا وهو موضعه لان المجرور بعارض صيّر
بالتقديم اولى وهو انه لو اخر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف تمام ما يدخل فى صلة الموصول واتمامه
واترفناهم فى الحيوة الدنيا لاحتمل ان يكون المجرور من صلة الدنيا واشتبه الامر على القائلين اهم من قومه
ام لا وقيل قدم المجرور ها هنا كراهة الاحالة بين المعطوف والمعطوف عليه فى الصلة وذلك ممتنع
مع الصلة واخر فى قصة نوح حيث لم يطل الصلة ولم تلزم الاحالة بين المعطوف والمعطوف عليه

في الصلاة ما هذا الذي يزعم انه نبي الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فمن اين يدعي
رسالة الله من بينكم وليس هو باولى منه عنه ومعنى مما تشربون من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله
عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم وينهاكم عنه انكم اذا لخاسرون عقولكم ومغبونون رايكم اذا واقع في جزاء
الشرط وجواب الذين قاولوهم قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
اي ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ثم ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني
بالظرف ومخرجون خبر عن انكم الاول وقيل انكم مخرجون في تقدير المصدر اي اخراجكم وهو مبتدأ واذا متم خبر مقدم ‏ خبر م
عليه والمعنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم الاول وقيل انكم مخرجون مرفوع بفعل هو جزاء الشرط كانه
قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم قوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قرا السبعة هيهات هيهات بفتح التاء فيهما
في الوصل وباسكانها في الوقف ومعنى هيهات لما توعدون البعد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت
اغفالا منهم للتفكر في بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا قال صاحب
الكشاف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات
هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون
فيمن نونه فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويب
بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا
الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ودنت فيها والحياة التي تدعيها بعد الموت باطلة وهي في قوله ان هي ضمير لا يعلم
ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها
ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان
النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس
نموت ونحيى اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله
كذبا فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال هود رب
انصرني بما كذبون ودعا هود عليهم فاجابه الله بقوله قال اي الله عما قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك
ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها عن قليل من الزمان
ليصبحن نادمين اذا عاينوا ما يحل بهم ثم لا ينفعهم ندمهم قوله تعالى فاخذتهم الصيحة
بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين فاخذتهم الصيحة قيل صيحة جبريل صيحة هائلة
تصدعت عن قلوبهم فماتوا بها ومن هذا قيل انهم قوم ثمود والرسول هو صالح لان قوم صالح اهلكوا

بالصيحة وقيل الصيحة عبارة عن اي عذاب كان بالحق قيل بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك
وقيل بالعذاب من الله عز وجل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه وقيل بالحق بالوعد
الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى فبعدا مصدر موضوع موضع فعله وهو من المصادر التي قال
سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا او بعدا نحو رشد
رشدا ورشدا للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قوله تعالى
ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها قيل اجل الموت وقيل اجل العذاب وقيل الوقت الذي حد لهلاكها وكتب له
قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون تترا متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد وتترى قرا ابن كثير وابو عمرو
تترا منونة والوقف بالالف وباقون بلا تنوين والوقف عند نافع وابن عامر بالف والمعنى تتابع بفترة
بين كل رسولين وهي من التواتر والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى كلما جاء امة رسولها
فاتبعنا بعضهم بعضا فجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون الى هنا اضاف الرسل اليه ثم ارسلنا
رسلنا والى الامم كلما جاءت امة رسولها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه
فاضاف اليه حين قال ارسلنا واضاف اليهم حين قال جاء كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك اي اهلكنا
بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها وقيل احاديث مثلا يتحدث به في الناس
والاحاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الاحاديث جمع احدوثة التي
هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فبعدا لقوم
لا يؤمنون نكر قيل لانه التقدير من لا يؤمن حتى لم يؤمنوا قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا التسع وقيل بالتوريه وسلطان مبين قيل العصا لانها كانت
ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة
وانقلاب البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشا
جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال
ويجوز ان تراد الايات انفسها اي هي ايات وحجة ظاهرة الى فرعون وملايه فاستكبروا عن قبول الحق
والايمان تعظما وترفعا وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين وقيل متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم

فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذاً مثلهم ومن
الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون اي هم لنا كالخول والعبيد يعبدوننا خضوعا وتذللا وقيل لان
فرعون كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة فكذبوهما اي فكذب
فرعون وملاؤه موسى وهارون فكانوا اي فكان فرعون وملاؤه من المهلكين بالغرق في البحر ولقد اتينا موسى موسى م
الكتاب لعل بني اسرائيل يهتدون به الى الحلال والحرام وقيل ولقد اتينا موسى الكتاب اي قوم التورية موسى
لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم اي ال فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف
وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية اوتيها بنو اسرائيل
بعد اغراق فرعون وملائه ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوله تعالى
وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وجعلنا ابن مريم وامه اية دلالة على قدرتنا وكان حقه ان يقال
آيتين لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله التي القاها وعيسى روح من الله القاها
وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان اية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على
تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وقيل معناه وجعلنا قصة
ابن مريم اية واويناهما اي جعلناهما ياويان الى ربوة قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها
عبد الله بن سلام دمشق ابو هريرة الرملة قتادة وكعب بيت المقدس كعب هي اقرب الارض الى
السماء بثمانية عشر ميلا ابن زيد مصر ذات قرار ذات مستقر من ارض مستوية منبسطة قتادة
ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين ماء ظاهر جار على وجه الارض قيل
مفعول معين اي مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته
وقيل معين فعيل اي انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل النداء والخطاب
ليسا على ظاهرهما لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل
رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي جميع الرسل ووصوا به حقيق
ان يوخذ به ويعمل عليه وقيل انه خطاب لعيسى عليه السلام بلفظ التعظيم لاتصال الاية بذكره
وكان ياكل من غزل امه وهذا كما يقال للرجل الواحد يا ايها القوم كفوا عنا اذاكم الحسن ومجاهد وقتادة
المراد به محمد صلى الله عليه وسلم كلوا من الطيبات ما حل وطاب وقيل الطيبات الحلال وفي الاكل اداب
الحلال والصافي والقوام والادب فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه
والقوام فيه ما يمسك به النفس ويحفظ العقل والادب شكر المنعم وقيل الطيبات ما يستطاب

ويستدل

ويستدل من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
قيل ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي اويناهما وقلنا
لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل سهل
امران ياكلوا حلالا ولا يشبعوا طغيانا والصالحات من الاعمال اداب الامر بالفرض والسنة واجتناب
النهي باطنا وظاهرا قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا
امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وان بفتح الالف وتشديد النون
وابن عامر بفتح الالف وسكون النون وعاصم وحمزة والكسائي وان بكسر الالف وتشديد النون على
الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة فتقطعوا امرهم بينهم زبرا جمع زبور اي جعلوا
دينهم اديانا وزبرا قطعا اي دان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الاخر وقيل معناه فتفرقوا
دينهم بينهم كتبا احدثوها يحتجون بها لمذاهبهم وقيل معناه ان هذه الجماعة واحد كلهم عباد الله والله
خالقهم ومربيهم وبنصب امة على الحال والمعنى انها ما دامت متوحدة فهي مرضية فاذا تفرقت فلا فتفرقون
فتخافون في شق العصا وتفريق كلمتكم فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اي قطعوا امر دينهم وفرقوا ما امروا
به ان يكون دينا واحدا كل حزب كل فرقة بما لديهم قيل من الكتاب وقيل بالمال والاولاد فرحون
مسرورون معجبون والحق واحد وقيل كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله
مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم فدعهم في غمرتهم في جهالتهم وضلالتهم والغمرة الماء الذي يغمر
القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم وقيل شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم
عليه من الباطل قال الشاعر كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين
الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره
ايحسبون ان الذي نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات جزاء على حسن صنيعهم بل ليس الامر
على ما يحسبون لا يشعرون ان ذلك امتحان واستدراج قيل والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا
لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام
ومعاجلة بالثواب قبل وقته وقيل يجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل
استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في
ذلك اهو استدراج او مسارعة في الخيرات قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون لما فرغ من ذكر الكفرة

ثم توعدهم عقب ذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بابلغ صفاتهم والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما
اعطوا من الزكوات والصدقات عن عايشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله تعالى
قال لا يا بنة الصديق ولكن هو الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه لتقصيرهم انهم
الى ربهم راجعون قيل لسعد لانهم وقيل هو مفعول لوجل اي وجلة للرجوع الى الله تعالى والمعنى يعملون
على وجل والواو للحال اولئك يسارعون في الخيرات قيل يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
وقيل انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها
وهذا القول احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وهم لها اي للخيرات فاعلون
السبق وقيل سابقون الناس لاجلها وقيل يا سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
وقيل يجوز ان يكون سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كقولك انت لها احمد من بين البشر قوله تعالى
ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به
الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه الله عباده فان الله لا يكلف نفسا الا
ما يسعها ولدينا كتاب يعني اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق ما عملوا وما هم عاملون من الخير
والشر يعني وما عملوا من الاعمال فغير ضايع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح المحفوظ
او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان
وهم لا يظلمون وقيل اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين
بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احد من
حقه ولا يحطه دون درجته قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة من هذا الذي وصف به المؤمنون وقيل من كتاب
الحفظة وقيل من القران وقيل من الحق ولهم اعمال من دون ذلك اي اعمال خبيثة دون الشرك وقيل دون
الحق وقيل دون اعمال الايمان وقيل ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون وقيل
معنى دون ذلك دون ذلك الحسن فجماعة لهم اعمال من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها وقيل الضمير
في قوله بل قلوبهم يعود الى المؤمنين وقوله في غمرة من هذا اي مغمورة بالاشفاق مع هذه الافعال
الحسنة ولهم اي وللمؤمنين اعمال من دون ذلك يريد بالاول الفرايض وبالثاني النوافل هم لها عاملون
وعليها مقيمون وقيل هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها قوله تعالى حتى اذا اخذنا
مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون حتى اذا اخذنا مترفيهم

منعمهم

منعميهم ورؤسائهم واغنياءهم بالعذاب اي بالعذاب الدنيا عن ابن عباس يعني بالسيوف يوم بدر وحتى
هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية وقيل بالعذاب بالجوع وذلك حين دعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب والاولاد اذا هم يجارون يصرخون صراخ
الثور يضجون ويجزعون ويستغيثون والجؤار الصراخ ورفع الصوت بالاستغاثة لا تجاروا اليوم
اي يقال لهم حينئذ لا تجاروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون اي من جهتنا
لا يلحقكم نصر ومعونة قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين
به سامرا تهجرون قد كانت اياتي اي القران تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون وتدبرون
وتستأخرون وترجعون القهقري وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه وقيل ما وراه وقيل تستأخرون
مستكبرين متكبرين على المسلمين به بالبيت او بالحرم اي هم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي
يسوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخر الا انهم ولاته والقايمون به
ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا
ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماع القران استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون
بسببه يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القران والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع سامرا نصب على الحال تهجرون اي القران والذي قرا نافع تهجرون
بضم التاء وكسر الجيم من الهجر وهو السب والاخاش من المنطق اي تسبهم للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون
بفتح التاء وضم الجيم قيل تهجرون ذكر الله والحق وقيل تهجرون كتاب الله ونبيه وقيل تهجرون البيت عن سعيد
بن جبير كانت قريش تسمر حول البيت وتفتخر به ولا تطوف به وقيل تقولون هجرا من القول وهو اللغو والهذيان
فقال هجر الرجل في منامه هذى قوله تعالى افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع
الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسئلهم
خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين افلم يدبروا القول اي القران فيعرفوا ما فيه من الدلالات
والعبر ويعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فآمنوا
به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب
ولا اسد بن خزيمة ولا تبع بن مرة فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا فان تبعا

كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود وقيل بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فانكروا واعرضوا عنه عن ابن عباس

ان ام في معنى بل اي جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين وتقدير اولم يأتهم ما لم يأت آباءهم الاولين والمعنى قد جاءهم رسول وكتاب منهم ام لم يعرفوا رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة نسبه وحلوله سِطَة هاشم واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا فهم له منكرون وهذا توبيخ لهم لانهم عرفوه بحسبه ونسبه ثم اعرضوا عنه ام يقولون به جنة جنون لانه طمع في اتباعنا اياه وكانوا يعرفون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا وانقبهم ذهنا بل جاءهم بالحق بالقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل وما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق اليقين والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر واكثرهم للحق كارهون فان قيل قوله واكثرهم للحق كارهون يفهم منه ان اقلهم غير كارهين للحق اجيب بانه كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب قال صاحب الكشاف فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله ان ابا طالب كان اجمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اي الله اهواءهم مرادهم ومشتهاهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن لانهم يدعون آلهة شتى فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق ضد الهوى ومحال الجمع بينهما وقيل فساد الملائكة بان يعبدوا من دون الله بل اتيناهم بذكرهم ابن عباس الذكر بيان الحق وهو القرآن وقيل بذكرهم بشرفهم لان القرآن بلسانهم والرسول منهم فهم عن ذكرهم عن القرآن والشرف معرضون ام تسألهم على ما جئتهم به خرجا قرأ ابن عامر خرجا فخرج بغير الف فيهما وحمزة والكسائي خراجا فخراج بالالف فيهما والباقون خرجا بغير الف فخراج بالالف خرجا اصلا وجعلا واصل الخرج والخراج الغلة والضريبة والاتاوة كخراج الارض والعبد سئل ابو عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخراج والخرج قال الخراج ما لزمك ووجب عليك اداؤه والخرج ما تبرعت به من غير وجوب فخراج ربك رزق ربك في الدنيا وقيل ثواب ربك في العقبى خير لانه ابقى وادوم وهو خير الرازقين خير المعطين قوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عادلون مائلون لا عن وقيل طريق الجنة وقيل الصراط الذي يكونون في الآخرة لناكبون بأخذهم يمنة ويسرة الى النار يقول نكب عن الطريق ونكب بمعناه قال صاحب الكشاف قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوة العظيمة باطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من

من دنياهم

من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو الاخلال بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرات وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الجوع لجوا في طغيانهم يعمهون يترددون يتحيرون والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ابن عباس لما اتى ثمامة بن اثال الحنفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو اسير فخلى سبيله فلحق باليمامة فحال بين اهل مكة وبين الميرة من اليمامة واخذ الله تعالى قريشا بسني الجدب حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى قال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت هذه الآية قوله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير قوله تعالى وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي يشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد قوله تعالى وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون اي منه المبدأ واليه المعاد قوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقيل وهو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان وقيل اختلافهما بالظلمة والنور وقيل له تكلف اختلافهما ولها التدبير فيهما افلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا على البعث قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين بل اضراب والجحد قبله كأنه قال ليس لهم نظر في هذه الآيات بل قالوا اي كفار قريش مثل ما قال الاولون اي الامم السالفة

الكافرة كعاد وثمود تبعين ما قالوا فقال لهما قالوا اى الاولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمبعوثون استنطاقا امر البعث لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة انى واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له
والا وفق ان يجعل جمع أسطورة قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله
قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله
قل فانى تسحرون قل لهم يا محمد مجيبا لهم لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اى اجيبوني عما
استعلمتكم عنه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا
مثل هذا الظاهر البين سيقولون لله لانهم مقرون بان الله هو الخالق فاذا قالوها قل لهم افلا تذكرون
فيعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض
خلقه في الربوبية وقيل افلا تذكرون ان مالك الشيء يقدر على التصرف في الشيء والاموات مملوكة لله فهو
قادر على احيائها بعد الموت قدرته عليها في المرة الاولى فانها كانت امواتا فاحياها قل من رب السموات
اى سلهم عن اعظم من الارض ومن في الارض وهي السموات السبع والعرش العظيم سيقولون لله فانهم
لا ينكرون ان الله خالقهما مع عظم اجرامها وعلو مكانها فاذا قالوا قل لهم افلا تتقون عقابه من هذه كلها
ملكه ومقدوره بانكار شيء حقير وهي اعادة الموتى احياء وقيل افلا تتقونه افلا تخافونه فلا تشركوا به
وتعصوا رسله قرأ ابو عمرو الله بغير الف في الاول وفي الاخريين بالالف على القياس والباقون لله في المواضع
لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد لانك اذا قلت من رب هذه الدار فقيل لزيد جاز لان معنى
من رب هذه الدار لمن هي قل من بيده اى سلهم عن احوالها فقد اقروا انها لله وهو يجير اجرت فلانا على
فلان اذا اغثته منه ومنعته وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا اى يمنع المكروه
من اوليائه ولا يمنع احدا السوء ممن اراده الله ان كنتم تعلمون اى ان كان لكم علم وعمل فقد قامت الحجة عليكم
باقراركم قيل معناه اجيبوا ان كنتم تعلمون سيقولون لله لانهم معترفون بهذا فاذا قالوها قل فانى
تسحرون تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وعن رشدكم وقيل تعمون من قوله سحروا اعين الناس
وقيل من اين لكم التمويه والسحر وقيل من اى جهة يخيل اليكم الباطل حقا والكذب صدقا قوله تعالى
بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اى ليس الامر
كما يقولون من نسبتهم الى الله ما لا يليق به بل اتيناهم بالحق لان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل
وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا او معه شريكا وقيل معناه اتيناهم بالحق فظهر كذبهم وانهم مصرون عليه

وقيل

وقيل كاذبون بقولهم اتخذ الله ولدا وفيما كان معه من اله ادعى أمرين احدهما قولهما اتخذ الله من ولد
كالتنبيه على ان ذلك من قول النصارى والكفار فان جمعا منهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله والثاني قوله
وما كان معه من اله وهو قولهم باتخاذ الاصنام الهة ثم انه تعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اى لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك
كل واحد منهم متميزا من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم
متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء واذا
لا يدخل الا على كلام هو جواب وجزاء فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله
وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله عما يصفون من الاولاد
والانداد عالم قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر والباقون بالرفع على ان يكون خبر مبتدا
محذوف قوله تعالى قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على
ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو لنفسه
بالنجاة من عذاب الظلمة قل يا محمد يا رب اما تريني ما والنون مؤكدتان اى وان كان لا بد من ان تريني
ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبر الله ان
له في امته نقمة ولم يخبره أفي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا فلا تجعلني في القوم اى مع القوم
الظالمين فلا تهلكني بهلاكهم وقوله فلا تجعلني جواب لاما وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون
اخبار بقدرته على انزال العذاب قيل هو يوم بدر وقيل هو فتح مكة وقيل ان الله اخر لعلهم يؤمنون كانوا
ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان
تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه
قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع
الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي
هي احسن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه
الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل هي محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد
الى ثلم دين وازراء بمروءة نحن اعلم بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء
ذكرهم نحن اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم وقل يا محمد يا رب اعوذ بك من همزات جمع همزة وهي المرة من الهمز
النخس والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي
ونحو الهمز الازّ في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من

ان يحضروه اصلاً ويحوموا حوله قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي
اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون
اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء
عنهم مستعينا بالله تعالى على الشيطان ان يستزله عن الحكم ويحزنه على الانتصار منهم او على قوله وانهم
لكاذبون حتى اذا جاء احدهم الموت يعني المشركين وذلك حين ينقطع عن الدنيا ويعاين الاخرة قبل ان يذوق
الموت قال رب ارجعون خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله انا نحن وخوطب على هذا كما ابتدا بلفظ التعظيم
كقول الشاعر ٥ وان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد وقيل هذه المسالة من
الكفار وانما كانت للملائكة يقبضون الارواح وانما ابتدا الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لانهم استغاثوا اولا بالله
تعالى ثم رجعوا الى مسالة الملائكة الرجوع الى الدنيا اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة
على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي
تركته والمعنى ~~لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته~~ والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا
كما تقول لعلي ابني على اس يريد اؤسس وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وقيل اعمل صالحا فيما تركت خالصا
في الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى وقيل اعمل صالحا اقول لا اله الا الله وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد اي لا يكون ما سالت
من الرجوع وقيل معناه حقا انها كلمة اي ان قوله ارجعون كلمة طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض
وهي قوله تعالى اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط
الندم وقيل كلمة هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه وقيل الضمير فانها يعود الى قوله فاذا جاء اجلهم
الاية اي ان ~~قوله اذا جاء اجلهم الاية اي ان~~ قوله اذا جاء اجلهم الاية كلمة هو الله قائلها فلا يدخلها
خلف ومن ورائهم الضمير للجماعة اي امام الجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة ابن عباس حجاب السدي
اجل قتادة بقية الدنيا الضحاك ما بين الموت الى البعث وقيل البرزخ القبر وقيل ما بين النفختين وهو اربعون
سنة ٥ قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون.
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون لما قال ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم سعيد بن جبير اراد النفخة الاولى عطا الثانية فلا انساب
بينهم يومئذ يتفاخرون بها او يتعاطفون بها لان الانساب لا تنقطع يومئذ انما يرفع التفاضل والتفاخر بها

ويحتمل

ويحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث متعاقبين ومتابعين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال
فتلغوا الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا تقويه لعلمه بانه
مشغول بنفسه وقيل لا يسال بعضهم بعضا عن حاله وليس بين هذا وبين قوله واقبل بعضهم على بعض
تناف لان هذا في بعض المواقف والقيامة مواقف عن ابن عباس لا يتساءلون عن النفخة الاولى وقيل ما
داموا في المحاسبة لا يتساءلون لانهم لا يتفرغون فاذا تفرغوا دخلوا الجنة او النار تساءلوا فمن ثقلت
موازينه تلفح تسفع قيل اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص شفتاه وتتشمر
عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل تلفح وجوههم النار
وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تبلغ سرته الم تكن اي فيقال لهم الم تكن اياتي اي القران تتلى عليكم في الدنيا وفيه الامر والنهي فكنتم
بها تكذبون قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم
بما صبروا انهم هم الفائزون لما قال تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم وكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى
الجواب عنه وهو من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه
منك وامتلكه شقوتنا قرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالف مع فتح الشين والقاف والباقون بكسر
الشين من غير الف سوء عاقبتنا التي كتبت علينا والشقوة والشقاوة لغتان وهي المضرة اللاحقة
في العاقبة والسعادة المنفعة في العاقبة وكنا قوما ضالين عن الحق والهدى ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا الحسن هذا اخر كلام يتكلم به اهل النار وقال الله
تعالى في جوابهم بعد الف سنة اخسئوا اي ذلوا فيها وانزجروا كما يزجر الكلاب اذا زجرت يقال
خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم ولا اكلمكم عليكم وقيل
هذا على جهة الغضب اللازم لهم ثم بين الامر الذي لاجله اخسأهم بقوله انه كان اي ان الامر والشان
كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين يعني المؤمنين فاتخذتموهم
سخريا قرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد وهما
مصدر سخر كالتسخير الا ان في النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي
ان المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية اي سخروهم واستعبدوهم قيل هم الصحابة وقيل
اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك

الصمد ذكري فتركتموني اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي بسبب الفعل الى المومنين وان
لم تفعلوا لانهم كانوا السبب في وجوده وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم مقاتل كان رؤوس كفار قريش
كابي جهل وعقبة والوليد قد اتخذوا فقراء اصحاب رسول الله كعمار وبلال وخباب وصهيب سخريا يستهزؤن صلى الله عليه وسلم
بهم ويضحكون منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على استهزائكم واذاكم في الدنيا والجزاء مقابلة العمل بما يترتب
عليه من ثواب او عقاب انهم قراء حمزة والكسائي انهم بكسر الهمزة على الاستيناف اي انهم هم الفائزون
حيث صبروا فجوزوا بصبرهم احسن الجزاء والباقون بفتحها على انه مفعول جزيتهم فوزهم قوله تعالى
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الغرض من هذا السؤال التبكيت
فقد كانوا ينكرون اللبث في الاخرة اصلا ولا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون ان بعد الموت دوام الفناء ولا
اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انها دائمة وهم فيها خالدون سألهم قرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم لبثتم على
الامر في قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار والباقون قال على ان في قال ضمير الله كم لبثتم في الارض قيل
في القبور وقيل في الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم وعدد نصب قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا
مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر
عليه من ايام الدعة اليها وقيل لانهم كانوا في الدنيا في سرور وايام السرور قصار وقيل لان المنقضي في حكم ما لم يكن
وصدقهم الله تعالى في تقالّهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقيل كانوا عالمين انهم
مكثوا اكثر من يوم ويومين ولكنهم ارادوا لبثنا قليلا فسئل العادين قيل الملائكة وقيل ملك الموت
واعوانه وقيل الحفظة وقيل الحساب والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبه
يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي
اليه فكره قال ان لبثتم الا قليلا اي انتم وان اطلتم فيما اجبتم به فما لبثتم في الدنيا الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون هذا لما اشتغلتم بالمعاصي افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين وقيل مفعول
له اي خلقناكم للعبث اي لتعبثوا وتغفلوا وتلهوا وانكم الينا لا ترجعون بعد الموت معطوف على انما خلقناكم
ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين قرا حمزة والكسائي ترجعون بفتح
التاء والباقون بضمها قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن
يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين ثم ان الله تعالى نزه نفسه عن العبث فقال فتعالى الله تعالى الله عن ان يخلق عبثا الملك
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش
الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت

كريم

كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا
وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه
برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان فالله
مثيبه فانما حسابه عند ربه هذا جواب الشرط اي فانما جزاؤه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه
لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المومنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح
الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وقل يا محمد رب اغفر وارحم لي ولامتي لما شرح احوال
الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الاخرة امر ان يستغفر ويسترحم له ولامته ليكون الختم
بالغفران والرحمة للمومنين كما ان الافتتاح بالفلاح لهم ه ه ه

سورة النور مكية

وهي اربع وستون اية والف وثلثمائة وست عشرة كلمة وخمسة الاف وستمائة وثمانون حرفا عن
ابي بن كعب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل مومن فيما مضى وفيما بقي عن عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق البنات
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور ه ه ه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها
وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة
لسورة ويجوز ان يكون سورة مبتدا موصوفا والخبر محذوفا اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وفرضناها
قرا ابن كثير وابو عمرو بتشديد الراء على معنى التكثير اي فرضنا فيها فرائض كثيرة يقال فرضت الفريضة وفرضت
الفرائض ولكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم او المبالغة في الفرض وتوكيده والباقون بالتخفيف
والفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها وانزلنا فيها ايات بينات اي دلائل واضحات وقيل فرائض
واحكاما لعلكم تذكرون لكي تذكروا وتعتبروا قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من
المومنين الزانية والزاني رفعهما على الابتداء عند الخليل وسيبويه والخبر محذوف على معنى فيما فرض
عليكم الزانية والزاني اي حكمهما فاجلدوا وهما جملة اخرى وقيل الخبر فاجلدوا ودخول الفاء لان الالف
واللام في الزانية والزاني بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا كل واحد
منهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين وقدم الزانية لان اثر الزنا يبدو عليها من الحبل وزوال البكارة والجلد ضرب الجلد يقال جلده اذا ضرب

حلده كما يقال بطنه اذا ضرب بطنه فاجلدوا اى فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة مائة ضربة والخطاب للأئمة ومن يلى من قبلهم قال الامام الكلام في هذه الاية على نوعين نوع يتعلق بالشرع ونوع يتعلق بالعقل الاول الزنا من الكبائر حرام والبحث في الزنا عن ماهيته واحكامه وشرائطه المعتبرة في كونه موجبا للاحكام وعن الطريق الذى يتعلق به حصول الزنا وعن المخاطبين بقوله فاجلدوا وعن الرجم والجلد الاول قال بعض اصحاب الشافعية الزنا ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا فيل اللواط يطلق عليه اسم الزنا لما روى ابو موسى الاشعرى قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان وقيل اللواط كالزنا صورة ومعنى اما الصورة فلان الزنا ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا والدبر ايضا فرج لان القبل انما سمى فرجا لما فيه من الانفراج والانفراج حاصل في الدبر والظاهر ان الفرج عرفا لا يطلق الا على القبل والعرف اولى ولان الزنا قضاء الشهوة في محل مشتهى طبعا على جهة الحرام المحض واللواط كذلك لان القبل والدبر في المعانى التى هى متعلق الشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل سواء ولقائل ان يقول هذا على تقدير تسليم المقدمات قياس في اللغة وفيه ما فيه والاكثر من اصحابنا على ان اللواط غير الزنا للعرف ولانه لو حلف لا يزنى فلاط لا يحنث وبالعكس ولاختلاف الصحابة في اللواط واما الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقوله عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان وللشافعى في حكم اللواط قولان اصحهما انه كالزنا في الحد ان كان محصنا يرجم وان كان غير محصن يجلد مائة ويغرب عاما والاخر يقتل الفاعل والمفعول سواء كان محصنا او لا لما روى ابن عباس من عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول ثم في كيفية قتله اوجه منها انه تحز رقبته كالمرتد ومنها يرجم بالحجارة وهو قول مالك واحمد واسحق ومنها يهدم عليه جدار ومنها يرمى من شاهق جبل حتى يموت يروى ذلك عن على رضى الله عنه وانما ذكر هذه الوجوه لانه تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك قال الله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة وعند ابى حنيفة لا يحد اللائط بل يعزر اما المفعول فان كان بالغا عاقلا طائعا فان قلنا ان الفاعل يقتل فيقتل المفعول به على صفة قتل الفاعل للخبر وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم وليس بصحيح لانها لا تصير محصنة بالتمكين في الدبر فلا يجب عليها حد المحصنات كما لو كان المفعول ذكرا اجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمة وللشافعى في عقوبته اقوال احدها يحد حد الزنا يرجم المحصن ويجلد غير المحصن ويغرب وثانيها انه يقتل محصنا كان او غير محصن لما روى عن ابن عباس انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شان البهيمة قال لانه لما عمل بها هذا العمل كره ان يؤكل لحمها والثالث وهو الاصح وهو قول ابى حنيفة ومالك واحمد والثورى ان عليه التعزير لان الحد شرع للزجر عما تميل النفس اليه وهذا

الفعل

الفعل لا تميل النفس اليه وحديث ابن عباس ضعيف اسناده وان ثبت فهو معارض بما روى انه عليه السلام نهى عن ذبح الحيوان الا لماكلة والتسحق من النسوان واتيان الميتة والاستمنا باليد ليس فيها الا التعزير البحث عن احكام الزنا كان في اول الاسلام عقوبة الزانى الحبس الى الممات في حق الثيب والاذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما ثم نسخ فجعل حد الزنا على الثيب الرجم وعلى البكر الجلد والتغريب فلنذكرها تين المسئلتين واحتج الجمهور من المحدثين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر انه عليه السلام فعل ذلك روى الرجم ابو بكر وعمر وعلى وجابر وابو هريرة وزيد بن خالد وبعض هؤلاء يروى خبر رجم ماعز وبعضهم خبر الجهنية والغامدية قال عمر رضى الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبته في المصحف وذهب الشافعى الى الجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفة يجلد البكر والتغريب مفوض الى راى الامام وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب اعلم ان قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة مخصوص بمن ليس بمحصن واما المحصن فحكمه الرجم وشرط الاحصان عند الشافعى خمس العقل والبلوغ والحرية والتزوج بنكاح صحيح والدخول فاذا فقدت واحدة منها فلا احصان والاسلام ليس بشرط لما روى انه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وعند ابى حنيفة الاسلام شرط لقوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن ورد بان اليهود والنصارى ليسوا بمشركين يدل عليه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى فيل قوله تعالى الزانية والزانى يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لان قوله تعالى الزانية والزانى عام في الجميع فيتناول المحصن وغير المحصن اجيب بان الزانية والزانى يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل في الاسم المشترك ولا تاخذكم بهما رافة قرا ابن كثير رافة بفتح الهمزة وقصرها على وزن رعفة والباقون باسكانها قيل معناه ولا تاخذكم بهما رافة فتقطعوا الحدود ولا تقيموها والخطاب للامام ومن يقوم مقامه اى ليس للسلطان اذا رفعوا اليه ان يدعه رحمة حتى يقيم عليه الحد هذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وابن زيد وسليمان بن يسار يدل عليه من الاية ان الله تعالى امر بالجلد وهو ضرب الجلد كالراس بضرب الراس فذكر الضرب بلفظ الجلد لئلا ينكاء ولا يبرح ولا يبلغ به اللحم وروى ابن ابى مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ان عبد الله جلد جارية فقال للجلاد اجلد ظهرها

الرجل ص

بلغ

ورجليها واسفلها وخففها فقلت فاين قول الله سبحانه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال افاقتلها
ان الله تعالى امرني ان اضربها واوذيها ولم يامرني ان اقتلها وقال سعيد بن المسيب والحسن معناها
ولا تاخذكم بهما رافة فتخففوا الضرب ولكن اوجعوهما ضربا قال الزهري في حد الزنا والفرية يجتهد
ويخفف في حد الشراب وقال قتادة يخفف في حد الشراب والفرية ويجتهد في الزنا وقيل المعنى ان الواجب
على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذكم اللين والهوادة في
استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت
محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله
ولدينه وفي الحديث يوتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني
فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيومر به الى النار وعن ابي هريرة
اقامة حد ببلدة خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا
يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما ويحد الشارب والقاذف وعليهما ثيابهما والزاني يخلع ثيابه الا
ازاره ويجلد ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى الا ثلاثة الوجه والراس
والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع عنها
من ثيابها الا الحشو والفرو وليشهد عذابهما طايفة وليحضر موضع جلدهما طايفة من المومنين والطايفة
الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشي ابن
عباس في جماعة ان الطايفة رجل واحد عكرمة اثنان فصاعدا لان اسم الجمع قد يطلق على الاثنين الزهري
ثلاثة لانه الجمع الصحيح ابن زيد اربعة اعتبارا بالشهود ويحتمل انه اراد بهم الشهود وقيل الطايفة عشرة
وقيل ليس بمحصور وفضل قول من قال اربعة لان الاربعة هي الجماعة التي تثبت بها هذا الحد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما
اللاتي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخط وسو الحساب
والخلود في النار وكذلك وفي الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة
الهونة وهي الرجم ونهى المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطايفة للتشهير فوجب ان يكون
يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المومنين لان ذلك افضح والفاسق
بين صلحا قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس لا اربعين رجلا من المصدقين بالله قوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين ٥
ان في الاية سوالين الاول قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ظاهره خبر ثم انه ليس الامر كذلك فان
المومن يحل له التزوج بالمراة الزانية اذا عرفت هذا فنقول المفسرون لاجل هذين السوالين ذكروا وجوها

احدها

احدها وهو احسنها قال القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك
ان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي
على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة
كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
والمشركين ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة
المتسمين بالزنى محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسو
القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف
بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه تعالى على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامايكم وقيل قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقرا كثير ليست لهم اموال ولا عشاير ولا اهلون
وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين انفسهن وهن اخصب اهل المدينة فرغب في كسبهن
ناس من فقراء المسلمين فقالوا لو تزوجنا منهن فعشنا معهن الى يوم يغنينا الله عز وجل فاستاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمومنين عن
ذلك واخبر الله تعالى ان الزانية انما ينكحها الزاني او المشرك لانهن زانيات ومشركات والاية وان
كان ظاهرها خبرا مجازها ينبغي ان يكون كذا كقوله تعالى ومن دخله كان امنا وقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشا والمنكر يعني ينبغي ان يكون كذلك وهذا قول مجاهد وعطا ابن ابي رباح وقتادة والزهري
والقاسم بن ابي بزة والشعبي وابي حمزة الثمالي ورواية العوفي عن ابن عباس وعن عكرمة نزلت في
نسا بغايا بمكة والمدينة وكن ذوات رايات وكانت بيوتهن تسمى المواخير وكانت عليها رايات كرايات البيطار
لا يدخل عليهن ولا ياتيهن الا زان من اهل القبلة او مشرك من اهل الاوثان وكان الرجل ينكح الزانية
في الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة واستاذن رجل من المسلمين
نبي الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول اشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية
ونهى المومنين عن ذلك وحرمه عليهم وقال عمرو بن شعيب نزلت في مرثد الغنوي وكان رجلا شديدا وكان
ياتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عناق صديقة له في الجاهلية
فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله قد حرم الزنا قالت فانكحني قال حتى اسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فساله عنه فانزل الله هذه الاية وقيل المراد بالنكاح ههنا
الوطي ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا يزني بها الا زان او مشرك وقيل
ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وقيل كان حكم الله في كل زان وزانية
حتى نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم فاحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم وقال الحسن المجلود

لا ينكح الا المجلود وعن عايشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه
الاية واذا باشرها كان زانيا وقد جاز ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ومعنى الجملة
الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية
بكونها غير مرغوب فيها للاعفا ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدمت عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا
والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم
يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل
فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه بدا الطلب وهذا الخبر فيه معنى النهي ولكن ابلغ وآكد كما
ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم
جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها قوله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا واوليك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور
رحيم ظاهر الاية لا يدل على الشي الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد
يرميها بسرقة وشرب خمر فلا بد من قرينة دالة على التعيين وقد اتفق العلما على ان المراد الرمي بالزنا
وفي الاية قراين تدل عليه احدها تقدم ذكر الزنا وثانيها انه تعالى ذكر المحصنات اي العفايف
فدل ذلك على ان المراد بالرمي رميها بضد العفاف وثالثها قوله ثم لم ياتوا باربعة شهدا يعني على صحة ما رموها
به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا ورابعها انعقاد الاجماع على انه لا يجب
الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد بالرمي الرمي بالزنا والكلام في هذه الاية يتعلق بالرمي
والمرمي والفاظ القذف صريح مثل ان يقول يا زانية او زنيت او زنا قبلك او دبرك وكناية مثل ان يقول
يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا مواجرة او لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا بان يريده ويقول زنى
يدك فيه وجهان احدهما هو كناية لان حقيقة الزنا من الفرج فلا يكون من ساير البدن الا المعونة
وثانيهما وهو الاصح انه صريح لان الفعل انما يصدر من جملة البدن والفرج آلة في الفعل ولو قال
لعربي يا نبطي او بالعكس فان اراد به القذف فهو قذف لام المقول له والا فلا وان قال عنيت به نبطي
الدار او اللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول قوله ولو عرض هو ليس بقذف وان اراده
وذلك قوله يابن الحلال اما انا فما زنيت وليست اختي بزانية وهذا قول الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف ومحمد
وزفر والثوري وقال مالك يجب الحد وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا والقايل

ان يقول

ان يقول ان التعريض بالقذف محتمل للقذف ولغيره فوجب ان لا يجب الحد لان الاصل براة
الذمة فلا يرجع عنك بالشك ولقوله صلى الله عليه وسلم ادروا الحدود بالشبهات واحتج المخالف
بما روى الاوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال كان عمر يضرب الحد في التعريض وروي ان
رجلين استبا في زمن عمر فقال احدهما للاخر والله ما انا بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر الناس
في ذلك فقال قايل مدح اباه وامه وقال اخرون قد كان لابيه وامه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين
واجيب بان مشاورة عمر الصحابة في حكم التعريض دلالة على انه لم يكن عندهم توقيف فانهم قالوا برايهم واجتهادهم
واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة زنيت بفلان مرارا لا يجب الا حد واحد
ولو انشا الثاني بعدما حد الاول عزر للثاني وان قذفها بزنايين مختلفين بان قال زنيت بزيد ثم قال
زنيت بعمرو فهل يتعدد الحد ام لا فيه قولان احدهما يتعدد اعتبارا باللفظ ولانه من حقوق العباد
فلا يتداخل كالديون والثاني وهو الاصح يتداخل فلا يجب الا حد واحد لانهما حدان من جنس واحد فوجب
ان يتداخل كحدود الزنا ولو قذف امراته مرارا فالاصح انه يكتفي بلعان واحد سوا قلنا بتعدد الحد
او لا يتعدد واذا قذف جماعة معدودين نظر ان قذف كل واحد بكلمة يجب لكل واحد بجملة يجب عليه لكل
واحد حد كامل وعند ابي حنيفة لا يجب الا حد واحد واحتج ابو بكر الرازي على قول ابي حنيفة بالقران
والسنة والقياس اما القران فقوله تعالى والذين يرمون المحصنات فالمعنى ان كل واحد رمى المحصنات
وجب عليه الجلد وذلك يقتضي ان قاذف جماعة من المحصنات لا يجلد اكثر من ثمانين فمن اوجب على قاذف
جماعة المحصنات اكثر من حد واحد فقد خالف الاية واما السنة فما روى عكرمة عن ابن عباس ان هلال
ابن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي عليه الصلاة والسلام
البينة او حد في ظهرك فلم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على هلال الا حدا واحدا مع انه قذف امراته
مع شريك بن سحما الى ان نزلت اية اللعان فاقيم لعان الازواج مقام الحد في الاجنبي واما القياس فهو
ان ساير ما يوجب الحد اذا وجد منه مرارا لا يجب الا حد واحد كالزنا مرارا او سرق مرارا فكذا هاهنا
والمعنى الجامع دفع هذا الضرر والجواب عن الاول ان قوله والذين صيغة جمع والجمع اذا قوبل بالجمع
يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة وجب عليه الحد وعند ذلك يظهر وجه تمسك
الشافعي بالاية ولان قوله والذين يرمون المحصنات فاجلدوهم يدل على ترتيب الجلد على رمي المحصنات
وترتيب الحكم على الوصف لا سيما اذا كان مناسبا يشعر بالعلية فدلت الاية على ان رمي المحصن من
حيث انه المسمى يوجب الحد اذا ثبت فنقول اذا قذف واحدا صار ذلك القذف موجبا للحد فاذا قذف
الثاني وجب ان يكون القذف الثاني موجبا للحد ايضا ثم موجب القذف الثاني لا يجوز ان يكون هو الحد الاول
لان ذلك قد وجب بالقذف الاول وايجاب الواجب محال فوجب ان يحد بالقذف الثاني حدا ان واما

وقوله المحصنات صيغة جمع م

السنة فلا دلالة فيها على هذه المسئلة لانه قذفها بلفظ واحد ولنا في هذه المسئلة تفصيل
سياتي واما القياس ففاسد لان حد القذف حق الادمي بدليل انه لا حد الا بمطالبة المقذوف
وحقوق الادمي لا تتداخل بخلاف حد الزنا فانه حق الله هذا كله اذا قذف جماعة كل واحد منهم بكلمة واحدة
على حدة اما اذا قذفهم بكلمة واحدة فقال انتم زناة او زنيتم ففيه قولان اصحهما وهو الجديد يجب لكل
واحد حد كامل لانه من حقوق العباد فلا يتداخل لانه ادخل على كل واحد منهم معرة فصار كما لو قذفهم
بكلمات وفي القديم لا يجب للكل الا حد واحد اعتبارا باللفظ فان اللفظ واحد فعلى الجديد لو قال لرجل يا ابن
الزانيين يكون قذفا لابويه بكلمة واحدة فعليه حدان اذ قذف الصبي والمجنون امراته او اجنبية فلا لعان
ولا حد لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزران للتاديب ان لكل
منهما تمييز فلو لم يتفقا قامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان للزجر عن اساءة الادب
وقد تحقق زاجرا قوي منه وهو البلوغ و الاخرس اذا كان له اشارة مفهمة او كتبة معلومة و قذف
بالاشارة او بالكتبة لزمه الحد وكذا يصح لعانه بالاشارة والكتبة وعند ابي حنيفة لا يصح قذف
الاخرس ولا لعانه وقول الشافعي اقرب الى ظاهر الاية لان من كتب او اشار الى القذف فقد رمى المحصنة
والحق العار بها فوجب اندارجه تحت الظاهر ولانا نقيس قذفه ولعانه على سائر الاحكام واذا قذف العبد
حرا قال الشافعي وابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد عليه اربعون جلدة روى الثوري عن جعفر
بن محمد عن ابيه ان عليا قال يجلد العبد في القذف اربعين وعن عبد الله ادركت ابا بكر وعمر وعثمان ومن   بن عامر م
بعدهم من الخلفا وكلهم يضربون المملوك في القذف اربعين وقال الاوزاعي ثمانين وهو مروي عن ابن مسعود
ويروى انه جلد عمر بن عبد العزيز في الفرية ثمانين ومدار المسئلة على حرف واحد وهو ان هذه الاية صريحة في
ايجاب الثمانين فورد هذا الحد الى الاربعين فطريقه ان يقول فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب فنص على ان حد الامة نصف حد الحرة ثم قاسوا العبد على الامة في
تنصيف حد الزنا ثم قاسوا تنصيف حد القذف على تنصيف حد الزنا في حقه فرجع حاصل الامر الى تخصيص
عموم الكتاب بالقياس واتفقوا على دخول الكافر تحت عموم قوله والذين يرمون ايتنا وله فلا مانع فاليهودي   لان الاسم
اذا قذف المسلم يجلد ثمانين هذا كله في القذف بالزنا واما القذف بغير الزنا مثل ان يقول يا اكل الربا يا شارب
الخمر يا لص يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون
بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وتسعين وقال للامام ان يعزر الى المائة المحصنات
بحسب الظاهر العفايف جميعا سواء كانت مسلمة او كافرة او حرة او رقيقة لكن الفقها شرطوا (قالوا) احصان
القذف بالزنا خمسة البلوغ والعقل والحرية والاسلام والعفة عن الزنا انما اعتبر البلوغ والعقل
لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث واعتبر الحرية لان الرق ينقص الدرجة فلا يعظم عليه القذف

بالزنا

بالزنا واعتبر الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن واعتبر العفة عن الزنا
لان الحد مشروع لتكذيب القاذف فاذا كان المقذوف زانيا فالقاذف صادق في القذف وكذلك
اذا كان المقذوف وطئ امراة بشبهة او نكاح فاسد لان فيه شبهة الزنا كما فيه شبهة الحد وكما
ان احدى الشبهتين اسقطت الحد عن الرجل وكذا الاخرى تسقط عن قاذفه ايضا ثم من قذف كافرا
او مجنونا او صبيا او من قذف بامراة فلا حد عليه بل يعزر بخلاف ما لو زنا في حال جنونه او صغره ثم افاق
المجنون وبلغ الصغير فقذفه قاذف يحد لان فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو قذف محصنا فقبل
ان يحد القاذف زنا المقذوف سقط الحد عن قاذفه لان صدور الزنا يورث ريبة في حاله فيما مضى لان
الله تعالى كريم لا يهتك ستر عبده في اول ما يرتكب المعصية فبظهوره يعلم انه كان متصفا به من قبل روي ان
رجلا زنا في عهد عمر رضي الله عنه فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده اول
مرة عن الحسن البصري قوله والذين يرمون المحصنات يقع على الرجال والنساء والعلما انكروا
ذلك وقالوا جمع المذكر لا يتناول الاناث وكذا جمع المونث لا يتناول الذكور بل الاجماع انه لا فرق
فيها بين الرجال والنساء وقذف غير المحصن لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف
معروفا بما قذف به فانه حينئذ لا حد ولا تعزير فهذا مجموع الكلام في تفسير قوله والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهدا على الزنا قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم وقال والذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا وقال
سعد ابن عبادة يا رسول الله ارايت ان وجدت مع امراتي رجلا امهل حتى اتي باربعة شهدا قال نعم ولو اقر   رجلين كبير
بالزنا هل يثبت اقراره بشهادة رجلين فيه قولان الاول لا يثبت الا باربعة والثاني يثبت بخلاف فعل
الزنا لان الفعل يعتبر الاطلاع عليه ولو كان احد الاربعة زوج المراة يعتبر عند ابي حنيفة ولا يعتبر
عند الشافعي واذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني ومن زنا بها لانه قد يراه على جارية ابنه
فيظن زنا ويجب ان يشهدوا انا راينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا مطلقا
انه زنا لا يثبت لانهم ربما يرون المفاخذة زنا بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد ولا
يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا هل يشترط ان يفسر وجهان احدهما نعم كالشهود والاخر لا كما في
القذف وقال الشافعي لا فرق بين ان يجي شهود الزنا مجتمعين او متفرقين لان الاتيان بالاربعة اعم
من ان يكونوا مجتمعين او متفرقين ولانه حكم يثبت بشهادة الشهود فيثبت بشهادتهم متفرقين كسائر
الاحكام ولانهم اذا جاؤا متفرقين كانوا ابعد من التهمة ولهذا قيل اذا رفع ريبة للقاضي في شهادة الشهود
فرقهم والواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان دخلوا متفرقين كانوا
قذفة فان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة شهدا فوجب عليه الحد لقوله

والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم اقصى ما في الباب ان عبروا على ذلك
القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه يودي الى اسقاط حد القذف راسًا لان كل قاذف
لا يعوزه لفظ الشهادة فيجعل ذلك وسيلة الى اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف
ولما روي ان المغيرة ابن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر رضي الله عنه ثلاثة وقال رابعهم رايت استا ينبو
ونفسًا يعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسئل هل معهم
شاهد اخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف اذ الحد مما يتوقف فيها ويحتاط ولو شهد على الزنا
اقل من اربعة لم يثبت الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان احدهما لا يجب لانهم
جاوا مجي الشهود ولانا لو احددنا لانسد باب الشهادة على الزنا لان كل احد لا يامن ان لا يوافقه
صاحبه فيلزمه الحد وثانيهما وهو الاصح وبه قال ابو حنيفة يجب عليه الحد واذا قذف رجل فجا باربعة
فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود
وقال الشافعي في احد قوليه يحدون وجه ابي حنيفة والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة
شهداء وهذا قد اتى باربعة شهدا فلا يلزمه الحد ولان الفاسق من اهل الشهادة وقد وجدت
شرايط الشهادة بالزنا من اجتماعهم عند الحاكم الا انه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة
في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك وجب اعتبارها في نفي الحد عنهم وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين
بالشرايط المعتبرة في قبول الشهادة فخرجوا عن ان يكونوا شهدا وبقوا محض القاذفين فهذا اخر الكلام
في تفسير قوله ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة المخاطب هو الامام ومن يقوم مقامه
وهم غير القاذفين يخص من عموم هذه الاية صور منها اذا كان القاذف اصل المقذوف لا يحد بقذف
فرعه كما لا يقتل بفرعه قصاصًا واذا كان القاذف رقيقًا او مكاتبًا او ام ولد او متبعضًا فالواجب جلد
اربعين وقال الشافعي ومالك حد القذف يورث فاذا مات المقذوف قبل استيفا الحد وقبل العفو
يثبت لوارثه حد القذف وكذا اذا كان الواجب بقذفه التعزير يورث عنه وكذلك لو انشا القذف
بعد موت المقذوف ثبت لوارثه طلب الحد وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي
ان حد القذف حق الادمي لانه يسقط بعفوه ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف فيه المدعى عليه اذا انكر
فوجب ان يورث لقوله عليه السلام من ترك حقا فلورثته حجة ابي حنيفة انه لو كان موروثا لكان
للزوج والزوجة نصيب فيه ولانه حق ليس بمالي فلا يورث كالوكالة والجواب عن الاول ان الاصح
عند الشافعي انه يرثه جميع الورثة كالمال وفيه وجه انه يرثه كلهم الا الزوج والزوجة لان الزوجية
تنقطع بالموت والمقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجة واذا قذف
انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره

بان فلانا

بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على آخر وهو لا يعلم يجب عليه
اعلامه وعلى هذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسًا ليخبرها ان فلانا قذفها قال
الشافعي وليس للامام اذا رمي رجلا بزنا ان يبعث اليه فيساله عن ذلك لان الله قال
ولا تجسسوا ويستحب للمقذوف ان لا يرافع المقذوف ولا يطالبه بالحد وللامام ان يحمل
المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله تعالى قبل ثبات الحد
وثمانين نصب على المصدر وجلدة نصب على التمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدًا قال اكثر الصحابة
والتابعين انه اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم
التايب عن الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له مقبول الشهادة فالتايب كذلك ولان
الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته لان القذف مع الاسلام اهون حالا منه مع
الكفر فان قيل المسلمون لا يعيرون بسب الكافر لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل
فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين ما لحسنا ربما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على
القاذفين من المسلمين ردعًا وكفا عن الحاق الشنار اجيب بان هنا الفرق ملغى لقوله عليه
السلام انبيهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولان التايب عن الكفر والقتل والزنا
مقبول الشهادة بالاتفاق فكذا التايب عن القذف ولانه اذا تاب قبل الحد قبلت شهادته فبعد
الحد اولى بالقبول لان الحد حد المقذوف فلا يزول بالتوبة فلان تقبل شهادته اذا تاب بعد
اقامة الحد وقد حسنت حاله وزال اسم الفسق كان اولى وعند ابي حنيفة رد شهادة القاذف
معلق باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد وقبل تمام استيفايه قبلت شهادته فاذا استوفى
لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند الشافعي رد شهادته يتعلق
بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلا متمسك بالآية
فابو حنيفة جعل جزا الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا
مردودي الشهادة عنده في ابديهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما
مستانفًا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضا الجملة
الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم
والشافعي جعل جزا الشرط الجملتين ايضا وهما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وقوله واوليك
هم الفاسقون فعند ابي حنيفة جزا الشرط الاوليان وهما قوله فاجلدوهم وقوله ولا تقبلوا
وعند الشافعي الاوليان مع الثالث والشافعي صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة
والرجوع عن القذف وجعل الشافعي الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية والثالثة لان الاستثناء

الواقع عقيب جملة متعاطفة بعضها على البعض بالواو عايد على الجميع سوا كان الجملة من جنس واحد
او من اجناس مختلفة اللهم الا اذا كان قرينة مانعة عن العود الى الجميع فحينئذ لا يعود الى الجميع بل الى
ما لم يمنعه مانع من العود اليه وههنا المانع متحقق عن العود الى الاول وهو قوله فاجلدوهم لانه
حق الادمي وهو لا يبطل بالتوبة وعند ابي حنيفة الاستثنا عايد الى قوله واولئك هم الفاسقون قال
صاحب الكشاف والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط
كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا
مفسقين وما ذكر صاحب الكشاف صحيح موافق لما ذهب اليه الشافعي الا في عود الاستثنا الى الجمل الثلاث
فانه وان كان الاصل كذلك لكن يعدل عنه لا عند وجود المانع وههنا تحقق المانع لما ذكرنا واولئك هم
الفاسقون يدل على ان القذف من جملة الكباير الا الذين تابوا قال الشافعي التوبة من القذف اكذابه
نفسه قال الاصطخري معناه ان يقول كذبت فلا اعود الى مثله وقال ابو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما
كان صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا تكون توبة عن معصية
اخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه والاولى ان يقال انه في نفسه
يعلم انه كاذب او صادق فان كان كاذبا فيقول كذبت وان كان صادقا يقول القذف باطل واصلحوا
فقال اصحابنا انه بعد التوبة لا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ثم
قدروا تلك المدة سنة حتى تمر عليها الفصول الاربعة التي تتغير فيها الاحوال والطباع كما يضرب للعنين
اجل سنة وقد علق الشرع احكاما بسنة من الزكوة وغيرها فان الله غفور رحيم يقبل التوبة ۞
قولــــه تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرء عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ۞ لما ذكر
احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف الازواج روى عكرمة عن ابن عباس لما نزلت والذين
يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه
ولا احركه اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب فان
قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار
الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه يا رسول الله فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق
امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها قال سعد بن عبادة يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف

انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يابى
الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية
من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت عشاء فوجدت رجلا مع اهلي رايت بعيني وسمعت
باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال
يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني صادق وما قلت الا حقا واني لارجو
ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال
سعد ايجلد هلال وتبطل شهادته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي
فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل عليه فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك
من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل
منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بابي انت وامي لقد صدقت وما قلت الا حقا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال
له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من
عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها
كما لم يجلدني عليها رسول الله فشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي
فشهدت بالله انه لمن الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فقال لها عند الخامسة ووعظها اتقي الله فان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس
فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا ترمى ولدها ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه وان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها
قال فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على اشبه المكروه فكان بعد اميرا بمصر لا يدرى من ابوه وقال ابن
عباس في ساير الروايات ومقاتل لما قالت والذين يرمون المحصنات الاية قراها النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان راى رجل منا مع
امراته رجلا فاخبر بما راى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته ابدا فكيف لنا
بالشهود ونحن اذا التمسنا الشهود كان الرجل فرغ من حاجته ومر وكان لعاصم ابن عم يقال له عويمر

وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصمًا فقال له لقد رأيت شريك بن سحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الأخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال أخبرني عويمر أنه رأى شريك بن سحماء على بطن امرأته خولة وكان عويمر وشريك ابني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعًا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله أني رأيت شريكًا على بطنها وأني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأنها حبلى من غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت فقالت يا رسول الله إن ابن سحماء كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم شيئًا من القرآن فربما تركه عندي وخرج زوجي ولم ينكر علي ساعة من ليل ولا نهار فلا أدري أدركته الغيرة أو بخل علي بالطعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا شريك فقال ما تقوله المرأة فأنزل الله الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقل أشهد بالله أن خولة لزانية وأني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله أني رأيت شريكًا على بطنها وأني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله أنها حبلى من غيري وأني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة ما قربتها منذ أربعة أشهر وأني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وأن عويمرًا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله أنه ما رأى شريكًا على بطني وأنه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله أني حبلى منه وأنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله أنه ما رآني على فاحشة قط وأنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة يعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرها رأي ثم قال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصهب أثيج يضرب إلى السواد فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أورق جعدًا جماليًا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك والذين يرمون أزواجهم أي يقذفون أزواجهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون على صحة ما قالوه إلا أنفسهم يرتفع بالبدل من الشهداء فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم أربع بالرفع والمعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع شهادات والباقون بالنصب لأنه في حكم المصدر والذي هو بشهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات والخامسة قرأ حفص عن عاصم والخامسة نصبًا على معنى ويشهد الخامسة وقيل حملًا على نصب أربع شهادات أن لعنة الله قرأ نافع أن لعنة الله أن غضب الله بتخفيفهما النون فيهما وسكونهما ورفع لعنة وكسر الضاد من غضب وفتح الباء منه والباقون أن غضب الله بتشديد النون فيهما ونصب لعنة وغضب إذا رمى الرجل امرأته بالزنا يجب عليه الحد إن كانت المرأة محصنة والتعزير إن لم تكن محصنة كما في رمي الأجنبي

لا يختلف

لا يختلف عينًا بها في المجلس وفي قذف الأجنبي لا يسقط الحد عن القاذف إلا بإقرار المقذوف بالزنا أو ببينة القاذف على أنها زنت وفي قذف الزوجة يسقط عنه الحد بأحد الأمرين أو باللعان وإنما اعتبر الشرع اللعان في هذه الصورة دون الأجنبيات لوجهين الأول أنه لا معرة عليه في زنا الأجنبية والأولى له ستره أما في زوجته فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر فلا جرم خص الشرع هذه الصورة باللعان الثاني أن الغالب في أحوال الرجل مع امرأته أن لا يقصدها بالقذف إلا عن حقيقة فإذا رماها فنفس الرمي يشهد بكونه صادقًا إلا أن شهادة الحال ليست بالكاملة فضم إليها ما يقويها من الأيمان كشهادة المرأة لما ضعفت قويت بزيادة العدد والشاهد الواحد يتقوى باليمين قيل كان حد قاذف الأجنبيات والزوجات الجلد يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية حين قذف امرأته ائتني بأربعة يشهدون وإلا فحد في ظهرك فثبت بهذا أن حد القاذف للزوجة كان كحد الأجنبيات إلا أنه نسخ عن الأزواج الجلد باللعان فدل هذا على أن حد القاذف للزوجة كان الجلد وأن الله نسخه باللعان وقال الشافعي إذا قذف الزوج زوجته فالواجب هو الحد لكن المخلص منه باللعان كما أن الواجب بقذف الأجنبية الحد والمخلص منه بالشهود فإذا نكل الزوج عن اللعان يلزمه الحد للقذف فإذا لاعن ونكلت المرأة عن اللعان يلزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة إن نكل الزوج عن اللعان حبس حتى يلاعن وكذا المرأة إذا نكلت حبست حتى يلاعن حجة الشافعي وجوه منها أن الله تعالى قال في أول السورة والذين يرمون المحصنات يعني غير الزوجات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه رمي الأزواج فقال والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم الآية فكان مقتضى قذف الأجنبيات الإتيان بالشهود أو الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الإتيان باللعان أو الحد ومنها قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله والألف واللام في العذاب لا تفيدان العموم لأنه لم يجب عليها جميع أنواع العذاب فوجب صرفها إلى المعهود السابق والمعهود السابق هو الحد فثبت أنه لو لم يلاعن لحدت وإنما باللعان دفعت الحد فإن قيل المراد بالعذاب الحبس أجيب بأنا قد بينا أن الألف واللام للمعهود المذكور فلو حملنا على الحد لم تصر الآية مجملة ولو حملناه على الحبس تصير الآية مجملة لأن مقدار الحبس غير معلوم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله وهو نص في الباب حجة أبي حنيفة أن المرأة ما فعلت سوى أنها تركت اللعان وهذا الترك ليس ببينة على الزنا ولا إقرار منها فوجب أن لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث وإذا لم يجب الرجم إذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصنة لأنه لا قائل بالفرق وأيضًا فالنكول ليس بصريح الإقرار فلم يجب إثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره قال الجمهور إذا قال الزوج لها يا زانية وجب اللعان وقال مالك لا يلاعن إلا أن يقول رأيتك تزني أو ينفي حملًا لها

او ولدا منها وقال الشافعي من صح يمينه صح لعانه فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما او كان الزوج مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة قاذف امراته اذا كان مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع احصانها صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم يرافعه الى الامام لم يجب اللعان ثم زعم الى الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل الشهادة يصح لعانهما وقيل انه قال ابو حنيفة لا يصح اللعان في صورتين احدهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد اذا كان اجنبيا بحو ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية والثاني ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية والثاني ان يكون احدهما من غير اهل الشهادة بان يكون محدودا في قذف او عبدا او كافرا وجه قول الشافعي ان المقصود دفع العار عن النفس ودفع ولد الزنا وكما يحتاج غير المحدود اليه فكذا المحدود وايضا اجمعنا على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيره والجامع هو الحاجة الى دفع عار الزنا وجه قول ابي حنيفة النص والمعنى اما النص فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه عليه السلام قال لاربع من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر واما المعنى فنقول اما في الصورة الاولى فلانه لو كان الواجب على قاذف الزوجة والاجنبية الحد بقوله والذين يرمون المحصنات ثم نسخ ذلك عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان مع الازواج قائما مقام الحد في الاجنبيات لم يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها واما في الصورة الثانية فالوجه ان اللعان شهادة لوجهين احدهما قوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمى الله اللعان شهادة كما قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم وثانيهما انه حين لاعن بين الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ الرمي واذا ثبت ان اللعان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر اما بالاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق واجاب الشافعي بان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكانت المراة تاتي بثمان شهادات لانها على النصف من الرجل ولا يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق والفاسقة قد يتوبان قلنا وكذلك قد يعتق فيجوز شهادته ثم اكد الشافعي ذلك بان العبد اذا عتق تقبل شهادته في الحال ثم الزم ابا حنيفة ان شهادة اهل الذمة مقبولة بعضهم على بعض فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي والذمية هذا كله كلام الشافعي ثم قال بعد ذلك ويخلف المحدود ومن وقعت به ومعناه ان الزوج

ان لم

ان لم يلاعن يصف حد القذف عليه برقبة وان لم يلاعن اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها وقال الشافعي يتعلق باللعان خمسة احكام درء الحد ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها واختلف المجتهدون في وقوع الفرقة باللعان على اربعة اقوال احدها قال عثمان البتي لا ارى ملاعنة امراته ينقص شيئا وثانيها قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا يقع الفرقة بفراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وثالثها قال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم ورابعها قال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امراته ولا تحل له ابدا حجة عثمان البتي وجوه احدها ان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فوجب ان لا يفيد الفرقة كسائر الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة لان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاما اذا كان كاذبا والمراة صادقة فظاهر وثانيها لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وثالثها ان اللعان قائم مقام الشهود في قذف الاجنبيات وكما انه لا فائدة في احصان الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان لا تاثير له الا اسقاط الحد واما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما واما قول ابي حنيفة وهو ان الحاكم يفرق بينهما فلا بد من بيان امرين احدهما انه يجب على الحاكم ان يفرق بينهما ودليله ما روى سهل بن سعد في قصة العجلاني مضت السنة في المتلاعنين ان يفرق الحاكم بينهما والثاني ان الفرقة لا تحصل الا بحكم الحاكم واحتجوا عليه بوجوه احدها روى في قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل ان يامرها والاستدلال بها من وجوه احدها انه لو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها غير محكي وثانيها ما روي في هذا الخبر انه طلقها ثلاثا فانفذه رسول الله وتنفيذ الطلاق انما يمكن لو لم تقع الفرقة بنفس اللعان وثالثها ما قال سعد مضت السنة ولو كانت الفرقة واقعة باللعان استحال التفريق بعدها وثانيها قال ابو بكر الرازي قول الشافعي خلاف الاية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج للاعنت المراة وهي اجنبية وذلك خلاف الاية انما اوجب اللعان بين الزوجين وثالثها ان اللعان شهادة لا يثبت حكمها الا عند الحاكم فوجب ان لا يوجب الفرقة الا بحكم الحاكم كما لا يثبت المشهود به الا بحكم الحاكم ورابعها اللعان استحق بها المراة نفسها كما يستحق المدعي بالبينة فالمدعي لا يستحق مدعاه الا بحكم حاكم وجب مثله في استحقاق المراة نفسها وخامسها ان اللعان لا اشعار فيه لان اكثر ما فيه انها زنت ولو قامت البينة على زناها او هي اقرت بذلك كان كذلك لا يوجب التحريم فكذا اللعان واذا لم يوجد فيه دلالة التحريم وجب

ان لا تقع الفرقة فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج او من قبل الحاكم اما قول مالك وزفر فحجتهما
انهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم يخليا بل فرق بينهما فدل على ان اللعان اوجب الفرقة اما قول الشافعي
فله دليلان الاول قوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد الاية فدل هذا على انه لا تاثير للعان المراة
الا رفع العذاب عن نفسها وان كل ما وجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الثاني ان لعان
الزوج وحده مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون الاعتبار بقوله في الالحاق لا بقولها الا ترى انها في لعانها
تلحق الولد به وهو ينفيه عنه فيعتبر نفي الزوج لا الحاق المراة ولهذا اذا اكذب الزوج نفسه لحق به الولد
وما دام يبقى مصرا على اللعان فالولد منفي عنه اذا ثبت ان لعانه مستقل بنفي الولد وجب ان يكون
مستقلا بالفرقة لان الفرقة لو لم تقع لم ينتف الولد لقوله عليه السلام الولد للفراش فما دام يبقى
الفراش فهو ملحق به واما الاخبار التي تمسك بها ابو حنيفة فالمراد به ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن وقوع الفرقة وحكم بها وذلك لا ينافي ان يكون المؤثر في الفرقة شيئا اخر واما الاقيسة التي ذكرها
فمدارها على ان اللعان شهادة وليس الامر كذلك بل هو يمين على ما بينا واما قوله اللعان لا اشعار فيه بوقوع
الحرمة قلنا بينة على نفي الولد ونفي الولد يقتضي نفي عاقبة النكاح وقال الشافعي ومالك وابو يوسف
والثوري والحسن المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وقال ابو حنيفة ومحمد
اذا اكذب نفسه وحد زالت تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد حجة الشافعي امور احدها قوله صلى الله
عليه وسلم للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه
الحرمة ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه الغاية كما قال في المطلقة الثلاث حتى تنكح زوجا
غيره وثانيها ما روي عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا وهذا
قد روي ايضا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها ما روى الزهري عن سهل بن سعد في قصة
العجلاني مضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما ثم لا يجتمعان حجة ابي حنيفة قوله تعالى واحل لكم ما وراء
ذلكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم وقال الشافعي لو ان احدهما ينقص كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وقال
ابو حنيفة اكثر كلمات اللعان تعمل عمل الكل اذا حكم به الحاكم والظاهر مع الشافعي لو ان احدهما ينقص كلمات
اللعان تعمل عمل الكل اذا حكم به الحاكم والظاهر مع الشافعي لانه يدل على انها لا تدرأ العذاب عن نفسها الا بتمام
ذكر الشافعي ومن قال بخلاف ذلك فانما يقوله بدليل منفصل والاية دالة على كيفية اللعان صريحا فيبدأ
الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله
انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فيما رماني به من الزنى وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة حتى تشهد والرجل

قاعد

قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف
ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله واللعان بمكة بين المقام والركن وبالمدينة عند المنبر
وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وان لم يكن له دين ففي
مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام واما
الزمان فيوم الجمعة بعد العصر ولا بد من حضور جماعة وانما خصت الملاعنة بغضب الله
تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ولولا فضل الله عليكم ورحمته لما بين حكم الرامي للمحصنات
والازواج على ما ذكر من الرحمة والنعمة ما لا خفاء به فانه جعل باللعان لكم سبيلا الى مرادكم
ولها سبيلا الى دفع العذاب عن نفسها بين بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته عظم نعمته
فيما بينه من هذه الاحكام وفيما امهل وابقى ومكن من التوبة ولا شك ان في الكلام حذفا وجواب
لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به قوله
تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الكلام في هذه الاية من
وجهين احدهما تفسيرها والثاني سبب نزولها فاعلم ان الله ذكر في هذه الاية ثلاثة اشياء
اولها انه حكى الواقعة وهو ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك وعشرة هو ان الذين جاءوا بالافك عصبة
منكم الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك
بالفتح مصدر قولك افكه يافكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى اجئتنا لتافكنا
عما وجدنا عليه اباءنا واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها عصبة جماعة
يتعصبون منكم يعني من المسلمين وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم لا تحسبوه اي لا تحسبوا الافك والقذف
او المجيء بالافك او ما نالكم من الغم والمخاطبون هم المؤمنون الذين ساءهم ذلك وخاصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل شرا لكم بل هو خير لكم لان الله
ياجركم على ذلك الاجر العظيم ويظهر وينزل فيكم ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم
لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها
وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين
والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية واحكام واداب لا تخفى على متاملها لكل امرئ منهم اي من
الذين جاءوا بالافك ما اكتسب من الاثم جزاء ما اجترح من الذنب والمعصية وقيل لكل امرئ

جزاء ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم فيه
والذي تولى كبره عظمه وبدايته وهو عبد الله بن أبي عليم عذاب عظيم لامعانه في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض
في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد
الله لانه تولى كبره ومعظم الشر كان منه عن عايشة رضي الله عنها قالت في حديث الافك ثم
ركبت وصفوان ابن المعطل اخذ بالزمام فمررنا بملاء من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا
منتبذين من الناس فقال عبد الله بن أبي رئيسهم من هذه قالوا عايشة قالوا والله ما نجت منه
ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وقيل الذي تولى كبره هو
حسان بن ثابت عن عامر الشعبي ان عايشة رضي الله عنها قالت ما سمعت بشيء احسن من شعر
حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لسفيان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله
في ذاك الجزاء فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء اتشتمه ولست له بكفوء فشركما لخيركما
الفداء • لساني صارم لا عيب فيه وبحري ما تكدره الدلاء • فقيل يا ام المومنين اليس الله
يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت اليس قد اصابه عذاب عظيم اليس ذهب بصره
وكنع بالسيف وعن مسروق قال كنت عند عايشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فامرت
فالقي له وسادة فلما خرج قلت لعايشة رضي الله عنها اتدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد قال ما قال
وانزل الله عز وجل فيه والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى ولعل الله
يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك
مبين لولا اي هلا للتحضيض اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم بالذين منهم من
المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا وقيل اراد بانفسهم اهاليهم
وازواجهم وقيل اراد بهذا ابا ايوب الانصاري وامراته ام ايوب روي ان ابا ايوب قالت
له امراته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عايشة رضي الله عنها قال بلى
وذلك الكذب اكنت فاعلة ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشة
والله خير منك سبحان الله هذا بهتان عظيم فانزل الله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المومنين
والمومنات كما فعل ابو ايوب وصاحبته وكما قالا رضي الله عنهما وقيل معناه هلا ظنوا بها ما يظن
بالرجل لو خلا بامه وبالمراة لو خلت بابنها لان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن امهات
المومنين فان قيل هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب

الى الغيبة

الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر اجيب بانه ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح
بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتضى ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها
قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن
لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير وقالوا هذا افك مبين بلفظ المصرح
ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم
به والحافظ له وليتك تجد من سمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه وقالوا هذا افك مبين
ظاهر ولما قصة الافك فعلى ما روى ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن
المسيب وعلقمة ابن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عايشة ام المومنين زوج
النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوه فبراها الله منه قال الزهري وكلهم
حدثني طايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد
منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضا ذكروا ان عايشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج
سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عايشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في
غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما انزل الله
آية الحجاب فانا احمل في هودجي وانزل فيه مسيرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه
ودنونا من المدينة اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل
فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقدي من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني
فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه قالت وكان النساء اذ ذاك
خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج
حين حملوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر
الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم
سيفقدونني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل
السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان نايم فاتاني
فعرفني حين راني وكان قد راني قبل ان يضرب علي الحجاب فما استيقظت الا باسترجاعه حين
عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما تكلم بكلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطيت على يدها فركبتها
فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موعرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شاني

وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا
والناس يخوضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت اعرف منه حين اشتكي انما يدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت
وخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا فلا نخرج اليه الا من ليل الى ليل وذلك قبل ان نتخذ
الكنف وامرنا امر العرب الاولى في التنزه وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا
وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن عبد مطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر
الصديق وابنها مسطح بن اثاثة فاقبلت انا وابنة ابي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت
ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا قالت اي
بنيتاه اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت
الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت اتاذن لي ان اتي ابوي قالت
وانا اريد ان اتيقن من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوي فقلت لامي يا امه
ماذا يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امراة وضيئة عند رجل يحبها
ولها ضرائر الا اكثرن عليها قلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا قالت نعم فبكيت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب رضي الله عنه واسامة بن زيد حين استلبث الوحي واستشارهما في فراق اهله
فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه
لهم فقال يا رسول الله اهلك وما نعلم الا خيرا واما علي رضي الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء
سواها وان تسال الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل
رايت من شيء يريبك من امر عايشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه
عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول قال وهو على المنبر يا معشر المسلمين
من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت
عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال اعذرك منه
يا رسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك
قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال
لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله فقال سعد والله لنقتلنك فانك منافق تجادل عن المنافقين

وروى

وروى انه قام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال فقال لسعد بن عبادة
كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق فثار الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي
ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما عندي
جالسين وانا ابكي استاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن
كذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل
في ما قيل وقد كنت شهرا لا يوحى اليه في شاني قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل
وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب
الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة
فقلت لابي اجب عني رسول الله فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لامي اجيبي عني رسول الله عليه السلام قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد عرفت انكم سمعتم هذا
حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت
لكم بامر والله يعلم اني بريئة لتصدقوني والله ما اجد لي ولكم الا مثل ما قال ابو يوسف وما احفظ اسمه
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ
اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي والله ما كنت اظن ان الله ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني كان احقر
في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل البيت
احد حتى انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عندما يوحى اليه انه
ليتحدر منه مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل الوحي الذي انزل عليه قالت فلما سري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال
ابشري يا عايشة اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد
الا الله سبحانه هو الذي انزل براءتي قالت فانزل الله هذه الايات لبراءتي قالت فقال ابو بكر
رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي قال
لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال
ابو بكر رضي الله عنه والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال

لا اتركها منه ابدًا قالت عايشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب
بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما علمت او رايت فقالت يا رسول الله احمي بصري والله ما علمت
الا خيرا قالت عايشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت عمتة تحادل لها فهلكت فيمن هلك قال الزهري فهذا ما انتهى
الينا من هاولا الرهط وامر رسول الله بالذين رموا عايشة رضي الله عنها فجلدوا الحدود جميعًا
ثمانين ثمانين قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون لولا جاوا متصل بقوله وقالوا هذا افك مبين والكل متصل بقوله
وقالوا هذا افك مبين والكل متصل بلولا اي هلا قالوا او المعنى هلا جاوا لو كانوا صادقين
باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون اي في حكمه سبطه هذا القذف
كذب بين هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عايشة باربعة شهدا يشهدون بانهم عاينوا منها
ما رموها به فاذ لم ياتوا بالشهدا فاوليك عند الله في حكمهم الكاذبون جعل الله التفصلة بين الرمي
الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفايها والذين رموا عايشة لم تكن لهم
بينة على قولهم فقامت عليه الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشرعه كاذبين وهذا توبيخ عظيم
وتعنيف شديد للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف
في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء
المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحبيبة حبيب الله قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم ولولا لامتناع الشي لوجود غيره اي لولا ما من الله به عليكم
وفضله عليكم في الدنيا بضروب من النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ترحم عليكم في الاخرة
بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم اي خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضت
وخاض عذاب عظيم في الدنيا والاخرة وقيل لعاجلتكم في العذاب قوله تعالى اذ تلقونه
بالسنتكم وتقولون بافواههم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ثم ذكر الوقت
الذي يصيبهم العذاب لولا فضله اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال
تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وكان الرجل منهم يلقى الرجل
فيقول بلغني كذا فيتلقاه بعضهم من بعض ويقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم من غير ان تعلموا انه حق
ومعنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان
وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب

كقوله

كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه القذف هينا اي قذف عايشة رضي الله عنها
هينًا وهو عند الله عظيم فان القذف من الكباير اذا كان القذف في امراة محصنة من عرض نساء
المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة
حبيب الله وصفهم بارتكاب ثلاثة ايام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم
وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت
ولا ناد الا طار فيه والثاني تكلم بما لا علم له به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيم قوله
تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ولولا هلا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لا يحل لنا ان نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر فان العجب فمن يقول ذلك هذا بهتان عظيم والبهتان كذب
يواجه به المرمي فيبهت منه وقيل معنى سبحانك ههنا تعاليت وتنزهت عن ان يقال في زوجك
هذا البهتان العظيم وجاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شانًا وهو تنزلها من
الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها وكذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها والفايدة
في تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان ينفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم فلما كان ذكر
الوقت اهم وجب التقديم ومعنى يكون والكلام بدونه تام لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا معنى ينبغي ويصح
اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ومعنى التعجب في كلمة
التسبيح بحسب الاصل ان يسبح الله عند روية العجب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب
منه قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدًا ان كنتم مومنين يعظكم الله اي
ينهاكم ويخوفكم ان تعودوا اي كي لا تعودوا لمثله اي لمثل هذا الحديث من القذف والخوض فيه والجلوس
مع القاذف واستماع حديثه ابدًا ان كنتم مومنين جزاوه مضمر اي ان كنتم مومنين اي فاتعظوا
ولا تعودوا الى مثله وقيل يعظكم الله في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدًا ما داموا
احياء مكلفين وان كنتم مومنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم
بالايمان الصاد عن كل قبيح قوله تعالى ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ويبين
الايات الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به
من المواعظ الشافية والله عليم بامر عايشة رضي الله عنها وصفوان ابن المعطل حكيم ببراءتهما وقيل
عليم بكل شي حكيم بفعله كل شي كما ينبغي قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم هدد القاذفين بقوله ان
الذين يحبون ان تشيع تظهر وتفشو وتذيع الفاحشة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد

الى الاشاعة واردة ومحبة لها فى الذين امنوا لهم عذاب فى الدنيا بالحد وقد ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا وفى الاخرة بالنار والله يعلم ما فى القلوب
من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون يعنى انه تعالى قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه
قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم ثم كرر المنة بترك
المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة
عظيمة وكذلك فى الرءوف والرحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم لا تتبعوا خطوات
الشيطان اى تزيينه قذف عايشة ما زكى منكم من احد قيل انه عام فى الخلق وقيل انه خاص
فى المتكلمين فى الافك ما زكى قيل ما اهتدى وقيل ما اسلم وقيل ما صلح وقيل ما طهر منكم احدا اخر الدهر
من ذنب الافك ولكن الله يزكى يطهر من يشاء من الاثم بالتوبة والغفران وقد شاء ان يتوب
عليكم والله سميع لقولكم عليم بما فى انفسكم من التوبة والندامة قوله تعالى ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله
الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم قيل ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان ينفق على
مسطح لقرابته وفقره فلما خاض فى امر عايشة رضى الله عنها قال ابو بكر والله ما انفق عليه شيئا ابدا
فنزلت هذه الاية ولا ياتل ولا يحلف يفتعل من الالية وهو القسم اولوا الفضل اولوا التفضل
منكم والسعة الجدة والمراد به ابو بكر ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله يعنى
مسطحا وان كان بينهم وبينهم شحنا الجناية اقترفوها فليعفوا وليصفحوا اوليفعل بهم ما يرجون ان يفعل
بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم الا تحبون ان يغفر الله لكم روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قراها على ابى بكر الصديق رضى الله عنه بلى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته وقال
والله لا انزعها ابدا عن ابن عباس رضى الله عنهما اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر رضى الله عنه
ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشىء من الافك ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية قوله تعالى
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين قيل نزلت فى عايشة رضى الله عنها خاصة وقيل انها نزلت فى المهاجرين روى ان المراة
كانت اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انما خرجت تفجر فنزلت
هذه الاية وقيل انها عامة فى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرات وغيرهن وانما اقتصر

على ذكر

على ذكر المحصنات دون الرجال لان من رمى مومنة فلا بد ان يرمى معها مومنا فاستغنى عن ذكر المومنين
ومثله سرابيل تقيكم الحر اراد والبرد الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس
فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما يفطن له المجربات العارفات
قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعنى على اسرارها وكذلك البله من الرجال فى قوله عليه السلام
اكثر اهل الجنة البله يوم تشهد قرأ حمزة والكسائى وخلف بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق
اعلم انك لو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل غلظ فى شىء تغليظه فى افك
عايشة رضى الله عنها ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ
والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة
واساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة
ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم
تشهد عليهم بما افكوا به وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم اهله حتى يعلموا عند ذلك
ان الله هو الحق المبين فاوجز فى ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين
عبدة الاوثان الا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان
بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم
تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى امر عايشة رضى الله عنها وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر
الافك ولقد برأ الله اربعة برأ الله يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد
من اهلها وبرأ موسى عليه السلام من قوله فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم عليها السلام
بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عايشة رضى الله عنها بهذه الايات العظام
فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة
اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة
محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق
عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات
الافك وليتامل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه قال صاحب
الكشاف ان كانت عايشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان
يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة اكبرهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت المرادة اولا والثانى انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات

بالاحصان والعفاف والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله ابن الزبير واشياعه
وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذلك في الصفة ٥
قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قيل الكلمات الخبيثات لا يتكلم
بها الا الخبيث من الرجال والنساء والكلمات الطيبات لا يتكلم بها الا الطيبون من الرجال والنساء
وقيل الكلمات الخبيثات انما تلتصق بالخبيثين من الرجال والنساء واما الطيبات والطيبون فلا يصح
ان يقال في حقهم الا الطيبات وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والطيبات من النساء
للطيبين من الرجال وقيل الخبيثات من الاعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات
من الاعمال وكذا الطيبات اولئك يعني عايشة وصفوان مبرؤن منزهون عما يقولون من الفرية لهم
مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة وعن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن
امراة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما
تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملايكة في بيتي وان الوحي
لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان ينزل عليه الوحي وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته
وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا
على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون روي انه جاءت امراة من الانصار فقالت
يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا يراني عليها احد والد ولا ولد فلا يزال يدخل علي رجل من اهلي
فنزلت هذه الاية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله افرايت الخانات والمساكن التي ليس فيها
ساكن فنزل قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ومعنى قوله لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا من الاستيناس الذي يرادف الاذن فوضع موضع الاذن وقيل من الاستيناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى
حتى تستعلموا وتكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا
واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستانس وحد وقيل
يجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول
الله ما الاستيناس قال ان يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يوذن اهل

البيت

البيت وتسلموا اي تقولوا السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع
وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاث وقد جاء مرفوعا انه عليه
السلام علم رجلا الاستيذان فقال له قل السلام عليكم اادخل والاكثر على ان السلام
مسنون بعد الاذن على ظاهر الاية ولان السلام تحية الملاقاة بعد الاذن والسلام
ندب والاستيذان حتم وقيل ان وقعت العين على العين قبل الاذن فالاولى تقديم
السلام على الاستيذان والا قدم الاستيذان على السلام ولا يستاذن الرجل في دخوله
منزله لقوله غير بيوتكم والافضل ان يعلم بدخوله بتنحنح او نحوه وعن عطا ابن يسار ان رجلا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ااستاذن على امي قال نعم قالت انها ليس لها خادم غيري ااستاذن
عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها وهي عريانة قال الرجل لا قال فليستاذن عليها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقاوا عينه وعن الزهري سمع
سعد بن سعد يقول اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك به راسه
فقال لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما الاستيذان من النظر ذلكم خير لكم من ان تدخلوا
بغير اذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم وقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به
في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها اي البيوت احدا ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها واصبروا
حتى تجدوا من ياذن لكم وقيل فان لم تجدوا فيها اي البيوت احدا ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها
واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم وقيل فان لم تجدوا فيها من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا
باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل
النظر فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من
اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا
على ابوابهم منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي
مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهية ويقدح في قلوب الناس
خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين وجب الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف
والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي
عبيدة ما قرعت بابا على عالم قط هو ازكى لكم اي الانصراف انفع لدينكم ودنياكم واقرب الى التزكية
واطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما

نزل فيهما من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون قال صاحب الكشاف
فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يوذن لكم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد
ان حرم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيًا
عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن والله بما تعملون عليم تهديد ووعيد للمخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون
وما يذرون مما خوطبوا به فيوفي جزاءه ليس عليكم جناح استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها بيوتًا
غير مسكونة كالخانات والفنادق والربط والمنازل التي ينزلها السفر فيها متاع منفعة لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشرى والبيع عن مجاهد كانوا يضعون بطرق المدينة اقتابًا
وامتعة في بيوت ليس فيها احد وكانت الطرق اذ ذاك امنة فاحل لكم ان تدخلوها بغير اذن وروي ان ابا بكر
رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وعن ابن جريج جميع ما يكون
من البيوت التي لا ساكن لها على العموم لان الاستيذان انما جاء لئلا يهجم على ما يحب من العورة فاذا لم
يخف ذلك فلا معنى للاستيذان والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قيل معناه اذا دخلتم بيوت غيركم
فاتقوا الله فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقيل وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون قل للمؤمنين يغضوا يكفوا من ابصارهم عن النظر الى ما لا يجوز
عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه قيل من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على ما يحل
لان المؤمنين غير مامورين بغض البصر اصلًا وانما امروا بالغض عما لا يحل ولا يجوز وقيل من صلة زائدة اي
يغضوا ابصارهم والاول قول سيبويه والثاني قول الاخفش والقول ما قال سيبويه ويحفظوا
فروجهم عما لا يحل وقيل كل ما كان في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد
الاستتار يعني ويحفظوا فروجهم حتى لا ينظر اليها وقيل هذا التأويل اسقاط من وقيل انما دخلت
من في غض البصر دون حفظ الفرج دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر
الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
والاجنبية تنظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا
ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه عن رسول الله عليه السلام اضمنوا
الى ستًا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم
واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس مسموم فمن رد بصره ابتغاء ثواب

الله

الله ابدله الله بذلك عبادة تسره وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يصلي اذ مرت به امرأة
فنظر اليها فاتبعها بصره فذهبت عيناه والله خبير بما يصنعون ثم اخبر الله انه خبير باحوالهم وافعالهم
وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا
منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعًا ايها
المؤمنون لعلكم تفلحون امر الله تعالى النساء بغض البصر عن كل ما يكره النظر اليه من جهة الشرع ولا يحل
للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسًا ولا تنظر من المرأة
الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت
كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل
علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه وانما
قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد
يقدر على الاحتراس منه ولا يبدين زينتهن ولا يظهرن لغير محرم زينتهن ما تزينت به المرأة من حلي او كحل
او خضاب والزينة منها ما هو خفي كالخلخال والسوار والدملج والقرط والقلادة والاكليل والوشاح
فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه
الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق
والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك
المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنًا في الحظر
ثابت القدم في الحرمة شاهدًا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها
ومنها ما هو ظاهر فعن ابن مسعود هي الثياب والرداء دليله قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد اي
ثيابكم وعن ابن عباس الكحل والخاتم والسوار والخضاب الاوزاعي الوجه والكفان الحسن الوجه
والثياب روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله
واليوم الاخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويدها الى ههنا وقبض على نصف الذراع وانما رخص الله
تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام في هذا القدر من بدن المرأة ان تبديه لانه ليس بعورة
يجوز لها كشفه في الصلوة وسائر بدنها عورة فيلزمها ستره الا ما ظهر منها اي ما ظهر من الزينة

فلا بأس بابدائه للأجانب وأما القراميل وإن كان يتوقعها الطهر ولا يحل لهما النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما حاوى تحتها السرة فيحل النظر إليها لأن أمر القراميل وإن كان موقعها الكفه خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عنها أولاً إلا إذا كان يصف الرائية فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه والصحيح أن المراد بموقع الزينة العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء وإنما سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح ويضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وليضربن بخمرهن على جيوبهن وهي جمع الخمار وهي غطاء الرأس على جيوبهن قرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بضم الجيم حيث وقع والباقون بكسر الجيم وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فيبقى مكشوفة فأمرن بسدلها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية شققن كنف مروطهن فاختمرن به ولا يبدين زينتهن الخفية التي أمرت بتغطيتها ولم يبح لهن كشفها في الصلوة وللأجنبيين وهي ما عدا الوجه والكفين وظهور القدمين إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أي نساء المؤمنين فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها وذلك قوله أو ما ملكت أيمانهن عن قتادة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات معهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلاً اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقيل المراد بقوله أو ما ملكت أيمانهن مما ملكهن وعبيدهن فإنهن لا بأس عليهن أن يظهرن لهم من زينتهن ما يظهر لذوي محارمهن وعن ابن عباس والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا يغرنكم آية النور فإن المراد بها الإماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو فحلاً

وعند

وعند أبي حنيفة لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وشراؤهم وبيعهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم قال صاحب الكشاف فإن قلت أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب أو التابعين غير أولي الإربة الحاجة من الرجال وهم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم في النساء ولا يشتهونهن وقيل هذا التابع هو الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل وقيل هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء والناس أنه العنين وقيل إنه الشيخ الفاني وقيل إنه المجبوب قال الزجاج غير صفة التابعين وفيه دليل على أن قوله أو ما ملكت أيمانهن معناه غير أولي الإربة من الرجال فالمعنى لا يبدين لمماليكهن ولا تباعهن إلا أن يكونوا غير أولي الإربة أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يكشفوا عن عورات النساء فيطلعوا عليها قبل لم يظهروا أما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وأما من ظهر على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء ولا يضربن بأرجلهن ولا يحركن أرجلهن إذا مشين ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ وتوبوا إلى الله من النظر إلى ما لا يحل لعلكم تفلحون لتفوزوا بالخيرات أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة

قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم لما أمر بغض الأبصار وحفظ الفروج بين بعده أن الذي أمرته إنما هو فيما لا يحل فبين بعد ذلك طريق الحل فقال وأنكحوا الأيامى أصلها أيايم فقلب والأيم للرجل والمرأة فالأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء يقال رجل أيم وأيمة وآم الرجل وآمت المرأة تئيم أيمة وأيوماً وتأيماً إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم أي زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم قيل الأمر أمر إيجاب فأوجب النكاح على من استطاعه وقيل الأمر للندب وهو الصحيح المشهور وعليه الجمهور وقال الشافعي واجب للرجل والمرأة أن يتزوجا إذا تاقت أنفسهما إليه لأن الله تعالى أمر به ورضيه وندب إليه وبلغنا أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم حتى بالسقط وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح يدعى ولده من بعده قال ومن لم تتق نفسه الى
ذلك فاحب الي ان يتخلى لعبادة الله تعالى وذكر الله القواعد من النساء وذكر عبدا لكرمه وقال عز من
قايل وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والحصور الذي لا ياتي النساء ولا ينديهن الى النكاح فدل
على ان المندوب اليه من يحتاج اليه عن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل وعن ابي نجيح السلمي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وقال عليه السلام من ادرك
له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما وعن ابي هريرة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد
للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شرار كم عزابكم وقال صلى الله عليه وسلم
اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه وقال صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين
رجل ليست له امراة مسكينة مسكينة امراة ليس لها زوج قالوا يا رسول الله وان كان غنيا من المال
قال وان كان غنيا من المال وقال صلى الله عليه وسلم اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنت عليه ملايكته
الذي يحصر نفسه عن النساء فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له ولد والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه
الله ذكرا والمراة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله انثى ومضلل المساكين قيل يعني الذين يهزاء بهم يقول
للمسكين هلم اعطيك فاذا جاء يقول ليس معي شي ويقول للمكفوف اتق الدابة وليس بين يديه شي والرجال
يسال عن دار القوم فيضله وعن عطية بن بشر المازني قال اتى عكاف ابن وداعة الهلالي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عكاف الك زوجة قال لا يا رسول الله قال ولا امة قال لا قال وانت صحيح
موسر قال نعم والحمد لله قال فانك اذا من اخوان الشياطين اما ان تكون من رهبان النصارى واما ان
تكون مومنا فاصنع كما يصنع فان من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وارذل موتاكم عزابكم ما للشيطان
في نفسه سلاح ابلغ من النساء الا ان المتزوجين هم المبرون من الخنا ويحك يا عكاف انهن صواحب
داود وصواحب ايوب وصواحب يوسف وصواحب كرسف عليهم السلام قالوا يا رسول الله ومن كرسف
قال رجل يعبد الله سبحانه على ساحل من سواحل البحر ثلثين عاما يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر من صيام
ولا قيام فكفر بالله العظيم من سبب امراة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ربه فتداركه الله سبحانه
ما سلف منه ويحك يا عكاف تزوج فانك من المذبذبين قال زوجني من شيت قبل ان ابرح من مكاني
قال فاني قد زوجتك على اسم الله كليمة بنت كلثوم الحميري وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب
على رؤس الجبال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عياض بن غنم الاشعري لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا
فاني مكاثر وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الابكار فانهن اعذب افواها وافتح ارحاما واثبت مودة

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم ان يتزوج فليسال عن شعرها كما يسال عن وجهها
فان الشعر احد الجمالين وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فان فيهن يمنا وعن عايشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم نساء امتي بركة اصبحهن وجها
واقلهن مهرا وقال صلى الله عليه وسلم اعلنوا النكاح واجعلوا في المساجد واضربوا عليها بالدفوف
وليولم احدكم ولو بشاة وعن عايشة رضي الله عنها قالت حدثني معاذ بن جبل قال شهدت املاك رجل
من الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكح الانصاري
ثم قال على الالفة والخير والطير الميمون دففوا على راس صاحبكم واقبلت السلال فيها الفاكهة والسكر
فنثر عليهم فامسك القوم فلم ينتهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازين الحلم الا تنتهبون فقالوا
يا رسول الله انك نهيتنا عن النهبة يوم كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نهيتكم عن نهبة
العساكر ولم انهكم عن نهبة الولايم ثم قال الا فانتهبوا قال معاذ بن جبل فوالله لقد رايت رسول الله يجاذبنا
ونجاذبه في ذلك النهاب وعن عايشة قالت كانت عندي جارية من الانصار في حجري فزوجتها فدخل النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يسمع غناء فقال يا عايشة الا تغنون عليها فان هذا الحي من الانصار يحبون الغنا
وعن عطا ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بعروس فقال لو كان مع هذا لهو ان يكونوا فقرا ثم
رجع الى الاحرار فقال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله فاخبر ان النكاح سبب لنفي الفقر عن ابن عجلان
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الحاجة فقال عليك بالباءة وجاء رجل الى عمر بعد ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما فشكى اليه الحاجة فقال عليك بالباءة وجاء رجل الى عثمان بعد عمر رضي الله عنهما فشكا اليه
الحاجة فقال عليك بالباءة كلهم يريد قول الله عز وجل ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع يوسع على
من يشاء عليم بمن يستحقه بمقتضى مشيته قوله تعالى وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لما ذكر تزويج
الحراير والاماء والاحرار والعبيد ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف
النفس كان المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج
وقيل اراد بالنكاح ما ينكح به من المال وقد روي ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يجد فعليه بالصيام فانه له وجاء حتى يغنيهم الله من فضله
اي يوسع عليهم ويعطيهم ما لا يتزوجون به وقيل يغنيهم الله بقلة الرغبة قال صاحب الكشاف
حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتامله

لطفاً لهم في استعفافهم وربطاً على قلوبهم وليعلموا وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء
وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو
غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة
بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق الله القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع
على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب
والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة قيل هو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه
كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء
بالمال وكتبت على العتق وقيل هو ان يقول الرجل لعبده او امته قد كاتبتك على ان تعطيني كذا وكذا في نجوم
معلومة على انك ان اديت ذلك كان لمولاه ان يرده الى الرق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي
عليه درهم والاول مذهب ابي حنيفة والثاني مذهب الشافعي ويجوز عند ابي حنيفة حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما م
ولا يجوز بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئاً فعقده حالاً منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلاً
ويجوز عقده على مال قليل وكثير بالاتفاق وعند ابي حنيفة يجوز الكتابة على خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم
موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه اجرها وجصها وما يبني به وان
كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس للمكاتب
ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق واخذ الذي كان ولاه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل
له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب
ولا يلزم السيد مكاتبة عبده سواء بذل له قيمته او اكثر منها او اقل منها وهو قول الشافعي وابي حنيفة ومالك
وسائر الفقهاء وقيل هو امر ايجاب فرض على الرجل ان يكاتب عبده الذي قد علم منه خيراً اذا ساله ذلك بقيمته واكثر
وهو قول داود بن علي ومحمد بن جرير من الفقهاء وهي رواية العوفي عن ابن عباس واحتج من نصر هذا القول بما روى
قتادة ان سيرين سال انس بن مالك ان يكاتبه فنكل عليه فشكاه الى عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة وامره
بالكتابة ايضاً في ان هذه الاية نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال صبيح سال مولاه ان يكاتبه
فابى عليه فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فاداها وقيل
يوم حنين في الحرب وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال هي عزمة من عزمات الله من سال الكتابة كوتب ان
علمتم فيهم خيراً اي قوة على الاحتراف والكسب لاداء ما كوتبوا عليه واليه ذهب الثوري والحسن الصدق
والامانة والوفاء مجاهد المال وقيل الصلاح واقامة الصلاة وقيل هو ان يكون المكاتب بالغاً عاقلاً فاما المجنون
والصبي فلا تصح كتابتهما لانهما ليسا من اهل الابتغاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاثة
الحديث وقال ابو حنيفة تصح كتابة الصبي اذا كان مراهقاً مراسا على اصله اذا كان مراهقاً كيساً حراً فاذن له

ولية

وليته في التصرف فقد صح تصرفه كذلك السيد مع عبده اذا كاتبه فقد اذن له في التصرف فصحت
كتابته واتوهم من مال الله الذي اتاكم ذهب الشافعي الى ان الخطاب للموالي المكاتبين وهو ان يحط من
مال الكتابة شيئاً غير مقدر بعقد ادمعين وقال احمد هو ربع المال دليل الاول ما روى السدي عن ابيه
قال كاتبتني زينب بنت قيس بن مخرمة وكانت قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين
جميعا على عشرة الاف فتركت لي الفاً وعن ابي سعيد بن ابي اسيد انه كاتبه على اثني عشر مائة فجئته بها
فاخذ منها الفاً ورد علي مائتين وعن رافع كاتب عبد الله بن عمر غلاماً له فقال له شرفي على خمسة وثلاثين
الف درهم فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم وعن سعيد بن جبير وكان اذا كاتب مكاتبه لم يضع
عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه كان في اخر كتابته وضع عنه ما احب
حجة الثاني ما روى شعبة ابن عبد الاعلى عن ابي عبد الرحمن السلمي انه كاتب غلاما له على الف ومائتين
فترك الربع واشهدني ثم قال لي كان صديقك يفعل هذا يعني علياً رضي الله عنه وقد روى ذلك مرفوعاً عن
ابي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم واتوهم من مال الله الذي اتاكم قال
ربع المكاتبة وقيل معناه واتوهم سهمهم الذي جعله الله لكم من الصدقات المفروضات في قوله تعالى انما
الصدقات حيث قال وفي الرقاب فعلى الاول قيل الامر امر الندب وقيل الامر امر ايجاب وعلى الثاني والثالث
الامر امر ايجاب وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعان مكاتباً في رقبته
او غارماً في عسرته او مجاهداً في سبيله اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعن ابي حنيفة واصحابه امر
المسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطاهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ويحل لمولاه
فاذا كان غنياً ان ياخذ ما تصدق به عليه وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب
للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقراء
وورثها او وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا
فتياتكم قيل نزلت في معاذة ومسيكة جاريتي عبد الله بن ابي المنافق كان يكرههما على الزنا بضريبة ياخذها
منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا
الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيراً فقد استكثرنا منه وان يك شراً فقد ان لنا ان ندعه
فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل نزلت في ست جوار لعبد الله بن ابي كان يكرههن على الزنا وياخذ اجورهن
وهن معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة فجاءته احداهن ذات يوم بدينار وجاءت اخرى ببرد
فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الله بالاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكتا اليه فانزل الله هذه الاية وعن الزهري ان عبد الله بن ابي اسر رجلا من قريش يوم بدر
وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسه وكانت مسلمة وكانت تمتنع

منه وكان عبد الله يكرههما على ذلك ويضربهما رجاء أن تحملا من القرشي فيطلب فداء ولده فأنزل الله الآية
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا إن أردن تحصنا تعففا إذ أردن تحصنا وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز على م
إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصنا ونظيره قوله تعالى وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين وقوله تعالى
وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله يعني إذ يشاء الله والتحصن
التعفف وقيل إنما ذكر قوله إن أردن تحصنا لأن الإكراه لا يتصور ولا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وأمر الطبيعة
المواتية للبغاء لا تسمى مكرهة ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن
ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر وقيل إن أردن تحصنا
متصل بقوله وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن الحصانة فليتزوج وقيل إنما جاء النهي عن الإكراه لا عن البغاء لأن حد
الزنا نزل بعد هذا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا أي لتبتغوا بإكراههن على الزنا أجورهن ومن يكرههن
فإن الله من بعد إكراههن غفور أي لهن وقيل لهم لمن تاب عن ذلك بعد نزول الآية وقيل لهن ولهم إن تابوا رحيم م
وأصلحوا **قوله تعالى** ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم وموعظة للمتقين قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي مبينات بكسر الياء أي الآيات
التي بينت الأحكام والحدود وجعل الفعل للآيات على المجاز ويجوز أن يكون من بين بمعنى تبين وهذا المثل
قد بين الصبح لذي عينين والباقون بفتحها أي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني
الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في
الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله
أن تعودوا لمثله أبدا **قوله تعالى** الله نور السموات والأرض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم لما فرغ من الكلام في الأحكام الله نور
النور الضياء الذي يرى ويرى به وهو الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على الأرض والجدار
وغيرهما يقال استنارت الأرض ووقع نور الشمع على الثوب ونور السراج على الحائط قال الغزالي
ومن المعلوم أن هذه الكيفية إنما اختصت بالفضيلة والشرف لأن المرئيات تصير بسببها ظاهرة
ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذا يتوقف على وجود العين الباصرة
والعين الباصرة هي المدركة وبها الإدراك وأما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الإدراك فكان وصف
الإظهار بالنور الباصر أحق بالنور المبصر فلا جرم أطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا

في الخفاش

في الخفاش إن نور عينه ضعيف وفي الأعمى إنه فقد نور البصر إذا ثبت هذا فنقول إن للإنسان بصرا
وبصيرة فالبصر هو العين الظاهرة المدركة للأضواء والألوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل
واحد من الإدراكين يقتضي نورا ونور العقل أقوى وأشد من نور العين لأن القوة الباصرة لا تدرك
نفسها ولا إدراكها ولا آلاتها والقوة العاقلة تدرك نفسها وإدراكها وآلتها فنور العقل أكمل من
نور البصر والنور العاقلة تدرك الكليات والقوة الباصرة لا تدركها وإدراك الكليات أشرف لأن
إدراك الكليات لا تتغير بخلاف الجزئيات وإدراك العقل منتج وإدراك الجزئي غير منتج والقوة الباصرة
لا تدرك إلا السطح الظاهر من الجسم واللون القائم بذلك السطح بشرط الضوء فإذا أدركت الإنسان
فلم تدرك منه إلا السطح الظاهر من جسمه واللون القائم به والقوة العاقلة تدرك ظاهر الأشياء
وباطنها فإن الباطن والظاهر بالنسبة إليها على السواء فكانت القوة العاقلة بالنسبة إليهما
السواء فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة إلى الظاهر والباطن والقوة الباصرة ظلمة بالنسبة
إلى الباطن ومدرك القوة العاقلة هو الله وصفاته وأفعاله ومدرك القوة الباصرة هو الألوان
والأشكال فيكون نسبة شرف القوة العاقلة إلى شرف القوة الباصرة كنسبة شرف ذات الله إلى شرف
الألوان والأشكال والقوة الباصرة كالخادم والقوة العاقلة كالأمير والقوة الباصرة قد تغلط والقوة
العاقلة لا تغلط فثبت أن الإدراك العقلي أكمل وأقوى وأشرف من الإدراك البصري وكل واحد من
الإدراكين يقتضي الظهور الذي هو أشرف خواص النور فكان الإدراك العقلي أولى لكونه نورا من الإدراك
البصري والإدراك العقلي قسمان أحدهما واجب الحصول عند سلامة القوى والآلات وهي التعقلات
الفطرية والثاني ما يكون مكتسبا وهي التعقلات النظرية ولا يكون من لوازم جوهر الإنسان لأنه حال الطفولية
لم يكن عالما البتة فهذه الأنوار إنما حصلت بعد أن لم تكن فلا بد لها من سبب والفطرة الإنسانية
قد يعتريها الزيغ فلا بد من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله والأنبياء فيكون منزلة آيات القرآن
عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الباصرة فبالحري أن يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا
فنور القرآن يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه نور العين وبهذا يظهر معنى قوله تعالى فآمنوا بالله
ورسوله والنور الذي أنزلنا وقوله قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا وإذا ثبت
أن بيان الرسول أقوى من نور الشمس وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم في النورانية من
الشمس وكما أن الشمس في عالم الأجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا النفس النبي تفيد
الأنوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا تستفيد النور العقلي من شيء من النفوس البشرية فلذلك
وصف الله الشمس بأنها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ووصف محمدا بأنه سراج منير إذا عرفت
هذا فنقول ثبت بالشواهد العقلية والنقلية أن الأنوار الحاصلة من أرواح الأنبياء مقتبسة من الأنوار

الحاصلة فی ارواح الملائکة قال تعالی ینزل الملائکة بالروح من امره علی من یشاء من عباده وقال
نزل به الروح الامین علی قلبک وقال قل نزله روح القدس من ربک بالحق والوحی لا یکون الا بواسطة
الملائکة واذا جعلنا ارواح الانبیاء اعظم استنارة من الشمس وارواح الملائکة التی هی کالمعادن
لانوار عقول الانبیاء لا بد وان یکون اعظم من انوار ارواح الانبیاء لان السبب لا بد وان یکون
اقوی من المسبب ثم نقول ایضا ثبت بالشواهد العقلیة والنقلیة ان الارواح السماویة مختلفة
فبعضها مستفیدة وبعضها مفیدة قال تعالی فی وصف جبریل مطاع ثم امین واذا کان هو مطاع
الملائکة والمطیعون لا بد وان یکونوا تحت امره وقال وما منا الا له مقام معلوم واذا ثبت هذا
فالمفید اولی بان یکون نوره من المستفید ولنرسم لانوار فی عالم الارواح مثال وهو ان ضوء
الشمس اذا وصل الی القمر ثم دخل فی کوة بیت ووقع علی مرآة منصوبة علی حائط ثم انعکس منه الی طشت
مملو من الماء موضوع علی الارض ثم انعکس منه الی سقف البیت فالنور الاعظم فی الشمس التی هی المعدن
وثانیها فی القمر وثالثها ما وقع علی المرآة ورابعها ما انعکس منه الی الماء وخامسها ما وصل الی السقف
فکل ما کان اقرب الی المعدن اقوی مما هو ابعد منه فکذا الانوار السماویة لما کانت مترتبة لاجرم کان
النور المفید اشد اشراقا ثم تلک الانوار لا تزال مترتبة حتی تنتهی الی النور الاعظم والروح الذی هو اعظم
الارواح منزلة عند الله الذی هو المراد من قوله تعالی یوم یقوم الروح والملائکة صفا ثم نقول
لا شک ان هذه الانوار الحسیة سفلیة کانوار النیران او علویة کانوار الشمس والقمر
والکواکب وکذا الانوار العقلیة سفلیة کانت کالارواح التی للانبیاء والاولیاء او علویة کالارواح
الملائکة فانها باسرها ممکنة لذواتها والممکن لذاته لا یستحق الوجود لذاته ووجوده من غیره والعدم
هو الظلمة والوجود هو النور فکل ما سوی الله مظلم لذاته مستنیر بانارة الله تعالی وکذا جمیع
معارفها بعد وجودها حاصل من وجود الله تعالی فان الحق سبحانه هو الذی اظهرها بالوجود بعد ان
کانت فی ظلمات العدم وافاض علیها انوار المعارف بعد ان کانت فی ظلمات الجهالة فلا ظهور لشیء من الاشیاء
الا باظهاره وخاصة النور اعطاء الاظهار والتجلی والانکشاف وعند هذا یظهر ان النور المطلق
هو الله سبحانه وان اطلاق النور علی غیره بطریق المجاز وکل ما سوی الله من حیث هو هو ظلمة محضة
لانه من حیث انه ممکن عدم محض بل الانوار اذا نظر الیها من حیث هی هی فهی ظلمات لانها من حیث
هی هی ممکنات والممکن من حیث هو معدوم والمعدوم مظلم فالنور اذا نظر الیه من حیث هو هو ظلمة فاما اذا
التفت الیها من حیث ان الحق سبحانه افاض علیها نور الوجود بهذا الاعتبار صارت انوارا فثبت
انه سبحانه هو النور وان کل ما سواه فلیس بنور واضاف النور الی السموات والارض لما عرفت ان السموات
والارض مشحونة بالانوار العقلیة والانوار الحسیة اما الحسیة فما یشاهد فی السموات من الکواکب

والشمس

والشمس والقمر وفی الارض من الاشعة المنبسطة علی سطوح الاجسام حتی ظهرت بها الانوار
المختلفة ولولاها لما لم یکن للالوان ظهور بل وجود واما الانوار العقلیة فالعالم الاعلی مشحون
بها وهی جواهر الملائکة والعالم الادنی مشحون بها وهی القوی النباتیة والحیوانیة والانسانیة
وبالنور الانسانی السفلی ظهر نظام العالم السفلی کما انه بالنور الملکی ظهر نظام العالم العلوی وهو المعنی
بقوله لیستخلفنکم فی الارض وقوله ویجعلکم خلفاء الارض واذا عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون
بالانوار البصریة الظاهرة والعقلیة الباطنة ثم عرفت ان السفلیة فایضة بعضها من بعض فیضان
النور من السراج فان السراج هو الروح النبوی ثم ان الانوار النبویة القدسیة مقتبسة من الارواح
العلویة اقتباس السراج من النور وان العلویات مقتبسة بعضها من بعض وان بینها ترتیبا فی المقامات
ثم ترتقی جملتها الی نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلک هو الله وحده لا شریک له فاذن الکل نوره
فلهذا قال الله نور السموات والارض قال الامام ما ذکره الغزالی کلام مستطاب ولکن یرجع حاصله بعد
التحقیق الی ان معنی کونه سبحانه نورا انه خالق العالم وانه خالق القوی المدرکة وهو المعنی من قولنا معنی کونه
نور السموات والارض انه هادی اهل السموات والارض فلا تفاوت بین ما قاله وبین ما نقل عن المفسرین
فی المعنی واعلم انه لا بد فی التشبیه من امرین المشبه والمشبه به واختلف الناس فی ان المشبه
ههنا ای شیء هو وذکروا وجوها منها ما ذکره جمهور المتکلمین ان المراد الهدی التی هی الآیات المبینات
والمعنی ان هدایة الله قد بلغت فی الظهور والجلاء الی اقصی الغایات وصار ذلک بمنزلة المشکاة التی
تکون فیها زجاجة صافیة وفی الزجاجة مصباح یتقد بزیت بلغ النهایة فی الصفاء فان قیل لم شبه بذلک
وقد علمنا ان الشمس ابلغ من ذلک بکثیر قلنا انه سبحانه اراد ان یصف الضوء الکامل الذی یلوح وسط
الظلمة لان الغالب علی اوهام الخلق انما هی الشبهات التی هی کالظلمات وهدایة الله فیما بینها کالضوء الکامل
الذی یظهر فیما بین الظلمات وهذا المقصود لا یحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور
الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة فلاجرم کان ذلک المثل ههنا الیق واوفق وما اعتبره الله من
الامور فی هذا المثال مما یوجب کمال الضوء لان المصباح اذا لم یکن فی المشکاة تفرقت اشعته واذا
وضع فی المشکاة اجتمعت اشعته فکان اشد انارة والذی یحقق ذلک ان المصباح اذا کان فی زجاجة
صافیة فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعکس من بعض جوانب الزجاجة الی البعض لما فی
الزجاجة من الصفاء والشفافیة فیزداد النور والذی یحقق ذلک ان شعاع الشمس اذا وقع علی الزجاجة
الصافیة تضاعف الضوء الظاهر حتی انه یظهر فیما یقابله مثل ذلک الضوء فاذا انعکست تلک الاشعة
من کل واحد من جانب الزجاجة الی الجانب الاخر کثرت الانوار وبلغت النهایة ولان ضوء المصباح یختلف
باختلاف ما یتقد فیه فاذا کان الدهن صافیا خالصا کانت خالصة خلاف حاله اذا کان کدرا ولیس

في الادهان التي توقد ما يظهر من الصفا مثل الذي يظهر في الزيت فربما بلغ في الصفا والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزائه ولان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية يعني كانت بارزة للشمس في كل حال لانه تكون زيتونته اشد نضجا فكان زيته اكثر صفا واقرب الى ان ينتهي صفوه من كدره لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله قال صاحب الكشاف نظير قوله الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره والارض م
وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما الدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهو المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم ومنهم النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة شجرة الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى وقيل ليست مما يطلع عليها الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفا والبيض وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوا له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده وعن ابن عباس وانس بن مالك رضي الله عنهم الله هادي اهل السموات والارض لا هادي فيها غيره فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وليس يهتدي ملك مقرب ولا نبي مرسل الا بهدى منه الضحاك منور السموات والارض مجاهد

مدبر

مدبر الامور في السموات والارض ابي بن كعب وابو العالية والحسن مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين وقيل يعني الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة وسخطة وهو لا يكون في نفسه رحمة ولا سخطة وانما يكون منه الرحمة والسخطة وقال بعض اهل المعاني اصول النور هو التنزيه والتصفية يقال امراة نوار ونساء نور اذا كانت متعرية من الريبة والفحشا قال الشاعر ه نوار في صواحبها نوار كما فاجاك سرب او صوار فمعنى النور هو المنزه من كل عيب ونسوة نوارى نفرة من الريبة وقيل النور على اربعة اوجه نور متلالي ونور متولد ونور من جهة صفاء اللون ونور من جهة المدح فالنور المتلالي مثل قرص الشمس والقمر والكوكب وشعلة السراج والنور المتولد هو الذي يتولد من شعاع الشمس والقمر والسراج فيقع على الارض فتنير به والنور الذي هو من صفاء اللون مثل نور اللآلي واليواقيت وساير الجواهر وكل شيء له نور صافي والنور الذي هو من جهة المدح قول الناس فلان نور البلد وشمس العصر قال الشاعر ه فانك شمس والملوك كواكب اذا ما بدت لم يبد منهن كوكب وقال اخر قمر القبائل خالد بن يزيد وقال اخر اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها ولا يجوز ان يقال لله تعالى يا نور الا ان يضم اليه اسم اخر كما لا يجوز ان يقال لله يا بديع الا ان يضم اليه شيء اخر لانه واجد الاشياء ونور جميع الاشياء منه دون ساير الاوجه لان النور المحسوس الذي هو ضد الظلمة لا يخلو من شعاع وارتفاع وسطوع وبلوغ وهذه كلها منفية عن الله تعالى لانها من امارات الحدث مثل نوره اي القران يدل عليه قوله تعالى لقد جاءكم من الله نور قال كعب وسعيد بن جبير هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المرشد ولانه تعالى ذكره وصفه سراجا منيرا وقيل المراد ما في قلب المؤمن من الايمان ومعرفة الله ومعرفة الشرائع يدل عليه ان الله تعالى وصف الايمان بانه نور والكفر بانه ظلمة قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال يخرج الناس من الظلمات الى النور والمقصود من التمثيل ان ايمان المؤمن قد يبلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ المذكور عن ابي بن كعب بدا الله بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره وهكذا كان يقرا اي مثل نور من آمن به اضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا وعن ابن عباس يعني بالنور الطاعة سمى طاعته نورا ثم ضرب لها مثلا فقال تعالى كمشكاة قيل هذا من المقلوب اي كمصباح في مشكوة وهي الكوة التي لا منفذ لها واصلها الوعاء وهي على وزن مفعلة كمصفاة المشكوة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة قال مجاهد هي القنديل فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء ومنه الصبح ورجل صبيح الوجه اذا كان وضيئا وقال الخليل المصباح السراج بالمسرجة وقيل المصباح اصغر من السراج لان الله تعالى سمى الشمس

سراجًا وهاجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا وقال في غيرها من الكواكب ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى قرا ابو عمرو والكسائي وابان عن عاصم
بكسر الدال وتخفيف الدال ممدودا مهموزًا قال ابن قتيبة المعنى على انه من الكواكب الدراري
وهي اللاتي يدرأن عليك اي يطلعن وقال الزجاج هنا ماخوذ من درأ يدرأ اذا اندفع
منقضا فتضاعف نوره يقال تدرا الرجلان اذا تدافعا وروى المفضل عن عاصم كسر الدال
وتشديد الياء من غير همز ولا مد وهي قراءة عبد الله بن عمرو والزهري وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر وحفص عن عاصم درى بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز وقرا حمزة
وابو بكر عن عاصم والوليد بن عتبة عن ابن عامر بضم الدال وتخفيف الياء مع اثبات الهمز توقد
قرا ابن كثير وابو عمرو بالتاء مفتوحة وتشديد القاف وفتح الدال يريد ان المصباح لانه هو الذي
توقد وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم يوقد بالياء مضمومة مع ضم الدال يريد ان المصباح
ايضا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بفتح التاء والدال يريد ان الزجاجة قال الزجاج
والمقصود مصباح الزجاجة فحذف المضاف من شجرة من زيت شجرة فحذف المضاف يدل
على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء والمراد بالشجرة هاهنا شجرة الزيتون مباركة بركتها من وجوه
فانها تجمع الادم والدهن والوقود فيوقد بحطب الزيتون ويغسل برمادة الابريسم ويستخرج
دهنها استخراج ويورق غصنه من اوله الى اخره وانما خصت بالذكر هاهنا دون غيرها لان
دهنها اصفى واضوء لا شرقية ولا غربية قال عكرمة وجماعة لا يسترها من الشمس جبل ولا واد
واذا فاذا طلعت الشمس اصابتها واذا غربت اصابتها فهي مصاحبة للشمس طول النهار وليست
بشرقية وحدها حتى لا يصيبها الشمس اذا غربت ولا هي غربية وحدها فلا يصيبها الشمس
بالغداة اذا طلعت بل باخذ حظها من الامرين واذا كان كذلك كان اجود واصفى لزيتها وقيل
هي معناه ليست في شرق فيلحقها الحر ولا في غرب فيضربها البرد وقيل هي شامية لان الشام
لا شرقي ولا غربي وقيل هي شرقية وغربية وهذا كقولك فلان لا مسافر ولا مقيم وليس هذا
بابيض ولا اسود اذا كان له من كلا الامرين قسط ونصيب قال الشاعر بايدي رجال لم يشيموا
سيوفهم ولم يكثروا القتلى بها حين سلت يعني فعلوا هذا وهذا قال الحسن ليست هذه الشجرة
من شجر الدنيا ولو كانت في الارض لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره قيل وقد
افصح القرآن بانها من شجر الدنيا لانه ابدل من الشجرة فقال تعالى زيتونة وانما خص الزيتونة
من بين سائر الاشجار لان دهنها اصفى واضوء وقيل لانها يورق غصنها من اولها الى اخرها
ولا يحتاج دهنها الى عصار يستخرجه وقيل لانها اول شجرة نبتت في الدنيا وقيل بعد الطوفان وقيل

لان

لان منبتها منزل الانبياء والاولياء في الارض المقدسة وقيل لانه بارك فيها سبعون
نبيًا منهم ابرهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك في الزيت والزيتون وقال
عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة عن عبد الله بن ثابت الانصاري
قال دعا بنيه ودعا بزيت فقال ادهنوا رؤسكم فقالوا لا ندهن رؤسنا بالزيت قال فاخذ
العصا وجعل يضربهم ويقول اترغبون عن دهن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاد زيتها
يضيء من صفائه وضيائه ولو لم تمسسه نار قيل ان تمسه نار قيل هذا مثل ضربه الله عز وجل
لنبيه عليه السلام وقيل جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل مثل
نوره كمشكاة الاية فقال كعب هذا مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمشكوة صدره
والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة شجرة النبوة يكاد نور محمد وامره
يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وعن ابن عمر في هذه
الاية قال المشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله
فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة يعني ابرهيم عليه السلام نور
على نور النور الذي جعل الله في قلب ابرهيم عليه السلام دخل في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن محمد بن كعب القرظي المشكوة ابرهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد عليه السلام سماه
الله تعالى مصباحًا كما سماه سراجًا فقال عز من قائل وسراجًا منيرًا توقد من شجرة مباركة هي ابرهيم
عليه السلام سماه مباركا لان اكثر الانبياء كانوا من صلبه عليه السلام لا شرقية ولا غربية
يعني لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان اليهود تصلي قبل
المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعني تكاد محاسن محمد صلى
قال م الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور اي نبي من نسل نبي الضحاك شبه عبد
المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في صلبهما فورث
النبوة من ابرهيم توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية شجرة التقى والرضوان وعشيرة
الايمان والهدى شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها تاويل وخدمها جبريل وميكائيل
وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله من القرآن
والايمان في قلبه توقد من شجرة مباركة هي الاخلاص لله وحده لا شريك له فمثله مثل شجرة التف بها
الشجر اي خضرا ناعمة لم تصبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك المؤمن قد
اجير ان تصيبه شيء من الفتن وقد ابتلى الله فيها فثبته بها فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر وان ابتلى
صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات نور على نور فهو

يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة
الى الجنة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه
النار فاذا مسته النار ازداد ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم
ازداد هدى على هدى ونورا على نور كقول ابرهيم قبل ان تجيئه المعرفة هذا ربي حين راى الكوكب من غير
ان اخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه ربه ازداد هدى على هدى نور على نور اي ايمان المؤمن وعمله الحسن
هذا مثل القران في قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص كذلك القران يهتدى
به ويؤخذ ويعمل به فالمصباح هو القران والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة
شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد حجة القران يتضح وان لم يقرأ وقيل يكاد حجج الله على خلقه
تضيء لمن تفكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القران نور على نور اي القران نور من الله على خلقه مع ما قد اقام لهم
من الدلائل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور ثم اخبر تعالى ان هذا النور المذكور
عزيز فقال تعالى يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس تقريبا للشيء الذي اراده الى
الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك على الانام والله بكل شيء عليم فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم قال الامام
الغزالي قد تبين ان القوى المدركة انوار ومراتب القوى المدركة الانسانية خمسة احديها القوة
الحاسية وهي التي تتلقى ما يورده الحواس الخمس وكانها اصل الروح الحيواني اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو
موجود للصبي الرضيع وثانيها القوة الخيالية وهي التي تستثبت ما اورده الحواس وتحفظه مخزونا عنده
لتعرضه على القوة العقلية عند الحاجة اليها وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعها
القوة الفكرية وهي التي تاخذ المعارف العقلية فتالفها تاليفا يستنتج من تاليفها علما بالمجهول وخامسها
القوة القدسية التي يختص بها الانبيا وبعض الاوليا ويتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملكوت واليه
الاشارة بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات
وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور الخمسة التي ذكرها الله وهي المشكاة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصته وجدت انواره خارجة من ثقب
كالعينين والاذنين والمنخرين فاوفق مثال له من عالم الاجسام المشكاة واما الثاني وهو روح الخيال
فله خواص ثلثة الاول انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحيز من شانه
العلايق الجسمانية ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي هي العقليات الكلية المجردة والثاني
ان هذا الخيال الكثيف اذا صفا ورق صار موازنا للمعارف العقلية ومؤديا لانوارها وكذلك فان
المعبر يستدل بالصور الخيالية على المعاني العقلية كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير

وعن

وعن يختم فروج الناس وافواههم على انه مؤذن يؤذن قبل الصبح والثالث ان الخيال في البداية يحتاج
اليه ليضبط بها المعارف العقلية ولا يضطرب وانت لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال في هذه
الصفات الثلاثة الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفا ورق حتى لا يحجب نور المصباح
بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه من الانطفاء بالرياح واما الثالث وهو القوة العقلية القوية على ادراك
الماهيات الكلية والمعارف الالهية ولا يخفى عليك وجه تمسكه بالمصباح واما الرابع وهو القوة
الفكرية فمن خاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة ثم تقسمها الى قسمين كقولنا الموجود اما واجب
واما ممكن ثم يجعل كل قسم من اخرى قسمين وهكذا الى ان ينتهي الى ما لا يقبل القسمة ثم ينتهي بالاخرة
الى نتاج هي ثمرتها فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار
المعارف وثباتها فبالحري ان لا يمثل بشجرة السفرجل والتفاح بل بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو
الزيت الذي هو مادة المصابيح وله من بين ساير الادهان خاصة زيادة الاشراق وقلة الدخان
واذا كانت الماشية التي يكثر درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتي لا نهاية
لمنفعتها وثمرتها اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق
الاجسام فبالحري ان لا يكون شرقية ولا غربية واما الخامس وهو القدسية النبوية فهي في نهاية الشرف
والصفا فان القوة الفكرية تنقسم الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه والى ما لا يحتاج اليه ولا بد من وجود
هذا القسم دفعا للتسلسل فبالحري ان يعبر عن هذا القسم لكماله وصفائه بانه يكاد يضيء ولو لم تمسسه
نار فهذا المثال موافق لهذه الاقسام ولما كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحس
هو الاول وهو كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل فبالحري ان يكون المشكاة كالمصباح
للزجاجة التي هي كالظرف للا سلام وبعض الفضلا نزل هذه الامور الخمسة على مراتب النفس
الانسانية فقال لا شك ان النفس الانسانية قابلة للمعارف الكلية والادراكات المجردة
ثم انها في اول الامر تكون خالية عن جميع المعارف فهناك يسمى عقلا هيولانيا وهي المشكاة
ويتلوها قوة ثانية تحصل لها عند حصول المعقولات الاولى نسبها لاكتساب الثواني
اما بالفكرة وهي الشجرة الزيتونة ان كانت ضعيفة او بالحدس فهي زيت ايضا ان كانت اقوى
من ذلك فتسمى عقلا بالملكة وهي الزجاجة التي كالكوكب الدري واذا كانت في النهاية القصوى
وهي النفس القدسية التي للانبيا فهي التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم تحصل
بعد ذلك قوة وكمال اما الكمال فان تحصل لها المعقولات بالفعل مشاهدة متمثلة في الذهن
وهو نور على نور ويسمى ذلك الكمال عقلا مستفادا واما القوة فان تكون لها ان تحصل
المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد متى شاءت من غير افتقار الى اكتساب

وهو المصباح وهذه القوة تسمى عقلا بالفعل والذي يخرج من العقل الهيولاني الى العقل بالفعل ومنه الى المستفاد يسمى بالعقل الفعال وهو مدبر ما تحت كرة القمر وهو النار ٥

قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب في بيوت اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده او بمحذوف اما تعلقه بما قبله فقيل بمشكوة والتقدير كمشكوة في بيوت وقيل مصباح في بيوت وقيل زجاجة في بيوت وقيل توقد في بيوت واما تعلقه بمحذوف فكقوله في تسع ايات اي سبحوا في بيوت واما تعلقه بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها وقيل خبر المبتدا والمبتدا هو قوله رجال وقيل متصل بقوله ان ترفع فيذكروا البيوت المساجد عند بعض وعند بعض عام في جميع البيوت قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل هي الكعبة وبيت المقدس ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا وقال السدي بيوت المدينة اذن الله يتناول الايجاب والندب والاباحة فان الاذن في الفعل يتناول اقتضاء الفعل مع الحرية وبدونه والتخيير بين الفعل والترك وهذا اولى من تفسيرا لاذن بالامر واولى الاقوال بالصواب انها المساجد لدلالة هذه الاية على انها بيوت هيئات للصلاة والعبادة فان قيل ما الوجه في توحيد المشكاة والمصباح وجمع البيوت ولا تكون مشكوة واحدة الا في بيت واحد من البيوت قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتتح بالتوحيد ويختتم بالجمع كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوها وقيل رجع الى كل واحد من البيوت وقيل هو مثل قوله وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها ان ترفع ان تبنى قاله مجاهد نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وقال الحسن ان ترفع ان تعظم ما اذن الله فيه ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم وقيل يرفع قدرها وتصان وقيل تطهر من الانجاس والمعاصي وقيل يرفع فيها الحوائج الى الله وقيل يرفع بها الاصوات بذكر الله وتلاوة القرآن ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه وقيل هو توحيد لا اله الا الله وقيل يذكر فيها اسماؤه الحسنى وقيل هو عام في كل ذكر يسبح قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له والباقون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال ورجال فاعل لقوله يسبح ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلوة يدل عليه قوله تعالى بالغدو والاصال بالغداة والعشي قال المفسرون اراد الصلوة المفروضة والصلوة التي تؤدى بالغدو وصلوة الفجر والتي تؤدى بالاصال صلوة الظهر والعصر والعشائين لان اسم الاصال يجمعها والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات قيل وجه تخصيص الرجال

بالذكر في هذه البيوت انه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد لا تلهيهم تجارة قيل انما خص التجارة لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلوات وساير الطاعات ولا بيع ان قيل ان التجارة اسم يقع على البيع والشرى فما معنى ضم ذكر البيع الى التجارة فالجواب عنه قيل التجارة في السفر والبيع في الحضر وقيل التجارة الشرى من قوله اذا راوا تجارة اي شرى فيكون المعنى لا تلهيهم شرى ولا بيع اي رفضوا الدنيا واشتغلوا بذكر الله وقيل التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع

الشرى م

ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع فانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذلك مظنون واما ان يسمي التجارة اطلاقا للاسم الجنسي على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع رابح او شرى عن ذكر الله قيل عن الصلاة وقيل عن ذكر اسمائه تعالى وقيل عن الاذان واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلاة يحذف الهاء الزايدة لاجل الاضافة لان الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الهاء اذا كانت الهاء عوضا من الواو لان اصل الكلمة اقوام فلما اضيفت قامت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحو واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اراد واعدة الامر فاسقط الهاء منها لما اضافها وايتاء الزكوة الحسن الزكوة المفروضة ابن عباس اخلاص الطاعة لله يخافون يوما تتقلب قيل تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقيل تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كان مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر وقيل تتقلب فيها القلوب والابصار على جمر جهنم من حال الى حال وقيل تتقلب القلوب ابلوغ الى الحناجر وتقلب الابصار نظرها الى حيث يؤتى كتابها والى حيث تساق اليه وقيل انقلاب الابصار الى الزرقة وقيل تقلب القلوب الايمان بعد الكفر وتقلب الابصار معاينة ما كان يزعم انه لا يراه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله احسن

ثوابهم ص

ما عملوا اي انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة ليجزيهم الله احسن ما عملوا وقيل احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحونه ويخافونه ليجزيهم مضاعفا ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوه باعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب وقيل بغير حساب اي لا يحاسبه على ما يعطيه في الدنيا وقيل يعطيه ما لا ياتي عليه الحساب وقيل من غير حساب اي من حيث لا يحتسب **قوله تعالى** والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد

يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور لما بين حال المؤمن انه في الدنيا يكون في النور
وبسببه يكون متمكنًا من العمل الصالح ثم بين انه في الاخرة يكون فائزًا بالنعيم المقيم والثواب
العظيم اتبع ذلك بان بين ان الكافر في الاخرة يكون في اشد الخسران وفي الدنيا في اعظم انواع
الظلمات وضرب لكل واحد منهما مثلًا السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب
على وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة بقاع وهو المنبسط المستوي من الارض وقيل البقيعة جمع
قاع كجيرة في جار يحسبه يظنه الظمآن العطشان ماء وخص الظمآن بالذكر لشدة حاجته الى الماء
حتى اذا جاءه اي جاء ما توهمه انه ماء لم يجده شيئًا قيل لم يجده كما ظنه وقيل جاء الى الموضع الذي ظن
ان فيه الماء فاكتفى بذكر السراب عن موضعه ووجد الله عنده شبه ما يعمله الكافر بسراب اي كذلك
الكافر اذا جاء عمله الذي ظن انه ينفعه فلم يجده نافعًا كما ظن الله وقيل شبه ما يعمله من لا يعتقد
الايمان ولا يعتقد الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم
يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة
فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعًا وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا وقيل ووجد الله عنده اي عند الكافر اي جزاء الله وقيل وجد الله
محاسبًا اياه وقيل وجد الله عنده يريد الموت ووجد بعد تقدم الجمع حملًا على كل واحد من الكفار وقيل
وجد الله بالمرصاد عند ذلك فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيًا كاملًا والله سريع الحساب
اذا حاسب فحسابه سريع وقيل هو قريب زمان الحساب وقيل القيمة قيل نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات او للتخيير
على تقدير شبه اعمال الكفار بايهما شئت وتقدير الاية او كصاحب ظلمات في بحر لجي عظيم اللجة وقيل عميق
واللجة البحر المكان الذي يكثر فيه الماء ويستدير وقيل البحر الواسع الذي لا يرى ساحله اللجي البحر الكثير
الموج وقيل اللجي البحر العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر يغشاه موج يعلوه موج وقيل
يغشى البحر وقيل صاحب الظلمات من فوقه اي يعلو فيغطيه موج من فوقه موج اي من فوق الموج موج آخر
وقيل الموج الثاني المرتج وقيل بعد موج من بعد موج اي موج يتبع بعضه بعضًا من فوقه سحاب اي
من فوق الموج الثاني سحاب قد غطى النجوم التي يهتدى بها ظلمات بعضها فوق بعض اي هذه ظلمات بعضها
فوق بعض يعني ظلمة البحر وظلمة الموج الاول وظلمة الموج الذي فوقه الموج وظلمة السحاب قرا ابن كثير
سحاب ظلمات مضافًا اذا اخرج يده لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلًا ان يراها
ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح

فما الله

فما له من نور قال المفسرون اراد بالظلمات اعمال الكفار وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل
والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب في هذه الاية الكافر يتقلب
في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيمة
الى النار وقيل شبه اعمالهم اولًا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئًا
ولم يكفه خيبة وكمدًا ان لم يجده شيئًا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية يعتلونه الى النار
ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيًا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات
متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومن لم يجعل الله له نورًا اي من لم يهده الله فلا ايمان له وقيل
فلا هادي له وقيل من لم يجعل الله له هداية فما له ما يهتدي به على وجه من الوجوه وقيل لم يجعل الله
له في الاخرة سبيلًا ودليلًا الى النجاة فلا سبيل ولا نجاة له وقيل من لم يرزقه الله هدى من الضلالة
ومعرفة بكتابه فما له ايمان ومعرفة قال صاحب الكشاف ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو
في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات انما ترادف الايمان والعمل او كونهما مترتبين
الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله يضل الله الظالمين **قوله تعالى**
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله
عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير لما وصف انوار قلوب المؤمنين
وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد الم تر اي الم تعلم علمًا يقوم مقام الرؤية وقيل هذا
تنبيه اي تنبيه والطير صافات يصففن اجنحتهن في الهواء اي باسطات اجنحتهن في الهواء يريد
في تلك فان الاعجوبة فيها اكثر وانما خص الطير بالذكر لانها تكون بين السماء والارض اذا طارت فهي خارجة
عن جملة من في السموات والارض كل اي كل واحد منهم قد علم صلاته الضمير فيه لكل او لله صلوته وتسبيحه
الضمير الذي اضيف اليه الصلاة والتسبيح لكل او لله وقيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لغيرهم من الخلق
والمعنى قد علم الله صلوة المصلي وتسبيحه وقيل قد علم المصلي والمسبح صلوة نفسه وتسبيحه اي قد عرف
ما كلف من ذلك وقيل قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه اي علم ان ذلك لله وحده اي لكل واحد من الطير
وغيرها من البهائم والحشرات تسبيح وصلوات تليق به يسبحون الله ويصلون له لا نقف على ذلك
وقيل تسبيحه وصلوته دلالته على وحدانية الله فالمطيعون لهم تسبيحان تسبيح عمل وتسبيح
دلالة وقيل صوت كل شيء تسبيحه وحركته صلواته والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض
اي خالقهما ومقدرهما ومدبرهما ومصرف احوالهما كما يشاء والى الله المصير مرجع كل ملك ومخلوق
قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى
الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه

عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
الم تر ان الله يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها سحابا يكون
واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ثم يؤلف بينه ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز
بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل ثم يجعله ركاما متراكما بعضه
فوق بعض ركمت المتاع وغيره اذا وضعت بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من اثنائه
من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال وجبل وينزل من السماء من لابتداء الغاية ومن السما في محل النصب
على الظرف من جبال من ايضا لابتداء الغاية وجبال بدل من السماء بدل البعض من الكل فيها اي في
السماء من برد ليتبين ان الجبال من البرد والمعنى من السماء من جبال من برد يتخذ وعنها البرد
على السحاب ثم على الارض فيكون المفعول محذوفا اي ينزل من جبال السما بردا وقيل من الثانية للتبعيض
في موضع المفعول بدو الثالثة للتبيين كانه بين تلك الجبال ومحله رفع كانه قيل وينزل من السماء جبالا
فيها برد وقيل المراد بالجبال التكثير والتعظيم لا التي هي خلاف السهل وقيل السماء السحاب والجبال
العظام من السحاب وقيل الجبال ما جبله الله من البرد اي خلقه وكل جسم شديد جبل ومنه الجبلة
والبرد ما جامد خلقه الله في السحاب ثم ينزله وقيل يصير في الهواء بردا قال ابن عباس البرد الثلج فيصيب
به اي بالبرد من يشاء اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه ضوءه
قال قتادة لمعان برقه وسنا كل شي برقه وضوءه والسنا الممدود المجد واصلهما من الرفعة يقال اسنيت
النار اسناء وسنا البرق يسنو اسناء وسني الرجل سناء وقيل سنا برقه صوت برقه فيكون فوق البرق
دليلا على تكاثف السحاب ونذيرا لقوة المطر ومحذورا من نزول الصواعق تذهب بعيون الناظرين
اليه والنظر الى عين الشمس والى البرق مضر بالبصر يقلب الله الليل والنهار اي بما يزيد في احدهما
ينقص من الاخر وقيل هو ان ياتي بالليل بعد النهار وبالنهار بعد الليل وقيل تغيير النهار بظلمة السحاب
تارة وبضوء الشمس اخرى وتغيير الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر اخرى ان في ذلك فيما تقدم
من السحاب وما يظهر منه لعبرة لاولي الابصار لعظة لارباب البصائر عن ابي جعفر المدني
وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير
بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث
فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته
ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل
والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته
ودلايل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر قال صاحب الكشاف فان قلت متى راى

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل
المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق
الوحي **قوله تعالى** والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على
بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء
قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون ٥ استدل
اولا باحوال السماء والارض وثانيا بالاثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات قرا حمزة والكسائي
والله خالق كل دابة بالاضافة والباقون والله خلق كل دابة من ماء من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة وقيل خلق كل دابة من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة
ومنها بهائم ٥ فمنها هوام ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقيل انما قال
من ماء لان اصل الخلق من الماء ثم قلب بعض الماء الى الريح فخلق منها الملائكة وبعضه الى النار فخلق
منها الجن وبعضه الى الطين فخلق منه آدم عليه السلام فمنهم ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز
وغير المميز غلب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم من يمشي على بطنه
كالحيات والحيتان والديدان ومنهم من يمشي على رجلين كالجن والانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
قوائم كالانعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على اكثر من اربع لانه كالذي يمشي على اربع
في راي العين قال صاحب الكشاف فان قلت ما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي
قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء
وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط وانما جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب
لانه قدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم
الماشي على اربع وسمي الزحف على البطن مشيا على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر
قد مشى هذا الامر وفلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر
مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين يخلق الله ما يشاء
كما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
الى دين الاسلام وقيل الى طريق الجنة وقيل هذه متصلة بالاولى اي والله يهدي من يشاء
من الخلق من الماء الى الاسلام ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى يعرض عن الايمان

فريق منهم من بعد ذلك اى من بعد قولهم امنا بالله وبالرسول وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى
القائلين امنا واطعنا والى الفريق المتولى منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف
عنهم الايمان لا الفريق المتولى وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولى لم يكن ما سبق لهم من الايمان
ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة
يقين لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين
عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا نزلت هذه الايات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما
في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب
بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا فذلك قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اى واذا دعوا
الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد اعجبني زيد وكرمه تريد اعجبني كرم زيد ومنه قوله
غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا وروى ان المغيرة ابن وائل كان بينه وبين علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه
يبغضني واخاف ان يحيف علي ليحكم بينهم اى ليحكم الرسول بينهم بحكم الله اذا فريق منهم معرضون
وقيل فاجاء من فريق منهم الاعراض وان يكن لهم الحق اى لهم الحق لا عليهم ياتوا الى رسول الله فاليه
صلة ياتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى وقيل اليه يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة
وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق
المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك
عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب
لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى
القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه وقيل افي قلوبهم مرض شك
ونفاق وقيل بغض وعداوة لله ورسوله ام ارتابوا ام كانوا مخلصين ثم راوا منك امرا اورابهم
واورثهم تهمة ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ام حوزوا في انفسهم ان يميل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض حكمه فخافوك وعدلوا من حكمك لواحد من هذه الثلاث وجاء بلفظ
الاستفهام لانه ابلغ في التوبيخ ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اى لا يخافون
ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك
شي لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ياتون المحاكمة اليه **قوله
تعالى** انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا

واطعنا

واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم
الفائزون ثم نعت المؤمنين فقال انما كان قول المؤمنين قيل ليس هذا بخبر ماض وانما المعنى
انما كان ينبغي ان يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم
بينهم بحكم الله الذي امر به في القران ان يقولوا سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم واطعنا امره
واولئك هم المفلحون الفائزون الباقون في النعيم المقيم ومن يطع الله ورسوله قيل يطع الله
في الفرائض ورسوله في السنن ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بعد ان يعصيه قرا ابن
كثير وحمزة والكسائي وورش عن نافع ويتقهي موصولة بياء وروى قالون عن نافع ويتقهِ بكسر الهاء
لا يبلغ بها الياء وقرا ابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويتقه جزما ولقد جمع الله في هذه الاية اسباب
الفوز وعن بعض الملوك سال عن اية كافية فتليت له هذه الاية **قوله تعالى**
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما يعملون
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك ان اقمت
اقمنا وان خرجت خرجنا وان جاهدت جاهدنا واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد يمينه مستعار من جهد
نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك انه اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس
من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهدا اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه
مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم
لئن امرتهم بالخروج الى الغزو ليخرجن وقيل بالخروج من الديار ليخرجن منها قل يا محمد لهم لا تقسموا انكم
تكذبون في القسم وذلك معصية طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف اى امركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة المؤمنين المخلصين الذين وافق باطن امرهم ظاهره
وطابق سرهم علانيتهم لا الايمان يقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة
بانها بالقول دون الفعل او مبتدا محذوف الخبر اى معروفة امثل واولى من هذه الايمان الكاذبة ان الله
خبير بما تعملون من طاعتكم ومخالفتكم لا يخفى عليه شي من سرايركم وانه يفضحكم لا محالة ومجازيكم على
نفاقكم **قوله تعالى** قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين صرف الكلام
عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم فان تولوا عن طاعة الله ورسوله
والاذعان وطاعته ومتابعته فان لم تطيعوه وتوليتم فقد اعرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه
وان تطيعوه تهتدوا الى الحق والرشد والجنة فالنفع بطاعتكم والضرر بمعصيتكم عايدان اليكم
وما على الرسول الا البلاغ الظاهر والمظهر لما فيه نفعكم وضرركم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى

التأويل قيل معنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات **قوله تعالى**
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون تقديرا لنظم بلغ ما بها
الرسول وأطيعوا يا أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أي الذين جمعوا بين الإيمان
والعمل قيل المراد به المهاجرون ولهذا قال منكم وقيل هو عام ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة
الفتح ليستخلفنهم إنما دخل اللام لجواب القسم المضمر لأن الوعد قول تقديره قال الله للذين آمنوا
وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الأرض أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم
وينصرهم على الكفار ويجعلهم فيها خلفاء وملوكها وسواسها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني إسرائيل حين أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم واستخلفهم فيها
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وليبدلنهم
قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بسكون الباء وتخفيف الدال والباقون بفتح الباء وتشديد الدال
وهما لغتان وقيل التبديل تغيير حال إلى حال والإبدال رفع شيء وجعل غيره مكانه من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني قيل استئناف لا محل له من الإعراب كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال
يعبدونني وقيل حال عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم ومحله النصب لا يشركون
بي شيئا أي عابدين غير مشركين به ومن كفر بعد ذلك وارتد وقيل ومن كفر بهذه النعمة لقوله فكفرت
بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث ارتدوا وكفروا تلك النعمة العظيمة
قال أبو العالية في هذه الآية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة عشر سنين خائفين
يدعون إلى الله سرا وعلانية ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة فكانوا خائفين يصبحون في السلاح ويمسون
فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة
العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا
ثم خرج الذين خلاف سيرتهم وتجبروا وكفروا بهذه النعمة وقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه
فغير الله تعالى ما بهم وأدخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم عن مقاتل لما رجع النبي صلى الله عليه
وسلم من الحديبية حزن أصحابه فأطمعهم الله نخل خيبر ووعدهم أن يدخلوا العام المستقبل
مكة آمنين وأنزل الله هذه الآية وفيها دلالة واضحة على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وإمامة الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلافة

الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا أمسك خلافة أبي بكر سنتين وأشهر وعمر عشرا
وعثمان ثنتي عشرة سنة إلا أشهرا وعلي ستة رضوان الله عليهم وعن جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي في أمتي في أربع في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله
عنهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير
ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها **قوله تعالى**
وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وأقيموا الصلاة معطوف على
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال
لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها **قوله
تعالى** لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس
المصير لا تحسبن قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم لا يحسبن بالياء وفتح السين
والباقون بالتاء وكسر السين أي لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين في الأرض تقول
أعجزه جعله عاجزا أو نسبه إلى العجز أو وجده عاجزا فالخطاب للنبي عليه السلام وهو الفاعل
والذين كفروا المفعول الأول ومعجزين المفعول الثاني وذكروا لقراءة الياء أوجها منها أن تكون معجزين
في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل
ذلك ومنها أن يكون فيه ضمير الرسول عليه السلام لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول ومنها أن تكون
الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان الذي سوغ ذلك
أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم
النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد
بهم المقسمون جهد أيمانهم **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم
الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله
عليم حكيم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك
يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن
جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم
ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج
بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته

ذلك فقال برسول الله وددت لو ان الله امرنا ونهانا في حال الاستيذان فنزلت هذه الاية وقال مقاتل نزلت هذه الاية في اسما بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فانزل الله الاية قيل ظاهر الخطاب للرجال والمراد به الرجال والنساء تغليبا للتذكير على التانيث قال الامام والاولى ان يقال الخطاب للرجال والحكم ثابت للنساء بقياس جلي لان النساء في باب حفظ العورة اشد حالا من الرجال يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امران يستاذنكم الذين ملكت ايمانكم عن ابن عمر رضي الله عنهما انه اراد الذكور دون الاناث وقيل اراد الذكور والاناث ومعنى الكلام ليستاذنكم مماليككم الدخول عليكم قال ابو يعلى والاظهر ان يكون المراد العبيد الصغار والاما الصغار لان العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر الى مولاته فكيف يضاف الى الصبيان الذين هم غير مكلفين والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار منا الذكور والاناث ثلاث مرات ثلث اوقات في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة للقايلة ومن بعد صلاة العشا لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وانما خص هذه الاوقات لانها ساعات الغفلة والخلوة ووضع الثياب والكسوة ثلاث عورات لكم سمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل بسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين قرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب على ان يكون بدلا من ثلاث والباقون بالرفع اي هذه الاوقات هي ثلاث عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فربما بدت عورته والاوقات ليس عورات ولكن المعنى انها اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب باعراب المحذوف ليس عليكم ولا عليهم ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات اي ليس عليكم ايها المومنون الاحرار ولا عليهم اي الخدم والاطفال والعبيد جناح عليكم في الدخول بغير اذن بعدهن اي بعد هذه الاوقات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني انهم بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام يخرجون ويدخلون ويذهبون ويجيون ويترددون في احوالهم واشغالهم بغير اذن بعضكم يطوف على بعض على بعض فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج واذا رفع ثلاث عورات كان ليس عليكم في محل الرفع على الوصف المعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت ثلث عورات لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة وبعضكم مرفوع بالابتدا وخبره على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بطوف مضمرا لتلك الدلالة كذلك مثل بيان الاحكام في هذه الاية يبين الله

لكم

لكم الايات الامر والنهي والله عليم فيما امركم حكيم فيما يدبر واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم فليستاذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الذين بلغوا الحلم من قبلهم او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم بالدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرر الكلام تاكيدا واضاف اليه سبحانه تخصيصا واكثر العلما على ان هذه الاية محكمة وحكي عن سعيد بن المسيب انها منسوخة وعن ابن عباس انه لا يومن بها اكثر الناس اية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطا استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال ابو حنيفة السن الذي يحكم فيها بالبلوغ ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلما على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يحضن ولا يلدن واحدتها قاعدة اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن في الزوج واليسن من البعولة فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب الذي فوق الخمار والملحفة عند الرجال غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة خفية وهي التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن وقيل غير متبرجات اراد غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وان يستعففن فيلبسن جلابيبهن خير لهن من الوضع والتكشف لما ذكر الجايز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم والله سميع لكل ما يقال عليم بما يقصد وينوى

قوله تعالى

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم

او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون قال
ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى
والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر
موضع الطعام الطيب والمريض لا يستوفي الطعام فنزلت هذه الاية سعيد بن المسيب ان ناسا
كانوا اذا خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم وكانوا
يامرونهم ان ياكلوا مما في بيوتهم اذا احتاجوا وكانوا يتقون ان ياكلوا منها ويقولون نخشى ان لا يكون انفسهم
بذلك طيبة فنزلت هذه الاية سعيد بن جبير والضحاك ان العرجان والعميان كانوا يتنزهون عن مواكلة
الاصحاء لان الناس يتقذرونهم فنزلت هذه الاية مجاهد ان قوما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا اذا لم يكن عندهم ما يطعمون المريض والزمن ذهبوا به الى بيوت آبائهم وامهاتهم وبعض من سمى
الله في هذه الاية فكان اهل الزمانة يتحرجون من ان ياكلوا ذلك الطعام لانه اطعمهم غير مالكه فنزلت هذه الاية
الحسن وابن زيد انها نزلت في اسقاط عن اهل الزمانة المذكورين في الاية فعلى القول الاول يكون معنى الاية
ليس عليكم في الاعمى حرج ان تاكلوا معه ولا في الاعرج وتكون على بمعنى في وكذلك يخرج معنى الاية على كل قول
بما يليق به وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون الى ان آخر الكلام ولا على المريض حرج وان ما بعده مستانف
لا تعلق له به وهو يقوي قول الحسن وابن زيد وانما لم يذكر الاولاد لانه دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم
لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان
سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى او ما ملكتم مفاتحه قيل اموال الرجل اذا كان له
عليها قيم او وكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده
وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه او صديقكم اي بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا
وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره اذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا
سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم متكئون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه
سرورا وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه
وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر
بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة
النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال

على رمي

على رمي المالك تمام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن
صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا متفرقين قيل نزلت في حي من كنانة يقال
لهم بنو الليث بن عمرو كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل الطعام وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه
من الصباح الى الرواح فان لم يجد من يواكله اكل فانزل الله هذه الاية عكرمة وابو صالح نزلت في قوم
من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤوا بالسلام على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وقيل ليسلم
بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم تحية من عند الله نصب على المصدر لان تحيون انفسكم بها
تحية وقيل تحية انتصب بسلموا لان معناه معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا وقيل على الحال بمعنى تفعلونه
تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب حياة وسلامة للمسلم
عليه والمحيي من عند الله مباركة طيبة وصف التحية بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها
من الله عز وجل زيادة الخير وطلب الرزق عن ابن عباس السلام اسم من اسماء الله فافشوه بينكم فان الرجل
المسلم اذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بذكره اياهم بالسلام فان لم يردوا
عليه رد عليه من هو خير منهم واطيب وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف احدكم
على المجلس فليسلم فان بدا له ان يقعد فليقعد واذا قام فليسلم فان الاولى ليست باحق من الاخرى
وعن ابن عباس ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن انس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته
لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب على يديه الماء فرفع راسه وقال الا اعلمك ثلاث خصال
تنتفع بها في الدنيا قلت بابي وامي يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار وعن ابن عباس
في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين كذلك اي كما بيناها هاهنا نبينها في غيره وقيل كما دلكم وقيل كما فصل لكم
وقيل اذا فرض شيء عليكم بينه هذا التبيين لعلكم تعقلون لكي تعقلوا وتفهموا وقيل لتكونوا عقلاء
صالحين

قوله تعالى

انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله
غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا

فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ٥ اراد الله
عز وجل ان يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كانوا معه على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت او صلوة جمعة او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا
لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعظيما له فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب
له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته
بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان
كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه
ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان يأذن له
والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر به على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور
في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه
وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي
راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم
في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم الامر في الاستيذان مع العذر
المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار
للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه
قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة
او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله بحيث يراه فيعرف رسول الله انه انما قام ليستاذن
فيأذن لمن شاء منهم فالامر اليه في ذلك وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير اليه بيده
وقيل لذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في
نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على
حسب ما اقتضاه رأيه لا تجعلوا دعاء الرسول عن ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه
فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره مجاهد وقتادة لا تدعوه ولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يدعو
ويسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن شرفوه وفخموه وقولوا
يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض واللين والتواضع وقيل اذا احتاج

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا
تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وقيل لا تجعلوا
دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما
رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون
التسلل الخروج من الشيء وكذلك الانسلال والتدرج والتدخل لواذا ملاوذة وانه يلوذ هذا
بذاك وذاك بهذا اي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض
ولواذا حال اي ملاوذين وقيل انه في حفر الخندق كان المنافقون ينصرفون بغير امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مختفين وكان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن
له معه فليحذر الذين يخالفون يصدون عن امره دون المؤمنين يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه
دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
والذين يخالفون هم المنافقون فحذف المفعول لان المراد ذكر المخالف عنه والضمير في امره لله والمخالف
سبحانه وتعالى او للرسول والمعنى عن طاعته ودينه ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم
عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس فتنة وقتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط
عليهم سلطان جائر وعن الحسن ثلاثة تظهر مما في قلوبهم من النفاق والاية تدل على ان ظاهر الامر للوجوب
وجه الاستدلال ان تارك المامور به مخالف له والمخالف مستحق العقاب فتارك المامور به مستحق
العقاب وانما قلنا تارك المامور به مخالف لذلك الامر لان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه
والمخالفة ضد الموافقة وكانت مخالفة الامر عبارة عن الاخلال بمقتضاه فتارك المامور به مخالف
والمخالف يستحق العقاب لقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم مخالف الامر بالحذر عن العقاب والامر بالحذر عن العقاب انما يكون بعد قيام المقتضي
لنزول العقاب فثبت ان مخالف امر الله او امر رسوله قد وجد في حقه ما يقتضي نزول العذاب
فان قيل لا نسلم ان تارك المامور به مخالف للامر قوله موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه
ومخالفته عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا لا نسلم ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه
فما الدليل عليه ثم انا نفسر موافقة الامر بتفسيرين احدهما ان موافقته عبارة عن الاتيان
بما يقتضيه الامر على الوجه الذي يقتضيه لان الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي به
على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة للامر الثاني ان موافقة الامر عبارة عن الاعتراف بكون ذلك
الامر حقا واجب القبول فمخالفته تكون عبارة عن انكار كونه حقا واجب القبول سلمنا ان ما ذكرته
يدل على ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه لكنه معارض بوجه آخر فانه لو كان ترك المامور به

مخالفة الامر لكان ترك المندوب مخالفة لامر الله وذلك باطل والا لاستحق العقاب على ما بينّموه
في المقدمة الثانية سلمنا ان تارك المامور به مخالف للامر فلم قلت ان مخالف الامر مستحق العقاب اما
قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره فلا نسلم ان هذه الاية دالة على ان من يكون مخالفا للامر
بالحذر بل هي دالة على الامر بالحذر عن مخالفة الامر سلمنا ذلك لكنها دالة على امر من يكون مخالفا للامر
بالحذر عن مخالفة الامر فلم قلت مخالف الامر يلزمه الحذر فان قلت لفظة عن زايدة فنقول الاصل في الكلام
عدم الزيادة لا سيما في كلام الله تعالى فلم قلت يجب عليه الحذر عن العقاب اقصى ما في الباب انه ورد
الامر به لكن لم قلت ان الامر للوجوب وهذا اول المسلة فان قلت هب انه يدل على الوجوب لكن
لا بد وان يدل على حسن الحذر انما يكون بعد قيام المقتضي لزوال العذاب قلنا لا نسلم ان حسن الحذر مشروط
بقيام المقتضي لزوال العذاب بل الحذر يحسن عند احتمال نزول العذاب ولهذا يحسن الاحتياط وعندنا
مجرد الاحتمال قايم لان هذه المسلة احتمالية لا قطعية سلمنا دلالة الاية على وجود المقتضي لزوال
العذاب لكن لا في كل امر بل في امر واحد لان قوله عن امره لا يفيد الا امرا واحدا وعندنا ان امرا واحدا
يفيد الوجوب فلم قلت ان كل امر كذلك سلمنا ان كل امر كذلك لكن الضمير في قوله عن امره يحتمل عوده الى الله
وعوده الى الرسول فانه لا يدل الا على ان الامر للوجوب في حق احدهما فلم قلت انه في حق الاخر كذلك
الجواب قوله لم قلتم ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه ان العبد اذا امتثل
امر السيد حسن ان يقال لهذا العبد موافق للسيد ويجري على وفق امره ولم يمتثل امره يقال انه ما (واذا)
وافقه بل خالفه وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضرورة من اهل اللغة فثبت ان موافقة الامر
عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه فنقول لا شك ان مقتضى الامر هو الفعل لان
قوله افعل لا يدل الا على اقتضاء الفعل فاذا لم يوجد الفعل لم يوجد مقتضى الامر فلا يوجد الموافقة فوجب
حصول المخالفة لانه ليس بين الموافقة والمخالفة واسطة قوله الموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك
الامر حقا واجب القبول قلنا هذا موافقة الامر بل يكون موافقة للدليل الدال على ان ذلك الامر حق فاذا
دل الدليل اما الامر فلما اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عما يقرر ذلك الدخول
وادخاله في الوجود يقتضي تقرير دخوله في الوجود كانت موافقة الامر عبارة عن فعل مقتضاه قوله
لو كان كذلك لكان ترك المندوب مخالفة لامر الله يوجب ان يكون مستحقا للعقاب قلنا هذا الالزام
انما يصح ان لو كان المندوب مامورا به وهو ممنوع قوله لم لا يجوز ان يكون قوله فليحذر امرا بالحذر
عن المخالف بامر للمخالف ما يحذر قلنا لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر المتسللون لواذا عن الذين
يخالفون عن امره وحينئذ يبقى قوله ان تصيبهم ضايعا لان الحذر ليس فعلا يتعدى الى مفعولين قوله
كلمة عن زايدة قلنا ذكرنا اختلاف الناس فيها في المسلة الاولى قوله لم قلتم فليحذر على وجوب الحذر

عن العقاب

عن العقاب قلنا لا تعدى وجوب ما يقتضي وقوع العقاب قوله لم قلت ان الاية تدل على ان كل مخالفة
الامر يستحق العقاب قلنا لانه تعالى رتب نزول العقاب على المخالفة فوجب ان يكون معللا به فيلزم
عمومه لعموم العلة قوله هب ان امر الله او امر رسوله للوجوب فلم قلتم ان الامر كذلك قلنا لان
لا قائل بالفرق الا ان لله المعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وعبيدا او ملكا ومالكا
ودلالة على وجوده وتوحيده وكمال قدرته وحكمته قد يعلم ما انتم عليه فلا يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
يجتهدون في سترها عن العيون واخفايها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم
عن جوابهم والخطاب في قوله ما انتم عليه والغيبة في قوله ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين عن شقيق ابن سلمة شهدت ابن
عباس ولي الموسم فقرأ سورة النور على المنبر وفسرها فلو سمعت الروم لاسلمت ٥ - ٥

سورة الفرقان مكية

وهي سبعة وسبعون اية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثمان مايه واثنتان وتسعون
كلمة وثلاثة الاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيمة وهو يوقن بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور ودخل الجنة بغير حساب ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره
تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا تبارك مطاوع بارك فاعل من واحد من البركة وهي كثرة الخير
وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وافعاله وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره وكذلك لم يتصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل
قيل معناه كثرت بركاته ومن جملتها تنزيل الكتاب الذي هو الفرقان وهو مصدر فرق بين الشيئين اذا
فصل بينهما وسمي القرآن به لفصله بين الحق والباطل وقيل لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا
مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال قال الله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون عبده او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا
او مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار الذي له في محل الرفع على الابدال من الذي نزل او على المدح او في محل
النصب على المدح وما فصل بين البدل والمبدل منه بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له
فكان المبدل منه لم يتم الا به ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق

اى احدث كل شىء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان
على هذا الشكل المقدر المسوى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى بابى الدين والدنيا
وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة
لما قدر له غير متجاف عنه وقيل سمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير
تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل
واوجد كل شىء فقدره فى ايجاده لم يوجد متفاوتا وقيل جعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد
معلوم واتخذوا اى عبدة الاوثان من دونه من دون الله آلهة لا يخلقون لا يفتعلون شيئا والخلق
بمعنى الافتعال كما فى قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى واتخذوا من دون
الله آلهة وآثروا على عبادة الله آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شىء من افعال الله ولا من
افعال العباد حيث لا يفعلون شيئا وهم يخلقون يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير
ولا يملكون اى لا يستطيعون لانفسهم ضرا اى دفع ضر عنها ولا نفعا ولا جلب نفع اليها وعبدتهم
يستطيعون على سبيل الكسب واذا عجزوا عن الافعال ودفع الضر وجلب النفع التى يقدر عليها
العباد على وجه الكسب كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها الا الله اعجز ولا يملكون
موتا اماتة ولا حياة ولا احياء ولا نشورا ولا احياء بعد الموت **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا
وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا وقال الذين كفروا يعنى النضر بن
الحارث واصحابه ان هذا ما هذا القرآن الا افك كذب مصروف عن وجهه هو اسوأ الكذب
افتراه اختلقه محمد واعانه عليه قوم اى اعان محمدا قوم آخرون هم اليهود قاله مجاهد وعن الحسن
عبيد بن الحضرمى الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس مولى حويطب بن عبد العزى اى هم يلقون
اخبار الامم اليه وهو يعبر عنها بعبارته وقيل اراد بقوله قوم آخرون المؤمنين لان آخر لا يكون
الا من جنس الاول فاجابهم الله وقال فقد جاءوا يعنى قائلى هذه المقالة ظلما قيل بظلم وزور ظلموا فيما
قالوا وزورا والتزوير الكذب فى الشهادة وجاء يستعمل فى معنى فعل فيتعدى تعديته اى فعلوا
ظلما وزورا وقيل معنى جاءوا وردوا اى وردوا ظلما كما يقول جئت المكان وظلمهم ان جعلوا العربى
يتلقى من العجمى كلاما اعجز بفصاحته جميع العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو برئ منه اليه
وقيل هذا من كلام الكفار والتفسير فجاءوا يعود الى قوله قوم آخرون وقالوا اى الكفار اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها
امر بكتبها لنفسه واخذها وقيل المعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام

اعجازه

اعجازه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل اكتتبها فهى تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت
فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهى تملى عليه او كتبت له وهو امى فهى تملى عليه من كتابه ليحفظها لان
صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب بكرة اول النهار واصيلا آخر النهار وقيل قبل ان ينتشر الناس وحين
ياوون الى مساكنهم وقيل اراد دائما **قوله تعالى** قل انزله الذى يعلم السر فى السموات
والارض انه كان غفورا رحيما قل يا محمد لهم انزله اى القرآن الذى يعلم السر اى كل سر خفى فى السموات
والارض ومن جملته ما تسرون انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه انه
كان غفورا رحيما قيل لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة
والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب
صبا لكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل **قوله تعالى** وقالوا ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون
له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا وقالوا اى الكفار ما لهذا الرسول هذا استهانة وتصغير لشانه
صلى الله عليه وسلم وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه
قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون يأكل الطعام اى ان صح انه رسول الله فما باله حاله
مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لطلب المعاش كما نمشى يعنون انه كان يجب ان يكون
ملكا مستغنيا عن الاكل و لولا انزل اليه ملك ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا
الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك اى هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يحسنا ندا فى الانذار
والتخويف ثم نزلوا عن اقتراح ان يكون انسانا معه ملك الى اقتراح ان يلقى اليه كنز اى وان لم يكن
مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى المشى فى السوق لطلب
المعاش ثم نزلوا عن اقتراح ان يلقى اليه كنز الى اقتراح ان يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كما
الدهاقين والمياسير او تكون من بستان نخل او جنة والكسائى يأكل بالنون على معنى ان يكون له مزية علينا
فى الفضل بأكلنا من جنته والباقون بالياء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال الظالمون والاصل وقالوا
وضع الظاهر موضع المضمر للحكم عليهم بالظلم فيما قالوا ان يتبعون ما يتبعون ويطيعون الا رجلا مسحورا
سحر فجن وقيل مسحورا له سحر وقيل يسحر بالطعام اى تغذى وقيل مخدوع وقيل ذا سحر وهى الرئة عنوا
انه بشر لا ملك انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فضلوا

متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه قيل فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه **قوله تعالى**
تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا
تبارك تكاثر خيرا الذي ان شاء جعل لك خيرا في الدنيا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة
من الجنات والقصور وقيل خيرا من المشي في الاسواق ثم بين ذلك الخير ما هو فقال جنات تجري من
تحتها الانهار ويجعل لك قصورا قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويجعل بالرفع على الاستيناف
والمعنى سيجعل لك قصورا في الاخرة والباقون بالجزم على معنى ان شاء يجعل لك جنات ويجعل لك
قصورا **قوله تعالى** بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز
ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون
بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن
الحسن انه اسم من اسماء جهنم **قوله تعالى** اذا راتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا اذا راتهم النار واوجههم وصف النار بالرؤية كما وصفها بالكلام في قوله
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وهذا من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله
عليه السلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر
في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك الصوت المتغيظ والزافر وقيل اراد اذا راتهم زبانيتها
تغيظوا وزفروا غيظا على الكفار وشهوة للانتقام منهم **قوله تعالى** واذا القوا
منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن
خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ٥ واذا القوا منها من النار مكانا ضيقا في مكان ضيق
لضيق الزج في الرمح مقرنين مشدودين بالسلاسل والاغلال مع الشياطين وقيل قرنت
ايديهم واعناقهم بالاغلال وارجلهم بالسلاسل والتقرين جمع شي الى شيء في قرن وهو الحبل دعوا
هنالك اي دعوا في ذلك المكان حينئذ ثبورا اي يقولون ثبوراه وقيل يقولون و اي يقال
يا ثبور هذا حينك وزمانك والثبور الهلاك وقيل هو دعاؤهم بالثبور ما ثبوراه يا ويلتاه كانهم
قالوا يا هلاكاه وقيل يا مصرفاه عن طاعة الله يقال ما ثبرك عن هذا الامر اي ما صرفك لا تدعوا اليوم
اي يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وقيل هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول وادعوا
ثبورا كثيرا قيل معنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير
لان العذاب الوان لكل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته وقيل لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا

غيرها

غيرها فلا غاية لهلاكهم وقيل بعثتهم الملائكة لا تقولوا ذلك مرة واحدة بل مرارا كثيرة
لا يأتي عليها الاحصاء ولا تنتهي جلودكم فيها قل يا محمد لهم اذلك اي الذي ذكرت من صفة
النار واهلها خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون وقيل ذلك اشارة الى قوله او يلقى اليه كنز
او تكون له جنة يأكل منها وما قلنا في قوله جعل لك خيرا من ذلك وانما قال اذلك خير ولا خير فيما تقدم
من صفة النار للكفار توبيخا ومثله احسن مقيلا وهذا كما يقال لمن ترك فسادا واقبل على صلاح
اليس هذا خيرا مما انت فيه ولا يقال مبتديا الفساد خير ام الصلاح كانت لهم جزاء ثوابا ومصيرا
مرجعا قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب
وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه
لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وان لا ينغص
وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة
فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء لهم فيها اي في الجنة ما يشاؤن من النعيم خالدين كان ما يشاؤنه
على ربك وعدا موعودا اي واجب التحقق والانجاز بحكم الوعد حقيقا ان يسال ان يطلب وانما قال
كانت وكان لان ما وعد الله فهو في تحققه كانه قد كان وقيل كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان برأهم
بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ولهم فيها ما يشاؤن وقيل وذلك ان المؤمنين سالوا ربهم ذلك
في الدنيا حين قالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك فقال الله تعالى كان اعطاء الله المؤمنين
جنة الخلد وعدا لهم وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسالتهم ذلك اياه وقال بعض اهل
المعاني يعني وعدا واجبا وذلك ان المسؤل واجب وان لم يسال كالدين ونظير ذلك قولك
لاعطينك الفا وعدا مسؤلا بمعنى انه واجب لك فتساله وعن محمد بن كعب القرظي في قوله عز
وجل كان على ربك وعدا مسؤلا قال الملائكة تسال لهم ذلك في قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم **قوله تعالى** ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول
ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد
كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا قرا ابن كثير وحفص عن عاصم يحشرهم بالياء فيهما وابن عامر بالنون فيهما والباقون
بالنون في الاول والياء في الثاني ويوم يحشرهم يعني المشركين وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس
والجن مجاهد عيسى وعزير والملائكة عكرمة والضحاك الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم

جميعًا قيل انما صح استعمال ما في العقلاء لانه موضع على العموم في العقلاء وغيرهم بدليل قولك
اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو وبذلك قولهم لمن لا يعقل
وقيل اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم بذلك على هذا انك تقول اذا اردت السوال عن صفة
زيد ما زيد يعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فيقول ءانتم ايها المعبودون اضللتم عبادي
هولاء العابدين وفايدة ذكر انتم وهم وعدم الاختصار على اضللتم عبادي ام ضلوا السبيل
لان السوال انما هو عن متولي الفعل لا عن الفعل فلا بد من ذكره وايلايه حرف الاستفهام حتى يعلم
انه المسول عنه وفايدة هذا السوال مع سبق علمه تعالى بالمسول عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى
سكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا ويزيد حسراتهم ويكون ذلك نوعا من عذاب الله وعذابه
ويغتبط المومنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اوليك وليكون حكاية ذلك في القران لطفا
للمكلفين ام هم ضلوا السبيل اخطوا الطريق والمعنى ءانتم ايها المعبودون اوقعتم العابدين
في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله فضل وكان القياس ضل عن
السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل
البعير معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه
قيل اضله سوا كان منه فعل اولم يكن قالوا اي المعبودون سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم لانهم
ملايكة وانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه وقيل ان هذا كلام
الاصنام نطقوا سبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق
بحالهم ان يضلوا عباده وقيل وقصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما
ندا ما كان ينبغي اي ما يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتخذ من دونك اي سواك احدا دونك
فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولنا ويعبدونا دونك وقيل معناه ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال
الشياطين فيوليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفر
وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقالوا ولكن متعتهم واباءهم بالاموال
والاولاد والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر اي ذكر الله والايمان به والقران والشرايع فلم
يعملوا بما فيه وكانوا قوما بورا اي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ وقيل البور الهلاك يوصف به الواحد
والجمع فقد كذبوكم الخطاب للعابدين والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون انهم كانوا الهة فما
يستطيع الكفار صرفا اي صرفا العذاب عنهم ولا نصرا اي نصر انفسهم وقيل الصرف الحيلة ومنه
قول العرب انه ليتصرف اي يحتال وقيل الصرف التوبة والنصر الفدية وقيل فما يستطيع المعبودون
صرفا العذاب عنكم ولا نصرا لكم وقيل الخطاب للمومنين فالمعنى فقد كذبكم المغترون بما يقولون ان محمدا

رسول

رسول الله ومن يظلم بالشرك نذقه في الاخرة عذابا كبيرا وهو الخلود في النار وما ارسلنا قبلك
يا محمد احدا من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وهذا جواب لقول
المشركين ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقيل معناه الا قيل في حقهم انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق يدل على ذلك قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ومحنة وابتلا الظاهر هذه الامثلة على العكس فالمريض فتنة
للصحيح والمبتلى فتنة للمعافى والفقير فتنة للغني فيقول المريض لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان
ويقول الفقير لو شا الله لجعلني غنيا مثل فلان وعن ابن عباس اني جعلت بعضكم لبعض بلا لتصبروا
على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير ان اعطيهم عليه الدنيا ولو شيت ان
اجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكن قدرت ان ابتلي العباد بكم وابتليكم بهم وقيل المعنى انه
ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع
اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع
ايكم بعد الابتلا في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وقيل معنى اتصبرون ام لا تصبرون وقيل استفهام
بمعنى الامر اي اصبروا وقيل اتصبرون على هذا فيكون لهم الجنة وكان ربك بصيرا عالما بما يكون منكم
وقيل عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها
سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر
حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنيا فتنة للفقرا لينظر هل يصبرون وانها
حكمة ومشية يغني من يشا ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب
كنوز وجنان لكان   اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون
طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من طمع دنيوي مقاتل نزلت هذه الاية في ابي جهل والوليد بن عقبة
والعاص بن وايل والنضر بن الحارث وذلك انهم لما راوا ابا ذر وابن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا ومن
في طبقتهم قالوا انسلم فنكون مثل هؤلاء بل يرفعوا علينا اذلا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض
قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملايكة او نرى
ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا   وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يطمعون
في الثواب على الاعمال وقيل لا يامنون لقاءنا لا يطمعون في الثواب على الاعمال وقيل لا يامنون لقاءنا
بالخير لانهم كفرة وقيل لا يخافون لقاءنا بالشر والرجا في لغة تهامة الخوف لولا هلا انزل علينا الملايكة
يخبرونا بالصدق ما قاله محمد او نرى ربنا فيخبرنا بذلك نظيرها قوله عز وجل وقالوا لن نؤمن لك الى قوله

او نأتي بالله والملائكة قبيلا لقد استكبروا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا مقاتل علوا في القول والعتو اشد الكفر والفحش في الظلم وقيل معنى في انفسهم انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكثر عتوهم **قوله تعالى** يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يوم نصب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة وهو يوم القيمة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير وقيل منصوب باضمار اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون اي الملائكة للمجرمين حجرا محجورا اي حراما محرما عليكم البشرى بخير وقيل حراما محرما عليكم الجنة وقيل هذا قول الكفار للملائكة اي حرج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة او رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا اي حراما محرما عليكم البشرى بخير وقيل حراما تقاله الكفار حين عاينوا الملائكة هذا مجاهد عوذا معاذا يستعيذون من الملائكة ذكر سيبويه في باب المصادر غير المنصرفة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة ويقول الرجل افعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجر اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وقدمنا ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحو قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عليهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة **قوله تعالى** اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة

تنزيلا

تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرع وصف اهل الجنة اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب روي ان اهل الجنة لا يمر بهم في الاخرة الا قدر ميقات النهار من اوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار وعن ابن عباس في هذه الاية الحساب من ذلك اليوم في اوله وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة روي ان يوم القيمة يقصر على المؤمنين حتى يكون ما بين العصر الى غروب الشمس وانهم ليقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ الناس من الحساب سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزيين ويوم تشقق السماء معطوف على قوله يوم يرون الملائكة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تشقق بالتشديد فادغم التاء في الشين لان الاصل تتشقق والباقون بتخفيف الشين على الحذف السماء بالغمام ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تنشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به والغرق بين ان انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات ان معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها ونزل الملائكة تنزيلا اي وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد الملك يومئذ الحق الثابت الخالص الذي لا يزول للرحمن وبطلت ممالك غيره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه روي ان ابي بن خلف كان يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه من غير ان يؤمن به فزجره عقبة بن ابي معيط عن ذلك وقيل ان عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى رسول الله ان يأكل وقال لا آكل حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فشهد بذلك عقبة فبلغ ذلك ابي بن خلف وكان خليلا فقال صبوت يا عقبة قال لا والله ولكنه ابى ان يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فنزلت هذه الظالم الكافر قتل ابي بن خلف وقتل عقبة على يديه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرف الاسنان كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة

وجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند اسكني عنه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا تمنى انه لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به
طرق الضلالة والهوى وقيل اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة
الرسول سبيلا ابو عمرو بحرك بالسين والباقون بسكونها ليتني لم اتخذ فلانا ابن عباس انه عنى ابي
بن خلف وقيل عقبة ابن ابي معيط وقيل الشيطان وقيل امية بن خلف فانه قيل انما يكنى من يخاف المبادلة
او يحتاج الى المداجاة فما وجها لكناية فالجواب انه اراد بالظالم كل ظالم واراد بفلان كل ما اطيع في معصية
الله وارضي بسخط الله واذا كانت الآية نزلت في شخص لقد اضلني عن الذكر اي صرفني عن ذكر الله
او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة وعزمه على الاسلام والشيطان
اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة وقيل
اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالفة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله وقيل اراد الجنس وكل من
تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله لا انسان
خذولا يعني المتفرد ولا يتبرأ منه في الآخرة **قوله تعالى** وقال الرسول يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ان قومي اي قريش
قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بسكون الياء والباقون بتحريك الياء قيل انه يقوله يوم القيمة والمعنى ويقول
الرسول يومئذ قال ذلك شاكيا من قومه الى الله تعالى حين كذبوه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية
وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا
اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا لا يلتفتون اليه فلا يؤمنون به وقيل هجروا فيه اي كالهذيان يقال
فلان يهجر في منامه اي يهذي وقيل الهجر ما لا ينتفع به من القول **قوله تعالى**
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ثم اقبل عليه مسليا ومؤنسا
وواعدا لنصره عليهم وكذلك اي وكما جعلنا لك يا محمد اعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فاني هاديك وناصرك على من عاداك وكفى بربك
هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم هاديا ونصيرا منصوبان على الحال والتمييز
قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به
فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا هذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم
عن الحق وتجافيهم عن اتباعه وقال الذين كفروا لولا هلا نزل على محمد القرآن جملة واحدة دفعة واحدة
في وقت واحد كما انزلت التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى وما لله انزل عليه المعاريض

قيل

قيل القائلون قريش وقيل اليهود وهذا الذي قالوه من فضول القول ومما راه مما لا طائل تحته لان امر الاعجاز
والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك لنقوي به قلبك فنفهمه ويحفظه
لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتعيا به
ونعيا بحفظه ومحمد صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ
ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل
في ثلاث وعشرين ولان من القرآن الناسخ ومنه المنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور ومنه ما هو
انكار لما كان وما هو حكاية ... لرسول الله وابين على العامل به ورتلناه ترتيلا ابن عباس وبيناه ترتيلا الحسن والنخعي
وفرقناه نوعا الآية بعد الآية وشيئا بعد شيء ابن زيد وفسرناه تفسيرا او الترسل السدي ترسل وثبت ورتلناه
اي اقرأه بترتيل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها واصله الترسل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور
الاقحوان في تفليجه ولا يأتونك يا محمد يعني هؤلاء المشركون بمثل يضربونه في ابطال امرك الا جئناك
بالحق اي بما نرد به ما جاؤا به من المثل وقيل بمثل سؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في
البطلان الا جئناك بالحق اي بما نرد به ما جاؤا به من المثل وقيل بمثل سؤال عجيب من سؤالاتهم
الباطلة كأنه مثل في البطلان الا جئناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن تفسيرا
بيانا وتفصيلا وقيل احسن معنى ومؤدى من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان الا جئناك نحن
بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن تفسيرا بيانا وتفصيلا وقيل احسن معنى ومؤدى من
سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا وقيل لا يأتونك بمثل مثل ما قالوا عيسى كيف خلق من غير اب فقال
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل لا يأتونك بشبهة في ابطال امرك الا جئناك بالحق الذي يدحض
شبهة اهل الجهل ويبطل كلامهم واحسن تفسيرا من مثلهم وقيل لا يأتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز
او يكون لك او ينزل عليك القرآن جملة الا جئناك بما هو الاحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه
وبما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض
تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل جملة واحدة ويقال لهم جيئوا
بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم
تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف لعلمتم ان الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا وفي طريقته قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة

عند الله من لعنه الله وغضب عليه ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة او الدار والمسكن
لقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح
لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا لما قال وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وحكى ما نزل بمن كذب من اممهم فقال ولقد والمعنى لست يا محمد باول
من ارسلنا فكذبه قومه واتيناه الايات فقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا معينا
وظهيرا وليس هذا للنبوة والوزارة تناف فانه قد يبعث في وقت واحد انبياء ويؤمرون بان يوازر
بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم في الاية متروك استغنى عنه
بدلالة الكلام عليه تقديرها فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فاهلكناهم اهلاكا كقوله اضرب بعصاك البحر
فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة
بطولها يعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم انه قيل انما عاينوا الايات بعد
وجود الرسالة فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الايات فالجواب انهم كانوا مكذبين لانبياء الله
تعالى وكتبه المتقدمة ومن كذب نبيا فقد كذب سائر الانبياء وقوم نوح قيل اهلكنا قوم نوح وقيل هو
عطف على هم في قوله دمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل منصوب بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم اي
اغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم يعني لما كذبوا نوحا وادريس وادم كانهم كذبوا نوحا ومن قبله
من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة
وجعلناهم اي جعلنا القوم الذين كذبوا باياتنا وقوم نوح وقيل جعلنا قوم نوح وقيل اغراقهم او قصتهم
للناس اية واعتدنا ٥ للظالمين للكافرين عذابا اليما في الاخرة وعادا اي واهلكنا عادا وقيل عطف
على هم في جعلناهم وقيل عطف على الظالمين لانه المعنى ووعدنا الظالمين واصحاب الرس عن ابن عباس في رواية
العوفي الرس بئر وفي رواية عكرمة بئر باذربيجان ابن السائب بئر باليمامة السدي بئر بانطاكية قتادة الرس
قرية من قرى اليمامة ابو عبيدة الرس المعدن قيل سميت بالرس لانهم رسوا نبيهم في البئر اي دسوه
فيها وقيل كل ركية لم تطو فهي رس وقيل اصحاب الرس قوم كانوا يعبدون شجرة فبعث الله اليهم نبيا من ولد
يهودا بن يعقوب فحفروا له بئرا فالقوه فيها فهلكوا قاله علي رضي الله عنه سعيد بن جبير هم قوم كان
لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فاهلكهم الله حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فاهلكهم

الله

الله حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فاهلكهم الله وهب بن منبه كانوا اهل بئر قعدوا عليها
واصحاب مواشي وكانوا يعبدون الاصنام فوجه الله اليهم شعيبا عليه السلام يدعوهم الى الاسلام
فاتاهم ودعاهم فتمادوا في طغيانهم وفي اذى شعيب فحذرهم الله تعالى عقابه فبينما هم حول البئر في
منازلهم انهارت البئر فانخسفت بهم وبديارهم ورباعهم فهلكوا جميعا السدي انهم الذين قتلوا حبيبا
النجار فقتلوه في بئرهم وهو الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين ابن السائب انهم قوم قتلوا نبيهم واكلوه
واول من عمل السحر نساؤهم وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل هم بقية قوم هود وقوم
صالح وهم اصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في قوله وبئر معطلة وقصر مشيد وقرونا اي واهلكنا
امما بين ذلك المذكور اي بين هذه الامم شرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا وقد يذكر
الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت
على معنى فذلك المحسوب او المعدود وكلا منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا
ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء
وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره وقيل وكلا ضربنا له الامثال في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الاعذار
والانذار وكلا منصوب بتبرنا اي محقنا وكسرنا تكسيرا **قوله تعالى** ولقد اتوا على القرية
التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ٥ ولقد اتوا على القرية اي سدوم
من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك اربعا باهلها وبقيت واحدة وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث التي
امطرت مطر السوء اي الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي
اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا يرونها اما شاهدوا ذلك بابصارهم في مرورهم ينظروا الى اثار
عذاب الله ونكاله فكيف لم يتعظوا ولم ينزجروا عن كفرهم بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا كما
تامله المؤمنون فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا
بها كما مرت ركابهم وقيل لا يأملون نشورا كما تامله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم وقيل لا يخافون
على اللغة التهامية **قوله تعالى** واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث
الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لما بين مبالغة المشركين في انكار
نبوته وفي ايراد الشبهات في ذلك ذكر بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا
على ترك الايمان بل زادوا عليه الاستهزاء والاستحقار ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله
رسولا والاية نزلت في ابي جهل واصحابه واذا راوك يا محمد يعني المشركين ان يتخذونك الا هزوا فيه

اى ما يتخذونك الا هزوا وهو الذى يهزا به اهذا محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث
الله رسولا واخراجه فى معرض التسليم وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤوا لقالوا
اهذا الذى زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا ان كاد مخففة من الثقيلة واللام فى ليضلنا
هى الفارقة بين المخففة والنافية اى انه كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم
حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم
والمعنى قارب اضلالنا يصرفنا انا عن دين معبودنا لولا ان صبرنا عليها على الهتنا لصرفنا عنها وجواب
لولا محذوف دل عليه اول الكلام ولولا فى هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى
التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد
ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ارايت من اتخذ
الهه هواه استفهام تعجيب وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد الحجر او الصنم فاذا راى احسن
منه رمى به واخذ الاخر فعبده نزلت فى الحارث ابن قيس كان اذا هوى عبده وقال اتخذ الهه هواه
فلا يهوى شيئا الا ركبه ولا يشتهى شيئا الا اتاه والمعنى يجد ما يهواه الهة والهوى ميل القلب افانت
تكون عليه وكيلا يمنعه عن ذلك وقيل حفيظا من اتباعه الهوى وقيل نصيرا قيل من كان طاعة
الهوى فى دينه يتبعه الهوى فى كل ما ياتى ويذر لا يبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله
الهة فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه
وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله وما انت عليهم
بجبار لست عليهم بمسيطر ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التى تقدمتها
حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق
اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها
ان اكثرهم انما قال اكثرهم لانه فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى
به داء عضالا اى ان اكثرهم يسمعون ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج
والاعلام ان هم ما هم الا كالانعام بل هم اضل من الانعام لان الانعام تهتدى لمراعيها ومشاربها
وتنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون طريق الجنة ولا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من
اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب

الذى

الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى
قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا لما بين جهل
المعرضين عن دلائل الصانع وفساد طريقهم فى ذلك ذكر بعده انواعا من الدلائل الدالة على وجود
الصانع الم تر الى فعل ربك قيل يجوز ان تكون رؤية العين والمعنى الم تعلم وهذا اولى لان الظل وان
جعل من المبصرات فتاثير قدرة الله فى تمديده غير مرئى ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير حادث فله
محدث والظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس كيف مد الظل اى جعله يمتد وينبسط فينتفع
به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اى دائما لا يزول ولا تذهبه الشمس قال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس
وهو بالغداة والفىء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال قيل ولو شاء لجعله ساكنا لاصقا باصل كل
مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم
ذلك سكونا وقيل ساكنا من التسكين لا من السكون فان الظل ساكن غير متحرك ثم جعلنا الشمس عليه
اى على الظل دليلا قيل معنى دلالة الشمس على الظل انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل اذ الاشياء تعرف
باضدادها وقيل معنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها فى مسيرها على احوال
الظل من كونه ثابتا فى مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه
على حسب ذلك وقيل الظل يتبع الشمس فى طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فاذا ارتفعت الشمس قصر
الظل واذا انحطت طال ثم قبضناه اى الظل الينا قبضا يسيرا بالشمس التى تاتى بها فتنسخه ومعنى يسيرا
خفيا سريعا سهلا قليلا قليلا وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شئ من المنافع ما لا يعد ولا يحصر
ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا وموقع ثم فى هذين الموضعين
لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثانى اعظم من الاول والثالث اعظم من الثانى تشبيها لتباعد ما بينها
فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت وقيل انه تعالى مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا
الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما فى اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او يحتمل ان يريد
قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا وهو الذى

جعل الليل لباسًا سترًا يستترون به ويسكنون فيه والنوم سباتًا قطعًا لاعمالكم وراحة
لابدانكم والسبت القطع والاستراحة وقيل سباتًا مسبوتًا يقال سبت المريض فهو مسبوت
اذا غشي عليه شبه ما ستر من ظلام الليل باللباس والنوم بالسبات الموت والمسبوت الميت
لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وجعل النهار نشورًا يقظة وحياة ينتشرون
فيه ويتنشرون لاشغالكم وقيل لما سمى الليل وفاة في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها سمى اليقظة نشورًا مصدر نشر الميت وقيل لانتشار الناس للمعاش سماه نشورًا اي ذا نشور
وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه
لكثير من الناس فوايد دينية ومنافع دنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة
فيها لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح
بشرًا بين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورًا بليغًا في طهارته
قيل هو ما كان طاهرًا في نفسه مطهرًا لغيره فان هذا شرحًا لبلاغته في الطهارة كان سديدًا ويعضده
قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور صفة نحو قولك
ماء طهور كقولك ماء طاهر واسم لما يطهر به كالوضوء لما يتوضا به والوقود لما يوقد به النار ومصدرًا
كقولك تطهرت طهورًا حسنًا كقولك وضوءًا حسنًا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور
اي بطهارة لنحيي به بلدة ميتًا ولم يقل ميتة لانه رجع الى المكان والموضع اي انزلنا من السماء طهورًا
لنحيي به ارضًا لا نبات فيها والذكر حملا سا وموسا وقيل لما نبت فيها ما فيه حياة الحيوان جعل
ذلك حياة لها ونسقيه مما خلقنا انعامًا واناسي جمع انسي وقيل جمع انسان قال صاحب الكشاف
فان قلت انزال الماء موصوفًا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة
ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل
له الماء وصفه بالطهور اكرامًا لهم وتتميمًا للمنة عليهم وبيانًا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة
وارادهم عليها ان يوثروها في بواطنهم وفي ظواهرهم وان يربوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات
كلها كما ربا بهم وانما خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب لان الطير والوحش يبعد في
طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة المنافع متعلقة بها فكان
الانعام على الاناسي بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم ومعنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنافع الماء فيهم غنية عن سقي السماء
واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به ميتا
يريد بعض البلاد البعيدة عن مظان الماء وانما قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي

لان

لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم
ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم **قوله تعالى**
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورًا اي ولقد صرفنا المطر عامًا بعد عام
وفي بلدة دون بلدة وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى
الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور ويقولون
مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس
من سنة بامطر من اخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر
ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا
جميعًا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرًا من عام ولكن الله قسم
ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جلب في سكر البلدة
والانعام والاناسي وقيل ولقد صرفنا هذا بين الناس في القران وساير الكتب والصحف التي انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليشكروا او يعتبروا ويعرفوا حق النعمة وجحودها
وقلة الادبار لها **قوله تعالى** ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا
وكان ربك قديرًا ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرًا رسولًا ينذرها ولقسمنا النذر بينهم
كما قسمنا المطر بينهم فخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولكنا حملناك نذارة جميع القرى وقصرنا
الامر عليك عظمناك به واجللناك وفضلناك على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر فلا تطع
الكافرين فيما يدعونك اليه من عبادة الهتهم ومقاربتهم ومذاهبهم وانما اراد بهذا تهييج النبي صلى الله
عليه وسلم وتهييج المومنين وتحريكهم وجاهد الكفار به بالقران او بترك الطاعة الذي يدل عليه
ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك
على نواجذك بما تغلبهم وتعلوهم جهادًا كبيرًا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير
به الى ما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرًا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية
نذيرًا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات
كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى لانه لو بعث
في كل قرية نذيرًا لوجبت على نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ملك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين خلطهما يقال امر مريج مختلط وفصل متجاورين متلاحقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظم اقتداره سمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات الذي يبلغ الغاية في العذوبة حتى يضرب في الحلاوة والاجاج الملح بقصده وفي كلام بعضهم ويرى ان احدهما مع الاخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج بل زخاجا بلا من قدرته لقوله عز وجل بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وهما في مرأى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط احدهما قال بعض العلماء رأيت عبادان من سواد البصرة الماء العذب يجيء دجلة نحو البحر ويأتي المد من البحر فيلتقيان ولا يختلط احدهما بالاخر حتى بجيء البحر الى الخضرة الشديدة وماء دجلة الى الحمرة الخفيفة فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء والى جانبه ماء البحر في مكان واحد وقيل ان الحاجز الارض وحجرا محجورا سترا ممنوعا يمنعهما ولا يفسد الملح العذب وقيل حجرا محجورا هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفى البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فيتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء اي من النطفة بشرا فجعل البشر قسمين نسبا ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وصهرا او ذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه الضحاك وقتادة ومقاتل النسب سبعة والصهر خمسة وقرأ قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الى اخرها ابن سيرين في قوله تعالى وهو الذي خلق قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه زوج صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عليا رضي الله عنه وهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسبا وصهرا وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى **قوله تعالى** ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم في عبادة الاوثان ويعبدون يعني هؤلاء المشركين ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة

والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالكافر ابو جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان هذا الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك قيل تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك حسرات حرصا عليهم فانما انت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار النار ولست مطلوبا بايمانهم اجمعين وقيل تعلق ذلك بما تقدم ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه لينفعهم وما ارسلناك الا لتبشرهم على الطاعة وتنذرهم على المعصية فيستحقون الثواب ويحترزون عن العقاب فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهدك في اذيته من استفرغ جهده في اصلاح مهماته دينا قل ما اسألكم عليه من اجر ثم انه تعالى من بان يجب عليهم مزيدا لوجوه اليهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص بي الا من شاء قيل الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن من سؤلي ومطلوبي من شاء ان يهتدي ويؤمن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة وقيل المعنى لا اسألكم اجرا الا انفاق المال في سبيل الله فهذا هو المسؤول وهو السبيل الى الرب فعلى هذا الاستثناء متصل وكانه قال لا اجر من شاء قيل والاول اظهر قال صاحب الكشاف مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احدهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اجله كانه يقول ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتسبيحه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأ هذه الاية فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق وكفى به بذنوب عباده خبيرا ثم اراه انه ليس له من امر عباده شيء امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم **قوله تعالى** الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا ٥ لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يتوكل
عليه ووصف نفسه بامور منها انه حي لا يموت ومنها انه قادر على كل الممكنات واليه اشار بقوله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار
ولا ليل وقيل ستة ايام كل يوم من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد
اولها يوم الاحد واخرها الجمعة قال صاحب الكشاف ووجهه انه سمى الله تعالى لملائكته تلك الايام
المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه
الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا شك انه داعي حكمة لعلمنا انه
لا يقدر تقديرا الا لداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين
هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا
والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي
الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وهو الجواب ايضا في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة
ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله
الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل من
المستتر في استوى فسئل به قيل به عنه قال علقمة فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادواء
النساء طبيب فالباء صلة سل كقوله سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى
ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث
عنه وفتش عنه ونقر عنه وقيل به صلة خبيرا وخبيرا مفعول سل اي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته
وقيل معناه فسل رجلا خبيرا به وبرحمته وقيل فسل سؤاله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برؤيته
والمعنى ان سالته وجدته خبيرا وقيل خبيرا حال عن الهاء اي فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الضمير
المجرور في به راجع الى الله وقيل الى اسم الرحمن لانهم قالوا لا نعرف الرحمن وقيل الى ما ذكر من خلق
السموات والارض وغير ذلك وقيل الخبير جبريل وقيل الله والمعنى سلني فانا الخبير وقيل انه القران
وقيل مسلمة اهل الكتاب وهذا يخرج على قولهم لا نعرف الرحمن فقيل سلوا مسلمة اهل الكتاب فان
الله خاطب موسى في التوراة باسم الرحمن فعلى هذا الخطاب للنبي والمراد به سواه وقيل الرحمن اسم
من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل سل بهذا الاسم من يخبرك

من اهل

من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون
مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اي لكفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل
سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول وقيل هو سؤال عن معناه
لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم وقيل لانهم انكروا اطلاقه على الله
وقيل انهم قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فانكروا ان يكون من اسماء الله انسجد لما تامرنا قراءة
حمزة والكسائي يامرنا بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا به محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف
ما هو والباقون بالتاء اي للذي تامرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وزادهم قول القائل
اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان **قوله تعالى** تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود وذكرها لو تفكروا
فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة فقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي اثني عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من
التبرج لظهوره مجاهد وقتادة هي النجوم وقيل النجوم العظام عطا هي السرج وقيل ابواب السماء التي سمي
المحرم وجعل فيها اي في السماء وقيل في البروج سراجا يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا قرا حمزة والكسائي
سرجا بضم السين والراء واسقاط الالف وهي الشمس والكواكب العظام معها وقمرا منيرا قيل لما امتنعت
الشمس وهج حرها جعلها لاجل الحرارة سراجا ولما عدم ذلك في القمر جعله نورا **قوله تعالى**
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من خلف وهي الحالة
التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا
ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار
ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ابن عباس كل واحد منهما يخالف الاخر في اللون
فهذا ابيض وهذا اسود مجاهد كل واحد منهما يخلف صاحبه لمن اراد ان يذكر قرا حمزة وخلف بتخفيف
الذال من الذكر والباقون بتشديد الدال اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا شكر نعمة الله عليه
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد من انتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير
ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال
عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونوا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر **قوله تعالى**

وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وعباد الرحمن اضافة العباد الى الرحمن اضافة تخصيص وتفضيل وان كان الكفار عباده ولهذا قيل بمعنى افاضل العباد وقيل وعباد الرحمن الذين يرضاهم ويحمدهم وقيل عباد جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال اي الذين يعبدونه حق عبادته وعباد الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون الغرفة في اخر السورة والذين يمشون صفة لهم كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون على الارض هونا حال من الضمير الذي في يمشون بمعنى هينين ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وهو المشي بمعنى يمشون مشيا هينا الا ان في وضع المصدر مبالغة والهون الرفق واللين وقيل هونا اي بالسكينة والوقار والطاعة والتواضع غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين الحسن حكما علما محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا الضحاك اتقيا اعفا لا يجهلون واذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الاثم والاذى الحسن سلموا عليهم دليله قوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقيل سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم قيل المراد بالجاهلين الكفار وقيل السفهاء وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون البيتوتة خلاف الظلول وهي ان تدركك الليل نمت او لم تنم ابن عباس من صلى بالليل ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما وقيل تلك حالهم مع الناس وهذه حالهم اي يأتي عليهم الليل وهم في الصلاة ساجدون قائمون سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم ويجوز ان يكون مصدرا وقدم السجود واخر القيام لدورة الاية وليعلم ان القيام في الصلاة والمعنى يتركون النوم لعبادة الله وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه وفلان مغرم بفلان اذا كان مولعا به لا يصبر عنه ولا يفارقه قال بشر يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم لقوله

والذين

والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انها اي جهنم ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة وقيل لم ينفقوا في المعاصي والاسراف في الانفاق في القرب وسمع رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير ولم يقتروا وقرا ابن كثير وابو عمرو ويقتروا بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وعاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير والتقتير الذي نقيض الاسراف وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وعلى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله وكان بين ذلك اي بين الاسراف والاقتار قواما عدلا بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام من الاستقامة السواء من الاستواء قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما سبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر وقيل ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملناه كفارة فنزلت هذه الاية الى قوله غفورا رحيما وقيل ان وحشيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله قال قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما اذ اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله قال فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم ورنيت فهل يقبل مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية فتلاها عليه فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعاه فتلا عليه فقال ولعلي ممن لا يشاء الله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

الاية فقال نعم الا ان لا ادري شرطا فاسلم وهذا وحشي هو قاتل حمزة قال ابن الجوزي وفي هذا
الحديث المذكور نظر وهو بعيد الصحة والمحفوظ في اسلامه غير هذا وانه قدم مع رسل الطايف
فاسلم من غير اشتراط حرم الله اي حرمها الله والمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بهذا الفعل المحذوف
او بلا يقتلون ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء الاثم وقيل يلق عقوبة وقيل يلق اثاما هو
الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم الاثام والغي بيران في النار وقتادة اسم
واد في جهنم وقيل الاثام واد فيها للزناة يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى
تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا قرا عاصم يضاعف بالرفع على تفسير يلق اثاما كانه
قايلا قال ما لقي الاثام فقيل يضاعف العذاب والباقون بالجزم بدلا من قوله يلق وهو جزم على الجزا
وابن كثير وابن عامر بحذف الالف وتشديد العين العذاب والمراد من مضاعفة العذاب ان المشرك
اذا ارتكب معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه ويخلد قرا ابن عامر بالرفع على الاستيناف او الحال والباقون بالجزم فيه قرا ابن
كثير وحفص فيه باشباع الهاء هاهنا خاصة والباقون بلا ياء الا من تاب فما رايت رسول الله فرح بشيء فرحه بها
وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل انها منسوخة قيل
ناسخها قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ابن عباس وكان يقول هذه مكية والتي في النسا
مدنية وقيل انها نسخت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية وقيل ان الاولى نسخت بالثانية
وهي قوله الا من تاب وقيل انها محكمة والخلود انما كان لانضمام الشرك الى القتل والزنا قال وفساد
القول ظاهر لان القتل لا يوجب خلودا عند الاكثرين والشرك لا يغفر اذا مات المشرك عليه والاستثنا
ليس بنسخ وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات عن ابن عباس يبدل الله بشركهم
ايمانا وقتلهم امساكا وزناهم احصانا وهذا يدل على انه يكون في الدنيا وقيل انها تكون في الاخرة
وقيل يبدل الله سيات المومنين اذا غفرها له حسنات حتى ان العبد يتمنى ان تكون سياته
اكثر مما هي الحسن ود قوم يوم القيمة انهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب فقيل من هم قال
هم الذين قال الله فيهم فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات ومما يويد حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه فتعرض
عليه صغار ذنوبه وتخبا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر
لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال صاحب الكشاف
ابدال السيئة حسنات ان يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما

قوله

قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ومن ترك
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا
محصلا للثواب وقيل من تاب حقا التوبة بالعمل الصالح بعد التوبة فهو التايب
الى الله حق التوبة وقيل من نزع عن ذنوبه ورجع الى الحق فانما رجع الى الله والى ثوابه واحسانه
وهذا احتمال الوعد من الله للتايب وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها
وليتوجه بها الى الله وقيل ومن تاب فليتب لله لا لغيره كما قال الشاعر ه فما لله تاب ابو كثير
ولكن تاب خوف سعيد ه وقيل ان المعنى من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيات وقيل فانه تايب متابا الى الله الذي يعرف حق التايبين ويفعل بهم
ما يستوجبونه والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وقيل فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا واي مرجع محتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطايين فلا يحضرونها ولا يقربونها
تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك قيل
في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة شركا فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به
وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان ورغبتهم في النظر اليه
وفي مواعظ عيسى صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطايين **قوله تعالى** والذين
لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين لا يشهدون الزور المحال
يعني الشرك وتعظيم الانداد وقيل شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في
السوق محمد بن الحنفية اللهو والغنا ابن جريج الكذب واصل الزور تحسين الشي ووصفه بخلاف
صفته حتى يخيل الى من سمعه او يراه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو
مروا كراما مقاتل واذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اللغو كل ما ينبغي
ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم
عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين الحسن لا يستفزهم المعاصي وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه ه
قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ليس
بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون
باذان واعية لا كالذي يذكرونها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد

على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اى قرئ عليهم القرآن وقيل اذا وعظوا لم يخروا عليها صما وعميانا كأنهم
صم عمي بل سمعوها لم يخروا عليها تاركين لها ترك من لا يسمع ولا يبصر وقيل لم يسمعوا ولم يقبلوا عليها صما
وعميانا كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيتبعونه وقيل لم يخروا اى لم يقعوا
ولم يصيروا تقول العرب شتمت فلانا فقام يبكي يعني فظل واقبل يبكي ولا قيام هناك ولعله يبكي قاعدا
وقعد يشتمني اى اقبل وصار يشتمني **قوله تعالى** والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما وذرياتنا قرأ ابن كثير ونافع وابن
عامر وحفص عن عاصم وذرياتنا على الجمع والباقون على التوحيد قرة اعين من يعمل بطاعتك فتقر بهم
اعيننا في الدنيا والآخرة سئل الحسن عن قوله قرة اعين في الدنيا ام في الآخرة قال لا بل في الدنيا واي شيء
اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وولده يطيعون الله والله ما طلب القوم الا ان يطاع الله
فتقر اعينهم ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم
وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووحد القرة لانها مصدر واصلها من البرد لان العرب
تتأذى بالحر وتستروح بالبرد واجعلنا للمتقين اماما يقتدي بنا ابن عباس ائمة هداة كقوله
تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ولا تجعلنا ائمة ضلالا لقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ساده هداة دعاة خير مجول اية في التقوى يقتدي بنا المتقون وقيل هذا من المقلوب اى
واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم ولم يقل ائمة لان الامام مصدر يقال
ام فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقيل اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس
ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا وقيل اراد واجعل كل واحد منا اماما وقيل اراد جمع آم كصائم
وصيام وقيل اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا قيل في الآية ما يدل على ان الرياسة
في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة قيل من
في قوله من ازواجنا ساذجة كأنه قيل هب لنا قرة اعين ثم بين القرة بقوله هب لنا قرة اعين ثم
بين القرة بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعل الله لهم قرة اعين وهو من قولهم
رأيت منك اسدا اى انت اسد وقيل ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة
وصلاح نكر اعين لتنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه فانه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة
الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين
خاصة وهي اعين المتقين **قوله تعالى** اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون

فيها

فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اولئك يجزون يثابون
الغرفة الدرجة الرفيعة والغرفة كل بناء عال مرتفع قيل المراد الغرفات وهي العلالي في الجنة
فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس يدل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون بما صبروا
بصبرهم على امور ربهم وطاعة نبيهم وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه
لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون فيها قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم
ويلقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف
تحية وسلاما ابن عباس يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل لهم الرب بالسلام والتحية دعاء
بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة اى ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم وقيل يحيي بعضهم بعضا
ويسلم عليه وقيل يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة مقاتل تحية السلام وسلاما
سلم الله لهم امرهم وتجاوز عنهم خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما **قوله تعالى**
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما وصف عباده العباد
وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفيع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك
بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة
وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به قل ما
يعبأ بكم ربي اى ما يصنع وما يفعل يقال ما اعبأ به شيئا اى لم اعده فوجوده وعدمه سواء معناه
اى مقدار لكم واصل هذه الكلمة تهيئة الشيء يقال عبأت الجيش وعبأت الطيب عبوا اذا هيأته
وعبأته لولا دعاؤكم اياه وقيل لولا عبادتكم وطاعتكم اياه وما في قوله ما يعبأ متضمنة لمعنى الاستفهام
وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر وكانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تساوون
شيئا من العبء لولا عبادتكم قيل معنى ما يعبأ بكم ربي اى وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية
قيل المراد من قوله لولا دعاؤكم انه خلقكم لعبادته نظيرها قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ابن عباس اخبر الله الكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين لو كان له بهم حاجة
لحبب اليهم الايمان كما حبب الى المؤمنين وقد قيل ما يعبأ بعذابكم ربي لولا دعاؤكم اياه في الشدائد بيانه
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل قل ما يعبأ بعقوبتكم ربي لولا دعاؤكم معه الهة
وشركاء بيانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اى ما خلقتكم ولي
اليكم حاجة الا ان تسألوني فاغفر لكم وتسألوني فاعطيكم فقد كذبتم يا اهل مكة يقول اذا اعلمتكم ان حكمي
اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره

في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عاديتي احسن الي من يطيعني وبلغ امري فقد
غضبت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وهذا الخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مومنون
عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما في جنسهم من العبادة والتكذيب وقيل فسوف يكون الذي تكم
لازما وقيل فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير وشر وقيل لزاما عذابا دائما لازما وهلاكا مفنيا
يلحق بعضكم ببعض وقيل هو ما وقع يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون ٥ ٥

سورة الشعراء مكية

كلها الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر السورة
وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة الاف واربعمائة
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
طسم قرا حمزة والكسائي بامالة الالف واظهار النون والباقون بتفخيم الالف وادغام
النون عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما نزلت طسم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطاء طور سيناء والسين الاسكندرية والميم مكة بن عباس الطاء طيبة والسين بيت المقدس
والميم مكة جعفر الصادق الطاء طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد وعن ابن عباس قسم اقسم الله
تعالى به وهو من اسماء الله تعالى وقال القرظي اقسم الله تعالى بطوله وسنائه وملكه مجاهد اسم السورة
مادة اسم من اسماء القران تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله والمراد به
السورة او القران والمعنى ايات هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين لعلك
باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين باخع نفسك اي قاتلها غما قال صاحب الكشاف البخع ان يبلغ الذبح
النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك
ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة
ان لا يومنوا **قوله تعالى** ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها
خاضعين ٥ دليلين اي لو شاء الله لانزل عليهم اية يذلون فيها فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية
الله عز وجل ابن جريج لو شاء لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية وقيل ان الاية صوت
يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان تخرج له العواتق من البيوت اذا اية ملجية الى الايمان
قاسرة عليه كما نتق الجبل فوق بني اسرائيل فظلت اعناقهم معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا
لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق واما قوله تعالى خاضعين ولم يقل خاضعة وهي صفة
الاعناق ففيه وجوه صحيحة من التاويل احدها ان اصل اصحاب الاعناق فهم خاضعين فحذف الاصحاب
واقام الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا خضعت فاربابها خاضعون فجعل الفعل اولا للاعناق ثم جعل

خاضعين

خاضعين لاصحاب الاعناق وثانيها اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع
الخضوع ورد الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور وثالثها انه لما وصف
الاعناق بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى رايتهم لي ساجدين ورابعها اعناق الناس
روساهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الروس والنواصي والصدور وقال في محفل نواصي
الناس وخامسها جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم دولة فتذل لها اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة
قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا
فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وما ياتيهم اي اهل مكة من ذكر وعظ وتذكير من الرحمن
محدث من الوحي والتنزيل الا كانوا عنه معرضين الاجددوا اعراضا واصروا على الكفر فان دخول كان
انهم كانوا في علم الله السابق معرضين وقيل ظهر منهم ما كان معلوما منهم من الاعراض فقد كذبوا اي اهل مكة
النبي بما اتاهم به فسياتيهم انباء اخبار وعواقب وجزاء ما كانوا به يستهزءون اي فاذا الغافي فسياتيهم ان هذا
جزاء لتكذيبهم وهذا تهديد كما تقول سيبلغك خبر ما فعلت وحقق المكذب باتيان الخبر يجهله به دون المصدق
فانه يعلم ما اخبر به قيل باسهم في النعمة وقيل في الدنيا بالقتل والهزيمة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف
خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلنا انما خولف منها لاختلاف
الاعراض كانه قيل اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء
والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا
به كان موقرا له **قوله تعالى** اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اولم يروا الى الارض بعجائب اولم ينظروا
الى عجائبها ولهذا عدى بالى كم انبتنا فيها من كل زوج صنف ولون وقيل الزوج الشيء وشكله ومثل اسمي
واسود واحمر واصفر وحلو وحامض ومر ومن كريم كثير المنفعة وقيل ذي قدر عند متناوله وقيل كريم
باكل الناس والانعام وقيل نافع محمود والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي
حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا
في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع لتشعبها وادنا النبات الانسان
لقوله انبتكم من الارض نباتا والكريم الذي يدخل الجنة واللئيم الذي يدخل النار ان في ذلك في اثبات
تلك الاصناف لاية لدلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وحكمتي وقيل لانه على منبتها قادر على احياء
الموتى وعلى البعث والنشور وما كان اكثرهم مومنين في علمي مع عظم الايات وقيل قد علم الله ان اكثرهم مطبوع
على قلوبهم فيئس رجوا ايمانهم وان ربك لهو العزيز المنتقم ممن كفر الرحيم لمن امن والجمع بينهما وكل لتدل على الاحاطة

بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته
ومعنى وصف الزوج بالكريم يحتمل وجهين احدهما ان النبات على نافع وضار وقد ذكر كثرة ما انبت في الارض
من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار وثانيهما ان يعم جميع النبات نافعة وضارة ووصفها
جميعها بالكرم ونبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمة بالغة وان غفل
عنها الغافلون قال صاحب الكشاف فان قلت حين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة
وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان
ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اى اية وان يراد ان في
كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير **قوله تعالى**
واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون واذكر يا محمد
اذ نادى ربك موسى حين راى الشجرة والنار ان ائت القوم الظالمين لانفسهم بالكفر
والمعصية باستعبادهم وسومهم سوء العذاب قوم فرعون وكانهما عبارتان يعتقبان على مورد
واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر عنهم بقوم فرعون وقد استحقوا
هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل
باستعبادهم الا يتقون كلام مستانف اتبعه ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم
بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب
وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اى يظلمون
غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال قيل وفي الا يتقون بالتاء وكسر النون وجه
آخر وهو ان يكون المعنى يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ومعنى هذه القراءة الا تتقونني فحذف
النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة **قوله تعالى** قال رب انى
اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون ولهم على ذنب
فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون يكذبون يحدوفة
ومثلها ان يقتلون سيهدين فهو يهدين ويسقين فهو يشفين ثم يحسن كذبون واطيعون وهن
ثمان آيات اسهن يعقوب في الحالين قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى بتكذيبهم
اياى ولا ينطلق لساني للعقدة التي كانت به وقيل بقيت منه بقية ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان
على خبر ان فيفيدان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان فارسل
الى هارون اى فارسل جبريل الى هارون واجعله نبيا وازرنى به واشدد به عضدى وهذا كلام
مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هارون

فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار
والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد
الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قيل كيف ساغ لموسى عليه السلام
ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من
ورايه احيب بانه قد امتثل امر الله وتقبل ولكنه سال الله ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ
امره وتبليغ رسالته فمهد قبل سؤاله ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته
فمهد قبل سؤاله عذره فيما ساله ثم سال بعد ذلك وتمهيد العذر في سؤال المعين على تنفيذ الامر ليس
بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل ولهم على ذنب اى دعوى
ذنب اى القتل الذي قتله منهم واسمه فاتون وكان خباز فرعون قيل ولهم على تبعة ذنب وهي
قود ذلك القتيل فاخاف ان يقتلوني به قصاصا وقيل عدوانا قال صاحب الكشاف فان قلت
قد ابيت ان يكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيد العذر فما تصنع بقوله فكيف في هذه الرابعة قلت
هذا استدفاع البلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل
عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع قال كلا جمع الله له الاستجابتين معا في قوله
كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه
بقوله اذهبا اى اذهب انت والذي طلبته وهو هارون فاذهبا معطوف على الفعل الذي يدل
عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون باياتنا مع ابانا اليد والعصا وجميع
وقيل بدلالتنا وقيل اعدكما باياتنا فيكون الايات التسع انا معكم مستمعون سامعون ما يقولون
وما تجاوبون يعني موسى وهارون وفرعون وقومه والاستماع الاصغاء الى المسموع فيكون مجازا في حق
الله قال صاحب الكشاف جعل مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير
لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز
ان يكون معكم مستمعون خبرين او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون
قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف
بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية
ومنه قوله تعالى قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه
ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم
قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا

بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي
ربي حكما وجعلني من المرسلين فاتيا موسى وهارون فرعون فقولا انا رسول فلم يثن الرسول
كما ثني في قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل ويكون بمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل
فلم يكن بد من تثنيته وجعل هاهنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد
والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكني اليها وخير الرسول اعلمهم
بنواحي الخبر جعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة لقد كذب الواشون ما فهت
عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول وقيل انما وحد لان حكمهما لتساندهما وانهما على شريعة واحدة
واتحادهما لذلك وللاخوة كانه حكما واحدا فكانهما رسول واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب
العالمين ان ارسل اي بان ارسل معنا بني اسرائيل الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم
اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلثين الفا قال صاحب الكشاف ان ارسل بمعنى اي
ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول
كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي اي
خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فانطلق موسى الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك
فانطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه فدخل البواب فقال لفرعون هاهنا
انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال له فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه
واديا رسالة الله تعالى فعرف موسى عليه السلام لانه نشا في بيته فلما عرفه قال له الم نربك
حذف فاتيا فرعون فقال له ذلك لانه معلوم لا لبس فيه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل
فينا وليدا اي صبيا سمي الصبي وليدا لقرب عهده من الولادة اي قال الم تكن صغيرا فرباك اليس
قد التقطناك من اليم وكفلناك من ارضعك وغذوناك الى ان صرت رجلا امتن عليه باحسانه
اليه ومعنى فينا في جملتنا ومنازلنا ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثماني عشرة سنة وقيل
اربعين سنة وقيل ثلثين سنة وقيل فعلتك اي في ربيتنا على ان ربيناك ان كفرت نعمتنا و
فعلت فعلتك اي قتلت منا نفسا وانما قال فعلتك بفتح الفاء لانها مرة واحدة قتل وكز القبطي وهو
وهو ابن ثنتي عشرة سنة وقيل خرج من عنده عشر سنين ثم عاد الله يدعو الى الله ثلثين سنة
ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة ثم مات صلى الله عليه وسلم وكان ابن مائة وعشرين سنة عدد عليه
نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ورحمه بما جرى على يده من قتل خباز وعظم ذلك وقطعه بقوله
وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين لنعمتي وحق تربيتي وقيل وانت من الكافرين بالهك لانك

كنت

كنت معنا على ديننا الذي تعيبت وقيل من القوم الذين تزعم الان انهم كافرون وقيل من الكافرين
بالله حين قتلت نفسا بغير حلها قال صاحب الكشاف وانت من الكافرين بالله حين قتلت
نفسا بغير حلها قال صاحب الكشاف وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت
لذلك من الكافرين بنعمتي اوو انت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره
لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن
بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين
بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون
والالهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونهم يشهد بذلك قوله تعالى
ويذرك والهتك قال لموسى فعلتها ان فرعون لما ذكر التربية وذكر القتل وقد كانت تربيته له
معلومة ظاهرة ولم ينكرها موسى ولم يشتغل بالجواب عنها لانه تقرر في العقول ان الرسول اذا
كان معه حجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولا فصار قول فرعون غير موثر ومثل
هذا الكلام الاعراض عنه اولى ولكن اجاب عن القتل بما لا شئ ابلغ منه في الجواب ابن عباس من
الجاهلين اي انا كنت جاهلا بان من الله شئ والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما
قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقيل من المخطئين اي قتلت
نفسا خطأ من غير تعمد للقتل وقيل من الذاهبين من الصواب وقيل من الناسين ومثله ان تضل
احدهما وكذب موسى فرعون في قوله وانت من الكافرين ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرا ساحته
بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل دس النبوة عن الكفر قال صاحب الكشاف فان قلت
اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت
فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان
نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك ففررت منكم لما خفتكم على نفسي الى مدين فوهب لي ربي حكما
نبوة وعلما وفهما وحكمة وعقلا وزال عني الجهل والضلالة وجعلني من جملة انبيائه ورسله

قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اختلف العلما
في تاويلها ففسرها بعضهم على الاقرار وبعضهم على الانكار فمن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة
منه عليه حيث رباه ولم يقتله ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل والمعنى تلك نعمة تمنها علي
ان عبدت بني اسرائيل ولم تستعبدني لمعاش عن علي باحسانك وتنسى اساتك ان عبدت
بني اسرائيل الحسن اخذت من بني اسرائيل اموالهم فصدوني عالدوي فامتنك على ذلك وقيل ان
اتخاذك بني اسرائيل عبيدا قد احبط نعمتك التي تمن بها علي وقيل او تلك نعمة تمنها على استفهام انكار

وقوله تلك اشارة الى تعبيده بني اسرائيل في قوله ان ارسل معنا بني اسرائيل اي تخليتهم اياهم وارسالهم
معي كما امر الله نعمة لك عندي لانهم اقربائي وقد اتخذتهم عبيدا ويحتمل او تلك نعمة تمنها علي ان عبدتني
فوضع بني اسرائيل موضع الضمير لانه واحد منهم وتعبده اياهم الى قدته في اليم وفراقه من
ابويه واهل بيته ثم اتخاذا منه ظئرا ويحتمل ايضا وتلك نعمة تمنها علي لولا ان عبدت بني اسرائيل وفي اعراب
ان عبدت وجوه احدها رفع بالبدل من المبتدا وقيل من الخبر والثاني نصب وتقديره بان عبدت
اي لان عبدت قال صاحب الكشاف ثم لدعي امتنانه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من
سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم
وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا
حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا تلك اشارة
الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك
ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان
عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم **قوله تعالى**
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله
الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين اعلم ان فرعون لم يقل
لموسى وما رب العالمين الا وقد دعاه موسى الى طاعة رب العالمين يدل على ذلك قوله فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد عند دخولهما عليه انهما قالا ذلك فعند ذلك قال فرعون
وما رب العالمين ما سؤال عن الحقيقة وتعريف الحقيقة اما بنفسها وهو محال او بما هو داخل
فيها وهو محال في حق الله تعالى اذ ليس بمركب او بما هو مركب من الداخل وهو محال ايضا في
حق الله او بما هو خارج عنها اما غير لازم فلا يصلح للتعريف به او لازم خفي فلا يصلح التعريف به
او جلي فيصلح التعريف به فلا يصح تعريف حقيقته تعالى الا بما هو لازم جلي واظهر اثار ذات الله تعالى
هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما فصح انه لا جواب لقول فرعون
وما رب العالمين الا ما قاله موسى صلوات الله وسلامه عليه وهو قوله رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات الى الله تعالى فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه
الا بما ذكرته قيل وما رب العالمين اي اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله الي قال موسى

عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقهما وقيل وما رب العالمين
احقيقة ذاته من اي جنس واي نوع هو فاعرض عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلالة
على الله بافعاله وصنايعه قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون
الاشياء بالدليل فكفى السموات والارض وما بينهما دليلا بان الله سبحانه خالقهما ومالكهما ومدبرهما
وقيل ان كنتم موقنين بان السموات لا بد لها من رب فالذي ادعوكم اليه هو ذلك الرب وقيل ان كنتم
موقنين انما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فايقنوا ان ربنا رب السموات والارض وما بينهما
تحقق معا دانه لا جواب لقول فرعون وما رب العالمين الا ما قاله موسى صلوات الله وسلامه
عليه وهو قوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات
الى الله تعالى فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته قيل وما رب العالمين اي اي شيء رب العالمين
الذي تزعم انك رسوله قال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
انه خلقهما قيل وما رب العالمين احقيقة ذاته من اي جنس واي نوع هو فاعرض عن الجواب
من هذا الوجه وصار الى الدلالة على الله بافعاله وصنايعه قال رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون الاشيا بالدليل فكفى السموات والارض وما بينهما دليلا بان الله
سبحانه خالقهما ومالكهما ومدبرهما وقيل ان كنتم موقنين بان السموات والارض لا بد لهما من رب
فالذي ادعوكم اليه ذلك الرب وقيل ان كنتم موقنين انما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فايقنوا ان
ربنا رب السموات والارض وما بينهما قال صاحب الكشاف وما رب العالمين يريد اي شيء من الاشيا
الذي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس
بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع هذه الاشياء ليس كمثله شيء واما
ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه الى ان الذي اليه
سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما
التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت
غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون
للعالمين رب سواه لادعائه الالهية قال لمن حوله الا تستمعون قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه
الا تستمعون الى سؤالي وجوابه ولم يرد على الاول لا رب العالمين ورب السموات والارض وما بينهما واحد
قال صاحب الكشاف فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره قال الامام انما
ذكر فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى اي انا اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة
وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية وتعريف الماهية باللوازم لا تفيد معرفتها فلم يكن كونه ربا للسموات

والارض وما بينهما جوابا عن قوله وما رب العالمين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب
ابائكم الاولين فاوضح كلامه بزيادة بيان اي خالقكم وخالق ابائكم فضللتم وطلب اباؤكم وقيل انما
قال موسى ورب ابائكم وقيل انما قال ورب ابائكم لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون
من تقدمهم قال الامام كان موسى عليه السلام عدل عن الخلق والمرء في السموات الى التعريف بكونه
خالقنا وخالق ابائنا لانه لا يمتنع ان يعتقد الجهلة ان السموات والارض ليست مخلوقة ولا يمكن
ان يعتقد العاقل في نفسه وفي ابائه واجداده كونهم غير مخلوقين لان المشاهدة دلت على انهم
وجدوا بعد العدم ثم عدموا بعد الوجود وكان التعريف بهذا اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام
من الكلام الاول اليه قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يتكلم بكلام لا يعقل ولا يعرف
صحته وقيل لمجنون حيث اساله عن شيء ويجيب عن شيء وقيل لمجنون حيث يزعم ان في الوجود الها
غيري لان الجلي ب كان مطلقا لان قوله وما بمعنى ومن كقولك وما ملكت ايمانكم وقيل كان مطابقا لان
موسى لما قال انا رب العالمين ارسلنا اليهم ساله فرعون عن ماله وانبساط قدرته كما يسال الملوك
عن الرسل ما صاحبك هذا اي ما مقدار ملكه وسلطانه قال الامام قال فرعون المقصود من سوال
ما طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا يفيدها فهذا الذي
يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه قال صاحب الكشاف فلما بني موسى
بتقرير قوله حسد الحوله وظن له حيث سماه رسولهم قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون اي ان كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما اقول فتدبروا في مصنوعات ذي حق التدبر
تعرفوا الصانع بعدا لتدبر ضرورة قال الامام عدل موسى الى طريق اوضح من الثاني وذلك لانه
اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار والامر
ظاهر في ان هذا التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابرهيم
عليه الصلوة والسلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى
ههنا بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فاجابه نمرود بقوله انا احيي واميت قال ابرهيم عليه
السلام ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره
موسى ها هنا بقوله رب المشرق والمغرب ان كنتم تعقلون ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب
عن سوالكم الا ما ذكرت لانكم طلبتم تعريف حقيقته ولا يمكن الا بلوازم جلية وانا عرفت حقيقته
باثار حقيقته فتحقق ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السوال الا ما ذكرته قال فرعون
حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق وتماديا في الغي لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين المحبوسين الكبرى كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل اذا سجنه فيطرحه

في مكان

في مكان فرد وحده لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا يهوي به في الارض قال موسى حين توعده بالسجن
اولو جئتك بشيء مبين يبين صدق قولي ومعنى الاية اتفعل ذلك وان اتيتك بحجة بينة وانما قال
موسى له ذلك لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان قال
الامام لما عجز فرعون عن الحجاج عدل الى التخويف فعند ذلك ذكر موسى كلاما مجملا ليتعلق قلبه فيعدل
عن وعيده فقال له اولو جئتك بشيء مبين قال صاحب الكشاف فلما ثلث بتقرير اخراجه واحتدم
وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه وهو قوله والذي يليق بحال فرعون الى
اخي انه عليه السلام لاي اولا فقال ان كنتم موقنين فلما راى منهم شدة السليمة في العناد وقلة
الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون وانما قال لاجعلنك
من المسجونين ولم يقل لاسجننك وان كان اخصر لانه غير موف مواده لان معناه لاجعلنك واحدا
ممن عرفت حالهم في سجوني والواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه
افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جاءنا بالمعجزة قال فرعون فات به فانا لم نسجنك حينئذ ان
كنت من الصادقين وقيل فات بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين ان لك بينة وقيل
ان كنت من الصادقين ان لك ربا بعثك الى رسولا وجواب الشرط مقدر اي فاحضر وفي قوله ان
كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لدعوى
النبوة وعادة الله وسنته جارية بانه لا يصدق الكاذب قال صاحب الكشاف ومن العجب ان مثل
فرعون لم يخف عليه مثل هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبح على الله حتى لزمهم تصديق
الكاذبين بالمعجزات وتقدير ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر
بالاتيان به يدل عليه وقد علم جوابه في المقدمات مجملا وفي اصول الدين مفصلا فلا حاجة الى ذكره

قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه
واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل
للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا

ان كنا اول المومنين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء
المزورة بالشعوذة والسحر للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر
اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها
فنزع موسى يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال فرعون للملاء حوله نصب نصبين نصب في اللفظ
والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال والعامل فيه قال ولقد تحير فرعون
لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه
كبرياء الربوبية وارتعدت فرايصه واستطير خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين
هم بزعمه عبيده وهو الاههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به
من جهة موسى وغلبته على مملكته وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل
اذا الزم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة عن ابن عباس وافق ذلك يوم السبت
في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وابن زيد وكان اجتماعهم للميقات بالاسكندرية ويقال
بلغ ذنب الحية من وراء البحر يومئذ وقيل للناس هل انتم مجتمعون لتنظروا الى ما يفعل الفريقان
ولمن تكون الغلبة لموسى او للسحرة وقيل قال بعض اصحاب فرعون لبعض اجتمعوا لنشهد ما يجري
بين موسى وهارون وبين السحرة وقيل قال فرعون للناس هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع
والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك
منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا هل
انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطي لعلنا
نتبع السحرة في دينهما ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة مفصل
موسى وهارون وقيل نتبع السحرة اي موسى وهارون واشياعهما ان كانوا هم الغالبين على وجه
الاستهزاء فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا
لمن المقربين ولما كان قوله اين لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا
لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام
الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله
وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم ولا

بامهاتكم

بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون قال صاحب الكشاف ولقد استحدث
الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم
لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم
به فعند جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ما يقلبونه
عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه
على الناظرين او افكهم سمي تلك الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب
وان يكن من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا وعن
عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء فالقي السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاء
ات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم
الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون عطف
بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما
في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال فرعون امنتم له صدقتموه
قبل ان اذن لكم في التصديق انه لكبيركم وقد تواطاتم على امر ومكر ثم توعدهم فقال فلسوف تعلمون
اي عن قريب تعلمون وبال ما فعلتم وما ينزل بكم من العقاب على ايمانكم لموسى قبل اذني لكم ثم صرح فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر والضير
والضور واحد اي لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله
من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة وقيل لا ضير علينا فيما توعدتنا به من القتل
انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارحاها
وقيل لا ضير علينا في صلبك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته
لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا وقيل لا ضير انما هي
ساعة نصبر لعذابك ثم نصير الى ثواب الله وهو قوله انا الى ربنا منقلبون وقيل ان الجميع منا ومنك
منقلب الى الله فهو يحكم بالمرصاد يجازيك جزاء مثلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا المتقدمة
ان كنا اي ان كنا اول المومنين من اهل زماننا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من
رعية فرعون او من اهل المشهد او من السحرة **قوله تعالى** واوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون
وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراء الجمعان قال اصحاب موسى انا

لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ثم ان الله تعالى لما بين لما اراد اظهارا من في نجاة بني
اسرايل وغرق فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بني اسرايل ليلا من مصر واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي هذا بعد سنين من زمن السحرة واعانهم والمعنى سيرهم ليلا واضافهم الى نفسه لايمانهم
انكم متبعون علل الامر بالاسرا باتباع فرعون وجوده اثارهم قال صاحب الكشاف والمعنى اني
بنيت تدبير امركم وامرهم على ان يتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر
فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج
موسى بقومه عن ابن جريج في هذه الاية اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام ان اجمع بني اسرايل
كل اربعة ابيات في بيت ثم ادعوا اولاد الضان فاضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملايكة
فلا تدخل بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم
ثم اسير بعبادي حتى ينتهي الى البحر فياتيك امري ففعل ذلك فلما اصبحوا قال فرعون هذا عمل
موسى وقومه قتلوا ابكارنا وتمكنوا من انفسنا واموالنا فارسل فرعون في اثني الف الف وخمس
مائة الف ملك مسوق ومع كل ملك الف وخرج فرعون في الكرسي العظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف
كل واحد على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط اي حين اخبر سارهم بعث شرطا يحشرون الناس
من المداين لاتباعهم مع فرعون ان هولا يحكي بعد قول مضمر لشرذمة قليلة ذكرهم بالاسم الدال
على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة
الذي هو للقلة وكانوا ستمائة وسبعين الفا وانما استقلهم لكثرة من معه وقيل لكثرة من قتل
منهم وقيل يجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا نبالي بهم
ولا نتوقع غلبتهم وعلوهم وانهم لنا لغايظون لمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي
استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
حذرون بغير الف والباقون حاذرون بالف فقيل لا فرق بينهما فانهما لغتان معناهما واحد
وقيل الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وقيل ان حاذرين معناه مودون اي ذوو اداة وهي السلاح
لانها اداة الحرب وحذرين عالمون بالحرب قال صاحب الكشاف ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا اخرج
علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر
من قهره وسلطانه فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز لمشاهد سماها كنوزا لانها لم تنفق
في طاعة الله ومقام كريم منزل حسن ومجلس بهي وقيل المنبر الذي يخطب عليه ابن عباس مجالس

الامر

الامر يحف به الاتباع وقيل السرور في الحال كذلك قيل في محل الجر على انه وصف لمقام اي لمقام
كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم وقيل في محل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي
وصفنا وقيل في محل الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرايل بهلاك فرعون
وقومه الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم وقيل ذهبوا الى الشام وملكوا مصر من
سليمان بن داود عليهما السلام فاتبعوهم لحقوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس
شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهما صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون
ملحقون قد قرب منا عدونا وقدامنا البحر قال موسى ثقة بعد الله كلا لا يدركونكم لان الله وعدكم النصر
عليهم والخلاص منهم ان الله لا يخلف الميعاد ان معي ربي ناصري ومعيني سيهدين يهديني عن قريب طريق
النجاة وقيل سيعرفني طريق النجاة وقيل سيكفيني قوله تعالى واوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا
موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم روي ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شي والمكون
لكل شي والكاين بعد كل شي اجعل لنا مخرجا فاوحى الله عز وجل ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب
فانفلق فانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق جزء متفرقا من الماء كالطود
كالجبل المنيف العظيم لان الماء كان منجمدا فلما انفرق استطال وارتفع في السماء كالجبل وصار لكل فرقة
مسلك لسبط منهم وظهر شي فيها تجري سطرها بعضها الى بعض وازلفنا ثم اي قربنا حيث انفلق البحر
الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرايل وقيل ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم
احد وقيل قدمناهم الى البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه ان في ذلك
لاية لدلالة قاطعة لمن تامل وما كان اكثرهم مومنين لم يومن من اهل مصر غير اسية وحزقيل
وهو المومن ومريم بنت ناموسا التي دلت موسى على عظام يوسف وان ربك لهو العزيز المنتقم من
اعدايه الرحيم باوليايه قوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين ان الله تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد صلى الله
عليه وسلم بسبب كفر قومه ثم ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمدا ان مثل تلك المحنة كانت
حاصلة لموسى ثم ذكر عقبها قصة ابرهيم عليه السلام ليعرف محمدا صلى الله عليه وسلم ان حزن
ابرهيم اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابرهيم عليه السلام ان يرى اباه وقومه كلهم في النار

هؤلاء وهؤلاء يتمكن من انتقادهم الى الدعا واتل عليهم اقرا على مشركي العرب نبأ ابرهيم قصته
والنبا الخبر العظيم اذ قال لابيه وقومه قيل قوم ابرهيم وقيل قوم ابيه ما تعبدون اي شي تعبدون
كان ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه
ليس من استحقاق العبادة في شي كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق
جمال وليس بمال قال صاحب الكشاف فان قلت ما تعبدون سوال عن المعبود فحسب فكان القياس ان
يقولوا اصناما كقوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
قلت هؤلاء قد جاوا بقصة ابرهيم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما
قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان يقول لبعض الشطار ما تلبس
في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين حواري الحي وانما قالوا نظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال ابرهيم هل يسمعونكم يسمعون دعاكم وقيل يسمعونكم
تدعون بحذف تدعون لان ما بعد يدل عليه وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ حكاية الحال الماضية
ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا وهذا ابلغ في التبكيت
او ينفعونكم لتقربكم اليها او يضرونكم ان عصيتموها قالوا اي قوم ابرهيم عليه السلام بل اضراب
عن ان تسمع او تنفع او تضر وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي اعتمدنا ما شاهدنا من عبادتهم اياها لا انها تسمع
وتضر قال ابرهيم عليه السلام افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون زمانا فانهم اي الاصنام
عدو لي واتا برئ منهم وحد عدو لانه في الاصل صيغة للمبالغة فقام مقام الجمع ولان معناه كل معبود لكم
عدو لي وقيل هو في الاصل مصدر وقيل بعد بين فاني عدو لهم ولما الوجه في وصف الجماد بالعداوة
فان معنى الاية فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيمة كما قال سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
قال صاحب الكشاف لما اجابوا بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى
غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من ابائكم قال ان التقدم والاولية لا يكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى
العداوة له قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء
الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسالة في نفسه على معنى اني فكرت في امري
فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها
نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه
وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم

لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه
التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله ان رجلا
واجهه بشي فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل اناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو
بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة قال وقوم علي ذوي مرة اراهم
عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى لكم عدو وشبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والصهيل
الا رب العالمين قيل الاستثنا منقطع والتقدير لكن رب العالمين ليس بعدو لي وقيل الاستثنا
متصل فانه كان في ابائهم الاقدمين من عبد الله لان هذه نسبة ترجع الى ادم وقيل ان ما تعبدون
عدو لي الا الله الذي تعبدون معه غيره فانه ليس بعدو لي وقيل لانهم وان انكروا العبادة المعروفة
لم ينكروا انه خالقهم ورازقهم فكانوا بهذا عابدين فصح الاستثناء وقيل من كان جاحدا لله عابدا له من
حيث ان اثر العبودية فيه ظاهر فالاستثنا متصل وقيل الا بمعنى دون كقوله لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
لما حكى الله عن ابرهيم انه استثنا رب العالمين حكى عنه ايضا ما وصفه به مما استحق العبادة لاجله
ثم حكى عنه ما سال عنه الاوصاف خمسة اولها قوله الذي خلقني فهو يهدين قيل الذي خلقني ولم اك
شيا فهو يهديني الى الرشاد اذ عبدته ولا اشرك به شيا ودخل الفاء لان المبتدا موصول بالفعل
وان جعل الذي في محل نصب على الصفة فالفاء لعطف جملة على جملة وقيل الذي خلقني في الدنيا
على الفطرة فهو يهديني في الاخرة الى الجنة وقيل الذي خلقني فهو يهديني الى الرشد لا ما تعبدون قال
صاحب الكشاف فهو يهدين كما يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا
ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه الى كيفية الارتضاع والى غير
ذلك من هدايات المعاش والمعاد قال الامام انه تعالى اثنى على نفسه بهذين الامرين في قوله الذي
خلق فسوى والذي قدر فهدى والخلق والهداية بهما يحصل جميع المنافع والانسان له قالب من
عالم الخلق وقلب من عالم الامر وتركيب القالب مقدم على اعطاء القلب يدل على ذلك قوله
تعالى فاذا سويته اشارة الى تسوية القالب وتعديله ونفخت فيه من روحي اشارة الى اللطيفة
الربانية التي هي من عالم الامر وايضا قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال
ثم انشاناه خلقا اخر اشارة الى الروح الذي هو عالم الامر ولا شك ان الهداية من خواص الروح
فقد ظهر بهذه الايات ان الخلق مقدم على الهداية وظهر من هذا ان قوله الذي خلقني فهو يهدين جامع
لجميع المنافع في الدين والدنيا ذكر الخلق بلفظ الماضي والهداية بلفظ المضارع لان خلق الذات

لا يحدد في الدنيا لما وقع بقي في الامد المعلوم والهداية تكون في كل وقت سواء كانت هداية
في المنافع الدنيوية وذلك بان يحكم الحواس بتمييز المنافع من المضار او في المنافع الدينية وذلك
بان يحكم العقل بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر فبين بذلك انه تعالى هو الذي خلقه لسائر
ما تعامل به خلقه في الماضي دفعة واحدة وانه يهديه الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات
في كل لحظة ولمحة وثالثها قوله والذي هو يطعمني اي طعام شاء ويسقين اي شراب شاء
وقيل هو الذي يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب يشبعني ربي ويرويني من غير علاقة كقوله
صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقد دخل فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق
فانه تعالى اذا خلق له الطعام وملكه فلو لم يكن منه ما يتمكن معه من اكله والاغتذاء به كالشهوة
والقوة والتمييز لم تكمل هذه النعمة وذكر الطعام والشراب ونبه بذكرهما على ما عداه ورابعها
قوله واذا مرضت فهو يشفين اسند المرض الى نفسه وان كان من الله تعالى لان قومه كانوا
يعدونه عيبا فاستعمل حسن الادب نظيرها قصة الخضر حيث قال فاردت ان اعيبها
وقال فاراد ربك وقيل لما فيه من كراهة قال صاحب الكشاف وانما قال مرضت دون امرضني
لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قالت الحكماء قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم قال الامام ان المرض انما يحدث
باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلاء انما يحصل بسبب ما بينها من التنافر
الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقاء الاخلاط على اعتدالها وبقاؤها على اعتدالها انما
يكون بسبب قاهر يقسرها على الاجتماع وعودها الى الصحة انما يكون ايضا بسبب قاهر
يقسرها على الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق فلهذا السبب اضاف
الشفاء اليه سبحانه وما اضاف المرض وعن جعفر الصادق بالذنوب يشفيني بالتوبة وخامسها
قوله والذي يميتني ثم يحيين ادخل هاهنا ثم للمهلة والتراخي والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخليص
عن آفاتها وعقوباتها والمراد من الاحياء الاحياء للمجازاة وقال اهل الاشارة يميتني بالعدل ويحييني
بالفضل يميتني بالمعصية ويحييني بالطاعة يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق يميتني بالخذلان
ويحييني بالتوفيق يميتني عني ويحييني به يميتني بالجهل ويحييني بالعقل وخامسها قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي فهو اشارة الى ما هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالثواب
والذي اطمع ارجوا ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اسند الخطيئة الى نفسه قيل خطيئته قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي وذا الحسن وقوله للكوكب هذا ربي
وقيل هذه ليست بخطيئة ولا ذنب بل لكل واحدة منها وجه يصير ابرهيم مثابا بها ماجورا فكون

اطمع بمعنى اتيقن ولا يجري على ظاهره لانه شك وقيل خطيئتي خطيئة امتي فيكون الطمع
على اصله للشك وقيل تعبدا برهيم بان يدعوا بهذا الدعاء تعبد بقوله ولا تخزني يوم يبعثون
ومعلوم قطعا انه لا يخزي لكن دعاء الله بهذه الادعية اظهارا للعبودية وليقتدى به غيره وقيل
يحتمل ذلك على ترك الاولى وقيل يسمى خطاء فان من ملك جوهرة وامكنه ان يبيعها بالف دينار فباعها
بدينار قيل انه اخطأ وترك الاولى على الاستعارة قال يغفر لي اي هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي
ولاجلي لاجل امر عائد اليه

قوله تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين
ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم انه تعالى لما حكى
عن ابرهيم عليه السلام ثناه على الله ذكر بعد ذلك دعاءه ومسألته رب هب لي حكما قيل هو البيان
عن الشيء على ما توجبه الحكمة الكلبي نبوة مقاتل فهما وعلما الى علم وحكمة الى حكمة والحكم الحكمة والحقني بالصالحين
بالانبياء الذين صلاحهم صاف عن شوب الفساد وقيل هب لي حكما في الدنيا والحقني بالصالحين في الاخرى
او جعل لي لسان صدق في الآخرين ذكرا جميلا اي ذكرا جميلا وثناء حسنا وقبولا عاما في الامم الذين
يأتون من بعدي وقيل اراد ان لا ينقطع النبوة من نسله وقيل اراد ان يجعل من ولده من يقوم بالحق
في آخر الزمان فاستجاب الله دعاءه وجعله شيخ الانبياء وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان
من ذريته وكل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم لما طلب سعادة
الدنيا طلب بعده سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في الدنيا
فشبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا وقيل جاء بلفظ الوراثة لان المؤمنين يرثون منازل الكفار وقيل
لان الوراثة اقوى سبب يقع به الملك وقيل لانها تقع من غير واغفر لابي لما فرغ من طلب
السؤالات الدنيوية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه وقد ذكر المعنى
الذي لاجله استغفر ابرهيم لابيه في سورة التوبة مما فيه الكفاية ولا تخزني يوم يبعثون
اي العباد او الضالين اي بسبب والدي ولا تخزني يوم يبعث الضالون واني فيهم يوم لا ينفع
مال ولا بنون كما ينفع في الدنيا يفدي ماله ويذب عنه بنوه وقيل المراد بالبنين جميع الاعوان والاولى
ان يقال اذا لم ينفع البنون الذين هم اشد تعلقا فغيرهم اولى بان لا ينفع الا من اتى الله بقلب
سليم فيكون الاستثناء منقطعا وقيل لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم فانه
ماله الذي انفقه في طاعة الله وينفعه بنوه لانهم يشفعون فيه قال صاحب الكشاف الا من اتى الله
بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه
الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فيقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين

عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنا كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم
لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثنا
منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من
جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب
ولو لم يقدر المضاف لم يحصل للاستثنا معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون
الا رجلا سليم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم
الشرائع الحسن سليم من الشرك مجاهد سليم من الشك سعيد بن المسيب سليم صحيح وهو قلب
المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض الجنيد السليم في اللغة اللديغ والمعنى كاللديغ من خوف الله
الحسن ابن الفضل من افات المال والبنين وقيل سليم من البدعة مطمئن على السنة قوله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان ابرهيم عليه السلام ذكر في صفة هذا اليوم امورا
احدها قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقربت الجنة واظهرت الجحيم للكافرين
يجوز ان يكون هذا على جهة الوعيد ويجوز ان يقاد بها بالسلاسل كما جاء في الاخبار وقيل لهم اينما
كنتم تعبدون من دون الله استفهام توبيخ اي يقال لهم ان الاصنام التي كنتم تعبدون وتزعمون
انها تشفع لكم وتقربكم الى الله زلفى هل ينصرونكم فيدفع عنكم او ينصرون لانفسهم فهي في النار معكم
فكبكبوا ابن عباس جمعوا مجاهد دهوروا مقاتل قذفوا واصله كبوا فكررت الكاف فيها
هم والغاوون يعني الشياطين قتاده ومقاتل والكلبي كفرة الجن وجنود ابليس اجمعون وهم اتباعه
ومن اطاعه من الجن والانس قالوا اي الكفرة وهم فيها اي النار يختصمون يخاصم التابعون والمتبوعين
يقول التابعون للمتبوعين غررتمونا وكذبتمونا ويقول المتبوعون للتابعين لا بل ضللتم باختياركم تالله ان
كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم نعدلكم برب العالمين هذا من كلام التابعين واكدوا قولهم بالقسم
وما اضلنا الا المجرمون اي كبراونا الذين دعونا الى الضلال وامرونا به وقيل المجرمون الشياطين
وقيل ابليس وقيل ابليس وابن ادم الاول قاتل فما لنا من شافعين من الاباعد ولا صديق حميم من الاقارب
ينفعنا ويشفع لنا والحميم القريب وقيل الشفيق وقيل حميم الرجل من يختصه من قومه دعى فلان في

الحامه

الحامة لا في العامة اي في الخاصة فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين ممن اخبر انه ينفعهم
ذلك ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انومن
لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد
المومنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي
كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم انه
تعالى لما قص على محمد عليه السلام خبر موسى وابرهيم تسلية فيما يلقاه من قومه اقتص عليه ايضا نبا
نوح وكان بلاوه اعظم من بلاء غيره لانه كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذبه قومه
فقال كذبت قوم نوح قيل القوم مونثه وتصغيرها قويمة فلهذا دخلت التاء للجماعة كقوله قالت الاعراب
المرسلين يعني نوحا عليه السلام وحده كقوله تعالى يا ايها الرسل قال صاحب الكشاف ونظير قوله المرسلين
والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد وقيل انهم
وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة الرسل لا يختلف المعنى
حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما ارسل اليهم رسولا واحدا
فقد كذبوهم جميعا اذ قال لهم اخوهم لانه منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه
بيت الحماسة لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا نوح الا تتقون الله بترككم
عبادة الاصنام اني لكم رسول امين على الوحي وعليكم غير خاين لكم وقيل امين الله ايتمنني لرسالته
وقيل صادق فيما بلغتكم وقيل امين عندكم عرفتموني بالامانة والصدق قبل اليوم ولم اكن لاصادق
فيما بيني وبينكم من الامور على الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به فاني لا اخونكم ولا اريد بكم
سوءا وقيل واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله
في طاعتي وما اسالكم عليه اي على ما انا ادعوكم اليه من اجر من مال وثواب ان اجري الا على رب
العالمين فذلك ادين فاتقوا الله واطيعون كرره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل منهما
بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني قطع طمعه عنهم قالوا اي قومه انومن لك واتبعك
الارذلون والحال وحقها ان يضمر بعدها قد الارذلون السفلة وقيل الاقلون مالا وجاها ابن عباس الحاكة
والاساكفة وقيل الحامون وقيل اهل الضعة والخساسة وقيل المتكبرون وقيل انما استرذلوهم لاتضاع
نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله وما زالت اتباع

الا سا كد لك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك
قال نوح وما علمي بما كانوا يعملون انما لي منهم ظاهر امرهم وعلي ان ادعوهم وليس لي من حساب احوالهم
ودناءة مكاسبهم شي ولم اطلب ذلك انما كلفت ان ادعوهم وقيل وما علمي واي شي علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص
اعمالهم لله تعالى والاطلاع على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم
لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله تعالى الذين هم اراذلنا بادي
الراي قال صاحب الكشاف ويجوز ان يتغالى لهم نوح فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من
سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا
اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم
ومجازيهم عليه ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون قيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم
ويوفقهم ويخذلكم وقيل ان ظاهرهم وان الله يحاسبهم على ما في قلوبهم لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون
فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان
افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين
اي بمبعدهم من عندي وليس من شهوتي او شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطارد
المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين وما علي الا انذركم انذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يميز به الحق من الباطل قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين المستوجبين
مادة المقرونين بالحجارة ابن عباس ومقاتل من المقتولين قيل كل شي في القران من ذكر المرجومين فانه
يعني به القتل الا الذي في سورة مريم لئن لم تنته لارجمنك فانه اراد لاشتمنك قال نوح رب ان قومي
كذبون ليس هذا باخبار بعلمه انه عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما
غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجل دينك ولاجلك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح فاحكم بيني
وبينهم حكما والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما يسمى تفصيلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني
ومن معي من المؤمنين من عذاب عملهم وقيل من عملهم لانه سبب العذاب فانجيناه ومن معه في
الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد انجا نوح ومن امن معه الباقين من قومه فاهلكناهم بالماء ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد
المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم قالوا سواء علينا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون

بكل

بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا
الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتبنون بكل ريع بكل مرتفع من المكان وقيل الريع
السبيل سلك او لم يسلك واصله في اللغة الزيادة مجاهد الريع فج بين جبلين ابن ابي نجيح هو
الثنية الصغيرة وقيل المنظر عكرمة واد مقاتل شرف وكانوا لا يهتدون الا بالنجوم فبنوا على الطريق
امثالا طوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله اية اي علامة مجاهد ايضا الريع بنيان الحمام دليله
قوله تعبثون اي تلعبون وقيل علامة يجتمعون اليها للعبث بمن يمر في الطريق وقيل جعلنا تفاخرهم
بالابنية عبثا لا حاصل له وقيل المفعول محذوف تقديره اتبنون بكل ريع ابنية عظيمة واية منصوب
على انه مفعول له وتتخذون مصانع جمع مصنعة وقيل ماخذ الماء وقيل البنا على الماء وقيل ابنية كل بناء
مصنعة وقيل قصورا مشيدة وابنية محكمة وقيل حصونا لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
ابن عباس كانكم تبقون فيها خالدين وقيل تستيقنون كانكم خالدين واذا بطشتم سطوتم واخذتم بطشتم
جبارين قتالين بغير حق قيل اذا انتقمتم انتقمتم انتقام الجبارين بلا رافة ولا ابقاء والبطش العسف
قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله واطيعون واتقوا
الذي امدكم بما تعلمون اعطاكم ما تعلمون والامداد اتباع الثاني بما قبله شيئا بعد شي على انتظام ثم
ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا وقيل
الاخرة قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت
فان قيل لم قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد اجيب بان المعنى ليس بواحد وبينهما فرق
لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم يكن اصلا من اهله ومباشرته
فهو ابلغ من قلة اعتدادهم بوعظه من قولك او لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين قرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي خلق بفتح الخاء وسكون اللام اراد اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اي
افتعلته قال الفراء العرب تقول للخرافات احاديث الخلق والباقون بضم الخاء واللام اي عادة الاولين
من قبلنا نعيش ما عاشوا ثم نموت ولا بعث ولا حساب وقيل ما هذا الذي نحن عليه من الدين
الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم معتقدون وقيل ما هذا الذي نحن
عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الزمن والدهر وقيل ان هذا الذي نحن فيه
من اتخاذ الابنية في الريع والمصانع الا عادة الاولين وقيل ما هذا الذي جئت به من الكذب الا

عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاقوال فكذبوه
فاهلكناهم بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون
فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا
انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا
نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اتتركون فيما ههنا اي في الدنيا امنين قيل يحتمل ان يكون انكارا لان يتركوا في نعيم مخلدين لا يزالون
عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك من الامن والدعة
فيما ههنا اي الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسر بقوله في جنات وعيون وهذا اجمال ثم
تفصيل وزروع ونخل طلعها ثمرها هضيم قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات
والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة
ولا يقصدون بها الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا
قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها
بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة
هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفا وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه
لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويحتمل ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت
وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جا فاخرا وقيل
الهضيم اللين النضيج كانه قيل ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو فرهين بغير الف والباقون فارهين بالف والفراهة الكيس والنشاط ومنه
خيل فرهة ابن عباس اشرين الضحاك كيسين قتادة معجبين بصنعكم عبد الله بن شداد متجبرين
لمواضع نحتها ابو عبيدة مرحين الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته
ومدهته ويجوز ان يكون فارهين وفرهين بمعنى واحد فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر

المسرفين

المسرفين المشركين استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل
الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك امر مطاع وقوله تعالى واطيعوا
امري الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اي فسادهم خالص محض ليس معه شيء من الصلاح
كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا
حتى غلب على عقله مجاهد وقتادة من السحر وعن الكلبي وابو صالح عن ابن عباس من المخلوقين
المعللين بالطعام والشراب وقيل من السحر انما انت من اصحاب السحر يدل عليه قوله ما انت
الا بشر مثلنا فات باية على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين في دعواك قال صالح هذه ناقة لها
شرب نصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحموها
في الشرب ولا تزاحمكم فيه ولا تمسوها بسوء بعقر واهلاك وضرب عظيم اليوم لحلول العذاب فيه
ووصف اليوم بالعظم ابلغ به وصف العذاب به لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم
اشد فعقروها روي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت
ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها
فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فعقروها ضربا بساقها بالسيف وما جرى مجراها وقيل
العقر الجرح فاصبحوا نادمين على عقرها حين راوا العذاب وقيل اتاهم صالح بالمعجزات فامنوا به
فلما مات ارتدوا ثم احياه الله فبعثه نبيا اليهم فكذبوه فاتاهم بالناقة فاخذهم العذاب ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتاتون الذكران من العالمين
من الناس يعني انا تون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اصنافهم وغلبة اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتهم وقيل اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران
يعني انكم يا قوم لوط وحدكم تختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن بل انتم قوم عادون متجاوزون الحلال الى الحرام قال صاحب الكشاف العادي المتعدي

فى ظلمة المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون
فى جميع المعاصى فهذا من جملة ذلك وقيل بل انتم احق بان توصفوا بالعدوان بحيث ارتكبتم مثل هذه
العظيمة قالوا لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجنا
من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا قال لوط يعنى انى لعملكم من القالين ابلغ من ان يقول انى لعملكم
قال كما تقول فلان من العلما فيكون ابلغ من قولهم فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا فى زمرتهم
ومعروفة مساهمته لهم فى العلم ويجوز ان يريد من الكاملين فى قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض
يقلى الفواد والكبد وفى هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى ثم دعا لوط
عليه السلام رب نجنى واهلى مما يعملون اى من عقوبة عملهم وقيل اخرجنى من بينهم حتى لا اراهم وقيل
نجنى من مقاساة مخالطتهم وقالا عصمنى من عملهم فنجيناه واهله اجمعين عند نزول العذاب وقيل
نعصمناه واهله من ذلك الا عجوزا فى الغابرين وهى امراه لوط بقيت فى العذاب والهلاك وقيل الا
عجوزا فى الغابرين فانها غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضى بالمعصية
فى حكم العاصى واستثنا العجوز من الاهل وفى هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان
لم تساركهم فى الايمان فان قيل فى الغابرين صفة للعجوز كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفة
للعجوز كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم تكن الغبور صفتها وقيل بعضهم اجيب بان معناه الا عجوزا مقدرا
غبورا ومعنى الغابرين فى العذاب والهلاك غير الناجين ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين الكافرين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت
الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين
قال ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قرا ابن كثير ونافع وعامر اصحاب ليكة ههنا
وفى ص بغير همز والتا مفتوحة والباقون الايكة بالهمز فيهما والجر والايكة الغيضة وهم قوم شعيب
ابن زيد بعث الله شعيبا عليه السلام الى قومه واهل مدين واهل البادية وهم اصحاب الايكة اذ
قال لهم شعيب ولم يقل لهم اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة فى النسب فلما ذكر مدين قال
اخاهم شعيبا لانه عليه السلام كان منهم قيل اصحاب الايكة غير اهل مدين فارسل الله شعيبا

الى امتين

الى امتين وقيل اصحاب الايكة كالبادية واصحاب مدين كالحاضرة وانما كانت دعوة هاولاء الانبيا كلهم
فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة للاخبار بان الحق الذى يدعون اليه واحد وانهم مبعوثون على الامر
بالتقوى والطاعة والاخلاص فى العبادة والامتناع من اخذ الاجر على الدعوة وتبليغ الرسالة
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين الناقصين حقوق الناس فى الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس
المستقيم اى العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوقهم وذكر باعم الالفاظ الكيل على ان له ثلاثة اضرب
واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذى هو الايفاء ونهى عن المحرم الذى هو التطفيف ولم يذكر الزايد
وكان تركه عن الامر والنهى دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه ولا تعثوا فى الارض
مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الخليقة الاولين وهو كقوله والخلق الاولين قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا دخول الواو وههنا لقصد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم
التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا ان يكون بشرا وترك الواو فى قصة ثمود
لانه لم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر كونه بشرا وترك الواو فى قصة ثمود لانه لم يقصد
الا معنى واحد ههنا وهو مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين ان المخففة من الثقيلة ولامها ان يتفرقا
على الخبر والمبتدأ كقولك ان زيدا المنطلق فلما كان باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل
ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا قطعا جمع
كسفة اى قطعة من السماء من السما او من السحاب او من المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروا ببالهم فضلا ان يطلبوه ان
كنت من الصادقين فى انك مبعوث الينا فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء قال شعيب
ربى اعلم بما تعملون يجازيكم به وما على الا الدعوة وقيل ان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء
فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة الى السحابة نحو ما
اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم
انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين لما ختم ما اختصه من خبر الانبياء ذكر
بعد ذلك ما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو من وجهين الاول قوله تعالى وانه لتنزيل
رب العالمين وذلك انه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين او لانه اخبار عن القصص
الماضية من غير تعلم البتة فلا يكون ذلك الا بوحى من الله وقوله بعده وانه لفى زبر الاولين كانه يوكد
لانه لما ذكر هذه القصص السبعة على ما هى موجودة فى زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه

لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دل ذلك على انه ليس الا من عند الله الى محمد صلى الله عليه
وسلم وانه يعني القران لتنزيل اي لمنزل رب العالمين نزل قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن
عاصم نزل به خفيف الزاء الروح الامين بالرفع والباقون مشددا الزاء الروح الامين بالنصب
به بالقران والمراد بالروح الامين جبريل الذي هو امين على وحي الله الى انبيائه وانما نزله على القرانين
لسعد به ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في
قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربي قيل متعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون يا محمد من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب
واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل متعلق بنزل فيكون المعنى نزله بلسان عربي مبين لتنذر به
لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به قال
صاحب الكشاف وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك نزل له على قلبك
لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس
حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا
عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم
بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه
لنزوله بلسان عربي مبين وانه يعني ذكر القران وقيل معناه يعني ذكر محمد ونعته لفي زبر الاولين
اي في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه صح لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية
في الصلوة على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون
معانيه فيها **قوله تعالى** اولم تكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه
على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا
يستعجلون ۵ قال الامام هذا ذكر الحجة الثانية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان جماعة من علماء
بني اسرائيل اسلموا ونصوا على مواضع في التورية والانجيل ذكر فيها الرسول بصفته وقد كان
مشهورا في قريش يذهبون اليهم فقرب منهم هذا الخبر وهذا يدل دلالة ظاهرة على نبوته لان تطابق
الكتب الالهية على نعته يدل قطعا على نبوته اولم تكن لهم اية قرا ابن عامر تكن بالتاء اية
بالرفع فانه اسم وان يعلمه خبر والباقون بالياء اية بالنصب فان يعلمه اسم وانه خبر وليست
الاولى كالثانية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا والاولى ان يقال في يكن ضمير القصة واية ان
يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان تكون لهم اية جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية

ويجوز

ويجوز مع نصب الاية تانيث يكن لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا الا ان قالوا والمعنى
اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل ان النبي صلى الله عليه وسلم حق وان نبوته حق اية اي علامة موضحة
لان العلماء الذين امنوا من بني اسرائيل وجدوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل عن ابن عباس بعث اهل مكة وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا
لزمانه وان نعته وصفته فكان ذلك اية لهم على صدقه ولو نزلناه يعني القران على بعض الاعجمين هو جمع
اعجم وهو الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة والاستعجام مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة
زيادة تاكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفهمون كلامه قالوا له اعجمي واعجم شبهوه
بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم نعرا عليهم بغير لغة العرب
ما كانوا به مؤمنين وقالوا ما نفقه قولك كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم في الدنيا كما راتنا الامم المتقدمة وقيل في القيمة والمعنى انا انزلنا
هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض
بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتاب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحليه المنزل
عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير
كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه
ولو نزلناه على بعض الاعجمين الذين لا يحسنون العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم
هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا وسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه
اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة
من الكفر به والتكذيب له وصفناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل
الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وموقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه موقع الموضح والملخص
لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب
وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به فياتيهم بغتة وهم لا
يشعرون وليس معنى التعقيب في قوله فياتيهم فيقولوا ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال
النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى تكون رؤيتهم
العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك
ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله
يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب

الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله ونرى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه
فيقولوا عند نزول العذاب هل نحن منظرون اي موخرون لنومن ونصدق قال مقاتل فلما وعدهم رسول الله
بالعذاب قالوا الى متى تكذبنا به فقال الله افبعذابنا يستعجلون فيقولون مرة امطر علينا حجارة ومرة يقولون
لن نومن لك الاية **قوله تعالى** افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون ان متعناهم سنين في الدنيا
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون بمتعهم اي لا معنى لاستعجالهم العذاب
فانه اذا اتاهم ولو بعد العمر الكبير لم يغن عنهم تمتعهم بالدنيا قبل ذلك ولان العذاب ياتيهم ولو بعد حين
قيل ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير واقع ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة
وامن وطيب عيش ثم قال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرًا وبطرًا واستهزاءً واتكالا على الامل الطويل ثم
قال وهب ان الامر كما يعتقدون من تمتعهم وتعمرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من
طول اعمارهم وطيب معايشهم وما اهلكنا من قرية بالعذاب الا لها منذرون اي لم نهلك اهل قرية من القرى
التي تقدمت في السورة وغيرها الا لاهلها منذرون ينذرونهم ويذكرونهم ورسول يرشدهم ويعظهم وما كنا ظالمين فنعذبهم
قبل الاعذار والانذار وجمع المنذرين لان المقصود من القرية العموم والدليل عليه دخول من وقيل المراد
بهم النبي واتباعه المظاهرون له ذكرى منصوبة على المصدر اي تذكرهم ذكرى ويجوز ان تنصب بقوله
منذرين لقولهم فعل الرجوع رجع القهقرى وقيل منصوبة بمعنى تذكرهم اما لان الانذار والتذكير متقاربان
فكانه قيل مذكرون تذكرة ويجوز ان تكون منصوبة على الحال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي
تذكرة وقيل منصوبة لانها مفعول لها على معنى انهم ينذرون لاجل ذكرى والعظة وقيل مرفوعة على انها
خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو اذكرى وقيل جعلهم
نفس ذكرى لاسرافهم وامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها وقيل ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى
وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم
تذكرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قومًا غير ظالمين الا لها منذرون الجملة
صفة لقرية وما تنزلت به اي بالقران الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يسهل على الشياطين
بل نزل به الروح الامين كانوا يقولون ان محمدًا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين
على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يسهل على الشياطين وما ينبغي لهم لا يصلح لهم ان ينزلوا به وما
يستطيعون ان ينزلوا بالقران على احد انهم عن السمع لمعزولون مرجومون بالشهب معزولون عن
استماع كلام اهل السماء **قوله تعالى** فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين

قيل الخطاب للنبي والمراد به غيره وقيل قد علم الله ان ذلك لا يكون منه ولكنه اراد ان يحرك
منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فان كنت في شك مما انزلنا اليك **قوله تعالى** وانذر عشيرتك الاقربين واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون قيل امر بانذار الاقرب
فالاقرب من قومه وبدا في ذلك بمن هو اولى بالبدء ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم
كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي واول
ما اضعه ربا العباس وقيل امر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم
في الانذار والتخويف روى البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني
عنكم من الله شيئًا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك
من الله شيئًا يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئًا يا فاطمة بنت محمد سليني
ما شئت ما اغني عنك من الله شيئا وفي بعض الالفاظ سلوني من مالي ما شئتم واخفض جناحك
لين جانبك لمن اتبعك من المومنين وجناحا الانسان جانباه الطائر اذا اراد ان يحط كسر جناحه
وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب
فان قيل المتبعون للرسول هم المومنون والمومنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك
من المومنين قيل سماهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك وقيل اراد بالمومنين المصدقين
بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه
الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما
الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم اي انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم
جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك فقل لهم اني بريء مما تعملون من عبادة
الاوثان ومعصية الرحمن **قوله تعالى** وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد
يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا
من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء وكذلك
في مصاحف اهل المدينة والشام والباقون بالواو وتوكل على العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم
الذي ينصرك برحمته ثم اتبع كونه رحيمًا على رسوله ما هو كالسبب والعلامة لتلك الرحمة وهو

ذكره ماكان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبك في الساجدين ابن عباس ومقاتل حين تقوم الى الصلاة الحسن حين تخلو وقيل حين تقوم من مقامك وتقلبك وترى تقلبك في الساجدين عكرمة عن ابن عباس تقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك سماده ترى تقلبك في صلاتك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة والمعنى يراك وحدك ويراك في الجماعة وقيل حين تراك وترى تقلبك في تصفح احوال المتهجدين الساجدين من اصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن من امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين هل انبئكم على من تنزل الشياطين فانهم لا ينزلون على الانبياء ولا يقدرون ان ينزلوا عليهم تنزل على كل افاك كذاب كاهن ساحر اثيم كثير الاثم كمسيلمة وطليحة وسجاح وسطيح يلقون السمع يعني يسمعون من الملائكة هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيخطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون به كذبا كثيرا وهم الذين يحجبون وقيل يأتيان الشياطين الى الكهنة فيلقون اليهم فيزيدون فيه الكذب وقيل الكفار يسمعون من الجن ما يوسوسون به ويعملونه وقيل اكثر الشياطين وقيل اكثر الكهنة والشياطين كاذبون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت يلقون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع ويجوز ان يكون في محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع ويجوز ان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون السمع قال صاحب الكشاف فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت عناية الله تعالى بها ومثال ذلك ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك الى الرجوع اليه والشعراء مبتدأ خبره يتبعهم الغاوون اي لا يتبع الشعراء على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الشياطين وقيل هم الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل واراد بها ولا شعراء قريش عبد الله

بن الزبعرى

بن الزبعرى وعبد الله بن ابي وهب ومسافع عبد مناف وابا عزة الجمحي وامية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم قرأ نافع يتبعهم بسكون التاء والباقون بتشديدها الم تر انهم في كل واد من اودية الكلام يهيمون الهائم الذاهب على وجهه ابو عبيدة الهائم المخالف للقصد ابن عباس في كل لغو يخوضون قتادة يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وعن الفرزدق ان سليمان ابن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم انه تعالى استثنى الشعراء المومنين الصالحين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وابن زهير فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا قيل في شعرهم وقيل في كلامهم ودعائهم وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وانتصروا من المشركين من بعد ما ظلموا لان المشركين بدأوا بالهجاء ثم اوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله والمومنين اي منقلب منصوب بقوله ينقلبون لا بقوله سيعلم لان اياً وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها ومعنى الكلام انهم ينقلبون الى نار يخلدون فيها قال صاحب الكشاف ختم السورة باية ناطقة بما لا شيء اهيب منه ولا اهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ه ه ه ه ه

سورة النمل مكية

وهي ثلاثة وتسعون اية والف ومائة وتسعة واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

طس تلك ايات القران وكتاب مبين هدى وبشرى للمومنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون عن ابن عباس في رواية ان طس قسم اقسم الله به وهو من اسمائه وعنه في رواية اخرى هو اسم الله الاعظم قتادة هو اسم من اسماء القران وقيل الطاء من اللطيف والسين من السميع وقيل اهل الاشارة الى اظهار سره عليه الصلاة والسلام

قرأ حمزة والكسائي بالإمالة والباقون بالتفخيم تلك إشارة إلى آيات السورة أي آيات السورة
آيات القرآن وكتاب مبين هو اللوح المحفوظ وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين
وقيل وكتاب مبين هو السورة أو القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع
وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن وكتاب مبين على سبيل التفخيم لها لأن
المضاف إلى العظيم عظيم بالإضافة إليه ونكر كتاب مبين ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله
تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وعطف كتاب مبين على القرآن كعطف إحدى الصفتين
على الأخرى كقولك هذا فعل السخي والجواد الفاضل لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه
فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وأي كتاب
مبين قال صاحب الكشاف لا فرق بين هذا وبين قوله في الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك جار مجرى التسوية لا يترجح فيه
جانب على جانب ونحو ذلك وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقيل القرآن والكتاب اسمان علمان
للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفان لأنه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم
وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف وإن شئت قلت هما يجريان مجرى العباس وابن عباس فهو في
الحالين اسم علم هدى وبشرى في محل النصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك
من معنى الإشارة ويجوز أن يكونا في محل الرفع على أن يكونا بدلا من الآيات أو خبر مبتدأ محذوف
أي هي هدى وبشرى أو خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى للمؤمنين بأنها زادتهم
في هداهم ومستمرة الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون قال صاحب
الكشاف وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار
معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف
العاقبة يحملهم على تحمل المشاق **قوله تعالى** إن الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون
لما بين للمؤمنين من الهدى والبشرى أتبعه بما على الكفار من سوء العذاب كما في سورة البقرة
إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم أصحابنا أهل السنة أجروا الآية على ظاهرها بمقتضى
قوله تعالى قل كل من عند الله وأما المعتزلة فإنهم عدلوا عن الظاهر بمقتضى مذهبهم قال صاحب
الكشاف فإن قلت كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشياطين في قوله وزين
لهم الشيطان أعمالهم قلت بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة
وإلى الله تعالى مجاز وله طريقان أحدهما في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول

أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله تعالى بذلك عليهم وإحسانه إليهم
ذريعة إلى اتباع شهواتهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة
والمشاق المتعبة فكأنه زين بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند
إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة فهم يعمهون يتحيرون
يترددون في ضلالتهم وقيل زينا لهم الخير التي أمرناهم بها ووجب عليهم أن يعملوها فهم يعمهون عنها يتحيرون
فيها ويترددون والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وقيل يتمادون وقيل يعمون أولئك
الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا بالآخرة لكانوا
من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسرانهم النجاة وحرمانهم الثواب والمنع من دخول الجنات
قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وإنك لتلقى لتؤتى القرآن
وتلقنه وتأخذه وقيل لتتلقى من لدن حكيم عليم أي حكيم عليم أي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين
وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف
حكمته ودقائق علمه **قوله تعالى** إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها
بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر
ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم إذ قال موسى لأهله في مسيره
من مدين إلى مصر قيل لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك
ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله سآتيكم إني آنست أبصرت نارا سآتيكم من النار بخبر أي
بدلالة على الطريق وكان قد ضل الطريق وقيل سأخبركم عنها بعلم أو آتيكم بشهاب قبس قرأ عاصم
وحمزة والكسائي بالتنوين قبس بدل أو صفة لما في الشهاب من معنى القبس والقبس النار المقبوسة
يقال قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني أي أعطاني منه قبسا والباقون بالإضافة غير منون لأن
الشهاب يكون قبسا وغير قبس وسآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر لا تدافع بينهما لأن الراجي يقول إذا قوي
رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويز الخيبة وجاء بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن
أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وجاء بأو دون الواو على أنه إن لم يظفر بحاجتيه المقصودتين ظفر بواحدة
منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله تعالى بأنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما
أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة لعلكم تصطلون
أي تستدفئون من البرد والصلاء النار العظيم **قوله تعالى** فلما جاءها نودي أن بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك

فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون فلما جاء موسى النار التي ابصرها نودي جاءه النداء وهو الكلام المسموع ان بورك ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل بورك ولا يجوز ان تكون ان هي المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك من في مكان النار ومن حول مكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن يعني قدس من في النار لانه منزه عن ان يحل في شي مجاهد من رايته والمعنى بورك من في النار وقيل المعنى بورك على من في النار او فيمن في النار قال الفرا والعرب تقول باركك الله وبارك عليك وبارك فيك بمعنى واحد والتقدير بورك فيمن في طلب النار وهو موسى بحذف المضاف فهذه تحية من الله لموسى بالبركة كما حيا ابرهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فخرج في قوله بورك قولان احدهما قدس والاخر من البركة وقيل قدس من في النار لانه كان فيها لا على تمكن الاجسام لكن على معنى انه نادى موسى عليه السلام منها واسمعه كلامه منها واظهر له ربوبيته من ناحيتها وروي انه مكتوب في التورية جاء الله من سينا واشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران فمجيئه تعالى من سينا بعثته موسى عليه السلام منها ومن ساعير بعثته عيسى عليه السلام منها واستعلاؤه من جبال فاران بعثته المصطفى صلى الله عليه وسلم منها فاران مكة وقيل كانت النار نور عز وجل وانما ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر سعيد بن جبير كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله يدل عليه ما روى ابو موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره ثم قرا ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين وقيل معنى بورك من فيها وحولها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات اليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث اثار في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبيا صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا ومعنى ابتدا خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة له بانه قد قضى امر عظيم ينتشر منه في ارض الشام كلها البركة ومن حولها ابن عباس والحسن الملائكة محمد بن كعب موسى والملائكة وقيل موسى وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذانا بان ذلك الامر مريده ومكونه رب

العالمين

العالمين وقيل هذا من جملة ما نودي وانه سبحانه نزه نفسه عما لا يليق به من الاوصاف وقيل ان كلام موسى لما دهاه الامر العظيم يا موسى انه قيل الضمير في انه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبر العزيز الحكيم صفتان للخبر وقيل الضمير يعود الى المنادي الذي دل عليه ما قبله اي ان مناديك انا الله سانه لانا العزيز الحكيم صفتان له وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزات يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الحكيم الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك معطوف على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر فلما راها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقيل شبهها بالجني ولى موسى مدبرا عنها وجعلها تلي ظهره ولم يعقب ولم يرجع ولم يلتفت يقال عقب الرجل اذا رجع مقاتلا بعد ان ولى وقيل معنى لم ينتظر لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون في الموضع الذي يوحى اليهم لان المرسلين اخوف من الله من غيرهم **قوله تعالى** الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم لما اطلق نفي الخوف على المرسلين كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبيا كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي تلطف باخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ابن جريج انما اخيفك لقتلك النفس الحسن وكانت الانبيا تذنب فتعاقب ثم تذنب والله يعاقب ابن جريج معنى الا انه لا يخيف الله سبحانه الانبيا عليهم السلام الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فقوله تعالى الا على التاويل الاستثنا صحيح وسائر الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حال من ظلم من الرسل وغيرهم من الناس وفي الاية متروك استغني عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ثم بدل متصل بالاول والتقدير والا بدل حسنا بعد سوء وقيل الاستثنا منقطع والتقدير لا يخاف لدي المرسلون انما يخاف الظالمون ثم استثنى من الظالمين فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء والمعنى لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف على الظالمين ثم استثنى فقال الا من ظلم اي كان مشركا فتاب من الشرك وعمل صالحا حسنا بعد سوء فذلك مغفور له وليس بخائف وقيل انما معنى الا انه الا من ظلم فعليه الخوف فاذا تاب ازال الله عنه الخوف **قوله تعالى** وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير

سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين   وادخل يدك في جيبك عطف على والق
عصاك الجيب حيث حبس من القميص اي قطع انما امر بادخال يده في جيبه لانه كان عليه حسد مدرعة
من صوف لا كم لها تخرج بيضاء من غير سوء برص واقعة في تسع ايات قيل كلام مستانف وحرف الجر فيه
متعلق بمحذوف تقديره اذهب في تسع ايات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس
الطعاما وقيل في تسع متعلق بقوله والق عصاك وادخل يدك اي والق عصاك وادخل يدك في جيبك
في تسع ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن وقيل تقديره هذه اية في تسع ايات انت مرسل بهن الى فرعون
وقومه فترك ذكر مرسل لدلالة الكلام عليه وقيل من تسع ايات بعض تمامها وقيل مع تسع ايات لان الايات
كانت احدى عشرة اثنان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم **قوله تعالى** فلما جاءتهم اياتنا
مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين   فلما جاءتهم اياتنا مبصرة منيرة ظاهرة جعله تعالى ابصارا لها واضاء جعل الابصار
للايات وهو في الحقيقة لمتاملها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها وقيل مبصرة
يجعلها بصاير وقيل جاعلة لهم بصاير وقيل بصر الحق من الباطل وقيل يتبصر من ينظر اليها وقيل فاعل بمعنى
مفعول كماء دافق وعيشة راضية قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها ولم يقروا والجحود الانكار مع العلم
يقال جحده حقه وبحقه جحدا وجحودا والجحد ايضا قلة الخير قيل الباء زايدة وقيل باء السبب اي انكروا
الخير عنهم بسبب الايات اي بسبب ردهم ايات الله وتكذيبهم حاملها واستيقنتها الواو للحال وقد
بعدها مضمرة اي وقد استيقنتها انفسهم انها من عند الله ظلما وعلوا كبرا وترفعا عن الايمان بما جاء
به موسى وفايدة ذكر انفسهم انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان
ابلغ من الايمان والمعنى وجحدوا بها ظلما وعلوا اي ترفعا عن الايمان بما جاء به موسى وهم يعلمون انها من عند
الله واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها
سحرا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي كان الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرى **قوله تعالى**
ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين ولقد اعطينا داود
وسليمان علما طايفة من العلم او علما سنيا عزيزا وقيل علما بالدين والحكم وقيل بهما وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم
وقيل علم منطق الطير وقيل علم الكيمياء وهو ضعيف بل ليس بشيء وقالا اي داود وسليمان الحمد لله الذي
فضلنا على كثير وعطف بالواو دون الفاء وان كان الموضع موضع الفاء تقديره اعطيناهما فشكرا
ومنعته خصر مشعر بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف
عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله

الذي

الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يوت علما ومن لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير
وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم
من اجل النعم واجل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله المومنين كما قال
والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم
منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم
انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر **قوله تعالى**
وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت
نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين ۵ وورث سليمان الملك والنبوة والعلم دون ساير اولاده وكان لداود
عليه السلام تسعة عشر ابنا قال مقاتل كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من داود عليه السلام
واقضى منه وكان داود اشد تعبدا منه وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال سليمان يا ايها الناس
علمنا منطق الطير المنطق استعارة في غير بني ادم وحسن هاهنا لان سليمان فهم معنى صوت
الطير فجرى في حقه مجرى النطق وقيل كانت الطير معجزة له كقصة الهدهد وقيل يجوز ان يسمى
صوت الطير منطقا لان بعضها كلاما مفهوما كالسعا وقيل لما فهم مرادها بها اصواتها سمي منطقا والمنطق
كلما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير
يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما بينهم بعضه من بعض من مقاصده واغراضه حكي
ان سليمان مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله
ورسوله اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق
لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول من لا يرحم لا يرحم
وصاح صرد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وتم نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قتله وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوا
ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال يقول سبحان ربي الاعلى
ملء سمايه وارضه وصاح قمري فقال يقول سبحان ربي الاعلى والحدا يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا
يقول من سكت سلم والببغا يقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والباري

يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل مكان واوتينا من كل شيء اراد كثير
ما اوتي كما قال فلان تقصده كل احد ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه اليه غزارته في العلم واستكثاره منه
ومثله قوله واوتيت من كل شيء وقيل من كل شيء من علم كل شيء احتجنا اليه وقيل مما كل شيء يؤتى الانبيا وقيل من كل
ما يطلبه طالب حاجة وقيل من كل شيء من الخيرات وقيل فهم ما يسبح به الطير فحسب وقيل من كل شيء يؤتى
البشر ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والحمد كما قال رسول الله انا سيد ولد ادم
ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين اجيب
من وجهين احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذا النون يقال له نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك
وتفخمه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحو من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين
عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتايب وحشر لسليمن جنوده من الجن
والانس والطير في مسير له فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا وذلك انه عليه السلام جعل
على كل صنف منهم وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير اي توقف سلاف العسكر حتى
تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم وذلك للكثرة العظيمة بن عباس يوزعون يدفعون
مقاتل يساقون السدي يوقفون واصل الوزع الكف والمنع ومنه الحديث ما يزع السلطان اكثر
مما يزع القران وقال الشاعر على حين عاتبت المشيب على الصبي وقلت الما تصح والشيب وازع روي
ان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
منها للطير وخمسة وعشرون منها للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة
منكوحة وسبعمائة سرية فامر الريح العاصف فحملته وامر الرخاء فسيرته فاوحى الله اليه وهو يسير
بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلايق بشيء الا جاءت الريح فاخبرتك به
ونسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان له منبر
يوضع في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلثة الاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبيا عليهم
السلام على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح
الى الرواح ومن الرواح الى الصباح روي ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر
الحراث اليه فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه والقته في اذن سليمان فنزل
حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي ال داود فقال الحراث اذهب الله همك كما اذهبت همي حتى اذا اتوا اي ساروا حتى

اذ بلغوا

اذا بلغوا وادي النمل قيل هو واد بالشام كثير النمل وقيل ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من
الطايف فاتى على وادي النمل وانما عدي بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء واما ان يراد
يقطع الوادي وبلوغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي قالت نملة عشى وكانت عرجا مثل
الذيب في العظم فنادت النمل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لما وصف النمل بالمخاطبة وهي من افعال
العقلا وصفها كما توصف العقلا لا يحطمنكم سليمان وجنوده في الظاهر نهي لسليمن عن الحطم وفي
الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف قصار يقول القايل لا ارينك ها هنا اي لا تحضر هذا الموضع عن قتاده
انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا ما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث
فقال سلوه عن نملة سليمن اذكرا كانت ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين
عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة
والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بالعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى والحطم الكسر
وقيل لا يحطمنكم جواب الامر ويجوز ان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى
لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ها هنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ
ونحو عجبت من نفسي ومن اشفاقها وهم لا يشعرون ابن عباس اصحاب سليمن لا يشعرون بكلام
النملة مقاتل اصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم لانها علمت انه ملك لا بغي فيه وانهم لو علموا بالنمل ما توطوهم
فتبسم سليمان ضاحكا منصوب حالا موكدة لانه تبسم بمعنى ضحك وقيل معنى تبسم ضاحكا شارعا في الضحك
واخذا فيه اي تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبيا قال المفسرون تبسم سليمان تعجبا مما قالت
وقيل من ثنائها عليه وقيل اعجابه بما دل عليه من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة
حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا قال بعض العلما هذه
الاية من عجايب القران لانها بلفظة يا نادت ايها نبهت النمل عينت ادخلوا امرت مساكنكم نصبت
لا يحطمنكم حذرت سليمان خصت وجنوده عمت وهم لا يشعرون عذرت من قولها وقال رب اوزعني
اجعلني ازع شكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي عندي واكفه وارتبطه لا ينقلب عني حتى لا انفك شاكرا
لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان
تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعا المومنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي
ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا
يذعرن حتى يدخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة وان اعمل صالحا عطف على قوله ان اشكر اي الهمني ان اعمل
صالحا ترضيه وادخلني برحمتك الجنة في عبادك الصالحين في جملة الانبيا ولا يدخل احد الجنة الا
برحمتك **قوله تعالى** وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين

لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم
تحط به وجئتك من سبأ بنبإ يقين انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموت والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم وتعهد الطير اى طلبها وتفقدها وبحث عنها فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى قرا ابن كثير وعاصم
والكسائى مالى بفتح اليا والباقون بسكونها قيل المعنى ما للهدهد لا اراه تقول العرب مالى اراك كئيبا اى ما لك
فهذا من المقلوب الذى معناه معلوم قيل نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالى لا اراه على معنى انه
لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه
سال عن صحة ما لاح له ونحو قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما فرغ
من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للسير واستصحب من الجن والانس والطير والوحوش
ما بلغ معسكره ماية فرسخ وامر الريح الرخا فحملتهم فلما وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم
مقامه بمكة خمسة الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من اشراف قومه ان هذا
مكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه ويبلغ هيبته   القريب
والبعيد عنده فى الحق سوا لا تاخذه فى الله لومة لايم قالوا فباى دين يدين يا نبى الله قال بدين الحنيفية
فطوبى لمن ادركه وامن به وصدقه قالوا وكم بيننا وبينه يا نبى الله قال زهاء الف عام فليبلغ الشاهد منكم
الغايب فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل وان اسمه لمكتوب فى زبر الانبيا فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم احب ان
يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يوم سهيلا فوافى صنعا يوم الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى
الماء من تحت الارض كما يرى احدكم الماء بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وبعده ثم يجى الشياطين فيسلخونه
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان قال الهدهد قد اشتغل بالنزول فارتفع
نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة
فوقع اليه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال
عنفير اليمن ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبى سليمان قال عنفير ومن سليمان
قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحوش والريح فمن اين انت قال عنفير من هذه البلاد قال
ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس فان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها
ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنى عشر الف قايد تحت يد كل قايد ماية الف مقاتل فهل انت منطلق معى حتى تنظر
الى ملكها قال اخاف ان يتفقدنى سليمان وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال عنفير ان صاحبك ليسره

ان تاتيه

ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر
فلما نزل سليمان ودخل وقت الصلاة وطلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسال الانس عن الماء فقالوا
ما نعلم ها هنا ماء فسال الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقده قال ابن عباس فوقعت نفحة من الشمس على راس
سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله
الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته مكانا فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا
او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين ثم دعا بالعقاب سيد الطير فقال على بالهدهد الساعة فرفع
العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم ثم
التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما راى الهدهد
ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذى قواك واقدرك على الا ما رحمتنى
فتركه وقال ويلك ثكلتك امك ان نبى الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى او ليأتيني بسلطان مبين
ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا اين غبت فى يومك
هذا فلقد توعدك نبى الله واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبى الله قال او ليأتيني بعذر بين
ثم طار العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبى الله
فلما قرب الهدهد منه رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما
دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبى الله
اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه ثم ساله فقال ما الذى ابطا بك
عنى فقال الهدهد ما اخبر الله فى كتابه ثم ساله بما يحمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب
سليمان للطير ان ينتف ريشه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل ياكله وقيل ايداعه
القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون
معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه قال صاحب الكشاف فان قلت قد حلف على ثلاثة
اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتى
بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو فى الحكم الذى هو الحلف آل كلامه
الى قوله ليكونن احد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان
احدهما وليس فى هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بانه سياتيه
بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان قرا ابن كثير ليأتيننى بنونين
والباقون بنون واحدة فمكث قرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان والمعنى لم يلبث الا يسيرا
ثم جاء فقال سليمان ما الذى ابطاك فقال الهدهد احطت علما بما لم تحط به اى علمت شيئا من جميع جهاته

مما لم يعلم الجن الهدهد هدد كلام سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر
اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء قيل وفيه دليل على بطلان
قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وجئتك من سباء قرا ابن كثير وابو عمرو
نصبا غير مصروف والباقون خفضا منونا وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبا رجل من
العرب فاداه هي ارض باليمن فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب الاكبر صرف ثم
سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان تراد
المدينة والقوم بنباء بخبر له شان من سباء بنبا من حسن الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو
من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصنعة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه
صحة المعنى وسداده يقين صادق اني وجدت امراة هي بلقيس بنت شراحيل تملكهم اي اهل سبا وكان
ابوها ملك اليمن كلها قد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها
يعبدون الشمس واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك من الابنية والالة والعدة ولها عرش عظيم
سرير ضخم حسن وكان مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة
مكللا بالوان الجواهر وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد
وقائمة من در وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق وقال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلثين
ذراعا في ثلثين ذراعا وطوله في الهوا ثلثين ذراعا وقال مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا
وطوله في الهوا ثمانون ذراعا وجدتها اي بلقيس وقومها يسجدون للشمس من دون الله الحسن
كانوا مجوسا وزين لهم الشيطان اعمالهم التي كانوا عليها من سجودهم للشمس فصدهم السلطان
عن السبيل اي عن سبيل التوحيد والحق الذي يجب ان يسلكوه اذ لا سبيل غيره فهم
لا يهتدون الى الحق الا يسجدوا وقرا الكسائي الا يا بالتخفيف على معنى الا يا هؤلاء اسجدوا وجعله
امرا من الله مستانفا وحذفوا ها ولا اعتمادا لانه ما عليها وذكر سماعا من العرب الا يا ارحموا الا يا تصدقوا
علينا يريدون الا يا قوم فعلى هذه القراة اسجدوا في موضع جزم على الامر والوقف على الا يا ثم يبتدي
اسجدوا والباقون الا يسجدوا بالتشديد على معنى وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا لله
فال في موضع نصب ويسجدوا انتصب بان لله الذي يخرج الخبا الخفي المخبو في السموات والارض من
خبات الشي اذا اخفيته وقال اكثر المفسرين خبا السموات المطر وخبا الارض النبات والمعنى يعلم
الغيب في السموات والارض وقيل في معنى من يعني يخرج الخبا من السموات والارض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون قرا الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما والباقون بالياء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم

وقيل

وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد هدهد سنة ومعرفته الماء تحت الارض وذكر بالهام من عم
الخبا في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النشاط بنور الله ان
دقايق ذي كل منعه ولطايف كل شي انما هو بالهام الله وسجود التلاوة واجبة في القراتين جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك
وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه **قوله تعالى**
قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر
ماذا يرجعون ثم ان سليمن عليه السلام اخر امر الهدهد الى ان تبين له حقه من باطله فسوفه
بالنظر في ذلك قال سليمن سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد صدقت ام كذبت الا ان
كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان
كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به اي قال سليمن سنعرف اصدقت فيما اخبرت فتكون
معذورا في غيبتك ام كنت من الكاذبين فيما اخبرت به فيحل بك ما توعدتك ثم ذكر ما يتعرف به صدق
الهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون لانه لا يتهيا له ايصاله
هذه ثم تول تنح عنهم فانظر الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك
قيل امره بالتولي حسن ادب ليتنحى ما يتادب به مع الملوك وقيل فيه تقديم وتاخير اي فالقه اليهم
فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وقيل معنى ثم تول عنهم اسرع الانصراف وقيل معنى فانظر فانتظر ماذا
يرجعون قيل يردون وقيل يجيبون وقيل يرجعون بينهم في الكلام من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض
القول قيل دلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب
سليمن كتابا من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي واتوني مسلمين ابن جريج لم يزد سليمن على ما قص الله في كتابه انه وانه قيل كان سليمن ابلغ الناس
في كتابه واقلها املا وهاده وكذلك الانبيا عليهم السلام كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما
كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم
فكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون قرا عاصم وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء وقالون يختلس كسرتها في الوصل
والباقون يشبعونها فالقه اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس وقال فالقه الى الذين
هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع كذلك
فاخذ الهدهد الكتاب واتى به بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعا على ثلاثة ايام فوافاها
في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت راسها
واوت الى فراشها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها مقاتل حمل

الهدهد الكتاب على منقاره فطار حتى وقف على راس بلقيس وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة
والناس ينظرون حتى رفعت المراة راسها فالقى الكتاب في حجرها ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس
تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت
الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت كاتبة
قارية عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمن عليه السلام
كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل هذا الكتاب هو اعظم ملكا منها لانه ملك رسله الطير انه لملك عظيم
فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر
الف قايد مع كل قايد مائة الف مقاتل قال قتادة ومقاتل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل رجل
منهم على عشرة الاف فجاوا فاخذوا مجالسهم فقالت لهم بلقيس **قوله تعالى** يا ايها الملا
اني القي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين
كتاب كريم قال قتادة حسن مضمونه وما فيه وقيل وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم وقيل مختوم عن النبي
صلى الله عليه وسلم كرامة الكتاب ختمه وعن انس لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى العجم قيل له
ان العجم لا يقبلون كتابا الا عليه ختم فاصطنع خاتما فكاني انظر الى بياضه في كفه وعن ابن المقفع من كتب
الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم انه
من سليمن وهو استيناف وتبيين كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه
من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين اي ان الكتاب من عند سليمن وان
المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي اي لا تتكبروا علي كما يفعل الملوك واتوني مسلمين منقادين
طايعين **قوله تعالى** قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
قالت بلقيس يا ايها الملا افتوني في امري اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني فيما اشاوركم فيه جعلت
المشورة فتيا وذلك جائز لسعة اللغة والفتوى الجواب في الحادثة والحكم بما هو صواب اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث من
الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم
وتطييب نفوسهم ليمالوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة امرا وقاضية حتى تشهدون بحضورتكم
اي لا ابت امرا الا بمحضركم **قوله تعالى** قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك
فانظري ماذا تامرين قالوا اي الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة اي قوة الاجساد وقوة
الالات والعدد وقوة في القتال واولوا باس شديد عند الحرب والامر اليك اي الامر موكول اليك ايتها
الملكة ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك والراي رايك فانظري ماذا تامرين فان امرتنا

بالحرب

بالحرب والقتال قاتلنا وان امرتنا بالصلح صالحنا وقيل ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء المشورة
وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك **قوله تعالى** قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من المصلحة الميل الى الصلح والابتداء بما هو
احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا
وغلبة افسدوها اخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها واسروا وقتلوا
فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء عاقبتها وكذلك يفعلون قيل من تمام كلامها ارادت وهذه عادتهم المستمرة
الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات وقيل هو تصديق من الله لقولها ثم ذكرت
بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد قيل ان بلقيس كانت امراة لبيبة اديبة قد سيست
وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى
اعمل على حسب ذلك واختبره بها املك هو ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل
الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فاهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا
واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان
قال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتي غلام ومائتي جارية وقال الكلبي عشرة غلمان وعشر جواري وقال وهب
وغيره خمسمائة غلام وخمسمائة جارية واهدت له صفايح الذهب في اوعية الديباج وقال وهب عمدت
بلقيس الى خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وعليهم الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة
من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء يتيمة وخرزة
جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها
اصحاب راي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه
بكلام فيه تانيث وتخنث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال
ثم قالت للمنذر انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره وانا
اعز منه وان رايته بشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل
الهدهد مسرعا الى سليمن عليه السلام فاخبره الخبر كله فامر سليمن عليه السلام ان يضربوا لبنات الذهب
والفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى سبعة فراسخ ميدانا واحدا بالبنات
الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي الدواب

احسن مما رايتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله انا راينا دواب في بحر كذا وكذا منمنمة منقطة الوانها لها
اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوا بها فقال شدوها على يمين الميدان وعلى يسار الميدان على
لبنات الذهب والفضة ثم قال عليه السلام للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين
الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان عليه السلام في مجلسه على سريره ووضع له اربعة الاف كرسي
عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا
فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنى القوم من
الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التي لم تر اعينهم تروث على لبنات الذهب والفضة
تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وروي ان سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات
الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التي معهم فلما راوا الرسل
موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان ثم حاولوا
فلما راوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقال لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم فكانوا
يمرون على كل كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان
فنظر اليهم سليمان عليه السلام نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا له
واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال اين الحقة فاتي بها فحركها فجاءه جبريل عليهما السلام فاخبره بما في
الحقة ثم قال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت
فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بثقبها فسال سليمان الجن والانس فلم يكن
عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فجاءت الارضة واخذت شعرة في فيها ودخلت
حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان حاجتك فقالت يصير رزقي في الشجر قال لك ذلك ثم قال
من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فمها
ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال سليمان عليه السلام حاجتك قالت تجعل
رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز عليه السلام بين الغلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا وجوههم
وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها ثم تجعله على الاخرى ثم تضرب على الوجه والغلام
كان ياخذ الماء من الانية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر
الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر على يديه فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان
الهدية فذلك قوله واني مرسلة اليهم فناظرة بم يرجع المرسلون **قوله تعالى**
فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم
فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون فلما جاء سليمان رسولها بهديتها

قال

قال سليمان اتمدونن قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بنونين وبالياء في الاصل وروى المسيبي عن نافع بنون
واحدة خفيفة وبالياء في الوصل والوقف وعاصم وابن عامر والكسائي اتمدونن بغير ياء في الوصل والوقف وحمزة
بنون واحدة مشددة ووقف على الياء اتردونني بمال الخطاب للرسل ممن جعلهم جماعة ومن جعل الرسول
رجلا واحدا او امراة قال هذا خطاب للرسول والمرسل واتباعه جميعا وغلب الخطاب على الغيبة وهو القياس
انكر عليهم ارسالهم بالمال اليه وهو يدعوهم الى الله والى الاسلام فما اتاني الله من الملك والنبوة والنعمة خير مما اتاكم
بل انتم بهديتكم اي بما يهدى اليكم وقيل بهديتكم هذه تفرحون اعظاما منها لها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس
وقومك بما صحبك من الهدية ويحتمل ان المصدر ارجعها من الرجع الى من الرجوع بحذف المفعول وقوله ارجع دليل
على ان الرسول كان واحدا وقيل المخاطب ههنا الهدهد اي ارجع اليهم قايلا لهم فلناتينهم بجنود وعلى هذا
يحتمل ان يكون الفاعل في قوله فلما جاء سليمان الهدهد ايضا قال لهم اتمدونن بمال وهذا الوجه متكلف قيل
والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع
واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم ولا ارضى
منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية بل انتم وجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم
حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم
هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن
الرد كانه قيل بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها فلناتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها
وحقيقة القبل المقاتلة والمقاومة اي لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من ارضهم وملكهم اذلة وهم
صاغرون ذليلون ان لم ياتوني مسلمين قال وهب لما رجع رسل بلقيس اليها من عند سليمان عليه
السلام قالت بلقيس والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكاثرته شيئا فبعثت
الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعل
في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من سبعة قصور لها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت
به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص اليه احد
ولا يرينه حتى اتيك ثم امرت مناديا فنادى في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان عليه
السلام في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان
مهيبا لا يبتدى بشيء حتى يكون هو الذي يسال عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فراى رهجا قريبا منه
فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان **قوله تعالى**

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم
من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك
فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن ربي غني كريم   أقبل سليمان على جنوده فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها لعله أوحى
إلى سليمان عليه السلام باستيمانها من عرشها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها
فأراده لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه أو أراد عليه السلام أن يختبر عقلها فيأمر
بتنكيره ونعرضها لينظر هل تثبته إذا رأته أم تنكره وقيل ليريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها قال عفريت من الجن وهو
المارد القوي ابن عباس الداهية الضحاك الخبيث ربيع الغليظ الفراء القوي الشديد الكسائي المنكر
وكان اسمه ذكوان أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له
عليه السلام مجلس يقعد كل غداة إلى نصف النهار وقيل من وقت الفجر إلى طلوع الشمس وإني عليه على حمله
لقوي أمين على ما فيه من الجوهر قال سليمان أريد أسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب قيل
هو جبريل وقيل ملك من الملائكة أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت
ابن لهيعة هو الخضر وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها
واحدا لا إله إلا الله وقيل يا ذا الجلال والإكرام الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف ابن برخيا وكان
صديقا عالما يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى علم من الكتاب المنزل وهو علم
الوحي والشرائع وقيل علم من الكتاب اسم الله الأعظم وقيل هو اللوح المحفوظ وآتيك في الموضعين يجوز أن
يكون فعلا واسم فاعل قبل أن يرتد إليك طرفك تحريك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر قال صاحب
الكشاف ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك
أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك روي أن آصف قال لسليمان مد
عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه ونظر نحو اليمين ودعا آصف فبعث الله عز وجل الملائكة حتى حملوا
السرير من تحت الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان سعيد بن جبير يعني قبل
أن يرجع إليك من ترى وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك قتادة قبل أن يأتيك الشخص
من مد البصر وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك قتادة فكأنه يأتيك
الشخص مجاهد يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا قتادة أيضا هو أن يبعث رسولا إلى منتهى
طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به فلما رآه يعني رأى سليمان العرش مستقرا محمولا إليه من مأرب إلى الشام
في قدر ارتداد الطرف قال سليمان هذا إشارة إلى إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة

شهرين

شهرين من فضل ربي أي تفضل الله تعالى بالمنة من غير استحقاق ليبلوني ليمتحنني أأشكر أو أكفر فيه
ومن شكر فإنما يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به
النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فإن ربي غني عن
شكره بالإنعام والإفضال على من يكفر نعمته **قوله تعالى** قال نكروا لها عرشها ننظر
أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون   قال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها غيروا لها
عرشها عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فزيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه
أسفله وأسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ننظر أتهتدي إلى عرشها فتعرفه أم تكون من الذين لا يهتدون
من الجاهلين الذين لا يهتدون وقيل أتهتدي إلى التوحيد وتستدل بعرشها على قدرة الله ونبوتي وقيل
لمعرفته وقيل للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان إذا شاهدت تلك المعجزة
الظاهرة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس وإنما حمل سليمان
عليه السلام على ذلك أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فيفشي عليه أسرار الجن ولا ينفكون
من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فأساؤوا الثناء عليها وقالوا إن في عقلها
شيئا وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان عليه السلام أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح **قوله تعالى** فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم
من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح
فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين   فلما جاءت قيل لها أهكذا عرشك ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه
واسم الإشارة مصدرة بهمزة الاستفهام ولم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت بلقيس كأنه
هو ولم تقل هو هو لئلا يشبه عليها فلم تقر بذلك ولم تنكر وذكر من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل فعلم
سليمان كمال عقلها وبطلان ما قال الشياطين أن في عقلها شيئا وأوتينا العلم قيل هذا من كلام سليمان
وملائه وذلك أن بلقيس لما سئلت عن عرشها ثم أجابت بقولها كأنه هو والظاهر أن سليمان وملأه قالوا
إنها قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله تعالى
وصحة نبوة سليمان بالآيات التي تقدمت عند رسالة الرسول وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا
على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام
شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها
ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى وقيل هذا من قول بلقيس لما رأت
عرشها عند سليمان قالت عرفت هذه وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من قبل

هذه الآية وذلك بما اخبرت من امر الهدهد والرسل وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك من قبل
ان جيناك وصدها اي وصد بلقيس عن التقدم الى الاسلام ما كانت تعبد من دون الله اي عبادة الشمس
ولنشوها بين الكفار وبكونه ما في محل الرفع على انه فاعل صد وقيل معناه وصد سليمن بلقيس عما كانت تعبد
بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقيل صد بمعنى منع اي ومنع سليمان عما كانت تعبد من دون الله وقال
سه ومن بلقيس وقيل وصدها الله تعالى ذلك بتوفيقها للاسلام فعلى الوجهين محل ما نصب انها كانت
من قوم كافرين استيناف قيل لها ادخلي الصرح روي ان سليمان عليه السلام لما اقبلت بلقيس
امر الشياطين فبنوا له صرحا قصرا من زجاج كانه الماء بياضا واجرى تحته الماء والقى فيه كل شيء من دواب
البحر السمك وغيره ثم وضع له سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الجن والانس والطير وانما امر
بناء هذا الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمن ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها
فتلد له غلاما فلا ننفك من العبودية ابدا فارادوا ان يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء
الساقين لان امها كانت من الجن فاراد عليه السلام ان يعلم حقيقة الحال وينظر الى قدميها وساقيها
فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اي معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه
الى سليمن فنظر سليمن عليه السلام فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين
فلما راى سليمن عليه السلام ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد مملس مستو من قوارير وليس بحر
فلما جلست قالت يا سليمن اني اريد ان اسالك عن شيء قال سلي قالت اخبرني عن ماء رواء لا من ارض ولا من
سماء وكان سليمن عليه السلام اذا جاءه شيء لا يعلمه سال الانس عنه فان كان عند الانس علم ذلك والا سال
الجن فان علموا والا سال الشياطين فسال الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك من الخيل فلتجر ثم املا
الانية من عرقها فقال لها سليمن عرق الخيل قالت صدقت ثم قالت اخبرني عن لون الرب فوثب سليمن عن
سريره وخر ساجدا وصعق عليه فقامت عنه وتفرقت عنه جنوده وجاء الرسول عليهما السلام فقال
يا سليمن يقول لك ربك ما شانك قال رب انت اعلم بما قالت قال فان الله يامرك ان تعود الى سريرك وترسل
اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسالهم وتسالها عما سالتك عنه ففعل ذلك سليمن فلما دخل
عليه قال لها عما سالتني قالت سالتك عن ماء رواء ليس من ارض ولا سماء فاجبت قال وعن اي شيء سالتني
ايضا قالت ما سالتك عن شيء الا هذا فسال الجنود فقالوا مثل قولها انساهم الله ذلك وكفى سليمان الجواب
ثم ان سليمن عليه السلام دعاها الى الاسلام وكانت قد رات حال العرش والصرح فاجابت قالت رب
اني ظلمت نفسي بالكفر الذي تقدم واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ظلمت نفسي في ظني ان سليمن
قصد اغراقي قيل لما اسلمت اراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره ما راى من كثرة شعر ساقيها وقال ما اقبح
هذا فسال الانس ما يذهب عنها قالوا الموسى قالت بلقيس لم تمسني حديدة قط وكره سليمن عليه الموسى

وقال

وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري ثم سال الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون
كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام واستنكحها سليمن عن النبي عليه السلام اول من اتخذ الحمامات
سليمن عليه السلام فلما الزق ظهره الى الجدر فمسه حرها قال اوه من عذاب الله قيل فلما تزوجها سليمن احبها
حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها باليمن ثلثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا
وكان سليمن عليه السلام يزورها في كل شهر مرة بعدما ردها على ملكها ويقيم عندها ثلثة ايام يبكر من الشام
الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر عن وهب بن منبه وزعموا ان سليمن عليه السلام قال
لبلقيس لما اسلمت وفرغ من امرها اختاري رجلا من قومك ازوجكه قالت ومثلي يا نبي الله تنكح الرجال وقد كان
لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله
لك قالت زوجني ان كان لا بد من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها
ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة امير جن اليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع
باليمن ثم نزل بها ملكا يعمل له فيها ما اراد حتى مات سليمن عليه السلام فلما ان حال الحول وتبينت الجن
موت سليمن عليه السلام اقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معشر
الجن ان سليمن قد مات فارفعوا ايديكم فعمد الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند
نحن بنينا سلحين دائبين وبنينا صرواح ومرواح وهمون وهدن وهنيدة وتلثوم وهذه حصون
باليمن بناها الشياطين لذي تبع واحر صارخ بتهامة لتركنا بالبور امارة ثم رجعوا الذين وانطلقوا وتفرقوا
وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمن **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى
ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون
ان اعبدوا اي بان اعبدوا فاذا هم فريقان مؤمن وكافر ومصدق ومكذب يختصمون في الدين وقيل اريد بالفريقين
صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد منهم يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال لهم صالح عليه السلام يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة العافية والرحمة والاستعجال طلب التعجيل بالامر وهو
الاتيان به وقيل وفيه كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ
واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم يقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على
حسب قولهم واعتقادهم فقال هلا تستغفرون الله بالتوبة من كفركم قبل نزول العذاب لعلكم
ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا تشاءمنا واصله تطيرنا بك وبمن
معك وذلك ان المطر امسك عنهم في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا اصابنا هذا الضر من شومك وشوم من
معك وانما ذكر التطير على عادة العرب في نسبتهم الشوم الى البارح وهو الطير الذي ياتي من جانب اليد

التشوم وهي اليسرى كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشام فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذى هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طايرك الذى تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اى تشامنا وكانوا قد قحطوا قال صالح طايركم عملكم من الخير والشر وما يصيبكم من الخصب والجدب عند الله اى من الله وهو مكتوب على رووسكم لازم في اعناقكم وليس ذلك الى ولا علم عندى وقيل طايركم عند الله اى سببكم الذى يجى منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم بل انتم قوم تفتنون تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقيل تعذبون او تفتنون حتى تجهلوا انه من عند الله تعالى وقيل يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وقيل تمتحنون بارسالي اليكم لتتابوا على طاعتي ومتابعتي وتعاقبوا على معصيتي ومخالفتي

قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وكان في المدينة يعنى مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط من ابنا اشرافهم وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لان الرهط في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماهم قدار بن سالف مصدع بن دهر قيل ابن مهرج اسلم رهمى رهيم دعمى دعيم قال صداف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح يفسدون في الارض بالكفر ولا يصلحون اى شانهم الافساد الصرف الذى لا يخلط بشى من الصلاح

قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون قالوا تقاسموا يحتمل ان يكون امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا بالله فموضع تقاسموا جزم على الامر وقيل هو فعل ماض خبر في محل الحال على اضمار قد اى قالوا متقاسمين بالله لنبيتنه قرا حمزة والكسائى لتبيتنه ولتقولن بضم التاء واللام على الخطاب والباقون بالنون فيهما ومعنى لنبيتن صالحا واهله والبيات مباغتة العدو ليلا وذلك انهم تواطوا على ان يتطيروا العقوبة لهم مسافرين فيسيرون اياما ثم يابتون صالحا واهله فيقتلونهم ليلا سرا ولا يتركون احدا ممن يجمعهم منزله كي لا ينم عليهم ثم لنقولن لوليه اى لولي دمه ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله اى اهلاكهم اى لم يتعرض لاهله فكيف كنا نتعرض له وما حضرنا موقع هلاكه فضلا عن ان تولينا وانا لصادقون في قولنا ما شهدنا مهلك اهله قرا ابو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام وحفص عنه بفتح الميم وكسر اللام وهما جميعا بمعنى الهلاك والباقون بضم الميم وفتح اللام ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاهلاك وان يكون موضعا وزمانا وقيل وعطف وانا لصادقون في قولنا ما شهدنا مهلك اهله قال صاحب الكشاف

فان

فان قلت كيف يكونوا صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما قالوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما

قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ومكروا مكرا غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا اى جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون مكرنا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ابن عباس رضى الله عنهما ارسل الله عز وجل الملايكة ليلا فامتلات بهم دار صالح فاتى التسعة شاهرين سيوفهم فرمتهم الملايكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملايكة فقتلتهم وقيل جاءوا مسرعين الى صالح فسلط الله عليهم صيحة فقتلتهم وقيل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم الله وخرجوا ليأتوا صالحا فدخلوا حفرة من الارض يمكثون فيه فانهار عليهم وقومهم وقد مضت القصة انا قراءة عاصم وحمزة والكسائى بفتح الالف على ان يكون في محل الرفع بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او في محل النصب على معنى لانا او على انه خبر كان اى كان عاقبة مكرهم التدمير والباقون بالكسر على الاستيناف اى انا دمرنا التسعة

قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون فتلك بيوتهم اى بيوت ثمود خاوية خالية منصوبة على انها حال بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لاية لعبرة لقوم يعلمون يتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون اوامر الله ان يتركوها قيل كانوا اربعة الاف خرج بهم صالح عليه السلام الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت

قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون واذكر لوطا اى وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا الى ثمود عليه اذ يدل على الاول ظرف على الثانى اتاتون الفاحشة الفعلة القبيحة الشنيعة وانتم تبصرون قيل من بصر القلب اى وانتم تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى وقيل وانتم تبصرون اى يبصر بعضكم بعضا لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها مجاهرين بها لا يستترون عتوا منهم وتمردا ومجانة وانهماكا في المعصية وقيل وانتم تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فيستلزم ان يكونوا علما جهلا اجيب بانه اراد بل انتم قوم تفعلون فعل الجهلاء مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقوله بل انتم قوم اجتمعت

الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة فقيل تجهلون لان المخاطبة اقوى وارسخ اصلا من الغيبة
قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ۝ يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتطهرون من القاذورات كلها فينكرون هذا
العمل القذر ويعيرون بهذا القول استهزاء منهم قدرناها قرا ابو بكر عن عاصم قدرناها مخففة والباقون
مشددة وهما بمعنى واحد اى قضينا عليها انها من الغابرين اى الباقين في العذاب قيل قدرناها
جعلناها من الغابرين وانما قال ذلك لان جرمها على مقدار جرمهم فلما كان تقديرها تقديرهم في الشرك
والرضا باعمالهم الفاحشة جرت مجراهم في انزال العذاب بها **قوله تعالى** قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون ۝ قيل هو خطاب للوط عليه السلام
وان الحمد لله على هلاك كفار قومه وان يسلم على من اصطفاه الله ونجاه الله من هلكتهم وعصمه من
ذنوبهم وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متصل بما قبله امر الله بالتحميد على هلاك
كفار الامم الخالية والسلام على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده
والسلام على عباده الذين اصطفى وفيهم تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين
والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم
المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله
وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم
المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن آلله
خير قاله الزاما للحجة فانه معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق
كل شيء ومالكه وانما هو الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه على ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه
لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورد
واضلالهم لتمييزهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد قرا ابو عمرو وعاصم
يشركون بالياء من تحت اخبارا عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم والمعنى آلله خير لمن عبده
ام الاصنام لعابديها وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الآية بل الله خير وابقى واجل واكرم
قوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ۝ ام في قوله اما يشركون متصلة

لان المعنى ايهما خير وام في قوله امن خلق منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الالهة قال بل ام
من خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم
لاجلكم من السماء ماء مطرا وقيل ماء العيون لانها من السماء فانبتنا الالتفات عن الغيبة
الى التكلم لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان
والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف
معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى ان تاتى ذلك منكم محال وكذلك قوله بل هم
بعد الخطاب بقوله وانزل لكم وقوله ما كان لكم ابلغ في تخطئة رايهم فانبتنا به حدائق جمع حديقة وهي
البستان المحاط عليه من الاحداق وهو الاحاطة ذات بهجة حسن لان الناظر يبتهج به وقيل ذات
لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت أإله مع الله يعينه وقيل ايجوز ان يكون
مع الله اله آخر لا يقدر على شيء منه وقيل أغير الله يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون عن سنن
الصواب وقيل يعدلون يشركون وقيل يعدلون به او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد **قوله تعالى**
امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله
بل اكثرهم لا يعلمون ۝ ام من جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا لا تميد باهلها
وقيل دحاها وسواها للاستقرار الخلق عليها وجعل خلالها وسطها ومسالكها ونواحيها انهارا جارية
وجعل لها رواسي ثوابت تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والملح وقيل بحر السماء وبحر الارض
وقيل بحر فارس وبحر الروم حاجزا مانعا لئلا يختلط ولا يبغي احدهما على صاحبه وقيل اراد الجزائر
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اى اكثرهم جهال فلجهلهم يشركون **قوله تعالى**
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون
الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجاء والاضطرار افتعال من الضرورة يقال اضطر الى كذا والفاعل
والمفعول مضطر ان الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى الالتجاء والتضرع الى الله وعن
ابن عباس هو المجهود ام من يجيب المضطر اذا دعاه فان قيل قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر
وكم من مضطر يدعو فلا يجاب اجيب بان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط والحكم
المثبت للماهية يكفي في صدقه وثبوته في فرد واحد من افراد الماهية وايضا انه تعالى وعد بالاجابة
ولم يذكر انه يجيب في الحال قال صاحب الكشاف الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا
لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فيتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه
فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول
على العموم وهذا بناء على مذهبه ويجعلكم خلفاء الارض اى خلفاء فيها اى في الارض سكانها يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل

ارادوا بالخلافة الملك والتسلط ءاله مع الله قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو بالياء من تحت والباقون
بالتاء وما مزيدة اى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكير والقلة تستعمل فى معنى النفي
قوله تعالى امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته
ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون فى ظلمات البر والبحر اذا سافر ثم بين يدى رحمته قدام المطر
قوله تعالى امن يبدا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءاله مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اى يبدا الخلق باعترافكم ثم يعيده لان من قدر على الابتداء قدر
على الاعادة ومن يرزقكم من السماء المطر والارض النبات فقد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة
والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات فقد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة
والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار قل هاتوا برهانكم على اشراككم بعد اقراركم بتفرده بخلق هذه الاشياء
ان كنتم صادقين فى دعواكم ان مع الله الها اخر **قوله تعالى** قل لا يعلم من فى السموات
والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون نزلت فى المشركين سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله رفع الله
على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه
قوله عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفى المصمم وقولهم ما اتانى زيد الا عمرو وما
اعانه اخوانه الا اخوانكم وانما دعت الى اختيار المذهب التميمى على الحجازى نكتة سرية حيث اخرج
المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤل المعنى الى قولك ان كان الله ممن
فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى ان علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة ان يكون
الله منهم كما ان معنى ما فى البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس
قال صاحب الكشاف هلا زعمت ان الله ممن فى السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله فى كل مكان
على معنى ان علمه فى الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم قلت يابى ذلك ان كونه
فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح
على ان قولك من فى السموات والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية
والايهامات مزالة عنه تعالى وعن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما
فقد غوى بئس خطيب القوم انت والاول ضعيف والثانى صحيح وما يشعرون اى من فى السموات
والارض ايان متى يبعثون وقيل الكفار وما يشعرون وعن عايشة رضى الله عنها من زعم انه يعلم
ما فى غد فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل
اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عباده مكره **قوله تعالى**

بل ادارك

بل ادارك علمهم فى الاخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ۝ قرا ابن كثير وابو عمرو بل ادرك بسكون اللام
وفتح الهمزة والباقون بكسر اللام وتشديد الدال وفتح الراء بعد الالف بل وضع للاعراض عما قبله واثبات
ما بعده وقد يجى حرف ابتداء يدل على ترك ما قبله والاخذ فى غيره كما فى الاية وكذلك بل هم فى شك منها وادارك
اصله تدارك ادغمت التاء فى الدال ومعنى ادارك تتابع واستحكم وقيل المعنى ان اسباب استحكام العلم
وتكامله بان القيمة كاينة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك
قوله تعالى بل هم فى شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن فى السموات والارض لانهم لما كانوا فى جملتهم
بسبب فعلهم الى الجميع كما يقول بنو فلان فعلوا كذا وكذا وانما فعله ناس منهم فان قيل ان الاية سيقت
لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشىء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب
وهم لا يشعرون به فكيف لائم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم
والتمكن من المعرفة اجيب بانه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكاين ووقته
الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم
يقولون للكاين الذى لا بد ان يكون وهو وقت جزا اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه
واستحكام العلم به وقيل ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك
على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذى الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت
كونه الذى لا طريق الى معرفته وفى ادرك علمهم وادارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من
قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وهذه الاضرابات
الثلاث تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كاينة ثم بانهم
يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب
وتضليل بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا
ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر
بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهايم لا يتدبرون ولا يبصرون **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وقال الذين كفروا اى
مشركى مكة ءاذا كنا قرا نافع بهمزة واحدة على الخبر اينا ممدودة الالف وابن كثير وابو عمرو ءاذا اينا
بهمزتين ان ابا عمرو يمد وابن كثير وعاصم وحمزة ءاذا اينا بهمزتين بينهما والباقون ءاذا ممدودة اينا
بنونين وهمزة الالف استبعد الكفار ان بعث الاجساد والرمم من القبور واستحالوا ذلك فرد الله

ذلك عنهم والعامل في اذا ما دل عليه اينا لمخرجون وهو نخرج ولا يعمل المخرجون في اذا لان قبله ثلثة امور
همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحد منها كاف في منع عمل اسم الفاعلة فكيف اذا اجتمعت والمراد
الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار
على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على تمام كفرهم مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولاباءهم لان كونهم ترابا
قد تناولهم واباءهم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قدم هذا في هذه الاية على نحن واباؤنا وفي اية
اخرى قدم نحن واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على المقدم والغرض المعتمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله
ففي احدى الايتين دليل على اتخاذ البعث هو الذي يعتمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك قال
صاحب المفتاح قال في سورة المومنين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع وما تبعه المنصوب
يعني هذا وهو موضعه وقال في سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا فقدم هذا لكونه فيها اهم يدلك على
ذلك ان الذي قبل هذه الاية اذا كنا ترابا واباؤنا والذي قبل الاولى اذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة
المنظور فيها هناك اي المومنين هي كون انفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور ها هنا اي النمل هي كون
انفسهم وكون اباءهم ترابا لا اجزاء هناك من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة انها ادخل عندهم في
تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد الى ذكر مصنوع هذا العارض اهم ان هذا الا اساطير
الاولين مكتوب ثبته واتى عليه السطرون والدهور بلم يوش حتى خرج الى الوجود بعد العدم لا حقيقة
لمعناه قل يا محمد لهم ولا الكفار سيروا في بلاد من بعد سلم وتعرفوا احوال من كذب الرسل وكذبوا بالبعث
تجدوا ديارهم خالية وابدانهم بائدة فاحذروا ولا تكذبوا فيحل بكم مثل ما حل بهم وقيل عين الرسل وقت
عذابهم كانوا كما عينوا وصدقهم فيما عينوا فهو دليل على الصدق فيما لم يعينوا وقيل معنى سيروا في الارض
اقرؤا القران فان احوالهم مذكورة فيه يغنيكم عن الطواف في الارض والبلاد واراد بالمجرمين الكافرين
قال صاحب الكشاف وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
قوله تعالى ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس
ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غايبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين ٥ صبر رسوله عليه الصلاة والسلام على ما يناله منها ولا الكفار ولا تحزن
عليهم اي على تكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك
ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس وينصرك عليهم ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب
ان كنتم صادقين ان العذاب نازل وخرج الكلام مخرج الجمع لرجوع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه الذين يحذرونهم الاهوال كتحدي قل يا محمد لهم ولا الكفار عسى ان يكون ردف لكم اي عسى

ان يكونوا

ان يكون بعض العذاب الذي تستعجلون ردف لكم دنا منكم وقيل جاء بعدكم وقيل قرب منكم وقيل
دنا لكم وقيل تبعكم من الاسر والقتل والسنين والجدب والبعض مدخر ليوم البعث والنشور واللام
في لكم للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم
وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر
وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم
وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم فعلى ذلك جرى وعده ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس
بترك المعاجلة بالعذاب على المعاصي ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولا يعرفون حق النعمة فيه ولذلك
يجهلون تستعجلون وقوع العذاب وان ربك ليعلم ما تكن تستر وتخفي صدورهم اي صدور قريش وما
يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم بذلك وما من غايبة سمي الشيء الذي يغيب
ويخفى غايبة وخافية فكانت الياء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ويجوز ان يكونا صفتين والياء وهما
للمبالغة كانه قال وما من شيء شديد الغيوبة والخفاء في السماء والارض الا في كتاب مبين ظاهر بين لمن
ينظر فيه من الملايكة اي قد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح **قوله تعالى** ان هذا
القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي
بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم
مسلمون ٥ لما تم الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعدما يتعلق بالنبوة ولما كانت العمدة
الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القران ولا كونه معجزا فقال ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من امر الدين قيل ان المراد به عيسى وامه وعزير
ود محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اختلفوا فيه والله بين امرهم ودينهم في القران بيانا شافيا
وقيل قد اختلفوا في المسيح وتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم
وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به اسلموا وانه وان القران هدى ورحمة
للمومنين لمن امن منهم وانصف من بني اسرائيل ان ربك يقضي بينهم بين من امن بالقران ومن كفر به بحكمه
بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل سمى المحكوم به حكما وقيل بحكمته وقيل يقضي بين بني اسرائيل
في الدنيا بحكمته فيما حرفوه من الكتاب وبدلوه ويحكم في العقبى بمجازاة المحق بحقه والمبطل بباطله وقيل
يقضي بالعدل وهو العزيز فلا يرد قضاؤه ولا يغالب العليم بمن يقضي له ومن يقضي عليه وقيل العزيز في
انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين وتوكل على الله بعد ظهور حجته على رسالته
امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل فقال انك على الحق المبين الذي لا يتعلق به

والظفر بالظفر من الله والغلبة على الاعداء فان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته
وانه لا يخذل انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للتوكل وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول
الله عليه السلام من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشنيع ذلك بالعداوة والاذى
فلازم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم
واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات
الله ولم يقبلوا المقصود منه وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث كانوا يضلون الطريق
ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى اذا ولوا مدبرين تاكيد لحال الاصم لانه
اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته قرا ابن كثير يسمع بياء مفتوحة ورفع
الصم فاعلا ونصب الدعاء مفعولا والباقون بضم التاء وكسر الميم ونصب الصم والدعاء مفعولين وما انت
بهادي قرا حمزة تهدي العمي بتاء مفتوحة ونصب العمي على الفعل ههنا وفي الروم والباقون بضم التاء وكسر الميم
على الفعل ههنا وفي الروم والباقون على الاسم بياء مكسورة وجر العمي ان تسمع اي ما تجدي اسماعك ولا يقبل
الا من يؤمن باياتنا ومن تركوا العناد وقيل لا تسمع الا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا ويصدق بها فهم مسلمون
مخلصون **قوله تعالى** واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس
كانوا باياتنا لا يوقنون ه واذا وقع القول عليهم قيل واذا وجب السخط والغضب وقيل اذا تركوا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل اذا حق القول عليهم انهم لا يؤمنون وقيل اذا قرب الساعة قيل القول
الواقع قوله يوم ياتي بعض آيات ربك وقيل هو قوله ولكن حق القول مني لاملان جهنم اخرجنا لهم دابة
من الارض هي من اشراط الساعة تكلمهم ابن عمر اذا وقع القول عليهم اي على الكفار اخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم قال حين لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون للدابة
ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية
يعني مكة ثم بينما الناس يوما في اعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام
لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تربو وتدنو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم على يمين الخارج في
وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض
راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض
لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول
يا فلان الان تصلي ويقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم
ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر عن حذيفة قال

رسول الله

رسول الله دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم المؤمن بين عينيه
وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه
المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وعن ابي الزبير
انه وصف الدابة فقال راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين
اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام ولا يبقى مؤمن الا نكتته في مسجده بعصا
موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت وجهه بخاتم سليمان
عليه السلام فتفشو تلك النكتة فيسود لها وجهه حتى ان الناس يتبايعون في الاسواق بكم يا مؤمن
بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وذلك قول الله تعالى
واذا وقع القول عليهم عن ابن عمر تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى فتحمل الناس بين نهيها وعجزها
فلا يبقى منافق الا حطمته ولا مؤمن الا مسحته وعن ابي هريرة قال رسول الله تخرج دابة الارض من اجياد
فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات وبر وقوائم وعن عبد الله وعن عبد الله بن
عمر انه ضرب ارض الطائف برجله وقال من ههنا تخرج الدابة التي تكلم الناس ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون بخروجها لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم
ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن تفعل ذلك وتخرج من اجياد وروي بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ الارض تضطرب تحتهم وتتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان قرا عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على معنى تكلمهم بان الناس والباقون
بكسرها على معنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس ه **قوله تعالى** ويوم نحشر من كل امة فوجا
ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم
تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون انه تعالى بين بالبينات الباهرة والايات الظاهرة
كمال العلم وكمال القدرة ثم فرع عليها القول بامكان الحشر ثم بين الوجه في كون القرآن معجزا ثم فرع عليه
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم تكلم فيما يتعلق بالعلم وانما قدم اثبات النبوة عليه لان ما يتعلق
بامور القيامة لا يمكن اثباتها الا بقول النبي الصادق ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا
من في قوله من كل امة للتبعيض وفي ممن يكذب للتبيين كقوله من الاوثان فهم يوزعون اي يحبس اولهم

على اثرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار ابن عباس يوزعون يدفعون وهذه عبارة عن كثرة العدد
وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله
تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة ابن ربيعة يساقون بين
يدي اهل مكة وكذلك يساق قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاءوا يوم القيمة الى المحشر قال
الله لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوها حق المعرفة والواو للحال كانه قال اكذبتم بها من
غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب وقيل الواو
للعطف اي جحدتموها ومع جحودها لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد
ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم معناه ويحيط بمعانيه
ام ماذا كنتم تعملون حين لم تتفكروا فيها فهو تبكيت وتوبيخ اي لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شيء
كنتم تعملونه بعد ذلك كانه لا عمل لكم غيره وقيل اراد ما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب
بايات الله ماذا كنتم تعملون غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية
وانما خلقوا للايمان والطاعة ووقع القول عليهم اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا انفسهم بشركهم فهم لا
ينطقون لان افواههم مختومة وقيل انهم لا ينطقون بحجة وعذرهم انه تعالى بعد ان خوفهم باحوال
القيمة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر والنبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان
والمنع من الكفر فقال الم يروا اما وجه دلالته على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقلب من النور
الى الظلمة لا يحصل الا بقدرة قاهرة غالبة واما وجه دلالته على الحشر فلانه لما ثبت قدرته في هذه
الصورة ثبت انه يقدر على التقلب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة اخرى واما وجه دلالته
على النبوة فانه تعالى يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين وفي بعثة الانبيا والرسل الى الخلق منافع عظيمة
فما المانع من بعثهم الى الخلق لتحصيل تلك المنافع فقد ثبتت ان هذه الاية الواحدة كافية في اقامة الدلالة
على تصحيح الاصول الثلاثة التي منها مبنى اعذارهم واستحقاقهم العذاب جعل الابصار للنهار وهو بحسبها
على كمال هذه الصفة فيه ولم يقل والنهار لتبصروا كما قال جعل لكم الليل لتسكنوا لان السكون في الليل
هو المقصود من الليل واما الابصار في النهار فليس هو المقصود بل هو وسيلة الى جلب المنافع الدينية
والدنيوية واما قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فخص المؤمنين بالذكر وان كانت ايات للكل من حيث
انهم خصوا بالقبول والانتفاع **قوله تعالى** ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين ۞ هذه علامة اخرى لقيام القيامة ينفخ في
الصور بين النفخة الاولى روي انه سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال صلى الله
عليه وسلم قرن ينفخ فيه مجاهد كهيئة البوق وقيل هي بلغة اهل اليمن وعلى هذا اكثر المفسرين يدل

عليه قوله

عليه قوله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقمه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر
فينفخ فيه قتادة هو جمع صورة يقال صورة وصور مثل صورة للبناء والمجد وجمعها سور وسور ومعنى
الاية ونفخ في صور الخلق وقد ورد في كيفية نفخ الصور حديث جامع عن ابي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن
قلت كيف هو قال عظيم والذي بعثني بالحق نبيا ان اعظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه
ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب
العالمين فيامر الله تعالى اسرافيل عليه السلام بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع
اهل السموات والارض الا من شاء الله فيامر فيمدها ويطيلها وهو الذي يقول الله عز وجل وما ينظر
هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فتسير الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج
الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الامواج وتلقيها الرياح او كالقنديل
المعلق بالعرش ترجحه الارواح وهي التي يقول الله عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
قلوب يومئذ واجفة فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان
وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها فترجع وتولي
الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
من عاصم فبيناهم كذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فراوا امرا عظيما لم يروا مثله ثم نظروا الى السماء
فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قال ابو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل
حيث يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل
الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وامنهم وهو عذاب يبعثه
الله على شرار خلقه وهو الذي يقول الله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم
الى قوله ولكن عذاب الله شديد فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله الا انه يطول عليهم ثم يامر الله
اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاذا
اجتمعوا جاء ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات اهل السموات والارض الا من شئت فيقول الله
سبحانه وهو اعلم من بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل
وميكائيل واسرافيل وبقيت انا فيقول الله عز وجل فليمت جبريل وميكائيل فيقول اي رب اتموت جبريل
وميكائيل فيقول اسكت اني كتبت الموت على كل من تحت عرشي فيموتان ثم ياتي ملك الموت الى الجبار

فيقول اي رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي القيوم الذي
لا تموت وبقي حملة العرش وبقيت انا فيقول ليمت حملة العرش فيموتون فيقول يا رب قد مات
حملة عرشك فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي القيوم الذي لا تموت وبقيت انا فيقول
انت خلق من خلقي خلقتك لما رايت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد كان آخرا كما كان اولا ثم طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم قال انا الجبار لمن
الملك اليوم فلا يجيبه احد ثم يقول تبارك وتعالى جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لله الواحد القهار يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات فبسطها وسطحها ثم مدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ثم زجر الخلق زجرة واحدة فاذا هم في هذه الارض المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الاول من كان
في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش كمني الرجال
ثم يامر الله السحاب ان تمطر اربعين يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا ويامر الله الاجساد ان تنبت
كنبات الطراثيث وكنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت قال الله ليحي حملة العرش فيحيون
ثم يقول الله ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل فيحيون ثم يامر الله اسرافيل فياخذ الصور فيضعه على فيه
ثم يدعو الله الارواح فيؤتى بها تتوهج ارواح المؤمنين والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور
ثم يامر الله اسرافيل ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كانها النحل قد ملات ما بين السماء والارض
فيقول الله ليرجعن كل روح الى جسدها فيدخل الارواح الخياشيم ثم تمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ
ثم تنشق الارض عنهم سراعا فانا اول من تنشق عنه الارض تخرجون منها الى ربكم تنسلون حفاة عراة
غرلا مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ففزع ذكر بلفظ الماضي وان لم يقع بعد لنكتة
هي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي
يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله
ان لا يفزع وقد ذكر انهم الشهداء وقيل الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة وقيل انهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن وكذا الذين في النار
لانهم خلقوا للبقاء وكل من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا اتوه قرا حمزة وحفص عن عاصم اتوه بفتح التاء
مقصورا على الفعل يعني جاؤه عطفا على قوله ففزع والباقون آتوه ممدودة مضمومة التاء على مثال
فاعلوه لقوله تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا والجمع باعتبار المعنى داخرين صاغرين والداخر
والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم
الى امره وانقيادهم له **قوله تعالى** وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما يفعلون وترى يا محمد الجبال جامدة قائمة مستقرة

مكانها

مكانها من جمد في مكانه اذا لم يبرح وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في روية العين كالواقفة فاذا نظر
الناظر اليها حسبها واقفة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب اي تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب
وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها صنع الله من المصادر المؤكدة
كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور
وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل
هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن
كل شيء وقيل صنع الله نصب على الاغراء اي اعلموا وابصروا اتقن كل شيء احسن واحكم انه خبير بما تفعلون
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يفعلون بالياء من تحت والباقون بالتاء **قوله تعالى**
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون فله خير منها يصل اليه وهو الثواب وقيل فله افضل منها
لانه ياتي بحسنة فيعطى عشر امثالها وقيل يريد الاضعاف وان العمل ينقضي والثواب يدوم ويبقى
وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن
ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة قال صاحب الكشاف يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة
بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد
وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر الآيتين فانظر
الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجز
بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء
عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان
الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه
باسم التعظيم كيف تلاها بقوله اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد
لا تبديل لخلق الله وهم من فزع يومئذ قرا عاصم وحمزة والكسائي فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم
والباقون باضافة فزع الى يومئذ ومن قرا بالتنوين يحتمل من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما
يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال ومن العظائم فلا يخلون منه لان
البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ويحتمل من فزع شديد مفرط الشدة
لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء
بالسيئة فكبت يقال كببت الرجل اذا القيته لوجهه يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة
فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم

فيها منكسين هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول **قوله تعالى** انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلوا القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون لما بين المبدا والمعاد والنبوة ومقدمات القيمة واحوالها وصفة اهل القيمة من الثواب والعقاب وذلك مما يتعلق باصول الدين ختم السورة بهذه الخاتمة فقال قل يا محمد انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اي ان اخص رب هذه البلدة بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش والبلدة مكة الذي اي رب هذا البيت حرمها اختصها من بين جميع البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده حرمها جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم حرام ولا يظلم فيها احد ولا يهاج صيدها ولا يختلى خلاها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيما لها وتقريبا دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واللاجي اليها امن وله كل شيء خلقا وملكا جعل كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وامرت ان اكون من المسلمين من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفة واتباع ما انزل من الوحي فانما يهتدي لنفسه اي فله ثواب اهتدائه ومنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل اخطا طريق الهدى ولم يتبعني فقل ما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امران يحمد الله اي قل يا محمد لمن ضل الحمد لله الذي سيريكم اياته في الدنيا قيل منها الدخان وانشقاق القمر وقد اراهم ذلك وقيل سيريكم اياته في السماء وفي انفسكم وفي الرزق وقيل القتل ببدر وقيل سيريكم اياته في الاخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا وقيل يضطرهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة في الاخرة وما ربك بغافل عما تعملون قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء على معنى قل لهم والباقون بالياء على انه وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم ٥

سورة القصص مكية

كلها الا اية منها وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فانها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة قاله ابن عباس وعطا وعكرمة انها مكية كلها وقال مقاتل ان فيها من المدني الذين اتيناهم

الكتاب

الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله ان الذي فرض عليك القران نزلت بالجحفة وهي ثمان وثمانون اية والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ٥ من نبا مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبر موسى وفرعون اي نتلوا عليك خبرا ملتبسا بالحق الصدق الذي لا يحوم فيه الكذب وقيل باخبار صحيحة لقوم يؤمنون ليستمعوا به وقيل لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع بها المؤمنون دون غيرهم وقيل يجوز ان يكون لقوم من صلة الحق اي بالحق لهم ولاجلهم اي يكون لهم حقا وصدقا يؤمنون به **قوله تعالى** ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ان فرعون علا في زمانه واستكبر وتجبر وبغى وتعظم وطغى وغلب وجاوز الحد في الظلم والعسف في الارض اي في ارض مملكته شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه وقيل يشيع بعضهم بعضا في طاعته وقيل جعل اهلها شيعا اي اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية وقيل فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط وقيل شيعا فرقا يكرم طائفة ويهين اخرى فيكون القبط احدى الشيعة وهم شيعة الكرامة يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم يستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف انه كان من المفسدين فحسب لانه قتل الاطفال بحيلة صدقا كان او كذبا **قوله تعالى** ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ونريد ان نمن جملة معطوفة على ان فرعون علا لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي ان فرعون يستضعف طائفة منهم ونحن نريد ان نمن عليهم فان قيل كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر اجيب بانه لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم عطف على نمن اي ونريد ان نجعلهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا وقيل ائمة انبياء وكان بين موسى وعيسى الف نبي من بني اسرائيل وقيل قادة في الخير وقادة في الدين وولاة في الامر نفوذه وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لمصر واموالها بعد فرعون واهله كما قال كم تركوا من جنات وعيون الاية وقيل الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم مكن له مكانا يقعد عليه او يرقد فيه فوطاه ومهده ومعنى التمكين لهم

في الارض اي ارض مصر والشام ان نجعلها بحيث ينفذ امرهم ونطلق ايديهم ونسلطهم ونري قرا حمزة
والكسائي وخلف ويري بالياء مفتوحة وامالة الالف التي بعد الراء فرعون وهامان وجنودهما بالرفع اي يري
فرعون وهامان وجنودهما من الطايفة الذين يستضعفونهم ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم والباقون بنون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء **قوله تعالى**
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين لما قال ونريد ان نمن اتبع هذه الاية بذكر اوايل نعمه في هذا الباب فقال
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ان اسقيه اللبن قيل الوحي كان قبل الولادة وقيل بعد وهو الظاهر
فاذا خفت عليه من القتل لانه اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه وقيل اوحى الله اليها
ان ارضعيه كل يوم مرة وكل ليلة مرة فاذا بلغ شهرا وخفت ان يطلب اكثر ويبكي فيفطن مكانه فالقيه
في اليم البحر قيل هو نيل مصر ولا تخافي من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة
من قبل فرعون في طلب الولدان وغير ذلك من المخاوف ولا تحزني والخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن
غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار فنهيت عنهما جميعا انا رادوه بيان لنفي الخوف والحزن او منة بالوحي
اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملاها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين
قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين فالتقطه وجده ال فرعون ليكون لهم اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل
كقوله جيتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه
لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة
التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجي والتادب
الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت
لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه بالاسد ليكون لهم عدوا وحزنا لزوال ملكهم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع وقيل كانوا مذنبين
مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم قيل التقطه جواري امراة
فرعون فريب وقيل التقطه اعوان فرعون **قوله تعالى** وقالت امراة فرعون قرة عين
لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وقالت امراة فرعون وهي اسية
بنت مزاحم وكانت من بني اسرايل تزوجها فرعون لا تقتلوه قالت الغواة من قوم فرعون هو الصبي الذي
نحذر منه فائذن لنا بقتله فانهم بذلك فقالت امراة فرعون اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لا اراكه
لي وفي الحديث لو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير

اي لوكان

اي لوكان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم مثل ما اسلمت هذا ان صح الحديث
تاويله والله اعلم بصحته وروي ان امراة فرعون قالت لفرعون لعل هذا الصبي من قوم اخرين
ليس من بني اسرايل قرة عين خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع
بل بعده قيل الشرط لا تقتلوه عسى ان ينفعنا في بعض امورنا ونتخذ منافع فيه مخايل اليمن ودلايل
النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتفاع الابهام وبراءة البرص ولعلها توسمت في سماته
النجابة المودنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك وهم
لا يشعرون حال وذو الحال ال فرعون والتقدير فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه
وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه موكدة لمعنى خطايهم
قال صاحب الكشاف وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بمحاسن النظم وهم لا يشعرون انه
هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون انه المطلوب للذبح **قوله تعالى** واصبح فؤاد ام
موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين وقالت لاخته
قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي صار و
حصل وقيل دخله ليلا فاصبح فؤادها فارغا والوجه الاول فارغا قيل فارغا من كل شيء الا من ذكر
موسى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وقيل فارغا لا حزن فيه
لعلو وعد الله انا رادوه اليك وقيل فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في
يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحو قوله تعالى وافيدتهم هواء وذلك
ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها الحسن فارغا من ذكر الوحي
والوعد اي انساها عظيم البلاء ان كادت ان مخففة من الثقيلة اي انه القصة كادت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها وذلك انها سمعت ان فرعون قد اخذ المال التابوت فلم يشك انه يقتله
فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وقيل لما سمعت ان فرعون اتخذه ولدا ذهب وكادت تقول
هو ابني وقيل لما حملت لارضاعه وحضانته كادت تقول هو ابني لتبدي به لتصرح بموسى اي بامر
موسى وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر
ويطمين وقيل سدده بالوحي وقيل بالبكاء وقيل بالرؤية والتقدير لتبديه وقيل المفعول مقدر اي
لتبدي القول به بسبب موسى عليه السلام لولا ان ربطنا على قلبها قويناه بالصبر واليقين
وقيل بالايمان والعصمة وقيل ربطنا على قلبها قويناه بالصبر واليقين وقيل بالايمان والعصمة
وقيل ربطنا على قلبها بان نذكرها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف

اى لاردته لتكون من المومنين من المصدقين بوعد الله غير شاكين وهو قوله انا رادوه اليك
ويجوز واصبح فواد ام موسى فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت
لتبدى به انه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا ان ربطنا على قلبها وسكنا
قلقها الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبني
فرعون وتعطفه وقالت ام موسى لاخت موسى قصيه اتبعى اثره واستعملى خبره فبصرت اى قصته
فبصرت به ابصرته وقيل صارت بصيرة بموضعه لان بصر لا يتعدى عن جنب عن مكان جنب صفة
موصوف محذوف اى عن مكان بعيد وقيل عن جنب وعن جنابة بمعنى بعد وهم لا يشعرون وهم لا
يحسون بانها اخته وقيل انها تقصه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن
ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون وحرمنا اى منعنا والتحريم استعارة للمنع
لان من حرم الشى فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور ومحجور وذلك لان الله تعالى منعه ان يرضع ثدى
مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المراة التى ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
يعنى الثدى او الرضاع من قبل قصصها اثره فقالت اخت موسى وكان اسمها مريم هل ادلكم ارشدكم
على اهل بيت يكفلونه يكفلون موسى لكم من اجلكم وسببكم وهم اى اهل بيت له لموسى ناصحون غير
مقصرين فى تربيته وارضاعه روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان خذوها حتى تخبر
بقصة هذا الغلام انها تعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فقال فرعون تعاله شفقة وهى تبكى فى طلب الرضاع فجين
وجد ريحها استانس والتقم ثديها وارتضع منها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدى
الا ثديك قالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها
النفقة وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده بالرد فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اى ولتستيقن وتثبت علمها وتمكن ان وعد الله حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان وعده حق وقيل لا يعلمون ما يراد بهم والمعنى ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط من ام موسى حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح
فوادها فارغا وقيل يجوز ان يكون يتعلق ولكن بقوله ولتعلم والمعنى ان الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو
علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى
المحسنين واعتدل ولما تم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه وذلك اربعون سنة

حكما

حكما حكمة اى سنة فان حكمة الانبيا سنتهم وعلما اى التورية وقيل حكما نبوة وعلما فقها وقيل حكما عقلا
وعلما دينا وفهما وقيل علما بشرايع دينه وقيل اتيناه سيرة الحكما العلما وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل
فعلا يستجهل وكذلك نجزى المحسنين اى كما فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين الذين يعبدون الله كانهم
يرونه اى يعبدون الله خالصة عن الالتفات الى الغير قوله تعالى ودخل المدينة على حين
غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى
من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين
قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ودخل المدينة قيل هى مصر
وقيل مدينة بقرب مصر السدى كان موسى فى وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان
يركب مراكبه حتى يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى المدينة من مداين مصر يقال لها
منف ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك المدينة فى وقت القايلة وهو حين الغفلة وقيل
بين المغرب والعشا وقال ابن اسحق المدينة مصر نفسها وكان موسى فى هذا الوقت قد بدت منه مجاهرة
لفرعون وقومه بما يكرهون فكان مختفيا بنفسه متخوفا منه فدخل مستترا حذرا متغفلا للناس ابن زيد
بل كان فرعون قد نابذه واخرجه من المدينة وغاب عنها سنين فنسى امره وجاء هو والناس على غفلة
بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان يوم عيد لهم مشتغلون بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم
بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل فوجد فيها فى المدينة رجلين يقتتلان هذا من
شيعته اى من بنى اسرائيل اى ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل وهذا من عدوه من القبط وقيل هذا
من شيعته اى مسلم وهذا من عدوه اى كافر وقوله هذا على الحكاية والمبرد العرب تشير بهذا الى الغايب
قال جرير هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الى قطينا فاستغاثه الذى من شيعته قيل
هو السامرى على الذى من عدوه اى سأله ان يغيثه قيل كان القبطى خبازا فرعون يسخر الاسرائيلى
بحمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل بحمل الخبز على ظهره وقيل كانا يقتتلان فى الدين فوكزه فدفع موسى القبطى
باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف اى غضب موسى على القبطى بالعز وعتوه فضربه بجمع كفه وقيل دفعه
وقيل دفع صدره بيده وقيل عقد بيمينه عقد ثلاث وتسعين وقيل ضربه بعصاه فقضى عليه فقتله
وقيل اماته والقاضية الموت وكل شى فرغت منه فقد قضيته وفاعل قضى موسى ويحتمل ان يكون هو الله اى
قضى الله عليه الموت ويحتمل فقضى الوكز عليه قال موسى هذا القتل الذى وقع من غير قصده من عمل الشيطان
لانه حمله على ذلك حين اغراه ولانه فعله قبل ان يوذن له فى القتل انه اى ان الشيطان عدو مضل
مبين ظاهر العداوة قال موسى رب انى ظلمت نفسى لانى فعلته قبل ان اومر بفعله فاغفر لى لانه ذنب
يستغفر منه عن ابن جريج ليس لنبى ان يقتل ما لم يومر فغفر له اجاب الله دعاه فغفر له انه هو الغفور

الرحيم **قوله تعالى** قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت
علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين ويجوز ان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون اي عصمني
ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة
الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وقيل معناه انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة
او اهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من الاسرائيلية **قوله تعالى**
فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي
مبين فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا
يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين فاصبح في المدينة خائفا على نفسه من القبطي ان يؤخذ
به يترقب يتوقع وقوع مكروه وهو الاستقادة منه وقيل يترقب الاخبار وهل وقفوا على ما كان منه
وقيل خائفا من الله يترقب المغفرة وقيل خائفا من قومه ينتظر ان يسالوا قومه فاذا للمفاجاة اي فاجاه
الذي استنصره بالامس يستصرخه يساله ان يصرخه والاستصراخ الاستغاثة مشتق من الصراخ
يقول اي الصارخ الامير فاصرخه اي فاغاثه والمعنى الاسرائيلي الذي استنصره بالامس يستغيث به
على قبطي اخر اراد ان يسخره ايضا قال له موسى قيل للقبطي اني لغوي بتسخيرك وظلمك وقيل قال موسى
للاسرائيلي انك لغوي اي مغوي كالاليم والوجيع والمعنى انك لمضل حين قتلت بالامس رجلا بسببك
ويدعوني اليوم الى اخر وقيل الغوي بمعنى الغاوي والمعنى انك يا اسرائيلي غاوي فانك من لا يطيق دفع شر
عنك فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي بالقبطي الذي هو عدو لموسى والاسرائيلي قال
الاسرائيلي يا موسى اتريد ان تقتلني هذا قول الجمهور قالوا لما راى الاسرائيلي غضب موسى عليه حين
قال له لغوي مبين وراه قد هم ان يبطش بالقبطي ظن انه يريده فخاف على نفسه فقال يا موسى اتريد
ان تقتلني وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتل القبطي الا انهم اتوا الى فرعون فقالوا ان بني اسرائيل قتلوا رجلا
منا فخذ لنا بحقه فقال فرعون ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لاخذ لكم حقكم فبيناهم يطوفون ولا يدرون
من القاتل وقعت هذه الخصومة بين الاسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني فلما قال الاسرائيلي لموسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس انطلق القبطي الى فرعون فاخبره ان موسى هو الذي قتل الرجل فامر فرعون
بقتل موسى فعلم بذلك رجل من شيعته موسى فاتاه فاخبره فذلك قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى

ان تريد

ان تريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي القبطي المقتول ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض بقتل
الناس على الغضب قيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع
بالتي هي احسن وقيل الجبار المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله في الارض اي ارض مصر وما تريد ان تكون
من المصلحين في كظم الغيظ وترك الفعل الحسن هو من قول القبطي اي قال القبطي يا موسى اتريد ان تقتلني
لانه كان اشتهر ان اسرائيليا قتل قبطيا وجاء رجل قيل هو مؤمن من ال فرعون وكان ابن عم فرعون من
اقصى المدينة يسعى في محل الرفع على ان يكون صفة لرجل او في محل النصب على ان يكون حالا لاختصاص
رجل بلا نصح الحال عنه قال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون في امرك ليقتلوك والائتمار افتعال
من الامر وهو التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يامر صاحبه بشيء او يشير بامر
والمعنى يتشاورون بسببك فاخرج اني لك من الناصحين وليس بصلة الناصحين اي ناصح لك من الناصحين
لانه لا يتقدم الصلة على الموصول فخرج موسى منها من المدينة بعد انذار الرجل اياه خائفا على نفسه من ال
فرعون يترقب التعرض له في الطريق او يلحقه اي يتطلع هل يلحقه طلب فيؤخذ وقيل معنى يترقب يلتفت
وقيل يترقب ان يضل السبيل قال موسى رب نجني خلصني من القوم الظالمين واجعلني بحيث لا يقدرون
ولا يلحقونني مشتق من النجوة وهو المكان الذي لا يناله كل احد **قوله تعالى** ولما توجه
تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس
يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا
شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على
استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين ولما توجه موسى اي قصد بوجهه والتوجه الاقبال على الشيء تلقاء
مدين والتلقاء ايضا مصدر ومثل اللقاء قال املت خيرك هل ياتي مواعده فاليوم قصر عن تلقائه الامل
ومدين قرية شعيب قال المفسرون خرج موسى من مصر خائفا بغير زاد ولا ظهر وكان بين مصر ومدين
مسيرة ثمانية ايام ولم يكن لموسى بالطريق علم فقال موسى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وسطه وقصده
ومعظم نهجه وقيل خرج خائفا يعيش بورق الشجر قيل كان هناك ثلاث طرق فاخذ موسى في اوسطها واخذ
من كان في طلبه الاخرين وقالوا ان المريب لا ياخذ اعظم الطرق ومضى في الطريق ثماني ليالي خائفا ما له
طعام الا ورق الشجر وقيل لم يقصد مدين ولكنه اخذ طريقا الى حيث يامن فدفعه ذهابه الى مدين
لامر قدره الله وقيل اتاه جبريل بالعصا وامره بالمسير الى مدين ولما ورد موسى ماء مدين ماء اهل مدين
الذي يستقون منه وقيل ماء مدين بير كانوا يشربون منها ويسقون انعامهم ومواشيهم وجد عليه وجد
فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيرة العدد من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم

اي في مكان اسفل من مكانهم امرأتين اشار بذلك الى انهما من لا منعة لهما تذودان تطردان وتمنعان مواشيهما
عن الماء وهي تنازع الله على عما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل
كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر
الناظر لسترهما قال موسى لهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد
فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشئون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده
وقيل ما شأنكما لا تسقيان عنكما وقيل ما شأنكما واقفتين استنكارا لخروجهما من غير محرم قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء قرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء وضم الدال اي حتى يرجع الرعاء والباقون
بضم الياء وكسر الدال اي حتى يردوا الرعاء غنمهم عن الماء والرعاء جمع راع قيل لا نسقي توقيا عن الاختلاط
بالرجال وقيل نحن امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يسقي ماشيته
من الكبر فلذلك احتجنا نحن الى ان نسقي قالتا ذلك عذرا لخروجهما من غير محرم وقيل تعريضا لموسى ان يعينهما
على السقي وكان على تلك البئر صخرة عظيمة فاذا فرغ الرعاء من سقيهم اعادوا الصخرة فتأتي المرأتان
الى فضول حياض الرعاء فيسقيان غنمهما فسقى لهما موسى قيل ذهب موسى الى بئر اخرى عليها صخرة
لا يقتلعها الا جماعة من الناس فاقتلعها وسقى لهما قاله عمر بن الخطاب وشريح وقيل زاحم القوم على
الماء ودفعهم عنه حتى سقى لهما قال صاحب الكشاف والمعنى انه وصل الى ماء مدين وقد ازدحم عليه امة من
الناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى امرأتين ضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغ الامة
فما خطت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكن رحمهما
فاغاثهما وكفاهما امر السقي في تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة
الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان
فيه من انتهاز فرصة الا   ترغيب في الخير فرصة وبعث على ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم
ومذاهبهم ولما كان الغرض هو الفعل لا المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي الا ترى انه عليه السلام
انما رحمهما لانهما كانتا على الذيادة وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك
قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود السقي لا المسقي قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق
جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان
لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ولا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك
وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت
كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه
ليس بمحظور والدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب

فيه احوال

فيه احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب الحضر خصوصا اذا كانت الضرورة ثم تولى موسى بعد سقيهما
الى الظل اي جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه الى الظل عن الشمس قيل ظل شجرة وكانت هناك سمرة وقيل صار
الى الظل وقيل الى ظل جدار لا سقف عليه فقال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير لاي شيء انزلت
الي قليل او كثير غث او سمين فقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ولم يصرح بسؤال ولم
وطلب في هذا الكلام ما قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل وضعف حتى لصق
بطنه بظهره ورئيت خضرة البقل في بطنه قيل ويحتمل انه يريد اني فقير من الدنيا لما انزلت الي من خير
الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة فقال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به
وشكرا له فجاءته احديهما اي فلما سقى غنمهما رجعتا الى ابيهما واخبرتاه بما رأتا من موسى وقيل لما استرعتا
في الاياب ذلك اليوم بخلاف سائر الايام سألهما ابوهما عن السبب فاخبرتاه بما كان من موسى فارسل
احدى ابنتيه فجاءته احديهما تمشي على استحياء في موضع الحال اي مستحيية مستترة بكم درعها وعن
عمر رضي الله عنه سترت بوجهها بيديها الحسن قد اتت ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات
التي لا يحسن المشي بين يدي الرجال والكلام معهم قيل انها الصغرى واسمها صفوراء وهي التي تزوجها موسى
قالت لموسى ان ابي يدعوك يعني شعيبا ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي ليكافيك على سقيك ايانا والاجر
جزاء العمل فاجابها موسى فتبعها موسى وهب الريح والزقت ثوبها بجسدها فكره موسى ان يرى ذلك
منها فقال لها وراي ودليني على الطريق ان اخطأت فانا بني يعقوب لا ينظر الى اعجاز النساء
فلما جاء موسى شعيبا وقص عليه القصص ذكر احواله مع فرعون قال شعيب لا تخف نجوت من القوم
الظالمين يريد فرعون وآله فانه لا يد لهم على مدين ولا سلطان لفرعون بارضنا عليك **قوله
تعالى** قالت احديهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قالت
احديهما وهي التي ذهبت به يا ابت استأجره لرعي الغنم بالاجرة ان خير من استأجرت اي خير
من استعملت على عمل القوي الامين فقد جربنا قوته برفع الحجر وزحمه الدلو وجربت امانته
حيث منعني المشي قدامه قيل القوي في بدنه الامين في عفافه ابن عباس القوي فيما ولي الامين فيما استودع
قوله تعالى قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان
اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي
اريد ان ازوجك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني نفسك ثماني حجج اي على ان تكون اجيرا لي ثماني
سنين من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه ويجوز ان يكون
من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم
وثماني حجج مفعول اي رعية ثماني حجج قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يصح ان ينكحه احدى ابنتيه

من غير عسر قلت لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن قواعده ومواضعه امر قد عزم عليه ولو كان عقدا
لقال قد انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك فان قلت كيف جاز ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية الغنم
ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابى حنيفة كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها عبده سنة
او يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد او الدار
قلت الامر على مذهب ابى حنيفة كما ذكرت واما الشافعى فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال
والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز
ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين
وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة
ويجوز ان يستاجره لرعية بمال سمى معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على
ان تاجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا اى عندك فاتمامه منه من عندك والمعنى
فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمك هو ولا احتمه عليك ولكن ان فعلته فهو منك بفضل
وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك فى هذه المدة فاكلفك ما يصعب عليك وقيل
وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين والجابه ستجدنى ان شاء الله من الصالحين
فى حسن العشرة والوفا بالعهد قيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب ويجوز ان يريد
الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة وهذا شرط الاب وليس بصداق وقيل صداق ظاهر
لقوله ان تاجرنى ولم يقل تاجرها وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته **قوله تعالى**
قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل قال موسى
لشعيب ذلك مبتدا بينى وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى
قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قايم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت على
نفسك ثم قال موسى ايما الاجلين اى اجل من الاجلين اطولهما الذى هو العشر او اقصرهما الذى
هو الثمانى قضيت وفيتك اياه وفرغت من العمل فيه فلا عدوان على اى لا سبيل على والمعنى لا تعتد
على بان تلزمنى اكثر منه قال صاحب الكشاف فان قلت تصور العدوان انما هو فى احد الاجلين
الذى هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشرة فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه
كما انى ان طولبت بالزيادة على العشرة كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمانى
اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا من غير
تفاوت بينهما فى القضاء واما التتمة فموكوله الى رأيى ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل
معناه فلا اكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه كقولك لا اثم على ولا تبعة على والله على ما

نقول من النكاح والاجر والاجل وكيل حفيظ وشاهد ولما استعمل وكيل فى موضع الشاهد والمهيمن
والمقيت عدى بعلى **قوله تعالى** فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب
الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم
تصطلون فلما اتيها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى
انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين فلما قضى موسى الاجل روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل اى الاجلين قضى موسى قال اوفاهما واطيبهما مجاهد مكث عندهم بعد قضا
الاجل عشرا اخر وهب اقام عندهم بعد ان دخل عليه سنين او جذوة قرأ ابن عاصم بفتح الجيم
وحمزة وخلف والوليد عن ابن عامر بضمها والباقون بكسرها كلها لغات ابن عباس الجذوة قطعة حطب
فيها نار ابو عبيدة قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب قال والتى على قيس من النار جذوة
شديد عليه حرها والتهابها ۵ فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من
الشجرة من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة
بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يريد موسى اى ناديناه يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين **قوله تعالى**
اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون واضمم
اليك جناحك من الرهب قرأ حفص عن عاصم بفتح الراء وسكون الهاء وحمزة والكسائى وابو بكر
عن عاصم بضم الراء وسكون الهاء والباقون بفتح الراء والهاء قيل ان موسى عليه السلام لما قلب
الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاك
بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان
اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى
والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده
اليسرى فقد ضم جناحه اليه وقيل يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب
العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما
والا فجناحاه مضمومان اليه مستمران ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اى اذا اصابك

الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببًا وعلة
فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين
واحد ولكن خولف بين عبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض
في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الغضب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد
الموضعين مضمومًا وفي الآخر مضمومًا اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى
جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالمضموم اليها اليد اليسرى وكل واحد
من يمنى اليدين ويسراهما جناح فذانك برهانان من ربك قرأ ابن كثير وابو عمرو فذانك بالتشديد والباقون
بالتخفيف فالتشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك جعل تشديد النون عوضًا من اللام فذانك
برهانان بيانان اثنتان اي العصا واليد حجتان من الله لموسى على صدقه الى فرعون اي ارسلناك بهاتين
البرهانين الى فرعون وقد سبق تفسيرها بعد هذا الى قوله هو افصح مني لسانًا اي احسن بيانًا فارسله
معي ردءًا قرأ نافع ردًا بفتح الدال وبعدها همزة يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى
مفعول به رسولا لتكون عونا على تبليغ الرسالة يصدقني قرأ عاصم وحمزة بالرفع صفة لردءا والباقون
بالجزم جوابًا نحو وليا يرثني سواء وليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى
وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة
فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح
مني لسانا فارسله معي ردءا وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا
يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هارون
لانه السبب فيه اسنادًا مجازيًا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده
اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالسبب
كما لابس الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه اني اخاف ان يكذبون **قوله تعالى**
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون
فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقال
موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون العضد
قوام اليد وبشدتها تشتد اليد قال طرفة ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في الد
الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك
ونعينك فاجاب الله الى ما ساله فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل

كانه يد

كانه يد مشتدة بعضد شديد ونجعل لكما سلطانا حجة وبرهانا بالمعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة التي بعثت بها فلا يصلون اليكما بمكروه ولا يكون لهم عليكما قدرة باياتنا متعلق بنحو
ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا باياتنا او قيل متعلق بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او قيل
بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول
ولو تأخر لم يكن الا صلة وقيل انه حال كما يقول خرج فلان بسلاحه وقيل يحتمل ان يكون قسمًا جوابه
لا يصلون مقدمًا عليه ومن لغو القسم فلما جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات قال فرعون وقومه ما هذا
الا سحر مفترى مختلق اي سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله وقيل سحر ظاهر افتراؤه وقيل سحر موصوف بالافترا
كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما سمعنا بهذا الذي تدعونا اليه في آبائنا الاولين
وقيل ما سمعنا بان احدًا ادعى النبوة وصدق وقيل لطول الفترة قالوا هذا القول وقيل ما سمعنا دعاء
آبائنا ما تدعونا اليه وقيل ما سمعنا بمثل هذا السحر في آبائنا حال منصوبة بهذا اي كائنا من زمانهم
وايامهم اي ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا
انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان للكهان ان يخبروا بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على
انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من البينات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا
مثلها وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار اي ربي اعلم اني محق فيما
ادعوكم اليه وانتم مبطلون وقيل ربي اعلم بالانبياء قبلنا جوابا لهم من قولهم ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
وقيل ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح حيث جعله نبيًا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى
يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبًا ساحرًا مفتريًا لما اهله لذلك لانه غني حكيم ما جرت عادته بارسال
الكاذبين وبعثه الساحرين انه لا يفلح الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل
عليه قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد
دار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان ويلقى الملائكة بالبشرى عند الموت
فان قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان يسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان يكون خاتمتها
بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر اجيب بان الله تعالى قد وضع
الدنيا مجازًا الى الآخرة وامر عباده ان لا يعملوا فيها الا الخير ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن
عمل فيها خلاف ما وضع الله له فقد حرف فاذا عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء
فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة
وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات
الباهرة سحرًا مفترى والباقون بالواو ووجه هذه القراءة انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر

من القول والقول وينبصر منشاد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرأ حمزة والكسائي
ومن يكون بالياء من تحت والباقون بالتاء **قوله تعالى** وقال فرعون يا ايها الملأ
ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني
لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم
القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ان فرعون
كانت عادته كلما ظهرت حجة موسى ان يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهتين وجها على اغمار قومه وذكرهما
شيئين الاول قوله ما علمت لكم من اله غيري وهذا سار ونفي الالهية عن غيره واثبات الالهية لنفسه الثاني
قوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى وقال فرعون يا ايها الملأ ما
علمت لكم من اله غيري قصد بنفي علمه بالاله نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيري كما قال تعالى اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ومعناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم ولا يتعلق
به الا ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده
وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الهاً غيره غير معلوم عنده
ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته الهاً غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن في وجود اله غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول
موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف تلك البنيان العظيم ولما
تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع الى اله موسى فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ الطين بنار
توقدها على الطين ليتصلب يصير آجرا وكان هامان وزيره له المعين صنع لي الآجر فاجعل لي صرحا قصرا
عاليا الزجاج الصرح كل بناء متسع مرتفع وجاء في التفسير ان فرعون لما امر هامان ببناء الصرح جمع العمال
والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير فشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد قط فلما تم ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى
بها نحو السماء فردت وهي ملطخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله تعالى جبريل فضربه
بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت اخرى
في البحر واخرى في المغرب لعلي اطلع الى اله موسى لو كان فرعون عالما بصحة قول موسى لما تعب في بنائه
ما تعب ولو يقل لعلي اطلع الى اله موسى وان كان متجاهلا مهلاً مغرطا به ووصفاته انه ملك الارض ولا ترى
سيما ثبت شهادة على افراد جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغتم الناس

واخلاهم

واخلاهم من الفطن واسمجهم بالبهائم بذلك ام كان يسفه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع
النشابة ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاز التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله سطرا ندمن الكفر
ويجوز ان يفعل الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة
لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا يخاف على نفسه
سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ الآجر واتخذه لانه اول من عمل
الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام
الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام
دليل التجبر والتعظم وقيل كان فرعون يتعاطى مذهب الصابئين وانهم يعبدون النجوم ويزعمون ان
لا استحالة الا الكواكب فلما ادى ذلك طرقا من العادات وان من ظن باستحالة الشمس ملكته
وصيرته من اعظم من عصي واكثرهم واراد ببناء الصرح رصدا يصعد اليه ويعلم كيفية احوالها وهل
يحدث حكم من احكامها واني لاظن موسى من الكاذبين واستكبر تعظم هو وجنوده في الارض في ارض
مصر وما يليها يدعون الالهية والامتناع من اتباع الرسل والايمان بهم بغير الحق بغير حق اوجب
ذلك بل بالباطل وقيل بغير الحق الحق في محل النصب على الحال اي غير محقين والاستكبار بالحق انما هو لله
عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله فيما حكى عن الله الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا اي
فرعون وقومه انهم الينا لا يرجعون للبعث والنشور قرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء من الرجوع
والباقون بكسرها من الرجع فاخذناه اي فرعون وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر يا محمد بعين الاعتبار
كيف كان عاقبة الظالمين فاخذناه وجنوده من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء
سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الجم الغفير بحصيات
اخذهن اخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو
مستصغر الى جنب قدرته وجعلناهم قيل معناه دعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة
كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل
وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر وقيل معناه وجعلناهم
فرعون ائمة في الشر والضلال يقتدى بهم فيها فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم يدعون الى النار

الى اعمال موجب دخول النار وقيل حذف المضاف مرة بعد اخرى اى الى اعمال اهل النار وجاز ان يكون الدعا منهم وجاز ان يكون وقد سنوا سنة سيئة والاول موافق لمذهب المعتزلة والثاني لاهل السنة والجماعة وقيل جعلنا بمعنى حكمنا اى حكمنا بكفرهم وقيل معناه اعلمناكم انهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون لا يمنعهم احد من عذاب الله وقيل لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة وقيل لا ينصر بعضهم بعضا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اى كل من ذكرهم لعنهم وقيل لعنة عذابا ويوم القيمة تقديره ولعنة يوم القيمة فيكون بحذف المضاف وانتصب يوم القيمة على المفعول به وقيل هو عطف على محل في هذه الدنيا لقوله اذا ما تلا فيناهم اليدا وغدا وقيل ظرف للمقبوحين ومعنى هم من المقبوحين من المهلكين وقيل ويوم القيمة هم من المطرودين المبعدين وقيل قبحه نقبحه اذا جعله قبيحا وهو سواد الوجه وزرقة العيون وقيل من المغلوبين وقيل من المعذبين **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ثم بين تعالى ان الذي يجب التمسك به ما جاء به موسى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بصائر للناس نصب على الحال جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد اتيناه التورية انوارا للقلوب وهدى وهاديا الى الصراط المستقيم ورحمة ونعمة وقيل لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون يتعظون ويعتبرون اى وجب عليهم ان يتذكروا قال صاحب الكشاف اراد ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى ليذكرهم

قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين وما كنت بجانب الغربي بجانب المكان الغربي وقيل بجانب الجبل الغربي الواقع في شق الغرب وهو المكان او الجبل الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح اذ قضينا الى موسى الامر اذ كلمنا موسى وفرغنا اليه مما اردنا تقريبه وايصاه وقيل قضينا هلاك فرعون في الماء وقيل الامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وقيل من الشاهدين في ذلك الزمان والشاهدون هم نقباؤه الذين اختارهم موسى للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التورية له في الالواح وغير ذلك ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهم القرون الذي انت

فيهم

فيهم العمر امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم واخبرناك العلم بقصص الانبيا وقصة موسى وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبيه بالاستدراكين بعده وقيل فتطاول العمر وفترت النبوة وكادت الحق يخفى تلك الاخبار وبين وبلغ الشرائع دروس ولحق كثيرا منها التحريف وتمام الكلام مضمر فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مميزا الحق مما اختلف فيه وقيل يحتمل ان يجعل المعنى وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان وكان بينك وبين موسى قرون تطاولت اعمارهم وانت تخبر الان عن تلك الاحوال اخبار مشاهدة وعيان بايحائنا اليك معجزة لك وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون تتلوا تقرا عليهم اياتنا تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا كنا مرسلين اى ولكنا ارسلناك في اخر الزمان الى الخلق اجمعين وابصرناك منها وعلمناكها وقيل وما كنت ثاويا في مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه واحواله وها انت تتلوا عليهم اياتنا على امتك وما كنت بجانب الطور ناحية الجبل الذي كلم عليه موسى فتراه وتسمع كلامه واحواله وها انت تتلوا عليهم اياتنا على امتك وما كنت بجانب الطور ناحية الجبل الذي كلم عليه موسى اذ نادينا ناديناه خذ الكتاب بقوة وقيل نادينا موسى لما اتينا حين اختار قومه سبعين رجلا قال ابو هريرة هذا النداء يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسألوني فاستجيب لكم قبل ان تدعوني ولكن رحمة من ربك ولكن اوحينا اليك وقصصنا عليك وعلمناك وجعلناك رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحو قوله لتنذر قوما ولولا امتناعية جوابها محذوف اى تصيبهم مصيبة عقوبة ونقمة وعذاب بما قدمت ايديهم من الكفر والمعصية والظلم الذي استحقوا بها العذاب فيقولوا الفاء للعطف فيقولوا ربنا لولا تحضيضية مقوله لقوله فيقولوا ارسلت الينا رسولا فنتبع الفاء جواب لولا التحضيضية لانها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض واد واحد في المعنى ولولا انهم اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم والمعاصي فيقولوا يا ربنا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان ارسال الرسل انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اى يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك قال صاحب الكشاف والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم ثم قال فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء

بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا
اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم
وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا
هو العقاب لا غير الا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على
كفرهم واستحكامه ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كان
اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا
من الاتساع في الكلام وتصييرا الاقل تابعا للاكثر وتغليبا للاكثر على الاقل وقيل لولا انهم يحتجون
بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة **قوله تعالى** فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين فلما جاءهم
اي اهل مكة الحق من عندنا يعني محمدا او القرآن بامرنا ووحينا قالوا اي اهل مكة لولا اوتي محمد مثل ما اوتي
موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤوا
بالاقتراحات المبنية على التعنت كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك قال
الله تعالى اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة
في زمن موسى بما اوتي موسى من قبل الكلبي وكانت مقالتهم اي مقالة اهل مكة تلك حين بعثوا الرهط منهم
الى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبرهم اليهود بنعته
وصفته وانه في كتابهم التورية فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ان الكفرة في زمن
موسى ساحران قراءة عاصم وحمزة والكسائي سحران اي التورية والفرقان قاله ابن عباس قتادة الانجيل
والقرآن اسمعيل بن ابي خالد التورية والانجيل تظاهرا كل سحر منهما يقوي الآخر اسند التظاهر الى
السحرين توسعا في الكلام والباقون ساحران يعني موسى ومحمد قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير
فعلى هذا هو قول مشركي العرب مجاهد موسى وهارون فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة
قتادة محمد وعيسى فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا وقالوا انا بكل كافرون يعنون ما الله
ذكر على اختلاف الاقوال فقال الله تعالى لنبيه قل يا محمد لكفار مكة ان صدقتم في اني اختلقت القرآن
وان موسى اختلق التورية وادعيتما انهما من عند الله فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما
انزل على موسى من التورية ومما انزل علي من القرآن اتبعه ان كنتم صادقين هذا الشرط من نحو ما ذكرت
انه من الشرط المدل بالامر المحقق لان امتناع الاتيان بكتاب هو اهدى من الكتابين امر معلوم محقق

لا محالة

لا محالة فيه للشك ونحوه ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا لك ولم يأتوا بمثل
التورية والقرآن فاعلم انما يرتكبون اهواءهم من الكفر والشرك لم يحملهم عليه حجة وانما يتبعون اهواءهم
ومن اضل ولا احد اضل ممن اتبع هواه بغير هدى ولا ارشاد ولا بيان جاء من عند الله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين واعلم ان الاستجابة تعدى الى الداعي باللام والى الدعاء بنفسه وبحذف الدعاء اذا عدي
الى الداعي في الغالب وبحذف الداعي اذا عدي الى الدعاء فيقال استجاب الله له واستجاب دعاءه ولا يقال
استجاب له دعاءه فان قيل الاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا اجيب بان قوله فأتوا بكتاب
امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى **قوله تعالى**
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا
يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ولقد وصلنا نزلنا تنزيلا متصلا بعضه
ببعض وقيل ولقد اتينا لهم القرآن متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
وقيل توصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان وهو من وصل البعض بالبعض ويحتمل ان يكون المراد منه
انا انزلنا القرآن مفرقا نجوما نجما متصلا بعضه ببعض ليكون ذلك اقرب الى التذكر فيكون هذا جوابا
لقولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة واحدة كما اوتي موسى كتابه دفعة واحدة ويحتمل ان يكون المراد وصلنا
اخبار الانبياء بعضها ببعض واخبار الكفار في كيفية هلاكهم بكثير من المواضع الاتعاظ والازدجار ويحتمل
ان يكون المراد بيان الدلالة على كون هذا القرآن معجزا مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام
الدلالة على النبوة اكد ذلك بان قال ان الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن اي محمد هم بالقرآن او بمحمد
يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب قتادة نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة فلما بعث الله
محمدا آمنوا به منهم سلمان وعبد الله بن سلام مقاتل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل جاؤوا من
الحبشة مع جعفر وعن رفاعة نزلت في عشرة وانا منهم وقد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فكل من حصل في حقه تلك الصفة كان داخلا في الآية واذا يتلى عليهم آياتنا قالوا آمنا به هنا يدل على تأكد
ايمانهم انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين
بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم
القدماء قرأوا في الكتب الاولى ذكره وابناؤهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين
على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة لايمانهم بالكتاب

الاول ومرة لايمانهم بالكتاب الثاني بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقران وقيل بصبرهم
على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله وقيل بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ويحيون بكم كفلين
من رحمته مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا ويدرؤن بالحسنة بالطاعة السيئة المعصية
وقيل بالحسنة الحلم السيئة الاولى ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو القبيح من القول القبيح اعرضوا
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومباركة للحسن كلمة حلم من المومنين لا نبتغي الجاهلين
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم وقيل لا نبتغي دين الجاهلين **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن
لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون قد تقدم سبب نزولها
عند قوله ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث
ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فقال لولا ان تعيرني
نساء قريش يقلن انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله عز وجل انك لا تهدي من احببت
قيل جمع المفسرون انها نزلت في ابي طالب وفي قوله احببت قولان احدهما قوله من احببت هدايته
والثاني من احببته لقرابته ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين عن قدر له الهدى وشاهدانه
وقالوا ان نتبع نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن يمنعنا من اتباعك ان العرب تخطفنا من ارضنا لاجماعهم
على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فانزل الله الاية ومعناها ان اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخالفتهم
ايانا والتخطف الاسراع بسرعة فرد الله عليهم قولهم فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي اولم نسكنهم حرما
ونجعله مكانا لهم ومعنى امنا ذوا امن يامن الناس فيه وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم
على بعض واهل مكة امنون في الحرم من السبي والقتل والغارة اي فكيف يخافون اذا اسلموا وهم في حرم امن
يجبى قرانافع بالتاء من فوق والباقون بالياء اي الى الحرم اي يحلب ويحمل من النواحي ثمرات كل شيء رزقا
من لدنا اي من عندنا ولكن اهل مكة لا يعلمون ان الله هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه ومعنى الاية
اذا كنتم امنين في حرمي تاكلون رزقي وتعبدون غيري فكيف تخافون اذا عبدتموني وامنتم بي ٥
قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن
من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا
عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة
قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها

لذلك

لذلك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان اصله بطرت معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وانما
يتضمن بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى واكثرها خراب ابن عباس لم يسكنها الا المسافر
ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم
لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد
او خربناها وسويناها بالارض يخلف الاثار عن اصحابها حسنا ويدركها الفنى وما كان عادة ربك ان
يهلك القرى بكفر اهلها في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها
وتوابعها رسولا يتلوا عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يومنون وقيل ماكان في حكم الله
وسابق قضائه ان يهلك القرى حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم
الانبيا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون كافرون عاصون في الكفر **قوله تعالى**
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا يعقلون افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين وما
اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون بها زمانا قليلا وهي مدة الحياة المنقضية
وما عند الله ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاوه دائم سرمدا فلا تعقلون ان الباقي الشريف
خير من الفاني الخسيس افمن وعدناه هذه الاية تقرير لما قبلها قيل انها نزلت في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل وقيل في المومن والكافر وقيل
في عمار والوليد بن المغيرة افمن وعدناه وعدا حسنا اي ثوابا وقيل اي جنة ونعيمها فهو لاقيه مدركه
ومصيبه لا محالة اذ لا خلف لوعدنا كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين
من الذين احضروا النار نظيره قوله تعالى ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقيل من المحضرين
للعرض والحساب معاقبين بالنار وقيل من المحضرين من المشهورين فان الاحضار لا يكون للاشخاص
توجب السخط **قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون
ويوم يناديهم اي ينادي الله المشركين يوم القيمة فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا
انهم شركاي في الالهية وكنتم تعبدونهم وتدعونهم انهم يشفعون لكم فاين هم قال الذين حق عليهم القول اي
وجب عليهم العذاب الكلبي هم ائمة الكفر ورؤساؤه وقيل الشياطين ربنا هؤلاء مبتدا الذين اغوينا

صفته والعايد في الصلة الى الموصول محذوف تقديره الذين اغويناهم اغويناهم خبر المبتدأ والكاف
صفة مصدر محذوف اى هاولاء اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا اى اضللناهم كما ضللنا اقروا ان الاضلال
والدعا الى الشرك والكفر تبرانا اليك انكروا امرهم المعبودين لعبادتهم اياهم ما كانوا ايانا يعبدون
بامرنا بل كانوا يتبعون اهواهم وقيل ما كانوا ايانا يعبدون بسلطان وحجة من قوله تعالى ما كان لى عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقيل ما للمصدر والتقدير تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
بحذف من وقيل على ما كانوا ايانا يعبدون بحذف على وقيل الذين حق عليهم القول الدعاة الى الشرك ويكون الشرط
عنهم معولون عند هذا خوفا على انفسهم واشفاقا من ان يزاد فى عذابهم بسبب اغوايهم انا هم ربنا انا
اغويناهم لا انا امرناهم بعبادتنا وقيل المراد بالشركا الملائكة وعيسى وحمل قوله اغوينا على اضمار شرط اى
ان اغويناهم اغويناهم كما غوينا ولكن لم يكن منا اغواء قال ومثله ان كنت قلته فقد علمته وهذا وجه فيه
تعسف وليس فى الاية ذكر جواب المخاطب فيحتمل انه صدق لان قوله بعده فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يدل عليه
او يدل عليه قوله فعميت عليهم الانبا وقيل ادعوا شركاءكم اضافهم فى هذه الاية لادعايهم انهم شركا لله
اى ادعوهم ليخلصوكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اى لم يقدروا على ما دعوا اليه وقيل لم يجيبوهم بحجة وراوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون جواب لو مضمر اى لو انهم كانوا يهتدون لما راوا العذاب وقيل جوابه لما اتبعوهم وقيل
هذا تمنى اى ودوا لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم عطف على الاول اى ويوم ينادى الكفار ويسالهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين فعميت فاشتبهت وخفيت عليهم الانباء وقيل فعميت عليهم الانباء اى فصارت عليهم
الانباء كالعمى لا يهتدى اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يسال فى المشكلات لانهم جميعا يتساوون
فى عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقيل سكتوا فلا يتساءلون فى تلك الساعة وقيل لا يسال بعضهم بعضا
ان يحمل شيا من ذنوبه **قوله تعالى** فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون
من المفلحين لما بين حال المعذبين من الكفار وما يجرى عليهم من التوبيخ اتبعه بذكر من يتوب منهم
فى الدنيا ترغيبا فى التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر فقال فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين الكاملين فى الفلاح وعسى من الكرام تحقيق والله اكرم الاكرمين وقيل
وعد ورجا للتايب **قوله تعالى** وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان
الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى
والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ان المشركين من قريش قالوا لولا انزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم يعنون الوليد بن المغيرة وابا مسعود الثقفى فاجاب الله عما قالوا بقوله وربك
يخلق ما يشاء ويختار فانه هو المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فهو يخلق ما يشاء ويختار لا اعتراض
عليه ما كان لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا فقام مقام المصدر وايضا اسم للمختار يقال محمد خيرة الله

فخلقه

فى خلقه والمعنى وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا على الله ان يفعل
وقيل ما بمعنى الذى اى وربك الذى يشاء ثم يقول ويختار الذى لهم فيه الخيرة سبحان الله عما يشركون
والمقصود ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليست لاحد فيه شركة ومنازعة
ثم اكد بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من طعنهم فيه وقولهم
هلا اختير عليه غيره من النبوة وهو الله لا اله الا هو وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها
لا اله الا هو تقرير لذلك لقوله الكعبة القبلة لا قبلة الا هى وفيه تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات
عالما بكل المعلومات منزها عن النقايص والافات يجازى المحسنين على طاعاتهم ويعاقب العاصين
على معصيتهم وفيه غاية تقوية القلب للمطيعين ونهاية الزجر والردع للمتمردين وقيل لما بين تفساد
طريقة المشركين من قوله ويوم يناديهم اين شركاى حتم الكلام ببيان هذا التوحيد وبيان ان الحمد
والثنا لا يليق الا به له الحمد فى الاولى والاخرة لانه المنعم بالنعمة فى الاولى والثواب فى الاخرة غير واجب
على الله بل ينعم ويثيب تفضلا واحسانا فله الحمد فى الاولى والاخرة والحمد فى الاخرة هو قول اهل الجنة الحمد
لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين له الحكم فى الدنيا
لان حكم كل واحد سواه انما نفذ بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على المراة حكم زوجها ولا على
الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة حكم الرسول وله الحكم فى الاخرة لانه الذى يتولى الحكم
بين عباده فيها واليه ترجعون اى والى حكمه وقضائه ترجعون **قوله تعالى** قل ارايتم
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لما
بين من قبل بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل
عقيب ذلك بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا فنبه على ان الليل والنهار فى كون الليل والنهار نعمتين متعاقبتين على الزمان لان الانسان
فى الدنيا فى حال التكليف مفتقر الى تحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا الراحة والسكون
بالليل فلا بد منهما والحال هذه واما فى الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم الى الليل فلذلك يدوم
لهم الضيا واللذات فبين الله ان القادر على ذلك ليس الا الله والسرمد الدايم المتصل من السرد
وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص
من الدلاص فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب بانه ذكر الضيا
وهو ضوء الشمس النافع الذى يتعلق به مكاثرة الناس لتصرف فى المعاش وحده والظلام ليس

بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه
ووصف فوايده وقرن بالليل فلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون
ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله
في الاخر وهو النهار ولعلكم تشكرون الله على نعمه **قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول اين شركاي
الذين كنتم تزعمون كرر لان الاية الاولى لتقرير الاقرار على النفس بالغي والاياس للتعجيز عن اقامة
البرهان لما طولبوا به بحضرة من الاشهاد مع انه تقريع بعد تقريع **قوله تعالى** ونزعنا من كل
امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ونزعنا اخرجنا
وميزنا من كل امة شهيدا وهو رسولهم الذي يشهد عليهم بما احاطوا به فما دعوا اليه من التوحيد وانه
قد بلغتهم رسالة ربه فنظيره قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وقوله ويوم نبعث من كل امة
شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم على ما كنتم تعبدون من دون الله فعلموا ان الحق ان الالهية لله اي
علموا انه لا اله الا هو وقيل فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولا لشياطينهم وضل عنهم اي وغاب
عنهم غيبة الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب وقيل بطل في الاخرة ما كانوا يفترون في الدنيا
من الشركا **قوله تعالى** ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك
الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من
هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قارون اسم عجمي مثل هارون غير منصرف
للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وكان من قوم موسى اي من عشيرته وفي نسبه الى موسى
ثلثة اقوال احدها انه كان ابن عمه رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال عبد الله بن الحارث
بن جريج والثاني ابن خالته رواه عطا عن ابن عباس والثالث انه عم موسى قاله ابن اسحق وقيل معنى كونه من
قومه انه امن به وقيل كان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق
السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي فبغى عليهم ابن عباس ان قارون جعل
لبغية جعلا على ان تقذف موسى بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فاخبرته بقصتها وكان
بغيه الضحاك بغى بالكفر بالله قتادة بغى بالكبر عطا انه زاد في طول ثيابه شبرا وقيل ملكه فرعون
على بني اسرائيل فظلمهم واتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي ان مفاتحه
لتنوء صلته مفاتحه لتنوء خبر ان والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به وقيل مفاتحه خزاين امواله
وقياس واحدها مفتح بفتح الميم ابو صالح كانت خزاينه تحمل على اربعين بغلا لتنوء بالعصبة اي لتثقل

وقيل هم

وقيل بهم اي الحاملون لها لثقلها يقال ناء ينوء نوءا اذا نهض بثقل وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله وناي
بالحمل اذا نهض به متثاقلا والعصبة الجماعة الكثيرة روي ان مفاتيح خزاين قارون وقر ستين بغلا غرا
محجلة لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود الابل عن ابن رزين لو كان مفتاح واحد
لكوفة كان كافيا وقد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة اذ قال منصوب
بتنوء له قومه من بني اسرائيل لا تفرح لا تاشر ولا تبطر ومنه قوله تعالى انه لفرح فخور ولا تفرحوا بما اتاكم
وقول القايل ولست بمفراح اذا الدهر سرني اذ لست باشر لان السرور غير مكروه ولا مذموم ان الله
لا يحب الفرحين الاشرين البطرين وذلك لانه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان فاما من قلبه الى الاخرة
ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم يحدثه نفسه بالفرح وقيل لا تفرح لا تفسد ان الله لا يحب الفرحين
المفسدين المتكبرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة في حال تمكنك
وقدرتك بالمال والبدن الدار الاخرة بان تفعل فيها افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله
زادك في الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل ولا تترك ان تعمل في دنياك لاخرتك
حتى تنجو من عذاب الله وعن علي رضي الله عنه ولا تنس صحتك وقوتك ونشاطك وغناك ان تطلب بها
الاخرة الحسنى ولا تنس ان تطلب فيها كفايتك وغناك مما احل الله لك منها وقيل قوتك وقوت اهلك وقيل هو
الكفن لانه حظه من الدنيا عند خروجه منها واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك وقيل واحسن فيما
افترض عليك كما احسن الله اليك فيما انعم عليك ولا تبغ الفساد في الارض بالظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
قال قارون انما اوتيته على علم على فضل علم عندي علمنيه الله ورأى لذلك اهلا ففضلني بهذا المال عليكم بالعلم
وغيره وقيل هو علم الكيميا سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيميا فعلم يوشع ثلثه و
ابن يوحنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما
ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلم موسى اخته فعلمت اخته قارون وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم
عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وساير المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا
كانه قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورأيي هكذا اولم يعلم يجوز ان يكون اثباتا لعلمه ان الله قد
اهلك من قبله من قبل قارون من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون لما ذكر قارون ومن اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل
التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سوالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم
عليه كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم قتادة يدخلون النار بغير حساب مجاهد الملايكة
لا تسال عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم الحسن لا يسال عن ذنوبهم المجرمون ليعلم ذلك من قبلهم وان يسال سوال
تقريع وتوبيخ **قوله تعالى** فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا

يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون
الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون فخرج على قومه
في زينته الحسن وثبات حمر مجاهد على براذين بيض عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات مقاتل على بغلة
شهباء على سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه اربعة الاف على زينته وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر
وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون قيل يعدونه يا قوم ليت لنا وقيل يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم نصيب كثير
وقيل ذو وجد من الدنيا عظيم كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغنا
كما هو عادة البشر وقيل تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغبطة هو
الذي يتمنى نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن
الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط والخبط والحد
وهو الحت والدوار ووصفوه بانه رجل مجدود محظوظ وقال الذين اوتوا العلم بفنا الدنيا وبقاء العقبى والثواب
والعقاب ويلكم اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل
لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقتراف على الحث في الفعل وقيل معناه هلكتم ان اثرتم الدنيا على الآخرة ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اي ولا يلقى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء وهي ثواب
الله خير وقيل ولا يلقى ثواب الله لانه في معنى المثوبة او الجنة وقيل ولا يلقى السيرة والطريقة وهي الايمان
والعمل الصالح الا الصابرون على الطاعات وعن الزينة والشهوات والمعاصي وقيل على ما قسم الله
من القليل والكثير فخسفنا به وبداره الارض روي عن العلماء بالاخبار والعلماء ان قارون كان اعلم بني اسرائيل
بعد موسى وهارون واقرأهم للتوراة واجملهم واغناهم فبغى وطغى حتى هلك وكان سبب بغيه كثرة المال
وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا
اربعة في كل طرف خيطا اخضر لونه كلون السماء فقال موسى يا رب لم امرت بني اسرائيل بتعليق هذه الخيوط
الخضر في ارديتهم فقال الله ان بني اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما في ثيابهم يذكروني به
اذا نظروا الى السماء ويعلموا اني منزل منها كلامي قال موسى يا رب افلا تامرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا
فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال تعالى يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير وان هم لم يطيعوني

في الامر

في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعا موسى بني اسرائيل وقال لهم ان الله عز وجل امركم ان تعلقوا
في ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رايتموه ففعلت بنو اسرائيل ما امرهم به موسى
عليه السلام واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم
فكان هذا بدو عصيانه وبغيه فلما قطع موسى عليه السلام ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة
لهرون عليه السلام وهي رياسة المذبح فكان بنو اسرائيل ياتون بهديهم ويدفعونه الى هارون عليه
السلام فينزل نار من السماء فتاكله فوجد قارون في نفسه من ذلك واتى موسى عليه السلام فقال
يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وانا اقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على
هذا فقال موسى عليه السلام والله ما انا جعلتها في هرون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا
اصدقك في هذا حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها
في قبته التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاصبحت عصى هارون
عليه السلام قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام يا قارون
والله ما هذا مما نصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي
بينهما وهو يوذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى عليه السلام حتى بنا
دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون
عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكوة على موسى
اتاه قارون فصالحه على كل الف دينار على دينار وعلى كل الف درهم على درهم وعلى كل الف شاة شاة
وعلى كل الف شي شيا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل وقال
لهم يا بني اسرائيل ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو الان يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت
كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال امركم ان تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها
فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل قارون لها الف درهم وقيل الف
دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك
غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى عليه السلام فقال له
ان بني اسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض
فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له
امراة جلدناه مائة ومن زنى وله امراة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان
كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت قال
لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل

التورية على موسى الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة من ان
اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي
ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال
موسى عليه السلام يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن
كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم
قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وصاحباه في كل
ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وروي انه ناشده سبعين مرة وموسى لا يلتفت اليهم
لشدة غضبه ثم قال عليه السلام خذيهم فانطبقت عليهم الارض واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا
بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم اما وعزتي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا انه
يخسف كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيمة واصبحت بنو اسرائيل يتساحرون بينهم
ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وامواله
الارض فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين من المنتقمين من موسى
او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس العرب تعبر باصبح وامسى واضحى عن الصيرورة والفعل يقول فلان اصبح
عالما واضحى معدما وامسى حزينا اذا صاروا بهذه الاحوال وليس ثم من الصبح والضحى والمسى شي بالامس
ذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه
منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبيه على الخطا وتندم ومعناه ان القوم تنبهوا على
خطاياهم في تمنيهم وفي قولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما
اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح هذا مذهب الخليل وسيبويه وحكى الفراء ان اعرابية قالت
لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت يعني اما ترينه وراء البيت وقال هي كلمة تقرير كقول الرجل اما
ترى الى صنع الله واحسانه مجاهد معناه الم تعلم وقتادة الم تر وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك فالمعنى
الم تعلم انه لا يفلح الكافرون الحسن هي كلمة ابتداء وتحقيق وقيل وجوزوا ان تكون الكاف كاف الخطاب مضموما اليه
وان بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف
بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي كانه ومنهم من يقف على ويك يقولون ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي ويقتر اي لا يبسط الرزق على من يبسطه لكرامته عنده ولا يقدر
على من يقدر لهوانه عليه لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنيناه من المال لخسف بنا ويكانه
لا يفلح الكافرون **قوله تعالى** تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض

ولا فسادا

ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك
وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون نجعلها للذين لا يريدون علوا تكبرا وتجبرا فيها
ولا فسادا عملا بالمعاصي عكرمة الفساد اخذ المال بغير حق الكلبي الدعا الى غير عبادة الله والعاقبة المحمودة
الجميلة للمتقين **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون معناه ومن جاء بالسيئة فلا يجزون الا ما كانوا يعملون
فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناده عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم
وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي بالسيئة
الا مثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبع مائة وهو معنى قوله فله خير منها وقوله الا ما كانوا يعملون
ليس المراد انه نفس ما كانوا يعملون جزاؤهم بل المراد ما كانوا يعملون باعتبار جنسه اي ان كان مسيئا
فبالاساءة **قوله تعالى** ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء
بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لما شرح
لرسوله امر القيامة واستقصى في ذلك شرح له ما يتصل باحواله عليه الصلاة والسلام فقيل ان الذي
فرض عليك اي انزله عليك وفرض عليك العمل بالقرآن وقيل اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
اي ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت
الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك مجاهد الى معاد الى مكة لان معاد
الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا ثم هاجر من وجهه
ذلك الى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة
وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابائه فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى
بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله عز وجل يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي الى مكة
ظاهرا عليها ووجهه انه اراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في تلك معادا له شان ومرجعا
له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره اهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل
الشرك وحزبه قيل والسورة مكية فكان الله وعده بها وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر منها
ويعيده اليها ظاهرا ظافرا قال ابن عباس نزل بالجحفة ليست بمكة ولا المدينة عكرمة الى القيامة ابو صالح
الى الجنة لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه عليه السلام

وما يحصل له من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيفتح لك كما القي اليك الكتاب يريد قوله لرادك الى معاد وقيل ما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي القران وقيل ما متصل بقوله ان الذي فرض عليك القران وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب لرادك الى معاد الا رحمة من ربك هذا الكلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي عليك الكتاب فلا تكونن ظهيرا للكافرين لما ترى من ضعفك في الحال وقوتهم وقيل لا تكن بين ظهرانيهم وهذا امر بالهجرة ولا يصدنك عن ايات الله عن العمل بايات الله بعد اذ انزلت عليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج وهذا حين دعا عليه السلام الى دين ابائه الى دين ابائه ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا هو والوجه صلة وقيل يعبر به عن الذات والصادق الا دينه ابو العالية الا ما اريد به وجهه عن عبادة بن الصامت يجا بالدنيا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان لهم منها قال فيميز ما كان لله منها ثم يؤمر بسائرها فيلقى في النار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا ساله شيئا فلم يعطه فقال اسالك بوجه الله فقال علي رضي الله عنه كذبت ليس بوجه الله سالتني انما وجه الله الحق الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى كل شيء هالك الا وجهه يعني الحق ولكن سالتني بوجه الخلق الصحاك كل شيء هالك الا وجهه الجنة والنار والعرش ابن كيسان الا ملكه له الحكم واليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه فيجازيكم جزاء وفاقا ٥ ٥ ٥ ٥

سورة العنكبوت مكية

وبه قال الحسن وقتادة وعطا وجابر بن زيد ومقاتل وروى العوفي عن ابن عباس وفي رواية عن ابن عباس انها مدنية وقال هبة الله المفسر نزل من اولها الى راس العشر بمكة وباقيها بالمدينة وقال غيره عكس هذا نزلت العشرة بالمدينة وباقيها بمكة وهي تسع وستون اية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف ومائة وخمسة وتسعون حرفا ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها بعدها احسب الناس الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات فانك اذا قلت حسبت زيدا وظننت العرس لم يصح السكوت عليه ولم يكن مفيدا ولكن يصح تعليقه بمعاني المفردات فانك اذا قلت حسبت زيدا وظننت العرس لم يصح السكوت عليه ولم يكن مفيدا ولكن يصح تعليقه بمضمون الجملة نحو قولك حسبت زيدا منطلقا وظننت الفرس

حوادا

جوادا فان قولك زيد منطلق والفرس جواد كلام تام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثباتا عندك على وجه الحسبان او الظن فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على وجه الحسبان او الظن من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان او الظن حتى يتم غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان ههنا قوله تعالى ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان تقديره احسب الناس تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو المفعول الثاني فانه اذا قطعت النظر عن حسب يكون تركهم غير مفتونين مبتدا ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركتهم مفتونين كقولهم امنا على تقدير كائن ومستقر قبل اللام وكون قولهم ان يقولوا علة قولهم غير مفتونين لا ينافي صحة وقوعه خبرا عن مبتدا كقولك خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان المخافة في قولك خرجت مخافة الشر والتاديب في قولك ضربته تاديبا علتين للخروج والضرب وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وضربته للتاديب فجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا وهم لا يفتنون في محل النصب على انه حال من الضمير في ان يتركوا والمعنى الا سلام لتكاليف الشاقة من مفارقة الاوطان ومجاهدة اهل الاوثان وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات واللذات وبالفقر والقحط وانواع المصايب في الانفس والاموال وبالمصابرة على اذى الكفار وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنون بانواع الفتن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم وخلوص نياتهم ليميز المخلص من غيره والراسخ في الدين من المضطرب وان يصبروا ويسعوا فان ذلك من عزم الامور وقيل نزلت في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله تعالى وقيل نزلت في اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الاية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم اية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا احد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله فيهم الايتين وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته فانزل الله فيه هذه الاية **قوله تعالى** ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولقد فتنا موصول باحسب او لا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني اتباع الانبيا قبلهم وقد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم

قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه وليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم وليعلمن
الكاذبين والله عالم بهم قبل الاختبار وعلمه قديم تام لم يزل يعلمه معلوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد
والمعنى فلتظهرن الله ذلك حتى يوجد معلومه المعدوم فيعلمه موجودا قال مقاتل فليرين الله وقال الاخفش
فليمزن الله الصادقين وليميزن الله الكاذبين قال السنى الله نوعان احدهما علم كل شى
كان فيعلم انه كان والثاني علم كل يكون فيعلم انه يكون وقت كذا ولا يعلمه كاينا واقعا الا بعد كونه ووقوعه
سابقه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اى ونعلم المجاهدين منكم مجاهدين ونعلم الصابرين
الصابرين وكذلك هاهنا فليعلمن الله ذلك موجودا كاينا وقيل هذا سبيل علم الله في الاستقبال
وقيل ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه وليميزن الذين صدقوا وليميزن الكاذبين **قوله تعا**
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ام حسب الذين يعملون السيئات
الكفر والمعاصي ان يسبقونا لاشتماله على مسند ومستند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة والمعنى تحرونا وتعويوا بانفسهم فلا نقدر على الانتقام منهم ويجوز ان يضمن
حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحساب ابطل من الاول لان ذلك
يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون اى بيس الذي يحكمونه حكمهم
هذا او بيس حكما يحكمون به حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم **قوله تعالى** من كان يرجوا
لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم بن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث سعيد
بن جبير من كان يطمع في ثواب الله وقيل من كان يرجو لقاء الله في القيمة ويطمع في ثوابه فان
اجل الله لات اى ما وعد الله من الثواب كاين وقيل من كان يخاف الموت والمصير الى دار الجزا فليعمل
خيرا ولا يتوانى فيه فان اجل الله يعنى الموت لات لا محالة وقيل لقاء الله مثال الوصول الى العاقبة
من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزا مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل
وقد اطلع مولاه على ما كان ياتى ويذر فاما ان تلقاه ببشر وترحيب لما رضى من افعاله او بضد ذلك
لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجوا لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان تلقى الكرامة فيها من الله
والبشرى فان اجل الله وهو الموت لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاوه او يحقق
امله ويكتسب بها القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شىء مما يقوله عباده
ومما يعملونه فهو حقيق بالتقوى والخشية فان قيل فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط اجيب
بانه اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحالة الممثلة والوقت الذي يقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب
للموت فكانه قال من كان يرجوا لقاء الله فان لقاء الله لات لان الاجل واقع فيه اللقا كما يقول من كان

يرجوا

يرجوا لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة **قوله تعالى**
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين ومن جاهد نفسه بالصبر
على طاعة الله وفي معناها ما امر به وحملها على ما يا باه فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك
راجعة اليها وقيل جاهد الشيطان وقيل جاهد الكفار ومن كفر فانما يكفر لنفسه فان الله لغنى
عن العالمين لا ينتفع بمن يجاهد ولا يتضرر بمن كفر **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون لنكفرن عنهم
سيئاتهم الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اى باحسن اعمالهم
وهو طاعة الله وقيل هو اداء الفرايض ويحتمل لنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اى بالواحد عشرا
وبالواحد سبعين **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون ووصى حكمه حكم
... في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما يقال امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح
وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم
بنيه ويعقوب اى وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته
بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه ووصينا الانسان
بايتا والديه حسنا او بايلا والديه حسنا اى فعلا ذا حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس
حسنا وقيل يجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيا للضرب فنصبه
باضمار اولهما او افعل بهما لان الوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له وكانه قال قلنا اولهما
معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وهذا التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه
وقلنا ان جاهداك ايها الانسان وان جاهداك وغالباك واستفرغا مجهودهما على ان تشرك
ما ليس لك به علم اى لا علم لك بالالهية لعدمها والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال تشرك بي
شيا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما في الشرك وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما
ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا اراده على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الى مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزاوكم وفيه
شيا ان احدهما ان الجزا الى فحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك
ومعروفك في الدنيا كما انى لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات
والاستقامة في الدين فذكر المرجع نزلت الاية في سعد بن ابى وقاص فانه لما اسلم قالت له امه وهي
حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف يا سعد بلغني انك صبوت فوالله لا يظلني

سقف بيت من الضح والريح ولا اكل ولا اشرب حتى تكفر بمحمد وترجع الى ما كنت عليه وكان احب ولده
اليها فابى سعد وصبرت هي ثلثة ايام لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل بظل فاتى سعد النبي صلى الله
عليه وسلم وشكى ذلك اليه فانزل الله هذه الاية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرضيها ويحسن اليها ولا يطيعها في الشرك الي مرجعكم فانبيكم اي اوقفكم على
اعمالكم فانها مكتوبة عندي ثم اجازيكم بها **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين اي في زمرتهم بقبول توبتهم وجعلهم اسوة ساير المومنين والصلاح
من ابلغ صفات المومنين وهي متمنى انبيا الله قال الله حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين **قوله تعالى** ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولين جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين مجاهد نزلت في ناس كانوا يومنون
فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك عكرمة نزلت في المومنين الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر
فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقد مضت القصة
قتادة نزلت هذه الاية في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الايات العشر مدنية الى
هاهنا وسايرها مكية مقاتل والكلبي نزلت في العياش ابن ابي ربيعة بن مغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم القرشي وذلك انه اسلم فخاف اهل بيته فهاجر الى المدينة قبل ان يهاجر النبي صلى الله عليه
وسلم فحلفت امه سلمى بنت مخرمة ابن ابي جندل ابن نهشل ان لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسا ولا
تدخل كنا حتى يرجع اليها فلما راها ابناها ابو جهل والحرث ابنا هشام وهما اخا عياش لامه جزعها
وحلفها ركبا في طلبه حتى اتيا المدينة فقال ابو جهل لاخيه عياش قد علمت انك احب الى امك من جميع
ولدها وكنت بارا بها وقد حلفت امك انها لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل كنا حتى
ترجع اليها وانت تزعم ان في دينك بر الوالدين فارجع اليها فان ربك الذي تعبده بالمدينة هو ربك
بمكة فاعبده بها فلم يزالا به حتى اخذ عليهما المواثيق ان لا يحركاه ولا يصرفاه عن دينه فاعطياه ما سال
من المواثيق فتبعهما وقد صبرت امه ثلثة ايام ثم اكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه
وجلده كل واحد منهما ماية جلدة حتى يتبرا من دين محمد عليه السلام جزعا من الضرب وقال
ما لا ينبغي فانزل الله تعالى فيه ومن الناس وكان الحرث اشدهما عليه واسواهما قولا فحلف
عياش بالله لين قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا الى مكة مكثوا حينا ثم هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون الى المدينة فهاجر عياش واسلم وحسن اسلامه ثم ان الله
قذف الايمان في قلب الحرث بن هشام فهاجر الى المدينة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام

ولم يحضر

ولم يحضر عياش فلقيه يوما بظهر قبا ولم يشعر باسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل
قد اسلم فاسترجع عياش فبكى ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله وما كان لمومن
ان يقتل مومنا الا خطا ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي فاذا امسهم اذى
من الكفار بسبب اظهار دينه الله جعل فتنة الناس اي اذى الكفار كعذاب الله اي كان
ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المومنين عن الكفر وقيل وكما يجب ان يكون
عذاب الله صارفا وقيل ترك الايمان خوفا من عذاب الناس كما ينبغي ان يترك الكفر خوفا
من عذاب الله فعدل عذاب الدنيا الذي هو ساعة بعذاب الله الذي هو باق لا ينقطع ولين
جاء نصر من ربك فتح وغنيمة يعني ليقولن هاولا المرتدين انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين
عليه ثباتكم ما قدرنا احدا ان يمسنا عنه فاشركونا فيما غنمتم واعطونا نصيبا منه وهم كاذبون وانما
يقولون ذلك استكفافا لما يخافونه من ايقاع المومنين بهم ثم اخبر الله سبحانه انه اعلم بما
في صدور العالمين بما في صدورهم ومن ذلك وما تكن صدور هولاء من النفاق وهذا اطلاع
منه للمومنين على ما ابطنوه **قوله تعالى** وليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن المنافقين هذا وعد للمومنين ووعيد للمنافقين اي حال المنافقين ظاهر عند
الله الذي يملك الجزا **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسلن يوم القيمة عما كانوا يفترون وقال الذين
كفروا من اهل مكة للذين امنوا اتبعوا سبيلنا امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي
كانوا عليها في دينهم ولنحمل خطاياكم امروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر واراد
ليجمع هذان الامران في الوقوع ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل
بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عيسى
كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء يخفف عن المحمول عنه العذاب
انهم لكاذبون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله انهم
لا يقدرون على الوفا به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفا به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين
عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشي لا ما هو عليه المضمون كان لكاذبين
الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه
كالكاذبين الذين يعدون الشي وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اوزارهم واثقالا اي
واثقالا من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اثقالهم وقيل اثقالا اي اثقالا اخر غير الخطايا التي

ضمن حملها المؤمنين وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم نظيرها ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع
عليها وعمل بها فعليه مثل اوزار الذين اتبعوه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا ثم قرا الحسن وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له
اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها
ومثل وزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون
من اختلاقهم هذا وقيل يفترون يشركون وهذا السؤال سؤال تقريع **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
ابن عباس بعث نوح عليه السلام لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الى الله الف سنة
الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا قوله الف
سنة الا خمسين عاما احكم من تسعمائة وخمسين لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق
هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع قوله الف سنة الا خمسين عاما فكانه قال تسعمائة سنة
وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان قوله الف سنة الا خمسين عاما اخصر واعذب لفظا
واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته
وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وكان ذكر راس العدد الذي
لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وجاء غير مميزا اولا بالسنة وثانيا
بالعام لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك
لغرض ينحوه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك فاخذهم الطوفان الطوفان
الماء المحيط والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما فانجيناه اي نوحا
واصحاب السفينة اولاده واصحابه وجعلناها اي السفينة حين استوت على الجودي وقيل
وجعلناها اي العقوبة اية وقيل القصة عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها **قوله تعالى**
وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وابرهيم منصوب باذكروا ابدل عنه اذ بدل
الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها وقيل ابرهيم معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا اي
ارسلنا ابرهيم وقت بلوغه من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم
الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم الاخلاص والتقوى وعبادة الله خير لكم من عبادة الاصنام

ان كنتم

ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم وان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء
علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا تخاهدون وتصنعون اصناما بايديكم
تسمونها الهة بقيلها تعبدون ما تنحتون ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
اي لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرازق وحده
لا يرزق غيره واعبدوه ووحدوه واشكروا له على ما ابتدأكم من النعم اليه ترجعون الى ثوابه ترجعون
قوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
وان تكذبوا محمدا وقيل وان تكذبوني فالاول اخبار من الله والثاني من الرسول فعلى الاول وان تكذبوا
محمدا فلا يضره تكذيبكم فان الرسل قبله كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل
بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو
اقترانه بايات الله ومعجزاته وقيل وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة
حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وقيل هذه الاية والايات التي بعدها
الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم عليه السلام لقومه وان تكون
ايات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش من اول قصة ابرهيم
واخرها واذا كانت من جملة قول ابرهيم فالمراد بالامم الذين قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم
وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع
الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قيل فما تصنع
بقوله قل سيروا في الارض اجيب هي حكاية كلام الله تعالى حكاه ابرهيم عليه السلام كما يحكي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القران فان قيل اذا كان خطابا لقريش
فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة والجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت
معترضة فيه الا تراك انك تقول مكة وزيد ابوه قايم خير بلاد الله اجيب بان ايراد قصة
ابرهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه
وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب
ابرهيم قومه من قبل وكل امة نبيها لان قوله فقد كذبت امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم
وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواطئة عقبها من ادلتها وثوابعها لكونها ناطقة
بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح
قدرة الله وسلطانه **قوله تعالى** اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق

شيء بعيده ان ذلك على الله يسير قرا حمزة والكسائي تروا بالتاء من فوق والباقون بالتاء وعلى القرائتين
عني بالكلام كفار مكة كيف يبدي الله الخلق كيف يخلقهم ابتداء من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
الى ان يتم الخلق ثم يعيده ليس معطوف على يبتدي وليس للروية واقعة عليه وانما هو اخبار عن حال
بالاعادة بعد الموت **قوله تعالى** قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق
ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون
قل يا محمد ومن جعله من كلام ابرهيم يعني فاوحينا الى ابرهيم ان قل سيروا في الارض اي انظروا
في المخلوقات التي في الارض واختلاف اجناسها كيف بدا الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم هل يجدون لها خالقا
غير الله فاذا علموا انه الخالق نسواه لزمهم الحجة في الاعادة وهو قوله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اي ثم
الله ينشيهم عند البعث نشاة اخرى قرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد والباقون بتسكين الشين وترك
المد ثم الله ينشئ وليس معطوفا على بدا فان الرؤية لا تقع فيه كما وقع في قوله كيف بدا والجملة معطوفة
على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ويحتمل ان يراد بالابدا والاعادة والانشا ما يشاهد
مما يحدث كل حين وكل سنة من النبات والاشجار والثمار فيكون الاعادة تحت الرؤية والنشاة الاخرى
تحت النظر ان ذلك على الله يسير وذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل
عليه النشاة الاخرة على انهما نشاتان وان كل واحد منهما انشا اي ابتدا واختراع من العدم الى الوجود لا تفاوت
بينهما الا ان الاخرة انشا بعد انشا مثله والاولى ليست كذلك ان الله على كل شيء قدير من الابدا والاعادة
والنشاة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى الافصاح باسمه تعالى مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ
النشاة الاخرة بعد اضماره في قوله كيف يبدئ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق وكان القياس
ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت
تصطك الركب فلما قررهم في الابدا بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشا مثل الابدا فاذا كان الله الذي
لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الابدا فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة
الاولى هو الذي ينشئ النشاة الاخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب
من يشاء بعدله ويرحم من يشاء بفضله اي اعادتهم بعد الموت للجزاء على الاعمال بالعدل والفضل على وفق مشيته
اي والى حكمه في الدار الاخرة **قوله تعالى** وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما انتم بمعجزين ربكم في الارض تاسيرهم يا من عقابه
ولا من في السماء معجزين ربهم في السماء كقول حسان فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
يعني ومن يمدحه وينصره فاضمر من والى هذا التاويل ذهب عبد الرحمن بن زيد قال لا يعجزه اهل الارض
في الارض ولا اهل السماء في السماء ان عصوه وقيل معناه وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تعجزونه ان هربتم من حكمه

وقضايه

وقضايه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقولك ما يعوتني
فلان بالبصرة ولا هاهنا في بلدي وهو معك في البلد اي ولا بالبصرة لو صار اليها وقيل معناه وما
انتم بمعجزين ربكم كيف ما هبطتم من مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة
في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل وما انتم بمعجزين امر الله الجاري في السماء
والارض ان يجري عليكم فيصيبكم بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء وقيل هذا قول ابرهيم لقومه
وفيهم نمرود وامر الصعود الى الجو يوهم انه يحاول السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
قوله تعالى والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم
عذاب اليم بايات الله بالدلائل على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث بعد الموت
اولئك يئسوا من رحمتي وعيد اي سيياسون يوم القيمة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
وقيل وصف حالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف وقيل
شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وقيل يئسوا في الدنيا لان الياس رفع الطمع وقد
رفعوا طمعهم بانكارهم البعث وقيل يجب ان يئسوا من رحمتي وقال انه لا يياس من روح الله الا القوم
الكافرون يعني المؤمن انه لا يياس من روح الله ولا من رحمته وانه لا يامن من عذابه وعقابه صفة
المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا **قوله تعالى** فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قيل فاعترض سبحانه
بهذه الايات المتقدمة تذكيرا وتحذيرا لاهل مكة ثم عاد الى قصة ابرهيم فما كان جواب قومه جواب
منصوب على انه خبر كان الا ان قالوا في محل الرفع على انه اسم كان الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض
او قاله واحد وكان الباقون راضين وكانوا جميعا في حكم القائلين فانجاه الله من النار وجعل النار
عليه بردا وسلاما قال كعب ما احرقت منه الا وثاقه وروي انه لم ينتفع احد يومئذ بالنار لذهاب
حرها ان في ذلك فيما فعلوا به وفعلنا لايات لعلامات لقوم يؤمنون على ان الله هو الفاعل لهم **قوله تعالى**
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار وما لكم من ناصرين وقال ابرهيم انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم قرا ابن كثير وابو عمرو ومودة بالرفع وبالاضافة بينكم قيل رفعه باضمار هي كانه قال
هي مودة بينكم اي الفتكم واجتماعكم على الاصنام مودة بينكم وقيل رفعه على انه يكون خبر ان في انما وما موصولة
والمعنى ان الاوثان التي اتخذتموها من دون الله مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وحمزة
وحفص عن عاصم مودة بينكم بالنصب مع الاضافة والباقون بالنصب منونا بينكم بالنصب
على الظرف والعامل فيه مودة للتعليل اي لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم

عليها وايلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وقيل نصب مودة
على انها مفعول ثان كقوله اتخذ الهه هواه اى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف
او اتخذتم الاوثان مودة بينكم بمعنى مودودة كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله ويحتمل ان يراد بالاوثان نفس المودة مبالغة في الحياة الدنيا اى انما تتوادون عليها او تودونها
في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اى تبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة لانهم
زينوا لهم الكفر وقيل ثم يوم القيمة يقوم بينكم التعادى والتباغض والتلاعن وماواكم جهنم والنار وما لكم
من ناصرين يمنعهم عنها منعة **قوله تعالى** فامن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه
هو العزيز الحكيم فامن لابرهيم لوط حين راى النار لم تحرقه وقال ابرهيم انى مهاجر الى ربى اى من كوثى
وهو من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الشام ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه
في هجرته ابن اخيه لوط وامراته سارة وابرهيم عليه السلام اول من هاجر مقاتل هاجر ابرهيم وهو ابن
خمس وسبعين سنة الى ربى الى حيث امرنى ربى بالهجرة اليه انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى
ويحمينى من النار والحكيم الذى لا يامرنى الا بفعل لا على الوجه الذى اقتضاه مشيئته **قوله تعالى**
ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين ولم يذكر اسمعيل صريحا لشهرته بالدلالة عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب لشهرة امره وعلو قدره والكتاب وقصد به الجنس حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من
الكتب التى هى التورية والانجيل والزبور والقران **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه
انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون
السبيل وتاتون في ناديكم المنكر اى واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم قرا الحرميان وابن
عامر وحفص غير عاصم بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام في الثانى وتقطعون السبيل
اى الطريق للقتل واخذ الاموال وقيل اعتراضهم للسابلة بالفاحشة وتقطعون سبيل الولد باتيان
الدبر وتاتون في ناديكم المنكر قيل المضارطة وقيل يجامعون في ناديكم فعل الحمير ابن عباس هو الحذف
بالحصا والرمى بالبنادق والعو... ومضغ العلك والسؤال بين الناس وحل الازرار والسباب
والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء
من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ويقال للمجلس ناد ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يسم
ناديا **قوله تعالى** فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين فيما تعدنا به من نزول العذاب وفي التماسه **قوله تعالى**
قال رب انصرنى على القوم المفسدين قال لوط رب انصرنى على القوم المفسدين

بانزال

بانزال العذاب عليهم وقيل بان يمنع اذاهم عنى **قوله تعالى** ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين اى ولما جاءت رسلنا
اى الملائكة ابرهيم بالبشرى اى بشرى بالولد اسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا اى الرسل انا
مهلكوا اهل هذه القرية اى قوم لوط واضافة مهلكوا الى اهل اضافة لفظية لا تعريف والمعنى
الاستقبال ان اهلها كانوا استمروا على الظلم وظلمهم كفرهم **قوله تعالى** قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قال ابرهيم ان فيها لوطا ليس
اخبارا لهم بكون لوط فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها
من هو برئ من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر
في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قالوا اى الرسل لابرهيم نحن اعلم منك بمن فيها
اى بحال من فيها اى حال لوط وحال قومه وامتياز لوط منهم الامتياز اليقين وانه لا يستاهل ما يستاهلونه
فخفض على نفسك وهون عليك لننجينه قرا حمزة والكسائى لننجينه ومنجوك بالتخفيف فيهما وابو بكر عن عاصم
بالتشديد في الاول والتخفيف في الثانى والباقون بتشديد النونين فيهما **قوله تعالى**
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون ولما ان جاءت ان صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا وجود
احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل لما احس
بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه وطاقته وقد
جعلت العرب ضيق الذراع وضيق الذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له
والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة
رجزا اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ولقد تركنا
منها من القرية اية بينة هى منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر
عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او بينة **قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب
وقيل امروا بالرجاء والمراد اشتراطه بما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل
هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة او الصيحة جبريل لان القلوب رجفت لها
في دارهم في بلدهم وارضهم او ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين

قوله تعالى وعادًا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادًا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه معنى الاهلاك وقد تبين لكم ما وصفنا من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل الذي وجب عليهم سلوكه وهو الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين ذوي بصاير عقلاء متمكنين من النظر والفكر ولكنهم لم يفعلوا وقيل كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى بين لهم على لسان الرسول ولكنهم لجوا حتى هلكوا لمجاهد وكانوا مستبصرين في الضلالة قتادة مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها ضحاك ومقاتل والكلبي حسبوا انهم على الحق والهدى وهم على الباطل **قوله تعالى** وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين وقارون عطف على وعادًا وثمود وما كانوا سابقين فايتين من عذابنا بل ادركهم العذاب يقال لمن فات طالبه سبق **قوله تعالى** فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبًا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فكلا اخذنا بذنبه اي اخذنا فعاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبًا ريحًا عاصفًا فيها الحصا وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير استحقاق وجرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والعدوان فيه **قوله تعالى** مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب اجلا ولم ينفعه معبوده ضرب له هذا المثل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام اي مثل من اشرك بالله الاصنام في الضعف وسوء الاختيار كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا لنفسها كي ما يكنها فلم يغن عنها بناؤها شيئًا عند حاجتها اليه فان بيت العنكبوت لا يدفع عنها بردًا ولا حرًا كذلك هذه الاوثان لا تملك لعابديها نفعًا ولا ضرًا ولا خيرًا ولا شرًا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدًا في دينهم وتولوا من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الذي هو بيتها الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون وقيل اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز

مانه

مانه قال وان اوهن ما يعتمد في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقيل يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتًا بالاضافة الى رجل يبني بيتًا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتًا بيتًا العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينًا دينًا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون **قوله تعالى** ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء من وثن او صنم او ملك او جن او بشر وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئًا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس لانه جماد ليس معه مصحح للعلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئًا الا بحكمة وتدبير **قوله تعالى** وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وتلك الامثال اي مثل العنكبوت ونحوها وسائر الامثال نضربها تنبيهًا للناس للاستدلال والتفكر فيها وما يعقلها الا العالمون وما يعقل حقايقها ولا يسمع نضربها الا العالمون الذين يضعون الاشياء مواضعها كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفايدتها الا العالمون لان الامثال والتشبيهات انما هي طرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه **قوله تعالى** خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين انه تعالى لما امر الخلق بالايمان واظهر الحق بالبرهان ولم يات الكفار بما امرهم به وقص عليهم قصصًا وانذرهم على كفرهم بالاضلال وضعف دليلهم بالتمثيل ولم يهتدوا بذلك الى سواء السبيل حصل بالياس عنهم سلى المومنين بقوله خلق الله السموات والارض بالحق لا بالباطل واللعب ان في خلق السموات والارض لاية للمومنين خصهم بالذكر لانتفاعهم **قوله تعالى** اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون ثم انه تعالى سلى المومنين بالاية المتقدمة سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية اي ان كنت تتاسف على كفرهم اتل ما اوحي اليك لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الحجج ولم ينقذوا قومهم من الضلالة الجهالة فلهذا قال اتل ما عليهم ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ابن عمر يعني القران ينهى عن الفحشاء والمنكر

ودليل هذا التاويل ولا تجهر بصلوتك اى بقراتك وقال الاخرون هي الصلاة التي فيها الركوع
والسجود قال ابن مسعود وابن عباس يقول في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا قيل ان الانسان
اذا ادى الصلاة كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها نهته عن الفحشاء والمنكر هذا مقتضاها وموجبه
وقيل انها تنهاه ما دام فيها وقيل معناه ينبغي ان تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن جابر قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل ويسرق بالنهار فقال ان صلوته لتردعه وعن انس
كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع من الفواحش شيئا
الا ركبه فوصف لرسول الله حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما ما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ان صلوته تنهاه يوما ما ولذكر الله اكبر اى ذكر الله
اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ولذكر الله اكبر من شيء سواه وقيل ولذكر الله في الصلاة اكبر مما نهاك عنه
من الفحشاء والمنكر وقيل ولذكر الله العبد ما دام في صلوته اكبر من ذكر العبد لله قال اهل المعاني لان
ذكر الله العبد على حد الاستغناء وذكر العبد اياه على حد الافتقار ولان ذكره تعالى دايم وذكر العبد
موقت ولان ذكر العبد لجر نفع او دفع ضر وذكر الله سبحانه اياه للفضل وقال ذو النون ذكرك الله
بعد ان ذكرك وقال عطا لان ذكره تعالى لك بلا علة وذكرك مشوب بالعلل ابو بكر الوراق لان ذكره
تعالى اطلق لسانه بذكره له ولان ذكر العبد مخلوق وذكره تعالى غير مخلوق وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى ولذكر الله اكبر ذكر الله على كل حال احسن وافضل والذكر ان تذكره
عند ما حرم فتدع ما حرم وتذكره عند ما احل فتاخذ ما احل وعن معاذ بن جبل قال بينا نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ اين السابقون قالت قد مضوا وتخلف ناس فقال يا معاذ ان
السابقين الذين يستهترون بذكر الله ومن احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وعنه ما عمل ادمي عملا انجا له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد قال لا ولو ضرب بسيفه
قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وعن ابي الدرداء قال الا اخبركم بخير اعمالكم واحبها الى مليككم
وانماها في درجاتكم وخير لكم من ان تغزوا عدوكم فتضربوا رقابكم وتضربون رقابهم وخير من اعطاء
الدنانير والدراهم قالوا وما هو يا ابا الدرداء قال ذكر الله قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل لسلمان
اي الاعمال افضل قال اما تقرا القران ولذكر الله اكبر لا شي افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال ان تموت ولسانك رطب
من ذكر الله عز وجل وعن ابي هريرة قال رسول الله الدنيا ملعونة ما فيها الا ذكر الله قال الحكماء انما

كان

كان الذكر افضل الاشياء لان ثواب الذكر الله فاذكروني اذكركم وعنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني
في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا وان اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا
ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وعنه وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما من مجلس قوم يذكرون الله الا حفت بهم الملايكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وعن
ابي مالك ولذكر الله اكبر قال ذكر الله العبد في الصلاة اكبر من الصلاة ابن عون معناه والصلوة التي
انت فيها وذكر الله فيها اكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر وابن عطا ولذكر الله اكبر من
ان يبقى منه المعصية والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب وقيل ما تصنعون
في الصلاة تلاوة القران فجازيكم عنه قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن
له مسلمون بالخصلة التي هي احسن اى الطف وارفق وهو الجميل من القول والدعا الى الله
والتنبيه على ايات الله وحججه وقيل مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة
كما قال ادفع بالتي هي احسن ابن عباس هو قول لا اله الا الله مجاهد انها الكف عنهم اذا بذلوا الجزية
فان ابوا فقاتلوا الا الذين ظلموا منهم وافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصيحة ولم ينفع الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة مجاهد ان قالوا شرا فقولوا خيرا الا الذين ظلموا منهم اى ابوا ان يعطوا الجزية
ونصبوا الحرب فاولئك انتصروا منهم وجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يقروا بالجزية سعيد ابن الجبير
اهل الحرب لا عهد لهم فجادلوهم بالسيف ابن زيد الا الذين ظلموا منهم بالاقامة على الكفر بعد قيام
الحجة عليهم وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك
وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المودين الجزية الا بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف قتادة ومقاتل هذه الاية
منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف
وقولوا امنا بالذي انزل الينا هذا من جنس المجادلة بالتي هي احسن عن ابي نملة الانصاري انه بينا
هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل
تكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم فقال اليهودي انها تتكلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله
وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه وان كان حقا لم تكذبوه ابو هريرة اهل الكتاب
يقرون التورية بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون **قوله تعالى** وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلنا اليك الكتاب اي كما انزلنا الكتب عليهم انزلنا ايضا اليك الكتاب مصدقا لسائر
الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم فالذين اتيناهم الكتاب ممن كان
قبلك يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يؤمنون به ومن هؤلاء يعني اهل مكة
من يؤمن به وهم مؤمنو اهل مكة وقيل فالذين اتيناهم الكتاب ممن كان قبلك يؤمنون به ومن هؤلاء
الذين في عهدك اليوم من يؤمن به وما يجحد باياتنا الظاهرة مع ظهورها وزوال الشبهة
عنها الا الكافرون المتوغلون فيه المصممون عليه قتادة انما يكون الجحد بعد المعرفة مقاتل هم اليهود
وقيل كعب بن الاشرف واصحابه **قوله تعالى** وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وما يجحد باياتنا الا الظالمون وما كنت يا محمد تتلو تقرأ من قبل هذا الكتاب الذي انزلناه عليك
من كتاب ما من الكتاب ولا تخطه بيمينك اي انت امي ما عرفك احد قط بتلاوة ولا خط اذ لو كان شيء
من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ
ولا يكتب وليس به وقيل لارتاب مشركوا اهل مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وانما ذكر بيمينك وهي
الخارجة يزاول بها الخط زيادة التصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات
رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبه فكذلك النفي وانما سماهم مبطلين
لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا
اشد الريب فحين ليس بكاتب قارئ فلا وجه لارتيابهم وشيء اخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب
الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الله بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم
لم يؤمنوا به من الوجه الذي امنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين اي التوراة والانجيل ليسا معجزين
وهذا المنزل اي القران معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي
بل هو اي بل القران ايات بينات ابن عباس بل هو يعني محمدا عليه السلام والعلم بانه امي ايات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم به وحفاظه وهما من خصائص القران كونه ايات بينات الاعجاز وكونه
محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ
الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وقيل في صدور الذين اوتوا العلم
يعني في صدور اهل العلم من اهل الكتاب يجدونه في كتبهم وما يجحد باياتنا الواضحة الا الظالمون الا الكافرون

في الظلم

في الظلم المتوغلون فيه المجاوزون **قوله تعالى** وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه ايات قرأ
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ايات على الجمع والباقون اية على التوحيد ارادوا ايات
الانبياء مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ونحو ذلك قل يا محمد انما الايات عند الله ينزل
ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت
من الايات وليس لي ان اتخير على الله اياته فاقول انزل علي اية كذا دون اية كذا مع علمي ان الغرض
من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم هذا جواب
لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات ان كانوا طالبين
للحق غير متعنتين انا انزلنا عليك القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وفي كل زمان ولا تزال
معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان وزمان دون
زمان ان في ذلك في هذه الاية الموجودة في كل مكان وفي كل زمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة
وذكرى لقوم يؤمنون لقوم همهم الايمان لا التعنت وقيل اولم يكفهم اي اليهود انا انزلنا عليك
الكتاب بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها ثم قال عليه
السلام كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم
غيرهم فنزلت اولم يكفهم **قوله تعالى** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون شهيدا يشهد لي بالصدق
باني رسول الله يعني شهادته في قوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله وقيل معناه في القران
الذي بين الله بالاعجاز صدقي في كتابه وشهادة صدق بيني وبينكم لمن طلب الدليل شهيدا بيني
وبينكم اني بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانتم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في
السموات والارض لا يخفى عليه فيهما شيء فيعلم امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل
الذي لا يجوز الايمان به وهو ابليس وقيل الصنم وقيل الذين صدقوا الباطل وكفروا بالله الذي
يجب الايمان به والشكر على نعمه اولئك هم الخاسرون الهالكون المغبونون في صفقتهم حيث
اشتروا الكفر بالايمان وهذا الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب

وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا
ما كنتم تعملون نزل في النضر بن الحارث واصحابه حين قالوا فامطر علينا حجارة من السماء
وقالوا عجل لنا قطنا ولولا اجل مسمى قد سماه الله في اللوح وبينه فيه لعذابهم على معنى مشيئته
واراد به ابن عباس يعني ما وعدتك اني لا اعذب قومك بعذاب الاستيصال واني اوخر عذابهم
الى يوم القيمة بيانه قوله تعالى بل الساعة موعدهم الضحاك يعني مدة اعمارهم في الدنيا وقيل
يوم بدر لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب بغتة فجاة لا يحتسبونه اذا حضر الاجل المعلوم
عنده وقيل لولا اجل مسمى سماه الله لاعمارهم لجاءهم العذاب وليأتينهم اجلهم بغتة معد بوية عند
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بوقت مجيئه ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
عجبت من جهلهم في استعجال العذاب وقد اعد الله لهم جهنم وانها قد احاطت بهم وهم على شفير
جهنم لم يبق الا ان يدخلوها وقيل لمحيطة بهم في الاخرة اي ستحيط بهم عن قريب لان ما هو ات
قريب وقيل لانها محيطة لما لزمهم بكفرهم وقيل المحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وقيل
هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم يوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر
اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت يغشاهم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي من كل الجهات لانها محيطة بهم
ونقول قرا حمزة والكسائي ونافع بالياء اي ويقول الملك والباقون بالنون لانه لما كان بامر الله
جاز ان ينسب اليهم ذوقوا ما كنتم اي جزاء ما كنتم تعملون **قوله تعالى** يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون يا عبادي قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
باسكان الياء والباقون بفتحها ان ارضي قرا ابو عامر بفتح الياء والباقون باسكانها واسعة فاياي
فاعبدون وحدني من غير طاعة مخلوق في معصيتي سعيد بن جبير اذا عمل في الارض بالمعاصي فاخرجوا
منها فان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا مقاتل والكلبي نزلت في المستضعفين من المؤمنين
الذين كانوا بمكة لا يقدرون على اظهار الايمان وعباده الرحمن حثهم على الهجرة ويقول لهم ان ارض
المدينة واسعة امنة مطرف ارضي واسعة رزقي لكم واسع اخرجوا من الارض التي يكون بها
عن رسول الله من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب
واياك عصيتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدون والفا جواب شرط محذوف لان المعنى

ان الارض

ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص قال صاحب الكشاف
ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد
يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت
الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما جرب ونقل مثل مكة فانها اعون على قهر النفس
وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان
وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله تعالى وجوار بيت الله فلله الحمد
على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر كل نفس لما امر عباده بالحرص على العبادة
وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت
اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون وواصلون الى الجزاء ومن كانت
هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده فلا تقيموا بدار الشرك ثم الينا ترجعون
للثواب والعقاب والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا لننزلنهم من الجنة
علالي قرا حمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء من ثويت بالمكان اذا اقمت بها يقال ثوى الرجل اذا اقام
واثويته اذا انزلته منزلا يقيم والباقون بالباء تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
الذين صبروا على الطاعات ومفارقة الاوطان والهجرة لاجل وعلى اذى المشركين وعلى المحن وعلى المصائب
وعلى ربهم لا غيره يتوكلون **قوله تعالى** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الذين كانوا بمكة
وقد اذاهم المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها فقالوا يا رسول الله كيف
نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال ومن يطعمنا ويسقينا فانزل الله تعالى وكاين من
دابة نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا تحمل اي لا تطيق
ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم يوما فيوما اي لا يرزق تلك الضعاف الا الله ولا يرزقكم
ايضا ايها الاقوياء الا هو فانكم ان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ويقدر لكم اسباب
السبب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وهو السميع لاقوالكم نخشى بفراق اوطاننا العيلة العليم
بما في قلوبكم وما اليه تصير اموركم عن ابن عمر دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوائط
الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده وياكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيه
يا رسول الله قال عليه السلام لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت
انا لله ان الله المستعان قال يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف

اليقين فنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاين من دابة لا تحمل رزقها الآية لا تدخر شيئا لغد الا النمل
فيرزقها الله سفيان بن عيينة ليس شي مما خلق الله تعالى يخبا الا الفار والانسان والنملة ٥

قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموت والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
فاني يوفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شي عليم ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ٥
لما بين الله تعالى الامر للمشرك مخاطبا معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومن بقوله يا عبادي الذين
امنوا واتم الكلام معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشركين وهذا طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان
له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد وللاخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم يسمع يكون
معرضا عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن
هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوجب كانه في قلبه ثم اذا ذكر
مع المصلح في اثنا الكلام والمفسد يسمعه ان هذا اخاك العجب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد
من الصلاح وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده هذا الكلام ايضا داعيا الى سبيل الرشاد مانعا
له من ذلك الفساد فلذلك الله تعالى قال مع المومنين العجب منهم ان سالتهم من خلق السموت والارض
ليقولن الله ثم لا يومنون الضمير في سالتهم لاهل مكة فاني يوفكون فاني يصرفون عن توحيد الله
وانهم لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط يوسع الرزق على من يشاء
من عباده ويقدر له ويضيق على من يشا يعطيه بقدر الكفاية قدر الرزق وقتره عين ضيقه الضمير
في يقدر له يرجع الى قوله من يشا فيحتمل ان يكون بسط الرزق وقدره لواحد على معنى تعاقب الامرين على ذلك
الواحد على حسب مشيته ويحتمل ان يكون بسط الرزق لواحد وقدره لاخر على معنى يقدر لمن يشاء فوضع
الضمير موضع من يشاء لان من يشا منهم غير معين وكان الضمير مبهما مثله ان الله بكل شي عليم فيعلم
ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم لما قال الله يبسط الرزق لمن يشاء ذكر اعترافهم بذلك فقال
ولئن سالتهم اي هذا سبب الرزق ووجود السبب من الله تعالى يدل على ان وجود المسبب ايضا منه
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله اي يقرون بذلك فان كفار مكة كانوا يقرون
بان الله هو الخالق والرازق قل يا محمد الحمد لله على تمام حجتي وصدق لهجتي وانما امر ان يقول الحمد لله على
اقرارهم لان ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد قال صاحب الكشاف استحمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا
عاطلا كاقرار المشركين على انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث   النعمة الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة
للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وقيل

لايعقلون

لايعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم وقيل لا يعقلون توحيد الله
مع اقرارهم بانه الخالق الرازق **قوله تعالى** وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار
الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون   هذه ازدراء للدنيا وتحقير لامرها وكيف لا يحقرها وهي
لا تزن عند الله جناح بعوضة الحيوة الدنيا الا لهو يعني ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها
الا لهو ولعب كما تلهوا وتلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها
الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها نفس الحياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان
فقلبت الثانية واوا لما قالوا حياة وبه سمي حيوان حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بنا
الحيوان زيادة معنى ليس في بنا الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنفضان
واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى
الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون ان الدار الاخرة هي الحيوة
لم يوثروا الحياة الدنيا التي ما هي الا لهو ولعب عليها **قوله تعالى** فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون   اشارة الى ان المانع من التوحيد هو الحياة
الدنيا والاشتغال بامرها وان ذلك هو انهم اذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة
بالتوحيد ووحدوا واخلصوا فاذا انجاهم عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا فاذا ركبوا
متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه كفار مكة على ما وصفوا به من الشرك والعناد
فاذا ركبوا في الفلك فاصابتهم شدة خافوا منها الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين لله من المومنين
حيث لا يذكرون غير الله ولا يدعون مع الله الها اخر ليشفع الضر عنهم في تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم
فلما نجاهم الله من الشدة وخلصهم من البحر الى البر وامنهم من الخوف عادوا الى الشرك بالله ليكفروا بما اتيناهم
وليتمتعوا قرا ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان اللام على معنى الامر والمعنى وليتمتعوا في عبادتهم ونحو قوله
اعملوا ما شئتم والباقون بكسر اللام في ليتمتعوا جعلوا اللام بمعنى كي فمعناه لكي يكفروا او لكي يتمتعوا والمعنى
اذا هم يشركون ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ بها لا غير على خلاف
ما هو عادة المومنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجاهم ويجعلوا نعمة النجاة
ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وقيل معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع
بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة فان قيل كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة
ما شاوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه اجيب بان هذا الامر للتهديد وان ذلك منسحط الى غاية مثاله
الا ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يودي الى ضرر عظيم فبالغ في نصحه واستنزاله
عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت وقلت له انت وشانك وافعل ما شئت ولا يريد بهذا حقيقة

الامر بشيء والامر بالشيء طالب له وانت ناهيه واحرمته ولكنك كانك تقول له فاذا ابيت قبول النصيحة فانت اهل لان يقال لك افعل ما شئت على سبيل التهديد ونحو قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار فسوف تعلمون وعيد وتهديد لهم وهو مرتب تفيد وقوع الصيغة للتهديد **قوله تعالى**
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين لما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد ودعوتهم الى الله تعالى ذكر حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها سكنهم وهي حصين محصن الله تعالى حيث جعلهم حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم يعني انكم في اخوف ما كنتم تدعون الله وفي امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاكم في ذلك على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله تعالى كيف تكفرون بها وتعبدون الاصنام التي لا يحصل منها لا دفع الشدة والخوف ولا حصول النعمة والامن اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتخطف الناس من حولهم بالاسر والقتل واهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله سبحانه هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم لا يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفور عنهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم لما بين الله الامور على الوجه ولم يؤمن به احد منهم بين انهم اظلم من يكون لان الظلم وضع الشيء غير موضعه فاذا وضع واحد شيئا في موضع ليس هو موضعه بل يكون ظالما فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم الحصول لان كل ما لا يمكن لا يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن ولا يمكن ان يكون لله شريك فمن جعل لله شريكا يكون اظلم فاذا ليس احد اظلم ممن افترى على الله كذبا باثبات الشريك له فان افتراهم على كذبا زعمهم ان له شريكا وتكذيبهم بما جاءه به من الحق لكفرهم بالرسول والكتاب لما جاءهم بسفيههم لم يتعلثموا في تكذيبه حتى سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الفكر والروية حتى يتبين لهم صدقه وكذبه اليس تقرير لثوابهم في جهنم وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فيه وجهان الاول انه لا يثوون في جهنم ولا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب الثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجراة **قوله تعالى** والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اي والذين قاتلوا فينا لاجلنا اعداءنا لنصرة ديننا لنسهم على ما قاتلوا عنه وقيل والذين جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبيل الشهادة والمغفرة سفيان ابن

عيينة

عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغر فان الله يقول فان الله يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبيل العمل به ابو سليمان الداراني في قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال الذين يعملون بما يعلمون نهديهم ربهم الى ما لا يعلمون ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبيل ثوابنا ضحاك والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبيل الوصول الى المواهب وقيل والذين جاهدوا بالثبات على الايمان وقيل والذين جاهدوا بالصبر على المصائب والنوائب لنهدينهم سبيل الوصول الى المواهب وقيل والذين جاهدوا بالثبات على الطاعة لنهدينهم سبيل دخول الجنات سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة ثم قال مثل السنة في الدنيا مثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم وكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ونقل ان نقول اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم ٥ ٥ ٥

سورة الروم مكية

وهي ستون اية وثمان مائة وتسع عشرة كلمة وثلثة الاف وخمس مائة واربعة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال المفسرون كانت في ارض فارس امراة لا تلد الا الملوك الا بطال فدعاها كسرى وقال اني اريد ان ابعث الى الروم جيشا واستعمل عليهم رجلا من بنيك فاشيري علي ايهما استعمل فقالت هذا فلان اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان انفذ من سنان وهذا شهربراز هو احكم من كذا فاستعمل ايهم شئت قال فاني استعملت الحكيم فاستعمل شهربراز فسار الى الروم باهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى بحنس وبعث كسرى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يظهر الاميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انكم والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله عز وجل الم غلبت الروم الى اخر الايات فخرج ابو بكر رضي الله عنه الى الكفار وقال فرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا فقام اليه ابي بن خلف الجمحي وقال كذبت

يا ابا فضيل فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك والمناحبة
المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت
ففعلوا ذلك وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر رضي الله عنه فاخبره وذلك قبل تحريم القمار وقبل العقود
الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وهو مذهب ابي حنيفة وقد
احتج على جواز ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه وبين ابي بن خلف فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فخرج ابو بكر رضي الله
عنه فلقي ابيّ بن خلف فقال لعلك ندمت قال لا فتعال ازايدك في الخطر واماذّك في الاجل فاجعلها مائة
قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج من مكة اتاه فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج
من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ان يخرج ابي بن خلف الى احد اتاه عبد الله
بن ابي بكر فلزمه قال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف
فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم هذا قول اكثر المفسرين وقال ابو سعيد الخدري
ومقاتل لما كان يوم بدر وغلب المسلمون كفار مكة واتاهم الخبر ان الروم قد غلبوا على اهل فارس ففرح المؤمنون
بذلك وقال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم اهل مكة وصاحب قمارهم ابي بن خلف والمسلمون
وصاحب قمارهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية
فقمر ابو بكر رضي الله عنه ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهربراز بعدما غلب الروم لم يزل
يطأهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا اخاه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت
كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهربراز اذا اتاك كتابي فابعث الي براس فرخان فكتب
اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا
منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد نزعت عنكم
شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة امره فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي
فرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه فلما قرا شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان
ودفع اليه الصحيفة فقال ايتوني بشهربراز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم
فدعا بالسفط فاعطاه ثلاث صحايف قال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد
فرد الملك الى اخيه فكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف
فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي

وجعل

وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون
رجلا ثم بسط والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين ودعوا بترجمان بينهما فقال
شهربراز ان الذين خربوا مدائنك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فاراد ان اقتل اخي فابيت
ثم امر اخي ان يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك قال اصبتما ثم اشار احدهما الى صاحبه ان
السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فاقبلت الروم على فارس عند
ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن
معه فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن
من عند الله لانه انبا من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله في ادنى الارض اي ارض العرب لان الارض المعهود
عند العرب ارضهم والمعنى غلبت الروم في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام واراد ارضهم على انابة
اللام مناب المضاف اليه في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس ابن عباس
الاردن وفلسطين عكرمة اذرعات وكسكر وهم يعني الروم من بعد غلبهم اي من بعد غلبة فارس اياهم
والغلب والغلبة لغتان سيغلبون فارس في بضع سنين واضافة غلبهم اضافة المصدر الى المفعول

قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء وهو العزيز الرحيم   لله الامر من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت اي من قبل
دولة الروم على فارس ومن بعدها وهما مبنيان على الغاية والمعنى ان غلبة الغالب وخذلان المغلوب
بامر الله وقضائه قال صاحب الكشاف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين
يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين
اخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل
ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس لانهم اهل كتاب وينصر الله المؤمنين
على الكافرين وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه
ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناصروا وقل هؤلاء ولا شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام
ينصر الله من يشاء تارة هؤلاء وتارة هؤلاء وهو العزيز بنقمته عليكم تارة الرحيم اخرى

قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون   وعد الله مصدر مؤكد لقوله على لغة درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها
اعترافا فوعد الله ذلك وعدا لازما لا يخلف الله وعده ان الروم يظهرون على فارس ولكن اكثر
الناس يعني كفار مكة لا يعلمون ان الله لا يخلف وعده في ذلك ثم وصف كفار مكة فقال يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا يعني امر معايشهم وتجاراتهم وزراعاتهم وبنائهم وانهارهم وقيل يعلمون ما شاهدونه

فعل الحيوانات وقيل ظاهرا من الحياة الدنيا اى باطل وكل امور الدنيا باطل سوى ما اريد به وجه الله وهم
عن الاخرة هم غافلون وبها جاهلون ولها مضيعون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها فعمروا دنياهم وخربوا اخرتهم
وصفهم الله تعالى بانهم عقلاء فى امور الدنيا بُلَه فى امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب الحسن بلغ
من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد نعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفى
هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم
الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى ان للدنيا ظاهرا وباطنا
فظاهرها ما تعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود
منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن
الاخرة هم الغافلون وهم الاولى مبتدأ وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى ويجوز
ان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبرا للاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع قوله تعالى اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يتفكروا
فى انفسهم قيل فى انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر فى انفسهم اى فى قلوبهم الفارغة
من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكر كقولك اعتقده فى قلبك واضمر
فى نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر فى الامر واجال فيه فكره ومعناه اولم يتفكروا فى انفسهم التى
هى اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها وسدوا ما اودعها الله
ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد من الانتهاء وقت مجازيها
الحكيم الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان ساير الخلايق كذلك
امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى وما خلق
متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا ما خلق الله وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه
الا بالحق اى لم يخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى ما خلقها باطلا وعبثا ولكن خلقها ليعتبر
عباده ويستدلوا على وحدانيته وقدرته قال صاحب الكشاف اى ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح
وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهى
اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء فى قوله الا بالحق مثلها فى قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه
وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهى ملتبسة بالحق مقترنة به قوله تعالى
اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض

وعمروها

وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون اولم يسيروا فى
الارض اولم يسافروا فينظروا ومصارع الامم قبلهم كيف اهلكوا بكذبهم فيعتبروا بمرورهم فى البلاد
ونظرهم الى اثار المتمردين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم
كانوا اشد منهم اى من الامم الذين كانوا من قبل قريش اشد قوة من قريش اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
واهل مكة اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها واسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف
حالهم فى دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وقيل عمروها من العمر
اى بقوا فيها اكثر مما بقوا وقيل من العمران اى سكنوا فيها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كان الله
ليظلمهم اى فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان الله لا يظلم مثقال ذرة ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
اشركوا بالله والظلم وضع الشىء غير موضعه ونقصان حق الغير واخذ الشىء قبل وقته والاية تحتمل المعانى
الثلاثة ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى خبر عن عاقبتهم والسوءى تانيث الاسوإ وهو الاقبح
كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءى لكن
وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هى اسوأ العقوبات فى الاخرة وهى جهنم التى اعدت للكافرين
ان كذبوا اى بان كذبوا اولان كذبوا فحذف الجار وقيل ان كذبوا بايات الله بدل من السوءى اى عاقبة
الذين اساؤا السوءى اى طبع الله على قلوبهم وسمعهم وكذبوا بايات الله وقيل ان بمعنى اى لانه
اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك
وقيل يجوز ان يكون معنى اساؤا السوءى اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف
بيان للسوءى وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام وكانوا بها يستهزءون ٥
قوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون قرأ ابو عمرو وابو بكر
عن عاصم بالياء لان المتقدم ذكره غيبة والباقون بالتاء فيكون الكلام عائدا من الغيبة الى الخطاب
والمراد بذكر الرجوع الجزاء على الاعمال والخلق بمعنى المخلوق قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ٥ الابلاس ان يبقى بائسا
ساكتا متحيرا كما قال مجاهد يبلس يكسب ضاده ومقاتل والكلبى يايس وقيل بفتح اى زيد المبلس الذى قد نزل
به الشر والبلاء وقيل يبلس المجرمون ينقطع كلامهم وحججهم ابو عبيدة يندمون وانشد يا صاح
هل تعرف رسما مكرسا ولم يكن لهم للمجرمين من شركائهم من اوثانهم التى عبدوها من دون الله
شفعاء ليشفعوا لهم وكانوا اى المجرمون بشركائهم كافرين اى يكفرون بالهتهم وكانوا فى الدنيا كافرين
بسببهم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اى يتفرق المسلمون

والكافرون والمسلمون وان لم يتقدم ذكرهم لكن ما بعدهم يدل عليهم الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين
هاولاء في عليين وهاولاء في اسفل سافلين قاله قتادة فرقة لا اجتماع بعدها **قوله تعالى** فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ه في روضة في بستان وهو الجنة ونكر روضة لابهام
امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل روضة ذات نبات حرما يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره
سرورا تهلل وجهه وظهر فيه اثره عن ابن عباس يكرمون مجاهد وقتادة ينعمون وقيل السماع في الجنة فاذا اخذ
اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة الا وردت وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة
درجة ما بين كل درجتين منها ما بين السماء الى الارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تتفجر انهار
الجنة وعليها موضع العرش يوم القيمة فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني رجل حبب الي الصوت
فهل في الجنة صوت حسن قال اي والذي نفسي بيده ان الله سبحانه ليوحي الى شجرة في الجنة ان اسمعي عبادي الذين
اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلايق مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه
وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج
والنعيم وفي اخر القوم اعرابي فجثى لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي
ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلايق بمثلها قط فذلك
افضل نعيم اهل الجنة فسئل ابو الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح ان شاء الله والخوصانية المرهفة الاعلى
الضخمة الاسفل وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله
ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا
قوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون
لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم **قوله تعالى** فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ه لما ذكر
الوعد والوعيد ذكر ما يوصل الى الموعد وينجي من الوعيد فقال فسبحان اي فصلوا لله حين تمسون
وهي صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا متصل بقوله حين تمسون
وهو صلوة العشاء الاخرة اي وسبحوه عشيا وحين تظهرون صلوة الظهر وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بين قوله وحين تصبحون وعشيا ابن عباس يحمده اهل السموات والارض
اي على المميزين من اهل السموات والارض ان يحمدوه سيل ابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران
قال نعم فسبحان الله حين تمسون الى قوله وحين تظهرون **قوله تعالى** يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ه يخرج الحي الطاير من الميت من
البيضة ويخرج الميت البيضة من الحي من الطاير ويحيي الارض ويخرج النبات من الارض بعد موتها

بيبسها

بيبسها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج من القبور تبعثون اي كاخراج الحي من الميت **قوله تعالى**
ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ه قد تقدم معنى قوله خلقكم من تراب ثم اذا
للمفاجاة معناه ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض والمعنى ثم اذا انتم بشر ادميون عقلاء ناطقون
تنتشرون تتصرفون فيما فيه قوام معايشكم وقيل هذا تقريب بين كونه ترابا وكونهم بشرا تنتشرون وليس ثم
تراخ في الزمان **قوله تعالى** ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ه لان حوا خلقت من ضلع ادم والنساء
بعدها خلقت من اصلاب الرجال وقيل من انفسكم من جنسكم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لان الانس
من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم مودة ورحمة
والفة بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابق معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة
او رحم يود الرجل زوجة والمراة زوجها وفي التفسيران المودة والرحمة بين الزوجين من الله وان الفرك
من الشيطان وقيل هي المصاهرة والمخاتنة وقيل مودة بالكبير ورحمة على الصغير الحسن المودة الجماع
والرحمة الولد يقال سكن اليه اذا مال اليه لقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف
المسكون اليه فعل بمعنى مفعول روي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد عجبت
من امر وانه ليعجب ان الرجل ليتزوج المراة وما راها وما راته قط حتى اذا ابتنى بها اصبحا وما شيء احب
الى احدهما من الاخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك ان في خلق
الازواج وقيل في خلق المودة والرحمة لايات لقوم يتفكرون لان خلق الانسان من الوالدين يدل على ان
كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولان الانسان يجد بين الزوجين من المودة
والرحمة ما لا يجده بين ذوي الارحام وليس ذلك بمجرد الشهوة فان الشهوة غير دايمة في نفسها فكان
كل شيء بينهما فراق لو كان بالشهوة فالمودة والرحمة التي بها يدفع الانسان المكاره عن حرمه هي من الله
لا يعلم الا بالفكر **قوله تعالى** ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ه لما بين دلائل الانفس ذكر دلايل الافاق واظهرها خلق
السموات والارض ولما اشار الى دلايل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس وهو اختلاف
الالسنة والالوان واختلاف السنتكم اي لغاتكم واجناس النطق واشكاله خالف تعالى بين هذه حتى
لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم
ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها
ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين تشتبهان في الحلية ويعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف

حكمة الله في المخالفة بين الحلى ان في ذلك لايات للعالمين لما كان خلق السموات والارض لم يحتمل الاحتمالات
البعيدة التي يقولها اصحاب الطبايع واختلاف الاصوات كذلك قال للعالمين لعموم العلم بذلك وقد استدل
بهذه الاية من ذهب الى ان اللغات توقيفية بان المراد بالالسنة اللغات لا الجارحة لان الاختلاف الذي
يعجب منه في اللغات لا الجارحة وعورض بان التوقيف يعارضه الاقدار على اللغات فان حمل الالسنة
على اللغات حتى يكون التوقيف انه ليس حملها على القدرة على اللغات حتى تكون الامداد به بل الحمل على القدرة
اولى لانه مجاز اقرب والاقرب ارجح ولقايل ان يقول القدرة وان كانت اقرب لكن اللغات اظهر عرفا وما
هو اظهر عرفا اولى مما هو اقرب اذا لم يكن بحسب العرف ظاهرا **قوله تعالى** ومن اياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ۝ لما ذكر بعض صفات
النفس اللازمة المفارقة من جملتها النوم ومن اياته منامكم بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم وطلب
المعاش قد يكون بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم وطلب المعاش جميعا هذا ظاهر الاية وجمهور المفسرين
على ان الاية بعدها او تاخيرا تقديره منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار واعتبارا بسائر الايات في هذا
المعنى قالوا وان وقع النوم بالنهار وابتغاء الرزق بالليل فنادر والحكم للاغلب قال صاحب الكشاف
هذا من باب اللف وترتيبه ومن الاية منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين
القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه شيء واحد مع اعانة اللف على
الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران
واسد المعاني ما دل عليه القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون وقال في الاية الاولى لقوم يتفكرون
وفي الثانية للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء بالنهار قد يظن الجاهل والعاقل انهما مما يقتضيه طبع
الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل للعالمين ولان اختلاف الالسنة والالوان
من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم لزوال همها في بعض الاوقات
والنظر الى الالسنة والالوان دايم فاسند الاوليين الى السماع والاخريين الى وقيل ان من الاشيا
ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكر ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى مرشد يرشد فيفهم
اذا سمعه من المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمها الى مثل ما للاشكال الهندسية لكن خلق
الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان خامد الفكر خامد الذكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق انه
واما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد يعني فكان لقوم يسمعون
للقول السمع وهم سهو حتى سمعوا الاذان الواعية **قوله تعالى** ومن اياته
يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون ۝ لما قدم دلايل الانفس قدم دلايل الصفات التي للانفس واخر الاحوال المفارقة التي

للافاق

للافاق كما اخر دلايل الافاق بقوله ومن اياته خلق السموات والارض ومن اياته يريكم قيل ان مضمر اي
ومن اياته ان يريكم وقيل انزل الفعل منزلة المصدر اي ومن اياته اراءة البرق وبالوجهين فسر المثل
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع بالمعيدي او سماعك بالمعيدي وقول القايل وقالوا ما تشا
فقلت الهوى الى الردى اي تريني او لكل شيء خوفا من الصاعقة ومن الاخلاق وطمعا في الغيث وقيل
خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له قال صاحب الكشاف فان قلت من حق المفعول
له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت وجهان احدهما ان المفعولين
فاعلون في المعنى لانهم راوون فكانه قيل يجعلكم رايين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف
المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ورد ذلك باسناد
والجمع الى الله تعالى وقيل يجوز ان يكونا حالين اي خايفين وطامعين وينزل من السماء ماء مطرا فيحيي بالماء
الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون لما كان البرق والمطر ليسا بمطردين غير مختلفين بل هما
مختلفان اذ كل منهما يقع في بلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة ضعيفا فهو اظهر دلالة
في الفعل على الفاعل المختار قال لايات لقوم يعقلون **قوله تعالى** ومن اياته ان تقوم السماء
والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ۝ لما ذكر بعض احوال الافاق التي
هي المفارقة ذكر بعض احوالها اللازمة ومن اياته ان تقوم قيام السماء والارض واستمساكهما
بغير عمد بامره كونا قايمين اي باقامته تعالى وارادته وهذه اية ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي
هما فيه وعلى الوضع الذي هما عليه من الامور الممكنة وكونهما في غير هذا الموضع وعلى غير هذا
الوضع جايز فكان يمكن ان يخرجا منه فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا للجايز على غيره وذلك لا يكون
الا بفاعل مختار قال الامام ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله خلقكم
من تراب وخلق من انفسكم ازواجا ومن الافاق السماء والارض ومن لوازم الانسان
اختلاف الالسنة والالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البرق
والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد
الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الاخر يؤكده
وقال هنا ومن اياته ان تقوم وقال قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ههنا تقوم ولا هناك ان يريكم
لان القيام لما كان غير متجدد اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل وجعله مصدرا لان المستقبل
ينبي عن التجدد وفي البرق لما كان ذلك من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكر بلفظ
المستقبل ولم يذكر معه الحرف المصدرية وقال ذكر ستة دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك
لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخير وهو قوله ومن اياته

ان تقوم السماء والارض اما الاول فلان قوله بعد ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس خلق الانفس
وخلق الازواج من باب واحد فاذا قال ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السماء والارض
فيقول في الايات التي بعد ذكرتها ايات للعالمين ولقوم يعقلون اظهر وهاهنا كان في اول الامر ظاهرا ففي
اخر الامر بعد سرد الدلايل يكون اظهر فلم يبين احد عن احد في ذلك وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة
ثم اذا دعاكم دعوة وجه العطف بثم وما تكون معلقة به انه اذا بين لكم كمال قدرته بهذه الايات ثم بعد
ذلك يخبركم ويعلمكم بانه قال للعظام البالية اخرجوا من الاجداث احياء خرجوا احياء ثم اذا دعاكم بمنزلة
قوله يريكم في ايقاع الجملة موضع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى
من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث
كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القايل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت لابن الطود وهو اسرع يريد
بابن الطود الصدا او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السماء والارض بثم بيانا لعظم ما يكون
من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته من كذا كما يجوز ان يكون
مكانك يجوز ان يكون صاحبك تقول دعوت من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي قال
صاحب الكشاف فان قلت بم تعلق من الارض ا بالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا في قوله ثم اذا دعاكم دعوة وبين اذا في قوله اذا انتم قلت الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ومعنى الاية اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون من الارض **قوله تعالى** وله من في السموات والارض كل
له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم قيل ومن اياته ان كل من في السموات والارض له قانتون منقادون لوجود
افعاله لا يمتنعون عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم مطيعون فتكون طاعة ارادة لا طاعة عبادة
اي خلقهم على ما اراد وقيل قايمون في القيمة وقيل مقرون بالعبودية وقيل مصلون فيكون المراد به
المومنين وهو اهون قيل الاعادة اهون وقيل ايسر وقيل اسرع عليه مجاهد وابو العالية الاعادة
اهون عليه من البداية وكل هين عليه وقيل اهون بمعنى هين فالمعنى وهو هين عليه وقد يوضع
افعل في موضع فاعل ومثله قولهم في الاذان الله اكبر اي الله كبير قال الفرزدق ان الذي سمك السماء
بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول وقال معن بن اوس لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية
اول اي واني لوجل وقال غيره اصبحت امنحك الصدود واني قسما اليك مع الصدود لاميل ٥ وانشدوا
ايضا تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد ٥ اي بواحد وروي هذا

عن الحسن

عن الحسن وقتادة وقيل انه خاطب العباد بما يعقلون اي وهو اهون عليه مما يجب عندكم وينقاس على اصولكم
وتقتضيه عقولكم لان من اعادة صنعة شيء كان اسهل عليه واهون من انشايها وتعتذرون للصانع
اذا اخطا في بعض ما ينشيه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صنعته معاودا تعنون انه عاودها
مرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه بن عباس وهو اهون عليه اي على الخلق يصاحون بهم صيحة
فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا
رجالا ونساء وهو اهون عليه معناه وان تعيده اهون عليه وانما اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه
وقدمت في قوله وهو علي هين لان هنالك قصد للاختصاص وهو محزه فقيل وهو علي هين وان كان مستصعبا
عندكم ان يولد بين هرم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة
اسهل من الابتدا فلو قدمت الصلة تغير المعنى واستعظمت الاعادة في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت
على قيام السماء والارض بامره لانها في نفسها عظيمة وهونت بعده بقوله وهو اهون لانها بالقياس الى الانشا
ولذلك وله المثل الاعلى الصفة العليا التي ليست لغيره مثلها وقد عرف ووصف في السموات والارض على
السنة الخلايق والسنة الدلايل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشا ولا اعادة وغيرهما من المقدورات
ويدل عليه قوله وهو العزيز القاهر على كل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعن ابن عباس
يقول ليس كمثله شيء شهادة ان لا اله الا هو ولا رب غيره **قوله تعالى** ضرب لكم
مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم
انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون قيل ان العرب كانت تقول لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فانزل الله ضرب لكم مثلا اي ضرب الله لكم معاشر
المسلمين من انفسكم لذاته ولما جعلتم شركا له سبحانه يقرب الامر في فهم ذلك عليكم هل لكم معاشر
الاحرار مما ملكت ايمانكم يعني من عبيدكم واماءكم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال فانتم معاشر الاحرار
والعبيد فيه في ذلك الرزق سواء شرع يحكم مماليككم في اموالكم كحكمكم وتتصرفون فيها تصرفكم تخافونهم
معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم
انفسكم كما يخاف بعضكم الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم عن ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث
بعضكم بعضا بعد موتكم وقيل تخافون هؤلاء الشركاء ان يقاسموكم اموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا فاذا
لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تكون الهتكم التي تعبدونها لي
شركاء وانتم وهم عبيدي وانا مالككم جميعا فكما لا يجوز استوا المملوك مع سيده فكذلك لا يجوز استواء
المخلوق مع خالقه وقيل معناه هل يرضى احدكم ان يكون عبده شريكه في ماله وولده حتى يكون هو
ومملوكه في ذلك سواء يخافه كما يخاف غيره من شريك لو كان من في قوله من انفسكم للابتداء كانه قال

اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي انفسكم ولم يبعده ومن في قوله مما ملكت ايمانكم للتبعيض
ومن في قوله من شركاء مزيده لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم
وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشاركوكم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها
يكونون انتم وهم فيه على السواء من غير مفضلة بين حر وعبد وتهابونهم ان تستبدوا بتصرف دونهم
وان يفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون
لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل
نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها
الا ترى كيف صور الشرك المشوهة لقوم يعقلون يتدبرون في ضرب الامثال **قوله تعالى**
بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين ٥ بل اتبع
الذين ظلموا اكفروا اهواءهم بما يميل اليه نفوسهم بغير علم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه فاما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء فمن يهدي من اضله الله لا يقدر احد
اي يهديه وما لهم من ناصر يمنعهم لا من الاصنام التي عبدوها ولا من غيره **قوله تعالى**
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون امر النبي صلى الله عليه وسلم
بتوحيده فقال فاقم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وامته اي فقوم وجهك للدين
وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه
باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه حنيفا
حال من المامور او من الدين فطرة الله اي دين الله وانما اضمر على خطاب بجماعة لقوله منيبين اليه
ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة
الخلقة التي خلق الله عليها البشر وكذلك قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة اي على الايمان
بالله مجاهد وقتادة فطرة الله التي فطر الناس عليها الاسلام ابن قتيبة فرق ما بيننا وبين اهل
القدر في هذا الحديث ان الفطرة عند اهل القدر الاسلام والفطرة عندنا الاقرار بالله والمعرفة
به لا الاسلام ومعنى الفطرة ابتداء الخلقة فالكل اقروا حين قوله الست بربكم قالوا بلى ولست واجد
احدا الا وهو مقر بان له صانعا ومدبرا وان عبد شيئا دونه وسماه بغير اسمه فمعنى الحديث ان كل
مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الاقرار الاول مما لا يقع به حكم ولا ثواب فان الناس اجمعوا على
انه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ثم اجمعوا على ان اليهودي اذا مات له ولد صغير ورثه

وكذلك

وكذلك النصراني والمجوسي ولو كان معنى اد الاسلام ما ورثه الا المسلمون ولا دفن الا معهم
وانما اراد بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة اي على تلك البداية اي اقروا له فيها بالوحدانية
حين اخذهم وصلب آدم فمنهم من جحد ذلك بعد اقراره وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله اني خلقت عبادي حنفاء وذلك لانه لم يرد عنهم يوم الميثاق الا الى حرف واحد فاجابوه وقيل
فطرة الله التي فطر الناس عليها الملة وهي الاسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المومنين
الذين فطرهم الله على الاسلام لان المشرك لم يفطر على الاسلام ولفظ الناس عام والمراد منه
الخصوص وقيل معنى الاية ان الدين الحنيفي فطرة الله التي فطر الناس عليها قال صاحب الكشاف
الفطرة الخلقة الا ترى الى قوله تعالى لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوزا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا
دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه
كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه
السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله
اي لدين الله اي لا يصلح ذلك ولا ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير ظاهره نفي ومعناه النهي عكرمة
ومجاهد لا تغير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه ذلك الدين القيم اي التوحيد المستقيم وقيل
ذلك اشارة الى الاسلام ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون توحيد الله وقيل لا يعلمون
لا يتفكرون فيعلموا ان لهم خالقا ومدبرا منيبين اليه راجعين اليه من تاب يتوب اذا رجع مرة
بعد مرة وقيل منقطعين الى الله واتقوه واقيموا الصلاة ادوها في اوقاتها على شرائطها ولا تكونوا
من المشركين خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول عليه السلام خطاب
لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين
فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها وبعضهم يعبد صنما وبعضهم
يعبد الشمس وبعضهم غيرها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم الخوارج وقيل هم اهل البدع كل حزب
منهم فرحين بما لديهم اي كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون
من منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف
لكل وكل خليل غيرها ضم نفسه **قوله تعالى** واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا
فسوف تعلمون واذا مس الناس شدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك دعوا ربهم
منيبين اليه تائبين مقبلين بالدعاء اليه تاركين للاصنام يعلمون ان لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم

من الضر انالوا بهم رحمة خلاصاً من الشدة ليكفروا واللام مجاز منها في لكونه لهم عدواً وحزناً بما انعمنا هم
فتمتعوا فسوف تعلمون اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون عاقبة امركم **قوله تعالى** ام انزلنا عليهم
سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ابن عباس والضحاك حجة وعذراً وقتادة كتاباً وسع كتاباً فهو اى
والسلطان يتكلم بكلمة مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما ينطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة
كانه قال هو يشهد بشركهم وبصحته بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون ما موصولة
ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون وقيل يحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم
ذا سلطان اى ملكاً معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون **قوله تعالى**
واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
رحمة نعمة من مطر او نعمة او صحة فرحوا بطروا بها وان تصبهم سيئة شدة من قحط او ضيق او مرض
بما قدمت ايديهم بشؤم عملهم وعصيانهم اذا هم يقنطون ييأسون انكر عليهم بانهم قد علموا انه القابض الباسط
فانهم يقنطون من رحمته وما هم لا يرجعون عن المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد عليهم
رحمته **قوله تعالى** اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك
هم المفلحون اى كل من البسط والقدر من الله تعالى على حسب مشيئته فلا يجب ان يستبعد
منه احدهما عقيب الآخر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه صلة الرحم والمسكين
وابن السبيل حقهما نصيبهما من الصدقة خاطب من بسط عليه الرزق باداء حقه من المال وصرفه الى من
تقرب منه في رحم وهو الذي لا يجب عليك نفقته اذا كان فقيراً ولهذا قال حقه المسكين وابن السبيل
بالمواساة والحقوق الواجبة وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذا القربى بنو هاشم وبنو المطلب
يعطون حقوقهم من الفيء والغنيمة واحتج ابو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين
وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولادة بينهم
ولما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وذكر ما يجب ان يترك ذلك
اى ايتاء حقوقهم خير للذين يريدون وجه الله من البخل وقيل خير لهم في القيمة يريدون وجه الله يحتمل
ان يراد بوجهه ذاته او جانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصاً وجهه كقوله الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان واولئك هم المفلحون
قوله تعالى وما آتيتم من رباً ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون قرأ ابن كثير اتيتم مقصوراً ابن عباس وسعيد بن
جبير ومجاهد وطاوس والضحاك وقتادة الربوا هاهنا ان تهدي الرجل للرجل الشيء يقصد ان يثيبه

عليه

عليه اكثر من ذلك الضحاك فهذا ليس فيه اجر ولا وزر وقتادة ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به
وليس فيه وزر الحسن الربوا هاهنا الربا المحرم ابرهيم النخعي انه الرجل الذي يعطي قرابته المال ليصير به
غنياً لا يقصد بذلك ثواب الله الشعبي انه الرجل يعطي من يخدمه لاجل خدمته لا لاجل الله ليربوا
قرأ نافع لتربوا بتاء مضمومة وسكون الواو اى لتربوا انتم في اختلاق اموال الناس واجتلابها والباقون
بالياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربو فلا يربوا عند الله اى لا يزكوا ولا يضاعف لانكم
قصدتم زيادة العوض ولم يقصدوا القربة قيل وهذه الآية في معنى قوله يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من رباً ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم
فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة صدقة تبتغون به وجه الله خالصاً لا يطلبون به
مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون دون الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار زيادة هذا الذي يقبله الله ويضعفه له عشر اضعافها واكثر من
ذلك ومعنى قوله المضعفون اى اهل التضعيف كقول العرب اصبحتم مسمنين اللهم اذا سمنت
ابلهم ومعطشين اذا اعطشت ورجل مقو اذا كانت ابله قوية ومضعف اذا كانت ضعيفة ومنه
الخبيث المخبث اى اصحابه خبثاً وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص
خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهذا مدح لهم من ان يقول فانتم
المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع اليها **قوله تعالى**
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون الله مبتدأ الذي خلقكم خبره اى هو فاعل هذه الافعال ثم قال هل من شركائكم
اصنامكم الذين زعمتم انهم شركاء الله من يفعل شيئاً قط من ذلكم الخلق والرزق والاحياء والاماتة حتى يصح
ما ذهبتم اليه سبحانه وتعالى عما يشركون ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله
ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم
قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ
يصدعون ظهر الفساد القتل وقطع الطريق والجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات
وقلة الربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين
والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع وكثرة المضار يقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر

بما كسبت ايدي الناس بشوم ذنوبهم مقاتل هذا قبل ان يبعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام
امتلات الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم رجع الراجعون من الناس
عن الضلال والظلم فاكبر اهل العمود والمفاوز والبراري والبحر اهل القرى والريف مجاهد اما والله ما هو
بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر عكرمة العرب تسمي الامصار بحرا عطية البر ظهر الارض الامصار
وغيرها والبحر هو البحر المعروف عطية اذا قل المطر قل الغوص ابن عباس اذا امطرت السماء يفتح الاصداف
في البحر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ والحسن البحر القرى على شاطئ البحر ابن عباس وعكرمة ومجاهد
ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بالملك الجائر الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم
قيل على ابن كثير بالنون والباقون بالياء ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال
بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وقيل يحتمل ان يراد ظهور
الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فعلى هذا اللام في ليذيقهم مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم
مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال بعض اعمالهم ارادة الرجوع فحالهم انما افسدوا وسببوا الفشو المعاصي
في الارض لاجل ذلك ثم اكد تسبب المعاصي ونحاله حيث امرهم ان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله
الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن وانما دونه
من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيها عوج من قبل
ان ياتي يوم يعني القيمة لا مرد له من الله قيل من الله متعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي يوم لا يرده
احد كقوله فلا يستطيعون ردها وقيل من الله متعلق بمرد على معنى لا يرده هو بعيد ان يجي به ولا رد له من
جهته فالمراد مصدر بمعنى الرد يومئذ يصدعون يتفرقون كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير ۞

قوله تعالى من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين فعليه وزره اي جزاء كفره قال صاحب
فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون يفرشون ويسوون المضاجع في القبور وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة
على ان ضرر الكفر لا يعود الا عليه لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح يرجع على المؤمن لا يتجاوزه
ليجزي متعلق بيمهدون تعليل من فضله اي ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله لا من عمله فانه
لا يجب على الله ثواب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يجزيهم من فضله وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات
وترك الضمير الى الصريح لتقرير ان المؤمن الصالح فضل الله في حقه ثابت قطعا بمقتضى وعده انه لا يحب
الكافرين فتسويتهم بالمؤمنين بل يفرق بينهم قال صاحب الكشاف انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على
الطرد والعكس قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومن اياته
اي ومن ايات قدرته ان يرسل الرياح الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا مبشرات
برحمته وبالمطر وبصحة الابدان ويخصب الزمان وليذيقكم اي ارسلها للبشارة بالغيث
والاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الرياح وزكى
الارض وازالة العفونة من الهواء وتذريه الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها بامره
وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية ولا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما
عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله ولتطلبوا من فضله من الربح في التجارة في البحر وقيل بالذهاب
الى الجهاد في البحر لعلكم تشكرون نعمة الله فيها وليذيقكم يجوز ان يكون عطفا على مبشرات على المعنى كانه
قيل ليبشركم وليذيقكم ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ۞

قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من
الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اجرموا اشركوا اي فكفر بهم قوم وامن به
قوم فانتقمنا من الذين اجرموا ونصرنا المؤمنين وكان حقا علينا بمقتضى الوعد نصر المؤمنين احضر
الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما
وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وقد يوقف على حقا ومعناه
وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدى علينا نصر المؤمنين في العاقبة وفي ذلك تحذير بامرك وبظفرك على
اعدائك ومن ناوأك الحسن يعني انجاء المؤمنين مع الرسل من عذاب الامم عن ابي الدرداء سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله سبحانه
ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا نصر المؤمنين قوله تعالى
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج
من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين الله الذي يرسل الرياح فتثير تهيج الرياح سحابا فيبسطه فيبسط الله
السحاب في السماء في الهواء كيف يشاء مسيرة يوم او ايام من ناحية الجنوب او ناحية الشمال او ناحية
الصبا او ناحية الدبور ويجعله كسفا فيبسطه في السماء الضحاك كسفا في سماء دون سماء فترى الودق المطر
يخرج من خلاله قيل في الدارين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون لمجي الخصب وزوال القحط وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر
من قبله من باب التكرير والتاكيد كقوله تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد

فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
بذلك وقيل ان ينزل من قبل المطر وقيل من قبل الارسال من قبل السحاب لان المطر يدل عليه وقيل من
قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم بالمطر والاستبشار لمبلسين آيسين وقيل
ساكتين منقطعين **قوله تعالى** فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها
ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير   قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم الى اثر والباقون
الى آثار رحمة الله اي المطر واثرها وآثارها النبت كيف يحيي الارض بالنبات والاشجار وانواع الثمار
بعد موتها بعد ان صارت ترابا لا نبات بها ولا ثمار ان ذلك الذي يحيي الارض بعد موتها لمحيي الموتى وهو على
كل شيء قدير من الابدا والاعادة والاحيا والاماتة والبعث والنشور **قوله تعالى** ولئن ارسلنا
ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون   اي ولئن ارسلنا ريحا باردة مضرة فافسد ما
انبت الغيث فرأوه يعني كفار مكة الزرع والنبات كناية عن غير مذكور وقيل فرأوا اثر رحمة الله لان
رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار رحمة الله
النبات يقع على الكثير والقليل لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن اللام فيه هي اللام الموطئة للقسم دخلت
على حرف الشرط لظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن
ذمهم الله تعالى لانه اذا احبس عنهم القطر قنطوا من رحمة الله وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين
فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا
وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله
فقنطوا وان يشكروا نعمة الله ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه
فكفروا وقالوا مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر
قوله تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون   الآيتان قد فسرتا في سورة النمل
قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير   قرأ عاصم وحمزة ضعف بفتح الضاد والباقون
بضمها وهما لغتان والضم اقوى لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قرأت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف الله الذي خلقكم من ضعف يعني اساس امركم وما عليه جبلتكم
وسكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا وكذلك حال الطفولية والنشأ
حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل
حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين تخلق ما يشاء

هذا

هذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغير من هيئة الى هيئة ومن صفة الى صفة اظهر دليل واعدل
شاهد على انه هو العليم القدير **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم
البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون   ويوم تقوم الساعة القيمة يقسم يحلف
المجرمون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة وقيل ما لبثوا في قبورهم وقيل ما بين فناء الدنيا الى البعث وفي
الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة او اربعون
الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه
استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي كانوا مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا يبنون امرهم خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا
يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الا انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والملائكة
والمؤمنون لقد لبثتم في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في علم الله وقضائه او لما كتبه الله اي اوجبه بحكمته
الى يوم البعث وردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار
البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفاء في
قوله فهذا جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين
بطلان قولكم **قوله تعالى** فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون
قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء لان المعذرة تأنيث غير حقيقي والباقون بالتاء ابن عباس لا يقبل من الذين
اشركوا معذرتهم ولا توبة ولا هم يستعتبون استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك
اذا كنت جانيا عليه وحقيقته اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار
فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى
لا يقال لهم ارضوا ربكم بطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وقوله وان يستعتبوا فما هم
من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين
بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي
يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته **قوله تعالى** ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون   كذلك
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون   فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
ولقد ضربنا اي وصفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا

عليهم كل قصد تحسه البيان لصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم
وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استغاثتهم ولين جيتهم اى المشركين المعاندين باية المعجزة
او اية من القران فيه مثل ليقولن الذين كفروا يا محمد ويا المسلمين ان انتم الا مبطلون ما انتم على حق بل
انتم مبطلون وذلك لقسوة قلوبهم ومحو اسماعهم حديث الاخرة ثم قال كذلك اى مثل ذلك الطبع يطبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون اى قلوب الجهلة فاصبر يا محمد على اذاهم وعداوتهم ان وعد الله حق
بنصرتك واظهار دينك على الدين كلمة حق ثابت لا بد من انجازه والوفا به ولا يستخفنك ولا يحملنك
على الخفة والقلق مقالة الذين لا يوقنون اى لا يحملنك اذاهم وعداوتهم وعنادهم على ان يدخلك
خفة وعجلة لشدة غضب يعتريك فيمنعك عن تبليغ رسالة الله وقيل معناه لا تاخذنك العجلة
فى امرهم فان الله سيعا فيهم وقيل لا يستزلنك عما انت عليه وقيل لا يستنزلنك عما انت عليه
وقيل لا يستخفن حلمك ورايك الذين لا يوقنون بالمعاد ٥ ٥ ٥

سورة لقمن مكية

وهى اربع وثلثون اية وخمس مائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم تلك
ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكوة وهم
بالاخرة هم يوقنون اوليك على هدى من ربهم واوليك هم المفلحون الكتاب الحكيم ذى الحكمة
وقيل وصف الكتاب بصفة الله على الاسناد المجازي وقيل يجوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه به مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة مرفوعا بعد
الجر استكن فى الصفة المشبهة هدى ورحمة قرا حمزة بالرفع على انه خبر او خبر مبتدا محذوف
والباقون بالنصب على الحال عن الايات والعامل فيهما ما فى تلك معنى الاشارة للمحسنين الذين
يعملون الحسنات ويعبدون الله تعالى كانهم يرونه فان لم يكونوا يرونه فانه يراهم والحسنات
هى التى ذكرها من اقامة الصلوة وايتا الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس الالمعى الذى
يظن بك الظن كان قد راى وقد سمع عن الاصمعى انه سيل عن الالمعى فانشده ولم يرد وقيل الذين
يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القايمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها **قوله تعالى**
ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اوليك لهم
عذاب مهين ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى رجل اشترى جارية
تغنيه ليلا ونهارا مجاهد نزلت فى شرى القيان والمغنين والمغنيات الكلبى ومقاتل نزلت
فى النضر بن الحارث كان يتجر الى فارس ويشترى اخبار الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم

ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون
حديثه ويتركون استماع القران اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعنى ولهو الحديث ما كان من الحديث ملهيا
عن سبيل الله الى ما نهى عنه نحو السمر بالاساطير والاحاديث الذى لا اصل لها والتحدث بالخرافات
والمضاحك وفضول الكلام وما لا ينبغى من كان وكان ونحو الغنا وتعلم الموسيقا وما اشبه ذلك واضافة
اللهو الى الحديث للتبيين وهى بمعنى من وان يضاف الشىء الى ما هو منه كقولك شقة خز وباب ساج
والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث
الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد ياكل الحسنات كما ياكل الحشيش ويجوز ان يكون بمعنى
من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو وقيل المراد باللهو الحديث
الغنا كان ابن مسعود يقول هو الغنا والذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وبهذا قال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد ان اللهو الطبل الحسن ما الهى
عن الله الضحاك انه الشرك عطا الباطل وقيل يشترى ما له وحديث النضر بعضده قتادة يختار
ويستحب وانما قيل بهذه الاشيا لهو الحديث لانها تلهى عن ذكر الله ليضل ليصير امره الى الضلال وقيل
ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدق عنه ويزيد فيه ويمده وقيل وضع ليضل موضع ليضل ليضل
من قبل من اضل من كان به ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف عن سبيل الله بغير علم لما جعله مشتريا
لهو الحديث بالقران قال يشترى بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلالة بالهدى والباطل
بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اى التجارة بصراتها ويتخذها قرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم ويتخذها بالنصب عطفا على قوله ليضل لقربه من المنصوب والباقون بالرفع عطفا
على قوله يشترى والضمير راجع الى الايات ويتخذ الايات هزوا وقيل الى سبيل الله اى ويتخذ سبيل الله
هزوا اوليك لهم عذاب مهين **قوله تعالى** واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان
لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ٥ واذا تتلى عليه اياتنا اى القران ولى مستكبرا
اعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن طاعة الرسول والاصغا اليه كان لم يسمعها شبه حاله فى ذلك
حال من لم يسمعها وهو سامع كان فى اذنيه وقرا ثقلا ولا وقر فيهما كان لم يسمعها حال من مستكبر كان فى
اذنيه وقرا حال من الضمير فى ولى اى اعرض اعراض من لم يسمعها وكاعراض من فى اذنيه وقر ويجوز ان يكونا
استئنافين والاصل فى كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان فبشره بعذاب اليم فى الدنيا والاخرة ٥
قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا
وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات
النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به

معنى الوعد ومؤكدها جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء
وضده فيعطي النعيم من شاء وهو الحكيم كلما شاء على وفق الحكمة **قوله تعالى** خلق السموات
بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم خلق السموات بغير عمد ترون السموات غير معمودة وهو استشهاد برؤيتهم
السموات غير معمودة على قوله بغير عمد ترونها كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ورمح تراني ولا محل لقوله
ترونها لانها مستانفة وقيل هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية اي انه عمدها بعمد لا ترى وهي
امساكها **قوله تعالى** هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون
في ضلال مبين هذا الذي ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق فاروني ماذا خلق الذين من
دونه اي ماذا خلق الهتكم حتى يبكتهم بان هذه الاشيا العظيمة مما خلقه الله وانشا فاروني ما خلقته
الهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال
ليس بعده ضلال **قوله تعالى** ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ٥ ولقد اتينا لقمن الحكمة العقل والعلم
والعمل به والاصابة في الامور وقيل هو لقمن بن باعورا وهب كان ابن اخت ايوب مقاتل ان لقمن
ابن خالة ايوب الواقدي وكان قاضيا في بني اسرايل واتفق العلما انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا
عكرمة فانه قال كان لقمن نبيا تفرد بهذا القول وقد خير لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة عن ابن
عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا اقول لم يكن لقمن نبيا ولكن عبد
صمصامة كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة كان نايما نصف النهار اذ جاءه
نداء يا لقمن هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني
ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان فعل ذلك بي اعانني وعصمني
فقالت الملايكة بصوت لا يراهم لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل
مكان ان يعدل فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون
شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملايكة من حسن منطقه
فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بعده فقبلها فلم يشترط ما اشترط
ما اشترط لقمن فهوى في الخطية غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمن يوازره بحكمته فقال له داود عليه
السلام طوبى لك يا لقمن اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى واعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة
قال الزمخشري كان لقمن عبدا حبشيا نجارا سعيد بن المسيب كان لقمن خياطا مجاهد كان لقمن عبدا اسود
غليظ الشفتين متشقق القدمين روي انه جاء اسود الى سعيد بن المسيب يساله فقال له سعيد

لا تحزن

لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب
ولقمن الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر ان اشكر لله قيل لان يشكر لله ويجوز ان تكون
ان المفسرة تكون المعنى ان اشكر لله وتقديره قلنا له اشكر لله وقيل بدل من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه اراد شكره يرجع الى الله قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم اي يعود منفعة شكره اليه ومن كفر لم يضر الله
فانه غني عن العباد وشكرهم حميد محمود في صنعه و ما له وان لم يحمده حامد **قوله تعالى**
واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم اي اذكر
اذ قال لقمن او في محل النصب باتينا لقمن الحكمة لان هذه الموعظة حكمة لابنه واسمه انعم الكلبي
اشكم وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله اي مع الله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين ما لا نعمة
له الا هي منه وبين من لا نعمة له البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه **قوله تعالى**
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك
الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون انها نزلت في سعد بن ابي
وقاص وقد سبق في العنكبوت ووصينا الانسان كلام وقع في اثنا وصية لقمن لابنه وهو اعتراض
وقع على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك وقيل يعني ان الشرك لظلم عظيم
يعني قد وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرناه ان لا يطيعهما في الشرك وجا في كلام لقمن انه قال لابنه ان
الله رضيني لك فلم يوصني بك ولم يرضك لي فوصاك بي حملته امه وهنا على وهن ضعفا على ضعف
وقيل شدة على شدة وقيل جهدا على جهد ومحل وهنا على وهن على حسب زيادته في بطنها وثقلها عليها
لدن حملته بهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء يعني يعود وعودا على بدء ووهنا في موضع الحال
والمعنى انها تضعفت ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد
ضعفا وثقلا وفصاله في عامين اي وفطامه بعد الولادة في انقضا عامين ان اشكر لي تفسير لوصينا سفيان
بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات فقد شكر للوالدين
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشي يريد
الاصنام كقوله وما يدعون من دونه من شيء اي اطعهما فيما امراك به كله وان حملاك على ان تجعل لي
شريكا لم يحصل لك العلم بانه لي شريك لان ذلك مستحيل فلا تطعهما على ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وصلة وما يقتضيه الكرم
والمروة واتبع سبيل من اناب الي اي سبيل المومنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا
بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما

على دوسهما **قوله تعالى** يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير قرا نافع وحده برفع مثقال والباقون بنصبه قيل ان ابن لقمن قال لابيه ارايت لو كانت حبة فى قعر البحر اكان الله يعلمها فاجابه بهذه الاية قال السدى وقال مقاتل انه قال يا ابت ان عملت بالخطية حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله فاجابه بهذا فمن رفع مثقال كان ضميرا لقصة وانما انث مثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم ومن نصب كان الضمير للحبة من الاساءة والاحسان اى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل وكانت مع صغرها فى اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى والسفلى يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله يتوصل علمه الى كل شى خفى خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها قتادة فى صخرة فى جبل ابن عباس هى صخرة تحت الارض وهى السجين يكتب فيها اعمال الكفار وخضرة السماء منها **قوله تعالى** يا بنى اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور واصبر على ما اصابك قيل يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن ويجوز ان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك قيل اى الصبر وقيل ان ذلك الذى وصيتك به من عزم الامور مما عزمه الله على عباده اى امرهم به امرا حتما وقيل ان ذلك مما عزمه اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزايمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لمن تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا قال اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية موذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها فى سائر الامم الصلوة لم تزل قايمة عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها **قوله تعالى** ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير قرا ابن كثير وعامر وعاصم تصعر بتشديد العين من غير الف والباقون بالالف من غير تشديد يقال اصعر خده وصعره وصاعره لواه اعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبر وعن ابن عباس لا تتكبر

فتحقر

فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك مجاهد هو الاصل هو الرجل يكون بينك وبينه حقد فتلقاه معرض عنك بوجهه عكرمة هو الذى اذا سلم لوى عنقه مكبرا قتادة لا تحتقر الفقراء وليكن الفقير والغنى عندك سواء عطا هو الذى يلوى شدقه المورج لا تتعبس فى وجوه الناس ولا تمش فى الارض مرحا خيلاء وكبرا مصدر وقع موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكون غرضك فى المشى البطالة والاشر كما تمشى كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ان الله لا يحب كل مختال فخور متكبر قيل متنان ولا اختيال الا ان يرى لنفسه طولا على غيره فيسمى باسمه فخور بعدد مناقبه تطاولا قال صاحب الكشاف والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد فى مشيك حتى يكون مشيا بين المشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشى تذهب بهاء المومن واما قول عايشة رضى الله عنها فى عمر رضى الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوتين وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى واغضض اى واخفض من صوتك وقيل وانقص منه واقصر من قولك فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شى نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الشى المستقذر وقد عد من مساوى الاداب ان يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من اولى المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلا الكلام عن لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان مجاهد والضحاك وقتادة اقبح الاصوات اوله زفير واخره شهيق امر بالاقتصار فى صوته ابن زيد لو كان رفع الصوت خيرا ما جعله للحمير سفيان الثورى قال فى قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير صياح كل شى يسبح لله عز وجل الا الحمار وقيل لانه شهيق بلا فاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبغض ثلاثة اصوات نهقة الحمار ونباح الكلب والداعية بالحرب وانما وحد الاصوات الحمير لان المراد ان يذكر ان لكل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده قال لقمن ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس ومر رجل بلقمن والناس مجتمعون عليه فقال الست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنينى

وكان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين
فيها فاتاه باللسان والقلب فقال اما كان شيء اطيب من هذا فسكت عنه ما سكت ثم قال اذبح لنا شاة
فذبح شاة فقال الق اخبثها مضغتين فرمى اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتيني باطيبها مضغتين
فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها مضغتين فالقيت اللسان والقلب فقال انه
ليس باطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وحكي انه سكر مولى لقمان يوما فخاطر قوما ان يشرب
ماء بحيرة فلما افاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان وقال لمثل هذا كنت اخبأتك فقال اجمع لي سيك واما ربك
ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على اي شرط خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة قال فان لها مواد احبسوا
عنها موادها قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها قال لقمان كيف يستطيع شربها ولها مواد وقيل
للقمان يوم ما اقبح وجهك فقال تعيب بهذا على النقش او على النقاش **قوله تعالى** الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير لما استدل بقوله تعالى خلق
السموات بغير عمد على الوحدانية وبين بحكاية لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك
موافق للحكمة وما جاء به النبي من التوحيد والصلاة ومكارم الاخلاق كلها امر لغة ولو كان
تعبدا محضا وجب قبوله فضلا عن ان يكون موافقا للحكمة استدل على الوحدانية لان الناس راوا
ان الملك يخدم لعظمته وان لم ينعم ويخدم لنعمته ايضا فالناس اند المعبود لعظمته بخلقه السموات
بلا عمد والقاه في الارض رواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزل من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم
فقال سخر لكم ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار
والمعادن والنبات والدواب وما لا يحصى واسبغ اكمل واوسع عليكم نعمه قرا نافع وابو عمرو
وحفص عن عاصم نعمه على الجمع اراد وان جميع ما انعم به والباقون نعمة على التوحيد والنعمة كل فعل
قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان
نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه
الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة ظاهرة ويعلم بالمشاهدة بل كثير منها لا يعلم اصلا
فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك مجاهد ظاهرة ظهور
الاسلام والنصرة على الاعداء وباطنة امداد من الملائكة ابن عباس اما الظاهرة فالدين والرياش
واما الباطنة فما غاب عن العباد وعلمه الله مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة
ما ستر من ذنوب بني ادم فلم يعلم بها احد ولم يعاقب عليها الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة

ونسوية

وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة القرطبي الظاهرة محمد صلى الله عليه وسلم والباطنة المعرفة
في ربع الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب عطا الظاهر تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة
محمد بن علي الترمذي النعمة الظاهرة قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي والباطنة
قوله ورضيت لكم الاسلام دينا المحاسبي الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى الصدق
الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع وقيل الظاهرة الجزاء والباطنة الرضا
سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تسوية الظواهر
والباطنة تصفية السرائر وقيل الظاهرة التبيين بيانه قوله وبين اياته للناس والباطنة
التزيين بيانه قوله تعالى وزينه في قلوبكم وقيل الظاهرة الرزق المكتسب والباطنة الرزق من حيث
لا يحتسب وقيل الظاهرة المدخل للغذاء والباطنة المخرج للاذى وقيل الظواهر الجوارح والباطنة
المصالح وقيل الظاهرة الخلق والباطنة الخلق وقيل الظاهرة التنعيم بيانه قوله تعالى انعمت
عليهم والباطنة التعليم بيانه قوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وقيل الظاهرة ما اعطى وحباه
من النعم والباطنة الهداية ما طوى وزوى من انواع البلاد وقيل الظاهرة الدعوى الامداد
بالملائكة والباطنة القاء الرعب في قلوب الاعداء وقيل الظاهرة تعصمك الطاعات وهو انه
ذكر طاعاتك واحدة واحدة واثنى عليك بها وانابك عليها بيانه قوله التائبون العابدون
وقد افلح المؤمنون وان المسلمين والمسلمات الى اخرهن والباطنة اجمال المعاصي وذلك انه
دعاك منها الى التوبة باسم الايمان من غير عدها وتفصيلها بيانه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقيل الظاهرة ارسال القطر والامطار
والباطنة احياء الافطار والامصار وقيل الظاهرة التوفيق للعبادات والباطنة الاخلاص
والعصمة من المرايات وقيل الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان وقيل الظاهرة تلاوة
القران والباطنة معرفته وقيل الظاهرة ضياء النهار للتصرف والمعاش والباطنة ظلمة الليل
السكون والقرار وقيل الظاهرة النطق والباطنة العقل وقيل الظاهرة نعمه عليك بعد ما
خرجت من بطن امك والباطنة نعمه عليك وانت في بطن امك وقيل الظاهرة الشهادة الناطقة
والباطنة السعادة السابقة وقيل الظاهرة الوان العطايا والباطنة غفران الخطايا وقيل
الظاهرة وضع الوزر ورفع الذكر والباطنة شرح الصدر وقيل الظاهرة فتح امسالك
والباطنة نزع الملك عن من خالفك وقيل الظاهرة المال والاولاد والباطنة الهدى والارشاد
وقيل الظاهرة القول السديد والباطنة الاسناد والتسديد وقيل الظاهرة ما يكفر الله به
الخطايا من الرزايا والبلايا والباطنة ما يعفو الله عنه ولا يؤاخذ به في الدنيا والعقبى

وقيل الظاهرة ما بينك وبين خلقه من الاسباب والاصهار والباطنة ما بينك وبينه
من القرب والاسرار والمناجاة بالاسحار وقيل الظاهرة العلو بيانه قوله تعالى
وانتم الاعلون والباطنة الدنيا وبه قوله اولئك المقربون وقيل الظاهر الحواس الخمس
والاعضاء والجوارح الظاهرة وما ادرك بها من الامور الملائمة والباطنة العقل والقوى
الباطنة والاعضاء الباطنة وما ادرك بالقوى الباطنة والعقل وما ليس من شانه ان يدرك
الانسان ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير نزل في النضر بن الحارث
حين زعم ان الملائكة بنات الله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير اى اتبعوهم ولو كان الشيطان
يدعوهم اى في حال دعاء الشيطان اباهم الى السعير اى الى موجباته قوله تعالى
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم
قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ لما بين حال المشرك المجادل في الله بين حال المسلم
المسلم لامر الله عدى يسلم هاهنا بالى وفي موضع اخر باللام حيث قال بلى من اسلم وجهه لله
فمعناه مع الى انه سلم الى الله نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه
والتفويض اليه ومعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اى خالصا له
اى يخلص دينه لله ويفوض امره وهو محسن في عمله كانه يرى الله فان لم يكن يراه فان الله يراه
فقد استمسك بالعروة الوثقى اى اعتصم بالطرف الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه هذا من باب
التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة
من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اى هي صائرة الى الله ومن كفر ولم يسلم وجهه
فلا يحزنك كفره فليس عليك منه تبعة الينا مرجعهم يوم الحساب فننبئهم بما عملوا يجازيهم على اعمالهم
ان الله عليم بذات الصدور بضماير القلوب وقيل بما في ضميرك من الحزن على كفرهم نمتعهم
زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياهم
باضطرار المضطر الى الشيء لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة
والمراد الشدة والثقل على المعذب قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني
الحميد الاية متعلقة بما قبلها من وجهين احدهما انه تعالى لما استدل بخلق السموات
بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة ذكر انهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي ان يكون الحمد

كله لله لان خلق السموات والارض يحتاج اليه كل احد ولكون الحمد كله لله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم
لا يعلمون هذا والثاني انه تعالى لما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ولا يحزنك كفرهم اى لا تحزن
على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم سيبين عن قريب عند رجوعهم الينا ثم قال ولئن سالتهم اى ليس
صدقك وكذبهم لا يتبين الا ذلك اليوم بل هو بين قبل يوم القيمة لانهم معترفون بان خالق السموات
والارض هو الله وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الاشراك فقل الحمد لله على
ظهور صدقك وكذبهم بل اكثرهم لا يعلمون اى ليس علمهم عنهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب
تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون اشتغال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القائل فلان
يعطي ويمنع ولا يكون في ضمير ما يعطي وما يمنع بل يريد ان له عطاء ومنعا ان الله هو الغني غير محتاج
الى شيء من ذاته وصفاته وافعاله ولا ينتفع به كل شيء مفتقر اليه وما منافع لكم فهو غني لعدم
حاجته حميد مشكور لدفع حوائجكم واسباغ نعمه عليكم وقيل انه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه
نقص من كفر الكافرين حميد في نفسه قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير لما قال لله ما في السموات والارض
وكان ذلك موهما تناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما وتناهيهما بين ان في
قدرته وعلمه عجايب ولطايف لا نهاية لها قيل سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الروح فانزل الله بمكة ويسالونك عن الروح قل الروح الاية فلما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول
وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت قالوا
الست تتلو فيما اتاك قد اوتينا التورية وفيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام اى بريت اقلاما والبحر قرأ ابن عمرو والبحر بالنصب عطفا على
اسم ان والباقون بالرفع عطفا على محل ان ومعموليها على وان ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت
البحر ممدودا بسبعة ابحر ويجوز ان يكون مبتدا والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام
في حال كون البحر ممدودا قال صاحب الكشاف فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر
اقلام والبحر مداد قلت اغنى قوله يمده عن ذكر المداد لانه من قولك مد الدواة وامدها
جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهي تصب فيه مدادها

ابدا صبًّا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام وبذلك المداد كلام الله تعالى لما نفدت
كلماته ونفد المداد والاقلام كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي وانما قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر لانه اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا وقد بريت اقلامًا فان قيل الكلمات جمع
قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها
البحار فكيف بكلمة ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته
عطاء بن يسار ان هذه الاية مدنية نزلت بعد الهجرة كما ذكر غيره مكية انما امر اليهود وفد قريش ان سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ويقولوا له وهو بعد بمكة ما خلقكم ولا بعثكم الا كخلق نفس واحدة
وبعثها لا يتعذر عليه تعالى شيء اي سوا في قدرته خلق نفس نفس واحدة وبعثها وخلق نفوس كثيرة
وبعثها لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفوس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله
شان عن شان وفعل عن فعل وهو منزه عنه ان الله سميع بصير يسمع كل صوت بصير يبصر كل مبصر
في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك له الخلق والبعث **قوله تعالى**
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي
الكبير   قيل لما قال الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض على وجه العموم ذكر بعض ما هو منها
على وجه الخصوص بقوله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر اشارة الى ما في السموات وقوله بعد
الم تر ان الفلك اشارة الى ما في الارض وقيل انه تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من ينكر ويقول
وما يهلكنا الا الدهر قال تعالى هذه الليالي والايام التي تنسبون اليها الموت والحياة هي بقدرة الله
ثم لو قال قائل ان ذلك باختلاف مسير الشمس والقمر يقال ان الله سخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل
مسمى كل يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر الحسن
الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما
ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم
قدرته وحكمته قال صاحب الكشاف فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب
الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء
والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه
وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصًا بادراك اجل مسمى الا ترى
ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر مختص باخر الشهر وكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك

الذي

الذي ذكره ووصف من عجايب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف
بالجماد الذي تدعونه من دون الله بان الله بسبب ان الله هو الحق الثابت الهيته وان ما تدعون
من دونه الله هو الباطل وان الهتهم باطل وان الله هو العلي على كل شيء الكبير عن ان نشرك به ٥
قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور   واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور   بنعمة الله باحسانه وبرحمته
وقيل بالريح لان الريح من نعم الله ليريكم من اياته عجايب قدرته في البحر اذا ركبتموها ان في ذلك لايات
لكل صبار على بلايه شكور لنعمايه وهما صفة المومن فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مومن واذا غشيهم اي علاهم وغطاهم موج كالظلل جمع ظلة شبه
الموج وهو واحد بالظلل وهي جمع لان الموج ياتي شيء بعد شيء ويركب بعضه بعضًا كالظلل وقيل هو
بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام والظلة كل ما اظلك من سحاب او جبل
او غيرهما دعوا الله مخلصين له الدين يخلصون له الدعاء والطاعة ولا يدعون احدًا سواه فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد متوسط في الظلم والكفر حفص من غلوائه وانزجر بعض الانزجار ابن عباس موف
بما عاهد عليه الله في البحر وقيل مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث
عند الخوف لا يبقى لاحد قط والقصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث الى هنا
والمقتصد قليل نادر ابن كيسان مؤمن مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر الكلبي مقتصد في القول من الكفار
لان بعضهم اشد قولا واعلى في الافتراء من بعض ابن زيد المقتصد الذي على صلاح من الامر وقيل فمنهم مقتصد مقيم على
عبادة الله ومنهم جاحد لقوله وما يجحد بعده وقيل فمنهم مقتصد جاحد فيكون الاقتصاد على
القول الاول مدحًا وعلى الثاني ذمًّا وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار والختر اشد الغدر ومنه
قولهم انك لا تمد لنا شبرًا من غدر الا مددنا لك باعًا من ختر قال وانك لو رايت ابا عمير ملات
يديك من غدر وختر كفور لربه **قوله تعالى** يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور ٥ لما ذكر الدلايل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى لانه تعالى
لما كان واحدًا اوجب التقوى البالغ فان من يعتقد ان الامر بيد اثنين لا يخاف احدهما مثل ما يخاف
لو كان يعلم ان الامر بيد واحد لا غير ثم اكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد وذلك لان
الملك اذا كان واحدًا ويعهد منه انه لا يعلم شيئًا ولا يستعرض عباده لا يخاف منه مثل ما يخاف
منه اذا علم ان له يوم يستعرض ويستكشف ثم اكد بقوله لا يجزي والد عن ولده لان المجرم اذا علم ان

له عند الملك من يتكلم في حقه لا يخاف مثل ما يخاف اذا علم انه ليس له من يتكلم في حقه ويقضي عنه ما يحرج عليه ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ذكرهما جميعًا فيه لطيفة وهي ان من الامور ما يبادر الاب الى التحمل عن الابن كدفع الكمال وتحمل الالام والولد لا يبادر الى التحمل عن الوالد مثل ما يبادر الوالد الى ولده كالاهانة فان من يريد احضار الوالد عند وال او قاض يهون على الابن ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بدله فاذا انتهى الامر الى الايلام يهون الاب ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالم ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا في دفع الاهانة وفي قوله لا يجزي وفي قوله ولا هو جاز لطيفة اخرى وهي ان الفعل يقال وان كان ممن لا ينبغي ولا يكون من شانه لان الملك اذا كان يخيط شيئًا يقال انه يخيط ولا يقال انه خياط وكذلك من حاك شيئًا ولا يكون ذلك صنعته يقال هو يحيك ولا يقال هو حايك اذا علم هذا فنقول الابن من شانه ان يكون جازيًا عن والده لما للوالد عليه من الحقوق والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه يقال ذلك في الوالد لا يجزي وفي الولد ولا هو جاز ان وعد الله حق اي وعد الله بالبعث والجزاء من الثواب والعقاب فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزينتها وعصارتها عن الاسلام والتزود للاخرة ولا يغرنكم بالله اي بحلمه وامهاله الغرور الشيطان وهو الذي من شانه ان يغر والغرور فعول هو من اسماء المبالغة فقيل للشيطان غرور لانه يغر كثيرًا او بالغ فيه وقيل الدنيا وقيل عنيكم في المعصية المغفرة سعيد بن جبير الغرة بالله هو ان يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيآتك.

قوله تعالى

ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير سبب نزولها ان رجلًا من اهل البادية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلدنا مجدب فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت فنزلت هذه الاية وروي ان رجلًا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حبوبي في الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها ذكر او انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدًا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة روي ان رجلًا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته قال لقد اوتيت علمًا كثيرًا وعلمًا حسنًا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى قوله خبير هاولا خمس لا يعلمهن الا الله تبارك وتعالى روي انه بلغ ابن عباس ان يهوديًا خرج بالمدينة يحسب حساب النجوم فاتاه فساله فقال له ان شيت انباتك عن نفسك وعن ولدك فقال انك ترجع الى منزلك

وتلقى

وتلقى ابنا لك محمومًا ولا يمكث عشرة ايام حتى يموت الصبي وانت لا تخرج من الدنيا حتى تعمى فقال ابن عباس وانت يا يهودي قال لا يحول علي الحول حتى اموت قال فاين موتك يا يهودي قال ما ادري قال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت قال فرجع ابن عباس فلقي ابنه محمومًا فما بلغ عشرًا حتى مات الصبي وسال عن اليهودي قبل الحول فقالوا مات وما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره وينزل قرا عاصم ونافع وابن عامر بالتشديد هاهنا وفي الشورى والباقون بالتخفيف اي ويعلم متى ينزل الغيث الا ان يضمر انه فيصير المصدر وعلم ما في الارحام من الذكورة والانوثة وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا ما تعمل في المستقبل من خير او شر ان جعلت ماذا كلمة واحدة محله نصب بتكسب وان جعلت كلمتين فما رفع بالابتدا وذا خبره والفعل صلته والضمير مقدر وما تدري نفس باي ارض تموت في حضر او سفر او بحر وقيل باي ارض يموت من قدم الى قدم لان كل قدم يقع على ارض غير الاولى في المشي وقيل باي ارض باي قدم والارض العدم وقيل في اي خطوة وقيل باي قدم من الشقاوة والسعادة وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الحيل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ولا يختص ولا يتخطاها ولا اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد ان الله عليم بهذه الاشياء خبير بها فمن ادعى علم شي من هذه الخمسة فهو كافر بالله

سورة السجدة مكية

قيل غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله افمن كان مومنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون الى تمام ثلاث ايات وهي ثلثون اية وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفًا عن جابر بن عبد الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين الم على انها اسم للسورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك تنزيل الكتاب وقيل هو مبتدا خبره لا ريب فيه في ذلك اي في كونه منزلًا من رب العالمين ام يقولون افتراه اضراب تعجب كانه قال بل اتقولون افتريه ويشهد لوجاهة القول الاخر لا قولهم هذا انكار لا يكون من رب العالمين ولذلك قوله هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولًا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة وقعت انكارًا لقولهم وتعجبًا منه لظهور امره في عجز تلقايهم عن مثل ثلاث ايات ثم اضرب عن الانكار

الى الالباب انه الحق من ربك فان قيل كيف نفى الارتياب فى انه من الله وقد اثبت ما هو اعظم
من الريب وهو قولهم افتراه اجيب بان معنى لا ريب فيه لا مدخل للريب فى انه تنزيل الله لان
نافى الريب وحميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شى من الريب واما قولهم
افتراه فاما قوله تعسف مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل لقوله قبل التامل والنظر لانه
سمع الناس يقولونه لينذر يجوز ان يتعلق بما قبلها ويجوز ان يتعلق بفعل مضمر بعد من انزله لينذر
قوما ما اتاهم اى لم ياتهم من نذير من قبلك قتاده كانوا امة امية لم ياتهم نذير من قبل محمد ابن
عباس رضى الله عنهما ومقاتل ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاه والسلام لعلهم
يهتدون الى الرشاد وبانذارك ويرتدعون من كفرهم **قوله تعالى** الله الذى خلق
السموت والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع
افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد واقامة الدليل الله مبتدا الذى خلق
وما لكم من دونه سوى الله من ولى يتولى امركم ويقوم بمصالحكم وقيل اذا جاوزتم رضا الله لم تجدوا لانفسكم
وليا اى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم وقيل ان الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم اى ناصركم
على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير
افلا تتذكرون ما علمتموه من انه خالق السموت والارض لا اله غيره حتى ينصركم ولا يكون عنده
لهذه الاشياء الحقيرة قدر ومرتبة حتى يكون لها شفاعة يدبر الامر لما بين ان الله الخلق بين الامر
كما قال تعالى الا له الخلق والامر والعظمة والكبريا تسبيحا له تعالى دائم يقتضى من عظمة قيل معناه
يقضى القضاء من السما فينزل مع الملايكة الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من ايام الدنيا فيكون
الملك قد قطع فى يوم واحد من ايام الدنيا فى نزوله وصعوده قدر الف سنة من مسيرة الادمى
وقيل يدبر الدنيا مدة ايام الدنيا ينزل القضا والقدر من السما الى الارض ثم يعرج اليه اى يعود الامر
الله والتدبير حتى ينقطع امر الامرا واحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالامر فى يوم كان مقداره الف
سنة وذلك فى يوم القيمة لان كل يوم من ايام الاخرة كالف سنة مجاهد يقضى امر الف سنة
فى يوم واحد ثم يلقيه الى ملايكته فاذا مضت قضى الف سنة اخرى ثم كذلك ابدا السدى الامر
الوحى مقاتل القضا وقيل امر الدنيا وقيل الامر اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ الله تعالى
قضاه لجميع ما يشاء ثم يعرج اليه حتى ذلك فى يوم واحد من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه
السير المعروف من البشر الف سنة لان ما بين السماء والارض خمسماية سنة وقيل ان الضمير
فى مقداره عائد على التدبير بمعنى كان مقدار التدبير المنقضى فى يوم الف سنة لو دبرها البشر وقيل

الا الله

ان الله تعالى يدبر ويلقى الى الملائكة امور الف سنة من عدنا وهو اليوم عنده فاذا فرغت القى اليهم
مثلها فالمعنى ان الامور تصعد عنده لهذه المدة ثم تصير اليه اخرا لان عاقبة الامور اليه وقيل يدبر
الامر اى ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يعرج يصعد اليه جبريل بالامر فى يوم
واحد من ايام الدنيا وهو مسيرة الف سنة مما تعدون خمسماية نزوله من السماء الى الارض وخمس
ماية صعوده من الارض الى السماء وما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام لو سار احد من بنى
ادم لم يسيره الا فى الف سنة والملايكة يقطعون هذه المسافة فى يوم واحد فعلى هذا نزلت الاية فى
وصف مقدار عروج الملايكة من الارض الى السماء ونزولهم من السماء الى الارض واما قوله الله على هذا
التاويل فانه اراد الى المكان الذى امره الله تعالى ان يعرج اليه كقول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب
الى ربى وانما اراد ارض الشام قال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله اى الى المدينة ولم يكن الله
بالمدينة ولا بالشام قال صاحب الكشاف الامر المامور به من الاعمال والطاعات الصالحة ينزله
مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه
الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصالحة لانه لا يوصف بالصعود
الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون ثم يعرج اليه اى يعرج الامر والتدبير اليه ويرجع
ويعود اليه بعد القضا الدنيا وقيامها فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقوله
خمسين الف سنة فانه اراد على الكافر جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين الف سنة وعلى
المومن كقدر صلوة مكتوبة صلاها فى دار الدنيا ويجوز ان يكون اليوم القيمة اول وليس له اخر فيه
اوقات شتى بعضها الف سنة ويجوز ان يكون هذا اخبار عن شدته وهوله ومشقته لان
العرب تصف ايام المكروه بالطول وايام السرور والمحبوب بالقصر قال صاحب الكشاف ثم يعرج
اليه اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملايكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرفع
من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ليوم اخر وهلم جرى الى ان تقوم
الساعة **قوله تعالى** ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى احسن كل شى
خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ
فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون لما ذكر عالم
الاشباح والخلق بقوله خلق السموت والارض وعالم الارواح والامر بقوله يدبر الامر من السماء
الى الارض قال عالم الغيب يعنى ما فى الارواح والامر والشهادة يعنى ما فى الخلق والاشباح
وقدم العلم بالغيب لانه اقوى العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام
من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة ثم قال الذى احسن كل شى خلقه وبدا خلق الانسان

من طين لما بين ما لدليل الدال على الوحدانية من الافاق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما
ذكر الدليل الدال على الوحدانية من الانفس قوله الذى احسن كل شيء خلقه قرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر خلقه ساكنة اللام على البدل فيكون المعنى احسن كل شيء خلقه قرا ابن كثير اى احسن خلق كل شيء
والباقون مفتوحة اللام على الفعل الماضى ابن عباس اتقنه واحكمه ثم قال اما ان است القرد ليست
بحسنة ولكنه احكم خلقها فادة حسنة مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا اذا
كان يعلمه وقيل احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء الا وهو مخلوق على الوجه الذى تقتضيه الحكمة
لجميع المخلوقات حسنة على هذا الوجه الذى خلقه ولو فرض خلافه لم تكن حسنة وبدأ خلق
الانسان يعنى ادم من طين ثم جعل نسله ذريته وولده من سلالة من نطفة سميت بذلك لانها
تنسل من الانسان ان تخرج منه وقيل للولد سلالة من ماء مهين ممتهن محتقر فعيل بمعنى مفعول
ثم سواه يعنى الانسان وقيل النسل اى خلقه معدلا فى الشكل وقيل معتدلا فى الطبع ونفخ فيه من
روحه الروح مما يعنى به الحى من الميت والاضافة للتشريف كبيت الله وناقة الله وقيل من ريحه
التى يحيى بها الانسان وجعل لكم السمع لتسمعوا والابصار لتبصروا والافئدة لتعقلوا قليلا
ماتشكرون اى تشكرون قليلا **قوله تعالى** قالوا ائذا ضللنا فى الارض ائنا لفى خلق
جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
لما ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتيهم ذكر الوحدانية بقوله الله الذى
خلق الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ذكر الحشر بقوله ائذا ضللنا فان هذه اصول ثلثة جرت
عادة الله بذكرها مرتبطا بعضها ببعض قيل الاية للعطف فانهم قالوا محمد ليس برسول وقالوا الاله
ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن وقالوا القايل ابى بن خلف وارضاهم بقوله اسنده اليهم جميعا
اى منكرى البعث ائذا ضللنا فى الارض اى هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا مختلطين بتراب الارض
لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن وقيل غبنا فى الارض بالدفن فيها واصله من قول العرب ضل الماء
فى اللبن اذا ذهب ويقال ضللت الميت اذا دفنته قال الشاعر واب مضلوه
بعين جلية ائنا لفى خلق جديد نخبر كما كنا قبل موتنا اى هذا عجب منكر والطرف فى ائذا ضللنا
انتصب بما يدل عليه ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم بالبعث
والنشور كافرون جاحدون وقيل سبب انكارهم البعث كافرون وقيل لقاء ربهم هو الوصول
الى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ
من الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا
بتوفى ملك الموت بالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء ربهم

والتوفى

والتوفى استيفاء النفس وهى الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا
انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقى من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان فى مواضع منه تقضيته واستقضيته
وتعجلته واستعجلته مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل طشت يتناول منها حيث يشاء مقاتل
والكلبى بلغنا ان اسم ملك الموت عزرائيل وله اربعة اجنحة جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب
وجناح له فى اقصى العالم من حيث يجيء ريح الصبا وجناح له فى الافق الاخر ورجل له بمشرق الارض
والاخرى بالمغرب والخلق بين رجليه وبين راسه وجسده كما بين السماء والارض وجعلت
مثل راحة اليد لصاحبها ياخذ منها ما احب من غير مشقة ولا عناء او مثل السنة سن بدنه فهو يقبض
انفس الخلق فى مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن ابن
عباس قال ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب عن معاذ بن جبل ان ملك الموت حربته تبلغ
ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفح وجوههم
كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال الان يزار بك عسكر
الاموات وقيل ملك الموت يدعوا الارواح فتجيبه ثم يامر الاعوان بقبضها **قوله تعالى**
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ولو ترى يجوز ان يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم ولو للتمنى كانه قال وليتك ترى المجرمون
المشركون لقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كان الترجى له فى لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى
ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزى والغم ليشمت بهم وقيل يجوز ان يكون الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت
اسوا حال ترى ويجوز ان يكون خطابا لكل احد كما تقول فلانا لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت
اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه ولو اذ للمضى وانما جاز دخولها على المضارع لان المترقب
من الله بمنزلة الموجود المقطوع به فى تحققه ولا يقدر لترى مفعول ليتناول جميع ما يشاهد منهم
من احوالهم الفظيعة كانه قيل ولو يكون منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا مطاطئوا رؤسهم حياء وذلا
منه للذى سلف من كفرهم ومعاصيهم فى الدنيا ربنا ابصرنا يقولون على سبيل الاستغاثة ربنا
ابصرنا وسمعنا اى زالت الان الشكوك فى البعث والنشور فكشف عنا الغطاء وبصرنا اليوم
حديد وقيل ربنا ابصرنا ما كنا مكذبين وسمعنا منك تصديق ما اسمانه رسلك من البعث

والنشور فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون الان ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها رشدها
وتوفيقها للايمان وهذا جواب لقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا بيانه انه تعالى قال لو رجعتم للايمان
لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين انى ما اردت وما شئت ايمانكم فلا راد لم قوله ولو شئنا لاتينا كل
نفس هداها صريح في ان مذهبنا صحيح ان الله ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر ثم قال
تعالى ولكن حق القول منى وقع القول منى وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك من كفر
الجن والانس اجمعين **قوله تعالى** فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون ٥ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم يحتمل ان يكون لقاء منصوبا بذوقوا اى
ذوقوا لقاء يومكم بما نسيتم وعلى هذا يحتمل ان يكون المعنى هو الميثاق الذى اخذ منهم بقوله الست بربكم
قالوا بلى او بما فى الفطرة من الوحدانية فينسى الاقبال على الدنيا هذا اليوم والاشتغال بها ويحتمل ان يكون
منصوبا بقوله نسيتم اى بما نسيتم لقاء يوم هذا اليوم لم يكن معلوما لهم لقول لما ظهرت برهانه
فكانه ظهر وعلم ولما نركوه بعدما لظهور ذكر بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر
كمن ينكر امرا كان قد علمه هذا اشارة الى السوء اى لقاء هذا اليوم وقيل اشارة الى لقاء يومكم
اى هذا اللقاء وقيل هذا اشارة الى ما هم فيه من نكس الروس والخزى والغم والمعنى فذوقوا هذا
اى ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء انا نسيناكم تركناكم في النار
وذوقوا عذاب الخلد الدائم بما كنتم تعملون من الكفر وتكذيب الرسل **قوله تعالى**
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها بايات وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله
ولقائه وقيل اذا ذكروا بها دعوا الى الصلوات الخمس بالاذان اجابوا وسبحوا نزهوا الله وسبحوا
بحمد ربهم بما يحمدونه فالباء للسبب وقيل حامدين والباء للحال وقيل اذا سجدوا قالوا سبحان
الله وبحمده وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له ولا بايعون **قوله تعالى**
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون تتجافى ترتفع وتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع
النوم يدعون ربهم داعين ربهم عابدين له خوفا من سخطه وطمعا وطمعهم في رحمته
ابن عباس تتجافى جنوبهم لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله ولا يهبوا الى الصلاة واما فى قيام
او قعود او على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله عن مالك بن دينار سالت انسا عن قوله
تعالى تتجافى جنوبهم فقال انس كان اناس من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة
المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فانزل الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن انس بن مالك

نزلت

نزلت فينا معاشر الانصار تتجافى جنوبهم كنا نصلى المغرب ولا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الدرداء والضحاك انها صلاة العشاء والصبح فى جماعة عن
ابن عباس انها صلاة العشاء والصبح فى جماعة عن ابن عباس انها صلاة العشاء والصبح فى جماعة عن ابن
عباس انها صلاة العشاء كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينامون حتى يصلوها وعن
اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الاولين والاخرين
يوم القيمة جاء مناد فنادى بصوت رفيع يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم
ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب سائر الناس فلا تعلم نفس ما اخفى قرا حمزة اخفى ساكنة الياء اى انا اخفى
على انه للمتكلم وهو الله سبحانه وتعالى والباقون مفتوحة الياء على البناء للمفعول ما اخفى ما بمعنى
الذى او بمعنى اي قال الزجاج فى هذا دليل على ان المراد بالاية التى قبلها الصلاة فى جوف
الليل لانه عمل يستتر الانسان به فجعل لفظ ما يجازى عليه اخفى لهم من قرة اعين والمعنى
لا يعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبى مرسل اى نوع عظيم من الثواب
ادخره الله واخفاه عن جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقربه عيونهم ولا مزيد على هذه
العدة ولا مطمح وراءها جزاء بما كانوا يعملون اى للجزاء على اعمالهم فى الدنيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة
اعين جزاء بما كانوا يعملون ابن مسعود ان فى التورية مكتوبا لقد اعد الله للذين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولا يخطر على قلب بشر وما لا يعلمه ملك
مقرب وانه لفى القران فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين **قوله تعالى**
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون
ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن ابى معيط اخى عثمان
لامه وذلك انه كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى رضى الله عنه اسكت
فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا واملا منك

حشوًا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مومنا
كمن كان فاسقا وكان فاسقا محمولا على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين
امنوا واما الذين فسقوا ونحو قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك فلهم جنات
المأوى هي نوع من الجنات قال الله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت
بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليه ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش نزلا
منزلا للمحسن وعطاهم وما يعد للنازل بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار اي ملجاوهم
ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنتهم ماواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمومنين كقوله فبشرهم
بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا من مصائبها واسقامها وبلاياها مما يبتلي الله العباد حتى
يتوبوا اعكرمة الحدود عبد الله بن مسعود والحسن بن علي وعبد الله ابن الحارث القتل بالسيف
يوم بدر ومقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب مجاهد عذاب القبر
قالوا والعذاب الاكبر عذاب يوم القيمة لعلهم يرجعون عن كفرهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم
اعرض عنها للاستبعاد والمعنى اذا الاعراض عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها
الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكر مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك
وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز انا من المجرمين منتقمون اي انا من
المسرفين منتقمون اي لا ندع الانتقام من المشركين بالله تمييزا بين المطيع والعاصي قال صاحب
الكشاف فان قلت هلا قيل انا منهم منتقمون اي لا ندع الانتقام من المشركين بالله تمييزا بين
المطيع والعاصي هنا قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام فقد دل على اصابة
الظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال منهم لم يفد هذه الفائدة **قوله تعالى**
ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ۵ ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية
وقيل الكتاب للجنس فلا تكن في مرية في شك من لقائه قيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك
موسى ليلة الاسراء ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي موسى بن عمران
رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوة وقيل من لقاء موسى اياك وقيل اتيناك موسى الكتاب
فلقي من قومه شدايد فاصبر على اذى قومك كما صبر كتاب الله بالرضى والقبول قال اهل المعاني لم يرد باللقاء
الروية وانما اراد مباشرة الحال وتبليغه رسالة الله وقبوله كتاب الله وقيل من لقاء الله
وقيل المعنى انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل ولا تكن في شك من انك لقيت
مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم وقوله ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا او قيل فلقي موسى من قومه من شدائد فلا تكن في شك من لقاء مثله وقيل
من لقاء موسى انه قيل هذا مع قوله سبحانه لن تراني بعيد لاجماع المفسرين على ان المعنى
لن تراني في الدنيا ولعل قائل هذا القول اراد فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه في الاخرة اي
ستلقاه وقيل هذا اعتراض وهو يرجع الى ما تقدم من قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون بعدين
ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقوله فلا تكن في مرية من لقائه متصل بقوله
بل هم بلقاء ربهم كافرون اي فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه اي وجعلنا الكتاب المنزل على موسى
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم من بني اسرائيل ائمة قيل هم علماؤهم وقيل انبياؤهم يهدون الناس ويدعونهم
الى ما في التورية وقيل يدعونهم الى الصراط المستقيم بامرنا اي بامرنا اياهم بذلك وقيل بامرنا
بديننا لما صبروا قرا حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لاجل صبرهم والباقون بفتح
اللام وتشديد الميم اي حين صبروا وكانوا اي ائمة باياتنا التورية وقيل الايات التسع يوقنون
يعلمونها علما لا يخالجه شك **قوله تعالى** ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون اي يحكم بين الانبياء واممهم فيما اختلفوا وقيل يفصل بين المومنين والمشركين
فيميز بين المحق من المبطل وقيل يفصل يفرق بين المومنين والكافرين بالمنازل فالمومنون في الجنة
والكافرون في النار **قوله تعالى** اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون
في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي
من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وفاعل يهد ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا يقع
فاعله لا يقال جاني كم رجل يهد بين اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرى وقيل هذا الكلام كما هو بصورته
ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدعاء الاقوال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون من قبلهم من القرون عاد وثمود وقوم لوط وقوم لوط يمشون اي اهل مكة يمرون في متاجرهم
في مساكنهم ديارهم بلادهم ان في ذلك لدلالات ومواعظ وزواجر افلا يسمعون ما يوعظون
فيتعظوا **قوله تعالى** اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا
تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون اولم يروا انا نسوق الماء اي ماء المطر
وقيل ماء الانهار الى الارض الجرز اليابسة اي التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما
لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وقيل

الى الارض اليابسة المغبرة الغليظة التي لا نبات فيها واصله من قولهم ناقة جرز اذا كانت تاكل كل شي تجده ورجل جروز اكول مال الزاجر حبب جرزوا ذا جاع بكي وسيف جراز اي قاطع وجرزت الجراد الزرع اذا استاصلته وكان الارض الجرز التي لا تبقي على ظهرها شيئا الا افسدته ابن عباس هي ارض باليمن وقيل هي ما لا يصل اليه ماء النهر فسوقنا الله اليه المطر وقيل لا يكفيه المطر فيسوق الله اليه السيل ويحتمل انها التي انقطع نباتها في الشتي فاذا اصابها مطر الربيع نبتت فيخرج به اي بالماء زرعا تاكل منه اي من الزرع انعامهم التبن والورق والحشيش وانفسهم الحب افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على قدرته تعالى على احياء الموتى قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين الفتح النصر او الفصل بالخصومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح قتادة قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي القضا والحكم الكلبي يعني فتح مكة السدي يعني يوم بدر لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم وقيل اراد بيوم الفتح يوم القيمة الذي فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد ان كنتم صادقين انه كاين قوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون قال صاحب الكشاف فان قلت قد سالوا عن الفتح فكيف هذا الكلام جوابا عن سوالهم قلت كان غرضهم في السوال عن وقت الفتح استعجالا منه على وجه التكذيب والاستهزا فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سوالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلا ينفعكم الايمان ولا هم ينظرون لانهم مضطرون فلا يستحقون به ثوابا فان قيل من فسر يوم الفتح بيوم مكة او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره الا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقا يوم فتح مكة وناسا يوم بدر اجيب بان المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في وقت القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم بالحجة ولست عليهم بمسيطر النصيحة عليهم وهلاكهم وقيل انتظر الفرصة فيهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقيل منتظرون الوصة فيك وقيل منتظرون الموت وقيل منتظرون موتك

سورة الاحزاب مدنية

وهي خمسة الاف وسبعماية وستة وتسعون حرفا والف وماتين وثمانون كلمة وثلثة وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما نزلت في ابي

سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامان ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن سرح وطعمة ابن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر رضي الله عنه ايذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر رضي الله عنه اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة وانزل الله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة ابا سفيان وابا الاعور وعكرمة والمنافقين عبد الله ابن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله كان عليما بما يكون قبل كونه عليما بما يكون قبل كونه حكيما بخلقه قبل خلقه جعل نداه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ وترك نداه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربا بمحله وتنويها بفضله قال صاحب الكشاف فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذلك لتعليم الناس انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يومنون بالله والنبي قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا قرا ابو عمرو بالياء من تحت والباقون بالتاء واتبع احكام التي يوحيها اليك دون احكام الجاهلية والهوى وقيل ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا لم يزل عالما باعمالهم واعمالكم وقيل ان الله الذي يوحي اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة لكم الى الاستماع من الكفرة وبالياء معناه بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم قوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا وفوض امورك الى الله وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما سبب هذه الاية اي قوله ما جعل الله لرجل من قلبين ان بعض المنافقين

قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع نزعة ثم عاد الى شانه الاول فقالوا ذلك
عنه فنفاه الله وقيل نزلت في ابي معمر جميل الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع فقالت قريش ما حفظ
ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل
محمد فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ ابو معمر فلقاه ابو سفيان بن حرب وهو معلق احدى
نعليه بيده والاخرى في رجله فقال يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك
والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي
ونقله في نبيه الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله للظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون
لرجل قلبان كذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى يكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وفي هذا
طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب واحد فاما حلة ايمان واما كفر لان درجة النفاق
كانها متوسطة يومن قلب ويكفر قلب فنفاها الله تعالى وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد
للانسان بهذه الاية متى نسي شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
اي اذا نسي قلبه الواحد يذكره الاخر وما جعل ازواجكم اللائي قرا نافع وابن كثير اللاي دون ياء وروي
عن ابي عمرو اللاي ساكنة دون همز وقرا ورش بالياء مكسورة من غير همز والباقون بهمزة مكسورة
بعدها ياء تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وانكرها ابو عمرو وقيل ليس بمنكر فان لفظه يقتضيه
وقرا الكسائي وحمزة وابو بكر عن عاصم بفتح الياء والظاء مخففة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يظهرون
بتشديد الظاء والهاء دون الف وهذه نزلت في اوس بن الصامت اخي عبادة بن الصامت وفي امراته
يقول الله وما جعل نساءكم اللائي تقولون هن علينا كظهور امهاتنا في الحرام كما تقولون ولكنها منكم
معصية وفيها كفارة وازواجكم لكم حلال والقصة والحكم يذكر في المجادلة وما جعل ادعياءكم يعني
من تبنوهم ابناءكم نزلت في زيد بن حارثة الكلبي من بني عبد ود كان عبد الرسول صلى الله عليه
وسلم فاعتقه وتبناه قبل الوحي واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب في الاسلام فجعل الفقير اخا
للغني ليعود عليه فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية وكانت تحت زيد
بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عنها فانزل الله هذه الاية ذلكم
قولكم بافواهكم ولا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد يعني عبد الله والله يقول الحق اي لا يقول الا
ما هو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي السبيل اي لا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى
وهدى الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم الذين ولدوهم وبين ان دعاءهم لابائهم هو ادخل الامرين
في القسط والعدل هو اقسط اعدل عند الله فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فاخوانكم اي فهم
اخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم ان كانوا محررين وليسوا بنيكم وليس عليكم جناح فيما

اخطاتم به

فيما اخطاتم به قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم
ويجوز ان يكون ما تعمدت في محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم
فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن
الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي وقيل لا اثم عليكم اذا قلتم للولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان
ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم قال صلى
الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وكان الله غفورا للمخطئ رحيما في
رخصته **قوله تعالى** النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا النبي اولى بالمومنين في كل شيء
من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم حسب حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحكمه انفذ عليهم من حكمهم ابن عباس
وعطا يعني اذا دعاهم النبي الى شيء ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
اولى بهم من طاعة انفسهم مقاتل يعني طاعة النبي اولى من طاعة بعضكم لبعض ابن زيد النبي اولى بالمومنين
من انفسهم كما انت اولى بعبدك فما قضى فيهم من امر جاز كما انك كلما قضيت على عبدك جاز وقيل
انه صلى الله عليه وسلم اولى بهم في امضاء الاحكام واقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق
والبعد عن الفساد وفيه انه اولى بهم من الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه قال الحكماء انما هو اولى
بالمومنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم والنبي صلى الله عليه وسلم
يدعوهم الى ما فيه نجاتهم ابو بكر الوراق لان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الهوى وقيل
لان انفسهم تحرسهم من نار الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم يحرسهم من نار العقبى وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم النبي
اولى بالمومنين من انفسهم فايما امرئ هلك وترك مالا فليرثه من كان وان ترك دينا او ضياعا
فاتني فانا مولاه وازواجه امهاتهم يعني كامهاتهم في الحرمة وانما اراد الله تعالى بهذا تعظيم حقهن
وحرمتهن وانه لا يجوز نكاحهن لا في حياته الدنيا صلى الله عليه وسلم انطلق الى بعد وفاته
هن حرام على كل مومن كحرمة امه يدل على هذا انه لا يحرم على الولد روية الام وقد حرم رويتهن
على الاجنبي ولا يرثونهن لعلهم انهن امهات المومنين من جهة التعظيم والاحترام وتحريم نكاحهن
عليهم عن مسروق قالت امراة لعايشة رضي الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان

لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر شيئاً فانزل الله عز وجل هذه الاية فصارت المواريث بالقرابات
الكلبي اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما
ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الاية واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين الذين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم والمهاجرين في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الاية او في اية
المواريث وفيما فرض الله عليكم من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولى الارحام اي الاقربا
من هولاء المومنين والمهاجرين اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية
اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالقرابة من المومنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة الا ان تفعلوا قيل استثنا من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى
من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع واحسان من ميراث او هبة او هدية او صدقة
او غير ذلك الا الوصية لانه لا وصية لوارث والمراد بفعل المعروف التوصية وعدى تفعلوا بالى
لانه في معنى تسدوا فاتدلوا الى اوليائكم يعني المومنين والمهاجرين الولاية في الدين وقيل اراد
اثبات بالايمان والهجرة ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الا ان توصوا لذوي قرابتكم
من المشركين فيجوز لهما الوصية وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا قول محمد بن الحنفية
وقتادة وعطا وعكرمة ابن زيد ومقاتل الا ان توصوا لاوليائكم من المهاجرين مجاهد اراد بالمعروف
النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وان المشرك لا يرث المسلم كان ذلك اشارة الى ما ذكر
في الايتين جميعا في الكتاب اي القران وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في التورية مسطوراً مكتوبا
لان في التورية اذا نزلت رجل بقوم من اهل دينه فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوي قرابته
قوله تعالى واذ اخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين
عذابا اليما لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاتقا بقوله يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية
التي خشي فيها الناس وهو الله لم يترتب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمومنين من
انفسهم اكده بوجه اخر وقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم كانه قال اتق الله ولا تخف احدا
غيره واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف
ولا طمع واذ اخذنا واذكر اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم قتادة اخذ ميثاق النبيين
ان يصدق بعضهم بعضا مقاتل ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا وان
ينصحوا القوم مهم وهذا الميثاق اخذ منهم حين اخرجوا من ظهر ادم كالذر ابي بن كعب كان

اخذ

اخذ ميثاق الخلق خص النبيين بميثاق اخر وقيل واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم
بتبليغ الرسالة والدعا الى الدين ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى خصهم ولا الخمسة
بالذكر لفضلهم لانهم اصحاب الشرايع والكتب واولوا العزم وانما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه افضلهم ولان هولاء المفضلين قدم عليهم ليعلم انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه كما
قدم الاربعة الباقية بعضهم على بعض بحسب تقدم الزمان قال صاحب الكشاف فان قلت وقد قدم
عليه نوح عليهما السلام في الاية التي هي اخت هذه الاية وهو قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى قلت مورده
هذه الاية على طريقة خلاف ذلك تلك الطريقة وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين
الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد
القديم وبعث عليه خاتم الانبيا في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبيا المشاهير
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث
قال وذلك قول الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم منك ومن نوح فبدا بي صلى الله عليه
وسلم قبلهم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي شديدا على الوفا بما حملوا وذكر المفسرين ان ذلك الميثاق
الغليظة اليمين بالله حملوا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة
شانه في بابه وانما اعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه ليسال الصادقين يعني انما فعلنا
ذلك ليسال الله يوم القيمة الانبيا الذين اجابتهم بها اممهم وتاويل مسالة الرسل تبكيت الكافرين
بهم لقوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقيل وليسال المصدقين
للانبيا عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله وقيل ليسال يوم القيمة
عند تواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من استشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبيا بانهم صدقوا عهدهم
وشهادتهم وكانوا مومنين واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من النبيين لان المعنى
ان الله اخذ على الانبيا الدعوة الحديثة لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما وقيل معطوف
على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين عذابا اليما قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
وكان الله بما تعملون بصيرا لما سبق الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى مع خوفه من احد ذكر ان
واقعة اجتماع الاحزاب واشتداد الامر على الاصحاب كان الخوف بالغا الى الغاية والله دفع
القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه كان امنه بايمانه

الذين امنوا اذكروا نعمة الله ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاتكم جنود وهم
الاحزاب قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وجنودا وهي الصبا قال
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا عطف على ريحا لم تروها وهم الملايكة
ولم يقاتل يومئذ روي ان الله تعالى بعث عليهم بالليل ريحا باردة وبعث الملايكة فقلعت الاوتاد وقطعت
اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وقذف الله في قلوبهم
الرعب وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا
عنده قال النجا النجا اتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال حكي ان فتى من اهل الكوفة
قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال
كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه
على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالخندق في ليلة باردة لم اجد قبلها ولا بعدها بردا اشد منه فصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من يقوم فيذهب الى هولاء فياتينا
بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت
الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة
الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا حذيفة
فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وانه ليضطرب ان
مسح راسي ووجهي ثم قال ايت هولاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدث شيا حتى ترجع الي ثم قال اللهم
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت
علي سلاحي ثم انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم
ريحا فقطعت اطنابهم وقلعت ابنيتهم فذهبت بخيولهم ولا تدع شيا الا اهلكته وابو سفيان قاعد
يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى
ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا
ولا بناء فقام فقال يا معشر قريش لياخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي
فقلت من انت فقال سبحان الله ما تعرفني انا فلان بن فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفيان
يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة وبلغنا
عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس
عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قايم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فسار وا

راجعين

راجعين الى بلادهم وهزم الله تعالى الاحزاب وهو قول الله عز وجل فارسل الله عليهم ريحا وجنودا
لم تروها قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاني امشي في حمام فاخبرته الخبر فضحك
صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه في سواد الليل قال وذهب عني الدفا فدناني صلى الله عليه
وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه وكان الله بما يعملون
خبيرا من حفر الخندق وان قرات بالتاء بما يعمل المشركون وجنودهم من المجادلة ان قرات بالياء
بصيرا **قوله تعالى** اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا
شديدا اذ جاوكم بدل من اذ جاتكم جنود من فوقكم من فوق الوادي من قبل المشرق عليهم
مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من غطفان ومعهم طلحة بن خويلد
الاسدي في بني اسد وحيي ابن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم يعني الوادي من قبل المغرب
وهو ابو سفيان ابن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر
غزوة الخندق فيما قيل اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين
احزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقال لهم قريش
يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه
قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منهم قال فهم الذين انزل فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا
ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا لذلك واتعدوا اليه
ثم خرج اوليك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان بن قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخبروهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا فيه فاجابوهم
فخرجت قريش قايدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان قايدها عيينة بن حصن في بني فزارة
والحرث بن عوف المري في مرة ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر وقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا
فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة

الا فمن احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من
اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق
بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب
النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وقد كان وادع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن اخطب غلق دونه حصنه
فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي بن اخطب يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي انك امرؤ
مشوم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا قال
ويحك افتح لي اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على جشيشتك ان اكل معك منها فاحفظ
الرجل ففتح له فقال يا كعب ويحك جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها
حتى انزلتهم بمجمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى
الى جانب احد وقد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه فقال
كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني
ومحمدا وما انا عليه فلم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في
الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش
وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض
كعب بن اسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة وهو
يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة اخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني
عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا
لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس
فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه
حدة فقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد
وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة لغدر
عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحاب الرجيع خبيب بن عدي واصحابه

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف
واتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين
حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر
ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة يا رسول
الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك عن ملا من رجال قومه فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارجة
من المدينة فاقام رسول الله واقام المشركون معه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم
حرب الا الرمي بالنبل والحصا فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان
يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب
ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما
فيه فقالا يا رسول الله اشيء امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شيء تصنعه لنا قال
لا بل لكم والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت
ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا احين اكرمنا الله
بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال
ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال
الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة
بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا
للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا تهيؤوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان
ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها
ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت بهم فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع
وخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم
واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا
فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي رضي الله عنه يا عمرو انك
كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذت احداهما قال اجل قال فاني ادعوك
الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي

فوالله ما احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان ابن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان قد اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي رضي الله عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده ولا ثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة ام المومنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرج منها ذراعه كلها وفي يده حربته وهو يقول لبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا باس بالموت اذا حان الاجل فقالت امه الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها والله يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد لو كان اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم قطع منه الاكحل وزعموا انه لم ينقطع من احد قط الا لم يزل ينبض دما حتى يموت رماه حبان بن قيس احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية وحكي ان صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان ابن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور العدو لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا ات قلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله

من الخوف

من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة لقد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وبلادهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا القوم حتى تاخذوا رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت براي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت ان حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى يهود بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان بعضنا احدث فيه حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان يعلمون والله ان الذي حدثكم به نعيم لحق ما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين

واذ زاغت ما لنا لا انصار عن سمتها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا ومل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت

الا أي عددها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر فمالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق قالوا
اذا انتفخت الرية من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها
الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون مثلا في اضطراب القلب ووجيبها وان
لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام
والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن
الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله
الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف
والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم
الى ما حكي عنهم الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
يستاصلون وظن المؤمنون انهم ينصرون قرا نافع وابو عمرو وعاصم الظنونا بالالف في الوصل والوقف
لان الالف ثابتة في مصحف عثمان وسائر مصاحف اهل البلدان وعلته تعديل رؤوس الاي وابو عمرو
في سائر الروايات وحمزة بغير الف في الحالين وصل ووقف والباقون بالالف في الوقف دون الوصل
لان العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم ومصاريعها فتلحق الالف في موضع الفتح عند الوقف ولا تفعل
ذلك في حشو الابيات فحسن اثبات الالف في هذا الحرف لانها راس الاية تمثيلا بالقوافي وكذلك
الرسولا والسبيلا هنالك ابتلي اختبر المؤمنون وتحصر ليعرف المؤمن من المنافق وزلزلوا حركوا زلزالا
شديدا بليغا بالفتنة والتمحيص فثبتوا على ايمانهم والمعنى بان الخوف ازعجهم اشد ازعاج
قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا
غرورا واذ يقول عطف على قوله اذ جاؤكم من فوقكم المنافقون والذين في قلوبهم مرض شك وضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قيل قائله معتب بن قشير وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بحفر الخندق فعرضت صخرة شقت على من كان يحفرها فلما راى ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم تولى الحفر واخذ معولا من سلمان فضرب تلك الصخرة ثلاث ضربات تخرج مع كل ضربة لهبة
البرق فقال سلمان لقد رايت امرا عظيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد رايت ذلك
قال نعم والذي انزل عليك القران فقال صلى الله عليه وسلم لقد رايت في الضربة الاولى ابيض المداين
وفي الثانية قصور اليمن وفي الثالثة مداين الروم وليفتحن الله هذه على امتي فلما حضرهم الاحزاب
واشتد عليهم الحال قال معتب يعدنا ان يفتح علينا قصور الروم والفرس واليمن ولا يستطيع احدنا
ان يذهب الى الخلا الا ما وعدنا الله ورسوله باطلا قوله تعالى واذ قالت طايفة منهم
يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة

ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا
يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واذ قالت طايفة منهم اي من
المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه وقال مقاتل هم بنو سالم وقال السدي عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل
يثرب اسم المدينة وقيل يثرب ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام قرا حفص عن عاصم مقام بضم
الميم للاول والباقون بفتحها اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان فارجعوا الى منازلكم وامروهم بالهرب من
عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان
ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل
انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى منازلهم
بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحارث يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضايعة اعتذروا ان بيوتهم
معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم
الله تعالى وقال وما هي بعورة وانهم لا يخافون ذلك ان يريدون اي ما يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم
هؤلاء الجيوش من اقطارها الذين يريدون قتالهم المدينة وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم
واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفتنة لاتوها قرا ابن كثير ونافع وابن عامر لاتوها بالقصر
اي لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وكفروا والباقون بالمد لاعطوها ابن عباس في معنى الاية لو ان
الاحزاب دخلوا المدينة ثم امروهم بالشرك لاشركوا وما تلبثوا بها الا يسيرا قال قتادة معناه وما احتبسوا
عن الاجابة الى الكفر الا قليلا وقال السدي وما تلبثوا بعد الاجابة بالمدينة الا يسيرا حتى يعذبوا وقالوا
لاتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاها الا يسيرا ربما يكون السوال والجواب من غير توقف
او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون
ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصادقة الاحزاب فلا هم هاولا
ودعاوها ولاء الاحزاب كما لو دخلوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين
لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون عدوهم الادبار قيل هم بنو حارثة
هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثله فذكر الله
تعالى لهم الذي اعطوه من انفسهم وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر
من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم في ناحية
المدينة وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا

له اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم فقالوا فاذا فعلنا ذلك
يا رسول الله فما لنا قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة وقالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وكان عهد الله
مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به يقال سألت فلانا حقي اذا طلبته به وقيل مسؤلا عنه مجازى عليه قل يا محمد
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل لانه لا بد لكل من نزوله بكم حتف انف او قتل لان الحذر لا يغني عن القدر وان نفعكم الفرار
بتقدير الله ومشيته فمتعتم بالتأخير واذا لا تمتعون الا قليلا اى لم ... وذلك لجميع الاعمار قليلا وعن
بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب **قوله تعالى**
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا قل يا محمد لهم من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا في الدنيا وقيل من عذاب
الآخرة وقيل هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وظهورا على عدوكم وخيرا في الدنيا والآخرة فان قيل جعلت
الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء اجيب بان معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة فاختصر الكلام فاجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون البأس الا قليلا
اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا
قد يعلم الله المعوقين المثبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماده ها ولا
ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما محمد وما اصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم فانهم هالكون
مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم
بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم
اخواننا وجيراننا هلم الينا اى قربوا انفسكم الينا وهي لغة الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة
واما تميم فانهم يقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب ولا ياتون
البأس الا قليلا اى ولا يحضرون البأس الحرب والقتال في سبيل الله الا قليلا للرياء والسمعة من غير
احتساب ولو كان ذلك لكان كثيرا قيل ان هذا من جملة كلام القائلين لاخوانهم والمعنى ولا ياتي اصحاب
محمد الحرب الا قليلا لانهم لا يقاومون الاحزاب وقيل انه استيناف من الله تعالى اى يعوقون الناس
ويحلفون بانفسهم في اكثر الاحوال الا قليلا رياء وسمعة وقيل الا قليلا كارهين وقيل معناه لا يغنون
الاغناء قليلا وقيل قليلا صفة مصدر محذوف اى الا اتيانا قليلا وقيل منصوب على اصل الاستثناء

وقيل

وقيل الا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا
اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة جمع شحيح وهو البخيل عليكم بالخير والنفقة في سبيل الله
وهو منصوب على الحال المعنى لا ياتون الحرب الا تعذرا بخلا عليكم وقيل بالغنيمة وقيل بالظفر وقيل
بالقتال معكم ثم اخبر عن جبنهم فقال فاذا جاء الخوف اى اذا حضر القتال رايتهم ينظرون اليك في تلك
الحال تدور اعينهم في رؤسهم وقيل في احداقهم يمينا وشمالا من الخوف والجبن كالذي تدور عينه الذي
يغشى عليه من الموت وقيل كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا
ذهب الخوف وجيء المغانم ووقع القسمة تقالوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفقة عليكم الى الخير وهو
المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم سلقوكم اذوكم بالكلام في الامر بالسنة حداد
ذربة وقيل سلقوكم ضربوكم بالسنة وقيل سلقوكم ضربوكم بالسنة وقيل سلقوكم خاطبوكم اشد مخاطبة
وابلغها في الغنيمة يقال مسلاق اذا كان بليغا في خطبته اشحة على الخير على الغنيمة والمال الذي ينفق
في سبيل الله على رسول الله بظفره ماده يعني بسطوا السنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة يقولون اعطونا
اعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا فاما عند الغنيمة فاشح قوم واسوأ مقاسمة
واما عند البأس فاجبن واخذله للحق اشحة على الخير يعني على الغنيمة اولئك لم يؤمنوا اى هم وان اظهروا
الايمان فليسوا مؤمنين لنفاقهم فاحبط الله اعمالهم مقاتل اى ابطل جهادهم لانه لم يكن في ايمان وكان
ذلك الاحباط على الله يسيرا قال صاحب الكشاف فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط
قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى ان يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل
المنافق من الاعمال يجزى عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان
المكلف اساس امره وهو الايمان وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس
وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا **قوله تعالى** يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات
الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا
قليلا ثم اخبر عنهم عائدا الى جبنهم فقال يحسبون اى يحسب المنافقون من شدة خوفهم
وجبنهم ان بعد انهزامهم ودنياهم لم يذهبوا لم ينصرفوا عن قتالهم وان يات الاحزاب كرة ثانية
يودوا يتمنوا من الخوف والجبن لو انهم بادون خارجون الى البادية في الاعراب اى معهم يسألون عن كل
قادم من جانب المدينة عن انبائكم وعما جرى عليكم وعلى هذا يسألون متصل بقوله يودوا وقيل يسألون
عن انبائكم استئناف اى منهم من كان في اطراف المدينة لم يحضروا الخندق يسألون الناس عن انباء
العسكر متوقعين غلبة المشركين على النبي واصحابه ولو كانوا يعني هؤلاء المنافقين فيكم ولم يرجعوا
الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا الا رياء وسمعة من غير حسبة ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا

قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا قرا عاصم اسوة بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان لقد كان لكم في رسول الله اسوة قدوة صالحة والمعنى لقد كان لكم به اقتدا لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم احد حتى كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه واساكم مع ذلك بنفسه لمن كان يرجو الله بهذه الاسوة المومنين والمعنى ان الاسوة برسول الله انما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الاخر قيل يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم وقيل لمن كان يخشى الله ويخشى البعث لمن كان يرجو الله بدل من لكم وذكر عطف على كان اي لمن ذكر الله كثيرا في الرخا والبلا والسرا والضرا **قوله تعالى** ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ثم ذكر المومنين وتصديقهم موعد الله لما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله الا ان نصر الله قريب بن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سايرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك هذا اشارة الى الخطب او البلا وما زادهم الا ايمانا بالله وبمواعده وتسليما لقضايه وقدره لعلمهم انه كائن صدق الله التصديق في النصر قيل فاعل زاد ما راوا وقيل نظرهم وقيل مجي الاحزاب وقيل ما نزل بهم من الشدايد وقيل اجتماع الاحزاب عليهم وقيل تسليما بمعنى اسلام اي الا ايمانا او اسلاما وقيل الا ايمانا بالله وتسليما لرسوله **قوله تعالى** من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفوا انه انس نزلت في عمي انس بن النضر غاب عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال غبت عن اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لين اشهدني الله قتالا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني ابرا اليك مما جاء به هولا المشركون واعتذر اليك مما صنع هولا يعني المسلمين ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال اي سعد والذي نفسي بيده اني لاجد ريح الجنة دون احد فما لهم حتى قتل قال انس فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته اخته بنانه ونزل من المومنين رجال صدقوا عايشة رضي الله عنها منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة عبد الله بن ابي نجيح ان طلحة بن عبيد الله يوم احد كان مخيصا للنبي صلى الله عليه وسلم في الجبل

وقد نبا النبي

وقد نبا النبي صلى الله عليه وسلم فجاء سهم موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فاصاب خنصره فقال حس ثم قال بسم الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو انه بها لاختطفتك الملايكة حتى تدخلك الجنة عايشة ام المومنين رضي الله عنها اني لفي بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الفنا بيني وبينهم الستر اذ اقبل طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة وقيل صدقوا ما عاهدوا الله بنذر نذروه بان قاتل حتى قتل او قاتل حتى يقتل او ينصر فمنهم من قضى نحبه مات حتف انفه ثابتا على عهده ومنهم من ينتظر الموت يا ويل بالصدق وقيل نحبه اجله وقيل نحبه عهده والنحب ياتي على وجوه منها النذر اي قضى نذره ومنها الخطر اي فرغ من خطر الحياة لان الحي على خطر ما عاش ومنها السير السريع اي سار سرعة الى اجله ومنها النوبة اي قضى نوبته ومنها النفس اي فرغ من انفاسه ومنها النصب اي فرغ من نصب العيش وجهده وهذا كله يعود الى معاني الموت وانقضا الحياة قال صاحب الكشاف فان قلت ما قضى النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل الوفا بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فما حقيقة صدقوا ما عاهدوا الله قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب اما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وما بدلوا العهد ولا غيروه ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب ليجزي الصادقين بصدقهم جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وه بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفايهم لان كلا الفريقين مسبوق الى عاقبة من الثواب والعقاب وكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقيل اللام في ليجزي الله متصل بعاهدوا الله اي عاهدوا الله ليجزي وقيل بما بدلوا اي وما بدلوا ما عاهدوا الله عليه ليجزي وقيل بما وعدنا الله اي وما وعدنا الله ورسوله ليجزي الصادقين وقيل ابتلى المومنين ليجزي الله وقيل امر بالوفا ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين اي الكاذبين ان شا وقيل الا من المنافقين من تاب من نفاقه فاستحق ان يتوب عليه وقيل ويعذب المنافقين بان لا يوفقهم

للتوبة من نفاقهم ان شاء فالاستثناء من التوفيق لا من العذاب او يتوب عليهم ان تابوا وقيل ويعذب
المنافقين بنقض العهد ان شاء وهو ان يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم في الدنيا ويخرجهم من النفاق الى الايمان
ان الله كان غفورا لمن تاب رحيما بعباده المؤمنين **قوله تعالى** ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ورد الله الذين كفروا
للاحزاب قريش وغطفان اى صدهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين بغيظهم اى لم يشف صدورهم بنيل
ما ارادوا لم ينالوا خيرا اى لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيرا فخوطبوا على استعمالهم بغيظهم
اى مغيظين كقوله تنبت بالدهن بعضهم ولم ينالوا خيرا حالا لان بتداخل وتعاقب ويجوز ان تكون الثانية
بيانا للاولى واستينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة فكبرت الملائكة في عسكرهم فلما سمعوا التكبير
قالوا قد بدا محمد بالسحر فانصرفوا لا يلوون على شيء وكان الله قويا عزيزا **قوله تعالى** وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون
فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا عدد الله
تعالى في هذه الايات نعمه على المؤمنين في هزم الاحزاب وان الله ردهم بغيظهم لم يشفوا منه شيئا ولا
نالوا خيرا مرادا وكفى كل مؤمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقاتل الاحزاب وانزل
الذين ظاهروهم يعني الذين عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله والمؤمنين وهم
بنو قريظة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب
راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمسلمون عن الخندق ووضعوا السلاح فلما كان الظهر
اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها
رحالة عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه
عليه السلام وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عفا الله
عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم ان الله
يامرك يا محمد بالسير الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت اوتارهم وفتحت
ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي ان من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه برايته اليهم فابتدرها الناس فسار علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى اذا دنا من الحصون
سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم
يا رسول الله قال لو قد راوني لم يقولوا شيئا من ذلك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم

قال

قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله مر
بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من ابارها في ناحية من اموالهم يقال له بير انا فتلاحق
الناس به فاتاه رجال بعد العشاء الاخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه
ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم
حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد لهم يا معشر يهود انه قد نزل
بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نبايع هذا الرجل
ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي كنتم تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم
وابنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التورية ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فلنقتل
ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم
الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء
قالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم قال فان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت
وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد
سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك
قال ما بات منكم رجل ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء الاوس نستشيره
في امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء
والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا له يا ابا لبابة انرى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار
بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم
انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من
عمده وقال لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله
في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عنه قال اما لو جاءني

لا ستغفرت له فاما اذ فعل ما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه ثم انزل الله توبة ابي لبابة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من السحر يضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك فقال تيب على ابي لبابة
فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب
عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال
لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصلاة
الصبح اطلقه ثم ان ثعلبة ابن سعية واسيد بن عبيد وهم من نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة
ولا النضير نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليها محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما راه قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد ابى ان
يدخل مع بني قريظة في غدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة
حين عرفه اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب من ارض الله الى يومنا هذا
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم
انه كان اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة
لا يدري اين ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة والله اعلم فلما اصبحوا نزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج
وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما فعلت قد علمت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني
قريظة حاصر بني القينقاع وكانوا حلفا الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم اياه عبد الله بن ابي سلول
فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم
رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امراة
من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به
ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم
بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطاوا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا
معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد ان لسعد ان لا تاخذه في الله

لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل
اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم
فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال
سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امراة من بني النجار ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادقا ثم بعث اليهم
فضرب اعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد
راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا من ثمانمائة الى تسعمائة وقد قالوا لكعب
بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا
فقال كعب افي كل موطن لا تعقلون الا ترون ان الداعي لا ينزع وان من ذهب منكم لا يرجع هو والله
القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو الله
وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه
بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله
يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت
عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبي لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل يجاهد حتى ابلغ
النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل
من نساء قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قالت قلت ويلك ما لك
قالت اقتل قلت ولم قالت حدث احدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها
تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي واسم تلك المراة ونباتة
امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد
عرفت انها تقتل قال الواقدي واسم تلك المراة ونباتة امراة بخلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان
اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك عن الزهري ان الزبير ابن باطا القرظي

وكان يكنى ابا عبد الرحمن وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني قد اردت ان اجزيك بيدك فقال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله وولده قال هم لك فاتاه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني امراتك وولدك فهم لك قال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك قال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا وقتلوا قال فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت الا الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر الا فرغة دلو ناضح حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه قوله القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا ابدا فقال ثابت بن قيس وفت ذمتي اني كريم واني صبور اذا ما القوم حادوا عن الصبر وكان زبيرا اعظم الناس منه علي فلما اشتد كوعاه بالاسر اسب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرا انما يجري قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم فسالته سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط بن قيس وكانت احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء على رفاعة بن سموال القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفها فقالت يا نبي الله بابي انت وامي هب لي رفاعة بن شموال فانه قد زعم انه سيصلي وياكل لحم الجمل فوهبه لها فاستحيته قالوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني قريظة ونساءهم وابناءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال واخرج منها الخمس وكان للفارس ثلثة اسهم للفرس سهمان وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس وكانت الخيل يوم بني قريظة ستا وثلثين فرسا وكان اول فيء وقع فيه السهمان واخرج منها الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من امرها فبينا هو واصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما انقضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله الى خيمته التي ضرب عليه في المسجد قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم قالت علقمة اي امه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كيف كانت عينه لا تدمع على احد ولكنه اذا اشتد وجده اذا وجد فانما هو اخذ بلحيته قال محمد بن اسحق لم يقتل من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر وقتل من المشركين ثلثة نفر وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة طرح عليه رحا فشدخته شدخا ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وقريظة قال الان نغزوهم ولا يغزونا فكان كذلك حتى فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة فكان فتح بني قريظة في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة فذلك قوله عز وجل وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم اي حصونهم ومعاقلهم واحدتها صيصة وهي ما يحصن به ومنه قيل لقرن الثور صيصية ولشوكة الديك والحاكة صيصية قال الشاعر

كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء والذراري واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها بعد يعني بني الروم ومقاتل خيبر وقتادة كنا نحدث انها مكة الحسن فارس والروم عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا قال المفسرون كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن سالنه شيئا من عرض الدنيا واذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه صلوات فقالوا ما شانه قال عمر رضي الله عنه ان شئتم لاعلمن لكم ما شانه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى اذن له قال فجعلت اقول في نفسي اي شيء اكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ينبسط فقلت يا رسول الله لو رايت فلانة سالتني النفقة

فضحكت ضحكة فقال ذاك احبسني عنكم فاتى عمر حفصة فقال لا تسالي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما كانت لك من حاجة فالي ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال لعائشة ايغرك انك امراة حسناء وان زوجك يحبك لتنتهين او لينزلن فيك القران فقالت له ام سلمة يا ابن الخطاب اوما بقي لك الا ان تدخل بين رسول الله وبين نسائه من تسال المراة الا زوجها فانزل الله هذه الاية وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت ابي زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله ثم تتابعن واخترن اختيارها فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصر عليهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج عن عائشة رضي الله عنها قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت علي من تسع وعشرين فقال ان الشهر تسع وعشرون ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك قالت ثم قرا علي هذه الاية حتى بلغ اجرا عظيما قالت عائشة قد علم والله ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه قالت اففي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة روي ان عائشة رضي الله عنها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا قال صاحب الكشاف اذا قال لها الزوج اختاري فقالت اخترت نفسي او قال لها اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بشيء مما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية ان نوى الطلاق في التخيير كان طلاقا والا فلا فذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع اهل الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة بائنة وروي انها ان اختارت زوجها فليس بشيء يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا السعة في الدنيا وكثرة الاموال وزينتها تنعما ليس اصل تعالى ان يقول من كان في المكان المرتفع لمن كان في المكان

المستوطي

المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعمال الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن متعة الطلاق والمتعة عند الشافعي واجبة لمفارقة في حياة الزوج لا بسبب من المراة ولا مهر لها فان لم يجر في العقد تسمية صحيحة ولا فاسدة ولا فرض صحيح وهي مفوضة وطلقها قبل الدخول او لها كل المهر وذلك بان طلقها بعد الدخول فانه يجب لها المتعة في الصورتين ما يراه القاضي باجتهاده لائقا بحال الزوجين اذا تنازعا في قدر الواجب فان تراضيا على شيء فذاك ويستحب ان لا ينقص عن ثلاثين درهما وان زاد ما يراه الحاكم على نصف المهر المسمى او مهر المثل وعند ابي حنيفة رضي الله عنه المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها واسرحكن اطلقكن سراحا جميلا لا ضرار فيه ولا مشاجرة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اي سلن صحبتي ما تردن من رضى الله ونيل جنته يا نساء النبي من يات منكن للبيان لا للتبعيض بفاحشة مبينة بمعصية ظاهرة وقيل نشوزا او سوء خلق وقيل زنا بينا قال صاحب الكشاف الفاحشة المبينة البليغة من القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهرة فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبهن ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله يضاعف لها العذاب ضعفين اي ضعفي عذاب غيرهن من النساء تعظيما لهن كما جعل ضعفي حد الحر قيل هو في الدنيا وقيل في الاخرة وقيل عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وانما جعل العذاب ضعفين كما جعل الاجر مرتين وقيل انما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على احد منهن من النعمة والجزاء تبع الفعل وكون الجزاء عقابا تبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا اي تضعيف العذاب على الله سهل وقيل لا اعتراض عليه وهو ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه **قوله تعالى** ومن يقنت منكن

الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ومن يقنت يطع منكن
لله ورسوله وقيل ومن يدم على طاعة الله ورسوله فان كل قنوت في القرآن طاعة قراءة العامة
يقنت بالياء من تحت الا ما روي عن ابن عامر ويعقوب انهما قرآ تقنت بالتاء وتعمل قراءة حمزة والكسائي
وخلف ويعمل بالياء من تحت والباقون بالتاء صالحا نؤتها قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء والباقون
بالنون اجرها مرتين اي مثلي ثواب غيرهن من النساء لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى واعتدنا لها رزقا كريما
جليل القدر وهو الجنة **قوله تعالى** يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن
فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا اظهر الله تعالى فضلهن
على النساء احد في الاصل بمعنى واحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد
والجماعة ابن عباس لستن قدركن مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم
ان اتقيتن فشرط عليهن التقوى بيانا وتنبيها على ان فضلهن انما يكون بالتقوى لا بنفس اتصالهن
برسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف معنى قوله لستن كاحد من النساء كجماعة واحدة
من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن
في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم لتسوية
بين جميعهن في انهم على الحق ان اتقيتن اي الله فضلكن على سائر النساء بان جعلكن ازواجا لنبيه
الذي هو اكرم خلقه عليه وذلك للتقوى فالزمنها وقيل ان التكليف عليكن اشد كما ان ثوابكن اعظم
وقيل تم الكلام على احد من النساء ثم استانف ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول اي في مخاطبة الاجانب
وقيل فلا تلن القول للرجال فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وضعف ايمان وقيل نفاق وقيل ميل الى المعصية
وقيل شهوة وقيل حب الزنا معروفا سديدا مستقيما صحيحا جميلا وضمها فلا تخضعن بالقول
فلا تخضعن بقولكن خاضعا لينا خنثا مثل المومسات فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وقلن قولا
معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا ٥
قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة واتين
الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
قرأ نافع وعاصم وقرن بفتح القاف والباقون بكسرها فالفتح اصله اقررن بحذف الراء الاولى
ونقلت فتحتها على ما قبلها كقوله ظلتم وقيل من قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى
الى قول عضل والديش اجتمعوا وكانوا قارة واكثر من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي
اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول والمعنى ولا تخرجن من بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية

الاولى

الاولى مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتكسر والتغنج وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال
تبرج الجاهلية الاولى الشافعي على ما بين عيسى ومحمد ابو العالية من داود وسليمان وكانت المرأة تتخذ
قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها فهذا الكلبي الجاهلية الاولى هي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم
عليه السلام وكانت المرأة من اهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق
ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وكان ذلك في زمن نمرود والناس حينئذ كلهم كفار الحكم
هي ما بين ادم ونوح عليهما السلام ثمان مائة سنة وكان نساؤهم اقبح ما يكون من النساء ورجالهن
حسان وكانت المرأة تريد الرجل على نفسه روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تلا هذه الاية
فقال ان الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكان الف سنة وان بطنين من
ولد ادم عليه السلام سكن احدهما السهل والاخر يسكن الجبال وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة
وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في صورة غلام
فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيئا مثل ما يزمر فيه الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس
مثله قط فبلغ ذلك من حولهم فجاؤهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج
النساء للرجال وان رجلا من اهل الجبل هجم اليهم وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه
فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله عز وجل ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى قتادة ما قبل الاسلام واقمن الصلوة المفروضة واتين الزكوة الواجبة واطعن
الله ورسوله فيما يامر وينهى امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات
لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه
الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يتفاوت اهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم المأثم وليتصونوا عنها بالتقوى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الاثم الذي نهى الله النساء
عنه استعار للذنوب الرجس اهل البيت اي يا اهل البيت وقيل يعني اهل البيت فاهل البيت نصب
على النداء او على المدح قتادة الرجس السوء زيد الشيطان ويطهركم تطهيرا من نجاسات الجاهلية
قيل ويطهركم تطهيرا معناه ويتصونوا عن الذنوب بالتقوى استعار للتقوى الطهر لان عرض المتقي
عن الذنوب يبقى مصونا كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اصحاب النفوس السليمة والعقول
المستقيمة عما نهاهم الله عنه ويرغبهم فيما امرهم به قيل عني باهل البيت ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهن خاصة وانما ذكر الخطاب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم واذا اجتمع
المذكر والمؤنث غلب المذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انزلت هذه الاية اي انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله

والحكم عن عكرمة في قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت انما هو في ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق والى هذا ذهب مقاتل قال
يعني نساء النبي عليه الصلوة والسلام لانهن في بيته وقال اخرون عني به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليًّا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم عن ابي سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين فاطمة
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا وعن ام سلمة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا
عليه فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت وانا
في الحجرة اصلي فانزل الله هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا
قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هاولاء اهل
بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا قالت فادخلت راسي البيت وقلت انا معكم رسول
الله قال انك الى خير انك الى خير قيل لعائشة رضي الله عنها ارايت خروجك يوم الجمل قالت انه كان
من امر الله سبحانه وتعالى فسئلت عن علي رضي الله عنه قالت سالتني عن احب الناس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزوج احب الناس كان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت
عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب عليهم ثم قال اللهم
هاولاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا قالت فقلت يا رسول الله انا من اهلك
قال تنحي فانك الى خير عن عبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنه لما نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الرحمة هابطة من السماء قال من يدعو مرتين قالت زينب انا يا رسول الله قال ادع لي عليًّا
وفاطمة والحسن والحسين قال فجعل حسنًا عن يمينه وحسينًا عن يساره وفاطمة وجاهه
ثم غشاهم كساء خيبريا ثم قال اللهم ان لكل نبي اهلا وهاولاء اهلي فانزل الله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت قالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكانك فانك الى خير ان شاء الله وعن شداد دخلت على واثلة ابن الاسقع وعنده
قوم فذكروا عليًّا فشتموه فشتمته فلما قاموا قال لي اشتمت هذا الرجل قلت رايت القوم شتموه
فشتمته معهم قال الا اخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال اتيت
فاطمة اسالها عن علي فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال

كساء

كساء ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا ثم قال
اللهم هاولاء اهل بيتي واهل بيتي احق وقيل هم بنو هاشم عن زيد بن ارقم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انشدكم الله في اهل بيتي مرتين قيل لزيد من اهل بيته قال الذين حرموا الصدقة ال علي وال العباس
وال عقيل وال جعفر عن الحمراء اقمت بالمدينة تسعة اشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجيء كل غداة فيقوم على باب علي وفاطمة فيقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الله
الخلق فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فانا خير
اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى واصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله عز وجل شعوبًا وقبايل فانا
اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها فذلك قوله عز وجل
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا والمحققون على انها نزلت فيهم جميعهم
وفي جميع نساء النبي بدليل ما تقدم وما تاخر من الايات ولان امراة الرجل من اهل بيته بدليل قول الله
في قصة ابرهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرًا ۵ ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن
ان لا ينسين ما يتلى في بيوتكن من ايات الله يعني القران والحكمة يعني السنة وقيل ما يتلى في بيوتكن
من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة
وعلوم وشرايع وقيل واذكرن نعمتي عليكن اذ جعلكن اهل بيت النبوة ومعدن نزول الوحي وازواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل امرهن ان يعطين به ويعملن بموجبه وقيل الحكمة الكتاب
والجمهور على انها السنن فيكون من باب قوله متقلدًا سيفًا ورمحًا فانه لا يقال تلوت السنة
قيل التلاوة لا تستعمل الا في قراءة كتاب الله ان الله كان لطيفا باحسانكم له خبيرًا باحوالكم
قال صاحب الكشاف لطيفا خبيرًا حين علم ما يصلحكم ويسعكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح
لنبوته ومن يصلح ان يكونوا اهل بيته حيث جعل الكلام الواحد جامعًا بين الغرضين قوله تعالى
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصايمين
والصايمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرًا عظيمًا ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال

في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل الله منا طاعة فانزل الله هذه الاية
مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال
ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة فنزلت
هذه الاية عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت للنبي عليه الصلاة والسلام يا رسول الله
ما بالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذلك يوم ظهرا الا نداؤه على المنبر وانا ارجل
راسي فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة من حجرهن فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا ايها الناس
ان الله عز وجل يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات الى قوله اجرا عظيما مقاتل بلغني ان اسماء بنت عميس
رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان النساء لفي خيبة وخسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن
بخير كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية المسلم هو الذي على دين الاسلام
في قوله ان الدين عند الله الاسلام وقيل المسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يقاتل وقيل
المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه لله والمومن المصدق بالله ورسوله وما يجب ان يصدق به
وقيل المومن الذي كتب الله في قلبه الايمان وقيل المصدق الله فيما وعد واوعد والقانت القايم
بالطاعة الدايم عليها وقيل الداعي والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله وقيل في امانته وعهده
والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي وقيل الصابر في البأساء والضراء والخاشع المتواضع
لله بقلبه وجوارحه وقيل الخايف وقيل المصلي وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من على يمينه وشماله
والمتصدق يزكي ماله ولا يبخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم والصايمين من صام
ايام البيض في كل شهر وقيل من صيام شهر رمضان والحافظ الذي حفظ فرجه عما لا يحل والذاكر
من كان لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من استيقظ من الليل وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اسرافيل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما علم وزنة ما علم
وملء ما علم من قالها كتب له ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره في الليل والنهار
وكان له غرس في الجنة وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحات ورق الشجر اليابسة وينظر الله عز وجل اليه
ومن نظر الله اليه لم يعذبه وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا
ومضطجعا قال عطا من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات ومن اطاع الله

في الفرض

في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب
فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية
فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات اعد الله لهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما لطاعتهم
قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين العطفين عطف الاناث على الذكور
وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في انهما
جنسان مختلفان فاذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما واما العطف الثاني
فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات
قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا نزلت هذه الاية في زينب بنت
جحش واخيها عبد الله بن جحش وكانت زينب بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله
عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية من عكاظ وكان من سبي الجاهلية فاعتقه وسماه عرسا في الجاهلية
مولى في الاسلام فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيت وظننت انه يخطبها على نفسه فلما
علمت انه يخطبها على زيد كرهت وابت وقالت انا ايم نساء قريش وابنة عمتك فلم اكن لافعل يا رسول
الله ولا ارضاه لنفسي وكذلك قال اخوها عبد الله وكانت زينب بيضاء جميلة وكانت فيها حدة
فانزل الله عز وجل وما كان لمومن يعني عبد الله ابن جحش ولا مومنة يعني زينب بنت جحش اذا قضى
الله ورسوله اي قضى رسول الله او لان قضاء رسول الله قضاء هو قضاء الله امرا من الامور
وقيل ما كان لاحد من اهل الايمان حين حكم الكتاب او السنة بامر ان يختار غيره ولا يجوز له ان
يعدل الى ما حكم الله به في القرآن وحكم رسوله في السنة ان يكون قرا اهل المدينة يكون بالتاء والباقون
بالياء لهم الخيرة اي الاختيار ومن يعص الله فيخالف الكتاب ورسوله فيخالف السنة فقد ضل
عن الصواب والرشاد ضلالا مبينا غير خاف فلما نزلت هذه الاية قالت زينب رضيت يا رسول الله
وجعلت امرها بيد رسول الله وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل
بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة
ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل نزلت هذه الاية في ام كلثوم بنت
عقبة بن ابي معيط وكانت اول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
قبلت فزوجها زيد ابن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجنا عبده فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت

عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا وذلك ان زينب مكثت عند زيد
بن حارثة حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصرها قايمة
في درع وخمار فاعجبته وكانها وقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما
جاء زيد ذكرت له ففطن زيد وكرهت اليه في الوقت والقي في نفسه كراهتها فاراد فراقها فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك اارابك منها شي قال لا
والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتوذيني بلسانها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله ثم ان زيدا طلقها بعد ذلك فلما انقضت
عدتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ما اجد احدا اوثق في نفسي منك ايت زينب فاخطبها علي
قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب
ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة
شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم
الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وذلك قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام
وتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بالاعتاق وهما وفقك الله فيه وهو
منقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب
بنت جحش واتق الله ولا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل
واتق الله ولا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفي في نفسك تعلق قلبك بها وحبها
ومودة مفارقة زيد لها وقيل علمك بان زيدا سيطلقها وستنكحها لان الله قد اعلمه
بذلك وتخشى الناس قال ابن عباس والحسن تستحيي الناس وقيل وتخاف لايمة الناس ان يقولوا
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها حين طلقها والله احق ان تخشاه ليس المراد ان النبي
صلى الله عليه وسلم خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا
تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاجعل الخشية لله وحده كما قال الله
يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعايشة
والحسن ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عايشة

رضي الله

رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية وتخفي
في نفسك ما الله مبديه قال الحسن يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله اني
اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك فقال امسك عليك زوجك واتق الله يقول فلم قلت امسك
عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا القول مطابق للتلاوة وذلك ان
الله حكم واعلم ابدا ما اخفاه والله لا يخلف الميعاد ثم لم يبده عز وجل اظهر من شانه غير التزوج
بقوله زوجناكها فلو كان الذي اضمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او اراد طلاقها لكان
لا يجوز على الله كتمانه ما اخفى الله به حيث استبشع واستحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك
ستكون امراتي والله اعلم فهذا قول حسن قوي مرضي وان كان القول الاخر لا يقدح في حال النبي
صلى الله عليه وسلم لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه
الماثم فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجة من نكاحها زوجناكها فكانت زينب تفتخر على نساء النبي
صلى الله عليه وسلم فتقول انا اكرمكن وليا واكرمكن سفيرا زوجكن اقاربكن وزوجني الله عز وجل
عن محمد بن عبد الله بن جحش تفاخرت زينب وعايشة رضي الله عنهما فقالت زينب انا التي نزل
تزويجي من السماء فقالت عايشة انا التي نزل عذري من السماء حين حملني ابن المعطل على الراحلة
فقالت زينب وما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت كلمة المومنين عن الشعبي
كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك من تدل بهن جدي
وجدك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير لجبريل لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيائهم الذين تبنوهم اذا قضوا منهن وطرا بالنكاح وطلقوهن او ماتوا عنهن قال الحسن كانت العرب تظن
ان حرمة المتبنى مشتبكة كاشتباك الرحم فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم واراهم ان حلايل ابنايكم
الذين من اصلابكم فقد وكان امر الله مفعولا كاينا لا محالة وقد قضى في زينب ان يزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قيل او تخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه واو الحال اي
يقول لزيد امسك عليك زوجك متخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخشى خاشيا قالة الناس
حقيقا في ذلك بان تخشى الله واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشية
الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من اخفا شي له فيه همة
قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله
الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراده من تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المومنين في اجرا ازواج المتبنين مجرى ازواج

السنة في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن **قوله تعالى** ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرًا مقدورًا
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدًا الا الله وكفى بالله حسيبًا ما كان
محمد ابا احدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قيل فيما احل الله له وقيل فيما قسمه الله واوجب من قولهم فرض
لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقهم سنة الله اسم موضوع المصدر
كقولهم تربًا وجندلا مؤكد كقوله ما كان على النبي من حرج كقوله سن الله سنة في الانبياء الماضين
وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم
الحرائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمن ثلاثمائة وسبعمائة وقيل سنة
الله منصوب بنزع الخافض اي كسنة الله وقيل فعل سنة الله وقيل على الاغراء اي اتبعوا سنة الله
في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا ان لا يؤاخذكم بما احل لكم وقيل الاشارة بالسنة الى النكاح فانه
من سنة الانبياء وكان امر الله قدرًا مقدورًا ماضيًا كائنًا قال ابن عباس وكان من قدره ان تلك
المرأة التي ابتلي بها داود عليه السلام ولد ابنا مثل سليمان عليه السلام وملك من بعده الذين يجوز
ان يكون في محل خفض على نعت الذين خلوا او الرفع والنصب على المدح على هم الذين او اعني الذين
ويخشونه عطف على يبلغون ولا يخشون احدًا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبًا حافظًا لاعمال خلقه ومحاسبهم عليها وقيل كافيا للخاوف ومحاسبا
على الصغير والكبير فيجب ان يكون الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا الرجل
منكم على الحقيقة فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها يعني زيدًا وانما كان ابا القسم والطيب
والمطهر وابراهيم صلوات الله عليهم ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين اي اخرهم ختم الله تعالى
به النبوة فلا نبي بعده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا محمد وانا احمد وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي قرأ عاصم خاتم بفتح التاء على الاسم اي اخر النبيين كقوله ختامه
مسك والخاتم الطابع والباقون على الفاعل اي انه ختم النبيين بالنبوة قال صاحب الكشاف فان قلت
فان قلت كيف اخر الانبياء وعيسى ينزل في اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى
نبئ قبله وحين نزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته
وكان الله بكل شيء عليمًا فلعلمه بمصالح عباده جعل محمدًا اخر النبيين **قوله تعالى** يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة واصيلًا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب
الثناء من التقديس والتهليل والتحميد والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلًا اي في كافة

الاوقات

الاوقات ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدًا معلومًا ثم عذر اهلها في حال العذر غير
الذكر فانه تعالى لم يجعل لها حدًا ينتهي اليه ولم يعذر احدًا في تركه الا مغلوبًا على عقله وامرهم بذكره في
الاحوال كلها فقال فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرًا كثيرًا بالليل والنهار
وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال
مجاهد الذكر الكثير لا ينساه ابدًا وسبحوه وصلوا له بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة
العصر والعشائين مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وهذه كلمات يقولها الطاهر والمحدث والجنب **قوله تعالى**
هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا هو الذي
يصلي عليكم وملائكته بالرحمة السدي قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ايصلي ربنا فكبر هذا
الكلام على موسى عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وسعت كل شيء
وقيل يصلي اي يشيع لكم الذكر الجميل في عباده وقيل يبارك عليهم وملائكته بالاستغفار والدعاء ليخرجكم
من الظلمات من الضلالة الى النور الى الهدى ومن الشرك الى الايمان وقيل من ظلمات جهنم الى نور الجنان
وقيل من الجهل الى العلم والمعنى ليستديموا الخروج من الظلمات الى النور عن انس حين يصلي الله عليهم
وملائكته في الظلمات وقيل يصلي يغفر لكم وملائكته يستغفرون لكم وقيل ان الاية تقديم وتاخير تقديرها
وسبحوه بكرة واصيلا ليخرجكم من الظلمات الى النور وهو الذي يصلي عليكم وملائكته قال صاحب
الكشاف لما كان المصلي من شانه ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره
حنوًا عليه وترئفًا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة
والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليه وسلم عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي
عليكم ان فسرته بترحم وترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلواتهم قلت هي كقولهم اللهم
صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرأفة والرحمة ونظيره قولك حياك الله اي
احياك وابقاك وحييتك ان دعوت لك ان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه
على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى
هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوات
الرحمة ودليل على ان الصلاة المسندة الى الملائكة لا تكون بمعنى الرحمة بل بمعنى الاستغفار ويكون
استعمالا للفظ المشترك في المعنيين وهذا هو الحق ولا حاجة الى التكلف والتعسف في حمل

لفظ الصلوات على غير الصلوة والاستغفار دفعا للاشتراك **قوله تعالى** تحيتهم
يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما روى انه لما نزلت قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله بشرف الا وقد اشركنا فيه
فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى تحيون يوم يلقونه اى يوم القيمة سلام فيجوز
ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وقيل تحيتهم يوم يلقونه سلام
يعني يسلم عليهم الملائكة يوم القيمة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم وقيل هو عند الموت
والهاء مردودة الى ملك الموت كناية عن غير مذكور عن ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض
روح المومن قال ربك يقريك السلام وقيل سلام الملائكة عند دخول الجنة كما قال والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واعد لهم اجرا كريما ثوابا عظيما العقد وهي الجنة
قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ٥ شاهدا لامتك المومنين بتصديقهم وعلى الكافرين منهم بتكذيبهم اى مقبولا
قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف يكون شاهدا في وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي
حال مقدرة كمسئلة مررت برجل معه صقر صايدا به غدا اى مقدرا الصيد غدا ومبشرا للمومنين
ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله اى الى توحيده باذنه قلت لم يرونه حقيقة الاذن وانما جعل
الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق الملك متعذر فاذا صودف الاذن
تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعا اهل الشرك
والجاهلية الى التوحيد والشرايع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر
صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اسهاله وتيسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق
اى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر وسراجا وجلى به الله ظلمات الشرك
واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدي به وامد الله بنور نبوته نور البصاير
كما يمد بنور السراج نور الابصار منيرا وصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه
ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني رسول بطي وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر عليها من يجي
وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر ويكون السعد روتا ليا سراجا وقيل اذا
سح اى ذا كتاب منير **قوله تعالى** وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
قال جابر ابن عبد الله لما نزلت انا فتحنا لك الايات قالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله هذه
العارفة فما لنا فانزل الله وبشر المومنين بان لهم فضلا كبيرا اى يعطيهم الزيادة على ما في مقابلة

الحسنة

الحسنة زيادة عظيمة **قوله تعالى** ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع
اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اى ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعونك
اليه من مداهنة ومعناه الدوام والثبات على ما كان عليه والنهي ودع اذاهم يحتمل
اضافته الى الفاعل والمفعول اى ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله
في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تومر وعن ابن عباس رضي الله عنهما اى هي
منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكم وكفى به مفوضا اليه ولقايل ان يقول
وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كل منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر
المومنين لانه يكون شاهدا على امته وامته شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر
بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم جميع اقباله على المومنين لانه يكون شاهدا
على امته وامته شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين
لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه
اذا ترك اذاهم في الحاضر فالاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل
والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان كل من توكل على الله يسر عليه عسيره والسراج
المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على خلقه كان جديرا بان يكتفى عن جميع خلقه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا اى اذا تزوجتم
النساء المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن قال صاحب الكشاف النكاح
الوطي وتسميته العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما
لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الابال في سحابه سمى الماء باسنمة
الابال لانه سبب سمن الابال وارتفاع اسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد
لانه في معنى الوطي من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة
والقربان والتغشي والاتيان والظاهر ان لفظ النكاح في العقد حقيقة شرعية فانه في عرف الشرع
لم يراد بعد اطلاق لفظ النكاح الا المفهوم غير العقد وانما خص المومنات وان كان الذي نطقت
به الاية تستوي فيه المومنات والكتابيات تنبيها على ان اصل امر المومن ان يتخير لنطفته والا ينكح
الا مومنة عفيفة وسئ عن امر وجه الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد
عدو الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين
اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى في نكاح المومنات وفايدة ثم نفي التوهم عمن عسى يتوهم

تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها وعند الشافعي اذا خلا خلوة يمكنه معها المساس لا يقوم مقام المساس وعند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تحصونها عليهن بالاقراء والاشهر وهذا دليل على ان العدة حق واجب للرجال على النساء تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدتها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه فلا عدة على غير الموطوءة كما لا استبراء على امة لا يقربها مالكها فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاذا فرض لها صداقا فلها نصفه قتاده هذه الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هو امر ندب والمتعة مستحبة ونصف المهر واجب وسرحوهن وخلوا سبيلهن سراحا جميلا بالمعروف وقيل طلقوهن للسنة وقيل اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة وقيل تسريحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب وقيل في الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع خص او عم خلافا لاهل الكوفة عن حبيب ابن ابي ثابت كنت قاعدا عند علي ابن الحسين رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة بنت فلان فهي طالق قال اذهب فتزوجها فان الله عز وجل بدا بالنكاح قبل الطلاق وقال يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن ولم يره شيئا وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح

قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك صح اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

اجورهن مهورهن لان المهر اجر لانه عوض منفعة البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك مثل صفية بنت حيي وريحانة وجويرية ومارية وبنات عمك بنات العباس وابي طالب وغيرهما وبنات عمك بنات العباس وابي طالب وغيرهما وبنات عماتك من نساء عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك دار الشرك كما هاجرت ووحد العم والخال وجمع العمات والخالات لان بني العم وبني الخال كثير دورها في الكلام حسن التخفيف ولم يكثر دورها مع العمة والخالة فجاءت على الاصل قال صاحب الكشاف فان قلت لم قلت اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه

بغيرها

بغيرها من الخصايص واثره مما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية واذا وقع العقد جاز ولزمه ان يمسها وعليها مهر المثل ان دخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل دون السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما تشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وفي قوله كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام دسيسة اعتزالية عن ام هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الى قوله هاجرن معك قالت فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة اي واحللنا لك امراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي من غير مهر ان اراد النبي ان يستنكحها فله ذلك خالصة خاصة لك من دون المؤمنين فليس لامراة ان تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولي ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وهذا من خصايصه في النكاح كالتخيير والعدد في النساء وكان ينعقد النكاح للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة اذا حضر الولي والشهود ابن عباس لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم تكن امراة عنده الا بعقد نكاح او ملك يمين وانما قال الله ان وهبت على طريق الشرط والجزاء قال الاخرون بل كانت عنده موهوبة قتادة هي ميمونة بنت الحارث الشعبي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار علي بن الحسين والضحاك ومقاتل ام شريك بنت جابر من بني اسد عروة ابن الزبير خولة بنت حكيم من بني سليم فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقال الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى واللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح عقد مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد

والعافية والكفاية قد علمنا ما فرضنا عليهم اوجبنا عليهم على المؤمنين في ازواجهم قال مجاهد يعني اربعا
حتى لا يتجاوزها وقال قتادة هو ان لا نكاح الا بولي وشاهدين وما ملكت ايمانهم يعني الولايد والاما لكيلا
يكون عليك حرج هذه راجعة الى اول الاية يعني انا احللنا لك ازواجك ما ظهر وما ملكت يمينك
الموهوبة لكيلا يكون عليك حرج قال صاحب الكشاف والدليل على انها اي خالصة وردت في اثر
الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها وقوله لكيلا
يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله
قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه
وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك
حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك
حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وكان الله غفورا للواقع في الحرج
وللمخالف بهذه الاحكام ولم يتعدها رحيما حيث وسع الامر على عباده **قوله تعالى** ترجي
من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك
النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على
كل شيء رقيبا ترجي تؤخر قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ترجي بغير همزة والباقون بالهمزة
وهما لغتان يعني وتؤوي تضم وتقرب ابن زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبي
صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت
اية التخيير وامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من اختار الدنيا ويمسك
من اختار الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين ولا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء ويرجي منهن
من يشاء ويرضين به قسم لهن او لم يقسم او يقسم لبعضهن ويفضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة
والعشرة او سوى بينهن ويكون الامر في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذا من خصائصه عليه السلام
فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من
ذلك يسوي بينهن في القسم الا امراة منهن اراد طلاقها رضيت بترك القسم لها وجعلت نوبتها لعايشة
وهي سودة بنت زمعة ابو رزين قالت لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا
من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية وكان ممن ارجى منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن اوى اليه عايشة وحفصة
وام سلمة وزينب كان يقسم بينهن سواء لا يفضل بعضهن على بعض فارجى خمسا واوى اربعا مجاهد

تعزل

تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد ابن عباس
تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء الحسن تترك من شيت من نساء امتك وكان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا خطب امراة لم يكن لرجل ان يخطبها حتى يتزوجها رسول الله او يتركها وقيل وتقبل من تشاء من
المؤمنات اللاتي يهبن انفسهن اليك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها عن عايشة رضي الله عنها انها
كانت تغار النساء اللواتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اما تستحي امراة ان تعرض
نفسها على رجل بغير صداق فنزلت هذه الاية عن عايشة رضي الله عنها فقالت يا رسول الله ان ربك يسارع لك
في هواك وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض وذلك لانه اما ان يطلق واما ان يمسك واذا امسك ضاجع او ترك
وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها ومن ابتغيت ممن عزلت اي ومن طلبت
واردت اصابتها ممن عزلتها فاو من طلبت واردت اصابتها ممن عزلتها فاصبتها وجامعتها بعد العزل فلا جناح
عليك واباح الله تعالى له ترك القسم لهن حتى انه ليوخر من يشاء منهن في وقت نوبتها فلا يطاها ويطا من
شاء منهن في غير نوبتها وله ان يرد الى فراشه من عزلها فلا جناح عليه فيما فعل تفضيلا له على ساير الرجال
وتخفيفا عنه ابن عباس يقول ان مات من نسايك اللاتي عندك احد وخليت سبيلها فقد احللت لك ان
تستبدل بها من شيت من النساء اللاتي احللت لك ولا يصلح ان تزداد على نسايك اللاتي احللت لك ولا يصلح
لك ان تزداد على نسايك اللاتي عندك ذلك الذي ذكرت ادنى ان تقر اعينهن ولا عن اطيب انفسهن واقل لحزنهن
اذا علمن ان ذلك من الله وامنى وان الرخصة جاءت من قبله ويرضين بما اتيتهن من التفضيل والايثار
والتسوية كلهن والله يعلم ما في قلوبكم من امر النساء والميل الى بعضهن وقيل ذلك التفويض الى مشيتك ادنى
ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين اي ذلك ادنى الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن
في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما يريد وما لا يريد الا مثل ما للاخرى وعلمن
ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون
وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم من امر النساء والميل الى بعضهن وكان الله عليما حليما لا يعاجل بالعقاب
وهو حقيق بما سبق ويحمد وكلهن تاكيد لنون يرضين وفيه وعيد لمن لم يرض بما دبر الله من ذلك وفوض الى رسول
الله وبعث على تواطي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب
نفسه لا يحل قرا اهل البصرة بالتاء من فوق والباقون بالياء لك النساء من بعد يعني من بعد هؤلاء النساء
التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب غيره منهن ولا
يجوز له ان يجاوز النصاب وقيل هؤلاء النصاب التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك كما اخترن الله ورسوله والدار
الاخرة قصر عليهن هذا قول ابن عباس وقتادة عكرمة والضحاك معناه لا يحل لك من النساء الا اللاتي احللناها لك
وهو قوله انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد اللاتي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها

سئل أبي بن كعب أرأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك وما يحرم ذلك عليه قيل قوله لا يحل لك النساء من بعد وقال أبو صالح أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة وقال مجاهد وسعيد بن جبير معناه لا يحل لك النساء من غير المسلمات وأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ولا ينبغي أن يكن أمهات المؤمنين أبو رزين لا يحل لك من النساء من بعد يعني الإماء بالنكاح ولا أن تبدل بهن من أزواج مجاهد وأبو رزين ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى والمشركين ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك من السبايا والإماء والكوافر وقال الضحاك يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن وتنكح غيرهن حرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلن أمهات المؤمنين وحرمن على غيره حين اخترنه فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه بل أحل له النساء قال ابن زيد كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطي هذا امرأته بهذا ويأخذ امرأته فقال الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني تبادل بأزواجك غير أزواجهم بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته إلا ما ملكت يمينك ولا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في أن تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لأنه متوغل في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن روي أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها فدخل بغير إذن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قالت عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما هذه الآية تضمنت قصتين أحدهما الأدب في أمر الطعام والجلوس والثانية أمر الحجاب وأكثر المفسرين على أنها نزلت في شأن وليمة زينب قال أنس بن مالك أنا أعلم الناس بشأن آية الحجاب ولقد سألني عنها أبي بن كعب لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت إليه أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون

ويخرجون

ويخرجون فقلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعو فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت لكي يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك ثم رجع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن فدعون له ورجع إلى بيت زينب فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون في البيت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته خرجوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وضرب بيني وبينه سترا ونزلت هذه الآية وقال قتادة ومقاتل كان هذا في بيت أم سلمة دخلت عليه جماعة في بيتها فأكلوا ثم أطالوا الجلوس فنادى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحيا منهم أن يأمرهم بالخروج والله لا يستحيي من الحق فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين منتظرين إناه وقت إدراكه ونضجه قال ابن عباس نزلت في ناس يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت هذه الآية ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم أي أكلتم الطعام فانتشروا فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين ولا طالبين للأنس لحديث وهو أن يطلبوا الجلوس ليستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو يستأنسوا حديث أهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجه وهو مجرور معطوف على ناظرين أي ولا غير مستأنسين لحديث وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ولا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي عن بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق يعني لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وإذا سألتموهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع من وراء حجاب عن أنس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتى امرأة عرس بها حديثا فإذا عندها قوم فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم أيضا فاحتبس وقضى حاجته ثم جاء وقد ذهبوا فدخل وأرخى بيني وبينه سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء فنزلت آية الحجاب وعنه قال عمر يا رسول الله يدخل البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت آية الحجاب وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يفعل وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلا إلى ليل قبل المصانع وهو صعيد أفيح فخرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة فرآها عمر رضي الله عنه مر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن مع النساء في المسجد فقال لهن احتجبن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أنزل الله آية الحجاب وروي أن عمر رضي الله عنه أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وقيل في سبب نزول الحجاب أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها وكانت معهم فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب وعن أنس قال كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن فجئت يوماً لأدخل فقال مكانك يا بني قد حدث بعدك أن لا يدخل علينا أحد إلا بإذن وما كان لكم وما يصح لكم أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم أي إن نكاح أزواجه بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان عند الله عظيماً وهو من إعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حياً وميتاً وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفاً واستهتاراً فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصوراً لما عسى من مصيرها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك روي أنها نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة بنت أبي بكر إن تبدوا شيئاً من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك ليكون زاجراً وخاف لئلا يدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة وأحرى **قوله تعالى** لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله الآية أي لا إثم في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أباً قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإسماعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم واتقين الله ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وهذا النقل يدل على تشديد أي واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتططن فيه فيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن إن الله على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيداً لا يتفاوت في علمه الأحوال **قوله تعالى** إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً في هذه الآية شرف الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر منزلته منه فطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكر سوء في أمر أزواجه ونحو ذلك يصلون على النبي

أي يثنون

أي يثنون ويترحمون عليه والظاهر أنه تعالى يترحم عليه ويغفر له والملائكة يدعون ويستغفرون له يكون إطلاق اللفظ المشترك على معنييه مختلفين وهو الصحيح ابن عباس يتركون يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ترحموا عليه وادعوا له وسلموا تسليماً وحيوه بتحية الإسلام عن كعب بن عجرة لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد عن أبي سعيد الخدري قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم عن عبد الله إذا صليتم الصلاة على النبي فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام المسلمين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد روي أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم به إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذلك الملكين آمين والصلاة على النبي واجبة فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر لما ورد في الأخبار وأبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه رحمهم الله لا يرونها شرطاً والشافعي جعلها ركناً في الصلاة في التشهد الذي يسلم فيه وأما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فنقول إنه لا يحسن الصلاة على غير النبي إلا على آله تبعاً وقيل القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع

لقوله اللهم صل على محمد وآله فلا كلام فيها فأما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فمكروه لانه
صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم **قوله تعالى**
ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً ٥ ابن عباس
نزلت في الذين طعنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي عكرمة نزلت
في المصورين الذين يرومون تكوين خلق مثل ما خلق الله وفي بعض الاخبار يقول الله جل جلاله
يقول الله ومن اظلم ممن اراد ان يخلق مثل خلقي فليخلق حبة او ذرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعن الله المصورين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا يد الله
مغلولة وقالوا ان الله فقير وقالت النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وقال المشركون الملائكة
بنات الله والاصنام شركاؤه في هذا لانه ما زال اناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا اذى ربهم
وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى
عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فأما شتمه اياي فقوله اني
اتخذت ولداً واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني وقال اهل المعاني يؤذون اولياء الله
مثل قوله واسأل القرية وقول رسول الله حين نظر الى جبل من تبوك فقال له احد هذا جبل يحبنا ونحبه فكناه عن
الاهل فاراد الله المبالغة في النهي عن اذى اوليائه فجعل اذاهم اذاه ورسوله ابن عباس حين شج في
وجهه وكسرت رباعيته وقيل له ساحر وشاعر ومعلم ومجنون وروى العوفي عن ابن عباس انها نزلت
في الذين طعنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاحه صفية بنت حيي وقيل بترك سنته
ومخالفة شريعته قال صاحب الكشاف فيه وجهان احدهما ان يعبر باذاهما عن فعل ما يكرهانه
ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله
من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازاً فيهما وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله
صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة وجعله مجازاً فيهما غير
صحيح لانه ان اراد جعله مجازاً في كل واحد منهما فلا يكون مستقيماً اما اولاً فلانه حقيقة في احدهما فلا يكون
مجازاً فيه واما ثانياً فلانه يلزم استعمال اللفظ في المفهومين المجازيين وهذا لا يجوز عند من لا يجوز
استعمال في المفهوم الحقيقي والمجازي وان اراد جعله مجازاً فيهما من حيث المجموع فلا يصح لانه لم يكن
بين المفهوم الحقيقي والمجاز علاقة معتبرة وقال صاحب الشافي ان يراد ان يؤذون رسول الله
لعنهم الله في الدنيا بالقتل والجلاء والآخرة بالنار والعذاب الاليم واعد لهم عذاباً مهيناً يهينهم
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا من غير ان عملوا شيئاً اوجب اذاهم وقيل

يرمونهم

يرمونهم بما ليس فيه فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً بغير ما اكتسبوا من غير ان عملوا شيئاً اوجب
اذاهم وقيل يرمونهم بما ليس فيهم فقد احتملوا بهتاناً كذباً عظيماً واثماً مبيناً ظاهراً الحسن وقتادة اياكم
واذى المؤمن فانه حبيب ربه احب الله فاحبه وغضب لربه فغضب الله وان الله يحوطه ويؤذي من
آذاه مجاهد يعني يقعون فيهم يرمونهم بغير ما عملوا مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذلك ان ناساً
من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل في شأن عائشة رضي الله عنها الضحاك والسدي والكلبي
نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء
حوائجهن فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون
الا الاماء ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الامة لان زيهن كان واحداً انما يخرجن في درع واحد
وخمار الحرة والامة سواء فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء **قوله تعالى** يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
وكان الله غفوراً رحيماً ٥ يرخين ارديتهن وملاحفهن فيتقنعن بها ويغطين بها وجوههن
ورؤوسهن ليعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن ولا يؤذين فذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
وكان الله غفوراً لما سلف منهن من ترك الستر رحيماً بهن اذ سترهن وصانهن ابن عباس وعبيدة امر
الله تعالى نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة قال انس
مرت جارية بعمر بن الخطاب رضي الله عنه متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين
بالحرائر القي القناع **قوله تعالى** لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلاً ٥ لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض فجور وهم الزناة
والمرجفون في المدينة بالكذب والباطل وذلك ان ناساً كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قتلوا وهزموا وكانوا يقولون قد اتاكم العدو ونحوها وقال الكلبي
كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار وان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لنغرينك لنسلطنك عليهم
بان نأمرك بقتالهم وقد اغريتهم فقيل له جاهد الكفار والمنافقين وقال يوم الجمعة اخرج يا فلان
من المسجد فانك منافق قم يا فلان فانك منافق ثم لا يجاورونك فيها اي لا يساكنونك في المدينة
الا قليلاً حتى يخرجون منها وقيل حتى يهلكوا وقيل الا قليلاً اي الا زمناً قليلاً ريثما يرحلون ويلتقطون
انفسهم وعيالهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على
الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً كما مر كقوله

الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب على احد لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
وقيل في ملعونين هو منصوب على الحال ايضا ثم لا يجاورونك الا قليلا اذا لاملعونين ثم لا يجاورونك
عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك
قال صاحب الكشاف اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم قلت
لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا للقسم معطوفا على الاول وانما
عطف بثم لان الاجلاء من الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالة عن
حال المعطوف عليه اينما ثقفوا اصيبوا ووجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين
ارادوا ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فاوعدهم الله في هذه الاية فكتموها عن انس كان بين
رجل وبين ابي بكر شيء فنال الرجل من ابي بكر رضي الله عنه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى علم الدم وجهه فقال ويحكم دعوا اصحابي واصهاري احفظوني فيهم لان عليهم حافظا من الله
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه **قوله تعالى**
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا   سنة الله في موضع مصدر
موكد سن الله في كل الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل
بدر واسروا ولن تجد لسنة الله تبديلا قيل المعنى لا يبدل الله سنة بل يجري مجرى واحدا في الامم
وقيل معناه لا يقدر احد على تغيير سنة الله وتبديلها **قوله تعالى** يسالك الناس عن
الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ۵ يسالك الناس اي
المشركون عن الساعة اي عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود كانوا يسالونه
امتحانا لان الله عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب قل انما علمها عند الله امر الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم يطلع عليه ملك ولا نبي وما يدريك ثم بين الله لرسوله
انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى
اليوم او في زمان قريب **قوله تعالى** ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا   يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا   وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا   ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا   ان الله لعن الكافرين
واعد خلق لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الايقاد الذين فيها في النار ابدا دائما لا يجدون
وليا يحفظهم ولا نصيرا يمنعهم يوم تقلب وجوههم معناه تغير وجوههم عن احوالها وتحول
عن احوالها وقيل تطرح وجوههم في النار ملعونين منكوسين وخص الوجوه بالذكر لان الوجه

اكرم

اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة يوم منصوب بيقولون
وقيل منصوب باذكر مقدرا او يقولون حال يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فنتخلص من هذا
العذاب اي تمنوا الايمان حين لا ينفع والالف في اخر هذه الايات لموافقة ما قبلها وما بعدها مراعاة
للفواصل وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا قادتنا وكبراءنا رؤساءنا في الشرك والضلالة قرا ابن عامر
ساداتنا بالالف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع والباقون بغير الف وفتح التاء فاضلونا السبيلا
اي فاضلونا عن محجة وسنن تجاوزوا عن قصد السبيل مقاتل هم المطعمون يوم بدر ربنا آتهم ضعفين
من العذاب ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم وقيل عذاب الدنيا والاخرة والعنهم ابعدهم عن رحمتك
لعنا كبيرا دائما متواترا لا ينقطع قرا عاصم كبيرا بالباء من تحت والباقون بالثاء كثيرا يدل على اشد اللعن
واعظمه وكثيرا الاكثر لعدده لقوله تعالى ويلعنهم اللاعنون لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها ۵ فبراه الله فطهره الله مما قالوا اي احذروا ان تكونوا مؤذين للنبي صلى الله
عليه وسلم كما اذى بنو اسرائيل موسى فاظهر الله براءته مما قالوا فيه وكان موسى عند الله وجيها ذا جاه
ومنزلة وقيل محببا مقبولا وقيل وجيها لم يساله شيئا الا اعطاه عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت
بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا
والله ما يمنع ان يغتسل معنا الا انه ادر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح في اثره
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوءة موسى عليه السلام روى الحسن وابن سيرين في هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شيء
استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص
واما ادرة واما افة فاراد الله تعالى ان يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثوبه على حجر
ثم اغتسل فلما فرغ من غسله اقبل على ثوبه لياخذه فعدا الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فراوه احسن ما خلق الله وكانت براءته التي براه الله منها
وقيل كان ايذاؤهم اياه ادعاؤهم عليه قتل اخيه هرون عليهما السلام عن علي رضي الله عنه في قوله
تعالى لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون
فقالت بنو اسرائيل انت قتلته وكان اشد حبا منك والين لنا منك فاذوه بذلك فامر الله الملائكة
فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل انه قد مات فبراه من
ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع احد من خلق الله على قبره الا الرخم فجعله الله اصم ابكم وقال
ابو العالية ان قارون استاجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على راس الملاء

بعضهما الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون وقد مضت القصة **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً قولا سديدا قصداً حقاً صواباً عدلاً مستقيماً عكرمة هو
لا اله الا الله مقاتل بن حيان يعني قوله في شان زينب وزيد ولا تنسبوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ما لا يحل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول
والبعث على ان اسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا
الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم اذا فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم
والاثابة عليها من مغفرة سياتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه
الاية مقررة لما قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء
الله وحفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما تضمن الوعيد من قصة موسى واتباع
الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق
بالطاعة الفوز العظيم اتبعه **قوله تعالى** انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله
غفوراً رحيماً الحرص على عيان هذه الاشيا فالهمهن الله خطابه وانطقهن وقيل
عرضها على اهلها كلها دون اعيانها وهذا كقوله واسأل القرية وبان الامانة اكثر المفسرين الامانة هي
الطاعة والفرائض التي فرضها على عباده عرضها على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها
عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها وقالوا نحن
مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقال الله تعالى لادم اني قد عرضت الامانة على السموات والارض
والجبال فلم يطقنها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت
فتحملها ادم عليه السلام قال بين اذني وعاتقي فقال الله عز وجل اما اذا تحملت فساعينك اجعل لبصرك
حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت
فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قالوا فما لبث ادم عليه السلام الا مقدار ما بين
الظهر والعصر حتى اخرج من الجنة مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين ابو العالية هي ما امروا
به ونهوا عنه زيد بن اسلم وغيره هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من شرائع الدين عن ابي
الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة
من حافظ على الصلوات الخمس بوضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن واعطى الزكاة من ماله

طب

طيبة بها نفسه وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مومن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع
اليه سبيلا وادى الامانة قالوا يا ابا الدرداء وما ادى الامانة قال الغسل من الجنابة فان الله عز وجل
لم يامن ابن ادم على شيء من دينه غيره عن ابي بن كعب قال من الامانة ان ائتمنت المراة على فرجها وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص اول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل امانات الناس والوفا بالعهود
فحق على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس السدي
هي ائتمان ادم ابنه قابيل على اهله وولده وخيانته اياه في قتل اخيه وذكر القصة الى ان قال عز وجل لادم
يا ادم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي بيتا بمكة فاته فقال ادم عليه السلام للسماء
احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وقال للجبال فابت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع
وتجد اهلك كما يسرك فانطلق ادم عليه السلام فرجع وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله عز وجل انا عرضنا الامانة
الى قوله انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل امانة ادم ثم لم يحفظ له اهله وقال الاخرون وحملها
الانسان يعني ادم ثم اختلفت عباراتهم في معنى الظلوم والجهول فقال ابن عباس والضحاك ظلوما لنفسه
جهولا غرا بامر الله تعالى وما احتمل من الامانة قتادة ظلوما للامانة جهولا عن حقها الكلبي ظلوما حين
عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة الحسين بن الفضل انه كان ظلوما جهولا عند الملائكة
لا عند الله قال صاحب الكشاف انا عرضنا الامانة يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه
وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وجل
انقياد مثلها وهو ما ياتي من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته
وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان
فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف
مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة
الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات وابايتها واشفاقها واما حمل الامانة فمن قولك
فلان حامل للامانة ومحتمل لها يريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان
الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها
لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة
ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل اخوك الذي لا يملك الحس نفسه ويرفض
عند الحفيظات الكتائف اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه

فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أنه ما كلفه الإنسان وبلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يحمل ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته أنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها وما جاء في القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قول لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهو به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها فإن قلت قد علم وجه التمسك في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وترك المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه ولا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل به والممثل شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثل هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم للشحم أين تذهب ونظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما أن المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحال المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ليعذب الله قيل اللام متصلة بقوله عرضنا وقيل بجميع ما في السورة وقيل بحملها وهي لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب ما لحمل الأمانة كما أن التأديب في ضربه للتأديب الضرب الذي حملها الإنسان ليقع تعذيب المنافق والمشرك ثم قدم التعذيب على التوبة لأن حكم لزوم الضمان على الخائن فيها وليس من حكمها حصول الأجر للأمين الباذل جهده فكان التعذيب على الخيانة لازما والأجر على الحفظ إحسانا والعدل قبل الإحسان وكان الله غفورا للظلوم لأن الله عاده بأن يغفر الظلم جميعا إلا الظلم العظيم الذي هو الشرك كما قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء رحيما على الجهول لأن الجهل محل الرحمة والله

أعلم

تم الجزء السادس بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى

الجزء السابع سورة سبأ غفر الله لمؤلفه ولمالكه

ولكاتبه ولمن قرأ فيه ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين أجمعين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن ياكريم

سورة سبا مكية

وقال الضحاك وابن السايب ومقاتل فيها اية مدنية وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم وهي
اربعة الاف وخمس مائة واثنا عشر حرفا وثمان مائة وثلاثة وثمانون كلمة وخمس وخمسون اية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور الحمد المستغرق لانواعه لله الجامع
لجميع صفات الجمال والجلال والاكرام المنعم على الخلايق بنعمة الايجاد والابقاء والابداء والاعادة الذي له
ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة قال صاحب الكشاف كل نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد
ويثنى عليه من اجلها ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم
الدنيا كما يقال احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الاخرة علم انه المحمود
على نعم الاخرة وهي الثواب فقوله الحمد لله الذي له ما في السموات اشارة الى الحمد على نعمة الابداء والابقاء في
الدنيا وله الحمد في الاخرة اشارة الى الحال الى نعمة الاعادة والابقاء في دار البقاء ولما كان نعم الابداء مرئية
ظاهرة ذكرها فقال الذي له ما في السموات وما في الارض ولما كان نعم الاعادة غير مرئية غايبة عنا لم تذكرها فقال
ولم يذكرها فقال وله الحمد في الاخرة ليقاس نعم الاخرة على نعم الدنيا كما ان الاعادة تقاس على الابداء لظهور
الابداء وخفاء الاعادة وذكر الحمد في الاخرة ليعلم وصلها بدوامها وفناء العاجلة قيل وله الحمد في الاخرة يحتمل
ان تكون الالف واللام للاستغراق ايضا وتكون الاية مقيدة لان الحمد المستغرق لجميع انواعه في الاخرة
انما له لانعامه وافضاله ونعمه وظهور قدرته وغير ذلك من صفاته ويحتمل ان تكون للعهد والاشارة
الى قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين او الى قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده قال صاحب
الكشاف فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق
الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب واما الحمد في الاخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال
الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطش بالماء البارد
ولا يخفى ان الحكم بوجوب الحمد في الدنيا لانه على نعمة متفضل بها وعدم وجوبه في الاخرة لانه على نعمة واجبة
الايصال الى مستحقها باطل فانه لا يجب على الله شيء فان نعم الدنيا والاخرة كلها على سبيل التفضل والاحسان
وايضا الاية غير دالة على وجوب الحمد فانها اخبار عن ثبوت الحق لله في الدنيا والاخرة حمده الناس او لم يحمدوه
وهو الحكيم الذي يعلم الامور على وجه الصواب الذي هو مطابق لارادته ومشيته ويحكم امور الدارين
ويدبرهما على حسن النظام واتقنه الخبير بكل كاين يكون قال الامام الحكمة من العلم الذي يتصل به العمل

فان من يعلم امرا ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فالفاعل الذي فعاله على وفق العلم هو
الحكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اي في الابتداء خلق كما ينبغي
وخبير اي بالابتداء يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر والى ما ذا يكون مصير كل احد فهو
حكيم في الابتداء خبير في الانتهاء ثم بين تعالى كمال خبرته بقوله يعلم ما يلج في الارض من الغيث كقوله
فسلكه ينابيع في الارض والبذور والكنوز والدفاين والاقوات وجميع ما هي له كفات
وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلات والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء
من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملايكة وانواع البركات والمقادير كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد قدم ما يلج في الارض
على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا واما تقديم ما يلج في الارض على ما يخرج منها
وتقديم ما ينزل من السماء على ما يعرج فيها فظاهر قال الامام وما يعرج فيه اشارة الى قبول الاعمال
الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها يفهم الوقوف
عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها فيها ولهذا قال في الكلم الطيب
اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه وهو الرحيم وهو
مع كثرة فضله وسبوغ نعمه الرحيم بالانزال حيث نزل الرزق من السماء الغفور للمفرطين في
اداء مواجب شكرها عند ما تعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند
العروج

قوله تعالى

وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي
لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ثم بين ان
هذه النعمة التي يستحق بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها قوم روي ان قايل هذه المقالة
ابو سفيان ابن حرب قال واللات والعزى ما ثم ساعة تاتي ولا قيامة ولا حشر فامر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقسم بربه مقابلة لقسم ابي سفيان ردا وتكذيبا لما قاله
وابطالا لما نفاه لا تاتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجي الساعة واستبطاء لما وعدوه من
نبا بها وقيل انما قالوه على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم
اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجاب الاثبات موكدا بما هو الغاية
في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به
من الوصف بما وصف به لان عظمة حال المقسم به تؤذن بحال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته

لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ عالم الغيب قرا نافع وابن عامر عالم بالرفع وابن كثير وعاصم وابو عمرو بالجر وحمزة والكسائي علام بالجر ولام مشددة قبل الالف من كسر فعلى معنى الحمد لله عالم الغيب ومن رفع جاز ان يكون عالم الغيب خبر مبتدا محذوف تقديره هو عالم الغيب ويجوز ان يكون ابتداء خبره لا يعزب وعلام ابلغ من عالم وقرا الكسائي وحده لا يعزب بكسر الزاي قال صاحب الكشاف فان قلت هل الوصف الذي وصف به المقسم به اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الحقيقة واولها مسارعة الى القلب ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة وجحوده فجاء انه حلف باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمن هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف يكون مصححا لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من الثواب والمسيء لا بد له من العقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له مثقال ذرة مقدار اصغر من نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة ولا اكبر قرا نافع اصغر واكبر بالفتح عطفا على ذرة والباقون بالرفع عطفا على قوله مثقال ذرة الا في كتاب مبين الا في اللوح المحفوظ وانما كتب جريا على عادة المخاطبين لا مخافة نسيانه وليعلم انه لم يقع عليه خلل وان اتى عليه الدهر والاعصر لكون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم وقيل بلا من وقيل يتبع الكرامة وقيل دائم على من تعطيه الله وهو الجنة والذين سعوا في اياتنا في ابطالها لتناولها بالتكذيب بكتابنا معاجزين مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا اولئك لهم عذاب من رجز اليم قرا ابن كثير وحفص عن عاصم اليم بالرفع على نعت عذاب والباقون بالجر على نعت الرجز والرجز اسواء العذاب

قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد اي ويعلم الذين اوتوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان تكون الاية مكية وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل ويرى في محل نصب عطفا على قوله ليجزي اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كفروا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحياء انه الحق فيزدادوا حسرة وغما الذي انزل اليك من ربك هو المفعول الاول لقوله ويرى هو الحق هو فصل والحق المفعول الثاني اي القران الذي هو الحق ويهدي اي القران الى صراط العزيز الحميد دين الله الذي هو الاسلام **قوله تعالى** وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم

اذا مزقتم

اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتاتينكم وبين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب على السيئات بين حال المؤمن والكافر بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم بلى وربي لتاتينكم فقال المؤمن الذي انزل اليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هذا الذي يقوله باطل ومن غاية اعتقادهم وعنادهم في ابطال ذلك قالوا ما قالوا وقال الذين كفروا يعني كفار مكة هل ندلكم قالوها على جهة التعجب والهزء اي قالها بعضهم لبعض كما يقول الرجل لمن يريد هل ادلك على اضحوكة ونادرة فلما كان البعث عندهم من البعيد المحال جعلوا من يخبر بوقوعه في حيز من يتعجب منه والعامل في اذا فعل مضمر منها فيما قبل تقديره ينبئكم انكم مبعوثون اذا مزقتم ويصح ان يكون العامل ما في قوله انكم لفي خلق جديد من معنى الفعل لان تقدير الكلام ينبئكم انكم لفي خلق جديد اذا مزقتم وقال الذين كفروا منكرين للبعث بعضهم لبعض متعجبين منه هل ندلكم على رجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم قطعتم وفرقتم كل ممزق كل تفريق وصرتم ترابا انكم بالكسر والحكاية مجازه يقول لكم انكم لفي خلق جديد افترى همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فاسقطت همزة الوصل همزة الوصل لان القياس اسقاطها وانما لم تسقط في السحر لمانع وهو خوف الالتباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة او مجنون ان كان لا يعتقد خلافه او به جنة او مجنون ان كان لا يعتقد خلافه قال الامام وفي هذه لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه فلهذا قسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال يفتري او مجنون احترازا من ان يقول قائل كيف تقول بانه مفتر مع انه جائز ان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق يمنع تسميته القائل مفتريا او كاذبا في بعض المواضع الا ترى ان يقول جاء زيد فاذا لم يجئ انه لم يجئ وقيل له كذبت يقول ما كذبت وانما سمعت من فلان انه جاء فظننت انه صادق فدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن نسبة كذبهم وكل عاقل يسعى ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى فقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد في مقابلة قوله به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق ايذاء عظيم لان شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل عليهم في الجواب واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذاء فانه لا يشهد عليه بانه يعذب ولكنه ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون

ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من سمى المهتدي ضالا لكونه هو الضال ممن سمى الهادي ضالا لا بكونه اضل والنبي صلى الله عليه وسلم ينادي كل مهتد قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا الهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا اعموا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا انهم حيث ما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم السماء والارض محيطان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارها وان يخرجوا عنها وانا القادر عليهم لا يعجزونني ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا قطعة من السماء قرأ حمزة والكسائي يشأ يخسف يسقط ثلاثتها بالياء والباقون بالنون لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى ما بين ايديهم من السماء والارض لاية دلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له لان المنيب لا يخلو من ان يعلم بان الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به

قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير

انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود عليه السلام كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وبين ما اتاه الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا او بتقدير قولنا قلنا يا جبال وقيل فضلا نبوة وكتابا وهو الزبور وصوتا بديعا وقوة وقدرة وتسخير الجبال والطير اوبي من التأويب اي رجعي معه التسبيح او رجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع وقيل سبحي معه اذا سبح ابن ميسرة هي بلسان الحبشة وقيل نوحي معه والطير تسعدك على ذلك وكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعها الناس من ذلك اليوم ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم انه قال ليلة من الليالي في نفسه لاعبدن الله عبادة لم يعبده احد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل وهو على الجبل دخلته وحشة فاوحى الله الى الجبال ان آنسي داود قال فاصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه ملك فاخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فركله برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فركلها

برجله فانفرجت له الارض حتى انتهى به الى الحوت فركلها برجله فمتحت عن صخرة فركل الصخرة برجله فانفلقت فخرجت منها دودة تنش فقال له الملك ان ربك يسمع نش هذه الدودة في هذا الموضع وقال القتيبي اصله من التأويب في السير وهو ان تسير النهار كله وتنزل ليلا قال ابن مقبل

لحقنا بحي اوبوا السير بعدما ... دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح

كانه اراد اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقيل سيري معه كيف شاء والطير نصب بالعطف على محل الجبال وقيل منصوب على انه مفعول معه وقيل منصوب بالعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال واتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد جعلنا الحديد في يده لينا كالشمع يعمل منه ما يريد من غير نار ولا ضرب بمطرقة وكان سبب ذلك على ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود واليكم هذا اي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود عليه السلام تقدم اليه على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد فصار في يده مثل الشمع وعلمه صنعة الدروع فكان يعمل الدروع وانه اول من اتخذها ويقال انه يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال انه الان له الحديد في يده لما اعطي عليه السلام من القوة ان اعمل سابغات دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد اي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وهو اول من اتخذ الدروع وكانت قبل ذلك صفائح والسرد صنعة الدرع ونسجها ومنه قيل لصانعه السراد والزراد واصله الوصل والنظم ومنه قيل للخرز سرد وللثقب والاشفى مسرد او يكون المعنى اجعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وقيل لا توسع الحلق فتنفذ السهم والطعن وقيل السرد المسمار ابن الهيصم الدرع التي عملها داود كانت بغير مسمار لانها كانت معجزة له فلو كانت بمسمار لما كان بين داود وبين غيره فرق مع انا قد رأينا ما بقي من الدروع التي عملها داود وكانت بلا مسامير ونزول ايضا فاين قوله والنا له الحديد وقيل السرد الدرع وهو من اسمائه واعملوا صالحا خطاب لداود وجمع لان المراد هو واهله والعمل الصالح قيل هو الشكر هاهنا ابن عباس قول سبحان الله والحمد لله

ولا اله الا الله والله اكبر وحكى ان داود عليه السلام جعل العبادة والصلاة بينه وبين اله
منقسمة فلم يزل واحد منهم كان في الصلاة ليلا ونهارا انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه احسن
جزاء واتمه **قوله تعالى** ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين
القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا ال داود
شكرا وقليل من عبادي الشكور لما ذكر المنيب الذي هو داود عليه السلام ذكر سليمان
الذي هو ايضا منيب كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وذكر ما استفاده بالانابة
ولسليمن الريح قرا ابو بكر عن عاصم بالرفع اى ولسليمن الريح مسخرة والباقون بالنصب اى وسخرنا
لسليمن الريح غدوها شهر اى جريها بالغداة مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل
مسيرة شهر فجعل تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال ابن زيد كان له عليه السلام مركب من خشب
وكان فيه الف ركن في كل ركن الف بيت يركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن الف شيطان
يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفع اتت الريح الرخاء فسارت به وبهم فيقيل عند قوم بينه وبينهم مسيرة شهر
ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر فلا يدري القوم الا وقد اظلهم معه الجيوش ويروى ان سليمن عليه
السلام سار من ارض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ بحمله وجنوده وتظلهم
الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جازهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح
على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض القندهار وخرج منها الى مكران
وكرمان ثم جازها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان
مستقره بمدينة تدمر وقد كان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق فبنوها بالصفاح
والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول النابغة الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية
فاحددها عن الفند وخبر الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد ووجدت
هذه الابيات منقوشة في صخرة بارض كسكر انشاها بعض اصحاب سليمن ونحن ولا حول
سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من ارض تدمر اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا مسيرة
شهر والغدو لاخر اناس شروا لله طوعا نفوسهم بنصر ابن داود النبي المطهر لهم في معالي
الدين فضل ورافة وان نسبوا يوما فمن خير معشر متى يركبوا الريح المطيعة اسرعت مبادرة
عن شهرها لم تفتر يظلهم طير صفوف عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تنفر وهب ذكر لي
ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن عليه السلام اما من الجن واما
من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله

فاسون

فاسون بالشام المحسن لما شغلت سليمن نبي الله عليه السلام الخيل حتى فاتته صلاة العصر
عقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء غدوها شهر ورواحها
شهر وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل واسلنا له عين القطر
واذبنا له عين النحاس اسيلت له ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكان بارض اليمن وانما ينتفع الناس
اليوم بما اخرج الله تعالى لسليمن عليه السلام ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ يميل
ويعدل منهم عن امرنا الذي امرناه من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير في الاخرة وقيل في الدنيا
وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ من امر سليمن عليه السلام ضربه ضربة
احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب مساجد ومساكن وقصور والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت
قال عدي بن زيد كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهره مستنير وكان مما عملوه من ذلك
بيت المقدس وقصته وصفته على ما ذكره اهل البصر بالسير ان ربنا تبارك وتعالى بارك في نسل ابرهيم
عليه السلام حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمن داود عليه السلام حتى جعلهم في الكثرة غاية
لا يحصون فلما كان زمن داود عليه السلام لبث فيهم ثلثين سنة بارض فلسطين وهم كل يوم يزدادون
كثرة فاعجب داود بكثرتهم فامر بعدهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا وايسوا ان يحيط علمهم
بعدد بني اسرائيل فاوحى الله الى داود عليه السلام قد وعدت اباك ابرهيم وامرته بذبح ولده وصدقني واتمر
امري ان ابارك له في ذريته حتى يصيروا اكثر من عدد نجوم السماء حتى لا يحصيهم العادون واني قد اقسمت
ان ابليهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بكثرتهم وخيره بين ان نعذبهم بالقحط والجوع
ثلث سنين وبين ان نسلط عليهم عدوهم ثلثة اشهر وبين ان نرسل عليهم الطاعون ثلثة ايام فجمع
داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وخيره فيه فقالوا له انت اعلم بما هو ايسر لنا بنبينا
فانظر لنا غير الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو امر فاضح فان كان ولا بد فالموت فامرهم داود عليه
السلام ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى الصعيد بالذراري
والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله ان يرحمهم وذلك في صعيد بيت المقدس
قبل بناء المسجد قال وارتفع داود عليه السلام فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل الى الله فارسل
عليهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة ما لم يتفرغوا من دفنهم الا بعد مدة شهرين فلما اصبحوا
من اليوم الثاني سجد داود وسجدوا معه مع طلوع الشمس فلم يرفعوا رؤسهم حتى كشف عنهم
الطاعون قالوا فلما ان شفع الله تعالى داود في بني اسرائيل في ذلك المكان جمع داود بني اسرائيل بعد
ثلاث وقال ان الله سبحانه قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا وكيف تامرنا قال امركم ان
تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا فلما ارادوا

ان يحدوا البناء رجل صالح فقير يختبرهم كيف اخلاصهم وثق بيتهم فقال لبني اسرايل ان لي فيه حقا ان احتاج
اليه ولا يحل لكم ان يحبوني عنه فقالوا له يا هذا ما احد من بني اسرايل الا وله في هذا الصعيد حق مثل
حقك فلا تكن ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا لا اعرف حقي وانتم لا تعرفونه فقالوا اما ان ترضى
وتطيب نفسا والا اخذناه كرها فقال لهم او تجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود عليه السلام
قال فرفعوا خبره الى داود فقال داود ارضوه فقالوا بكم ناخذه يا نبي الله قال خذوه بماية شاة قال الرجل
زد فقال داود بماية بقرة قال زد قال بماية من الابل قال زدني فانما اشتريه لله تعالى فقال داود عليه السلام
اما اذا قلت فاحتكم اعطك قال تشتري مني بحايط مله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم قال تشتريه لله فلا تبخل
قال سل ما شيت اعطكه وان شيت جدارا مشرقا ثم تملاه ذهبا وان شيت ورقا قال داود عليه السلام
هو هين فالتفت الرجل الى بني اسرايل وقال هذا هو الثابت المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لان يغفر الله عز
وجل لي دينا واحدا احب الي من كل شيء وهبته لي ولكن كنت اختبركم قال فاخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود
عليه السلام ينقل لهم الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بني اسرايل حتى رفعوه قامة فاوحى الله تعالى الى داود ان
هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك للدما فلست ببانيه اذا لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك
اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي اتمامه على يده ويكون صيته وذكره لك باقيا فصلوا فيه زمانا
وداود يومئذ ابن سبع وعشرين ومائة سنة فلما صار من ابناء اربعين ومائة سنة توفاه الله عز وجل
واستخلف سليمن عليهما السلام فاحب اتمام بناء البيت المقدس فجمع الجن والشياطين في تحصيل الرخام
والمها الابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل
ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا يستخرجون الذهب والفضة من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون الحجارة من اماكنها
وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فاتى من ذلك بشيء لا يحصيه الا الله ثم احضر
الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصيرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي
فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمن عليه السلام تلك الاصوات فدعا الجن فقال
هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من
صخر العفريت فارسل اليه من ياتيك به فطبع سليمن عليه السلام بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس
ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع احدهما بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف وكان لا يراه احد جني ولا شيطان
الا انقاد له باذن الله عز وجل قدرته قال فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه وهو في بعض جزاير البحور فاروه
الطابع فلما نظر اليه كاد يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمن عليه السلام فسال سليمن
عليه السلام وساله عما احدثنا العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله انه كان يضحك في الاحايين من الناس

فقال له

فقال له سليمن عليه السلام ما رضيت بتمردك علي ان تركت المجي الي طايعا حتى تسخر بالناس
فقال يا نبي الله اني لم اسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت اسمع واري في طريقي فقال سليمن
عليه السلام وما ذاك قال اعلم اني مررت برجل على شط نهر ومعه بغلة يريد سقيها وجرة يريد
ان يستقي فيها فسقى البغلة بالذن الجرة فنفرت البغلة وجرت الجرة وكسرتها فعجبت من حمق الرجل
حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت برجل جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له
يسمعه يشترط ان يصلحه حيث يبقى معه اربع سنين ونسي نزول الموت به قبله فضحكت
من غفلته وجهالته ومررت بمحرور يتكهن ويخبر الناس بما لا يعلمون من امر السماء وقد كنت
عهدت رجلا دفن في موضع فراشه ذهبا كثيرا في الدهور الخالية فرايته يموت جوعا وتحت
فراشه ذهب كثير لا يعلم بمكانه ثم يخبر الناس عن امر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض
المدن وقد كان به داء فيما مر فاكل البصل فبرا من دايه فصار يتطبب للناس فجاء لا اياه احد
يساله عن علة الا امره بالبصل وانه لا ضر شيء حتى انه صنف البصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت
ببعض الاسواق فرايت الثوم وهو افضل الادوية كلها يباع كيلا ورايت الفلفل وهو احد السموم
القاتلة يوزن وزنا فضحكت من ذلك ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله تعالى عز وجل ويسالونه
الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء اخرون فجلسوا فرايت الرحمة قد نزلت عليهم فاخطات
الذين كانوا من اهل المجلس فقاموا فغشيت الذين جاوا وجلسوا فضحكت تعجبا للقضا والقدر
فقال له سليمن عليه السلام هل عرفت في كثرة تجاربك وجولانك في البر والبحر شيئا تنحت به هذه
الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها فلا تصوت قال نعم يا نبي الله اعرف حجرا ابيض كاللبن يقال
له السامور غير اني لا اعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شي هو احيل ولا اهدى من العقاب
فمر بعقاب ان يجعل فراخه في صندوق من حجر معه يوما وليلة ثم سرح العقاب وترك فراخه
في الصندوق فانه سياتي بذلك الحجر فيضرب به ظهر الصندوق حتى يثقبه به ليصل الى فراخه قال
فامر سليمن بعقاب مع فراخه فصيرهن في صندوق من حجر يوما وليلة ثم سرح العقاب دون
الفراخ فمر العقاب وجاء بذلك الحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى فراخه فوجه
سليمن مع العقاب نفرا من الجن حتى انفره به قدر ما علم انه في ذلك كفاية واستعمل ذلك في ادوات
الصناع فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذي يستعمل في نقش الخواتم وثقب الجواهر الى اليوم
وهو حجر ثمين عزيز قال فبنى سليمن المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين
المها الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت
وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك

المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه
بناه لله عز وجل وان كل شيء فيه خالص لله تعالى فاتخذ اليوم الذي فرغ ذلك منه عيداً قالوا ومن
اعاجيب ما اتخذ سليمن عليه السلام بيت المقدس ان بنا حيطانه بالخضر
وصقله فكان اذا دخله الورع البار استبان خياله في ذلك الحايط ابيض واذا دخله الفاجر
استبان خياله فيه اسود فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في كل
زاوية من زوايا المسجد عصي ابنوس وكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره مسها ومن مسها
من غيرهم احترقت يده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما فرغ سليمن عليه السلام من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثاً فاعطاه اثنتين واني ارجوا
ان يكون قد اعطاه الثالثة سأله حكماً يصادف حكمه فاعطاه وسأله ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده
فاعطاه اياه وسأله ان لا ياتي هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كهيئة يوم
ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمن حتى غزاه
بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة
والدر والياقوت وساير الجواهر فحمله معه الى دار مملكته من ارض العراق قال سعيد بن المسيب
لما فرغ سليمن من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمن فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات
ابي داود الا ما فتحت الابواب ففتحت ففرغ له سليمن عشرة الاف من قراء بني اسرائيل خمسة الاف
بالليل وخمسة الاف بالنهار فلا تاتي ساعة من ليل او نهار الا والله عز وجل يعبد فيها وتماثيل
اي صوراً كانوا يعملون له تماثيل من صفر ونحاس وشبه وزجاج ورخام في المساجد تماثيل الملائكة
والنبيين والصالحين لكي اذا راهم الناس مصورين عبدوا كعبادتهم وجفان اي وقصاع واحدتها
جفنة كالجواب كالحياض التي يجبى فيها الماء اي يجمع واحدتها جابية قال الاعشى ٥
تروح على آل المحلق جفنة ٭ كجابية الشيخ العراقي يفهق ٥ الحسن وجفان كالجواب
مثل حياض الابل ويقال انه كان يجتمع على جفنة واحدة الف رجل ياكلون بين يديه وقدور
راسيات ثابتات لا يحولن ولا يحركن من اماكنهن لعظمهن ولا ينزلن ولا يعطلن وكانت باليمن
ومنه قيل للجبال رواسي اعملوا اي وقلنا اعملوا آل داود شكراً يعني اعملوا بطاعة يا آل داود وشكراً
له على نعمه وشكراً في محل المصدر على تقدير اشكروا شكراً لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث
ان العمل فيه للمنعم شكر له وقيل انتصب شكراً على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه
الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر وقيل انتصب على الحال
اي شاكرين وقيل يجوز ان ينتصب باعملوا مفعولاً به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم

فاعملوا

فاعملوا انتم شكراً على طريق المشاكلة وقليل من عبادي الشكور قرأ حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها
والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً
وكدحاً اكثر اوقاته عن ابن عباس من يشكر على احواله كلها السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه
عن الشكر روي ان داود قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ساعات الليل
والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي فعمهم الله تعالى في هذه الاية اعملوا آل داود شكراً
قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر
تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال اهل التفسير
كان سليمن عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك
واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه
الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لها لاي شيء انت
فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس غرسها وان كانت لدواء كتب فبينما هو
يصلي ذات يوم اذ راى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء نبت قالت
لخراب هذا المسجد فقال سليمن ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وهلاك
بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن
لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا وانهم يعلمون ما في
غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكياً على عصاه فمات عليه السلام ابن زيد قال سليمن عليه
السلام لملك الموت سلام الله عليهما اذا امرت بي فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمن قد امرت بك
وقد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكا على
عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه وفي رواية اخرى ان سليمن عليه السلام
قال ذات يوم لاصحابه قد اتاني الله ما ترون وما مر علي يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر وقد احببت
ان يكون لي يوم واحد يصفو لي من الكدر فلا اغتم فيه وليكن ذلك اليوم غداً فلما كان من الغد دخل
قصراً له وامر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيئاً
يسوءه ثم اخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكا على عصاه ينظر في ممالكه اذ نظر الى شاب
حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جوانب قصره فقال السلام عليك يا سليمن فقال
وعليك السلام كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله اما منعك البواب والحجاب اما هبتني
حيث دخلت قصري بغير اذن فقال انا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب ولا اهاب الملوك
ولا اقبل الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال سليمن فمن اذن لك في دخوله قال ربه

فارتعد سليمان عليه السلام وعلم انه ملك الموت قال نعم قال فبم جئت قال جئت لاقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان يصفو لي ولا اسمع فيه ما يغمني فقال يا سليمان انك اردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه فذلك اليوم لم يخلق في ايام الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فامض لما امرت به فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه فقالوا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد ان يدخل يقول الست جليدا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الاخر فدخل شيطان من اولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع صوت سليمان ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجدوا منساته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يدروا كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة وكانت الجن تعمل بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي الارضة تاكل منساته اي عصاه واصلها من نسأت الغنم اي زجرتها وسقتها فلما خر سقط على الارض تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي ما عملوا مسخرين وهو ميت وهم يظنونه حيا وقيل تبينت الجن اي علمت لانها كانت توهم باستراقها السمع انها تعلم علمت حينئذ خطاها في ظنها **قوله تعالى** لقد كان لسبإ في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام بين حال الكافرين بانعمه بقصة اهل سبا قرا حمزة وحفص عن عاصم مسكنهم بفتح الكاف والباقون مساكنهم روي انه قال رجل يا رسول الله اخبرني عن سبا ما كان رجلا كان او امراة او ارضا او جبلا او واديا فقال صلى الله عليه وسلم ليس بارض ولا امراة ولكنه كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد فتيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير فقال رجل ومن انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان ومن قرا بالتنوين

وترك

وترك الصرف جعله اسما للقبيلة ومن صرف وكسر ونون جعله اسما للحي او اسما لرجل وكان [illegible] اية دلالة على وحدانية الله وقدرته جنتان بدل من اية بستانان عن يمين من اتاهما وشمال كلوا وقيل لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له على ما انعم عليكم وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال بلدة اي هذه بلدة او بلدتكم بلدة طيبة ليست بسبخة اي نزهة لم تكن ترى في بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وان كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هو الا ان ينظروا الى بيوتهم فيموت الدواب وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على راسه فيخرج حين يخرج وقد امتلات تلك القفة من انواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده فذلك قوله تعالى بلدة طيبة الهواء ورب غفور الخطا كثير العطا فاعرضوا وهب بعث الله عز وجل الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة فقولوا لربكم الذي تزعمون فليحبس عنا هذه النعمة ان استطاع فذلك قوله تعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم والعرم السيل والمسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة واصلها من العرامة وهي الشدة والقوة عن ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السيل يسقي جنتيهم وكان مما ذكر بنته بلقيس وذلك انها لما ملكت وجدت قومها يقتتلون على ماء واديهم فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت الى قصرها فنزلته فلما كثر الشر بينهم وندموا اتوها فارادوها ان ترجع الى ملكها فابت فقالوا لترجعن او لنقتلنك فقالت انكم لا تطيعونني وليست لكم عقول قالوا فانا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجاءت فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار فحبست به ماء العيون والامطار وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة ضخمة فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم فلما جاء المطر اجتمع اليه السيل واودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة وامرت بالبعر فالقي فيها فجعل بعضها لبعض يخرج اسرع من بعض فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر في الماء حتى خرجت جميعا معا وكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شانها وشان سليمان ما كان وبقوا على ذلك بعدها فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فلما طغوا واعرضوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا تسمى الخلد فنقبه من اسفله فغرق الماء على جنانهم وخربت ارضهم قال وهب وكانوا يزعمون يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم ذلك فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن

بين تهم الرمل وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا عند العرب فقالت تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا فذلك
قوله فارسلنا عليهم سيل العرم وقيل العرم المطر الشديد من العرامة وهي التمرد والعصيان وقيل
العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة وقيل العرم اسم الوادي وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قرا ابو عمرو ويعقوب بالاضافة والباقون بالتنوين وهما متقاربان
كقول العرب في بستان فلان اعناب كرم واعناب كرم فتضيف احيانا الاعناب الى الكرم لانه
منه وتنون احيانا الاعناب ثم تترجم بالكرم عنها اذ كانت الاعناب ثمر الكرم ذواتي اكل ثمر خمط اراك
وقيل كل شجرة ذات شوك وقيل هو كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل شجر الغضاة وقال ابن
عباس هو الطرفاء وقيل هو شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا الحسن والاثل قتادة ضرب من الخشب
وقيل هو السمر ابو عبيدة هو النضار وشيء من سدر قليل قال صاحب الكشاف والاثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له مادة بينما شجر القوم من خير الشجر اذ صيره الله
تعالى من شر الشجر باعمالهم الكلبي وكانوا يستظلون بالشجر ويأكلون البرير وغير السدر وابوا ان يجيبوا الرسل
عليهم السلام وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم الحسن مثل السدر لانه
اكرم ما بدلوا ذلك الذي فعلنابهم جزيناهم بما كفروا اي بكفرهم ومحل ذلك نصب لوقوع المجازاة عليه يعني
جزيناهم ذلك بما كفروا وهل نجازي قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بالنون وكسر الزاي ونصب الكفور
واختاره ابو عبيدة وقال لقوله جزيناهم ولم يقل جوزوا والباقون بياء مضمومة وفتح الزاي ورفع الكفور
ومعنى الاية وهل يجازى مثل هذا الجزاء الا الكفور مجاهد يجازى يعاقب وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته
والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء قال صاحب الكشاف وجه اخر وهو ان الجزاء عام
لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة والاخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله
جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس
لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه
لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت
جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال
مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها يعني قرى الشام متواصلة تظهر الثانية من الاولى
بقربها منها وقيل ظاهرة متواصلة بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة
متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مساكنهم حتى تخفى عليهم الحسن كان احدهم يغدو فيقيل في
قرية ويروح فياوي الى قرية اخرى وكانت المراة تخرج معها مغزلها وعلى راسها مكتلها ثم تمتهن مغزلها

فلاتاتي

فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك ابن عباس قرى ظاهرة يعني قرى
عربية بين المدينة والشام سعيد بن جبير هي القرى التي ما بين مارب والشام مجاهد هي السروات وهب
هي قرى صنعاء وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل
الى منزل وقرية الى قرية ولا ينزلون الا في قرية ولا يغدون الا من قرية لا يخافون جوعا ولا عطشا ولا عدوا
ولا يحتاجون الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها اي وقلنا لهم سيروا فيها فيل ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من
السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه ليالي واياما اي وقت شئتم من ليل او شئتم
بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون
وان تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين
وزمان امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا ولا تحتاجون الى زاد ولا ماء فبطروا وطغوا ولم
يصبروا على العافية وقالوا لو كان جنى ثمارنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز نركب فيها الرواحل ونتزود فيها الازواد فعجل الله لهم الاجابة
قرا ابن كثير وابو عمرو ربنا بعد على وجه الدعاء والسؤال من التبعيد وهي رواية هشام عن قراء الشام
ويعقوب ربنا رفع رب باعد بفتح العين والدال على الخبر استبعدوا اسفارهم بطرا منهم واشرا وقرا
الباقون ربنا بنصب رب لانه منادى مضاف باعد بالالف وكسر العين وجزم الدال على الدعاء ففعل
الله ذلك بهم وظلموا انفسهم حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة فجعلناهم احاديث
عظة وعبرة يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم يضرب بهم المثل فيقال تفرقوا ايدي سبا وصاروا
ايادي سبا ومزقناهم وفرقناهم في البلاد كل ممزق كل تفريق اي غاية ما يكون من التفريق وتبديد الشمل
اما غسان فلحقوا بالشام وانمار بيثرب واما جذام فتهامة واما الازد فعمان ان في ذلك فيما ذكر
لايات لمواعظ وعبر لكل صبار على الطاعة وعن المعصية شكور للنعم **قوله تعالى**
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وما كان له عليهم من سلطان
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير قرا عاصم وحمزة والكسائي صدق بتشديد الدال اي حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا والباقون بالتخفيف اي صدق عليهم في ظنه بهم او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك
ومعناه انه حين وجد ادم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه
فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها
من يفسد فيها عليهم اي على اهل سبا مجاهد على الناس كلهم فاتبعوه اي فاتبع اهل سبا وقيل الناس

الا فريقا من المؤمنين قللا المؤمنين لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا
قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له لابليس عليهم على الذين صار ظنه فيهم صدقا من سلطان
تسلط وجبر واكراه وقيل حجة وبرهان وقيل استيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم الا لنرى
ونميز ونعلمه موجودا ظاهرا كائنا من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك قال صاحب الكشاف الا لغرض
صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق
به العلم وقيل الاستثناء منقطع اى لكن ابتلينا المكلفين بوساوسه لنعلم وقيل متصل وتقديره
ما خلينا بينهم وبين وساوسه الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك اى ليظهر المسلم من الكافر
والمطيع من العاصي فيقع الثواب والعقاب بعد ظهور الافعال منهم وان كان الله عالما بذلك وقيل
لنعلم عندكم كما قالوا وهو اهون عليه عندكم وقيل معنى لنعلم التمييز وقيل لنعلم ايمان المؤمن ولو شك
الشاك موجودين كما علمناه غيبا وربك على كل شيء حفيظ محافظ وفعيل ومفاعل متناخيان قل يا محمد
لهؤلاء المشركين ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم
باسم الله كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون الى الله وانتظروا استجابتهم لدعائكم
ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم ووصفها فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير ونفع وشر وضير في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما في السموات والارض من شرك
شركة في الخلق ولا في الملك وما له اى لله منهم من ظهير عون يعينه على تدبير خلقه يعني انهم على هذه
الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا
كما يعبد والمفعول الاول لزعمتم الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول والمفعول الثاني ايضا
محذوف تقديره الذين زعمتموهم الهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف الهة لانه موصوف صفته من
دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعمتم
محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا يجوز ان يكون من دون الله مفعولا ثانيا لزعمتم لان
قولك الذين زعمتموهم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا يملكون لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف
يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوا ما قالوا هو حق وتوحيد **قوله تعالى**
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى ان زيدا الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى
انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان
يكون على احد هذين الوجهين اى لا تنفع الشفاعة الكائنة لمن اذن له من الشافعين

ومطلقة

ومطلقة له اولا تنفع الشفاعة الكائنة لمن اذن له اى لشفيعه وقيل هي اللام الثانية في قولك
اذن لزيد لعمرو اى لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى ان كل من زعمتموهم
الهة من دون الله لا يملكون مثقال ذرة ولا تنفع شفاعتهم الا باذن لمن امن حالة قال ولا هم
شفعاء على الحد الذي ظننتم انتم قوله الا لمن اذن له قيل معناه لمن اذن له قيل معناه لمن اذن له
ان يشفع فيه وقيل معناه لمن اذن له ان يشفع هو والاولى ان يحمل عليهما لان الاذن واذا انفرد
للمشفوع فيه فالشافع لا محالة له علم متعين لذلك قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة وابن كثير
ونافع وابن عامر بفتحها واختلف فيها عن عاصم حتى اذا فزع قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي
والباقون بضم الفاء وكسر الزاي قال صاحب الكشاف فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت عاهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا
من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي
من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا من الزمان فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم
اى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم رب العزة في اطلاق الاذن
تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى واختلف اهل التفسير في هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب
الذي من اجله فزع عن قلوبهم فقال قوم هم الملائكة ثم اختلفوا في سبب ذلك فقال بعضهم انما
يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان
فيصعقون ويخرون سجدا فاذا علموا انه وحي فزع عن قلوبهم فترد اليهم فينادي اهل السموات
بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق وعنه مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل اذا تكلم بالوحي سمع اهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون
فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون
يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فينادون الحق الحق وقال بعضهم انما يفزعون حذرا من قيام
الساعة قال الكلبي كان بين عيسى وبين محمد عليهما السلام فترة زمان طويل لا يجري فيها الرسل
خمسمائة وخمسين عاما فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله عز وجل جبريل عليه السلام
بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة الصوت ظنوا انها الساعة قد قامت

وصعقوا مما سمعوا فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل اهل سماء فيكشف عنهم فيرفعون
رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فلم يدرون ما كان ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير
وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فلما بعثه الله فزع
اهل السموات لا يستوون الا انها الساعة وقال الضحاك ان الملائكة المعقبات الذين يختلفون
الى اهل الارض يكتبون اعمالهم اذا ارسلهم الرب عز وجل فانحدروا يسمع لهم صوت شديد
فيحسب الذين هم اسفل من الملائكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه
ليس من الساعة وهذا تنبيه من الله واخبار ان الملائكة مع هذه الصفة لا يمكنهم ان يشفعوا
لاحد الا ان يؤذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا وحيه كان هذا حالهم فكيف تشفع للاصنام وقال
آخرون بل الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد يعني اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين
عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا به
حين لم ينفعهم الاقرار يدل على ذلك قوله تعالى في آخر السورة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو العلي
الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى
قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين   امر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بان يقررهم بقوله من يرزقكم
ثم امر بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله من يرزقكم اذ ليس لهذا الكلام جواب غير هذا
وقيل ذلك للاشعار بانهم مقرون بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان
الله يرزقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يرزقكم الا ترى
الى قوله من يرزقكم من السماء امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله فماذا بعد الحق
الا الضلال فانهم كانوا يقولون بالسنتهم مرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام
الحجة ونحو قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا وامر ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم
لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على جهة الانصاف في الحجة كما يقول القائل
لصاحبه احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد
ان احد الفريقين لمهتد والآخر ضال فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه
في ضلال فكذبهم باحسن من تصريح التكذيب قال صاحب الكشاف معناه ان احد الفريقين
من الذين يتوحدون الرازق من في السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي

لا يوصف

لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل
من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ما تقدم
من التقرير البليغ دلالة على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض
والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا
ومنه بيت حسان رضي الله عنه أتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء وانما دخل على
في الاول وفي في الثاني لان صاحب الحق والهدى كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء
والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه ولا يدري اين يتوجه **قوله تعالى** قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون   هذا الكلام ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث
اسند الاجرام على انفسهم اي المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان ارادوا بالاجرام الصغائر
والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي **قوله تعالى** قل يجمع بيننا
ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم   قل يا محمد لهؤلاء المشركين يجمع بيننا ربنا
يوم القيامة ثم يفتح يقضي ويحكم بيننا بالحق من غير ظلم ولا ميل وهو الفتاح الحاكم العدل
العليم بعلم المحق من المبطل وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخلها ولا الجنة واولئك
النار **قوله تعالى** قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم
قل يا محمد لهؤلاء المشركين اروني الذين الحقتموهم اي الاصنام به بالله شركاء اراد ان
يريهم الخطاب العظيم في الحاق الشركاء بالله سبحانه وتعالى وان يقايس على اعينهم بينه وبين
اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما ابطله
بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش
غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله تعالى هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم
به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله
احد **قوله تعالى** وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون   لما بين ادلة التوحيد واحالة الشرك شرع في الرسالة وما ارسلناك الا كافة
عامة للناس بشيرا ونذيرا كلهم العرب والعجم وساير الامم وقيل الا كافة للناس الا رسالة عامة
لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا
للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية
والعلامة قال صاحب الكشاف ومن جعله حالا من المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا
الخطاء ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ

الثاني فلا بد له من ارتكاب الحطابين وقيل معناه كافة للناس يكفهم عما هم عليه من الكفر ويدعوهم
الى الاسلام والهاء فيه للمبالغة بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون لما قال قل يجمع
بيننا ربنا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل يا محمد لهؤلاء المشركين لكم ميعاد
يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي هذا موقت بيوم لا يعرفكم بأخرى فانه كائن
لا محالة قيل ميعاد يوم هو يوم الموت عند النزع والسياق وقيل يوم القيمة والميعاد ظرف الوعد
من مكان او زمان وهو هاهنا الزمان واضافته الى اليوم للبيان كما تقول لك سحق ثوب
وبعر سانية قال صاحب الكشاف فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن
ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال
على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا
تقدما عليه **قوله تعالى** وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين
يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة
لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون
لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القرآن المنزل عليك لان القرآن مشتمل على الكل ولا بالذي بين يديه ما نزل قبل القرآن
من كتب الله تعالى روي ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب
الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن
من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن حالهم في مآلهم فقال عز وجل
ولو ترى يا محمد او اي مخاطب اذ الظالمون اي المشركون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى
بعض القول يتلاومون ويحاور بعضهم بعضا وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم
لرأيت العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين استكبروا اي المستكبرين
الرؤوس المقدمين المتبوعين لولا انتم لكنا مؤمنين اي لولا دعاؤكم الى الكفر لكنا مؤمنين اي لولا دعاؤكم

الى الكفر

الى الكفر لكنا مؤمنين مصدقين بما جاء به قال الذين استكبروا انحن صددناكم عن الهدى اولي الاسم اي نحن
حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا
بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا نحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين
بعد اذ جاءكم الهدى بل كنتم مجرمين اي بل انتم بانفسكم كفرتم اذ لم يكن لنا عليكم من سلطان واذ
واذا وان كانت من الظروف اللازمة للظرفية وقعت اذ مضافا اليها لانه قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره واضيف اليها الزمان اي بعدما اضيف الزمان الى الجملة في قولك جئتك بعد اذ جاء
زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا لما
انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم عن الهدى ان يكونوا هم السبب في كفرهم واثبتوا بقولهم
بل كنتم مجرمين ان ذلك من انفسهم كر عليهم الذين استضعفوا وقال الذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار فابطل الذين استضعفوا اضراب الذين استكبروا باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام
من جهتنا بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار
مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه كما اضيف
المكر الى المفعول به وقيل جعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي ذكر كما قال الذين استكبروا
بغير عاطف لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق
الاستئناف وذكر وقال الذين استضعفوا بالعطف لانه كلام آخر للمستضعفين حريته
يعطف على كلامهم الاول واسروا الندامة الضمير للظالمين في قوله اذ الظالمون موقوفون
السائل للذين استضعفوا على ضلالهم واتباعهم المضلين ويندم الذين استكبروا على ضلالهم
واضلالهم واسروا الندامة لما رأوا العذاب قيل معناه اخفوها لان الندامة في القلب
وقيل اظهروها وهو من الاضداد اي ظهرت اثار الندامة على اسرة وجوههم وقيل
تعاتبوا سرا من قوله واسروا النجوى لما رأوا العذاب اي الجحيم وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي هل يجزى المشركون الا عملهم الذي هو جعلهم لله اندادا
كان الجزاء دين قضي ويجوز ان يكون بعدي هل يجزون الا ما كانوا يعملون بحذف الجار وجواب
لما محذوف **قوله تعالى** وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل
ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما ارسلنا في قرية
من القرى من نذير ينذرهم الا قال مترفوها منعموها انا بما ارسلتم به بزعمكم كافرون

جاحدون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لقي من قومه من التكذيب والكفر
بما جاء والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المومنين
والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل
قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكادوه نحو ما كاد اهل
مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا
واعتقدوا انهم لو لم يكونوا على الله بمكان لما رزقهم ولولا ان المومنين هانوا على الله تعالى لما حرمهم فعلى
قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا
وقد ابطل الله حسابهم فقال قل يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اختبارا او ابتلاء لا لكرامة
لمن يعطيه على حسب مشيئته فربما وسع على الكافر وضيق على المومن وربما عكس وربما وسع عليهما
وربما ضيق عليهما وليس يدل ذلك على العواقب والمنقلب ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لا يدل
على العواقب والمنقلب **قوله تعالى** وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون والذين
يسعون في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم بين فساد استدلالهم بقوله
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني قولكم نحن اكثر اموالا واولادا فنحن احسن
عند الله حالا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله وما اموالكم اي وما جماعة اموالكم
ولا اولادكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك لان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم
التانيث عندنا زلفى اي لا تقربكم عندنا منزلة ولا درجة والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها
النصب اي تقربكم قربة كقوله وانبتكم من الارض نباتا الا من امن استثناء من كم في تقربكم والمعنى
ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا
الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وقيل الا استثناء منقطع اي لكن من امن
وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف فعلى هذا فاولئك لهم جزاء الضعف خبر من امن وقيل يحتمل
ان يعد راموا الا بعدا لا اي وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم الا اموال من امن واولاده فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فاولئك لهم جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم
حسناتهم الواحدة عشرا وهم في الغرفات امنون وقرا حمزة في الغرفة على واحدة والباقون في الغرفات
امنون والذين يسعون في اياتنا في ابطال اياتنا وحجتنا وكتابنا معاجزين سابقين معاندين معادين

يحسبون

يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم ويعجزوننا اولئك في العذاب محضرون قل يا محمد للمشركين ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي المومنين ويقدر له وليس هذا تكرارا فان الاية للكفار
وهذه للمومنين وقيل الاولى معناها توسع على واحد وتضيق على اخر والثانية معناها يوسع على من
يشاء من عباده اي المومنين ويقدر له وليس هذا تكرارا فان الاية للكفار وهذه للمومنين وقيل
الاولى معناها يوسع على من يشاء من عباده وان يشاء يضيق عليه من بعد التوسعة فالاولى في
شخصين وهذه في شخص الا ترى الى قوله ويقدر له وقيل يقدر له الاولى من قوله قدر عليه رزقه
اي ضيق وهذه من القدرة هي الاستطاعة وقيل ويقدر على ان يخلف عليه اذا انفقه في سبيل
الله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي
هي كنز لا ينفد واما اجلا بالثواب الذي كل خلف دونه سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا
تقتير فهو يخلفه الكلبي فما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير والبر من نفقة فهو يخلفه اما ان
يعجله في الدنيا واما ان يدخره له في الاخرة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لي انفق انفق عليك عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي
مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي اخر ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفا وينادي
مناد اللهم هب للممسك تلفا وينادي مناد ليتهم اذ خلقوا فكروا فيما خلقوا له روي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال لصهيب رضي الله عنه انك رجل لا تمسك شيئا قال اني سمعت
الله يقول وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما انفق المومن من نفقة فعلى الله
خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية قيل ما يعطي الشاعر وذا اللسان المتقى هو الذي
يقي الرجل به عرضه مجاهد اذا كان في يد احدكم شيء فليقتصد ولا يتاول بهذه الاية وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه فان الرزق مقسوم ولعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الاية ما كان من
خلف فهو منه وربما انفق الانسان ماله اجمع في الخير ثم بزل عائلا حتى يموت ولكن ما كان من خلف فهو
منه عن ابي امامة انكم لتتاولون هذه الاية على غير تاويلها وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا
وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فقه المرء رفقه في معيشته وهو خير الرازقين قيل انما جاز الجمع لانه يقال رزق السلطان
الجند وفلان رزق عياله كانه قال وهو خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من
سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله على ايدي هؤلاء

وهو خالق الرزق وخالق المرزوق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعض السلف الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهٍ لا يجد وواجد لا يشتهي ٥ **قوله تعالى** ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون لما بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدمه من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم يحشرهم جميعا اي المكذبين بك ومن تقدمك ثم نقول للملائكة اهؤلاء يعني بني مليح لانهم زعموا انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقيل يعني المشركين فان غاية ما يرمي الله منه لنبيهم انهم يقولون نحن نعبد الملائكة اياكم كانوا يعبدون وهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للعابدين قال صاحب الكشاف وارد على المثال السائر اياك اعني واسمعي يا جاره ونحو قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم الله كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السوال الوارد على طريق التقرير والمقصود ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتوبيخهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفًا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتصر عليه قالوا سبحانك اي قال الملائكة سبحانك فنتبراء الملائكة فنقول سبحانك تنزيها لك ان نعبد غيرك معك انت ولينا ربنا ومعبودنا ونحن العابدون والعابد لا يستحق ان يعبد وقيل معناه اتخذناك وليًا واتخذنا اولياء فانت ولينا ونحن اولياوك ونحن لم نتخذهم ولا اولياء فليس يساوليه وان زعموا انهم اتخذونا اولياء لان الولاية تكون من الجانبين قال صاحب الكشاف والموالاة خلاف المعاداه ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدوى وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعًا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكافرين براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان بهذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون ابليس وذريته واعوانه في معصيتك فجعلوا طاعتهم في عبادة غير الله عبادة لهم وقيل ابليس والجن صورت لهم صُوَرَ قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها فكانوا يعبدون الجن على زعم انهم الملائكة وقيل انهم عبدوا الملائكة بامر الجن فلما عبدوهم بامرهم فكانهم عبدوا من امرهم بذلك وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم اي اكثر الانس بهم بالجن مومنون مصدقون **قوله تعالى** فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب

النار التي كنتم بها تكذبون ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فالسلام اي يوم نحشرهم لا يملك بعضهم لبعض نفعًا شفاعة ولا ضرًا ولا عذابا فان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضادون ويتساعدون والمراد انه لا ضار ولا نافع الا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ويقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك واراد بالذين ظلموا الكفار المنكرين للمعاد يدل على ذلك قوله ذوقوا عذاب النار الذي كنتم بها تكذبون وقيل يقول قبله تقديره ونقول ذوقوا عذاب النار فهو امر في معنى الخبر كما في قوله سيروا فيها وقيل يقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب النار **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اراد ان بين فساد اعتقادهم وشدة عنادهم فانه بين ان اعلام من يعبدونه الملائكة وهي لا تتاهل للعبادة كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية لنا لان نكون معبودين لهم ولا نفع ولا ضر كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاما من التوحيد وتلى عليهم ايات الله الدالة عليه فان لله في كل شي ايات دالة على وحدانيته انكروها وقالوا ما هذا الا رجل يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم ويصير لذلك سيدكم وقالوا ما هذا يعني القران الا افك مفترى كذب مضاف الى الله ليس من عنده تعالى وهذا الكلام قال المشركون بعضهم مع البعض وقال الذين كفروا للحق اي امر النبوة كله ودين الاسلام لما جاءهم ان هذا اي الحق الا سحر مبين ظاهر لا يخفى فمن جعلوه افكا مفترى ومن جعلوه سحرا قيل يجوز ان يكون الرمي بالافك من قول الروسا المتبوعين والرمي بالسحر من قول الاتباع لافتراق اللفظين ويحتمل انهم كانوا يقولون القران في نفسه سحر عجيب للناس من محمد اضافه الى الله عز وجل قال صاحب الكشاف وما في اللاميين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في اللام من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه قال وقال اوليك الكفرة المتمردون بجرهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوا ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضا على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرًا ٥ **قوله تعالى** وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير تاكيد لبيان تعاندهم يعني يقولون عند ما يتلى عليهم الايات بينات هذا رجل افترى وما هذا

القوا الا افك مفترى من غير كتاب يدرسونه ولا رسول ارسل اليهم والايات البينات لا تعارض
الا بالبراهين العقلية وما عندهم كتاب ولا رسول غير مجرد التقليد الباطل يستحيل رد الايات
البينات وقيل وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم
نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
وقيل وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا ارسال
رسول كما اما اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا
شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى
رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم من الامم والقرون الخالية
كما كذب هؤلاء المشركون وما بلغ هؤلاء المشركون معشار عشر ما اتيناهم يعني ما كذبه الامم الخالية
من القوة والنعمة وطول العمر وكثرة الاموال حين كذبوا رسلهم فكيف كان نكيري انكاري وتغيري
عليهم بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم فيه مستظهرون فما بال هؤلاء لا يحذر
كفار مكة هذه الامة عذاب الامم الخالية **قوله تعالى** قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
ذكر الاصول الثلاثة في هذه الاية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلائل قل يا محمد لهؤلاء المشركين
انما اعظكم واوصيكم بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد
بقيامهم لله اي لاجل الله اما القيام على مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم
عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة
مثنى اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق
وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في
امر محمد وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما حاصل فكره على صاحبه وينظران
فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر
الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير اكابرها
ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادة العقلاء ومجاري احوالهم لان الناظر تتجلى له
الشبهة احيانا منفردا واحيانا يستعين بغيره فيما يحتمل ان يكون ذاهبا عن ذلك الصواب فيه
وانما وجب تفرقهم مثنى وفرادى لان الاجتماع فيما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية
ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة
المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان يبدأ الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة

جميعا

جميعا الا يتصدى لادعا مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز
بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل لبيب راجح العقل مرشح للنبوة مصطفى
مجتبى من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى
شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم
ذهنا وافضلهم رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان
مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه
بان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
ما بصاحبكم يجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ويجوز ان يكون كلاما مستانفا
تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد لما ذكر انه ما به من
جنة لئلا يلزم منه كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه انه نبي اذ لم يكن مجنونا لان من يرتكب ما فيه
مشقة وعناء شديد لا لغرض دنيوي اذا لم يكن ذلك فيه ثواب اخروي يكون مجنونا فالنبي صلى الله
عليه وسلم بدعواه النبوة يجعل نفسه في معرض الهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعاديه ولا يسالهم
اجرا في الدنيا فهو يفعله للاخرة والكاذب في الاخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه
ليس بمجنون فهو نبي صادق قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما سالتكم من اجر على تبليغ الرسالة والنصيحة
فهو لكم اي ما سالتكم لكم كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا
ولكنه يريد البتة لتعليقه الاخذ بما لم يكن وقيل معناه الذي سالتكم من اجر نفعه راجع اليكم وهو
ان تقبلوا مني ما يحيون به لا اسالكم اجرا سوى هذا وقيل يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسالكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان
اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة انتظمته واياهم
فهو خير لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سالتكم من اجر تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح
الله من رحمة وهو على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على تبليغ الرسالة وعلى
نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء **قوله تعالى** قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب قيل معناه قل يا محمد لهم ان ربي يقذف بالحق
ويلقيه الى المحقين فلها تعلق بما قبلها من حيث انه تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد واكده بقوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة

المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه كما قال تعالى عنهم أانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سوال باطل يذكر عليه وهو ان من يفعل شيئا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد لغيره لا يكون عالما وانما ذلك فعل اتفاق كما اذا اصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب الامور فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله العاجز الغافل عن العواقب وهو علام الغيوب وقيل معناه انه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى تعلق الاية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم دحضت قال ان ربي يقذف بالحق الذي من على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه فيه معنى لطيف وهو ان البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب اي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه لان الله علام الغيوب وقيل ان ربي يقذف يرمي ويأتي بالحق بالوحي ينزله من السماء فيقذفه الى الانبيا علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف قل يا محمد لهما ولا المشركين جا الحق يعني القران والاسلام وقال الباقر يعني السيف وما يبدئ الباطل وما يعيد يعني ذهب الباطل وزهق فلم يبق له بقية يبدئ بها ولا يعيد كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قال صاحب الكشاف الحق اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك والمعنى جاء الحق وهلك الباطل لحسن وما يبدي الباطل وهو كل معبود من دون الله تعالى لاهله خيرا في الدنيا وما يعيده بخير في الاخرة مادة الباطل ابليس احدا ولا يبعثه ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد وقيل اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام المنشئ والباعث هواه وقيل الشيطان باطل لانه صاحب الباطل ولانه هلك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل يا محمد لهما ولا المشركين ان ضللت ان اخطات عن الحق والرشاد كما تزعمون فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فبوحي الله وتوفيقه انه سميع قريب سميع دعاي فاستجاب بفضله قال صاحب الكشاف فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان لو قال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل لنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كلما عليها

فهو بها

فهو بها يعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها تعالى وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقه كان غيره اولى به انه سميع يسمع كل ضال ومهتد ويسمع اذا ناديته واستعديت به عليكم قريب يأتيكم من غير تأخير ليس كمن يسمع عن بعيد ولا يلحق الداعي **قوله تعالى** ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب جواب ولو ترى محذوف اي ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو ترى اذ فزعوا من عذاب الدنيا قيل وقت الموت وقيل يوم بدر وقيل وقت البعث وقيام الساعة فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه فلا نجاة واخذوا من مكان قريب يعني بعذاب الدنيا وقيل من الموقف الى النار اذا بعثوا وقيل من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا وقيل من صحرا بدر الى القليب وقيل من تحت اقدامهم اذا خسف بهم بالبيداء عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون من اهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون اكثر من ثلثة الاف ويبقرون بها اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلثة ايام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله عز وجل عليهم جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله تعالى في سورة سبا ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الاية فلا ينفلت منهم الا رجلان احدهما بشير والاخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين واخذوا من مكان قريب لانهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يعجزون عنه ولا يفوتونه قال صاحب الكشاف ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه واخذوا عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا **قوله تعالى** وقالوا امنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

وقالوا اى كفار مكة حين عاينوا العذاب فى الدنيا او فى الاخرة وقت الياس امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة وانى من اين لهم التناوش متناول سهل التنى قريب اى من اين لهم تناول التوبة ونيل ما يتمنون الرد وليس بحين رد وهذا تمثيل اطلابهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المومنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشىء من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع ساولا سهلا لا تعب فيه قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وخلف التناوش بالمد والهمز همزت الواو المضمومة كما همزت فى وجوه وادؤر وعن ابى عمرو التناوش بالهمزة التناول من بعد من قولهم ناشت اذا ابطات واخرت قال الشاعر
تمنى ناشئا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور
والباقون بغير همز من التناول يقال نشته نوشا اذا تناولته قال الراجز
فهى تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا
وتناوش القوم فى الحرب اذا تدانوا وناش بعضهم بعضا وقد كفروا به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل نزول العذاب ويقذفون بالغيب من مكان بعيد عطف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية اى ويرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بالغيب بالظنون لا باليقين وهو قولهم ساحر بل كاهن بل شاعر هذا قول مجاهد وقال قتادة يعنى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شىء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شىء من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وحيل بينهم قرأ ابن عامر والكسائى وحيل بينهم وسيق الذين باشمام الضم للحاء والسين والباقون بالفتح وبين ما يشتهون يعنى الايمان والتوبة وقيل ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار والفوز بالجنة وقيل ما يشتهون من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم من قبل حين امنوا اعلاف الياس يعنى الامم المهلكة وقيل اصحاب الفيل انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريبة مبالغ فى الشك كما تقول عجب عجيب وقيل فى شك موجب لصاحبه ما يوبه من مكروه قال صاحب الكشاف مريب اما من اراب اذا اوقعه فى الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما قريبا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من الشك كما تقول شعر شاعر

سورة الملائكة مكية

وهى ثلثة الاف وماية وثلثون حرفا وسبعماية وسبعة وسبعون كلمة وست واربعون اية

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى اعرابيان فى بير فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها جاعل الملائكة رسلا يرسلهم الى الانبياء والى ما شاء من الامور اولى اجنحة اى اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع صفات الاجنحة والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اى لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثا ثلاثا وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد فى الخلق ما يشاء ابن عباس يزيد فى خلق الملائكة الاجنحة الحسن ومقاتل يزيد فى الاجنحة ما يشاء قال صاحب الكشاف يزيد فى خلق الاجنحة وفى غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدها بقوة او لعله لغير الطيران وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام له ستماية جناح ابن شهاب يزيد فى الخلق ما يشاء حسن الصوت وقيل الوجه الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وقيل الملاحة فى العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الراى وجراءة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة فى الكلام وحسن تأت فى مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف **قوله تعالى** ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم لما بين كمال القدرة ونفوذ المشيئة ونفاذ الامر قال ما يفتح الله للناس من رحمة نعمة فلا ممسك لها لا يستطيع احد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده استعير الفتح للاطلاق والارسال شاهده قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعنى اى شىء يطلق الله من رحمة اى من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها وتنكير رحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واى شىء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه والضمير فى لها وله راجع فى الحالين الى ما المتضمن معنى الشرط وهما لغتان الحمل على المعنى كما فى لها وعلى اللفظ كما فى له والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على اصل التذكير

ويحتمل ان يكون تفسيرا ثانيا مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل
ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت
غضبه من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد هداية الله وقوله
فباي حديث بعده بعد اياته وهو العزيز القادر الغالب على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل
ويمسك كما يشاء **قوله تعالى** يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق
غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك والى الله ترجع الامور لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب
الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال فامرهم بذكرها وليس المراد بذكر النعمة ذكرها
باللسان فقط بل به وبالقلب وحفظها عن الكفران وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة
موليها فالخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله عن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة
الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله
العافية هل من خالق غير الله قرا حمزة والكسائي مع كثرتها على قسمين نعمة الايجاد فقوله هل من خالق
اشارة اليها ونعمة الابقاء فقوله يرزقكم اشارة اليها ثم بين انه لا اله الا هو لا خالق غيره ولا رازق
الا هو ثم قال تعالى فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن الظاهر فكيف تشركون المخلوق بمن له ملكوت
وهذه حجة على القدرية لانه تعالى نفى خالقا غيره وهم يثبتون معه خالقين كثيرين قال صاحب الكشاف
فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا
رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدا بعد قوله
هل من خالق غير الله بعد من هل يرزقكم من خالق غير الله يرزقكم فان قلت هل فيه دليل على ان
الخالق لا يطلق على غير الله قلنا نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدا وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة
واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض
وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن
الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها
كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت
بقولك ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الشرك فان يكذبوك ثنى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فنعى
به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة

المصدق

المصدق بالثواب والمكذب بالعقاب **قوله تعالى** يا ايها الناس ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر يا ايها الناس ان وعد الله
بالحشر والبعث والجزاء والثواب والعقاب حق صدق كائن لا خلف فلا تغرنكم فلا يخدعنكم الحياة الدنيا
والبقاء فيها ولا يذهلنكم التمتع والتلذذ بما فيها عن العمل للاخرة فانها عن قريب زائلة ولا يغرنكم بالله
الغرور اي الشيطان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله
غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة ان الشيطان لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر
ما يمنع العاقل من الاغترار فقال ان الشيطان لكم عدو يسعى طاقته في فسادكم ولا يبغي صلاحكم
اخبرنا الله ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم عليه السلام
وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا
مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرق منه في العداوة وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم بحاله فاتخذوه عدوا عاملوه معاملة الاعداء ولا تطيعوه ولا تقبلوا قوله
في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم انما يدعو
حزبه اي غرضه من دعاية اتباعه ان يكونوا من اصحاب السعير انه تعالى لخص مرامه وخطا
من اتباعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة حزبه وشيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد
الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا ثم كشف الغطاء وقشر اللحا ليقطع
الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير اي من اجاب الشيطان حين دعاه وكفر بالله فله عذاب
شديد لانه صار من حزبه والذين امنوا وعملوا الصالحات فلم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه لهم
مغفرة لذنوبهم واجر كبير في الجنة **قوله تعالى** افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله
عليم بما يصنعون لما بين حال الذين كفروا وحال الذين امنوا وعملوا الصالحات وما من
احد يعترف بانه عمل سيئا الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي
تبع الشيطان وهو محمد وقومه الذين استهوتهم الجن فاتبعوها والذي له الاجر العظيم
نحن الذين كنا على ما كان عليه اباؤنا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم افمن زين له سوء
عمله اي شبهه وموه عليه وحسن له سوء عمله اي قبحه فراه حسنا اي زين له ذلك الشيطان

بالوسواس ونفسه تميله الى الشبهة وترك النظر في الحجة المودية الى الحق وبخلق الله ذلك في قلبه
كمن لم يومن له سوء عمله وراى الحق حقاً والباطل باطلاً فيكون المشبه به محذوفاً نظير قوله افمن
هو قايم على كل نفس وقوله امن هو قانت اناء الليل فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل
معناه افمن زين له سوء عمله فاضله الله تعالى كمن هداه دليله قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وقيل فيه تقديم وتاخير مجازه افمن زين له سوء عمله فراه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فان الله يهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ومعنى الاية لا تغتم
بكفرهم وهلاكهم اذا لم يومنوا نظيره قوله فلعلك باخع نفسك حسرات مفعول له يعني فلا تهلك
نفسك للحسرات وعليهم صلة كما تقول هلك عليه حباً ومات عليه جزعاً وقيل عليهم بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق عليهم بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالاً كان كلها
صارت حسرات لفرط التحسر ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على صنيعهم قيل هم
اليهود عاندوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابليس وسوء عمله اغواؤه وقيل نزلت
في العاص بن وايل والاسود بن المطلب وقيل في ابي جهل **قوله تعالى** والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور
اسند الارسال والسوق الى الله تعالى وذكرهما بلفظ الماضي واسند الاثارة الى الريح
وذكرها بلفظ المضارع اما اسناد الارسال والسوق الى الله تعالى فعلى وجه الحقيقة واما
ذكرهما بلفظ الماضي فلان ما اخبر الله تعالى بوقوعه بمثابة الكاين الواقع واما اسناد الاثارة
الى الرياح فللمناسبة واما ذكره بلفظ المضارع فلحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب
وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع
تميز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شراً باني قد لقيت
الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجران
لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي يتشجع فيها بن عمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها
ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق
السحاب الى البلد الميت واحيا الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلايل على القدرة الباهرة
قيل فسقنا واحيينا معدولاً بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه كذلك
الكاف في محل الرفع اي مثل احيا الموات نشور الاموات روي انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلاً ثم
مررت به يهتز خضراً قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك اية الله في خلقه وقيل يحيي الله الخلق

عارسله

عارسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق **قوله تعالى** من كان
يريد العزة فلله العزة جميعاً اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون
السيات لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو يبور كان الكافرون يتعززون
بالاصنام كما قال الله عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزاً والذين امنوا
بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً فبين ان لا عزة الا لله
ولاوليايه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين فرد الله تعالى عليهم بقوله من كان يريد العزة
اي من اراد ان يعلم لمن العزة بالحقيقة فان العزة لله ومن اراد ان يكون في الدارين عزيزاً
فليطع الله فان العزة لله جميعاً موضعه استغناء به لدلالته عليه لان الشي لا يطلب
الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قوله من اراد النصيحة فهي عند الابرار يعني فليطلبها
عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعاً ان العزة كلها مختصة
بالله عز الدنيا وعز الاخرة ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اليه اي الى الله تعالى ومعناه الى محل القبول
والى حيث لا يملك فيه الحكم الا الله عز وجل وهو كما يقال ارتفع امرهم الى القاضي يصعد الكلم
الطيب يعني لا اله الا الله وكل ذكر مرضي لله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها
ملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل فاذا لم يكن معه عمل صالح لم تقبل منه والعمل
الصالح يرفعه اي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فلا يقبل القول الا بالعمل الحسن وقتاده
الكلم الطيب ذكر لا اله الا الله والعمل الصالح اداء فرايضه فمن ذكر الله ولم يود فرايضه رد
اليه كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال
فمن قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ذلك بان
الله عز وجل يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ودليل هذا التاويل قوله صلى
الله عليه وسلم لا يقبل الله قولاً بلا عمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً الا بنية وجاء في الخبر طالب الجنة
بلا عمل ذنب من الذنوب وفي هذا المعنى يقول الشاعر

لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعاله
فاذا وزنت مقاله بفعاله فتوازنا فاخا مذاك جماله

ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس

بلادة وقيل معنى يرفعه يجعله رفيعا ذا قدر وقيمة كما تقول ثوب رفيع ومرتفع وقيل العمل الصالح
الخالص يعني ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والاعمال دليله قوله تعالى فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اى خالصا ثم قال ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح
الشرك والرياء وقيل معناه الكلم الطيب يرفع العمل فلا يرفع ولا يقبل عمل الا ان يكون صادرا عن
التوحيد وقيل معناه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الله والذين يمكرون السيئات
قال صاحب الكشاف فان قلت قوله مكر غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات
قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا
المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة
وتداولوا الراي في احدى ثلث مكرات يمكرونها رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله
او اخراجه كما حكى الله تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
لهم عذاب شديد دائم في الاخرة ومكر اولئك اى الذين يمكرون السيئات اى مكر اولئك الذين يمكرون
تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد وقيل يضيع دون مكر الله بهم حين اخرجهم
من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله **قوله تعالى**
والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير لما ذكر دلايل الافاق من
السموات وما يرسل فيها من الملائكة الارض وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلايل الانفس
ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا قتاده زوج بعضهم
بعضا قيل ثم لترتيب الاخبار وقيل ثم قدر خلقكم من النطفة ثم لم يكن ذلك الا بالتزويج فجعلكم
ازواجا وما تحمل من انثى اى ولدها في بطنها ولا تضع الا بعلمه تعالى في موضع الحال اى الا معلومه
له قال الامام اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم
حاله احد كيف هو والام الحاملة لا تعلم منه شيئا وما يعمر من معمر فيبلغ الهرم والكبر قال
صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه
معمرا بما هو صاير اليه فان قلت الانسان اما معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما ان
يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من
الكلام المسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تشديدهم معناه بعقولهم وانه
لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله

عبدا

عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائى وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول
عمر الانسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة
وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين
فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله
عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله
بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم
يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة
والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة الا في كتاب من عباس في لوح محفوظ ويجوز ان يراد بكتاب
الله علم الله او صحيفة الانسان **قوله تعالى** وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ
شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير اكثر المفسرين على ان المراد من الاية ضرب المثل في حق الكفر
والايمان والكافر والمومن وما يستوي البحران هذا عذب طيب فرات اعذب العذب سايغ
مرئ سهل الانحدار لعذوبته هي شرابه وهذا ملح اجاج يحرق بملوحته قال صاحب الكشاف ثم
قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من عطايه ونعمته ومن كل واحد من
البحرين تاكلون لحما طريا شهيا يعني السمك وتستخرجون من الملح دون العذب حلية يعني
اللولو والمرجان وقيل تخرج اللولو منهما لان في الملح عيونا عذبة تخرج اللولو عند التمازج
وينعقد وقيل ينعقد من ماء السماء وقيل لا بد من عيون الملح والعذب حتى يمكن اخراجهما وقيل
انما نخرجان من العذب تلبسونها يتخذ منها وكم منها ملابس وترى الفلك فيه في كل مواخر سواقي للماء
بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت
منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقسره كما تمخره وقيل وترى الفلك فيه مواخر
جواري تقاتل هوا ان ترى سفينتين احدهما مقبلة والاخرى مدبرة وهذه تستقبل تلك وتلك
تستدبر هذه تجريان بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما

قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم تشكرون على فضله اذا نجاكم من هوله قال صاحب الكشاف ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم مبتدا الله ربكم له الملك اخبار مترادفة وقيل الله ربكم خبران له الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقيل يجوز في حكم الاعراب ايقاع الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى ياباه ان تدعوهم اي الذين تدعون من دون الله يعني الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية فانه لا لسان لهم وقيل معناه ما اجابوكم الى ملتمسكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم يتبرؤن منكم ويقولون بل كانوا يعبدون الجن وقيل ما يظهر من الاصنام ما يدل على بطلان كلام الكفار بمنزلة النطق منها بالبراءة كما قيل دلالتها على التوحيد تسبيحها ولا ينبئك ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد به ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين له والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز لما كثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام واصرار الكفار على الكفر والامتناع قالوا لعل الله يحتاج الى عبادتنا حتى يامرنا امرا بالغا ويهددنا على تركها تهديدا شديدا فقال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله انتم مبتدا الفقراء خبر وانما عرف الخبر مع ان اصله التنكير لانه قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين الى الله من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء الى الله في الدنيا ليرزقكم وفي الاخرة ليغفر لكم والله هو الغني عن خلقه الحميد ذكر الحميد ليدل على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم ان يشأ يذهبكم بان يعدمكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على

مشيته

مشيته فانه غير محتاج الى ابقايكم ويأت بخلق جديد زيادة بيان لغنائه اي ان كان يتوهم ان ابقاء الخلايق لكمال الملك وعظمته فلو اذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمله واتم واكمل ثم قال وما ذلك الاتيان والاذهاب على الله بعزيز بممتنع قيل وهذا تهديد على كفار مكة وغضب عليهم لاتخاذهم اندادا وتعزيرهم بانه ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا **قوله تعالى** ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير لما بين الحق بالدلايل القاطعة والبراهين الساطعة وذكر ما يدعوهم الى النظر فيه قال ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس فالنبي صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعاءه لكان مذنبا وهو يعتقد انكم لا تحملون ذنبه فهو يتوقى ويحترز والله تعالى غني عن عبادتكم فلا تكفروا واعلموا انكم ان ضللتم لا يحمل احدكم وزركم وليس كما يقول اكابركم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الوزر الاثم والثقل والوازرة صفة للنفس والمعنى لا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى فان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال الاضلال مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم اثقالهم هي اثقال ضلالهم واثقالا مع اثقالهم اثقال اضلالهم الا ترى كيف كذبهم الله في قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وان تدع نفس مثقلة بذنوبها غيرها الى حمل اوزارها لا تحمل منه شيئا وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى يدل على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وقوله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء يدل على انه لا غياث يومئذ لمن استغاث من الكفار حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض حملها لم تجب ولم تغث ولو كان ذا قربى وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ام او ولد او اخ والمدعو وان لم يكن له ذكر لكن دل عليه وان تدع مثقلة وانما لم يذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو واستقام اضمار العام وان لم يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة لانه من العموم الكاين على البدل انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غايبين عن عذابه او يخشون عذابه غايبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله سرا وهم الذين اقاموا الصلاة اداموها في مواقيتها الخمسة وغاير اللفظين

مضارعه الاول ومعنى الثاني لان اوقات الخشية دائمة واوقات الصلوة معينة مقتضية
يعني انما يقدر على انذار هاولاء وتحذيرهم من قومك على تحصيل منفعة الانذار فيهم دون
متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى تطهر عن دنس المعاصي بالاعمال الصالحة فانما يتزكى لنفسه لان
ثواب ذلك له وهو اعتراض موكد بخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله
المصير وعد للمومنين بالثواب ووعيد للمشركين بالعقاب قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بسوم
القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع
فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم **قوله تعالى** وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء
وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة
الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير لما بين الهدى والضلالة
ولم يهتد الكافر وهدى الله المومن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمومن بصير حيث ابصر
الطريق الواضح والكافر اعمى والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يودي بال
اليه من الثواب والعقاب والاحيا والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا
فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور تكون بالليل والنهار
قال صاحب الكشاف فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي
قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت
شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر قيل وما يستوي الاعمى والبصير يعني العالم والجاهل ولا الظلمات
ولا النور يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وما يستوي الاحياء ولا الاموات
يعني المومنين والكفار وقيل الغاية في تكثير الامثلة هاهنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمات والنور
والظل والحرور والاحيا والاموات ان المومن بصير والكافر اعمى ثم البصير وان كان يبصر ولكن
لا يبصر شيئا ان لم يكن في ضوء فذكر الايمان والكفر مثلا وقال الايمان نور والمومن بصير والبصير
لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى فله ظلمات بعضها فوق بعض ثم ذكر مثالهما ومرجعهما مثلا
وهو الظل والحرور فالمومن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حرور ثم قال تعالى وما يستوي الاحياء
ولا الاموات مثلا اخر في حق المومن والكافر فوق الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير في ادراك
ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا انه تعالى اعاد الفعل حيث قال

اولا وما يستوي الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم اعاد الفعل فقال
وما يستوي الاحياء ولا الاموات وكرر كلمة النفي بين الظلمات والنور وبين الظل والحرور وبين الاحياء
والاموات ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك لان التكرير للتاكيد والمنافاة بين الظلمة والنور
والظل والحرور مضادة فالظلمة تنافي النور وتضاده والعمى والبصر كذلك واما الاعمى والبصير ليس
كذلك بل الشخص الواحد قد يكون اعمى بصيرا فهو بعينه بصيرا اعمى فالاعمى والبصير لا منافاة بينهما
الا من حيث الوصف والظل والحرور بينهما منافاة ذاتية لان المراد من الظل عدم الحر ولما كانت
المنافاة بينهما اتم اكد بتكرار النفي واما الاحيا والاموات وان كان كالاعمى والبصير من حيث ان الجسم
الواحد يكون حيا محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت لكن الاعمى والبصير يشتركان في ادراك اشياء
ولا كذلك الحي والميت وقدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحر واخر في مثلين وهو البصير والنور
وذلك لان الكفار قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم كالظلمة
ثم لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق فاهتدى به منهم قوم صاروا بصيرين وطريقهم كالنور
فقال وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعضهم الى الايمان فلما كان الكفر قبل
الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المومن قدم المقدم ثم لما ذكر المال والمرجع
قدم ما يتعلق بالغضب لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم ان
الكافر المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه
فقال وما يستوي الاحيا اي المومنين الذين امنوا بما انزل الله ولا الاموات الذين تليت عليهم الايات
البينات ولم يسمعوا بها وهولا كانوا بعد ايمان من امن فاخرهم عن المومنين قابل الاعمى بالبصير
والظل بالحرور بلفظ الواحد وقابل الاحيا والاموات بلفظ الجمع فيهما وقابل الظلمات بلفظ الجمع والنور
بلفظ الواحد لانه في الاعمى والبصير والظل والحرور قابل الجنس بالجنس ولم يتعرض للافراد لان في
العميان واولي الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين يساوي فردا من الجنس الاخر كالبصير الغريب
في موضع والاعمى الذي يرسله في ذلك الموضع قد يقدر الاعمى على الوصول الى المقصد ولا يقدر البصير عليه
او قد يكون الاعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البليد البصير فالتفاوت بينهما في الجنسين مقطوع
به فان حس البصير خير من حس الاعمى واما الاحيا والاموات فالتفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت
يساوي في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحيا لا يساوون الاموات سوى قابلت الجنس
بالجنس او قابلت الفرد بالفرد واما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو
طرق الاشراك على ما ذكر ان البعض يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي
على صور الملايكة الى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد ان الله

سميع ما يشاء فيهديه الى الايمان ولا تسمع من شاء اى لا يسمع فيضله فالكل بمشيئته تعالى وهذه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين انه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال هاولا لا تسمعهم لان الله
فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وما انت فلا تسمع من في القبور فما عليك من حسابهم من
شيء ان انت الا نذير بين انك ليس نذيرا من تلقاء نفسك انما انت نذير باذن الله وارساله انا
ارسلناك بالحق حال من احد الضميرين يعني محقين او محقا او صفة للمصدر اى ارسلناك مصحوبا
بالحق او صلة لبشير ونذير على معنى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ثم قال وان من امة الا خلا
فيها نذير حيث يعلم ان عيسى كان من النذارة مثله محتملا لادنى القوم وقيل نذيرا منهم يبلغهم والمراد بالامة
اهل العصر وفي الفترة بين عيسى وموسى صلوات وسلامه عليهما اثار النذارة باقية واذا كانت
اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان سد رس وحين اندرس اثار نذارة عيسى عليه السلام
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة دل ذكرها على ذكرها
لا سيما وقد اشتملت الاية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور
ولما كانت هذه الاشياء في جنس الرسل اسند المجي بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم
وهي الزبر والكتاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا بانواع العذاب
فكيف كان نكير انكاري بالعقوبة **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور
هذا استدلال بدليل اخر على وحدانية الله وقدرته ذكر على طريقة الاستخبار وما تقدم وهو قوله
والله الذي ارسل الرياح على طريقة الاخبار الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر وقيل الوانها من الحمرة
والخضرة والصفرة ونحوها ومن الجبال اى ومما خلقنا من الجبال جدد خطط وطرائق واحدتها جدة نحو
مدة ومدد يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان يفصلان بين
لوني ظهره وبطنه بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب معطوف على بيض كانه قيل ومن الجبال مخطط
ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب عكرمة هي الجبال الطوال السود قال صاحب الكشاف
فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حالك وهو الذي ابعد في السواد
واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه
ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة

والمؤمن

والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التاكيد حيث يدل على المعنى الواحد من
طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن
كما قال وغرابيب مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه بعني ومنهم بعض مختلف
الوانه كذلك اى كاختلاف الثمرات والجبال وتمام الكلام ههنا اى ومن هذه الاشياء مختلف الوانه
كاختلاف الثمرات ثم ابتدا فقال انما يخشى الله من عباده العلماء الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم
يعرف الله فيخشاه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لانه تعالى قال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم فتبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم والكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل نعم العالم
اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم لعمل وقيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي
الله عنه فانه ظهر من ابي بكر رضي الله عنه خوف حتى عرف فيه وكلم النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك فانزل الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وفي الحديث اعلمهم بالله اشدهم له خشية
مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعمله اتى رجل الشعبي فقال افتني ايها العالم
فقال الشعبي انما العالم من خشي الله وتقديم المفعول في هذا الكلام يفيد ان الذين يخشون الله من دون
عباده هم العلماء دون غيرهم اما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله فانه لما قال الم تر يعني الم تعلم ان الله انزل
من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما
يستدل به عليه وعلى صفاته اتبعه انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن هو
على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم
لله واعلمكم ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة المشركين وقهرهم واثابة
المؤمنين والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى **قوله تعالى** ان الذين يتلون كتاب
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله انه غفور شكور لما بين العلماء وخشيتهم وكراماتهم بسبب خشيتهم ذكر
العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم
وديدنهم وعن مطرف هي اية القراء وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن
السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطا هم المؤمنون واقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية روي انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ما لي لا احب الموت قال الك مال قال نعم قال قدمه قال لا استطيع قال فان قلب
المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتاخر معه يرجون تجارة تجارة
طلب ثواب بالطاعة ليوفيهم متعلق بلن تبور اى تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم

ينفقونها عند الله اجورهم وهو ما سمى الله لهم من الثواب ويزيدهم من فضله متعلق بقولهم
ليوفيهم اى ليوفيهم اجورهم من فضله لا باستحقاقه ويزيدهم قيل يجوز ان يجعل يرجون في موضع
الحال على معنى وانفقوا راجين ليوفيهم اى فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في
سبيل الله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وخبر ان الذين يتلون انه غفور شكور على
معنى انه غفور لهم شكور لاعمالهم اى مثيب لاعمالهم **قوله تعالى** والذي اوحينا
اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير لما بين الاصل
الاول الذي هو التوحيد بانواع الدلائل من قوله الله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله
المتان ان الله انزل ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة قال والذي اوحينا اليك من الكتاب اى القرآن
وحينئذ تكون من للتبيين او الكتاب الجنس وحينئذ تكون من للتبعيض هو الحق مصدقا حال مؤكدة
لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق اى موافقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب صادقة لان فيها الوعد
به وقيل مصدقا باعجازه دعوى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعباده لخبير بصير **قوله تعالى**
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اتفق المفسرون على ان المراد
من الكتاب القرآن والذين اصطفينا من عبادنا الذين اخذوا بالكتاب وهم المؤمنون والظالم
والمقتصد والسابق كلهم منه وقيل معناه انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اى حكمنا
بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم
امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر
الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل
الكتاب الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مرجئ وهو المرجى لامر الله وهو الذي
خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق من السابقين وقيل ان الله تعالى قدم ارساله في كل امة رسولا
وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله
فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض
بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اى من بعد اولئك المذكورين يريد الذين اصطفينا من عبادنا اهل الملة الحنيفية قيل ثم مردود
الى ما قبله من كتب الله في قوله لما بين يديه اى قبله من الكتب السالفة اى انزلنا تلك الكتب

ثم

ثم اورثنا هذا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز ان تكون ثم بمعنى الواو اى وعنه الميراث
لانه تأخر عن الميت ومعناه اخرنا القرآن من الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له وفي هذا
كرامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم اورثنا وقال لسائر الامم ورثوا الكتاب الاية يعني
القرآن الذين اصطفينا من عبادنا وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ثلاث طبقات
ورتبهم على ثلاث درجات فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه قيد اللفظ وعلق الظلم بالنفس فلذلك ساغ
ان يكون من اهل الاصطفاء مع ظلمه فان قيل ما وجه الحكمة في تقديم الظالم وتاخير السابق وانما تقدم
الافضل فالجواب عنه ان يقول انما اخر السابق لكونه اقرب الى الجنات والثواب وكما قدم الصوامع
والبيع في سورة الحج على المساجد التي هي افضل بقاع الارض لكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب
وكون المساجد اقرب الى ذكر الله ومنهم من قال انما فعل ذلك لان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشياء
بالذكر قدموا الادنى على الافضل كقوله تعالى ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم وقال يولج الليل
في النهار وقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال تعالى خلق الموت والحيوة وقيل قدم
الظالم لئلا ييأس من رحمته واخر السابق لئلا يعجب بعمله وقال جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا
انه لا يتقرب اليه بصرف كرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفائية ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف
والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص وقيل قدم الظالم لانه
لم يكن له شيء يتكل عليه الا رحمة الله تعالى فاعتمد على الله وتوكل على رحمته واتكل المقتصد على حسن ظنه
بربه واتكل السابق على حسناته وطاعاته محمد بن علي الترمذي الاصطفاء اوجب الارث لا الارث
اوجب الاصطفاء والاصطفاء جمع بين الظالم والمقتصد والسابق والظالم بنفسه على الظاهر
سابق في مدارك الاصطفاء لذلك قدمه وازال العلل عن العطايا ليصح النسبة ثم اجمع في الميراث
ابو بكر الوراق انما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان الاحوال ثلثة معصية وغفلة ثم
توبة وغفلة ثم توبة وقربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين
واذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة اتصل بالله ودخل في عداد السابقين عن ابي الدرداء
رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الاية فقال
اما السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه
فيحبس في المقام فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وروي ان
عثمان بن عفان رضي الله عنه تلى هذه الايات ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية
فقال سابقنا اهل جهادنا ومقتصدنا اهل حضرنا وظالمنا اهل بدونا وسئلت عائشة رضي الله
عنها عن قول الله عز وجل قالت كلهم في الجنة اما السابق في الخيرات فمن مضى على عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه
حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم جعلت نفسها مع السابقين مجاهد والحسن وقتادة فمنهم
ظالم لنفسه هم اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون
المقربون من الناس كلهم ساده وهذا في الدنيا على ثلثة منازل وعند الموت ايضا قال الله تعالى وكنتم
ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة الى قوله المقربون ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي
والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها
عايشة رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن
وقيل الظالم لنفسه الذي مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذي لم يصب كبيرة والسابق
بالخيرات الذي لم يعص الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له المحسن السابق من رجحت حسناته
والمقتصد من استوت حسناته وسياته والظالم الذي ترجح سياته على حسناته سهل بن عبد الله
السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وعنه ايضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد
الذي اشتغل بمعاده ومعاشه والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم طالب الدنيا
والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى وقيل الظالم المسلم والمقتصد المؤمن والسابق
المحسن وقيل الظالم المرائي في جميع افعاله والمقتصد من يكون اعماله بعضها رياء وبعضها اخلاصا
والسابق المخلص في افعاله كلها وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا كان او حراما والمقتصد من يجتهد
في طلب الحلال والسابق الذي ترك الدنيا جملة واعرض عنها ابو عثمان الحيري الظالم من وحد الله
بلسانه واطاعه بجوارحه واخلص له عمله وقيل السابقون الاولون هم المهاجرون الاولون
والمقتصدون عامة الصحابة التابعون ابن عطاء الظالم الذي يحبه من اجل الدنيا والمقتصد الذي
يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلبا ولا مرادا
لغلبة سلطان الحق عليه وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى
ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار
والمقتصد الذي يعبده طمعا في الجنة والسابق الذي يعبده لا لسبب وقيل الظالم الزاهد
والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي
يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة ورؤية المنة وقيل الظالم الذي اعطي فمنع
والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وقيل الظالم عامل والمقتصد طالب والسابق
واجد وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل
الظالم التالي للقرآن والمقتصد القارئ له العالم به والسابق القارئ لكتاب الله العامل بكتاب الله

العامل

العامل به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد
اذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيم وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب
ربه والسابق الذي يحبه ربه وقيل الظالم مريد والمقتصد مراد والسابق مطلوب وقيل الظالم
يدعو والمقتصد مادون له والسابق مقرب وقيل الظالم عيوف والمقتصد الوف والسابق
حليف ابن حبيب الظالم يصف ولا يتصف والمقتصد يصف ويتصف والسابق يصف
ولا يتصف ذو النون المصري الظالم الذي يذكر الله بلسانه والمقتصد الذي يذكره بقلبه
والسابق الذي لا ينسى ربه الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال
والسابق صاحب الاحوال ذلكما الاصطفاء وقيل السبق هو الفضل الكبير جنات عدن رفع بالابتداء
يدخلونها خبره وضمير الفاعل يعود الى الثلاثة وقيل يعود الى الذين اصطفينا وقيل الى المقتصد والسابق
لا جعل الظالم الكافر وقيل الى السابق وحده لان دخول ذلك معلوم قطعا قرأ ابو عمرو يدخلونها بضم الياء
وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء جمعهم الله في دخول الجنة عن اسامة بن زيد رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم ظالم لنفسه الاية قال كلهم في الجنة عن ابي عثمان النهدي
قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
الاية فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له قال صاحب الكشاف فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل
الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل
منزلة السبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد
التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك
الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق الحديث فان شرط ذلك صحة التوبة
لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع
من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع ومعنى باذن الله بتيسير الله وتسهيله
فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم
وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل يحلون فيها من حليت المراة فهي
حال ولؤلؤا معطوف على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه
بعض سابق لساير الابعاض كما سبق المسورون بهم غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولؤلؤا
بتخفيف الهمزة الاولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت حليته

حلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل افضل من حلية اهل الدنيا جميعًا وقالوا الحمد لله اي
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ابن عباس حزن النار عكرمة حزن الذنوب والسيئات وخوف
رد الطاعات وقيل حزن الموت وقيل حزن الجنة والنار لا يدري الى ايهما يصير الثمالي حزن الدنيا الضحاك
حزن ابليس ووسوسته دون حزن القطيعة الكلبي الحزن الذي يحزنا في الدنيا من امر يوم القيمة
وقيل حزن الحساب والعذاب وقيل حزن اهوال الدنيا واهوالها وقيل حزن زوال النعم وتقليب
القلوب وخوف العاقبة النضر بادي ما كان حزنهم الا تدبير احوالهم وسياسة انفسهم فلما نجوا
منها حمدوا او قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقد اكثروا حتى قال بعضهم
كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم وهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة
بمعنى الاقامة يقال امت اقامة ومقاما لا نبرح منها ولا نفارقها من فضله من عطائه وافضاله من قولهم
لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق
والتفضل كالتبرع وهذا كلام ساقط مخالف للعقل والنقل لا يمسنا فيها نصب وجع وتعب ولا
يمسنا فيها لغوب كلال واعياء وفتور عن الضحاك في قوله عز وجل الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم كانهم اللؤلؤ المكنون فيبعث الله ملكا من الملائكة
معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه فيريد ان يدخل الجنة فيقول الملك
كما انت فيقف ومعه عشر خواتيم من خواتيم الجنة فيلبسه هدية من رب العالمين فيضعها في اول
اصابعه مكتوب في اول خاتم منها طبتم فادخلوها خالدين وفي الثاني مكتوب فيها ادخلوها بسلام
ذلك يوم الخلود وفي الثالث مكتوب رفعت عنكم الاحزان والهموم وفي الرابع مكتوب زوجناكم الحور
العين وفي الخامس مكتوب ادخلوها بسلام امنين وفي السادس مكتوب اني جزيتهم اليوم بما صبروا
وفي السابع مكتوب انهم هم الفائزون وفي الثامن مكتوب صرتم امنين لا تخافون ابدًا وفي التاسع
مكتوب رافقتم النبيين والصديقين والشهداء وفي العاشر مكتوب في جوار من لا يؤذي الجيران
ثم يقول الملك ادخلوها بسلام امنين فلما دخلوا بيوتا قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الى
قوله لغوب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا
يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحًا غير الذي
كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يقضى عليهم بموت ثانٍ

مستريحوا

مستريحوا لانهم ماتوا موتة ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي اقرا ابو عمرو
بضم الياء وفتح الزاي ورفع كل على تسمية غير الفاعل والباقون بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب
كل وهم يصطرخون يستغيثون فيها ويدعون ويصيحون فيها افتعال من الصراخ ويقال للمغيث
صارخ وللمستغيث ايضا صارخ والصراخ الصياح بجهد وشدة الصرخة حبلى واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته ربنا يقولون ربنا اخرجنا من النار نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل فائدة زيادة
غير الذي كنا نعمل زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما وهم انهم يعملون صالحًا
اخر غير الصالح الذي عملوه فيحتمل بطهور حالهم في الكفر وارتكاب الشرك وقيل انهم كانوا يحسبون
انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعًا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني يجابون بقوله اولم نعمركم زمانا يتذكر فيه
من تذكر اي اطلنا اعماركم وجعلناه مدة يمكنكم التذكر فيها وفي الاعتبار قتادة والكلبي ثماني عشرة
سنة الحسن اربعون سنة ابن عباس ستون سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة نودي اين ابناء الستين وهو الذي قال الله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة
فقد اعذر اليه في العمر وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين
واقلهم من يجوز ذلك وقال صلى الله عليه وسلم معترك منايا امتي ما بين الستين الى السبعين
وما ساو لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم
وجاءكم النذير اي الرسول وقيل القران وقيل الشيب وجاءكم النذير عطف على معنى اولم نعمركم لان
لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير فذوقوا العذاب فما للظالمين
من نصير قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور
بعد الدوام العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ولا يزاد
عليها فلو قال قائل الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان لا ينبغي الا مثل تلك الايام فقال
تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر ان في
قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبده انه عليم بذات الصدور كالتعليل
لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها
وقيل عليم بذات الصدور فلا تضمروا فيها ما يكرهه سبحانه وقيل ان الله عليم بذات الصدور
فلو اخرجكم لعدتم الى ما كنتم عليه كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قوله تعالى
هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم

الا مقتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارًا قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابًا فهم
على بيّنة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضًا الا غرورًا تقرير لقطع حجتهم
فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه اشارة الى ان التمكين
والامهال مدة يمكن فيها التذكر وجاءكم النذير اى اعطاكم عقولا وارسلنا اليكم رسولا وآتينا العقول
بالدليل المعقول نادى على ذلك بقوله وهو الذي جعلكم خلائف يقال للمستخلف خليفة وخليف
فالخليفة يجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلائف في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ولا تكفروه ثم اوعد
الكفار فقال فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله
الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه
قيل لمن ينكح امرأة ابيه مقتى لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف
ما ينبغي ان يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتًا بغضا
هو اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارًا تبارًا وهلاكا وخسرانا بالجنة قل ارأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني بدل من ارأيتم لان معنى ارأيتم اخبروني كأنه
قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اى جزء من اجزاء الارض
استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شركة مع الله في خلق السموات والمعنى قل للمشركين ان خلقوا
شيئا من الارض او من السماء فاروني ام آتيناهم كتابًا ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم
شركاء فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب وقيل الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله وقيل ام انزلنا كتابا فيه ان لله شركاء وقيل ام آتيناهم كتابا باثبات الله
لا يعذبهم فيه فهم واثقون به بل ان يعد الظالمون اى ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا وهو
قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اى كفرهم عن تقليد محض ووعد كاذب

قوله تعالى

ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورًا لما بين الله تعالى ان لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على جزء من
الاجزاء بين ان الله تعالى قادر بقوله يمسك السموات والارض ان تزولا ويحتمل ان يقال
لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل على هذا قوله في آخر الآية ان الله

كان حليما غفورا اما ترك تعذيبهم الاحلما منه وان كانوا يستحقون اسقاط السماء وانطباق الارض
عليهم وانما اخر ازالة السموات بقيامه الساعة حلما ويحتمل الآية وجها آخر وهو ان يكون من باب
التسليم واثبات المطلوب على تقدير التسليم على الشفاعة ولا عبادة لهم وهب انهم فعلوا
شيئا من الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم
كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره لم يخلق
شيئا من الاشياء وان قال كافر بان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق ولا شريك له وكان الله حليما غفورًا
يغفر لمن تاب برحمته وان استحق العقاب وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لرجل مقبل
من الشام من لقيت به قال كعب قال وما سمعته يقول قال سمعت كعبا يقول ان السماء تدور في قطبة
مثل قطبة الرحى في عمود على منكب ملك فقال له عبد الله وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب
كعب ما ترك يهوديته بعد ان الله عز وجل يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولو كانت
تدور لزالت

قوله تعالى

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورًا استكبارًا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر
السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما
كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرًا ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرًا
لما بلغ قريشا ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم والله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا
لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورًا
اى ما زادهم مجيء الرسول الا نفورا تباعدا عن الحق اسناد الزيادة الى مجيء النذير اسنادا مجازيا لانه هو
السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارًا
بدل من نفورا وقيل استكبارا منصوب على انه مفعول له والمعنى فما زادهم الا نفورا استكبارا وعلوا
في الارض وقيل استكبارا حال يعني مستكبرين ومكر السيء معطوف على استكبارا اى تكبروا عن الايمان
ومكروا السيء في دفع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العمل القبيح وقيل هو اجماعهم على الشرك
وقيل السيء دار الندوة وقيل هما مصدران ويجوز ان يكون مكر السيء معطوفا على نفورا ومكر السيء
اصله وان مكروا السيء اى المكر السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه ولا يحيق المكر السيء الا باهله

ومعنى يحيط ويدل ولقد حاق بهم يوم بدر فقتلوا وفي الحديث ان كعبا قال لابن عباس قرأت في التورية من حفر حفرة وقع فيها فقال ابن عباس انا وجدت ذلك في القران ولا يحيق المكر السيء الا باهله وعن الزهري بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال الله تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه قرأ حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق والباقون باشباع الحركة فهل ينظرون ينتظرون يعني مشركي مكة الا سنة الاولين اي انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا اي ان عادة الله التي هي الانتقام من مكذبي الرسل لا يبدلها ولا يحولها اي ولا يغيرها وان ذلك الامر مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وقيل معناه اقرأوا القران فتعرفوا ما حل بمن قبلكم وكانوا اشد منهم من اهل مكة قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من احد في السموات ولا في الارض انه كان عليما بهم قديرا عليهم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها قيل اراد بالدابة الناس دون غيرهم وقيل على العموم بشؤم ذنوبهم قال قتادة وفي هذه الاية قد فعل الله بهم ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك الله ما على ظهرها من دابة الا ما حمل في سفينة نوح وقال ابن مسعود كاد الجعل يعذب بذنب ابن ادم وقيل يحبس عنهم المطر فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى معين قيل الى يوم القيمة فاذا جاء اجلهم اي ذلك المعين فان الله كان بعباده بصيرا فيؤاخذهم ويجازيهم وعيد بالجزاء ﴿٥﴾

سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية

وهي ثلاثة الاف حرف وسبعماية وعشرون كلمة وثلثة وثمانون اية وروى انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء قلبا وان قلب القران يس وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في القران سورة تشفع قاريها وتغفر لمستمعها وهي يس وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح وتصدق ذلك التجربة **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم قرأ حمزة والكسائي بامالة الياء في يس غير مفرطين والجمهور بالفتح ونافع وسط في ذلك عن سعيد بن جبير انه اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية

وعنه

وعنه ايضا بلغة طي عطا بالسريانية وابو العالية يا رجل والقران الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين قال صاحب الكشاف فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهب اليه من تميز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فالتنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه **قوله تعالى** تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون متعلق بالارسال اي ارسلت لتنذر قوما ما انذر اي لم ينذر اباؤهم في الفترة اي قوما غير منذر اباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير والمراد اباؤهم الاقربون فان اباءهم الابعدين اباؤهم المنذرون لا محالة وقيل ما موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على انه مفعول ثان لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقيل ما مصدرية اي لتنذر قوما انذار ابائهم فهم غافلون فعلى النفي متعلق به اي لم ينذر اباؤهم فهم غافلون على ان عدم انذار ابائهم هو سبب غفلتهم وعلى الاثبات متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذرهم غافلون كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل قال صاحب الكشاف فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين قلنا فقصة هذا ما في الاي الاخر قلت لا مناقضة لان الاي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم واباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت من احد المفسرين ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد اباؤهم الادنون دون الاباعد **قوله تعالى** لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون لقد حق القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم لانهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون على ان عدم ايمانهم مسبب عن تحقق القول عليهم **قوله تعالى** انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه واخبرهم بما فعل سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه وقالوا له ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون مغلولون واصل الاقماح غض

البصر ورفع الراس يقال بعير قامح اذا رفع راسه وغض بصره قيل هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل انما اراد منعناهم عن الايمان وعما ارادوا بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وفي الخبر ان ابا ذؤيب كان يهوى امراة في الجاهلية فلما اسلم راودته المراة واسمها ام مالك فراودته عن نفسه وانشا يقول

فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل ،،

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل ،،

اراد منعتنا موانع الاسلام عن تعاطي الزنا الشيخ عكرمة انا جعلنا في اعناقهم اغلالا يعني طاقات وضلالات كانوا فيها قال صاحب الكشاف مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله قيل كل هذا بفعل الله ومشيته فهي الى الاذقان اي الاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا قال صاحب الكشاف فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت من ان الضمير للاغلال والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج ه

قوله تعالى

وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قرا حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين في الموضعين والباقون بالضم فيهما فاغشيناهم اي فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وقيل فاغشيناهم فاعميناهم مجاهد فالبسنا ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون الحق والرشاد وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

قوله تعالى

انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم اي الجنة قال صاحب الكشاف فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة

بالانذار

بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون وهو القرآن او الوعظ الخاشعون ربهم

قوله تعالى

انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين لما بين الرسالة التي هي الاصل الاول ذكر الحشر الذي هو الاصل الثالث وقيل لما ذكر الانذار والبشارة ولم يظهر بكماله في الدنيا قال ان لم تر في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرين والمبشرين وقيل انه لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر بعده ما يؤكده وهو احياء الموتى انا نحيي نبعثهم بعد مماتهم للحساب او احياهم بان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة وغيرها واثارهم ما استن به بعدهم نظيره قوله ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقيل واثارهم ما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من رباط او مسجد او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها وقيل هي اثار المشائين الى المساجد المغيرة بن شعبة والضحاك نزلت في بني عذرة كانت منازلهم بعيدة من المسجد فشق عليهم حضور الصلوات فانزل الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم يعني خطاهم الى المسجد جابر بن عبد الله قال اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حول المسجد خالية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتانا في ديارنا فقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقالوا يا رسول الله بعد علينا المسجد والبقاع حول المسجد خالية فقال يا بني سلمة دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا ان نكون بحضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال وعن انس اثارهم الخطا يوم الجمعة وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح وكل شيء احصيناه علمناه وعددناه وبيناه في امام مبين في لوح محفوظ

قوله تعالى

واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون واضرب لاجلهم مثلا وقيل واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية وعلى الاول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة

وعلى انك تقول لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وغلب عليه انه لا يومن قال للنبى
صلى الله عليه وسلم فلا باس واضرب لنفسك مثلا اى مثلا لهم عند نفسك مثلا حيث جاءهم المرسلون
ولم يومنوا وصبر الرسل على القتل والانذار وانت جيتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم
جاءوا قرية وانت بعثت الى العالم واضرب لهم مثلا من قولهم عندى من هذا الضرب كذا اى من
هذا المثال وهذه الاشيا على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب
القرية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول وانتصاب اذ بدل
من اصحاب انطاكية اذ جاءها المرسلون رسل عيسى الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق ارسل اليهم
رسولين من الحواريين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة
الرحمن قال امعكما اية قالا نعم نحن نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ
ان لى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك نطلع على حاله فاتى بهما
الى منزله فمسحا ابنه فقام باذن الله فى الوقت صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على ايديهما
كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يقال له سلاحن وقيل اسمه ابطيخس وكان من ملوك الروم يعبد
الاصنام فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال
وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المريض باذن الله قال وفيم جيتما قالا ندعوك
من عبادة من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا اله سوى الهتنا
قالا نعم من اوجدك والهتك قالا قوما حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما
فى السوق وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرسولين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا
الى ملكهما وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب
الملك وامر بهما فاخذا وحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان بعث
عيسى عليه السلام راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد
متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به ورفعوا خبره الى الملك فدعاه فرضى عشرته
وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم بلغنى انك حبست فى السجن رجلين حين دعواك الى دينهما
فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال بينى وبين ذلك الغضب قال فان راى الملك دعاهما
حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق
كل شىء وليس له شريك فقال لهما شمعون وما ايتكما قالا ما تتمناه وامر الملك حتى جاءوا بغلام
مطموس العينين موضع العينين كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر

فاخذا

فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال
شمعون للملك ان انت سالت الهك حتى يصنع صنعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال
الملك ليس لى عنك سر ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك
للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل
شىء فقال الملك ان ههنا ميتا مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم يدفن حتى يرجع
ابوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو
ربه سرا فقام الميت وقال لهم انى ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرايت
شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار
الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله اثر فى الملك اخبره الحال فدعاه فامن وكان الملك
فيمن امن وكفر به اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو
على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ
ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قرا ابو بكر عن عاصم فعززنا مخففا اى فغلبنا هم
من عز برسول ثالث وهو شمعون وانما اسند الارسال اليه تعالى لان عيسى عليه السلام انما
بعثهم بامره تعالى وكانوا من جملة الرسل فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون وانما
لم يذكر المفعول به لقوله فعززنا لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير
حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه
اليه كان ما سواه مرفوضا مطروحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه
قولك الحق فلذلك قدمت ذكر المحكوم فيه والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر بالرفع لان الا تنقض
النفى فلا تبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى عمل ولما كان الاول ابتداء انكار قالوا انا اليكم
مرسلون والثانى جواب عن انكار قالوا ان انا اليكم لمرسلون قوله ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد
والتحقيق مع قوله وما علينا الا البلاغ المبين اى الظاهر المستوى بالايات الشاهدة
لصحته والا فلو قال المدعى والله انى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم قال حبس عنهم المطر فقالوا هذا بشؤمكم قال صاحب الكشاف وذلك
انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شىء مالوا اليه واشتهوه
وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نقمة او بلاء قالوا ببركة

هذا او شوم هذا كما حكى الله تعالى عن القبط ان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي
مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم لئن لم تنتهوا
عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا
طائركم معكم اي سبب شومكم معكم وهو كفركم او اسباب شومكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم قال
اعمالكم الضحاك حظكم من الخير والشر معكم لئن ذكرتم وعظتم ودعيتم الى الاسلام جوابه محذوف
اي قلتم هذا القول ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط واين ذكرتم بالف بينهما على استطيرون
ان ذكرتم بل انتم قوم مسرفون في الكفر والشرك مجاوزون الحد فمن ثم اتاكم الشوم لا من قبل رسل الله
عز وجل وتذكيرهم وقيل بل انتم مسرفون في ضلالتكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به
من رسل الله تعالى **قوله تعالى** وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه
ترجعون ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
اني اذا لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى
هو حبيب النجار وهب كان رجلا سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصا باب من ابواب
المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا امسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله
ويتصدق بنصف فلما بلغه ان قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم
فينتظم لكم خير الدنيا والاخرة قال قتادة لما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم تسألون على هذا من اجر فقالوا
لا فقال حبيب ذلك الكلام وكان حبيب في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وما هو
عليه من التوحيد وعبادة الله فقيل له وانت مخالف لدينا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم
فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف
لهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث ما يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله
ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني امنت بربكم
فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ءاتخذ من دونه
سواه الهة يعني الاصنام ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون العبادة
العبادة لا تنبغي الا لمن ابتدأكم واليه مرجعكم فما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة
اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا
على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل

وعبر

وتميز ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني امنت بربكم فاسمعون
اسمعوا ايمانى تشهدوا لي به قوله وجاء من اقصى المدينة رجل قدم المجرور على الفاعل على خلاف
الاصل لان الاهم بيان ذلك انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة اصحاب
القرية الرسل وانهم اصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين على باطلهم فكان مظنة ان
يا من السامع على مجرى العادة تلك القرية قا يلا اما انكرها تربة وما اسواها منبتا وبقي محيلا
في فكره امانت تلك القرية بحافاتها كذلك او كان هناك قطر داني او قاص منبت خير منتظر المساق
الحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهما وكما جاء موضع له صالح ذكره وقيل لما قال لهم اني امنت بربكم
فاسمعون وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطئوه
بارجلهم حتى خرجت قصبته من دبره وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي
حتى قتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا حلقه فعلقوه من سور المدينة وقبره في سوق انطاكية
قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
قيل لما قتل قيل له ادخل الجنة قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من
مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة
دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمته
لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله
عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في اكتساب مثلها لانفسهم
بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب
كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه
والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته
والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام وقيل ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا عظيم
في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة
لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وما في قوله بما غفر لي يجوز ان يكون
مصدرية اي بغفران ربي ويجوز ان يكون موصولة اي بالذي غفر لي ربي من الذنوب وان يكون استفهامية
اي باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل قال صاحب الكشاف
الا ان قولك بم غفر لي ربي بطرح الالف اجود يقال علمت بما صنعت هذا وبم صنعت **قوله تعالى**

وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون فلما قتل حبيب غضب الله تعالى له وعجل لهم النقمة فامر بهم جبريل فصاح صيحة فماتوا عن اخرهم والمعنى ان الله تبارك وتعالى كفى امرهم بصيحة واحدة ولم ينزل لاهلاكهم جندا من السماء كما فعل يوم بدر والخندق وما كنا منزلين قيل تكرار مفيد للتوكيد وقيل ما بمعنى الذي والعدد من جند وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار وشديدة وان كانت ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل فماتوا عن اخرهم فاذا هم خامدون ميتون قال صاحب الكشاف وما كنا منزلين معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا

قوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون يا حسرة على العباد انما قيل للحسرة تعالى فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احق بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجبه منه وقيل يا حسرة على العباد من كلام حبيب وقيل من كلام القوم حين عاينوا العذاب امنوا وقالوا يا حسرة على العباد اي على الرسل فلم نسمعهم امانهم والحسرة الندم على ما فات لا يمكن تلافيه وقيل الحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى قلبه حسيرا وقيل استهزاؤهم بالرسل حسرة لهم وقيل تم الكلام على العباد ثم استانف فقال ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وضمير المفعول في ياتيهم يجوز ان يكون عائدا الى قوم حبيب اي ما ياتيهم من رسول من الرسل الثلاثة الا كانوا به يستهزءون على قولنا الحسرة عليهم ويجوز ان يكون عائدا الى الكفار المصرين

قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون لما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين الم يروا يعني الم يعلم اهل مكة وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت في للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا المنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم حكي عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه قيل انهم اليهم لا يرجعون اي اهلكوا اهلاكا

لا رجوع

لا رجوع لهم الى الدنيا وقيل انهم اليهم لا يرجعون اي الباقين لا يرجعون الى المهلكين بحسب ولا ولادة يعني اهلكناهم وقطعنا نسلهم وان كل لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما قال القائل فلو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي ولكنا اذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شي قرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد والباقون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع لقولهم سالتك لما فعلت اي الا فعلت ومن خفف جعل ان للتحقيق وخففه وما صلة مجازه معناه وان كل لما جميع لدينا محضرون والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا عن المضاف اليه كقوله مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون والكل يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال جاءوا جميعا

قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منه حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستكبارهم واصرارهم وعنادهم فقال واية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الله الموتى احييناها اي بالمطر استيناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني واخرجنا منها حبا جنس الحبوب فمنه ياكلون اي فمن الحب ياكلون وقدم الظرف اي فمنه للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك واية رفع بالابتداء واية لهم الخبر وقدم لتعداد الايات وجعلنا فيها في الارض جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره قرا حمزة والكسائي بضم الثاء والميم والباقون بفتحهما والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر وقيل ثمر الماء لان الماء اصل الجميع وقيل ثمر ما ذكر وقيل ثمر ذلك ويحتمل ثمر كل واحد منهما وما عملته قرا اهل الكوفة بلا هاء والباقون بهاء قيل ما نافية وما عملته ايديهم بمعنى الجحد والمعنى ولم يعمله ايديهم اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وقيل بمعنى الذي والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه واوان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله تعالى وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم وقيل بمعنى المصدر اي ومن عمل ايديهم واصله من ثمرنا

على تقدير عود الضمير الى الله تعالى كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة
الالتفات سبحان الذي خلق الازواج الاشكال والاصناف مما تنبت الارض الحبوب والثمار والحشيش
والاشجار ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى
معرفتها بطريق من الطرق ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا
الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم **قوله تعالى** وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون لما استدل باحوال الارض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي
دلالة المكان والزمان متناسبة لان المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه
الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ونحوه في قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال
بعده ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت حيث استدل بالزمان
والمكان هناك ايضا لكن المقصود اولا اثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى ان الذي احياها لمحيي الموتى
انه على كل شيء قدير وها هنا المقصود اولا اثبات الحشر نسلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه
سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله وقيل السلخ الاخراج
يقال سلخت الشاة من الاهاب والشاة مسلوخة والمعنى اخرجنا النهار من الليل اخراجا لم يبق معه
شيء من ضوء اخرجنا الشمس عنه فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها يعني الى مستقر
لها قال ابن عباس لا تبلغ مستقرها حتى ترجع الى منازلها قال قتادة الى وقت واجل لها لا تعدوه و
قيل الى انتهاء امرها عند انقضاء الدنيا وقيل الى ابعد منازلها في الغروب وقيل لمستقرها وقيل لحد لها
موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق
والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها
لا تعدوه وقيل لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله
عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وعن ابن عباس انه قرأ لا مستقر لها وهي قراءة ابن
مسعود اي لا قرار لها فهي جارية ابدا ذلك الجري على هذا التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن
استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط
علما بكل معلوم والقمر قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء لانك شغلت الفعل عنه وقيل بالعطف
على الليل ويريد من آياته والباقون بالنصب بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف
انه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه منازل وهي ثمانية وعشرون

منزلا

منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل وهي مواقع النجوم
التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة واسماؤها الشرطان البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة
الصرفة العوا السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد
كالعرجون القديم والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقيل هو فعلون من الانعراج
وهو الانعطاف والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة
الموصوف بالقديم الحول فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى
عليه حول واكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لهما سيران ذا سبيل ولكل واحد حد لا يعدوه ولا
يقصر دونه فاذا جاء سلطان هذا ذهب ذاك واذا جاء سلطان ذاك ذهب هذا فاذا اجتمعا ادرك
كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة ولا الليل سابق النهار ومعناه ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل
والنهار واسمهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس ان لا
يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان
على حاله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل
النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله
ما دبر من ذلك ويجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها وانما جعل الشمس غير
مدركة والقمر غير سابق لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر تقريبا
فيها وكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف
بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس
والاقمار على ما سبق ذكره في فلك يسبحون يجرون **قوله تعالى** وآية لهم
انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين لما بين الله تعالى باحياء الارض
وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر وينبسط
ويسير فيها كما يسير في البر وهذا حينئذ كقوله وحملناهم في البر والبحر ويؤيد هذا قوله وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون اذا فسرناه ان المراد الابل فانها سفن البراري وقيل لما بين سباحة الكواكب

في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحر وقيل الامور التي انعم الله فيها على عباده منها
ضرورية ومنها تابعة والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان
الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياها لما عاش والليل والنهار في قوله واية لهم الليل ايضا من القبيل
الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر حركتهما لولم تكن لما عاش ثم انه تعالى
لما ذكر من القبيل الاول اشير ذلك من القبيل الثاني وهو الزينة اثنين احدهما الفلك الذي يجري فيستخرج
ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر
وثانيها الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب مزينة كما
قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون
استدلالا عليهم بالضروري والتابع واية لهم انا حملنا ذريتهم قرا ابن عامر ونافع على الجمع وكسر
التاء والباقون على الافراد وفتح التاء في الفلك المشحون الموقر المملوء وهو حمل الاباء في السفينة والابناء
في الاصلاب وانما ذكر ذرياتهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى
يوم القيمة في سفينة نوح عليه السلام وخلقنا لهم من مثله مثل سفينة نوح ما يركبون من الابل وهي
سفاين البر وان نشا نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم وقيل لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم
ينقذون ينجون من الغرق الا رحمة منا ومتاعا ولنمتع بالحياة الى حين انقضا اجلهم الى اجل يموتون فيه
لا بد لهم منه بعد النجاة من فوق الغرق **قوله تعالى** واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم
وما خلفكم لعلكم ترحمون لما عدد الايات بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا
حملنا ذريتهم وكانت الايات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى ولم يفدهم اليقين قال فلا اقل
من ان يحذروا العذاب وان لم يقطع بصدق قول المخبر فقال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم
من امر الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها قال ابن عباس مجاهد ما بين ايديكم
ما ياتي من الذنوب وما خلفكم ما مضى من الذنوب الحسن ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم ما بقي منه
قتادة ما بين ايديكم يعني وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من امر الساعة مقاتل ما بين ايديكم
عذاب الامم الخالية وما خلفكم عذاب الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف
مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين تقديره واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
اعرضوا **قوله تعالى** وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي
دابهم وعادتهم الاعراض عند كل اية وموعظة من في قوله من اية لتوكيد النفي وفي قوله من ايات
ربهم للتبعيض **قوله تعالى** واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين اشارة الى انهم يحابون

مجموع

ما على المكلف التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله بينهم هو ان الله تعالى لما كان قادرا على
الاطعام وليس يشا اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي مكة حين قال لهم فقراء اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا يحرمونهم وقالوا لو شاء الله فلا نعطيكم شيئا حتى ترجعوا الى ديننا قيل كانت
الزنادقة من كفار مكة يسمعون المومنين يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى
فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا
يقولون من تعلق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول ذلك وذلك انهم كانوا
دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يومنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة
زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن ان انتم الا
في ضلال مبين وقيل قول الله لهم وقيل حكاية قول المومنين لهم وقيل هو من جملة جوابهم للمومنين
يعني ان انتم الا في ضلال مبين في اتباعكم محمدا او مخالفتكم ديننا **قوله تعالى**
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هو اشارة الى ما اعدوه ان التقوى
له في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا والاتقاء في قوله واذا قيل لهم اتقوا لا فايدة فيه لان الوعد
لا حقيقة له ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث وقيل انما ذكر بلفظ
دون الوعيد لانهم زعموا الوعد حقا عند الله ان كان **قوله تعالى**
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من
مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا
محضرون ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى من الثلث
نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون ويخاصم
بعضهم بعضا قرا ابن كثير وورش يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد وقرا نافع غير ورش
ساكنة الخاء مشددة الصاد وابو عمرو بالاخفا وحمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد والمعنى
انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم
ومعاملاتهم وساير ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل
تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون فلا يقدرون توصية
على ان يوصي بعضهم بعضا وقيل ان يوصوا في شي من امور توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون
على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة ونفخ في الصور هي النفخة الثالثة

وهي نفخة البعث فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جَدَث وهو القبر الى ربهم ينسلون يخرجون وقيل يعدون من النسلان وهو الاسراع في السير قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من منامنا ابن عباس وابي ابن كعب وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار ما عذبوا في القبور في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا من منامنا ثم قالوا هذا مبتدأ ما وعد الرحمن خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا من مرقدنا واما ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المؤمنين وقيل كلام الكفار يتذكرون ما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا قال صاحب الكشاف فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال وقد صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة هي النفخة الاخرى فاذا هم جميع لدينا محضرون **قوله تعالى** فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ما منصوب المحل على انه مفعول او بنزع الجار **قوله تعالى** ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بسكون الغين والباقون بضم الغين ابن عباس في شغل اي في شغل اي في افتضاض الابكار وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عادوا ابكارا الكلبي في شغل عن اهل النار وعما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وكيع في السماع وضرب الاوتار يحيى بن معاذ اي الاصوات احسن قال مزامير انس في مقاصير قدس بالحان تحميد في رياض تمجيد في مقعد صدق عند

مليك

مليك مقتدر ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وفي ضيافة الله وقيل شغلهم بعشرة اشياء ملك لا عزل معه وشباب لا هرم معه وصحة لا سقم معها وعز لا ذل معه وحيوة لا موت معها وراحة لا شدة معها ونعمة لا محنة معها وبقاء لا فناء معه ورضى لا سخط معه وانس لا وحشة معه وقيل شغلهم في الجنة بسبعة انواع من الثواب لسبعة اعضاء فاما ثواب الرجل فقوله ادخلوها بسلام امنين وثواب اليد فقوله يتنازعون فيها كأسا وثواب الفرج قوله وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئا الاية وثواب اللسان قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وثواب الاذن قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وثواب العين قوله وتلذ الاعين طاووس لو علم اهل الجنة عمن شغلوا ما هناهم ما اشتغلوا به وسئل بعض الحطاعين قوله صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة البله قال لانهم في شغل بالنعيم عن المنعم ثم قال من رضي بالجنة عن الله فهو ابله وقيل في شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة العظيم وذلك بعد الذلة والصبابة وانقضى من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب فاكهون متنعمون متلذذون ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفاكهة هي الراحة والفاكه المتنعم ويحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه في ظلال بالالف وكسر الظاء جمع ظلل على الارائك يعني السرر في الحجال واحدتها اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ابن عباس يسألون مقاتل يتمنون ويريدون وقيل من ادعى شيئا فهو له بحكم الله لانهم ما يدعون الا ما يحسن سلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من رب رحيم من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك منتهاهم ولهم ذلك لا يمنعونه ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ سلام خبره يعني ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر موكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم **قوله تعالى** وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم

ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم
بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون ~~ومن نعمره ننكسه~~
~~في الخلق افلا يبصرون~~ وامتازوا انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة حين يحشر المؤمنون
ويسار بهم الى الجنة ونحو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يقال مازه فامتاز وامتاز
عن ابن عباس تفرقوا وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم
بابه بالنار فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض الم اعهد اليكم
يا بني ادم لما ذكر تعالى حال المؤمنين والمجرمين اي الكافرين كان لقائل ان يقول ان الانسان كان
ظلوما جهولا والجهل من الاعذار فقال الله تعالى ذلك عند عدم الانذار وقد سبق ايضاح السبيل
بايضاح الرسل وعهدنا اليكم وسالكم ما ينبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي العهد الوصية وعهد اليه
اذا وصاه وقيل وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل اليهم من دلائل السمع وقيل العهد
ما عهد اليهم في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم وقيل اعهد اليكم بارسال الرسل وانزال الكتب
والمعنى الم امركم الم اوصكم ان لا تعبدوا الشيطان ان لا تطيعوه في معصية الله تعالى انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة وان اعبدوني هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن
فانه صراط مستقيم اذ لا صراط اقوم منه قال صاحب الكشاف ونحو التنكير فيه ما في قول كثير
لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق
بان اوصف به لكمال شرايطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط
بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط
المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج
الذي يؤدي الى الضلال والتهلكة كانه قيل اقل احوال هذا الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد
فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده
هذا فيما اظن قولا نافعا غير ضار توبيخا على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل الشيطان منكم يا بني ادم جبلا
خلقا كثيرا قرا نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ويعقوب بضم الجيم والباء وتشديد اللام
وابن عامر وابو عمرو بضم الجيم وجزم الباء مخففا والباقون بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكلها لغات
معناها الخلق والامة افلم تكونوا تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه جهنم
التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون
عليك فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد
ارجلهم ثم يدخلهم النار وروي انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم
فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وروي يقول العبد
يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي
فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان اول عضو من الانسان ينطق يوم نختم على الافواه فخذه من رجله الشمال وعنه
صلى الله عليه وسلم قال تحشرون يوم القيمة على افواهكم الفدام وان اول ما يتكلم من الادمي فخذه
وكفه وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اعميناهم
في الدنيا فاستبقوا الصراط فبادروا الى الطريق فانى يبصرون وقد طمسنا على اعينهم عن ابن عباس
ومقاتل وعطا وقتادة ولو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم
من الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم السدي والحسن
ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ قال صاحب الكشاف الطمس
تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا اليه
او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الطريق المهيع الذي
اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا
جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف
كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي
فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه
من ساير الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضربوا به من المقاصد دون غيرها
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي ابعدناهم في منازلهم قردة وخنازير والمسخ تحويل الصورة
والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون
ان يبرحوا باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع وقيل ولا يرجعون الى ما كانوا عليه عن ابن عباس
لمسخناهم حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم ومن نعمره ننكسه لما ذكر ان قوله الم اعهد
اليكم قطع الاعذار بسبق الانذار شرع في قطع عذر اخر وهو ان الكافر يقول لم يكن لبثنا في الدنيا

الا يسيرا او نوعرتا لما وجد منا نقص فقال الله تعالى افلا تعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم
وقد عمرناكم مقدار ما تتمكنون من البحث بالادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير انكم علمتم ان الزيادة كلما تغير عليكم يزداد ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم
اكثر من ذلك لم يكن بهذه الزيادة فايدة قراءة عاصم وحمزة ننكسه بتشديد الكاف والباقون بفتح
النون وضم الكاف مخففا اى نرده الى ارذل العمر شبه حال الصبي الذي هو اول الخلق وقيل نصيره
بعد القوة الى الضعف وبعد الزيادة الى النقصان وبعد الجدة والطراوة الى البلى والخلوقة
فكانه نكس حاله قال صاحب الكشاف ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبلا
وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال
ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى
نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال الله عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب
الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخوف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد
ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم
ما شاء واراد والله اعلم **قوله تعالى** وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر
وقران مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين لما ذكر الاصلين الوحدانية
والحشر ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر اى وما علمناه بتعليم القران
الشعر على معنى ان القران ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر
انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى من غير ان يعتقد صدقه فاين الوزن واين التقفية واين
المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم الكلام الذي للشعر عن نظمه واساليبه فاذا
لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت الامر الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك
وما ينبغي له وما يصح له وما يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له
ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن
لا يتاتى له قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول العباس ابن مرداس اتجعل
نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقالوا يا رسول الله انما قال بين عيينة والاقرع
فاعادها فقال بين الاقرع وعيينة فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال اشهد انك رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وقال صدق الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن الحسن ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر رضي الله عنه
يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب فقال ابو بكر او عمر رضي الله عنه اشهد انك
رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له عن قتادة وما علمناه الشعر
قال بلغني ان عايشة رضي الله عنها سيلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل
بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قال ولم يتمثل بشيء من الشعر الا ببيت
اخي بني قيس طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا وياتيك من لم تزود بالاخبار
فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي ان هو
يعني القران الا ذكر وقران اى ذكر من الله عز وجل يوعظ به الانس والجن كما قال تعالى ان
هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات
وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين
لينذر قرا اهل المدينة والشام والبصرة الا ابا عمرو بالتاء وفي الاحقاف للنبي صلى الله عليه
وسلم والباقون بالياء للنبي او القران من كان حيا عاقلا مومنا في علم الله تعالى لان الكافر
والجاهل ميت الفواد ويحق القول ويجب العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع
منهم الايمان لانه تعالى ختم على قلوبهم **قوله تعالى** اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون
ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ثم انه تعالى اعاد التوحيد اثبته
والدلايل الدالة عليها اولم يروا انا خلقنا لهم لبني ادم مما عملت ايدينا يعني عملناه من غير
واسطة ولا وكالة ولا شركة انعاما قال صاحب الكشاف مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر
على توليده غيرنا وانما قال ذلك لبدايع والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل
الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون ضابطون قاهرون اى خلقناها
لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها يزاحمون
وذللناها سخرناها لهم وهذا من جملة النعم الظاهرة وانه تعالى لو لم يذللها لهم لم يقدر
عليها احد على تذليلها وتسخيرها فمنها ركوبهم اى مركوبهم كما يقال ناقة حلوب اى محلوب ومنها
ياكلون من لحومها ولهم فيها منافع من اصوافها وجلودها واوبارها واشعارها ومشارب
جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب افلا يشكرون نعم الله استفهام بمعنى الامر والله
اعلم **قوله تعالى** واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم

وهم لهم جند محضرون   اشارة الى زيادة ضلالهم ونهايتها   الواجب
عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع لعلهم ينصرون
اى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك ولا يستطيعون نصرهم اى خاب املهم والامر على خلاف
ما توهموا وتوقعوا وهم لهم جند محضرون معدون لعذابهم لانهم مع اوثانهم فى النار فلا يدفع بعضهم
لبعض النار لانهم حطب وقودا للنار ه قوله تعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون   هذا ايضا اشارة الى زيادة ضلالهم فانه كان الواجب عليهم الايمان
بالرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه فى دعواه وطاعته فيما امر ونهاه   النعمة تعالى
فان نعمته من اعظم النعم فاعرضوا عنه وكذبوه فلا يحزنك تكذيبهم وقولهم فى الله ان له شريكا
وولدا وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون وقد تم الكلام هاهنا ثم استانف فقال
انا نعلم ما يسرون من عداوتهم ومكرهم وكيدهم وما يعلنون من تكذيبهم وقولهم فى الله ان له
شريكا وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون فنجازيهم على ما يسرون وما يعلنون وقيل قولهم
تهديدهم بالفصل ووعدهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحول بينك وبينهم قوله تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين   وضرب لنا مثلا ونسى
خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق
عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذى خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون
ابن عباس الانسان هو عبد الله بن ابى سعيد بن جبير هو العاص بن وائل السهمى الحسن
هو امية بن خلف الجمحى روى ان جماعة من كفار قريش منهم امية بن خلف وابو جهل والعاص
بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم ابى بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله
يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته
بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك الله
ويدخلك جهنم فانزل الله هذه الايات وهذا اشارة الى زيادة ضلالهم فى الحشر فبين الله ضلالهم
فى الاصول الثلثة التوحيد بقوله واتخذوا من دون الله والرسالة بقوله ولا يحزنك قولهم
والمعاد بقوله اولم ير الانسان فى انكارهم البعث تقبيحا لا يرى اعجب منه وابلغ
وادل على تمادى كفرهم الانسان وافراطه فى جحوده النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة
وتغلغله فى القحة حيث قرر بان عنصره الذى خلقه منه هو اخس شىء وامهنه وهو النطفة

المذرة

المذرة الخارجة من الاحليل الذى هو مبال النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله
على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك
ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصقه
به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من تراب وهو المكابرة التى لا مطمح وراءها وقيل
معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين
معرب عما فى نفسه فصيح كما قال او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وضرب لنا مثلا
ونسى خلقه اى خلقنا اياه مصدر مضاف الى المفعول قال من يحيى العظام تفسير لقوله وضرب مثلا
وانما سمى من يحيى العظام وهى رميم مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهو انكار قدرة الله
تعالى على احياء الموتى وقيل انما سمى مثلا لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى
بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى فاذا قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف
الله تعالى بكونه قادرا كان تعجيزا لله تعالى وتشبيها له بخلقه فى انهم غير موصوفين بالقدرة عليه
وهى رميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع الخبر لمؤنث
ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام
الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها واما اصحاب ابى حنيفة فهى عندهم طاهرة
وكذا الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام
فى الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس قل يا محمد يحييها الذى انشاها
خلقها اول مرة وهو بكل خلق عليم لا يخفى عليه اجزاؤه وان تفرقت فى بر وبحر يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شىء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وجلائلها ودقائقها
بجمعه وبعث خلقا كما كان الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الذى من بدائع خلقه وعجائب
صنعه ولطائف حكمته وشواهد قدرته انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء
وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار ابن عباس هما شجرتان
من اراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين تقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهى انثى فتخرج منهما النار باذن الله يقول   فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقيل
كل شجرة فيها نار الا العناب   فاذا انتم منه توقدون فذلك زنادهم اوليس الذى خلق السموات
والارض مع عظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض
وقيل على ان يخلق مثلهم على ان يعيدهم لان المعاد مثل المبتدا وليس به بلى اى يعلمون بلى فانهم مضطرون
من جهة العقل ان يقولوا بلى وقيل فان اجابوك والا فقل بلى اذ ليس له جواب غير ذلك وهو الخلاق

الكثير المخلوقات العجيب المصنوعات العليم بالكليات والجزئيات وبالامور الماضية والحوادث
المستقبلة انما امره اذا اراد شيئا اى وجود شيء ان يقول له كن فيكون على ما قدره واراده فسبحان
تنزيه له عما وصفه به المشركون وتعجب من ان يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شيء
اى هو مالك كل شيء والمتصرف فيه على حسب مشيته ومقتضى ارادته والملكوت الملك بابلغ
الالفاظ وقيل الملكوت عالم الغيب كما ان الملك عالم الشهادة واليه ترجعون اما الى الجنة واما الى النار

سورة والصافات مكية

وهي ثلثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا وثمانمائة وستون كلمة ومائة واثنان وثلثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
اقسم سبحانه بطوايف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوات من قوله عز وجل
وانا لنحن الصافون ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة يعني صفوف الملائكة كصفوف الخلق
في الدنيا للصلوات وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيها حتى يامرها الله بما يريد
وقيل الصافات الطير دليله قوله تعالى والطير صافات وقوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
ويقبضن ترتيب للجمع على خط كالصف في الصلوة والحرب فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب
وتسوقه قتادة هي زواجر القران وقيل الزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله فالتاليات لكلام الله من الكتب
المنزلة وغيرها يعني جبريل والملائكة يتلون كتب الله ويجوز ان يريد بالتاليات كل من تلى كتاب الله
ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وساير الصلوات وصفوف
الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله والدارسات او بنفوس قواد
الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها
عنه تلك الشواغل وقيل هو قسم بالله على تقدير ورب الصافات قال صاحب الكشاف
فان قلت ما حكم الفاء اذا كانت عاطفة في الصافات قلت اما ان تدل على ترتيب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال الذي صبح
فغنم فآب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل
الاحسن فالاجمل فاما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين
فعلى هذه القوانين الثلثة تنساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اى هذه
القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات
في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت

هذه

هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتيبا لها في الفضل اما ان يكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان
اجريت الصفة الاولى على طوايف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في
الفضل اعني الطوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس
وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر
فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد جواب القسم
ردا على من قال اجعل الالهة الها واحدا رب السموات والارض وما بينهما خبر بعد خبر او مبتدا محذوف
ورب المشارق اى مطالع الشمس وذلك ان الله خلق للشمس ثلثمائة وستين مشرقا وثلثمائة وستين
مغربا على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في
واحد يومين والمراد بالمشرقين والمغربين في قوله رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الصيف
والشتاء ومغرباهما والله اعلم **قوله تعالى** انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب نصبا
يعني بزينة الكواكب وقيل اعني الكواكب وحمزة وعاصم في ساير الروايات بزينة منونا الكواكب
خفضا على البدل اى بزينة بالكواكب والباقون بزينة الكواكب مضافة الدنيا خفضا على البدل
اى بزينة بالكواكب والباقون بزينة الكواكب مضافة الدنيا القربى منكم والزينة مصدر
كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب
فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اى بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب
او على اضافته الى المفعول اى بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت الدنيا
لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع
الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت
به الكواكب ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب وقيل يجوز ان يراد اشكالها المختلفة
كشكل الثريا وبنات نعش وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وحفظا اى وحفظناها حفظا او
وجعلناها ايضا حفظا قال صاحب الكشاف وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خبيث خال عن الخير كما قال ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل
وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب لا يسمعون الضمير لكل شيطان لانه في معنى الشياطين

قرأ اهل الكوفة الا ابو بكر بالتشديد اي تتسمعون ادغم التاء في السين مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون والباقون بالتخفيف والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع لا يسمعون لا يصح ان يكون صفة لكل شيطان لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له ولا يصح الاستيناف ايضا لان سايلا لو سال لم يحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون او لا يتسمعون لم يستقم بل يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا وقيل ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قوله جئتك ان تكرمني فبقي ان لا تسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القايل ه الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ه ورد هذا بان واحدا من الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر واجب صون القران عن مثل هذا التعسف وفرق بين سمعت فلانا يحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه فان المعدى بنفسه يفيد الادراك الى الملا الاعلى قيل الكتبة من الملايكة في السماء لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض ابن عباس اشراف الملايكة ويقذفون يرمون ويطردون من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا طردا مفعول له اي ويقذفون للدحور او مدحورين على الحال وقيل القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا ولهم عذاب واصب دايم نظيره قوله تعالى وله الدين واصبا ابن عباس واصب شديدا لحي موجع وقيل خالص يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دايم شديد موجع خالص الا من خطف في محل الرفع بدل من الضمير الذي هو فاعل يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة الذي هو فاعل يسمع الملايكة فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب كوكب ثاقب مضيء قوي لا يخطيه يقتل او يحرق او يخبل وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة وقيل المراد كوكب النحر

قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا امن خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين

المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر فافتتح هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب فاحكم في هذا الباب وفرع عليه اثبات القول بالحشر والنشر والقيامة وهذه المسئلة تتعلق بطرفين اثبات الجواز العقلي واثبات الوقوع اما الاول فالاستدلال عليه من وجهين احدهما ان يقال

انه

انه قادر على ما هو اصعب واشق منه فوجب ايضا ان يقدر عليه والثاني ان يقال انه قدر عليه في احدى الحالتين والفاعل والقابل باقيين كما كانا فوجب ان يبقى القدرة عليه في الحالة الثانية والله تعالى ذكر هذين الطريقين في بيان ان القول بالبعث والقيامة ممكن اما الطريق الاول فهو المراد من قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا والعدد كانه قال استفت يا محمد هاولاء المنكرين اهم اشد خلقا ام خلق السموات والارض وما خلق بينهما وخلق المشارق وخلق الشياطين الذين يصعدون الى الفلك ولا شك انهم يعترفون بان هذا القسم اشد واشق في العرف من خلق القسم الاول الذي هو اشد واصعب فلان يكون قادرا على اعادة الحياة في هذه الاجساد اولى ونظير هذا الدليل قوله تعالى في اخر يس اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس واما الطريق الثاني فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة وفي هذه الاجساد ولولا انه تعالى قادرا على هذا لما حصلت الحياة فيه لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة امر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين بين وقوعه بقوله قل نعم وانتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول لاجل ظهور المعجزة عليه والصادق اذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الاية ولنذكر تفسير الفاظ هذه الاية اما قوله فاستفتهم يعني انه لما ثبت بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة انه تعالى خالق السموات والارض وما بينهما استفت هاولاء المنكرين وقل اهم اشد خلقا ام هذه الاشياء التي بينا كونه تعالى خالقا لها ولم يخل عنهم انهم اقروا ان هذه الاشيا اصعب لان ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة الى ان يحكى عنهم تسليم ان الامر كذلك انا خلقناهم من طين لازب يعني انا لما قدرنا على خلق الحيوة في ذواتهم وجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة في ذواتهم وجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما ثبت ان حال القابل والفاعل ممتنع التغير وفيه دقيقة اخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من النطفة ولا من الابوين فكانه قيل لهم انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لا من الابوين فاذا عقلتم ذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير النطفة ومن غير الابوين وايضا فقد اشتهر عند الجمهور ان ادم عليه السلام مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذه الذات قال صاحب

الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم
اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة لشدة بطشه وقوته
ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والمغارب والكواكب
والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرها فقال ام من خلقنا والدليل عليه
قوله تعالى بعد عده هذه الاشيا فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من
خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما بعدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب
الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم
شديد الخلق في خلقه شده واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى
وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان البشر عليه اهون
وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف
بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا اإذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث
بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم
من اثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث قرا حمزة والكسائي وخلف
عجبت بضم التاء اي بلغ من عظم اياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون من اياتي وقيل عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون عن نصف الله بالقدرة
عليه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يجوز التعجب على الله وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام
الشي والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد التعجب لمعنى الاستعظام
والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان
شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان
يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرا بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وقيل
معناه انهم قد حلوا محل من يعجب منهم وفي الخبر ان الله يعجب من الشاب اذا لم يكن له صبوة ونحوها وسيل
حسيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن الله تعالى وافق رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله والاخرون بالتاء المفتوحة على خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم ومعناه بل عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك واذا ذكروا لا يذكرون لا يتعظون
واذا راوا اية من ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية وقيل
يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر **قوله تعالى** ائذا متنا

وكنا

وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباونا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
اواباونا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوزنا العطف عليه الفصل
بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباونا على زيادة الاستبعاد يعني انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل
قرا ابن عامر وقالون باسكان الواو هاهنا وفي الواقعة يعني واباونا او بمعنى الواو والباقون بفتح الواو
قل نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فانما هي زجرة
صيحة واحدة وهي النفخة الثانية وهي قبل الصيحة وقيل القيمة وقيل لا ترجع الى شي انما هي مبهمة
يوضحها خبرها فاذا هم ينظرون احياء وقالوا قيل يعني الملائكة وقيل يعني الكفرة اي قال الكفرة بعضهم
مع بعض وقيل يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل كلام الملائكة للكفرة جوابا هذا
يوم الدين اي يوم الجزا اي يجازى باعمالنا على تقدير ان يكون كلام الكفرة اي تجازون باعمالكم على تقدير
ان يكون كلام الملائكة هذا يوم الفصل القضا والفرق بين فريق الهدى والضلال الذي كنتم تكذبون
قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم احشروا خطاب من الله للملائكة او خطاب الملائكة بعضهم مع بعض الذين
كفروا ظلموا وازواجهم وضرباهم ابن عباس اشباههم ضحاك ومقاتل قرناوهم من الشياطين كل
كافر مع شيطانه في سلسلة قتاده والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع
اهل الزنا الحسن وازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا فاهدوهم
وادعوهم ابن عباس دلوهم وعرفوهم ابن كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا ومنه قيل
للرقبة هادية وقيل فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم وتوبيخ لهم بالعجب عن
التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين **قوله تعالى**
وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم
يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون وقفوهم واحبسوهم انهم مسولون ابن عباس
عن لا اله الا الله ضحاك عن خطاياهم القرظي عن جميع اقوالهم وافعالهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزول قدمي ابن ادم بين يدي ربه عز وجل يوم القيمة حتى يسال عن خمس خصال عن شبابه
فيم ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وماذا عمل فيما علم وعن ابن

عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دعا بعبد من عبيده
فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله ما لكم لا تناصرون لا يسمعون ە
ولا ينصر بعضكم بعضا تقوله خزنة النار للكفار وهذا جواب ابي جهل حين قال يوم بدر نحن
جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير
منتصر ابن عباس مستسلمون خاضعون الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم قال
اهل المعاني مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعا ولا منه امتناعا كحال الطالب للسلامة
في ترك المنازعة واقبل بعضهم على بعض يعني الروسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون قالوا اي
الاتباع للروسا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل الدين لما كان اليمين اشرف العضوين
وامسهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر
الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشومى كما سموا اختها اليمنى وسموا بالسا
من البارح وكان الاعسر مغبونا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة
افضل الامور باليمين وارادلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن
في كل شي وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يوتى
كتابه بيمينه والمسي ان يوتى كتابه بشماله استعيرت لجانب الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين
اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة
اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات
ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه
طوقه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يود زكاة فان قيل قوله اتاه
من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز اجيب بان
المجاز قد يغلب استعماله في المفهوم الجاري فيصير حقيقة واليمين من هذا القبيل فيعتبر
المجاز منه وقيل يجوز ان تجعل اليمين مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة
وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة
حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه مجاهد عن الصراط المستقيم قال اهل المعاني
من جهة النصيحة والبركة والعمل الذي يتيمن به قالوا يعني الروسا بل لم تكونوا مومنين
بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه وما كان لنا عليكم من سلطان نجبركم ونقهركم بل كنتم قوما طاغين
فكفرتم بطغيانكم فحق علينا وعليكم قول ربنا اي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين انا
جميعا لذائقون العذاب ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم

متكلمون

متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل   لقد زعمت هوازن قل مالي   ولو حكى
قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ
الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فاضللناكم ودعوناكم الى الغي دعوة محصلة
للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين ضالين فاردنا اغواءكم لتكونوا
امثالنا فانهم اي الروسا المتبوعين والاتباع جميعا يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون
انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالكافرين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون عنها ويصرون على الشرك ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون النبي
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب
الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم
مكرمون   قال الله تعالى ردا عليهم بل جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالحق وصدق المرسلين
كقوله مصدقا لما بين يديه انكم ايها الكافرون لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم
تعملون جزاء سيئا بعمل سيء الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي ولكن عباد الله المخلصين
اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه فسر الرزق
المعلوم بالفواكه جمع الفاكهة وهي كل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت الذي يحفظ الصحة يقال فلان
يتفكه بهذا الطعام يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن القوت لحفظ الصحة لان اجسامهم
محكمة مخلوقة للابد وكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ وقيل بان رزق معلوم منعوت بخصايص
خلق عليها من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت ومادة الرزق المعلوم الجنة
وقوله في جنات بانه وهم مكرمون معظمون محترمون **قوله تعالى** في جنات النعيم
على سرر متقابلين   يطاف عليهم بكاس من معين   بيضاء لذة للشاربين   لا فيها غول
ولا هم عنها ينزفون   وعندهم قاصرات الطرف عين   كانهن بيض مكنون   فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون   قال قائل منهم اني كان لي قرين   يقول ائنك لمن المصدقين   ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون   قال هل انتم مطلعون   فاطلع فراه في سواء الجحيم
في جنات النعيم على سرر متقابلين والتقابل اتم للسرور والانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يطاف
عليهم بكاس اناء فيه شراب يقال للزجاجة التي فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا   قال
وكاس شربت على لذة   وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر وكذا يفسره ابن عباس من معين
من خمر جارية في انهار ظاهرة للعيون وقيل من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون
وصف بما يوصف به الماء قال الله تعالى وانهار من خمر وقيل معين يجوز ان يكون فعيلا من المعين

وهو الاسراع والشدة من امعن في الامر اذا اشتد دخوله فيه يعني خمرا شديدة الجري
سريعة بيضا صفة للكاس اي صافية في نهاية اللطافة لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس
اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب
قال — ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان — لا فيها غول
اي اثم قتاده وجع البطن الحسن صداع مجاهد داء ابن كيسان مغص الشعبي لا تغتال
عقولهم فتذهب بها وقيل الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره
في خفية ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية وقيل الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه
وافسده ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم ولا هم عنها
ينزفون قرا حمزة والكسائي وخلف بكسر الزاي فمعناه لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون
منها يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا سكر وزال عقله قال الشاعر
فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج اي السكران — والباقون بفتح
الزاي فمعناه لا ينفد شرابهم يقال انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره قال الحطيئة
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبيس الندامى كنتم ال ابجرا — ومعناه صار ذا نزف ونظيره
اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها داخلا في القشع
والكب والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص
او صداع او حماقة او عربدة او غير ذلك ولا هم ينزفون وهو اعظم مفاسدها فافرزه
وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين اي غاضات الجفون قصرن
اعينهن على غير ازواجهن فلا ينظرن الا الى ازواجهن عين نجل العيون حسانها
واحدتها عيناء يقال رجل اعين وامراة عيناء ورجال ونساء عين كانهن بيض مكنون مستور
مصون الحسن وابو زيد شبههن ببيض النعام يكنها بالريش من الريح والغبار وبها تشبه
العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وقيل شبههن ببطن البيض قبل ان تقشر وهو
معنى قول ابن عباس فاقبل عطف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب
كعادة الشرب قال — وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام — فيقبل
بعضهم على بعض يتسالون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة
في اخباره قال قايل منهم اني كان لي قرين في الدنيا مجاهد كان شيطانا وقال الاخرون
كان من الانس مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما قرطوس وهو الكافر والاخر
يهوذا وهو المومن وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف واضرب لهم مثلا

رجلين

رجلين يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون
من الدين وهو الجزاء وقيل لمسوسون لمربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان
نفسه قال يعني ذلك القايل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة
كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القايل الله عز وجل لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار وقيل
بعض الملايكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعون فتعلموا اين منزلكم من منزل اهل النار فاطلع هذا
المومن فراه اي قرينه في سواء الجحيم في وسط النار **قوله تعالى** قال تالله ان كدت
لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين
ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون — قال له تالله ان كدت مخففة من
الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وكدت لتردين ما اردت الا ان تهلكني والارداء الاهلاك ولولا نعمة ربي عصمة ربي ورحمته لكنت
من المحضرين معك في النار افما نحن معطوف على محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين
ولا معذبين وهذا يقوله المومن على جهة التوبيخ لقرينه الكافر بما كان ينكر وقيل يقوله اهل الجنة للملايكة
حين يذبح الموت على طريق الاستفهام فما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين فتقول
لهم الملايكة لا وقيل انما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون
وقيل المعنى ان هذه حال المومنين وصفتهم وما قضى الله به لهم ليعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة
الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكما ما شر من الموت قال
الذي يتمنى فيه الموت ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله
عز وعلا تقريرا لقولهم وتصديقا له بعد تمام كلامه لقرينه ثم قال الله لمثل هذا فليعمل العاملون
وقيل هذا ايضا من كلامه **قوله تعالى** اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها
فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه روس الشياطين فانهم لاكلون منها
فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم
ضالين فهم على اثارهم يهرعون — لما تمت قصة المومن وقرينه رجع الى ذكر الرزق
المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام
يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور
وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول
اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة
الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند

لاذواقهم كما يقال للانعام لساكني الدار السكنى ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم والزقوم ثمرة شجرة كريهة الطعم جدا من قولهم هذا الطعام اى تناوله على كره ومشقة شديدة انا جعلناها فتنة للظالمين الكافرين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر قال ابن الزبعري لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافريقية هو الزبد والتمر فقال تزقموا هذا ما توعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قعر النار والحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها طلعها الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية كانه رءوس الشياطين شبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدروا هوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصور الحسنة قال تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك وهذا تشبيه تخييلي وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطانا وقيل انه شجر يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رءوس الشياطين وما سمته العرب بهذا رءوس الشياطين الا قصدا لاحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به فانهم لاكلون منها من الشجر اى من طلعها فمالئون منها بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد فيملئون حشو الوعاء عما لا يحتمل زيادة عليه ثم ان لهم عليها لشوبا خلطا ومزاجا مقاتل شرابا من حميم ماء حار شديد الحرارة ومعنى حرف التراخي في قولهم ثم ان لهم عليها لشوبا وجهان احدهما انهم يملئون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد مليّ تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اى ثم انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون يسرعون علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم واياهم على

الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة والله اعلم

قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يوجب التسلية لرسول صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبل قومك قريش اكثر الاولين فارسلنا فيهم منذرين انبياء حذروهم العواقب فكذبوهم ويجب ان يكون لك اسوة بهم حتى تصبر كما صبروا وتستمر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فانه ليس عليهم الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المكذبين الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم وقيل اخلصهم الله لدينه

قوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المكذبين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناه الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق والطوفان واهوال السفينة وقيل تكذيب قومه اياه والاستدلال له وجعلنا ذريته هم الباقين وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وقيل هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة فالناس كلهم من ذرية نوح عليه وكان لنوح ثلثة اولاد سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج ابن عباس لما خرج نوح عليه السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم وتركنا عليه اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا في الاخرين فيمن بعده من الانبياء والامم سلام اى وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها في العالمين يعني الدعاء ثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم وقيل وتركنا عليه ثناء حسنا وتم الكلام ثم قال الله سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين اى سائر المحسنين ننجيهم ونسلم عليهم كما نجينا نوحا واثنينا عليه انه من عبادنا المومنين علل مجازاة نوح بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين

عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مومنا ليريك جلالة محل الايمان
وانه القصارى من جهة المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ثم اغرقنا الاخرين
يعني قومه الكافرين المكذبين **قوله تعالى** وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب
سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم
لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني
ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين وان من شيعته ممن شايع نوحا
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين لابرهيم يحتمل ان يكون بين شريعتهما اتفاق في
اكثر الاشياء ابن عباس وان من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان
هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستماية واربعون سنة والظرف يتعلق بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم من جميع افات
القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها
كلها ومعنى المجي بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجي مثلا لذلك اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون ما الذي تعبدونه وقيل لاي شي تعبدون فان السوال وقع عن الغرض
لا عن الجنس ائفكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك
وباطل في شركهم ويجوز ان يكون مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة دون
الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين
فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقيل فما ظنكم برب العالمين انه من اي جنس
من اجناس الاشياء حتى شبهتم به هذه الاصنام اي لا يشبهه شي وقيل فما ظنكم بمن هو الحقيق
بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة
الاصنام وقيل فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم
وذلك حين طلبوا منه ان يخرج معهم الى عيدهم فاراد ان يتاخر عن الامر الذي هم به فقال اني
سقيم ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك
انه كان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على اصنامهم فيقربون لهم القرابين ويضعون
بين ايديهم من الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه

مقاتل

مقاتل كانت الاصنام اثنين وسبعين صنما من خشب وحديد ورصاص وشبه وفضة
وذهب وكان كبيرهم من ذهب في عينيه ياقوتتان فقالوا لابرهيم عليه السلام الا تخرج معنا
الى عيدنا فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم ابن عباس مطعون الحسن مريض الضحاك
ساسقم كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقيل سقيم بما في عنقي من الموت وقيل سقيم مما ارى
من احوالكم القبيحة وقيل سقيم لعلة عرضت له وانه انما نظر في النجوم مستدلا على وقت حمى
كانت تاتيه والصحيح انه لم يكن سقيما لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كذب ابرهيم
ثلاث كذبات ما منها واحدة الا وهو يماحل ويناضل عن دينه قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم
هذا وقوله لسارة هي اختي وهل الذي قاله ابرهيم معاريض من الكلام وقد نوى به ان من في عنقه
الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاة فالتف عليه الناس فقالوا مات
وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فتولوا عنه
مدبرين الى عيدهم فدخل ابرهيم عليه السلام على الاصنام فكسرها ووضع الفاس على عاتق
الصنم الكبير وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على اصنامهم قبل ان يرجعوا الى منازلهم
فدخلوا عليها فاذا هي مكسورة فذلك قوله عز وجل فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة
الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاي الا تاكلون الطعام تضعيفهم
وتعجيزهم ما لكم لا تنطقون استهزا بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا
كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم وقيل فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا
بمعنى ضاربا ضربا باليمين ضربا قويا شديدا لان اليمين اقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين
بسبب القسم الذي سبق منه وذلك قوله وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين وقيل
بالقوة والمتانة فاقبلوا اليه الى ابرهيم يزفون يسرعون الحسن ومجاهد يزفون زفيف النعام قراءة
حمزة يزفون بضم الياء وهو الراي من ازف اذا دخل في الزفيف وقيل من ازفه اذا حمله على الزفيف
اي يزف بعضهم بعضا قال ابرهيم عليه السلام لهم على وجه الحجة اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون اي وعملكم وفي هذه الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله عز وجل حيث قال
وما تعملون وعلى انها منتسبة للعباد حيث اثبت لهم عملا فابطل مذهبا القدرية والجبرية
بهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته وقيل وما تعملون
اي اصنامكم وقيل وما تعملون منه الاصنام كالخشب والذهب والفضة قالوا ابنوا له لاجله
بنيانا مقاتل بنوا له حايطا من الحجر طوله ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاوه من الحطب

واوقدوا فيه النار فالقوه في الجحيم فرموه في النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهو
جحيم وارادوا به كيدا مكرا وحيلة لما غلبهم بالحجاج فجعلناهم الاسفلين المقهورين والمعنى ان الله تعالى
غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله عز وجل والهمه
ما الجمهم به الحجة وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاسفلين الاذلين لم يقدروا عليه قال
ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى مرضاة ربي وهو المكان الذي امرني بالذهاب اليه وقيل
اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي وقيل
ذاهب الى ربي بديني وعملي سيهدين اي يقصدني وقيل انما قال ذلك حين طرح في النار اي ذاهب الى
ما قضى علي ربي وقيل معناه اني ميت كما يقال لمن مات ذهب الى ربه وقيل سيهدين الى الخلاص
من النار وقيل الى الجنة وقيل الى قوله حسبي الله ونعم الوكيل وقيل سيهديني الى الهدى وقيل سيرشدني
الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان
الله تعالى وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته
وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلى الله
عليه وسلم عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي ولدا من الصالحين لان لفظ الهبة غلب
في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال عز وجل ووهبنا
له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى **قوله تعالى** فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء
الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه
وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة
على ثلث ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم اي بغلام يبلغ درجة الحكماء وان الصبي لا يوصف
بالحلم والحليم الذي لا يعجل بالعقوبة مع القدرة وقيل بغلام عليم في صغره حليم في كبره وقيل حليم في صغره
واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم
لذلك وقال ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به
ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي
مع ابيه في اشغاله وحوائجه وقيل قوي على ان يسعى معه في منافعه وقيل مشى مع ابيه وقيل بلغ ان يسعى في
عبادة الله وطاعته وقيل بلغ مبلغ الرجال قيل معه لا يخلو ان يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حال
السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي

يقدر فيه

يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم
عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان
اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه
من رصانة الحلم وسعة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا
قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت
في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك هذا
فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره فسمي يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد
السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة قرا حمزة والكسائي وخلف
ماذا تري بضم التاء وكسر الراء اي ماذا تريني من صبرك وجزعك وقيل ماذا تبصر من رايك وتدبيره وقيل
ماذا تشير والباقون بفتح التاء والراء قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على البلاء اختلف السلف من علماء المسلمين في الذي امر ابرهيم عليه السلام
بذبحه من ابنيه بعد اتفاق اهل الكتابين على انه كان اسحق فقال قوم الذبيح اسحق واليه ذهب من
الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب رضي الله
عنهم ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقسم
بن ابي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وهي رواية عكرمة وابي حمزة عن
ابن عباس وقال الاخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن واثلة
وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي
والكلبي وهي رواية عطاء وابي الجوزاء ويوسف عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق
وكذبت اليهود وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسحق فعن الاحنف بن قيس رضي
الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اراد ان يذبح اسحق وعن صفوان بن سليم
وزيد بن اسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اسحق الذي اراد ابرهيم ان يذبحه وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يا رب صدقت بك وجدت بنفسي
للذبح فلا تدخل النار من لم يشرك شيئا فيقول تبارك وتعالى وعزتي لا ادخل النار من لا يشرك بي

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خيرني بين ان يغفر لنصف امتي
او احسن شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان تكون اعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح
لتعجلت فيها دعوتي ان الله عز وجل لما فرج عن اسحق عليه السلام كرب الذبح قيل يا اسحق سل تعط فقال اما
والذي نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة واما
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فعن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن ابي سفيان فذكروا
الذبيح اسحق او اسمعيل فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال
يا رسول الله عد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا امير المؤمنين
وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لله عز وجل لئن سهل الله عز وجل له امرها ليذبحن احد
ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني
اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار في هذا الباب فاما حجة القائلين بانه اسحق من القرآن فهو ان الله تعالى
اخبر عن خليله ابرهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه لوط وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير
له ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابته دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رؤيا ابرهيم انه يذبح ذلك الغلام
الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن انه بشر بولد الا باسحق واحتج من قال انه اسمعيل من القرآن
بما روي عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله تعالى ابرهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد
ذلك في كتاب الله وذلك ان الله تعالى يقول حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يامر بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى الموعود فلما لم يذكر الله تعالى اسحق
الا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحق علمنا ان الذبيح اسمعيل قال القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز
وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا لشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى
رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى من علماء اليهود فساله عمر بن عبد العزيز
عن ذلك وانا عنده فقال اي ابني ابرهيم امر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك
ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذي كان من امر الله فيه والفضل الذي ذكره الله عز وجل منه
لصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم واحتجوا ايضا بان قرني الكبش كانا
منوطين بالكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج قال
الشعبي رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وكان القرنان ميراثا لولد اسمعيل عليه السلام وهم اولى بهم
وكانوا اكثر عزا وامنع من العرب وهذا ادل دليل على ان الذبيح اسمعيل وقال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلاء
عن الذبيح اكان اسحق او اسمعيل فقال لي يا اصيمع اين ذهب عنك عقلك واين كان اسحق بمكة وانما كان

اسمعيل

اسمعيل بمكة والذي بنى البيت مع ابيه ابرهيم عليهما السلام كما قال الله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت واسمعيل والمنحر بمكة لا شك فيه وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فانشد   ان الذبيح
هديت اسمعيل نطق القرآن بذاك والتنزيل   شرف به خص الاله نبينا واتى به التفسير والتاويل
ان كنت من امته فلا تنكر له شرفا به قد خصه التفضيل   قال صاحب الكشاف فان قلت لم شاوره
في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله
فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها
ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح
مما يستسمج وليكون سنته في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك
فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له
في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما
سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال
يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احدهما فلما اسلما
اي انقادا وخضعا لامر الله ورضيا به يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له
وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم
لامر الله واسلم منقول منه وحقيقة معناها اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين اي صرعه
واضجعه وكبه على وجهه للذبح تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان
وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك
في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما وشكرهما
على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه
من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لتخويل ما خولهما الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا لهو البلاء المبين
الاختبار الظاهر فيما يوجب النعمة او النقمة ولذلك يقال للنعمة بلاء وللمحنة بلاء لانها سميت باسم
سببها المؤدي اليها وقيل البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة
البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم والذبح المهيا لان يذبح عن ابن عباس
رضي الله عنهما الكبش الذي ذبحه ابرهيم عليه السلام هو الذي قربه ابن ادم هابيل فتقبل منه وقال

سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا مجاهد سمي عظيما لانه متقبل الحسين
ابن الفضل لانه كان من عند الله ابو بكر الوراق ولانه لم يكن عن نسل وانما كان بالتكوين وقيل لانه فدا
عبد عظيم وقال اهل المعاني قيل له عظيم لانه يصغر مقدار غيره من الكباش بالاضافة اليه واكثر
المفسرين على انه كان كبشا من الغنم اعين اقرن املح الحسين ما فدى اسمعيل الا تيس من الاروى اهبط
عليه من ثبير فانه قيل قد اوحى الى ابرهيم عليه السلام في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد
صدقت الرويا وانما كان مصدقها لو حصل منه الذبح وقيل له قد صدقت الرويا اجيب بانه قد بذل وسعه
وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله عز وجل جاء بما منع الشفرة
ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا
كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل
الفعل ولا قبل اوان الفعل في شي كما سبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام عليه فان قيل الله تعالى
هو المفدي لانه الامر بالذبح وكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه اسنادا للفدا الى السبب الذي هو
الممكن من الفدا بهبته فانه قيل اذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفدا
والفدا انما هو التخليص من الذبح بدل اجيب بانه قد علم منع الله تعالى ان حقيقة الذبح لم يحصل من فري
الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في
نفس اسمعيل ويكون في نفس الكبش بدلا منه فان قيل فاي فايدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها
بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان اجيب بان الفايدة في ذلك ان يوجد ما منع منه
في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه وتركنا عليه على ابرهيم سلام على
ابرهيم كذلك نجزي المحسنين ولم يقل انا كما في غيره لانه قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف
بطرحه اكتفا بذكره مرة عن ذكره ثانية ولانه بقي من القصة شي وسائر ذلك وقع بعد تمام القصة انه
من عبادنا المومنين **قوله تعالى** وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين حال مقدرة كقوله
تعالى ادخلوها خالدين فان قيل فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك لان المدخول موجود
مع وجود الدخول والخلود غير موجود معها فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال
حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده
بل تراخت عنه مدة متطاولة وكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود
الفعل منه او به فالخلود ان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الدخول
وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم

اسحق

اسحق اجيب بان هذا سوال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير
مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود
لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها
على سبيل الثناء والتعريض لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين مادة بشر الله بنبوة اسحق بعد
ما امتحنه بذبحه وهو جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا لا يجوز
ان يبشره الله بمولود وبنبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا ابن عباس
وبشرناه باسحق نبيا قال بشرى نبوته بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه على ابرهيم وعلى اسحق
اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبيا بني اسرايل من صلبه وقوله وظالم لنفسه
مبين نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري
امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظالم
في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاتب بسو فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه
لا على ما وجد من اصله وفرعه وقيل على الغلام المبشر به وعلى اسحق وهو ما ذرنا من الذرية الصالحة التي توجد
قرنا بعد قرن الى قيام الساعة وقيل خرج من صلب اسحق الف نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى وقيل
وجعلنا فيهما وفي نسلهما البركة والزيادة يقول بارك الله فيك وعليك وقيل معنى باركنا ثبتنا عليهما
نعمتنا والبركة البقاء ومن ذريتهما محسن مومن وظالم لنفسه مبين كافر ظاهر الكفر **قوله تعالى**
ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى
وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين ولقد مننا انعمنا على موسى
وهرون بالنبوة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم بني اسرايل من الكرب العظيم من الغرق حيث
اغرقنا فرعون وقومه وقيل من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه اي القبط واتيناهما الكتاب المستبين المستنير البليغ في بيانه
وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام
وهو صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اي اثبتناهما عليه وتركنا عليهما
في الاخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين **قوله تعالى**
وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين
الله ربكم ورب ابايكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه

في الآخرين سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين
ابن مسعود إلياس هو إدريس وإلى هذا ذهب عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وإن إدريس
لمن المرسلين وتفرد عبد الله بن مسعود وعكرمة بهذا القول وقال آخرون هو نبي من أنبياء بني إسرائيل
ابن عباس هو عم اليسع وقيل هو إلياس بن ياسين بن العيزار بن هرون أخي موسى بن عمران لمن المرسلين
إذ قال لقومه ألا تتقون عذاب الله بالإيمان به وقيل معناه ألا تتقوا الله أتدعون أتعبدون بعلا
وهو اسم صنم كان لهم يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي
البعل الرب بلغة أهل اليمن وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عباس
سمعت أعرابيا يقول لآخر من بعل هذه الناقة يعني من صاحبها قال الفراء هي بلغة هذيل وقيل كان من
ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم
أنبياء وكان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم
أهل بعلبك من بلاد الشام وتذرون وتتركون أحسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم قرأ حمزة
والكسائي وخلف ويعقوب الله بالنصب ربكم ورب آبائكم بنصبهما على البدل والباقون برفعهما
على الاستئناف فكذبوه فإنهم لمحضرون في العذاب إلا عباد الله المخلصين من قومه فإنهم
نجوا من العذاب وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرأ ابن عامر ونافع ويعقوب آل ياسين
بالمد والباقون إلياسين بالقطع والكسر فمن قرأ آل ياسين بالمد فإنه أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم
عن بعضهم وقيل أراد آل ياسين وهو أليق بسياق الآية ومن قرأ إلياسين فقد قيل إنها لغة في إلياس
مثل إسمعيل وإسمعين وميكائيل وميكائين وقيل هو جمع أراد إلياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم
الأشعريون والمهلبيون قال الكسائي العرب تثني وتجمع الواحد لقول الشاعر   قدني من نصر
الخبيبين قدي   وإنما هو أبو خبيب عبد الله بن الزبير وقال آخر   جزاني الزهدمان جزاء
سوء   وإنما هو زهدم   إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين **قوله تعالى**
وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين
وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون   مصبحين داخلين في الصباح أي
تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا أفلا تعقلون فما فيكم عقول تعتبرون بها
قوله تعالى وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان
من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه
إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه
إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين   إذ أبق هرب من عيسى لا ابق الدار

الحوت

الحوت لا يهتدي الطالب متشبه يونس بالفار من مولاه وقيل أبق خرج وقيل فزع وقيل تباعد إلى الفلك
المشحون المملوء وقيل المجهز ابن عباس ووهب كان يونس عليه السلام قد وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب
عنهم خرج كالمنشور منهم فقصد البحر وركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا
عبد أبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس
عليه السلام فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء وذلك قوله فساهم فقارع والمقارعة إلقاء السهام
على جهة القرعة فكان من المدحضين المقروعين المغلوبين وحقيقة المدحض المزلق عن مقام الظفر
والغلبة فالتقمه فابتلعه الحوت فأوحى الله إليه أني جعلت بطنك ليونس سجنا ولم أجعله لك طعاما وهو
مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم فلولا أنه كان من المسبحين
المنزهين الذاكرين لله تعالى قبل ذلك في الرخاء بالتسبيح والتقديس ابن عباس من المصلين مقاتل المصلين
المطيعين قبل المعصية وهب من العابدين سعيد بن جبير يعني قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
من الظالمين الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا للبث في بطنه الظاهر لبثه
فيه حيا إلى يوم القيمة وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيمة الكلبي لبثه أربعون يوما الضحاك
عشرون عطا سبعة قيل ثلاثة الحسن لم يلبث إلا قليلا قيل أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه
روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر
فنبذناه فطرحناه بالعراء الكلبي وجه الأرض مقاتل ظهر الأرض مقاتل بن سليمان بالبرية من الأرض
الأخفش بالفضاء الفراء بالأرض الواسعة السدي بالساحل والعراء الأرض الخالية عن الشجر والنبات
ومنه قيل للمتجرد العريان   قال الشاعر   ترك الهام بيضتها بالعراء صار للحي حاضن العقباء
وهو سقيم عليل مما حل به روي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وأنبتنا عليه أي له وقيل عنده
كقوله تعالى ولهم علي ذنب أي عندي شجرة من يقطين القرع ابن عباس والحسن ومقاتل كل نبت يمتد
وينبسط على وجه الأرض ولا يبقى على الشتاء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل سعيد
بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت في عامه وقيل هو تفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائلة لا
إقامة ثابتة مقاتل بن حيان وكان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وقيل
هي الدباء وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع
قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها
وأفطر على ثمارها وروي أنه مر زمانه على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله إليه تبكي على شجرة
ولا تبكي على مائة ألف من يد الكافر وقيل معنى أنبتنا عليه شجرة أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب
البيت على الإنسان وأرسلناه يجوز أن يكون قبل حبسه في بطن الحوت وهو ما سبق من إرساله

الى قومه من اهل سوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا
الى مائة الف او يزيدون في مراى الناظر اذا راها الراي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة بن عباس معناه ويزيدون قال الشاعر فلما اشتد امر الحرب فينا تاملنا رياحا
او رزاما اي ورزاما مقاتل بل يزيدون بن عباس مبلغ الزيادة على مائة الف عشرون الفا للحسن والربيع بضع وثلثون الفا ابن حبان سبعون الفا فامنوا عند معاينة العذاب فمتعناهم
الى حين الى اجل مسمى اي الحين انقضاء اجالهم **قوله تعالى** فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم
لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فاستفتهم معطوف على فاستفتهم في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش على وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم على وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله سبحانه
الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملايكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة للبنات ووادهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة من
خواص الاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم تعالى حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشا في الحلية وهو
في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقايله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم
بين مكشوف فكرر الله تعالى الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا
تكاد السموات يتفطرن منه الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى
البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وهم شاهدون فاستفتهم فسل يا محمد اهل مكة الربك البنات ولهم البنون وذلك ان جهينة
وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ام خلقنا

الملايكة

الملايكة اناثا وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم لما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه
في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر وقيل المعنى انهم يقولون ذلك كالقايل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانوا قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله اي انهم
لم يقولوا عن قياس ولا عن مشاهدة بل عن كذب محض يقولون ولد الله وانهم لكاذبون وفي هذا وفي ساير ما الله سوى بذا اصطفى البنات قرانا في بعض الروايات لكاذبون اصطفى موصولة على الخبر والحكاية عن
قول المشركين محانه يقولون ولد الله ويقولون اصطفى البنات على البنين ثم رجع الى الخطاب والقراءة بقطع الالف لانها الف استفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام
مفتوحة معطوفة على حالها مثل استكبرت واستغفرت واذهبتم ونحوها ما لكم كيف تحكمون اي شئ لكم في هذه الدعوى كيف تحكمون اي شئ لكم في هذه الدعوى كيف تحكمون لربكم ما لا ترضونه لانفسكم افلا تذكرون انه
واحد لا ولد له لا ذكر ولا انثى ام لكم سلطان حجة نزلت عليكم من السماء وخبر ان الملايكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه
الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقوالهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب
من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا يعني مشركي مكة بينه وبين الله الجنة يعني الملايكة نسبا وهو زعمهم ان الملايكة بنات الله وسمى الملايكة
جنة لاجتنانهم عن الابصار والمعنى جعلوا ما قالوا نسبة بين الله وبين الملايكة واثبتوا بذلك جنسية جامعة لله وللملايكة وقيل سمى الملايكة جنة لانهم قالوا الجنة الجن واحد ولكن من خبث من الجن
ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة
المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان يسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه
فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه ابن عباس قالوا الحي من الملايكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس هم بنات الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج
من الجن فخرج منها الملايكة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا الحسن اشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه ولقد علمت الجنة انهم يعني قايلي هذا القول لمحضرون في النار
واذا فسرت الجنة بالشياطين فالمعنى ولقد علمت الشياطين انهم لمحضرون يعني ان الله تعالى

بعض الشياطين النار وبعدهم ولو كانوا مناسبين له او شركا في وجوب الطاعة لما عذبهم سبحان الله
عما يصفون نزه نفسه عن الولد والوالد والاخ والصاحبة والشريك الا عباد الله المخلصين ناجون
وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في
يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون اي الاصنام
هذا خطاب لاهل مكة متصل بقوله فاستفتهم قيل عليه اي على الله ومعناه فانكم وما تعبدونه من الالهة
ما انتم جميعا بفاتنين على الله الا من هو صال الجحيم اي ما انتم بمضلين الا من هو صال الجحيم اي الا من
هو في علم الله وارادته انه سيدخل النار ومعنى فاتنين على الله مفسدين وهم عليه باغوائهم واستهزائهم
من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وقيل الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها
في قولهم كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم
مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرنا وهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم
عليه اي على ما تعبدون بفاتنين باعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من ضال بالاضلال
الله تعالى صال الجحيم داخل النار وذكر عند عمر بن عبد العزيز القدر فقال عمر بن عبد العزيز لو اراد الله ان لا يعصى
ما خلق ابليس وهو راس الخطية وان في ذلك لعلما في كتاب الله جهله من جهله وعرفه من عرفه ثم قرا
فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وقال فصلت هذه الاية بين الناس
وعن ابي عامر قال لي عمر بن عبد العزيز فيه الى ادني ما تقول في الذين يقولون لا قدر قلت اري ان
يستتابوا فان تابوا والا ضربت اعناقهم فقال عمر بن عبد العزيز ذلك الراي فيهم والله لو لم يكن الا هذه
الاية لكفي بها فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وقيل بفاتنين اي بمهلكين
وقيل الفاتن الداعي الى الضلال بوسوسته الا من هو صال الجحيم داخل الجحيم والمعنى الا من اضله الله
وقيل الا من تولاكم وقيل الا من قدر الله له ان يصلي الجحيم وقيل الا من علم الله انه يصلى الجحيم ٥

قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان
كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون
وما منا احد الا له مقام معلوم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني
اي بكفي رجل كان من ادمي البشر اي بكفي رجل مقام معلوم في العبادة
والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه ابن
عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح ابو بكر الوراق الا له مقام معلوم يعبد
الله عليه كالخوف والرجا والمحبة والرضا السدي في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون نصف
اقدامنا في الصلوات وقيل اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين

المؤمنين

للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف
احد من اهل الملل في صلواتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المنزهون وقيل المصلون
وقيل المنزهون المجدون عمن ادعى انا استحققنا العبادة عند الكفار قال صاحب الكشاف
والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى
يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين
مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوا عن ذلك واستثنوا عباد
الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا
على الله عز وجل احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة
ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة
لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا
لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وهذا
كلام صحيح الا قوله ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته انهم من اهل النار فانه باطل
لا دلالة عليه في الاية والصحيح ممن علم الله لتقديره وارادته انه من اهل النار لا لكفر
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل قوله وما منا الا له مقام معلوم هو من قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر
عمله من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون
في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان
كانوا يعني مشركي مكة ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين ولما كذبنا كما كذبوا ولا
خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين
الكتب وكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فكفروا به اختصارا تقديره
فلما اتاهم ذلك الكتاب كفروا به ونظيره قوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولون مؤكدين للقول جادين فيه
فكم بين اول امرهم واخرهم **قوله تعالى** ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف

يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اردفه بما يقوي
قلب الرسول صلى الله عليه وسلم تعالى ولقد سبقت الاية تبين انه وعده بنصر قد تقدم والدليل
عليه قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كلمتنا هي قوله لاغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم
كلمة واحدة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقادم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم
في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى
عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل
فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصر وان وقع في تضاعيف ذلك شوب
من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة فتول عنهم فاعرض
عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال ابن عباس الى الموت السدي
الى يوم بدر وقيل الى يوم القيمة وابصرهم اي انظروا اليهم اذا عذبوا وقيل ابصر حالهم بقلبك وقيل
وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة وقيل ابصرهم فسوف يبصرون ما
انكروا وقيل فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة والمراد
بامر ابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدالة على انها كاينة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة
كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنفيس عنه فسوف يبصرون
للوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
اوعدهم العذاب قالوا متى هذا الوعد فانزل الله تعالى هذه الاية فاذا نزل بساحتهم بناحيتهم
وفنايهم فساء فبئس صباح المنذرين الكافرين مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه
بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم
تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنايهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس
بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل عن انس في قوله تعالى فساء صباح
المنذرين قال لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زروعهم ومعهم مساحيهم
فلما راوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر

انا اذا

انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام
في المنذرين للجنس لا للعهد لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثني وتول
عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فايدة زايدة وهي اطلاق الفعلين
معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة
وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة سبحان ربك اضيف الرب الى المخاطب اعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم رب العزة واضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول
صاحب صدق لاختصاصه بالصدق وقيل يريد انه ما من عزة لاحد من الملوك ولا غيرهم الا وهو ربها ومالكها
كقوله تعز من تشاء قال صاحب الكشاف اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا
الله مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها
بجوامع ذلك من تنزيهه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما
قيض لهم من حسن العاقبة والغرض تعليم المومنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات
كتابه الكريم ومودعات قرانه المجيد وعن علي كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا
على المرسلين وعن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يسلم
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ٥ ٥

سورة ص مكية

وهي ثلاثة الاف وسبعة وتسعون حرفا وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وخمس وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ص والقران
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق سبب نزول اولها ابن عباس ان قريشا
شكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال
يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتودي اليهم بها الجزية العجم قال كلمة واحدة
قال ما هي قال لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزلت فيهم ص والقران الى
قوله ان هذا الا اختلاق واختلفوا في معنى ص عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس قسم اقسم الله به
عطا عن ابن عباس انه صدق محمد صلى الله عليه وسلم الضحاك صدق الله وعن ابن عباس ايضا صادق
نبي وعند الزجاج معناه الصادق الله تعالى مادة انه اسم من اسما القران اقسم به ابو سليمان

الدمشقي انه اسم حية راسها تحت العرش وذنبها تحت الارض السفلى وقال اظنه عن عكرمة
الحسن وابن ابي اسحق صاد بحصص لذال من المصاداة اي عارض القرآن بعملك وقابله به
فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وقرا عيسى بن عمر صاد بفتح الدال ومثله قاف ونون لاجتماع
الساكنين حركها الى اخف الحركات وقيل على الاغراء وقيل انه صاد معناه صاد محمد قلوب الخلق
واستمالها حتى امنوا به قال صاحب الكشاف صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح
لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب
او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف
والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرا صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل
فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن
الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت
قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه
على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال
والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان تكون من خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه
قال هذه ص يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول اقسمت بصاد
والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق واستكبار عن الاذعان والاعتراف
بالحق وشقاق لله ولرسوله اذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد
بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي
الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر
الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر
ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبيا والوعد والوعيد والتنكير في عزة
وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقيل ان صاد جواب لقوله والقرآن كقولك وجب والله
نزل والله حق والله وقيل ان صاد قسم جوابه كم اهلكنا من قبلهم من قرن ومعناه لكم فلما طال الكلام
حذفت اللام ومثله والشمس وضحاها قد افلح فانه لما اعترض بينهما كلام تبعه قوله قد افلح وقيل
ان كل الا كذب الرسل وقيل ان كل الا كذب الرسل وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال القراء
مستقبحا في العربية لتاخره جدا عن قوله والقرآن وقيل ان جوابه محذوف تقديره والقرآن ذي
الذكر ما الامر كما تقول الكفار ويدل على هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق بل الذين

كفروا

كفروا في عزة حمية جاهلية وتكبر وشقاق فراق وخلاف وعداوة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم **قوله تعالى** كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب لما وصفهم الله تعالى بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم اهلكنا وعيد لذي العزة والشقاق
من قبلهم من قرن فنادوا بالاستغاثة والايمان والتوبة ولات حين مناص وليس بوقت فرار
ولا نزوا وانتفاع وهب ولات بالسريانية وليس وقيل انما هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء
التانيث كما زيدت على رب وثم فقيل ربت وثمت للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على
الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر زيدت التاء وخصت بنفي الاحيان
وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنده انها ما ينتصب بعده بفعل مضمر
اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعند الخليل وسيبويه ان
النصب على ولات حين مناص اي وليس الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع
على ولات حين مناص حاصلا لهم نقل عن ابي عبيد ان التاء داخلة على حين اي تحين قال صاحب
الكشاف لا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت
في المصحف اشياء خارجة عن القياس الخط مناص مفعل من ناص مثل مقام اي منجا وفوت يقال
ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في
الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص
فانزل الله تعالى ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر رسول منهم من انفسهم وقال
الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون
المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم
وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي
لا يبحث غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد
والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم واكثرهم جهلا وابو جهل بن هشام
وابنا امية ابنا خلف وعمرو بن وهب بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وعبد الله بن ابي امية
والعاص بن وائل والحارث بن قيس وعدي بن قيس والنضر ابن الحارث وابو البختري بن هشام
وقرظ بن عمرو وعامر بن خالد ومخرمة بن نوفل وزمعة ابن الاسود ومطعم بن عدي والاخنس ابن
شريق وحويطب بن عبد العزى ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والوليد بن عتبة وهشام بن عمرو بن

زمعة وسهيل بن عمرو فقال لهم ابو الوليد امشوا بنا الى ابي طالب فقالوا له انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريد الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فدعاه فقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السوآء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وماذا يسالوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لنعطينكها
وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا
اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ان هذا لشيء عجاب اي عجيب بليغ ❊
قوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري
بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب وانطلق الملأ
منهم اي اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم واصبروا فلا حيلة لكم في
دفع امر محمد ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له
ولا ينفع الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل
ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم ويغلبوا عليه وان معنى اي لان المنطلقين عن مجلس
التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول وقيل
يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت
ولادتها ومنه الماشية للتفول كما تقول لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا
فواشيكم واصبروا على الهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقيل وانطلق
الملأ منهم ان امشوا يعني الى ابي طالب فاشكوا اليه ابن اخيه واصبروا واثبتوا على الهتكم ما سمعنا
بهذا الذي يقول محمد في الملة الاخرة وقال ابن عباس والقرظي والكلبي ومقاتل يعنون النصرانية
لان النصارى يجعلون مع الله الها وقال مجاهد وقتادة يعني ملة قريش زماننا وقيل ما سمعنا بهذا
كائنا في الملة الاخرة على ان يجعل في الملة الاخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه
والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ما هذا الا
اختلاق اي افتعال وكذب ءانزل عليه الذكر اي القران من بيننا اي انكروا ان يختص بالشرف
من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل

من القريتين

من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة
من بينهم بل هم في شك من ذكري من القران يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق
كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذاب بعد
فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم
العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة نظيرها في الزخرف
اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها
من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله
عليه وسلم وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز الوهاب القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب
المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما يشاء ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض
حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي تختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بها غاية التهكم
فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلق والتصرف في قسمة الرحمة وكان عندهم الحكمة التي يميزون بها
ما هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا فليصعدوا في الاسباب في المعارج والطرق
والحبال التي يتوصل بها الى العرش فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون ويشاؤون وهذا امر توبيخ وتعجيز
قال صاحب الكشاف الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله عز وجل وينزلوا
الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خساهم خساية عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب اي هم جند ما هنالك ما صلة مهزوم مغلوب ممنوع عن الصعود الى السماء من
الاحزاب اي من جملة الاجناد قال اكثر المفسرين يعني هؤلاء الملأ الذين يقولون هذا القول
جند مهزوم مقهورون وانت عليهم مظفر منصور صادق وعده الله عز وجل بمكة انه سيهزمهم
فجاء تاويلها يوم بدر ومن الاحزاب اي كالقرون الماضية الذين تحزبوا واهلكوا قال صاحب
الكشاف ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال
بما يقولون ولا تكترث بما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام الا انه على سبيل الهزء
وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول العظيم من قولهم لمن
ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب
الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب ثم قال مسليا ومعزيا للنبي صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده ابن عباس ذو البنا المحكم القيبي

تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد وملك ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد واصل هذا ان البيت
من بيوتهم يثبت باوتاد قال في ظل ملك ثابت الاوتاد الضحاك ذو القوة والبطش الكلبي
ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد كل رجل
منه الى سارية وكل يد منه الى سارية فيتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت مقاتل
وحيان كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشده بالاوتاد الكلبي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل
عليه العقارب والحيات عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قتادة وعطا كان له اوتاد وارسان
وملاعب يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب فقصد بهذه
الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم
التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية
فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم
جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية
ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم
باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب فوجب عليهم ونزل بهم عذاب وما ينظر هؤلاء
يعني هؤلاء يعني كفار مكة وقيل اشارة الى جميع الاحزاب الا صيحة واحدة يعني نفخة القيامة وقد
روي هذا التفسير مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لها من فواق ابن عباس وقتادة ما لها من رجوع
الوالبي ترداد مجاهد نظرة مثنوية وفيه لغتان بضم الفاء وهي لغة تميم وبالفتح وهي لغة قريش قرا حمزة
والكسائي وخلف من فواق بالضم والباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد وفرق الاخرون
بينهما فقال الفراء وابو عبيدة والمؤرج الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة ذهبوا به
الى افاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو ان تحلب الناقة ثم تترك ساعة
الى ان يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق فاستعير في موضع الابطاء ومدة يسيرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من رابط فواق ناقة في سبيل الله حرم الله عز وجل جسده على النار
يعني اذا جاءت لم يستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ابن عباس
كتابنا وعنه ايضا القط الصحيفة التي احصيت كل شيء ابو العالية والكلبي لما نزلت في الحاقة
فاما من اوتي كتابه بشماله قالوا على جهة الاستهزاء عجل لنا قطنا يعنون كتابنا عجله لنا في
الدنيا قبل يوم الحساب الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعنون عقوبتنا وما كتب لنا
من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحارث وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر

علينا

علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو الذي قال الله سأل سائل بعذاب واقع عطا
لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي
تقول لنا والقط في كلام العرب الحظ ومنه قيل للصك قط قال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز
مجاهد قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط واصل الكلمة من الكتابة

قوله تعالى

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب كان قال لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية
الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة
والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث الله الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل
والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه
الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم
ومعاصيكم وقيل قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وحق نفسك وحافظها
ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك
الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين
والعبادة المطيع مشاقه وتكاليفه انه اواب مطيع تواب رجاع الى مرضاة الله انه اواب
مطيع تواب رجاع الى مرضاة الله انه اواب تعليل لذي الايد دال على ان الايد القوة في الدين
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بتسبيحه ابن عباس وكان عليه السلام يفقه تسبيح الحجر والشجر
بالعشي والاشراق وهو وقت الاشراق حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا
ادري ما بالعشي والاشراق حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق ابن عباس
انزل من نفسي من صلاة الضحى حتى طلبتها في القرآن فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي
والاشراق عكرمة وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يصلي الضحى ثم صلاها بعد وروي ان كعب
الاحبار قال لابن عباس رضي الله عنهما اني لا اجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال
ابن عباس انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى في قصة داود عليه السلام يسبحن بالعشي
والاشراق وليس الاشراق طلوع الشمس انما هو صفوها وضوؤها وقيل هو من اشراق القوم
اذا دخلوا في الشروق وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه

بالعشي والإشراق يسبحن في معنى مسبحات على الحال وإنما اختير يسبحن دون مسبحات لدلالته على حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها يسبح والطير
وسخرنا له الطير محشورة مجموعة في مقابلة يسبحن لكن لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة
الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على
أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لأن حشرها جملة
واحدة أدل على القدرة كل أي كل واحد من الجبال والطير له لداود أواب مطيع وقيل له أي لأجل
تسبيحه لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح
والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع
إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير في له
لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا قوينا ملكه ملك داود
عن ابن عباس كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ابن
عباس الذي شد الله ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل
من عظمائهم فاجتمعا عند داود فادعى المستعدي على الآخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله
تعالى إلى داود عليه السلام في منامه أن اقتل الرجل المستعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى
أتثبت فأوحى الله إليه مرة أخرى أن اقتله فلم يفعل فأوحى الله إليه الثالثة في اليقظة أن تقتله أو
تأتيه العقوبة من الله فأرسل داود عليه السلام إلى الرجل فقال إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك فقال
له الرجل تقتلني بغير بينة ولا تثبت قال له داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه
قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكن بأني صدت أبا هذا غيلة فقتلته فقال
الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والزبور وعلم
الشرائع والإصابة في الأمور أبو العالية العلم الذي لا ترده العقول وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة
وفصل الخطاب الفصل المميز بين الشيئين وقيل الكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير
لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه
من بعض بمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن
فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا تقف في كلمة الشهادة على
المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله
لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وقيل الفصل
بمعنى الفاصل كالصوم والزور وفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق

والباطل

والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات ابن
مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وأبو عبد الرحمن السلمي يعني علم الحكم والبصر بالقضاء كان لا يتتعتع
في القضاء بين الناس وهي إحدى الروايات عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه البينة على المدعي
واليمين على من أنكر وهو من الفصل بين الحق والباطل شريح الشهود والأيمان الشعبي سمعت زيادا
يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام أما بعد وهو أول من قالها لأنه يفتتح في الأمر
الذي إذا سماله الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسبوق إليه
فصل بينه وبين ذكر الله عز وجل أما بعد وقيل فصل الخطاب القصد الذي فيه اختصار ومنه جاء في
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر **قوله تعالى** وهل أتاك
نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه
وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن
داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى
وحسن مآب كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته
فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وكان الأنصار رضي الله
عنهم يواسون المهاجرين بمثل ذلك واختلف العلماء بأخبار الأنبياء وسيرهم عليهم السلام في سبب
امتحان الله نبيه داود عليه السلام بما امتحنه من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك أنه تمنى يوما
من الأيام على ربه تعالى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وسأله أن يمتحنه نحو الذي
امتحنهم ويعطيه نحو الذي كان أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم ودخل حديث
بعضهم في بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه
لعبادة ربه ويوما يخلو فيه بنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق
ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله عز وجل إليه أنهم
ابتلوا ابتلاء لم يبتل بها فصبروا عليها ابتلي إبراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي إسحق بالذبح وبذهاب
بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف وإنك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام رب
فابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى الله عز وجل إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس
فلما كان ذلك الذي وعده الله عز وجل دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو
كذلك إذ جاءه الشيطان تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين

رجليه فمدّ يده ليأخذها وفي بعض الروايات ويدفعها الى ابن له صغير فلما اهوى اليها طارت
غير بعيد من غير ان توئسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت
في كوة فذهب ليأخذها فطارت فنظر داود عليه السلام ابن يقع فبعث اليها من يصيدها
فابصر امراة في بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي راها تغتسل
على سطح لها فراى امراة من اجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة
فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسال عنها فقيل هي امراة اوريا
وزوجها في غزاة بعث الى صاحب بعث اوريا ابن اخت داود وكتب الى ايوب ان ابعث
اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى
يفتح الله على يديه او يستشهد فبعث وقدم ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ايضا
ان ابعثه الى عدو كذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها
داود فهي ام سليمن قيل هذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افنا
المسلمين فضلا عن بعض الانبيا وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على
الانبيا وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال
ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت
على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب
الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله عز وجل لقصته عليه السلام
ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب وقيل ان عين داود وقعت على امراة
رجل فقال له اوريا فاحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمن
فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان
تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك
والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب
على خطبة اخيه مع كثرة نسائه وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على
انه من الانبا العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم
يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله
تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا وقوله الخصم جمع ولهذا قال اذ تسوروا المحراب قوله
خصمان بمعنى فريقين يعني فريقين خصمين والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض

ونحوه

ونحوه قوله هذان خصمان اختصموا ان هذا اخي قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض قيل
فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان اجيب بانه معناه ان التحاكم بين اثنين كيف سماهم
جميعا خصما بالخصم وخصمان اجيب بانه لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم
صحت التسمية به اذ منتصب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا المحراب
قصدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه اعلا ذروته اذ دخلوا بدل مما اذ تسوروا ففزع منهم حين هجما عليه محرابه بغير اذنه
وروي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين وطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم
عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما ابن
عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال
بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاءوه في غير يوم القضا ففزع منهم ولانهم نزلوا
عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف يا داود
خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر قاله ابن عباس
السدي ولا تسرف المراد لا تفرط والشطط والاشطاط مجاوزة الحد واصل الكلمة من قولهم
شطت الدار واشطت اذا بعدت واهدنا الى سواء الصراط وسط الطريق ومحجته ضربه مثلا
يعني الحق ومحضه ان هذا اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة
والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ان هذا اخي على الحمل لا على
التحقيق على معنى انهما على طريقة واحدة وجنس واحد كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقيل ان
المتسورين كانا اخوين من بني اسرائيل من الاب والام وان احدهما كان معهما والاخر لم يكن معه اسها
داود عليه السلام مما فعل به له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من احسن التعريض
حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا توري عن النساء بالظباء والشاء والبقر
وهو كثير في اشعارهم للحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك
نعاج ولا بقر وانما هو كقول الناس ضرب زيد عمرا واشترى بكر دارا وما كان هناك ضرب ولا ظلم
ولا شرى فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي ابن عباس
اعطنيها ابن جبير تحول عنها ابو العالية ضمها الي حتى اكفلها ابن كيسان اجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني غلبني في الخطاب الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني قيل
اذا جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل
وقيل اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها

دون أن يحاكمهم في نفسه مثلا وكلامهم تمثيلا وإنما جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون
التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في
نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه
على الخطأ فيه من أن يبادئه به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء
كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح
وأن يحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه
وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة
مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة وإنما كان ذلك على وجه التحاكم
إليه ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
على نفسه بظلمه وجيء بالتمثيل فيه لأن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة
ولخليطه تسع وتسعون نعجة فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج
من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيرا من الخلطاء
وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة فإن قيل إنما تستقيم طريقة التمثيل
إذا فسر الخطاب بالجدال فإن فسر بالمفاعلة من الخطبة لم تستقم أجيب بأن الوجه مع هذا التفسير
أن يجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله   يا شاة ما قنص لمن حلت
له فرمت غفلة عينه عن شاته   وشبهها بالنعجة من قال   نعاج الملا تعسفن
رملا   لولا أن الخلط يأباه إلا أن يضرب داود الخلط ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فإن قيل الملائكة
عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من
شأنهم أجيب بأنه تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي
كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال
عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون خلطتها
وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها قال داود عليه السلام لقد ظلمك جواب قسم محذوف
وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه بسؤال نعجتك مصدر مضاف إلى المفعول
كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على
وجه السؤال والطلب فإن قيل كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع
كلامه أجيب بأن ذلك لم يقل إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم وإن كثيرا
من الخلطاء الشركاء ليبغي بعضهم على بعض والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة

وقد غلبت

وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة
أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد
والفحول مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كانت لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة
ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا يعتبر الخلطة
والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين من خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين من ثلاثة ثلاث
شياه وفي هذه الخلطة عليهما شاة يجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي
وعند أبي حنيفة لا شيء عليه وقصد بذكر الخلطاء في ذلك المقام الموعظة الحسنة والترغيب في
إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم
مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم على ما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم كذلك وقليل ما هم ما للإبهام وفيه تعجيب من قلتهم قال
صاحب الكشاف وإن أردت أن تحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط السدي إن أحدهما لما قال إن هذا أخي الآية قال
داود عليه السلام للآخر ما تقول فقال إن لي تسعا وتسعين نعجة ولأخي هذا نعجة واحدة وأنا
أريد أن آخذها منه فأكمل نعاجي مائة وهو كاره قال وهو كاره قال نعم قال إذا لا ندعك وذلك وإن رمت
ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الأنف وأصله والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن تضرب
منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تزل تعرضه
للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته قال فنظر داود عليه السلام فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك
قوله وظن داود أي أيقن لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن
أنما فتناه ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أم يزل فاستغفر ربه وخر راكعا أي ساجدا عبر
بالراكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجود التلاوة
على أن الركوع يقوم مقام السجود الحسين بن الفضل سألني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قوله
تعالى وخر راكعا وأناب هل يقال للراكع خر قلت لا قال فما معنى قوله في الآية قلت معناه وخر بعد أن
كان راكعا أي سجد عن أبي سعيد الخدري قال رأيت أني أكتب سورة ص والقرآن ذي الذكر فلما أتيت
على هذه الآية فلما أتيت على هذه الآية وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب رأيت
فيما يرى النائم كأن القلم خر ساجدا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما قال ويسجد كما سجد فتلاها فسجد وأمرنا أن نسجد فيها وعنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت يا رسول الله إني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة

والشجرة تقراص فلما بلغت السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها عندك
اجرًا وحط عني بها وزرًا وارزقني بها شكرًا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افسجدت انت يا ابا سعيد قلت لا يا رسول الله قال انت كنت احق بالسجدة
من الشجرة ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت
الشجرة وعن الحسين لانه لا يكون ساجدًا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه وحرم
ركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعًا اي مصليًا لان الركوع يجعل عبارة
عن الصلوة واناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل روي ان داود سجد فمكث اربعين
ليلة ساجدًا باكيًا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جنبيه وهو يقول
في سجوده رب داود زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود
وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثًا في الخلوف من بعده فجاءه جبريل عليه السلام من بعد اربعين
ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود عرفت ان الرب قادر
على ان تغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيمة
فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سالت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن
قال نعم فعرج جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سالت يا داود
ربك عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي
دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضًا
روي انه لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب
من دمعه الى راسه ولم يشرب ماءً الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبًا الى الله في العفو عنه حتى
كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع
اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها
فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قوله وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب ان اول من يشرب الكاس يوم القيمة داود وابنه **قوله تعالى**
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب
انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب لما تم الكلام في شرح تلك

القصة

القصة اردفها ببيان انه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلائل على فساد
القول المشهور في تلك القصة لانه من البعيد جدًا ان يوصف الرجل بكونه ساعيًا في سفك دماء
المسلمين راغبًا في انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه يا داود
انا جعلناك خليفة تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس وقيل
جعلناك خليفة على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه
قولهم خلفاء الله في ارضه وفيه دليل على ان حال داود بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم يتغير فاحكم
بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضايك وغيره مما يتصرف فيه
من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببًا لضلالك عن سبيل الله عن دلايله التي نصبها
في العقول وعن شرايعه التي شرعها واوحى بها الى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب وقيل متعلق بلهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل الله بعينه ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله لان متابعته تفضي الى الاستغراق
في اللذات الجسمانية والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات
الصالحات لانهما حالتان متضادتان فبقدر تزايد احدهما تناقض الاخر والضلال عن سبيل الله يوجب
سوء العذاب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وهذه الاية دالة على صحة الحشر بيانه انه
تعالى خلق في هذا العالم اما للاضرار وهو باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم او للانتفاع او لا لهذا
ولا لذاك والثاني باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فيتعين ان يكون للانتفاع والانتفاع
لا يكون في حياة الدنيا لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة
القليلة لا يليق بالحكيم الكريم فتعين ان يكون الانتفاع في حياة الدنيا ذلك ظن الذين كفروا ذلك
اشارة الى خلقهما باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا والذين
كفروا وان كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض لكن انكارهم للبعث والحساب والثواب
والعقاب مفض الى ان يظنوا ان خلقها باطل لان الحشر والجزاء الثواب والعقاب هي التي سبقت
اليها الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحدها جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد
سفه الخالق سبحانه وتعالى وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره وكان اقراره بكونه خالقًا
كلا اقرار فويل للذين كفروا من النار ام يجعل ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها للانكار والمراد
انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى
بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته اي
ليتدبروا اياته وتدبر الايات التفكر فيها والتامل الذي يودي الى معرفة ما فيها من التاويلات

الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اشبع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طائل وكان مثله كمثل من
له نخلة دور ولا يجتنيها ومن قبور لا يستولدها الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم
لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت
منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه
واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الورعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا
من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين **قوله تعالى** ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين
كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
وان له عندنا لزلفى وحسن ماب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص
بالمدح محذوف انه اواب علل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا الى الله بالتوبة او مسبحا مؤوبا
بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة
على طرف الحافر والصفون لا تكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها
بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة
مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها الكلبي غزا سليمن ابن داود عليهما
السلام اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهما الف فرس مقاتل وورث سليمن من ابيه داود
عليهما السلام الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت
من البحر لها اجنحة قالوا فصلى سليمن عليه السلام الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهي
تعرض عليه فعرضت عليه منها تسعماية فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غابت وفاته
الصلاة ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك فقال ردوها علي فطفق مسحا اي فاقبل يمسح سوقها واعناقها
بالسيف وينحرها تقربا الى الله تعالى وطلبا لرضاه حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك قربانا
منه ومباحا له كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة فرس فما في ايدي الناس اليوم من الخيل
فهو من نسل تلك المائة الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله عز وجل مكانها خيرا منها واسرع الريح
تجري بامره كيف يشاء فكان يغدو من ايليا فيقيل بقزوين او باصطخر ويروح من قزوين فيبيت بكابل
ابن عباس سالت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن هذه الاية فقال ما بلغك في هذا يا ابن عباس

فقلت

فقلت له سمعت كعب الاحبار يقول ان سليمن عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الافراس
والنظر اليها حتى توارت الشمس بالحجاب ردوها علي يعني الافراس وكانت اربعة عشر فردوها
عليه فامر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها وان الله سلبه ملكه اربعة عشر يوما لانه
ظلم الخيل بقتلها فقال علي رضي الله عنه كذب كعب بل سليمان اشتغل بعرض الافراس ذات
يوم لانه اراد جهاد عدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس
ردوها علي يعني الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء الله تعالى لا يظلمون
ولا يامرون بالظلم ولا يرضون بالظلم لانهم معصومون مطهرون لذلك قوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد وقيل العشي الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها قال النبي صلى
الله عليه وسلم من سره ان تقوم له الرجال صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي وقوفا الجياد الخيار
السراع واحدها جواد فقال اني احببت حب الخير يعني الخيل والعرب تعاقب بين الراء واللام
فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت الرجل وخترته اذا خدعته مقاتل حب الخير يعني المال وهي
الخيل التي عرضت عليه عن ذكر ربي اي الصلوة نظيرها لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى
توارت يعني الشمس كناية عن غير مذكور لقول لبيد حتى اذا القت يدا في كافر يعني
الشمس بالحجاب وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق
مسحا بالسوق والاعناق وقيل حبسها في سبيل الله وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة ويقال
للكية على الساق علاط وللكية على العنق وهاق الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها
ويكشف الغبار عنها حبا لها ردوها علي متعلق بمحذوف بعده قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو
جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتضى السؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال
نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها ولقد فتنا سليمن قيل فتن سليمان عليه
السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة الشعبي كان من فتنته انه
ولد لسليمن عليه السلام فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من
السخرة ومما نحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمن بذلك فامر السحاب حتى
حملته الريح وغذا ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشيطان فعاقبه الله تعالى لخوفه من الشيطان
ومات الولد فالقي ميتا على كرسيه فهو الجسد الذي قال الله والقينا على كرسيه جسدا فتنبه
على خطيئته في انه لم يتوكل فيه على ربه وخاف من الشيطان فاستغفر ربه وتاب اليه وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي
بفارس فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف بهن فلم تحمل منهن الا امراة

واحدة جاءت بشق ولد والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون وقيل كان سبب فتنة سليمان عليه السلام انه امر ان لا يتزوج امراة الا من بني اسرائيل
فتزوج امراة من غيرهم فعوقب على ذلك وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما روي من حديث الخاتم
والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته عن وهب بن منبه سمع سليمان عليه
السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشان لم يكن للناس اليه
سبيل لمكانه في البحر وكان الله عز وجل قد اتى سليمان عليه السلام في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء
في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهرها حتى نزل بها بجنوده من الجن
والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها
الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها سليمان عليه السلام حبا لم يحبه شيئا من نسائه
وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقا دمعها فشق ذلك على سليمان عليه السلام فقال
لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقا قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما
كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان عليه السلام فقد ابدلك الله ملكا هو اعظم منه وسلطانا
اعظم من سلطانه وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك لكذلك ولكني اذا ذكرته
اصابني ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي انا فيها اراها
بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسليني عن بعض ما اجد في نفسي فامر سليمان عليه السلام
الجن فقالوا امثل لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منها شيئا حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه
لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعته فازرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس
ثم كانت اذا خرج سليمان عليه السلام من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدون له
كما كانت تصنع في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك اربعين
صباحا وبلغ ذلك اصف وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من
بيوته دخل حاضرا كان سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان
مني ذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله واثني عليهم بعلمي
فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من امورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام
فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله فاثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى
سليمان عليه السلام فقال ما كان احلمك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك
وابعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملاه
غضبا فلما دخل سليمان داره ارسل اليه فقال يا اصف ذكرت من مضى من انبياء الله فاثنيت عليهم

خيرا

خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي بخير في صغري وسكت عما سوى
ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر امري قال ان غير الله ليعبد في دارك منذ اربعين
صباحا في هوى امراة قال في داري قال في دارك قال انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت
الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان عليه السلام الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك
المراة وولائدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا يمسها امراة ذات
الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده فامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى
حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله عز وجل وتضرعا اليه يبكي ويستغفر مما كان
في داره ويقول فيما يقول رب ماذا بلائك عند ال داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم واوطانهم
عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه ذلك حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت ام ولد يقال لها الامينة
كان اذا دخل مذهبه او اراد اصابة امراة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يلبس
خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضع يوما من تلك الايام خاتمه عندها كما كان يصنع ثم دخل
مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخرا على صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال
يا امينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان عليه السلام وعكفت
عليه الطير والجن والانس فخرج سليمان واتى الامينة وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من راه فقال
يا امينة خاتمي فقالت ومن انت قال انا سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان بن داود
وقد جاء سليمان فاخذ خاتمه وهو جالس على سريره في ملكه فعرف سليمان عليه السلام ان خطيئته
قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون
عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان بن
داود فلما راى سليمان عليه السلام ذلك عمد الى البحر وكان ينقل الحيتان لاهل البحر الى السوق
فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة وشوى الاخرى فاكلها فمكث
بذلك اربعين يوما عدة ما كان عبد ذلك الوثن في داره فانكر اعلماء بني اسرائيل حكم الشيطان
في تلك الاربعين يوما فقال اصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت
قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه واسالهن هل انكرن منه في خاصة امره ما انكرنا في
عامة امر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من امر ابن داود ما انكرنا
فقلن اشده ما يدع منا امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون
ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اعظم مما في العامة فلما مضى
اربعون صباحا طار الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة واخذها

بعض الصيادين وقد عمل سليمن جد ربومه ذلك حتى اذا كان العشى اعطاه سمكتين فاعطى
السمكة الذى احدث الخاتم فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى
فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فاخذه وجعله فى يده فوقع ساجدا لله عز وجل وعكفت
عليه الطير والجن واقبل عليه الناس وعرف الذى كان عليه لما كان احدث فى داره فرجع الى ملكه
واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين فقال ايتونى بصخر وطلبت له الشياطين حتى اخذته فاتى
به فجاب له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف
فى البحر قال صاحب الكشاف ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين
لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء
حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل
واما السجود للصورة فلا يظن بنبى الله ان ياذن فيه وان كان بغير علمه فلا عليه والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب عن ابى قتادة معنى انابه الشيطان مثاله سواء ظاهرا قال سليمن عليه السلام رب اغفر لى
قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين فى تقديمهم امر دينهم على دنياهم
وهب لى ملكا لا ينبغى لا يسهل ولا يكون لاحد من بعدى من دونى ان يسلبه لا يكون لاحد من بعدى انك
انت الوهاب المعطى عطاء يريد هب لى ملكا لا اسلبه فى باقى عمرى كما سلبته فى ماضى عمرى مقاتل ابن حيان
كان سليمن عليه السلام ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير بدل عليه
ما بعده وانما قيل سال ذلك ليكون له علما على المغفرة وقبول التوبة حيث اجاب الله دعاه ورد عليه ملكه
وزاد فيه وقال عمر بن عثمان الصدفى اراد به ملك النفس وقهر الهوى يويده ما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ارايتم سليمن وما اعطاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله عز وجل
حتى قبضه وعن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض لى الشيطان فى مصلاى الليلة فاخذته
فاردت ان احبسه حتى اصبح فذكرت قول اخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فتركته
فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء لينة طيبة حيث اصاب قصد وشاء يقول العرب اصاب الصواب واخطا
الجواب اى اراد الصواب والشياطين اى وسخرنا له الشياطين كل بناء وغواص يستخرجون له اللالى
من البحر وهو اول من استخرج اللولو من البحر واخرين مقرنين فى الاصفاد اى مشدودين فى القيود واحدها
صفد هذا عطاونا فامنن فاعط من قوله ولا تمنن تستكثر والعرب يقول ثن على بعرف اى اعطنيه الحسن
ان الله لم يعط احدا عطية الا جعل فيها حسابا الا سليمن عليه السلام فان الله تعالى اعطاه عطاء هنيئا
فقال هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب قال ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة مقاتل هو فى
امر الشياطين خل من شئت منهم وابق من شئت فى وثاقك ولا تبعة عليك فيما تعاطاه وان له عندنا

لزلفى

لزلفى وحسن ماب **قوله تعالى** واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى
مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبدنا ايوب عطف بيان اذ بدل
اشتمال منه نادى ربه انى مسنى بانى مسنى الشيطان حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه
بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه بنصب فيه اربع لغات بضمتين وبفتحتين وفتح النون
وسكون الصاد وضم النون وسكون الصاد والمعنى واحد اى تعب ومشقة وبلاء وضر
مقاتل بنصب فى الجسد وعذاب فى المال وقيل العذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من انواع
الوصب قال صاحب الكشاف فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلط الله على
انبيائه ليقضى من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه
وقد تكرر فى القران انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه
وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه الله وقد راعى
الادب فى ذلك حيث لم ينسبه الى الله فى دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد
ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجى
الى الله تعالى فى ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وهب ذكر
فى سبب ابتلائه انه استعان رجل ايوب على ظلم له راوه عنه فلم ينصره فابتلى الكلبى كانت مواشيه
فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله فابتلى اركض برجلك حكاية ما اجيب
به ايوب اى اضرب برجلك الارض وحرك هذا مغتسل فيه اضمار معناه فركض فنبعت عين فقيل
هذا مغتسل اى هذا ماء مغتسل بارد وشراب اى تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك
وسقط ما لك قلبه اى داء وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب
الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فظهرت عين ماء حار فاغتسل منها
ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب
مفعول لهما ان الهبة كانت للرحمة له وليذكر اولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا عليه
لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض بيدك
ضغثا حزمة صغيرة من حشيش فاضرب به امراتك ولا تحنث انا وجدناه صابرا كان حلف فى مرضه
ليضربن امراته مائة اذا برا فحلل الله تعالى يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه
عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا

فيه ما يه شراخ فاضربوه بها ضربه ويجب ان تصيب المضروب كل واحد من المايه اما اطرافها
قايمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطات
عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوايبها برغيفين وكان متعلق ايوب اذا قام
وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فتحت بذلك فاذكرتها العصمة
فذكرت له ذلك فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر فبرا فعرضت له بذلك
وقيل سالته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا **قوله تعالى**
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار قرا ابن كثير عبدنا على التوحيد والباقون
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرا عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان
له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب اولي الايدي ذوي القوة في العبادة والابصار البصيرة
البصارة في الدين والعلم كان الذين لا يعملون عمل الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي
الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين
لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ
على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منها انا اخلصناهم بخالصة بخصلة خالصة لا شوب
فيها ذكرى الدار فسرها لصه ذكرى الدار وشهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفا وانتفا الكدورة عنها
قرا نافع بخالصة ذكرى الدار فاضاف خالصة الى ذكرى والباقون بالتنوين والمعنى بما خلص من ذكرى
الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم اخرا انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكرهم الاخرة
دايبا ونسيانهم اياه ذكر الدنيا كما هو شان الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثنا الجميل في الدنيا
ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم ومعنى اخلصناهم بخالصة اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم
من اهلها وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من ابنا جنسهم الاخيار جمع خير او خير على التخفيف
كاموات جمع ميت او ميت **قوله تعالى** واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار
واذكر يا محمد اسمعيل واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وذا الكفل كل اي كلهم فان التنوين
عوض من المضاف اليهم من الاخيار **قوله تعالى** هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب
جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات
الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا ذكر
اي نوع من الذكر وهو القران لما اجرى ذكر الانبيا واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه
واراد ان يذكر على عقبه بابا اخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول

الحافظ

الحافظ في كتبه وهذا باب ثم يشرع في باب اخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد
الشروع في اخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر
اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا ابن عباس هذا ذكر
من مضى من الانبيا وان للمتقين لحسن ماب جنات عدن عطف بيان لحسن ماب مفتحة حال
والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير جنات لهم الابواب بدل من الضمير يعني
مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب كانهن اللذات سمين اترابا لان التراب مسهن
في وقت واحد وانما جعلهن على سن واحد لان التحاسب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن
اسنانهن كاسنانهم هذا ما توعدون قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء من تحت والباقون بالتاء ليوم الحساب
لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي اليوم تجزى كل نفس ما عملت ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد هلاك **قوله تعالى** هذا وان للطاغين لشر ماب جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم
لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار هذا اي الامر هذا الذي
ذكرناه وان للطاغين للكافرين لشر ماب ثم بين شر ماب بقوله جهنم يصلونها يدخلونها فبئس
المهاد شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا اي هذا العذاب فليذوقوه
ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه قرا
حمزة والكسائي وخلف وحفص غساق مشددا والباقون مخففا والغساق بالتشديد والتخفيف
ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم
برده كما تحرقهم النار مجاهد ومقاتل هو البارد الذي قد انتهى برده ابن زيد هو المنتن بلغة الحجازية
وقيل بلغة الترك محمد بن كعب هو عصارة اهل النار وصديده والاخفش هو ما يغسق من فروج
الكفرة والزناة بين لحومهم وجلودهم اي يسيل قال الشاعر اذا ما تذكرت
الحياة وطيبها الي جرى دمع من العين غاسق وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده
وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل
المشرق الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة واخر قرا اهل البصرة

واخر بضم الهمزة على جمع اخرى لانه نعته بالجمع فقال ازواج مثل كبرى وكبر والباقون على الواحد والمعنى
على الجمع ومذوقات اخر من شكل مثل هذا المذوق في الشدة والفظاعة ازواج اصناف من العذاب
والمعنى على الواحد وعذاب اخر او مذوق اخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة
للثلاثة وهي حميم وغساق واخر هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار
في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة ابن عباس ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع
قالت الخزنة للقادة هذا يعني الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار اي ادخلوها كما دخلتم وقيل هذه
حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة
فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء من القادة على اتباعهم يقول لمن تدعو لهم مرحبا اي اتيت رحبا
من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم يدخل عليه في دعا السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم
صالوا النار تعليل لاستحقاقهم الدعا عليهم ونحوه قوله كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا كله كلام
الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعا الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك
بقولهم انتم قدمتموه لنا اي شرعتم وسننتم الكفر لنا والضمير للعذاب او لصليهم ومعنى تقديمهم
العذاب لهم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن
الروسا لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاوهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل
الروسا هم المقدمين وجعل الجزا هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة
لا روساهم والعمل هو المقدم لا جزاوه قال صاحب الكشاف فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا
بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني الروسا وهم لم يتكلموا بما يكون
هذا جوابا لهم قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا روسا احق به منا لاغوائكم ايانا
وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل
للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوا فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم
لم نرتكب ذلك فبئس القرار اي قرارنا والمرحب السعة ومنه رحبة المسجد ابو عبيدة تقول العرب
للرجل لا مرحبا اي لا رحبت عليك الارض اي لا اتسعت المسي معنى قولهم مرحبا واهلا وسهلا
اي اتيت رحبا وسعة واتيت سهلا لا حزنا واتيت اهلا لا غربا فانس ولا تستوحش وهي في
مذهب الدعا كما تقول لقيت والذكر نصب قال النابغة لا مرحبا بغد ولا اهلا
به ان كان تفريق الاحبة في غد قالوا اي الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه فزده
عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا اتهم ضعفين من العذاب و...

في التفسير

في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش اي الطاغين وهم في النار ما لنا لا نرى
رجالا لا يعنون فقراء المسلمين كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا اتخذناهم قرا اهل البصرة والكوفة
الا عاصما بوصل الالف بلفظ الاخبار على انه صفة رجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار والباقون بفتح
الهمزة وقطعها على الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار بهم وقوله
ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم
في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من
اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم
سخريا اما ان يكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم والتحقير
وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل
ذلك قد فعلوا اتخذتموهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي
اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك كقولك انها لابل ام شاء ازيد عندك ام عندك عمرو
ولك ان تقدر همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في قالوا للصناديد قريش كابي جهل والوليد
واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم رضي الله عنهم وقيل الاستفهام معناه
التعجب او التوبيخ في كيسان يعني ام كانوا معنا ولا نعلم نحن بذلك فكانت ابصارنا تزيغ عنهم
في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك الذي ذكرت وحكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين فقال
هو تخاصم اهل النار شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السوال والجواب بما يجري بين المتخاصمين
من نحو ذلك ولان قول الروسا لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة
سمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك **قوله تعالى** قل انما انا منذر وما من اله
الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ه انه تعالى
لما حكى في اول السورة ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس الى انه لا اله الا واحد والى
انه رسول حق من عند الله والى ان القول بالقيامة حق فاولئك الكفار اظهروا السفاهة
وقالوا انه ساحر كذاب واستهزءوا بقوله ثم انه تعالى ذكر قصص الانبياء لوجهين الاول ليصير
ذلك حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على التاسي بالانبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم
والثاني ليصير ذلك رادعا للكفار عن الاصرار على الكفر والسفاهة وداعيا الى قبول الايمان ولما تمم
الله ذلك الطريق اردفه بطريق اخر وهو شرح نعيم اهل الثواب وشرح عقاب اهل العقاب فلما
تمم الله هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة
والبعث فقال قل يا محمد لمشركي اهل مكة انما انا منذر وما انا الا رسول منذر وانذركم عذاب الله

للمشركين وما من اله الا الله واقول لكم ان دين الحق توحيد الله عز وجل وان تعتقدوا ان لا
اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله
وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب المستغفرين

قوله تعالى قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ
يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها
فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسالكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين
قل يا محمد لمشركي مكة هو اي القول بان الاله واحد وبان نبوته صلى الله عليه وسلم
ثابتة وقيل هذا الذي انباتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ
عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ابن عباس يوم القيمة نظيرها قوله
تعالى عم يتساءلون عن النبإ العظيم نبأ انتم عنه معرضون ثم احتج لصحة نبوته بان
ما ينبئ به عن الملإ الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون في شان ادم وهو قولهم حين قال الله
تعالى اني جاعل في الارض خليفة اتجعل فيها من يفسد فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لي ربي اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات
فاما الكفارات فاسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة
بعد الصلوة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس
نيام ما كان له من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكها الناس في علم ما لم يعلموا
وهو الاخذ من اهله وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله
عز وجل انه يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار
فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه وقيل هو مرفوع على معنى ما يوحى الي الا هذا
وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي وما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير
ذلك اذ يختصمون متعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الاعلى وقت

اختصامهم

اختصامهم اذ قال بدل من اذ يختصمون والمراد بالملإ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وادم
وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول الذي بين الله وبينهم انما هو بواسطة ملك فكان
المقاول بالحقيقة هو الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق اذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين على وجه التكرمة
والتبجيل لا على وجه العبادة كلهم اجمعون كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادتا انهم
سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات
الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قيل اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان
كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت وقيل ويجوز ان يراد وكان من الكافرين
في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قيل التثنية في اليد دليل على انه ليس بمعنى
النعمة والقوة والقدرة انما هما صفتان من صفاته تعالى ومحل هذا اليد ها هنا بمعنى التاكيد والصلة
مجازه لما خلقت بيدي كقوله تعالى ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك قيل هذا تاويل غير قوي لانه لو كان
بمعنى الصلة لكان لابليس ان يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون
لادم عليه السلام في الخلق مزية على ابليس استكبرت الف استفهام دخلت على الف الخبر ام كنت
من العالين المتكبرين عن السجود كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض قال صاحب الكشاف
الوجه الذي استكبر له ابليس عن السجود لادم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه
وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان ادم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار
وراى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وذهب عنه
ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا
بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا
امر الله تعالى وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما
لامر ربهم واجلالا لخطابه كما هو مع الحفاظ على مراتبهم حري بان يقتدى بهم ويقتفى اثرهم
ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء
هو كما تقول لمخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما
فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته
مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله تعالى ولا تعتبر هذه
العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول

ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي ونزلت اعتبارا بقوله وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملايكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلا الملايكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير قال ابليس انا خير منه اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطفا بيانا من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها قال الله تعالى لابليس فاخرج من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا فانك رجيم مطرود ومعذب مرجوم لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة ولان الشياطين يرجمون بالشهب وان عليك لعنتي الى يوم الدين ولا يسعى ان يظن ان قوله لعنتي الى يوم الدين يدل على ان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع فانه كيف تنقطع وقد قال تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت قال ابليس رب فانظرني الى يوم يبعثون قال الله تعالى لابليس فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزايه ومعنى معلوم انه معلوم عند الله عز وجل معين لا يستقدم ولا يستاخر قال ابليس فبعزتك اقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق قرأ عاصم وحمزة وخلف برفع الاول ونصب الثاني على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو لاملان وقيل على معنى فالحق مني واقول الحق والباقون بنصبهما على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه تعالى الذي في قوله تعالى ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه وقيل بنصب الاول على الاغراء وقيل انه اتبع قسما بعد قسم لاملان جهنم منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية ادم اجمعين تاكيد للضمير في منهم او للكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهما احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود

الاتباع

الاتباع منهم من اولاد الانبيا وغيرهم قل يا محمد لمشركي مكة ما اسالكم على تبليغ الرسالة والوحي من اجر الا ما عن غير مذكور من اجر وما انا من المتكلفين الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اي نبا ما يا تيكم عند الموت وقيل يوم القيمة وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد ٥

سورة الزمر مكية

الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وهي اربعة الاف وسبعماية وثمانية احرف والف وماية واثنتان وسبعون كلمة وخمس وسبعون اية عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب من الله صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة والكتاب القران **قوله تعالى** انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص بالحق اي ملتبسا بالحق والصدق والصواب يعني كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف حق وصدق يجب اعتقاده والعمل والمصير اليه وقيل انا انزلنا اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على ان الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان الفصحاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا لما عجزوا عن معارضته فاعبد الله لما بين ان الكتاب متلبس بالحق اردف بيان بعض ما فيه من الحق وهو الامر بعبادة الله على سبيل الاخلاص التي هي المطلوب من خلق الجن والانس مخلصا ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر وقيل الدين الطاعة الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شايبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن جلب منفعة او دفع مضرة وعادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله الحسن الاسلام **قوله تعالى** والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون لما بين ان راس العبادات ورايسها الاخلاص في التوحيد اردفه بذم طريقة المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه والذين يحتمل المتخذين وهم المشركون

فالضمير في اتخذوا راجع الى الذين ويحتمل المعبدين وهم الملايكة وعيسى والاصنام فالضمير في اتخذوا
راجع الى المشركين ولم يجر ذكرهم لان الذين هم المتخذين ولكنه مفهوم والراجع الى الذين محذوف
والمعنى الذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتدا والخبر على الاول
ان الله يحكم بينهم او يقولون المضمر قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم واذا جعل الخبر
ان الله يحكم بينهم يكون القول المضمر قبل ما نعبدهم في موضع الحال اي قايلين ذلك ويجوز ان يكون
بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك والضمير في بينهم لهم ولاوليايهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملايكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها
وعبدوها من دون الله عز وجل نعذبهم بالاصنام حيث يجعلهم واياها حصب جهنم شاده
وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض ونزل من السماء
ماء قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله زلفى ويشفع لنا عند
الله فالضمير في بينهم عايدا اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم بين المتنازعين من الفريقين
يوم القيمة وقيل اختلافهم ان الذين يعبدون موحدين وهم مشركون واوليك يعادونهم ويلعنونهم
وهم يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى **قوله تعالى** ان الله لا يهدي من هو
كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء هو الله الواحد القهار
يعني ان من اصر على الكذب والكفر بقي محروما عن الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم
لهذه الاوثان بانها الهة مستحقة للعبادة مع علمهم بانها جمادات خسيسة والعلم الضروري
حاصل بان وصف هذه الاشيا بالالهية كذب محض واما الكفر فيحتمل ان يكون المراد منه
الكفر الراجع الى الاعتقاد والامر هاهنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية واعتقادهم فيها بها جهل
وكفر ويحتمل ان يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية التعظيم وهي لا تليق
الا بمن ينعم غاية الانعام وهو الله تعالى وهذه الاوثان لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال
بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا
لاصطفى والمراد من هذا الكلام اقامة الدلايل القاهرة والبراهين الباهرة على كونه منزها عن
الولد فانه لو اراد ان يتخذ ولدا لما رضي الا باجل الاولاد وهو الابن فكيف نسبتم له البنت
قال صاحب الكشاف وهذا بهم قولهم في بعض ما اتخذوا من دون الله اوليا بنات الله ولذلك
عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ
الولد لامتنع ولم يصح منه لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويخصهم ويقربهم
كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملايكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم

اولاده

اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد
لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملايكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاهم
اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموه بنات وكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافترا
على الله سبحانه وتعالى وملايكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه ثم نزه ذاته عن ان يكون احد ما نسبوه
اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه الواحد الحقيقي الذي يمتنع ان يتكثر
بالاجزاء وبالافراد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا
جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له
ولد ولم تكن له صاحبة القهار الغلاب لكل شيء ومن الاشيا الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له
اوليا وشركاء **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار الاية المتقدمة
دلت على انه تعالى بين كونه منزها عن الولد بكونه هو الواحد القهار اي الكامل القدرة فلما
بنا تلك المسالة على هذا الامر عقبها على ما يدل على كمال القدرة وايضا انه تعالى طعن في الهية
الاصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تصلح الالهية فدل بخلق السموات والارض
وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة
عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير
اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها قيل معناه ان الليل والنهار خلفة يذهب
هذا ويغشي مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس
ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملا
باثواب التفارح وقيل ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه
اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وقيل ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا
فشبه في تتابعه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وقيل ان هذا يكر على
هذا ويغشى هذا هذا نظير قوله يغشى الليل النهار والموج يدخل هذا على هذا وهذا على هذا نظير
قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مجاهد يدهوده الحسن وابو حيان والكلبي
ينقص من الليل فيزيد في النهار وينقص من النهار فيزيد في الليل **قوله تعالى**
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى
تصرفون ثم انه تعالى ذكر الدلايل العلوية ذكر الدلايل الماخوذة من العالم السفلي

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها هما اثنتان من جملة الآيات التي عددها دالة على وحدانيته
وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احدهما جعلها
الله تعالى عادة مستمرة والاخرى تعجب السامع عطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها
فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي
في الوجود وقيل ثم متعلقة بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج
وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل وانشأ وجعل لكم وقيل جعلها
لكم نزلا ورزقا وقيل وقضى لكم وقسم لان قضاياه مقسمة موصوفة بالنزول من السماء حيث
كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات لا تقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكأنه انزلها
وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج اصناف ذكر وانثى من الابل والبقر والضأن
والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال وقد خلقكم
اطوارا ابن زيد يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا اي من بعد الخلق الاول الذي خلقكم في ظهر آدم
عليه السلام في ظلمات ثلاث البطن والرحم والمشيمة ذلكم الله الذي هذه افعاله هو الله ربكم له
الملك لا اله الا هو فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره **قوله تعالى**
ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور المعنى
ان الله تعالى ما كلف المكلفين لجلب منفعة او لدفع مضرة فانه تعالى غني عنكم وعن اعمالكم
وانتم الفقراء اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر وان
كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى بالكفر الجبائي ان المجبرة يقولون ان الله
تعالى كفر العباد وانه من جهة ما خلقه حق وصواب قال ولو كان الامر كذلك لكان قد
رضي بالكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ينافي الآية وايضا لو كان الكفر بقضاء الله
لوجب علينا ان نرضى به لان الرضى بقضاء الله واجب وحيث اجمعت الامة على ان الرضى
بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضى الله اجاب الاصحاب بان
عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بحسب الغالب بالمؤمنين قال الله تعالى
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا عينا يشرب بها عباد الله ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر معناه ولا يرضى لعباده
المؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا ان نقول الكفر بارادة الله ولا يقال برضى الله لان الرضى

عبارة

عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة اي يمدحهم ويثني عليهم وبان الرضى عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة
عن الارادة وبانه هب ان الرضا هو الارادة ولكن قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام
فنخصصه بالآيات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر وان تشكروا وتؤمنوا بربكم
يرضه لكم قرأه نافع وعاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه باختلاس ضمة الهاء وعن
هشام اسكانها وعنه وصلها بواو والباقون يصلونها بواو اي يرضى الشكر لكم ويثيبكم عليه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور
قوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه
نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا
انك من اصحاب النار لما بين فساد القول بالشرك وبين ان الله تعالى يجب ان
يعبد بين في هذه الآية ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك
لانه اذا مسهم نوع من انواع الضر لم يرجعوا في طلب الدفع الا الى الله تعالى واذا زال
ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله عند حصول الضر
لانه هو القادر على ايصال الخير ودفع الشر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان
الواجب عليهم ان يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقتهم في هذا الباب متناقضة واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا مخلصا راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اعطاه ومنه قيل للمال
والعطا خول وللعبيد خول قال ابو النجم اعطى ولم يبخل ولم يبخل كوم الذرى
من خول المخول قال صاحب الكشاف وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال
من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال
وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نعمة منه نسي ترك
ما كان يدعو الله من قبل في حال الضر وقيل نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي
ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وجعل لله
اندادا يعني الاوثان السدي يعني اندادا من الرجال يطيعهم في معصية الله ليضل يعني ان نتيجة جعل
لله اندادا اضلاله عن سبيل الله واللام للنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض قل تمتع
بكفرك قليلا انك من اصحاب النار وليس المراد به الامر بل الزجر اي انك ان تمتعت بكفرك قليلا
تكون من اصحاب النار **قوله تعالى** امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر

الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب
لما شرح الله صفات المشركين الضالين وتمسكهم بغير الله أردفه بشرح أحوال المؤمنين
المحقين الذين لا رجوع لهم إلا إلى الله ولا اعتماد لهم إلا على فضل الله فقال أمن هو قانت قرأ
نافع وابن كثير وحمزة أمن بتخفيف الميم والباقون بتشديدها على أن تكون الميم في أم صلة ويكون معنى
الكلام الاستفهام وجوابه محذوف تقديره أمن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله أفمن شرح الله
صدره للإسلام كمن لا يشرح الله صدره أو نقول أمن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله أفمن
شرح الله صدره للإسلام كمن لا يشرح الله صدره أو نقول أمن هو قانت كمن جعل لله أندادا وقيل
أم تكون بمعنى العطف على الاستفهام تقديره فهذا خير أمن هو قانت لدلالة الكلام عليه ومن خفف
فوجهان أحدهما أن تكون الهمزة في أمن بمعنى حرف النداء تقديره يا من هو قانت والعرب تنادي بالألف
كما تنادي بالياء فيقول يا زيد أقبل وأزيد و ثانيهما أن تكون الألف في أمن ألف استفهام ومعنى الآية
أهذا كالذي جعل لله أندادا فاكتفى بما سبق إذ كان معنى الكلام مفهوما في مبتدأ خبر محذوف
أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكلام قبله ابن عمر القنوت قراءة
القرآن وطول القيام ابن عباس الطاعة وآناء الليل ساعاته ساجدا أو قائما يحذر الآخرة مقاتل نزل في
عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة أبي عبد الله المخزومي قل هل يستوي الذين يعلمون العاملين
من علماء الديانة والذين لا يعلمون كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم
ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد
على سبيل أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار
بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال
هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية إنما يتذكر أولوا الألباب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل
بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا إلا أولوا الألباب قيل لبعض العلماء إنكم تقولون العلم أفضل من المال
ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب العالم
بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا
ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه **قوله تعالى** قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم لما نفى المساواة بين من يعلم وبين من لم يعلم أتبعه بأمر نبيه بأن
يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام النوع الأول قوله قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم والمراد

انه

أنه تعالى أمر المؤمنين بأن يضموا إلى الإيمان التقوى وهذا من أول الدلائل على أن الإيمان يبقى
مع المعصية ولما أمر المؤمنين بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال للذين أحسنوا
في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة
في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر
الحسنة بالصحة والعافية قال صاحب الكشاف فإن قلت إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر
فما معنى تعلقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم
كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالمعنى بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا وأرض الله واسعة أي لا عذر
للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على
الإحسان وصرف الهمم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز
وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا
إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم مجاهد واسعة فهاجروا فيها واعتزلوا الأوثان مقاتل يعني أرض الجنة
وقيل للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها إنما يوفى الصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير أجرهم بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال
وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير ابن عباس لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف
مداه لا والله ما هنالك مكيال ولا ميزان عن النبي صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم القيامة
فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى
بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب
عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب
به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين
أي أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة
والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا فإن قيل كيف عطف أمرت على أمرت
وهما واحد أجيب بأنه ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء
والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه تنزل بذلك منزلة شيئين
مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم
الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك
الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير اللام في قوله وأمرت أن أكون من المؤمنين

وامرت لان اكون اول من اسلم وقيل ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين
ابايه وخلع الاصنام وحطمها وقيل ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وقيل ان اكون
اول من دعا نفسه الى ما دعا الله غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة
الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولوية من اعمال السابقين دلالة على
السبب بالمسبب يعني ان الله تعالى امرني ان اخلص له الدين من الشرك والريا وكل شوب بدليل
العقل والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم
وذلك حين دعوه الى دين ابايه **قوله تعالى** قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم
من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ولا تكرار
في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله بل الله اعبد مخلصا له ديني لان الاول
للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يختص الله
عز وجل دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخر
في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية
على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه
هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من
اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المومنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم
الذين كانوا يكونون لهم لو امنوا وقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين
حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران
ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل اطباق وسرادقات من النار ودخانها ومن تحتهم ظلل فراش ومهاد
من نار وانما سمي الاسفل ظللا لانها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله احاط بهم سرادقها وقوله وظل
من يحموم وقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب ذلك العذاب يخوف الله به عباده يتوعد الله
به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون عما يوجب سخطي وهذه عظة من الله
ونصيحة بالغة **قوله تعالى** والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله
لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك الذين هداهم الله واوليك

هم اولوا

هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد لما ذكر
وعيد عبدة الاصنام ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد
ابدا ليحصل كمال الترغيب والترهيب الطاغوت الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها
مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت
الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان
والمراد بها هنا الجمع وانابوا رجعوا الى الله الى عبادة الله لهم البشرى في الدنيا بالحمد والثواب
لقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله عز وجل يبشرهم بذلك
في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون
قال الله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه واراد بهم الذين اجتنبوا وانابوا
لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع
الضمير اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم
امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح او الندب حرصا على ما هو اقرب عند الله
واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا
وامارة وان لا يكون في مذهبك كما قال القايل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد
وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص
والعفو والانتصار والاغضا والابداء والاخفا لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن
ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين
يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اوليك افمن حق اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب بكفره فانت
تنقذه فهذه جملة شرطية الشرط فيه من حق عليه كلمة العذاب والجزا فانت تنقذه دخل عليها همزة
الانكار والفاء فاء الجزا ثم دخلت الفا التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره
اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد
معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالاية على هذا جملة واحدة ووجه
اخر وهو ان تكون الاية جملتين الاولى افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه والثانية فانت
تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان فانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت

لخلاصه لان الفا انت تنقذ تدل عليه ترك استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت سعد تفيد ان الله هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لم يقدر على ذلك احد غيره فجاء لا سعد رانت ان سعدا الداخل في النار من النار لا سعد ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اعلاها على بعضها فوق بعض مبنية يعني بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله نصب على المصدر لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب انه تعالى لما وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بوصف يوجب اشتدادا لنفرة عنها قوله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع عيونا في الارض الشعبي والضحاك كل ماء في الارض فمن السماء نزل انما ينزل من السماء الى الصخرة ثم يقسم منها العيون والركايا ثم يخرج بذاك الماء زرعا مختلف الوانه من خضرة وصفرة وحمرة وبياض وغير ذلك وقيل اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج ييبس تم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما فتاتا ودرينا يكسر ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثالا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية **قوله تعالى** افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور سائر من ربه مادة النور كتاب فيه ناخذ واليه ننتهي تقديره افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كمن اقسى قلبه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي

عن دار

عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت قيل انها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه مقاتل افمن شرح الله صدره للاسلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ابو جهل وذووه من الكفار اولئك في ضلال مبين عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا الحوائج من السمحاء فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله ويحب كل قلب خاشع حزين رحيم يعلم الناس الخير ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل ويبغض كل قلب قاس لاه ينام الليل كله فلا يذكر الله ولا يدري تردعليه روحه ام لا عن مالك بن دينار قال ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة والفرق بين من وعن في هذا انك اذا قلت قسي قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا رواه حتى ابعده عن العطش ه **قوله تعالى** الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ابن عباس قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله لو حدثتنا فنزلت الله ايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاسناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي مباين لساير الاحاديث كتابا بدل من احسن الحديث وقيل حال منه متشابها يشبه بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف قيل متشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت مثاني جمع مثنى وهو المراد المردد سمي القران مثاني لانه ثني فيه الاخبار والاحكام والحدود وثني في التلاوة ولا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان في قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة ولذلك لبيك وسعديك وحنانيك ولما كان الكتاب جملة ذات تفاصيل صح وصفه بالجمع وتفاصيل الشيء جملته لا غير الا تراك تقول القران اسباع واخماس وسور وايات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة اصله كتابا متشابها فصولا مثاني وقيل يجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون

ويكون منتصبًا على التمييز من متشابهًا كما تقول رأيت رجلًا حسنًا شمائل ومعنى متشابهة مثانى
وفائدة التثنية والتكرير أن النفوس تنفر عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودًا
عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم
ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعًا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر تضطرب
وتتشمز وتستوفز منه اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضًا شديدًا وتركيبه من حروف القشع وهو
الأديم اليابس مضمومًا إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيًا ودالًا على معنى زائد يقال اقشعر
جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله تعالى التمثيل تصويرًا
لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم
خشية تقشعر منها جلودهم منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين ثم إذا ذكروا الله عز وجل
ورحمته وجوده بالمغفرة تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ويزول عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة ولما ضمنت تلين سكنت واطمأنت عديت بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله
لينة غير منقبضة راجية غير خاشية وإنما اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن أصل أمره
الرأفة والرحمة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته
إلا كونه رحيمًا وإنما ذكرت الجلود وحدها أولًا ثم قرنت بها القلوب ثانيًا لأنه إذا ذكرت الخشية
التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم
في أول وهلة فإذا ذكروا الله تعالى ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء
في قلوبهم وبالقشعريرة لينًا في جلودهم عن عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتي أسماء بنت أبي
بكر رضي الله عنهم كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم
القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم فقلت لها إن ناسًا اليوم
إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيًا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان وروي أن ابن عمر
رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن
وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وإن الشيطان يدخل في جوف أحدهم
ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه ذكر عند ابن سيرين الذين
يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن قال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه ثم يقرأ
عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق وروي أنه وعظ موسى قومه فشق رجل
منهم قميصه فقيل لموسى عليه السلام فقال قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ليشرح لي عن قلبه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات

عن الشجر

عن الشجر اليابسة ورقها وعنه صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله
عز وجل حرمه الله على النار ذلك إشارة إلى الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل
الله فما له من هاد وفيه رد على القدرية **قوله تعالى** أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
أفمن يتقي يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي
بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما تقول حذف في نظائره سوء العذاب كمن أمن
العذاب فحذف الخبر كما تقول حذف في نظائره سوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفًا
من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه والذي يلقى في النار يلقى
مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له
ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة مجاهد يجر على وجهه في النار عطاء يرمى به منكوسًا في النار
فأول شيء منه تمسه النار وجهه مقاتل هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يده إلى عنقه وفي
عنقه صخرة عظيمة مثل الجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فحرها
ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال التي في يده وفي عنقه قيل هذه الآية في
أبي جهل وقيل وقال لهم خزنة النار للظالمين ذوقوا ما كنتم أي وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين
من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر
يأتيهم منها بينما هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي الذل والصغار
كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون **قوله تعالى** ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون
قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون قرآنًا عربيًا حال مؤكدة نحو جاءني زيد رجلًا صالحًا
وإنسانًا عاقلًا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيمًا بريئًا من التناقض والاختلاف
ولم يقل مستقيمًا أو غير معوج لفائدتين إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له
عوجًا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان مجاهد غير ذي لبس وشك عثمان بن
عفان رضي الله عنه غير متضاد ابن عباس رضي الله عنهما غير مختلف السدي غير مخلوق بكر بن
عبد الله المزني غير ذي لحن لعلهم يتقون الكفر والتكذيب **قوله تعالى** ضرب الله
مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجل هل يستويان مثلًا الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون قال صاحب الكشاف واضرب لقومك مثلًا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك

فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه
في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوا فهو متحير في امره ساد رقد تشعبت الهموم قلبه
وتوزعت انه لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي اخر قد سلم لمالك واحد
وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين
احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان
يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو
متحيرا ضايعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه
شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وبما اسخطه
متفضل عليه في عاجله مومل للثواب في اجله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه متشاكسون مختلفون
متنازعون متشاحون والتشاكس والتشاحس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست
اسنانه وقيل متشاكسون سيئة اخلاقهم يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس اذا كان سيء الخلق
مخالفا للناس المورج متشاكسون متماكسون يقال شاكسني فلان اي ماكسني ورجلا سالما قرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب سالما بالالف قيل اختير سالما لان الصحة لمعنى فيه وذلك ان السالم الخالص هو
ضد المشترك والباقون سلما بفتح السين واللام من غير الف واختير لانه هو الذي لا ينازع فيه
هل يستويان مثلا اي صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما دون كل معبود
وسواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها لله وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره **قوله تعالى** انك ميت وانهم ميتون ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون كان مشركوا قريش يتربصون برسول الله صلى
الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني
انك يا محمد ميت عن قليل وانهم ميتون قال الحساي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت
والميت بالتخفيف الذي فارقه الروح والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم
وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كاين فكان قد كان وفاده نعيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم انفسكم ثم انكم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على
ضمير الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة
فلجوا في العبادة ويعتذرون بما لا طايل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبرانا ويقول الاسياد
اغوتنا الشياطين واباونا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا
حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمومنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام

عن ابن عمر

عن ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فقلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت
بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية
كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا
على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن النخعي لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا **قوله تعالى**
فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ثم انه تعالى
ذكر نوعا اخر من قبايح افعالهم فقال فمن اظلم ممن كذب افترى على الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب
بالصدق الذي هو الصدق بعينه اي بالقران اذ جاءه فاجاه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة
لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى
منزل ومقام للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق الذي يعني جبريل جاء
بالقران وصدق به يعني محمدا تلقاه بالقبول ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغه الى الخلق وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وامن به واراد به اياه ومن تبعه
كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك
هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذلك في الصفة وقيل يريد والفوج او الفريق الذي جاء
بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وابو العالية والكلبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به
ابو بكر رضي الله عنه قتادة ومقاتل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به
المومنون واستدلا بقوله تعالى اولئك هم المتقون عطا والذي جاء بالصدق الانبيا عليهم
السلام وصدق به الاتباع ويكون الذي بمعنى الذين على طريق الجنس كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا ثم قال ذهب الله بنورهم وقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
الحسن هو المومن صدق به في الدنيا وجاء به يوم القيمة يدل عليه ان ابا صالح السمان قرا
والذي جاء بالصدق وصدق به مخففة قال هو المومن جاء به صادقا وصدق به مجاهد هم
اهل القران يجيئون به يوم القيمة يقولون هذا الذي اعطيتمونا عملنا فيه اولئك هم المتقون

لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن
الذي كانوا يعملون واضافة الاسوأ والاحسن الى الذين عملوا ليست من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل
عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما المفضل
فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغاير الزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية
الحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم
بالاحسن **قوله تعالى** اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له
من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام لما ذكر ان لهم ما يشاؤن عند ربهم
وجرت العادة بان المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة قطع الله مادة هذه الشبهة بقوله
تعالى اليس الله بكاف عبده ورد بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والامر كذلك لانه ثبت
انه عالم بحاجات العباد قادر على دفعها وايصال الخيرات والراحات وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى
يمنعه بخله وحاجته عن اعطاء ذلك المراد فالظاهر انه تعالى يدفع الافات ويزيل البليات ويوصل اليه
كل المرادات فلهذا قال اليس الله بكاف عبده ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال
ويخوفونك بالذين من دونه اي لما ثبت ان الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا باطلا قرأ حمزة
والكسائي وخلف عباده بالجمع والباقون عبده يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ادخلت همزة الانكار
على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي
صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا انك تعيب الهتنا وتذكرها بسوء فوالله لتكفن عن ذكرها
او ليخبلنك او ليصيبنك بسوء بالذين من دونه اراد الاوثان ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله
فما له من مضل رد على القدرية اليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدايهم وينصرهم
عليهم **قوله تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم لما اطنب في وعيد المشركين وفي وعد المومنين عاد الى اقامة
الدليل على تزييف طريقة عبدة الاصنام وهذا التزييف على اصلين الاول اعتراف المشركين بوجود
الاله العالم القادر الحليم الرحيم واليه اشار بقوله ولئن سألتهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله والثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واليه اشار قل ارايتم امر بان
يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير افرأيتم ما تدعون من دون الله اي
هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واليه اشار بقوله قل افرايتم امر بان يقررهم اولا بان خالق العالم

هو الله

هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير افرأيتم ما تدعون من دون الله اي هذه الاصنام التي تعبدون
من دون الله ان ارادني الله الذي خلق السموات والارض بضر وشدة وبلاء من مرض او فقر
او غير ذلك من النوازل هل هن اي الاصنام كاشفات عني ضره او ارادني الله برحمة من صحة
او غنى او نحوهما هل هن ممسكات رحمته حتى اذا القمتهم الحجر وقطعتهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قرأ
ابو عمرو ويعقوب كاشفات وممسكات بالتنوين والباقون بالاضافة قل حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم
عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم وانما قال كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك
بالذين من دونه لان اللات والعزى ومناة اناث انثهن لضعفها وعجزها زيادة تضعيف
وتعجيز لها عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة
كما ان المذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة
اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا **قوله تعالى** قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني
عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم لما اورد عليهم
هذه الحجة التي لا دافع لها قال بعد على وجه التهديد قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي
انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت من العين
للمعنى كما استعير هنا وحيث للزمان وهما للمكان وحق الكلام فاني عامل على مكانتي وانما حذفه للاختصار
ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقف ويزداد كل يوم قوة
وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم
بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب عز وغلبته من
حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليايه وبذل ذليل من اعدايه من ياتيه عذاب يخزيه صفة
للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر ويحل عطف على ياتيه عليه عذاب مقيم صفة العذاب
اي عذاب دايم وهو عذاب النار والله اعلم **قوله تعالى** انا انزلنا عليك الكتاب للناس
بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل ان الرسول
صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فلعلك باخع نفسك على اثارهم
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلما اطنب الله في هذه الايات في فساد مذاهب المشركين
تارة بالدلايل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام
يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انا انزلنا عليك الكتاب
الكامل الشريف المبين لنفع الناس ولاهتدايهم وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز
الذي يدل على انه صادق من عند الله فمن اهتدى فلنفسه نفعه يعود اليه ومن ضل فانما يضل

على نفسه فان ضرره يعود اليه وما انت عليهم بوكيل اى لست مامورا بالايمان على سبيل القهر وعدم
القبول مفوض اليهم وذلك لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على الكفر **قوله تعالى**
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ثم انه تعالى بين ان الضلالة من الله تعالى
لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحيوة واليقظة والموت
والنوم لا تحصل الا بتخليق الله تعالى وايجاده كذلك الهداية والضلال لا تحصلان الا من الله
ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى والقدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه
المصايب فيصير اشتماله على هذه الدقيقة سببا لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه
وسلم الله يتوفى الانفس حين موتها وعند النوم الا انه يمسك الانفس التى قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى وهى النائمة الى اجل مسمى اى الى وقت ضربه لموتها فقوله الله يتوفى الانفس حين موتها
معناه انه يتوفى الانفس وقت الموت قوله والتى لم تمت فى منامها معناه انه يتوفى الانفس التى
نامت ولم تمت عند منامها فيمسك التى قضى عليها الموت اى النفس التى يتوفاها حين موتها يمسكها
ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى الى اجل مسمى يعنى ان النفس التى يتوفاها عند المنام ولم تمت
يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة الى اجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت قال الامام
النفس الانسانية عبارة عن جوهر روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء وهو
الحيوة ووقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الوقت الموت وفى وقت
النوم ينقطع ضوءه وتعلقه عن ظاهر البدن ولا ينقطع عن باطن البدن فالنوم والموت من جنس واحد
الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر الحكيم
القديم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلثة وجوه احدها ان يتعلق ضوء النفس على جميع اجزاء البدن
ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة وثانيها ان ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت وثالثها
ان ينقطع ضوء النفس عن ظاهره ولا ينقطع عن البدن باطنه وهى النوم فالموت والنوم يشتركان فى كون
كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز كل واحد منهما عن الاخر بخواص وصفات معينة ومثل هذا التدبير
العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر العليم الحكيم والى هذا اشار بقوله ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون
ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الدليل يدل على ان الواجب على العاقل ان يتفكر فيعلم ان الذى يستحق
ان نعبده هو الاله الموصوف بهذه القدرة والحكمة ولا نشتغل بعبادة الاوثان التى هى جمادات لا شعور لها
ولا ادراك **قوله تعالى** ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون اعلم ان الكفار

اوردوا

اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها تسمع وتبصر وانما نعبدها
لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عبدوا الله فنحن نعبدها لاجل ان يصيروا اولئك الاكابر شفعاء لهم
عند الله تعالى فاجاب الله تعالى عنه بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء تقرير الجواب ان هؤلاء
الكفار اما ان يطلبوا تلك الشفاعة من هذه الاصنام او من هذه الاشخاص الذين هذه الاصنام
تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات فلا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف تعقل صدور
الشفاعة عنها وكذا الثانى لان فى يوم القيمة لا يملك احد شيئا فلا يقدر على الشفاعة احد فكان
الاشتغال بعبادة الله الذى له الشفاعة اولى من الاشتغال بعبادة الله الذى له الشفاعة
اولى من الاشتغال بعبادة غيره والى هذا اشار بقوله قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد
غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وهذا تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه
اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون متصل بما يليه اى له ملك السموات
والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يملكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة
لا اله الا هو ومنهم من تمسك فى نفى الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهو ضعيف
لانا نسلم انه سبحانه وتعالى ما لم ياذن فى الشفاعة لم يقدر احد على الشفاعة **قوله تعالى**
واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون هذا نوع اخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهو انه اذا ذكر الله وحده فقيل
لا اله الا الله وحده لا شريك له اشمأزت قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت وقال قتادة نفرت
واستكبرت قال الضحاك نفرت الكسائى انقبضت قال المبرد انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار
واذا ذكر الذين من دونه يعنى الاوثان وذلك حين القى الشيطان فى امنية رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى اذا هم يستبشرون فرحون
لا نسائهم بها ونسيانهم حق الله تعالى الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له
نفروا لان فيه نفيا لالهتهم ولقد تقابل الاشمئزاز والاستبشار اذ كل واحد منهما غاية فى بابه لان
الاستبشار ان يمتلى قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلى غما وغيظا
حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجاة يعد روقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا
وقت الاستبشار **قوله تعالى** قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون عن منذر الثورى قال كنت عند الربيع
بن خثيم فدخل عليه رجل ممن شهد قتل الحسين رضى الله عنه ممن كان يقاتله فقال الربيع بها
معلقها يعنى الروس ثم ادخل يده فى حنكه تحت لسانه فقال والله لقد قتلتم صفوة لو ادركهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم لتقبل افواههم واجلسهم في حجره ثم قرا قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون **قوله تعالى**
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا لو ان
لك ما على الارض من شيء اكنت مفتديًا به فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من هذا وانت
في صلب ادم ان لا تشرك بي شيئًا فابيت الا ان تشرك بي وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
في الدنيا انه نازل بهم في الاخرة السدي ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات وهذا وعيد لكنه
لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والمعنى فيظهر لهم
من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم قال سفيان وقرا هذه الاية
ويل لاهل الريا ويل لاهل الريا وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له اتجزع فقال اخشى اية من كتاب
الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم
سيئات ما كسبوا اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحايفهم وكانت خافية
عليهم لقوله احصاه الله ونسوه وقيل المراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا
فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء ما كانوا به يستهزءون
اي جزاء هزؤهم **قوله تعالى** فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال
انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين ثم اذا خولناه اعطيناه نعمة منا التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك
على غير جزاء قال انما اوتيته على علم اي شيء اعطاه لما في من فضل وقيل على علم من الله باني له اهل وقيل
على علم مني بوجوه الكسب والضمير في اوتيته راجع الى شيء من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في
انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي اي النعمة فتنة ابتلاء
وامتحان لك اتشكر ام تكفر ذكر الضمير اولا على المعنى وانث اخرا على اللفظ ولان الخبر
لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه تقول ما جاءت حاجتك وانما
عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو لان هذه وقعت مسببة عن قوله
واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا

مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاي اعتراض وما
في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ما عينه من
الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون
الهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون
مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم
خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعًا ومثله معه لافتدوا به
حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علماء النظم والا بقيت
محتجبة في اكمامها واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت
عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو وهذا التسبب لعطف فانك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه
ضر التجا اليه فهذا تسبب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فتجي
بالفاء مجيئك به كان زيد كافرا حين التجا به الى الله التجاء المؤمن اليه فتقيم كفره مقام الايمان
وتجريه مجراه في جعله سببًا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا
الكلام الانكار والتعجب من فعله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان التخويل فتنة او الكلمة التي
قالها فتنة قد قالها الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول الذين
من قبلهم يعني قارون والذين كانوا قبل قارون او قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي
وقومه راضون بها فكانهم قالوها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه
من هؤلاء من مشركي قومك فاصابهم اي الذين من قبلهم سيئات ما كسبوا اي جزاء ما كسبوا
والذين ظلموا من هؤلاء المشركين سيصيبهم سيئات ما كسبوا مثل ما اصاب اولئك
فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين
وما هم بمعجزين **قوله تعالى** اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان
في ذلك لايات لقوم يؤمنون ٥ اي بسط لهم الرزق فمطروا سبع سنين فقيل لهم
اولم يعلموا ان الله هو القابض والباسط لا قابض ولا باسط الا هو **قوله تعالى**
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم
لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين
او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون

من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين   قيل
عنى بها قوما من المشركين قال ابن عباس نزلت في أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من قتل النفس التي حرم
الله وعبد الأوثان لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله غيره وقتلنا النفس التي
حرم الله فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي
يدعوه إلى الإسلام فأرسل وحشي إلى محمد صلى الله عليه وسلم كيف تدعوني إلى دينك وأنت
تزعم أنه من قتل وأشرك أو زنا يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا وأنا
قد فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية قال وحشي
هذا شرط شديد فلعلي لا أقدر على هذا فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني في شبهة بعد فلا أدري يغفر لي أم لا فهل
غير ذلك فأنزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
فقال وحشي نعم هذه فجاء وأسلم فقال المسلمون هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين
عامة فإنه ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الإسلام أشفقوا أن
لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية عن ابن عباس نزلت في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد
ونفر كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا ولا
عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فنزلت هذه الآيات وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كاتبا فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى
أولئك النفر فأسلموا وهاجروا عن عمر رضي الله عنه لما اجتمعنا إلى الهجرة اتعدت أنا وعياش بن
أبي ربيعة وهشام بن العاص وقلنا الميعاد بيننا التناضب ميضاة بني غفار وقلنا من احتبس
منكم لم يأتها فقد حبس فليمض صاحبه فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام ففتن
فافتتن فقدمنا المدينة فكنا نقول ما الله بقابل منهم ولا توبة قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا
عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا فأنزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله إلى قوله أليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر رضي الله عنه فكتبتها
بيدي كتابا ثم بعثت بها إلى هشام قال هشام فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى فقلت اللهم
فهمنيها فعرفت أنها أنزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقتل هشام بأجنادين في ولاية أبي بكر رضي الله عنه وقيل نزلت في قوم كانوا يرون أن أهل الكبائر
من أهل النار فأعلمهم الله أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا معاشر
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول أنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة

حتى نزلت

حتى نزلت هذه الآية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية
قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال وكنا إذا رأينا من أصاب شيئا
منها قلنا هذا قد هلك فنزلت هذه الآية فلما نزلت أكففنا عن القول في ذلك فكنا إذا رأينا أحدا
أصاب منها شيئا خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له أسرفوا على أنفسهم جنوا
على أنفسهم بالإسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرأ أبو عمرو بكسر النون والباقون بفتحها
وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر والآية عامة للناس أجمعين قيل دخل عبد الله بن مسعود المسجد
فإذا قاصٌّ يقص وهو يذكر الأغلال والنار فجاء حتى قام على رأسه وقال يا مذكر لم تقنط الناس
ثم قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية عن زيد بن أسلم أن
رجلا كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد في العبادة على نفسه ويقنط الناس من
رحمة الله ثم مات فقال أي رب ما لي عندك قال النار قال أي رب فأين عبادتي واجتهادي قال
إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا فاليوم أقنطك من رحمتي عن أسماء بنت يزيد سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعا عن أبي الجوزاء قال ما علمت أحدا من أهل العلم ولا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لذنب إن الله لا يغفر هذا عن ثوبان مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله ومن
أشرك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ألا ومن
أشرك قال علي كرم الله وجهه ما في القرآن آية أوسع من يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا الآية وعن ابن مسعود أن أكبر آية في القرآن فرجا يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
الآية الزهري دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال إن بالباب شابا قد أحرق فؤادي وهو يبكي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله علي فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما شأنك يا شاب فقال يا رسول الله أبكاني ذنوب كثيرة وخفت من جبار عظيم
غضبان علي قال أشركت بالله يا شاب قال لا قال أقتلت نفسا بغير نفس قال لا قال فإن
الله عز وجل يغفر لك ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي
قال يا رسول الله ذنب من ذنوبي أعظم من السموات السبع ومن الأرضين السبع قال ذنبك
أعظم أم العرش قال ذنبي قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي قال ذنبك أعظم أم الملك قال بل الله

اجل واعظم فقال ان ربنا العظيم وما يغفر الذنب العظيم الا الاله العظيم قال اخبرني عن ذنبك
فقال اني مستحيي من وجهك يا رسول الله قال اخبرني ما ذنبك قال اني كنت رجلا نباشا انبش
القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فنبشت قبرها فاخرجتها من كفنها
ومضيت غير بعيد اذ غلبني الشيطان على نفسي فرجعت فجامعتها ومضيت غير بعيد اذ قامت
الجارية فقالت الويل لك يا شاب من ديان يوم الدين يوم يضع كرسيه للقضاء ياخذ للمظلوم
من الظالم تركتني عريانة في عسكر الموتى واوقفتني جنبة بين يدي الله عز وجل فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يضرب في قفاه ويقول يا فاسق اخرج ما اقربك من النار وقال فخرج
الشاب تائبا الى الله عز وجل حتى اتى عليه ما شاء الله ثم قال يا اله محمد وادم وحوا ان كنت
غفرت لي فاعلم محمدا واصحابه والا فارسل نارا من السماء فاحرقني بها ونجني من عذاب الاخرة
قال فجاء جبريل عليه السلام وله جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب فقال السلام يقريك
السلام قال هو السلام واليه يعود السلام قال يقول انت خلقت خلقي قال بل هو الذي خلقني
قال يقول انت ترزقهم قال بل هو الذي يرزقني قال يقول انت تتوب عليهم قال بل هو الذي يتوب علي
قال فتب على عبدي فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وتاب عليه وقال ان الله هو التواب
الرحيم وانيبوا اي ارجعوا واقبلوا الى ربكم بالطاعة واسلموا واخضعوا له من قبل ان ياتيكم
العذاب ثم لا تنصرون عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من السعادة ان يطول عمر المرء ويرزقه الله الانابة واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه القران كله حسن ومعنى الاية ما قال الحسن
التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان الذي انزل على ثلثة اوجه ذكر القبيح ليجتنبه وذكر
الادون لئلا يرغب فيه وذكر الاحسن ليوثره السدي الاحسن ما امر الله به في الكتاب
ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابهات الى عالمها من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة اي من
قبل ان يفجاكم العذاب وانتم لا تشعرون اي وانتم غافلون لا تحسون شيئا لفرط غفلتكم
ان تقول نفس يعني لان لا تقول نفس كقوله ان تميد بكم وان تضلوا ونحوهما ونكر نفس لان المراد
بها بعض الانفس وهي نفس الكافر وقيل يجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما باللجاج في الكفر
شديدا وبعذاب عظيم وقيل يجوز ان يراد التكثير يا حسرتا يا ندامتا ويا حزنا والتحسر الاغتمام
على ما فات سمي بذلك لانحسار عن صاحبه بما يمتنع عليه استدراكه والالف في الامر فيه والالف
في حسرتا هي ياء المتكلم وانما اريد يا حسرتي على الاضافة ولكن العرب تحول الياء التي هي كناية
اسم المتكلم في الاستغاثة الفا فيقول يا ويلتا ويا حجرها على لفظ الدعا وربما الحقوا بها الها انشد

الفرا

الفرا يا مرحباه بحمار ناجية اذا اتى قربته للسانية ودبما الحقوا بها
الياء بعد الالف لتدل على الاضافة فتكون جمعا بين المعوض والمعوض عنه على ما فرطت
بصرت في جنب الله في جانب الله يقال انا في جانب فلان وجانب فلان وناحيته وفلان لين
الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وجانبه يريدون في حقه قال سابق البربري
اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك
اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ان السماحة
والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا
يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت
هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت
في جنب الله على معنى في ذات الله قال صاحب الكشاف فان قلت فرجع كلامك الى ان ذكر
الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى
فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت
في طاعة الله وعبادته وما اشبه ذلك وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت سعيد
بن جبير في حق الله مجاهد في امر الله الحسن في طاعة الله وقيل في سبيل الله ودينه والعرب
تسمي السبب والطريق الى الشيء جنبا تقول تجرعت في جنبك غصصا وبلايا اي بسببك
واجلك قال الشاعر افي جنب بكر قطعتني ملامة لعمري لقد كانت ملامتها ثنا
وقيل والجانب الذي يودي الى رضى الله عز وجل وثوابه والعرب تسمي الجانب
جنبا قال الشاعر الناس جنب والامير جنب يعني الناس من جانب
والامير من جانب وان كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله
والمومنين به قتادة لم يكفه ان يضيع طاعة الله تعالى حتى جعل يسخر باهل طاعته وان كنت
في محل النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي عن ابي صالح كان رجل عالم
في بني اسرائيل ترك علمه واخذ في الفسق فاتاه ابليس فقال له لك عمر طويل فتمتع من الدنيا ثم
تب فاخذ في الفسق وكان عنده مال فانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما يكون
فقال من انت قال انا ملك الموت جئت لاقبض روحك فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب
الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حيث لم ينفعه الندم فانزل الله
تعالى خبره في القران او تقول لو ان الله عطفه على قوله تقول في قوله ان تقول نفس يا حسرتا
هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين

قيل في نصب فاكون انه جواب لو وقيل انه رد على موضع الكرة وتوحيد الكرة في المعنى اى لو ان
لى ان اكون كقول الشاعر انشده الفرا فمالك منها غير ذكرى وحسرة وتسال
عن ركبانها اين يمموا فنصب تسال على موضع ذكرى لان معنى الكلام فمالك منها الا
ان تذكر ومنه قوله تعالى الا وحيا وانما يقول هذا تحسرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى
عنهم التعلل باغواء الروسا والشياطين ونحو ذلك ونحو لو ان الله هدانا لهديناكم بلى قد جاءتك
اياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي وجاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت
عن قبولها وكنت من الكافرين قال فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان
الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القراين الثلاث فيفرق
بينهن واما ان يوخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين واما الثاني
فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة
فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما
اقتضى الجواب ولما كان لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت صح ان يقع بلى جوابا له وان كان غير
منفي **قوله تعالى** ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس
في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
ان هذا نوع اخر من تقرير الوعيد والوعد اما الوعيد فقوله ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله اى وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا
هولاء شفعاونا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها وجوههم مسودة جملة
في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم قرا اهل الكوفة الا حفصا بالالف على الجمع
وقرا الباقون بغير الف على الواحد لان المفازة هاهنا هو الفوز ومعنى الاية ينجيهم من العذاب
باعمالهم الحسنة يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
مفسر للمفازة كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم
او بسبب منجاتهم من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى بمنجاة منه لان النجاة من
اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز
بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح
في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل لقوله لا يمسهم سوء على تقدير ان يكون تفسيرا لقوله
بمفازة لانه كلام مستانف ومحله النصب على الحال على تقدير ان يكون بسبب مفازتهم

قوله تعا

قوله تعالى الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون له مقاليد اى مفاتيح خزاين السموات والارض
واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقاليد مثل منديل ومناديل اى هو مالك امرها وحافظها وهي من باب
الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه
مقاليد الملك وهي المفاتيح وقيل لا واحد من لفظها وقيل مقلد ويقال اقليد واقاليد ويقال هي
فارسية معربة اصلها اكليد والذين كفروا بايات الله متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
بمفازتهم والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها
وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل
متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا
ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون روي انه سال عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني
عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا قوة
الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها
اذا اصبح واذا امسى عشر مرات اعطاه الله ست خصال اما اولها فيحرس من ابليس وجنوده
والثاني يحضره اثنا عشر ملكا والثالث يعطى قنطارا من الجنة والرابعة ترفع له درجة
والخامسة يزوجه الله زوجة من الحور العين والسادسة يكون له من الاجر كمن قرا القران
والتوراة والانجيل وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته
مات شهيدا عن علي كرم الله وجهه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
المقاليد فقال يا علي سالت عظيما المقاليد ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت
لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله والحمد لله استغفر الله ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
من قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولهن يحرسه من ابليس
وجنوده فلا يكون له عليه سلطان والثانية يعطى قنطارا في الجنة اثقل في ميزانه من جبل
احد والثالثة يرفع الله درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين
والخامسة يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها في رق منشور يشهدون بها يوم القيمة
والسادسة كان كمن قرا التورية والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجه
وعمرته وان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهدا فهذا تفسير المقاليد

وتاويله ان الله هذه الكلمات فيوحّدُ بها ويُمجّدُ وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من
المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون
قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
وذلك حين دعي الى ابائه فقال له المشركون استلم بعض الهتنا ونومن بالهك افغير منصوب
باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وقيل منصوب لا يدل عليه جملة قوله
تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد غير الله والاصل تامرونني ان اعبد فحذف
ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايها ذا الزاجري احضر الوغا وقرا اهل المدينة تامروني بنون واحدة
خفيفة على الحذف والتخفيف وقرا اهل الشام بنونين على الاصل والباقون بنون مشددة على الادغام
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الذي عملته قبل الشرك وقيل
معناه لئن طالعت غيري في السر ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فان قيل الموحى اليهم جماعة
فكيف قال لئن اشركت على التوحيد اجيب بان معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى
الذين من قبلك مثله وقيل اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل
واحدٍ منا اللام في لئن اشركت موطئة للقسم المحذوف واللام في ليحبطن لام الجواب لام الجواب
وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط وهذا الكلام مع علم الله ان رسله
لا يشركون ولا يحبط اعمالهم انما صح على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها للاغراض ومعنى قوله
ولتكونن من الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة في الاخرة وقيل يجوز ان يكون
غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم به
من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله
فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين لله على نعمه الاعيان وعلى ان
جعلك سيد ولد ادم ويجوز ان ينتصب الله في بل الله بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره
بل الله اعبد فاعبد قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت
الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون لما حكى الله عن المشركين انهم امروا رسول الله
صلى الله

صلى الله عليه وسلم بان يعبد الله ولا يعبد شيئا سواه بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا
هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية تعالى وما قدروا الله حق قدره حين اشركوا به
فان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره وعظمه حق
تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه والمراد من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته
والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز والارض
جميعا قبضته اي ملكه يوم القيمة بلا مانع ولا منازع ولا مدعي وهو اليوم ايضا ملكه نظيرها قوله مالك
يوم الدين ولمن الملك اليوم وقيل هذا كما يقال خراسان في قبض فلان ليس انها في كفه وانما معناه مالكه
والسموات مطويات بيمينه للطي معاني منها الادراج كطي القرطاس والثوب بيانه قوله تعالى يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتاب ومنها الاخفاء يقال طويت فلانا عن اعين الناس واطو هذا الحديث عني اي استره
ومنها الاعراض يقال طويت عن فلان اي اعرضت عنه ومنها الافناء تقول العرب طويت فلانا بسيفي اي افنيته
وانما ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار وقيل هو بمعنى القوة وقيل اليمين القسم لانه حلف ان يطويها
ويفنيها عن عبد الله بن مسعود جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القسم ان الله
يمسك السموات والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والخلايق
على اصبع ثم يقول هكذا الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال وما
قدروا الله حق قدره وعنه جاء حبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك
السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على
اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعجبا لما قال الحبر تصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
وانما ضحك افصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير
تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة
التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها
الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل هينةً عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا
اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من
هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله عز وجل في القران
وساير الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام
قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة

على الوقوف دونه لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المقربة ولا يفك
قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضيم
وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف
قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله السموات ولان
الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجمع اتبع الجميع مؤكدة قبل
مجي الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلها والقبضة المرة من القبض
فقبضت قبضة من اثر الرسول والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة
من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور اكلة لقمة والقلة جرعة اي ذات اكلة وذات جرعة
يريد انها لا تفي الا باكلة فردة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان
المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى
يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه قال صاحب الكشاف ومن اشتم رائحة من
علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حسبه لكلام الله المعجز بفصاحته
وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايتهم
على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه قدرته وعظمته
وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا وهي
النفخة الاولى الا من شاء الله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الاية
من اولئك الذين لم يشاء الله ان يصعقهم قال هم الشهداء متقلدين اسيافهم حول العرش تتلقاهم
ملائكته يوم القيمة الى المحشر بنجائب من ياقوت ازمتها الدر برحائل السندس والاستبرق
نمارقها الين من الحرير مد خطاها مد ابصار الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا
الى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم ربنا فاذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه
عن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله قالوا يا رسول الله من الذي استثنى الله عز وجل قال هو جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت فيقول يا ملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفس اسرافيل فيقول يا ملك الموت من بقي
فيقول سبحانك ربنا وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول يا ملك الموت
خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فوقع كالطود العظيم فيقول يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك
ربي ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وبقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت
فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل

الميت

الميت الفاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيقول سبحانك ربي تباركت
وتعاليت ذا الجلال والاكرام وعن جابر في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله قال موسى عليه السلام فيما استثنى الله تعالى فلا يصعق وذلك انه قد صعق
مرة يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال يهودي بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع
رجل من الانصار يده فصك بها وجهه فقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاكون
اول من يرفع راسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى
الله وقال كعب الاحبار هم اثنا عشر حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت الضحاك هم
رضوان والحور العين وملك الموت والزبانية قتادة الله اعلم بثنياه الحسن الا من شاء الله يعني الله
وحده وقيل عقارب النار وحياتها ثم نفخ فيه اخرى يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذف لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان فاذا هم
قيام من قبورهم ينظرون الى البعث وقيل ينظرون امر الله وقيل يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت
اذا فجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم واشرقت واضاءت الارض بنور ربها قال اكثر المفسرين بنور ربها
وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره الا كما يتضارون في الشمس في اليوم
الصحو الذي لا دجن فيه الضحاك بحكم ربها السدي بعدل ربها ويقال ان الله عز وجل يخلق في القيمة نورا
يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به ويقال ان الله تعالى يتجلى للملائكة فتشرق الارض بنوره والارض ارض
عرصات القيمة قال صاحب الكشاف قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من
التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسط من القسط في الحساب
ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة
اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين القسط ويحكم بالحق بين اهلها
ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما
يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجي بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق
وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك
كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الاية
باثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب يعني صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ
وجيء بالنبيين والشهداء ابن عباس الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة السدي الذين استشهدوا في
طاعة الله وقيل هم الحفظة يدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقضي بينهم بالحق

وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون **قوله تعالى** وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين كفروا سوقا عنيفا يسحبون على
وجوههم الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها على اثر بعض كل امة على حدة الاخفش يعني جماعات
في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة قرا اهل الكوفة
فتحت وفتحت على التخفيف والباقون شددها على التكثير وقال لهم خزنتها توبيخا وتقريعا لهم
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين على الكافرين قيل لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين **قوله تعالى** وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
وحشر الذين اتقوا ربهم فاطاعوه ولم يشركوا به شيئا الى الجنة زمرا طبقات مختلفة شهداء وزهادا
وعلماء وقراء وغيرهم وقيل ركبانا حتى اذا جاؤها حتى هي التي يحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي
الشرطية وجزاؤها محذوف وانما حذف لانه في صفات ثواب اهل الجنة فدل على حذفه على انه شيء
لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها اي مع
ابوابها فالواو فيه واو الحال اي وقد فتحت ابوابها فادخل الواو هاهنا لبيان انها كانت مفتحة
قبل مجيئهم وحذفها من الاية الاولى لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيئهم وقيل زيدت الواو هاهنا
لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة فزيدت الواو فرقا بينهما وتسمى واو الثمانية لان
من عادة قريش انهم يعدون العدد من الواحد الى الثمانية فاذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واو
فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية يدل عليه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
وقال تعالى التائبون العابدون الحامدون فلما بلغ الثامن من الاوصاف قال والناهون عن المنكر
قال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارا وقيل زيادة الواو في صفة الجنة علامة
لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم
من خبث الخطايا فادخلوها خالدين جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا
دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها

الا

الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في
اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الكريم الوهاب صفة نصوحا تنقي انفسنا من دون
الذنوب وغيبت وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود فاده اذا وطعوا النار حبسوا
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان
قال لهم رضوان واصحابه طبتم فادخلوها خالدين وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن هذه
الاية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة حتى اذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من
تحت ساقها عينان فعمدوا الى احدهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغبر ابشارهم
بعدها ابدا ولن تشعث اشعارهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا
منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او قذى وتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ويلقى كل غلمان صاحبهم يطيفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة يقولون
ابشر قد اعد الله لك كذا واعد لك كذا فينطلق غلمان من غلمانه يسعى الى ازواجه من الحور العين
فيقول هذا فلان باسمه الذي قد قدم فيقلن انت رايته فيقول نعم فيستخفهن بالفرح حتى يخرجن الى
اسكفة الباب ويجيء فيدخل فاذا سرر موضونة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي
مبثوثة ثم ينظر الى تاسيس بنيانه فاذا هو قد اسس على جندل اللؤلؤ بين احمر واخضر واصفر وابيض
من كل لون ثم يتكئ على اريكة من ارائكه ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا ان الله عز وجل قدر انه
لم يالم لذهب بصره انه مثل البرق فيقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله فينادي بهم الملائكة ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض يعني ارض الجنة وقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون فعبر بالارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ و
قد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه
فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله
حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على
الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره فنعم اجر العاملين ثواب المطيعين
وترى الملائكة حافين محدقين محيطين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا
متعبدين به لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم اي بين العباد كلهم بين اهل الجنة
واهل النار بالحق دخول اهل الجنة بالفضل ودخول اهل النار بالعدل وقيل بينهم اي بين الملائكة
على معنى ان فضل الله في حقهم ليس على السواء بل التفاضل بحسب ارادته تعالى على حسب تفاضلهم

في اعمالهم كما قاله صاحب الكشاف والقايل بذلك المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملايكة كانه
قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضايه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي اتاه الله
بمقتضي مشيته عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر اخر سورة الزمر فتحرك
المنبر مرتين والله اعلم

سورة المومن مكية

ويقال لها سورة الطول وحكي عن ابن عباس وقتادة ان فيها ايتين نزلتا بالمدينة وهما
قوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها قال الزجاج وذكر ان الحواميم كلها نزلت
بمكة وهي اربعة الاف وتسعمايه وستون حرفا والف ومايه وتسعة وتسعون كلمة وخمس وثمانون
ايه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القران وعن ابن عباس لكل شي
لباب ولباب القران الحواميم وعن الخليل ابن مرة مرسلا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الحواميم سبع وابواب جهنم سبعة جهنم والحطمة ولظى وسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجي كل حاميم
منهن يوم القيمة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يومن بي ويقراني وعن
سعيد بن ابرهيم قال كن الحواميم يسمين العرايس وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شي ثمرة
وان ثمرة القران ذوات حواميم هن روضات جنات محصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في
رياض الجنة فليقرا الحواميم وعن ابن مسعود اذا وقعت في الحواميم وقعت في روضات انانق فيها
وقال صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب ابن سيرين قال راى رجل
في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا
ال حاميم فاما فضايل هذه السورة خاصة فعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا حم المومن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلوا عليه واستغفروا له

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو
اليه المصير قيل حم اسم من اسماء الله تعالى اضيف هذه السورة اليه كانه قيل سورة الله
لشرفها وفضلها فقيل ال حم وان كان القران كله مسورا فان هذا كما يقال بيت الله وحرم الله
وناقة الله قال الكميت وجدنا لكم في ال حاميم اية تاولها منا تقي ومعرب
عن ابن عباس هو اسم الله الاعظم وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة قتادة حم اسم من
اسماء القران مجاهد فواتح السور القرظي اسم الله بحكمه وملكه ان لا يعذب احدا عاذ اليه لا اله الا
هو مخلصا من قبله الشعبي شعار السورة عطا الخراساني الحا افتتاح اسم الله حكيم وحميد وحي وحنان
وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان يدل عليه ما روي انس ابن مالك انه قال سال اعرابي

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لغتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدو اسماء
وفواتح سور الضحاك والكسائي معناه ما هو كاين كانهما ارادا الاشارة الى حم بضم الحاء وتشديد الميم قرا
حمزة والكسائي وخلف بكسر الحاء والباقون بالفتح ومنهم من قرا بسكون الميم ومنهم من فتحها لالتقاء الساكنين
واختيار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرا ومنع الصرف للتانيث والتعريف وقيل
للتعريف وانها على زنة الاعجمي نحو قابيل وهابيل تنزيل الكتاب اي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله قابل التوب ممن قال لا اله الا الله والطول الغنى والطول الفضل
والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل الضحاك ذي المن
مادة ذي النعم السدي ذي السعة الحسن ذي الفضل ابن زيد ذي القدرة واصل الطول الانعام التي
تطول مدتها على صاحبه يقال اللهم طل علينا اي انعم وتفضل ومنه قيل للشيء طايل يقال ما حظيت عنه بطايل
وما حظيت من سايل اي لم احد منه منفعة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اختلف هذه
الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت اما غافر الذنب وقابل
التوب فمعرفة لانه لم يرد بها حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا
في تقدير الانفصال فتكون اضافتها غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب
العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله
الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هولاء
المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت
تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن
كانت من الكامل ولقايل ان يقول هي صفات وانما حذف شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه
فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل مثل ذلك
وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف
واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام وفيما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف
ويجوز ان يقال تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شي ادهى منه وامر لزيادة الانذار
ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال
والواو في وقابل التوب نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التايب بين رحمتين بين ان يقبل
توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاء للذنوب كانه لم يذنب كانه جامع المغفرة
والقبول عن ثابت كنت الى جنب سرادق مصعب ابن الزبير مكان لا تصل اليه الدواب وقد

استفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ثم رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال يا غافر
الذنب اغفر لي ذنبي قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوبة اقبل توبتي قلت شديد العقاب قال قل
شديد العقاب اعف عني عقابي قلت ذي الطول قال قل يا شديد العقاب اعف عني فلم ار شيئا وقال
اهل الاشارات فضلا وقابل التوب عدلا شديد العقاب عدلا ذي الطول نعما لا اله الا هو اليه
المصير فرد او التوب يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون جمع التوبة مثل دومة ودوم وعومة
وعوم عن زيد الاسم ان رجلا كان ذا باس وكان يوفد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لباسه وكان
من اهل الشام وان عمر رضي الله عنه فقده فسال عنه فقيل يا امير المومنين تتابع في هذا الشراب
فدعا عمر رضي الله عنه كاتبه فقال اكتب فكتب من عمر الى فلان سلام عليك احمد اليك الله الذي
لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير وختم الكتاب ودفعه الى
رسوله وقال لا تدفعن الكتاب اليه حتى تجده صحوا ثم امر من عنده ان يدعوا له ان يقبل الله
عليه بقلبه وان يتوب عليه فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقراها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي
وحذرني عقابه فلم يزل يرددها حتى جعل يبكي ثم نزع عن ذلك وحسنت توبته وحاله فلما بلغ عمر
رضي الله عنه ذلك قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم ذا زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان
يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه **قوله تعالى** ما يجادل في ايات الله
الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت
كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان
عقاب لما قرر ان القران كان انزله ليهتدى به وان الذين ذكر احوال من يجادل لابطاله
واحقا من فقال ما يجادل في ايات الله بالا نحاولها والطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء
نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فالمراد الجدال بالباطل فاما الجدال
فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ
عنها وبها فاعظم جهاد في سبيل الله ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران
قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال
مميز منه بين جدال وجدال قال صاحب الكشاف فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك
ما قبله قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه
عند الله تعالى وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم

وتقلبهم

وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد
الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه
شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة
مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقيل
لا يغررك تقلبهم تصرفهم في البلاد للتجارات وبعادهم فيها مع كفرهم فان الله يمهلهم ولا يهملهم
نظيره لا يغرنك تقلب الذين كفروا متاع قليل الاية ثم قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب والكفار
الذين تحزبوا على انبيائهم بالمخالفة والعداوة من بعدهم من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم
لياخذوه ليتمكنوا منه ومن الانتفاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ
وجادلوا بالباطل ليدحضوا ليزيلوا به الحق فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم ان
اخذتهم فكيف كان عقاب وانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا
تقرير فيه معنى التعجب **قوله تعالى** وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار كذلك حقت معناه كما وجب اهلاك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء اي قريش لان
علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب
على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك
وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة ويجوز ان يكون في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال
الفعل **قوله تعالى** الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به
ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح وازواجهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز
العظيم الله تعالى لما بين ان الكفار بالغون في اظهار المحبة والنصر للمومنين كانه تعالى
يقول ان هؤلاء لا رادل بالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تحزن فان حملة
العرش معك والحافون من حول العرش ينصرونك ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل
قدميه مسيرة خمسمائة عام مسيرة ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم
خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد
خوفا من التي تليها مجاهد بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور ابن عباس لما خلق الله
حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من اعوانهم مثل جنود من في سبع
سموات من الملائكة ومن في الارض من الخلق فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم

من اعوانهم مثل جنود سبع سموات وسبع ارضين وما في الارض من عدد الحصى والثرى فقال
احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا لا حول ولا قوة فلما قالوا لا حول
ولا قوة الا بالله استقلوا عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر
فكتب في قدم كل منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة
فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى
وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع عن جابر بن
عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وفي الخبر ان الله عز وجل امر جميع الملائكة ان يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على ساير الملائكة هذه صفة حملة العرش قيل خلق الله
العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل
حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون
الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وعن جعفر
بن محمد عن ابيه عن جده قال ان العرش احوف الخلق من الله وان بعضه ليستند ليتنطق بهذه الكلمة
اعوذ بالله من غضب الله واعوذ بالله من سخط الله واعوذ بالله من نقمة الله واعوذ بالله
من كيد الله قال صاحب الكشاف فايدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف
الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا
فابان بذلك فضل الايمان وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان
حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب
فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام في
ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن
صفات وتعالى ان نقول لا نسلم انه لا طريق الى معرفته الا هذا ويستغفرون للذين امنوا
قال صاحب الكشاف روعي التناسب في قوله ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم
وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه
على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان
ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى

استغفر

استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا
ويقولون المضمر يحتمل ان يكون حالا ويحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وسعت كل شيء
رحمة وعلما منصوبان على التمييز فالرحمة والعلم وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع رحمتك وعلمك كل شيء
ولكن عدل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى ذي الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق
في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم عن مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله للعباد
الشياطين قال يحيى بن معاذ الرازي لاصحابه حين قرا هذه الاية افهموا فما في العالم جنة ارجى منه ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن في محل النصب عطفا على هم في وادخلهم صلح من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين
امي اين ولدي اين زوجي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
وقهم السيئات انواع العذاب وقيل جزاء السيئات بحذف المضاف والسيئات تعم الصغائر والكبائر
المترتب عنها ومن تق السيئات ما التكفير عنها فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم **قوله تعالى**
ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا
دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم اياته وينزل لكم
من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
انه تعالى عاد الى بيان احوال الكافرين المجادلين في ايات الله وهم الذين ذكرهم الله
في قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيمة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم
العذاب الذي نزل بهم ويسالون الرجوع الى الدنيا لتلافي ما فرط منهم فقال ان الذين كفروا ينادون
يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والمفعول محذوف لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكره مرة وقد مقتوا انفسهم حين عاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله انفسكم
عند حلول العذاب بكم اذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة وتكفرون
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله
وتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هوى انفسكم الامارة
الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم
لبعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا اذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ
الانكار واشد ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين

اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين قيل اراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولاً واماتتهم عند انقضاء
آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله في الدنيا
ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما حياتان وموتتان وقال السدي اميتوا في الدنيا
ثم احيوا في قبورهم فسئلوا ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الآخرة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف
صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق
الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر
والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه
كنقله منه فاعترفنا بذنوبنا قال صاحب الكشاف فكيف سبب هذا القول فاعترفنا بذنوبنا قلت
قد انكروا البعث فكفروا واتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي
فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من النار من سبيل
فنصلح اعمالنا نظيرها هل الى مرد من سبيل فنصلح اعمالنا نظيرها هل الى مرد من سبيل ومعنى خروج
على التنكير نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج الى سبيل
الله وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب
على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم
الله وايمانكم بالاشراك بالله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا اي الكلام متروك
استغني بدلالة الظاهر عليه تقديره فاجيبوا ان لا سبيل الى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار
بانه اذا دعي الله وحده في الدنيا كفرتم وانكرتم ان يكون الالوهية له خالصة وقلتم اجعل الآلهة
الها واحدا وان يشرك به غيره تؤمنوا تصدقوا ذلك المشرك قيل معناه وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا
لو كانوا يردون تؤمنوا تصدقوا المشرك فلذلك ذكر بلفظ الاستفهام نظيره قوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير يدل على الكبرياء والعظمة
وعلى ان عذاب يموت الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته هو
الذي يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء
رزقا مطرا لانه سببه وما يتذكر وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من ينيب يتوب

من الشرك ورجع الى الله عز وجل فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين
فادعوا الله فاعبدوا الله مخلصين له الدين الطاعة والعبادة من الشرك ولو كره الكافرون
وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم **قوله تعالى** رفيع الدرجات ذو العرش
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم
شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله
سريع الحساب ثلثة اخبار لقوله هو مرتبة على قوله هو الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف
وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا رفيع الدرجات اي رافع طبقات الثواب للانبياء والمؤمنين في الجنة
ابن عباس يعني رافع السموات وهو فوق كل شيء وليس فوقه شيء رفيع الدرجات كقوله ذي المعارج
وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن جبير سماء فوق سماء
والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن
ملكه وقيل هي درجات الثواب التي ينزلها اولياءه في الجنة ذو العرش خالقه ومالكه يلقي الروح
ينزل الوحي سماه روحا لانه تحيا به القلوب كما تحيا بالارواح الابدان من امره من قوله وقيل بامره
على من يشاء من عباده لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح يوم التلاق يوم القيمة لان
الخلائق تلتقي فيه وعن ابن عباس يوم يلتقي اهل السماء واهل الارض قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق
ميمون ابن مهران يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء
مع عمله يوم هم بارزون خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض
بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث عراة حفاة غرلا لا يخفى
على الله منهم شيء من اعمالهم واحوالهم وهم مبتدأ بارزون خبره قال صاحب الكشاف فان قلت
قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه
قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم
ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل
ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم
وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم حكاية لمن يسأل عنه في ذلك اليوم
ولمن يجاب عنه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار الحسن هو السائل وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه
لله الواحد القهار الذي قهر خلقه بالموت وعن ابن مسعود يجمع الله تعالى الخلق يوم القيمة

بصيحة واحدة بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي منادٍ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب فأول ما يذكر من الخصومات الدماء فما أقر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهو أن كل نفس تجزى بما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلهم في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين ابن عباس إذا أخذ في الحساب لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها **قوله تعالى** وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير وأنذرهم يوم الآزفة القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب قيل ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار قال النابغة أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد أي قرب ونظير هذه الآية أزفت الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر أي فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا كاظمين مكروبين ممتلين خوفا وحزنا وهو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وقيل الكاظم الممسك للشيء على ما فيه ومنه كظم قربته إذا شد رأسها فهم قد أطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم من شدة الخوف والكظم تردد الغيظ والحزن والخوف في القلب حتى يضيق به وتقول العرب للبئر الضيقة وللساقية المملوءة ماءً كاظمة وكظامة ومنه الحديث كيف بكم إذا بعجت مكة كظائم ويجوز أن يكون كاظمين حالا عن قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين ما للظالمين من حميم قريب وصديق وحبيب مشفق ولا شفيع يطاع فيهم قال صاحب الكشاف المطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فوقك فإن قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل أن يتناول النفي الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فإن قلت فعلى أي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الأمرين

جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع فإن قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه وما لي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه يعلم خائنة الأعين الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها مجاهد هي نظر الأعين إلى ما نهى الله تعالى عنه قتادة هي همزه بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه قال صاحب الكشاف ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأن قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فإن قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الأعين هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح قد علل لقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع بعد لذلك عن أخواته وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي إلا بالحق والذين يدعون من دونه يعني الأوثان لا يقضون بشيء لأنها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي قرأ أهل المدينة تدعون من فوق ومثله روى هشام عن أهل الشام والباقون بالياء إن الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله فإنها لا تسمع ولا تبصر **قوله تعالى** أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب إنه تعالى لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا في الأرض

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم فصل والفصل وان كان الاصل ان يقع بين معرفتين لكن لما كان اشد مضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم قوة واثاراً في الارض يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم او ارادوا اكثر اثاراً كقوله متقلداً سيفاً ورمحاً فلم ينفعهم ذلك حين اخذهم الله بذنوبهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من عذاب الله من واق يدفعهم ويدفع عنهم ذلك العذاب الذي نزل بهم ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا **قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين حجة ظاهرة وهي المعجزات الى فرعون وهامان وقارون فقالوا هو اي موسى ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحراً وكذباً فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا يعني فرعون وهامان وقارون وقومهم اقتلوا ابناء الذين امنوا معه اي اعيدوا عليهم القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث اليه موسى اعاد القتل عليهم واستحيوا نساءهم ليصدوهم بقتل الابناء واستحياء النساء عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين وما مكر فرعون وهامان وقارون الا في ضلال ضياع وذهاب باطل لم يجد عليهم اي انهم باشروا قتل ابنائهم اولاً فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار ما خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الانبياء فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاد عليهم غيظاً وحنقاً وظناً منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعاً وقال فرعون لملائه ذروني اقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا كانوا اذا هم فرعون بقتل موسى كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحراً مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به ايات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خبث ومكر وجربزة وكان قتالاً سفاكاً للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله فليدع ربه شاهد صدق على فرط خوف منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويهاً على قومه وايهاماً انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه

الاماني

الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان يبدل دينكم الذي انتم عليه من عبادته وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك والهتك او ان قرا ابو عمرو واهل المدينة والشام وان بغير الف وابا قوله بالالف يظهر في الارض الفساد قرا اهل المدينة والبصرة يظهر بضم اليا وكسر الها الفساد بالنصب على انه مفعول ومثله روى حفص عن عاصم واختيار ابي عبيد قال لقوله ان يبدل دينكم فكذلك يظهر ليكون الفعل معاً على نسق واحد والباقون بفتح اليا والها ورفع الفساد والفساد التقاضي الامر واراد فرعون به تبديل الدين وعبادة غيره وقيل الفساد في الارض التهارج الذي يذهب معه الامن وتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلاً وضياعاً كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وان يظهر معناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معاً ولما سمع موسى بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريق التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكباراً وادله على دناة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراة على الله تعالى ولم يترك عظيمة الا ارتكبها **قوله تعالى** وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال رجل مؤمن من ال فرعون قيل انه كان ابن عم موسى عليه السلام يكتم ايمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله تعالى عنه فقال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيلياً ومعنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ال فرعون فقدم من ال فرعون على يكتم ليفيد الاختصاص اي يكتم ايمانه من ال فرعون لا من موسى وقومه ابن عباس واكثر العلماء اسمه حزبيل وهب اسمه حزبيال ابن اسحق حزبيل وقيل اسمه حبيب وقيل اسمه سمعان والظاهر انه من ال فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون اقتلوا ابناء الذين امنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه اتقتلون رجلاً ان يقول لان يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي

هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه
لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة بل ولقد جاءكم بالبينات من ربكم من عند من نسب اليه
الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف وليلين بذلك جماحهم ويكسر
من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم
منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي
عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا
او صادقا وان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم
ان يصيبهم كله لا بعضه لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم
ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى
تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
وهو كلام المنصف في مقالته غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين
فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم
ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب
له او يرمي بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله
ان الله لا يهدي من هو مسرف مشرك السدي قال كذاب على الله تعالى وقيل اراد يصبكم كل الذي
يعدكم من العذاب والعرب تذكر البعض وتريد به الكل كقول لبيد   تراك امكنة اذا لم
ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها   اي كل النفوس وقيل ان الله لا يهدي من هو
مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه
لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات فالتق حين فرع فاخذوا بمجامع
ردائه فقالوا انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه
من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته
بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا
وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين عالين مستعلين على بني اسرائيل في الارض
ارض مصر يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم
ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد قال فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا لانه منهم وليعلمهم ان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون

ما اريكم

ما اريكم من الراي والنصيحة الا ما ارى لنفسي اي ما اشير عليكم براي الا بما ارى من قتله يعني
لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد
يريد سبيل الصواب والصلاح الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا
ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا
للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر
على الاشارة **قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في ايات الله بغير
سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب
لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسر الاحزاب بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم
يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك
كقوله كلوا في بعض بطنكم وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب مثل داب اي دؤوب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون
عنه ولا بد من حذف المضاف يريد مثل جزاء دابهم ومثل داب قوم نوح منصوب بانه عطف بيان
لمثل يوم الاحزاب لان اخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح
وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة
وما الله يريد ظلما للعباد لان تدميرهم كان عدلا وقسطا لان عقاب العصاة مقتضى عدله
كما ان ثواب المطيعين مقتضى فضله وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة
الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يكون
ظالما لعباده ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد اي يوم ينادي المنادي بالشقاوة
والسعادة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان
شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وينادي الناس بعضهم بعضا وينادي اصحاب الاعراف واهل
الجنة اهل النار واهل النار اهل الجنة وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت وينادي كل قوم باعمالهم ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور

يوم تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين من النار غير معجزين ما لكم
من الله من عاصم ناصر يمنعكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب
من قبل موسى وقيل من قبل الرجل المؤمن بالبينات قال وهب ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمر الى زمن موسى عليه السلام وقال الباقون هو غيره وهو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب
اقام فيهم نبيا عشرين سنة وفرعون موسى غير فرعون يوسف ابن يعقوب بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا هذا القول
من عند انفسكم من غير برهان وقلتم هذا القول تقدمة عزم منكم على تكذيب فاذا جاءكم رسول
جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وقيل لن يبعث الله من بعده
رسولا هذا القول من عند انفسكم من غير برهان وقلتم هذا القول تقدمة عزم منكم على تكذيب
فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله
من بعده رسولا تصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة
من بعده مضموم الى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله اي هذا الاضلال المبين يضل الله من
هو مسرف في كفره مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من هو مسرف وانما جاز ابدال الذين وهو
جمع من هو مسرف وهو واحد لانه لا يريد مسرفا واحدا كانه قال كل مسرف في ايات الله بغير سلطان
اتاهم كبر ذلك الجدال اي جدال الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان وقيل كبر من هو مسرف
وهو واحد لفظا وجمع معنى فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه في كبر على لفظه وليس
ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظاير وقيل يحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدا
وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعله كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف قال
صاحب الكشاف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وتقابل
انه يقول لم يجعل الفاعل محذوفا بل مضمرا والمرجوع اليه مذكور معنى وهو جائز نحو قوله تعالى على ان لا
تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة
على خروجه من حد اشكاله من الكبائر كذلك يطبع الله يختم الله بالكفر على كل قلب قرا ابو عمرو
وابن ذكوان قلب بالتنوين والباقون بالاضافة ومن قرا بالتنوين وصف القلب بالتكبر والتجبر
لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رات العين وسمعت الاذن ونحو قوله تعالى فانه اثم قلبه وان كان
الاثم صاحب القلب وقيل يجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة
لصاحب القلب **قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد

عن السبيل

عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ في
البله والحماقة الى ان قصد الصعود الى السموات يا هامان ابن لي صرحا قصرا او بناء ظاهرا لا يخفى
على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشا ونحوه وفايدة تكرير
الاسباب الابهام ثم الايضاح فانه اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل
بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده
على نفس متشوفة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم اوضحه
فاطلع قرا حفص عن عاصم فاطلع بالنصب على جواب لعل بالفاء تشبيها للترجي بالتمني والباقون
رفع العين نسقا واني لاظنه اي وقال فرعون واني لاظن موسى كاذبا فيما يقول ان له ربا غيري
ارسله الينا وكذلك ومثل ذلك التزيين والصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمصاد
والمزين هو الله تعالى لانه فاعل كل ما دخل في الوجود من المحدثات حقيقة او الشيطان على وجه
التسبب لوسوسته وما كيد فرعون الا في تباب في خسار وضلال **قوله تعالى**
وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة
هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار
فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد هذا من بقية كلام
الرجل المؤمن من ال فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان بموسى والتمسك بطريقته واعلم انه نادى
قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجمال وفي المرتين الباقيتين
على سبيل التفصيل اما الاجمال فهو قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد بقوله
طريقة التقليد لانه قال بعده اهدكم والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير يوصف بانه هداه
سبيل الرشاد والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو
سبيل الغي واما المفصل فهو قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل
لهم ثم فسر وفصل فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه
يتشعب ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة والمعنى انما هذه الحياة الدنيا متاع
وان الاخرة هي دار القرار والدوام والمقصود ان الاخرة دائمة باقية والدنيا منقضية منصرمة

والدائم الباقي خير من المنقضي الفاني اصبح بذم الدنيا وتني بعظيم الاخرة والاطلاع على حقيقتها
وانما هي الوطن والمستقر على بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبًا فانيا وللاخرة حزفا باقيا لكانت
الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق واعلم ان الاخرة كما ان
النعيم فيها دايم فكذلك العذاب فيها دايم فكان الترغيب في نعيم الجنان والترهيب عن عذاب
النيران من اقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها
لينشط عما يتلف وينشط لما يزلف وبين كيف يحصل المجازاة في الاخرة واشار اليه الى ان جانب
الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها
في الاستحقاق فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة توجب عقاب الابد اجيب بان
الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وانما قلنا هذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى ذلك الاعتقاد
ابدًا فلا جرم كان عقابه موبدًا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فيه كونه جناية ومعصية فيكون على
عزم ان لا يبقى مصرًّا عليه فلا جرم قلنا ان عذاب الفاسق منقطع واما الذي يقوله المعتزلة
من ان عقاب صاحب الكبيرة مؤبد فباطل لان مدة تلك الكبيرة منقطعة والعزم على الاتيان بها
ايضا ليس دائما بل منقطع فمقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها قال الامام واعلم ان هذه الاية اصل كبير في علم الدين فيما يتعلق باحكام الجنايات
فانها يقتضي ان يكون المثل مشروعا وان يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم يقول ليس للاية
بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي شيء فلو حملناه على رعاية المماثلة في شيء معين مع ان هذا المعين
غير مذكور في الاية صارت الاية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت
الاية عامًّا مخصوصًا وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع من الاجمال فالتخصيص اولى
فوجب ان يحمل هذه الاية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواقع التخصيص واذا ثبت
هذا فالاحكام الكثيرة في باب الجنايات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاقوال يمكن تفريعها
على هذه الاية ثم بين ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان جزاء الحسنة غير مقصور
على المثل بل هو خارج عن الحسنات فقال ومن عمل صالحًا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة
له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب
بل ما شئت من الزيادة والكثرة والسعة وهذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب
القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد وجب ان يكون الترجيح لجانب
عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ويا قوم ثم استانف ذكر الرجل المؤمن الندا ونادى

في المرة

في المرة الثالثة وقال ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى الايمان الذي هو سبب النجاة وتدعونني
الى النار اي الى الشرك والكفر الذي هو سبب دخول النار فان قيل لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء
الثالث دون الثاني اجيب بان تكرير النداء فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سبب الغفلة وفيه انهم
قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف
بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على نصيحته لهم كما كرر ابراهيم
عليه السلام في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل
وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة
يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقول هداه الى الطريق وهداه له تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به
علم بربوبيته واراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه
على مذهب البصريين ان يجعل لا ردًّا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى
كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى
انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع
كما ان بدًّا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك
لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدًا يستحقون النار ولا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع
لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقًّا انما تدعونني اليه ليس له دعوة
معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى
طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارًا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا
يدعي الربوبية ولو كان حيوانًا ناطقًا لصح من دعائكم في الدنيا جماد لا يستطيع شيئًا من دعاء وغيره ولا في
الاخرة اذا انشاه الله حيوانًا تبرأ من الدعاء اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في
الدنيا ولا في الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت
الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان مردنا مرجعنا الى الله وان المسرفين هم
اصحاب النار هذا المسرفين المشركين مجاهد المسرفين السفاكين للدماء بغير حلها عكرمة الجبارين
المتكبرين فستذكرون اي فسيذكر بعضهم بعضًا ما اقول لكم اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم
الذكر وافوض امري الى الله وذلك لانهم توعدوه بمخالفته دينهم ان الله بصير بالعباد عالم باحوالهم
من المحق منهم ومن المبطل **قوله تعالى** فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون
سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب

فوقاه الله سيئات شدايد ما مكروا مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب باعدايهم قتادة نجا مع موسى قبطيا وحاق بال فرعون اى نزل بال فرعون سوء العذاب فى الدنيا الغرق وفى الاخرة النار النار يعرضون بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم غدوا وعشيا صباحا ومساء فيقال لهم يا ال فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم قال السدي هو انهم لما هلكوا جعلت ارواحهم فى اجواف طير سود فهى تعرض على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار حتى تقوم الساعة ويوم تقوم فاذا كان يوم القيمة قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم عكرمة ومحمد بن كعب هذه الاية تدل على عذاب القبر لان الله تعالى ذكر عذاب الاخرة فقال ويوم تقوم الساعة ادخلوا قرا اهل المدينة واهل الكوفة الا ابا بكر ويعقوب بقطع الالف وكسر الخاء من الادخال والباقون بوصل الالف وضم الخاء من الدخول **قوله تعالى** واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال   واذكر وقت يتحاجون اى الاتباع والروساء فى النار فيقول الاتباع الضعفاء للذين استكبروا اى الروساء المستكبرون انا كنا لكم تبعا فى الدنيا اى تباعا كخدم فى جمع خادم والتبع يكون واحدا وجمعا فى قول نحاة البصرة وواحده تابع وقال نحاة الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر وجمعه اتباع وقيل اراد ذوى تبع اى اتباع او وصفوا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين فى النار الضعفاء والذين استكبروا لخزنة جهنم ولم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتعظيما قيل ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر وفى قولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم ولعل الملايكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اى الخزنة اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع رسلكم بالبينات قالوا اى الخزنة فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك وقيل فادعوا انتم ما شئتم فلا استجابة لدعائكم وقيل هذا استهزا

بهم وما

بهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال لا ينفعهم وقيل لا يسمع ولا يجاب وهذا الكلام يجوز ان يكون من كلام الخزنة ويجوز ان يكون استينافا من الله تعالى **قوله تعالى** انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار   انا لننصر رسلنا بالحجة والغلبة والانتقام من الكفرة والذين امنوا وننصر الذين امنوا فى الحياة الدنيا ابن عباس بالغلبة بحال بالحجة فى الدنيا والعذر فى الاخرة وقيل بالانتقام من اعدايهم فى الدنيا والاخرة السدى قد كانت الانبيا والمومنون يقتلون فى الدنيا وهم منصورون وذلك لان الامة التى تفعل ذلك بالانبيا والمومنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما ينتصر بهم لاوليك الذين قتلوا منهم وقال بعضهم اراد بقوله رسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ابو العالية يريد الله ان يفلح حجتهم فى الدنيا والاخرة ويوم يقوم الاشهاد اى فى الحياة الدنيا اى فى الحياة الدنيا والاخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدايهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والاشهاد هم الحفظة من الملايكة والانبيا والمومنين بالتصديق وللكافرين بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين بدل من الاول قرا الكوفيون ونافع بالياء والباقون بالتاء الظالمين معذرتهم اى لا يقبل عنهم عذرهم قيل يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار المنقلب **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان اتيهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير
ولقد اتينا موسى اى جميع ما اتاه فى باب الدين من المعجزات والتورية والشرايع واورثنا وتركنا على بنى اسرائيل الوراثة من بعده الكتاب اى التوراة هدى ارشادا وذكرى وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولى الالباب لاصحاب العقول الصافية الخالصة عن نزغات الشيطان وهم المومنون العاملون بما فيه فاصبر يا محمد على اذى المشركين ان وعد الله فى اظهارك واهلاك اعدائك حق يعنى ان نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما اتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وا   هداه الى بنى اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر

على ما يحزنك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك الحق واستغفر لذنبك واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار وسبح بحمد ربك ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والإبكار الحسن يعني صلاة الفجر وصلاة العصر إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم أي ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب تسمية الشيء باسم موضعه ولهذا قيل لموضع التشريف من المجلس صدر إلا كبر إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تقدمهم ويكونوا تحت أمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدًا وبغيًا ويدل عليه قوله لو كان خيرًا ما سبقونا إليه أو إرادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه أي الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا بنائليه لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس بالتمني مجاهد معناه إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله عز وجل مذلهم وقيل ما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فسمى الله تمنيهم ذلك كبرًا ونفى أن يبلغوا ذلك متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وقيل فاستعذ بالله من فتنة الدجال إنه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم **قوله تعالى** لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين أن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم قيل من خلق الناس من خلق الدجال ردًا على اليهود حيث عظموا أمره **قوله تعالى** وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون ه بالتاء كوفي غيرهم بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم ضرب الأعمى والبصير مثلا للمسيء والمحسن **قوله تعالى** إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون إن الساعة القيامة لآتية لجائية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء ولكن أكثر الناس

لا يؤمنون لا يصدقون بها **قوله تعالى** وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ه وقال ربكم ادعوني أي وحدوني واعبدوني دون غيري أستجب لكم أجبكم وأغفر لكم وأثبكم هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه سياق الآية والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الإثابة للمحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا ويزيدهم من فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا هذه الآية وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي وقيل إن الذين يستكبرون عن عبادتي توحيدي وطاعتي سيدخلون قرأ ابن كثير بضم الياء وفتح الخاء واختلف فيه عن أبي عمرو وعاصم والباقون بفتح الياء وضم الخاء جهنم داخرين صاغرين عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبيًا مرسلا كان يقول لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين

الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه من تعب النهار ويحلو بنفسك فتناسبها والنهار مبصرًا من الإسناد المجازي لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار قال صاحب الكشاف فإن قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل ساكنًا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة عن المجاز إن الله لذو فضل على الناس بخلق الليل والنهار وقيل لذو فضل على الكافر بتأخير العذاب ولما كان المراد شكر الفضل وأن يعمل فضلا لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة لم يقل لمفضل المتفضل وإنما قيل أكثر الناس ولم يقل أكثرهم لأن في هذا التكرير تخصيصًا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه لقوله إن الإنسان

لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الله المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تؤفكون تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان كذلك اي كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون قال صاحب الكشاف ثم ذكر ان كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا الله الذي جعل لكم الارض قرارا هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهو ان جعل الارض قرارا مستقرا والسماء بناء قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وصوركم فاحسن صوركم صورة الانسان احسن الصور وقيل لم يخلق حيوان احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم لقوله في احسن تقويم ورزقكم من الطيبات اللذيذات وقيل الحلالات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين **قوله تعالى** هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين هو خبر والمبتدا مضمر بعد من الله هو الحي الذي لا يموت لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والريا الحمد لله قائلين الحمد لله رب العالمين ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين قل يا محمد لهؤلاء المشركين وذلك حين دعي الى الكفر اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي قيل هو العقل وقيل القران وقيل الوحي قال صاحب الكشاف فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤيدة لها ومضمنة ذكرها واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية **قوله تعالى** هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل

محذوف

محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى يموت من قبل بلوغ الاشد وقيل من قبل كونه شيخا وقيل من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت وقيل يوم القيمة وحدانية الله وقدرته وما في ذلك من الحجج والعبرة فاذا قضى امرا اراد كون شيء فانما يقول له كن فيكون اي فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه **قوله تعالى** الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون ذكر الجدال في هذه السورة مكررا في ثلثة مواضع فيحتمل ان يكون في ثلثة اقوام او ثلثة اصناف ويحتمل ان يكون التكرير للتاكيد ابن زيد هم المشركون وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية عن محمد بن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فاني لا ادري فيمن نزلت الم تر الى الذين يجادلون الى قوله لم نكن ندعوا من قبل شيئا الى اخر الاية عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيهلك من امتي اهل الكتاب واهل اللبن فقال عقبة يا رسول الله ومن اهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين امنوا فقال ومن اهل اللبن فقال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين امنوا واما اهل اللبن فلا احسبهم الا اهل العمود ليس عليهم امام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان قال محمد بن جرير اهل العمود الحي العظيم **قوله تعالى** الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين الذين كذبوا بالكتاب بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب والايات والمعجزات فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم جمع بين سوف واذ وبينهما تضاد لان المتوقع في حكم الموجود لان اكثر الفاظ القيمة جاءت بلفظ الماضي تحقيقا المبرد اذ صارت زمانا قبل سوف لان العلم وقع بهم بعد ثبوت الاغلال والمعنى علموا من الاغلال الذين كانوا سمعوا وعدوه بعد ان حق بالوجود واستدل بقول ابي ذويب فسوف تقول ان هي لم تجدني اخانا الدهرام اثم الحليف لان القول كان بعد فقدها قال صاحب الكشاف فان قلت ما قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى

منبثقة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال والسلاسل يسحبون
في الحميم يجرون في الماء الحار ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير
كانه سجر بالحب اى ملئ ومعناه انهم في النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوة بها
اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافيدة اللهم اجرنا من نارك
انا عايذون بجوارك ثم قيل لهم اى يقول لهم الخزنة اينما كنتم تشركون من دون الله اى
الاصنام التى كنتم تعبدونها قالوا ضلوا عنا اى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نسمع
بهم وقيل اشتغلوا بانفسهم وقيل ضاعوا عنا ولم يصل الينا ما كنا نرجوا من النفع
والشفاعة بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا يستحق العبادة وقيل تبين لنا انهم لم يكونوا
شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا
اخبرته فلم تر عنده خيرا وقيل انكروا وقيل جحدوا وقيل ضاع ما راى لم نكن ندعوا من قبل
شيئا يبصر ويسمع ويضر وينفع الحسين بن الفضل لم نكن نصنع من قبل شيئا ضاعت
عبادتنا فلم نكن نصنع شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين عن الحجة وعن الايمان
وعن طريق الجنة وقيل كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى
لو طلبوا الالهة وطلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم العذاب وقيل الاضلال بما كنتم تفرحون
تبطرون وتتكبرون في الارض بغير الحق بالباطل وبما كنتم تمرحون تفخرون وتختالون وتنشطون
وقيل ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق بالباطل وبما كنتم تمرحون وهو
الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا اى يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم
قال الله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فيها فبئس
مثوى المتكبرين عن الحق والدخول الموقت بالخلود في معنى الثوا فلهذا قال مثوى المتكبرين
ولم يقل مدخل المتكبرين قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض
الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ٥ فاصبر يا محمد ان وعد الله حق
بهلاك الكفرة حق كاين فاما نرينك اصله فان نريك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ولذلك لحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك
او نتوفينك عطف على نرينك فالينا يرجعون جزا نتوفينك وجزا نرينك محذوف
تقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذلك او نتوفينك
قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن
بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون قوله تعالى

ولقد

ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان
لرسول ان ياتى باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا عليك خبرهم فى القران وسميناهم
لك فانت تعرفهم ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم ولم نسمهم لك قيل بعث الله عز وجل ثمانية
الاف نبى اربعة الاف من بنى اسرائيل واربعة الاف من ساير الناس وعن على كرم الله وجهه
ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليك وهذا فى اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنادا يعنى انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتى باية الا باذن الله
اى باذنه له فى الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد الله ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله
القيامة وقيل امر الله بالعذاب قضى بالحق اى اهلكوا وقيل قضى بالحق اى لم يظلموا اذا عذبوا ان
كان امر الله الاية التى اقترحوها ويقع الاصرار عندها وخسر هنالك المبطلون الكافرون المعاندون
الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا قوله تعالى
الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة
فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاى ايات الله تنكرون. لما بسط
الكلام فى تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على الوحدانية والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على
العباد الله الذى يحق له العبادة جعل خلق لكم الانعام الزجاج الابل خاصة وقيل الازواج الثمانية
لتركبوا منها بعضا وبعضا تاكلون ولكم فيها منافع فى اوبارها واصوافها واشعارها والبانها
ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم تحمل عليها اثقالكم فى اسفاركم من بلد الى بلد وعليها وعلى الانعام
وعلى الفلك تحملون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا
منها ولتصلوا الى المنافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم
قلت فى الركوب الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب
علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع
فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون
ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر فان قلت هل قيل وفى الفلك كما قال احمل فيها من كل زوجين اثنين
قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته وهى اكثر من ان تحصى
فاى ايات الله تنكرون انها ليست من عند الله فاى جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات
الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب فاى اغرب

لايهامه **قوله تعالى** افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارًا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون فينظروا بما سلكوه فى سبلهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم عددًا واشد قوة فى الابدان واثارًا فى الارض يعنى مصانعهم وقصورهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب ما كانوا موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعنى اى شئ اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا يعنى الامم بما عندهم من العلم اى اعجبوا بجهلهم وظنوه علما ولم يلتفتوا الى ما اتاهم الرسل من العلم وقيل انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله بل ادرك علمهم فى الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى لاجدن خيرًا منها منقلبا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون وقيل اراد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبيا الى علمهم وعن سقراط انه سمع موسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وقيل يجوز ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم وقيل يجوز ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزا به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل يجوز ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم وقيل يجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى ابعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما راوا عاينوا باسنا عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اى بالاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لانه ايمان الجاء واضطرار اى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم قال صاحب الكشاف

فان قلت

فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله عز وجل سنة الله مصدر بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة اى سن الله سنة سنها وهى عذاب الكفار وعدم الانتفاع بالايمان وقت الباس وخسر هنالك مكان مستعار للزمان الكافرون المكذبون اى خسروا وقت رؤية الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر وقت مجى امر الله او وقت القضاء بالحق

سورة حم السجدة

ثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة واربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرًا ونذيرًا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون حم ان جعلت اسما للسورة كانت فى محل الرفع على الابتدا تنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف اى هذا تنزيل ويجوز ان يكون كتاب مبتدا من الرحمن صفته تخصص الكتاب بالصفة فساغ وقوعه مبتدا كتاب خبره فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك قرانا عربيا قيل نصب على المدح اى اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اى فصلت اياته فى حال كونه قرانا عربيا وقيل منصوب على اعادة الفعل اى فصلنا قرانا عربيا لقوم يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات المفصلة المبينة بلسانهم العربى المبين لا يلتبس عليهم شئ منه قيل لقوم متعلق بقوله تنزيل من الرحمن الرحيم لاجل قوم يعلمون وقيل بفصلت اى فصلت اياته لقوم يعلمون وقيل صفة لقرانا مثل ما قبله وما بعده اى قرانا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرًا صفتان للقران اى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين فاعرض اكثرهم يعنى اهل مكة عن قبوله واتباعه فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقيل لا ينتفعون به وقيل اذا تلاه النبى لا يستمعون **قوله تعالى** وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون وقالوا يعنى مشركى مكة قلوبنا فى اكنة فى اغطية مما تدعونا اليه من التوحيد والاسلام فلا نفقه

ما يقول محاهد كالجعبة للنبل وفي اذاننا وقر ثقل وصمم فلا نسمع ما تقول وانما قالوا ذلك ليويسوه
من قبولهم لدينه وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن قبول الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من
نفوذه فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين فجعل خلافهم
ذلك ساترًا وحاجزًا لا يجتمعون ولا يتوافقون من اجله ولا يرى بعضهم بعضا فاعمل على ما يقتضيه دينك
انا عاملون بما يقتضيه ديننا مجاهد فاعبد الهك فانا عابدون الهنا قال صاحب الكشاف فان قلت
هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل بيننا وبينك حجاب
لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء
منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها **قوله تعالى**
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون لما حكى الله تعالى عنهم هذه الشبهة امر الله تعالى
محمدًا صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل انما انا بشر مثلكم سان هذا الجواب
كانه يقول اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان جبرًا وقهرًا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم
الا بان الله اوحى الى وما اوحى اليكم فانا ابلغ هذا الوحي اليكم ثم بعد ذلك ان شرفكم الله بالتوفيق
قبلتموه وان لم يوفقكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ثم بين ان خلاصة ذلك الوحي يرجع الى امرين
العلم والعمل اما العلم فالاصل والرئيس والراس فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو ان الله واحد
وهو المراد من قوله انما الهكم اله واحد واذا كان الحق ذلك وجب علينا ان نعترف به وهو المراد
من قوله فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقوله تعالى فاستقيموا اليه معناه فاستقيموا
له وحروف الجر يقام بعضها مقام بعض وقيل معناه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة
غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء
وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واعلم ان التكليف له ركنان الاعتقاد والعمل والاعتقاد
الرئيس والراس فيه التوحيد فلما اقر ذلك انتقل الى وظيفة العمل والراس والرئيس فيه الاستغفار
فلهذا قال واستغفروه من ذنوبكم التي سلفت ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة امر
بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وجه النظم في هذه الاية ان
العقول والشرائع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة بامرين التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله وافضل ابواب التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدًا واذا كان هذا التوحيد
اعلى المراتب واشرفها كان ضده وهو الشرك احسن المراتب واردلها ولما كان افضل انواع المعاملة

مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكوة احسن الاعمال لانه ضد الشفقة
على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول الله تعالى اثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلثة اولها
ان يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله فويل للمشركين وثانيها كونه ممتنعا من
الزكوة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكوة وثالثها كونه
منكرًا القيمة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرة هم كافرون وتمام
الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلثة ان الانسان له ثلثة ايام امس واليوم والغد اما
معرفة الله كيف كانت احواله بالامس في الازل فهو معرفة الازلي الخالق لهذا العالم واما معرفة
كيف سعى وقوع الاحوال في اليوم الحاضر فهو بالاحسان الى اهل العلم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال
في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيمة فاذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلثة
كان في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم الله عليه بالويل فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم كافرون ابن عباس لا يؤتون الزكوة ولا يشهدون ان لا اله الا الله وهي زكوة الانفس الحسن
ومعناه لا يقرون بالزكوة ولا يؤمنون بها ولا يرون اتيانها واجبا الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون
في الطاعة وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقد كان اهل الردة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اما الصلاة فنصلي واما الزكوة لا تغصب اموالنا فقال ابو بكر رضي الله
عنه والله لا افرق بين شيء جمع الله بينه والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه
مجاهد والربيع يعني لا يزكون اعمالهم وقال الفراء هو ان قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا ذلك على من امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم بالآخرة هم كافرون **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع من قولك منت الحبل اي قطعته
ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان
اي قوته مجاهد غير محسوب وقيل غير ممنون عليهم به السدي نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى
والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون منه **قوله تعالى**
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن
سبع سموت في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم لما امر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم يوحى

الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه بما يدل على انه لا يجوز اثبات الشركة لله تعالى وبين هذه الاصنام فى الالهية والعبودية وذلك بان بين كمال قدرته وحكمته فى خلق السموات والارض فى يومين فلما بين هذا صفته كيف يجعل هذه الاصنام الخسيسة شركا له فى الالهية والعبودية قل اينكم قرا ابن كثير اينكم بهمزة وما بعدها خفيفة ساكنة مد وابو عمرو ونافع فى رواية قالون على هذا الوجه لكنهما يمدان والباقون بهمزتين بلا مد اينكم استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين احدهما الكفر بالله وهو لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وثانيهما اثبات الشركا والانداد له والكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له ضرورة عطف احدهما على الاخر قيل الكفر الاول هو انه تعالى لا يقدر على نشر الموتى فلما نازعوا فى ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله وقيل انهم كانوا ينازعون فى صحة التكليف وفى بعثة الانبيا وذلك قدح فى الصفات المعتبرة فى الالهية وهو كفر بالله وقيل انهم كانوا يضيفون اليه الاولاد وذلك ايضا قدح فى الالهية وهو يوجب الكفر فالحاصل انهم كفروا بالله لاجل قولهم الاشيا واثبتوا الانداد ايضا لله لاجل قولهم بالهية تلك الاصنام واحتج تعالى على فساد قولهم فى هذين المقامين فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين وتمم بقية مصالحها فى يومين اخرين وخلق السموات باسرها فى يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعقل انكار قدرته على التكليف وبعثة الانبيا وكيف يعقل جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا له فى المعبودية والالهية ذلك اى ذلك الموجود الذى علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض فى يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف اثبتم له اندادا من الخشب والحجر ثم انه تعالى اخبر عن كونه خالقا للارض فى يومين اخبر انه اتى فى ذلك ثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله وجعل فيها رواسى من فوقها ذكر من فوقها لانه تعالى لو جعل لها رواسى من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هى التى امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى خلق هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على ثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ والمدبر الا الله والنوع الثانى مما اخبر الله تعالى فى هذه الاية قوله وبارك فيها والبركة كثرة الخيرات وبارك فى الارض بما خلق فيها من الخيرات الكثيرة ومنافعها السدى انبت شجرها وقدر فيها اقواتها الحسن والسدى يعنى ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم مجاهد وقتادة خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها فى يوم الثلاثا والاربعا عكرمة والضحاك وقدر فى كل بلد من الارض ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد فالسابرى من سابور والطيالسة من الرى والحبر اليمانية من اليمن

الحبر

الحبر لاهل نظر والتمر لاهل قطر والدرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك اخواتها فى اربعة ايام يعنى ان هذا مع الاول اربعة ايام تقول تزوجت امس امراة واليوم ثنتين واحداهما التى تزوجتها امس وتعالى انبت واسط فى خمسة والبصرة فى عشرة فالخمسة من جملة العشرة فزاد الله تعالى الاخر على الاول وادخله فى الذكر سواء فاربعة ايام سواء فذلك لمدة خلق الارض وما فيها كانه قال كل ذلك فى اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعا قال الزجاج فى اربعة ايام فى تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين سواء نصب على المصدر اى استوت سواء للسائلين عن ذلك قتادة والسدى من سال عنه فهكذا الامر فقوله للسائلين متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال فى كم خلقت الارض وما فيها وقيل للسائلين متعلق بقدر اى قدر فيها الاقوات لاجل السائلين اى الحاجتين المحتاجين اليها من المقتاتين قال صاحب الكشاف وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج وقال صاحب الكشاف فان قلت فهلا قيل فى يومين واى فائدة فى هذا التذكرة قلت اذا قال فى اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت فى يومين علم ان ما فيها خلق فى يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول فى يومين وبين ان تقول فى اربعة ايام فكانت فى اربعة ايام سوا فايدة ليست فى يومين وهى الدلالة على انها ايام كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد تطلق اليومان على اكثرهما ان زيد قدر ذلك على قدر مسائلهم لانه لا بد من مسائلهم شى الا قد علمه قبل ان يكون وقال اهل المعانى سوا للسائلين يعنى بين امر خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن لا يسال ويعطى من ساله ومن لا يساله ثم استوى اى ثم عمد الى السماء الى خلق السماء وقصد تسويتها والاستواء من صفة الافعال يدل عليه قوله الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على شى وهو من الاستوا الذى هو ضد الاعوجاج ونحو قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم تعلق ارادته بالموافقة للحكمة فتوجه الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك وهى دخان قيل كان عرشه على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اى جيئا بما خلقت فيكما من المنافع واخرجاها واظهراها للخلق ابن عباس قال الله للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض شققي انهارك واخرجي ثمارك قالتا اتينا طائعين ولم تقل طائعتين لانه ذهب به الى السموات والارض ومن فيهن تقديره اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما فى الجمع مجرى من يعقل قال صاحب الكشاف ومعنى امر السما والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا فى ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذى

يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما
ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان
يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم
يتركني وراءي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض
مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال
عز وجل والارض بعد ذلك دحاها بعد خلق السماء كما قال عز وجل والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على
ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة
سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل
واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا وكون السماء
سقفا للارض وطوعا وكرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما تقول الجبار
لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين
او مكرهتين فقضاهن قيل هن راجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية وقيل
هن ضمير مبهم مفسر بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات
وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة
التي تقوم فيها القيمة فقضاهن سبع سموات في يومين في يومين اي اتمهن وفرغ من خلقهن واوحى
في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك وقيل امرها شانها وما يصلحها
قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها
من البحار وجبال البرد وما لا يعلم وقيل معناه واوحى الى كل سماء من الامر والنهي ما اراد وزينا السماء الدنيا
بمصابيح كواكب وحفظا قيل وحفظناها حفظا ذلك تقدير العزيز الغالب غير المغلوب العليم
بمواقع الامور **قوله تعالى** فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اعلم ان الكلام في الوحدانية انما ابتدا من قوله انما الهكم
اله واحد واحتج عليه بقوله قل ائنكم لتكفرون وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة

كيف

كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة كالاند له ولما تمم هذه الحجة قال
فان اعرضوا فقد انذرتكم صاعقة وذلك ان وظيفة الحجة قد تمت على كمال الوجوه فان بقوا
مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان
اعرضوا فقل انذرتكم والمعنى فان اعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها واصروا على
التقليد والعناد فقل انذرتكم قبلها ولا المشركين انذرتكم خوفتكم صاعقة اي تصيبكم صاعقة
وبعذاب اشد به الوقع كانها صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم يعني عادا وثمود الرسل
من بين ايديهم الرسل الذين ارسلوا الى ابائهم من قبلهم ومن خلفهم اي ومن بعد الرسل الذين ارسلوا
الى ابائهم من قبلهم ومن خلفهم اي ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى ابائهم وهو الرسول الذي ارسل
اليهم هود وصالح والكناية في قوله ومن بين ايديهم راجعة الى عاد وثمود وفي قوله من خلفهم راجعة
الى الرسل وقيل ومن بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة
فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عز وجل عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
يعني لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول استفرغت بغلاتي من كل جانب فلم يكن لي فيه
حيلة الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك
فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم وقيل معناه اذا جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم الا تعبدوا الا الله قيل ان مخففة
من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله وقيل
ان هي المفسرة والقول مقدر اي وقالوا لا تعبدوا الا الله قالوا اي القوم الذين جاءتهم الرسل لو شاء
ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فلم يتخالجنا شك في امرهم فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون
جاحدون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس
باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر
فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد علمت الشعر والكهانة والسحر وعلمت
من ذلك علما لا يخفى علي فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا
وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما
تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال
ابوجهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته
فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فاتاه ابوجهل فقال والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت
الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب
عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد تعلمون انى من اكثر قريش مالا ولكنى اتيته
فقصصت القصة فاجابنى والله بشئ ما هو بشعر ولا بكهانة ولا بسحر قرا بسم الله الرحمن الرحيم
الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما
عاد قوم هود فاستكبروا وتعظموا فى الارض على اهلها بغير الحق بما لا يستحقون به التعظيم
وقيل استعلوا فى الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق الولاء وقالوا من اشد منا قوة
وذلك انهم كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم فانه قد بلغ بهم من قوتهم ان الرجل ينزع
الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده وقالوا من اشد منا قوة لا احد اشد منا قوة اى اغتروا
بقوتهم وشوكتهم اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اوسع منهم قدرة
وكانوا باياتنا يجحدون هذه معطوفة على قوله فاستكبروا قال صاحب الكشاف فان قلت
القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل
من الفاعل من تعين ذات او بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله تعالى لا يوصف بالقوة
الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة فى الموضعين شئ
واحد قلت القدرة فى الانسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة فى البنية
وحقيقتها زيادة القدرة وكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال الله اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته
على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم يجحدون كما يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع
الوديعة فارسلنا عليهم على عاد ريحا صرصرا عاصفة تصرصر اى تصوت فى هبوبها وقيل صرصرا
باردة شديدة الصوت والهبوب واصله من الصر فضوعف كما نهنهت وكفكفت وقيل النهر الذى
سمى صرصرا انما سمى بذلك لصوت الماء الجارى فيه وقيل باردة تحرق لشدة بردها تكرر البناء وابصر
وهو الذى يصر اى يجمع ويقبض فى ايام نحسات متتابعات شديدات نكدات مشومات
عليهم ليس فيها من الخير شئ قرا اهل الكوفة وابن عامر نحسات بكسر الحاء والباقون بسكونها
نحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس ونحس اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف
بمصدر والضحاك فارسلنا عليهم ريحا صرصرا امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين جابر ابن عبد الله

اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد الله بقوم شرا حبس
عنهم المطر وارسل عليهم كثرة الرياح لنذيقهم عذاب الخزى كما يقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل
عليه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى ابلغ من
وصفهم به الا ترى الى البون بين قولك هو شاعر وقوله شعر شاعر وهم لا ينصرون اى لا يمنع العذاب
عنهم واما ثمود فهديناهم بينا لهم سبيل الخير والشر لهم وقيل فاعلمناهم الهدى من الضلالة والى دللناهم
الى طريق الرشاد والضلالة كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا
الكفر على الايمان وقيل فاختاروا الضلالة والدخول فيها على الدخول فى الرشد فاخذتهم صاعقة مهلكة
العذاب الهون اى الهوان وقيل صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعته والهون وصف به
العذاب مبالغة او ابدله منه وقيل هى النار وقيل صيحة كانت من السماء وقيل الموت وقيل العطش
بما كانوا يكسبون من شركهم وتكذيبهم ونجينا الذين امنوا لما ذكر الله الوعيد اردفه بالوعد
فقال ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الاعمال التى اتى بها قوم عاد وثمود قوله تعالى
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق
كل شئ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم
من المعتبين لما بين كيفية عقوبة هؤلاء الكفار فى الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم
فى الاخرة ليحصل منه تمام الاعتبار فى الزجر والتحذير قرا نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب اضاف
الحشر الى نفسه اى نحشر الله اعداء الله الكفار من الاولين والاخرين ووجهه انه معطوف على قوله
ونجينا فيحسن ان يكون على وفقه فى اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتقين ونحشرناهم والباقون
بالياء على فعل ما لم يسم فاعله ورفع اعداء الله وهذه القراءة موافقة لقوله فهم يوزعون يساقون
ويدفعون الى النار وقال قتادة والسدى يحبس اولهم على اخرهم اى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم توالبهم
وهى عبارة عن كثرة اهل النار وقيل يجمعون من التفرق حتى اذا ما جاؤها ما مزيدة للتاكيد ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم لا وجه لان يخلو منها
ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اى لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم اى بشرتهم بما كانوا يعملون السدى وعبيد الله اراد بالجلود الفروج
وانشد بعض الادباء لعامر بن جوية   المرء يسعى للسلامة والسلامة ما تحسبه

او سالم من قد شى جلده وابيض راسه   وقال جلده كناية عن فرجه   وقالوا اى الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ من الحيوان كقوله والله على كل شئ شهيد من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الذى قدر على انطاق كل حيوان وهو خلقكم اول مرة اى خلقكم وانشاكم اول مرة ويعيدكم واليه ترجعون وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون تستخفون بالحيطان والحجب عن ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم ولهذا الاستتار عن ابن مسعود قال انى لمستتر باستار الكعبة اذ جاء ثلثة نفر ثقفى وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقههم فتحدثوا الحديث بينهم فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال الاخر اذا رفعنا انه يسمع واذا خفضنا لم يسمع وقال الاخر ان كان يسمع اذا رفعنا فانه يسمع اذا خفضنا فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الى اخر الاية وفى هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزال عليه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملاء ولا يتبسط في سر مراقبه من التشبه بهولاء الظانين وذلكم رفع على الابتداء ظنكم خبره الذى ظننتم بربكم صفة لربكم ارداكم خبر بعد خبر وقيل ظنكم بدل من ذلكم وارداكم هو الخبر عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى قال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان ظن ينجى وظن يردى فان يصبروا فالنار مثوى لهم فلم ينفعهم الصبر وقيل فان يصبروا على الشكوى والاستغاثة وقيل فان يصبروا على الهتهم لقوله ان امشوا واصبروا على الهتكم وان يستعتبوا يسترضوا ويطلبوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص والمعتب الذى قد قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين اى ان سالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اى لا سبيل لهم الى ذلك **قوله تعالى** وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذى كانوا يعملون

ذلك

ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين لما ذكر الوعيد الشديد فى الدنيا والاخرة على اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذى لاجله وقعوا فى ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اى وقدرنا لهم يعنى لمشركى العرب يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا وبعثنا ووكلنا لهم قرناء نظراء من الشياطين وقيل اخدانا من الشياطين جمع قرين لقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب به وانكار البعث وقيل ما بين ايديهم ما يقدمهم من اعمالهم وما خلفهم وما هم عازمون عليها وحق عليهم القول يعنى كلمة العذاب فى امم فى جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس فى امم محلها النصب على الحال من الضمير فى عليهم اى حق عليهم القول كائنين فى جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا من مشركى قريش لا تسمعوا لهذا القران اذا قرئ والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا الضحاك اكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول السدى ضجوا فى وجهه مقاتل ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام فى وجوههم حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتوا كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا لعلكم تغلبونه فيسكت او ينسى فلنذيقن الذين كفروا قيل يريد بالذين كفروا هم اللاعبين والامرين لهم باللغو خاصة وقيل يريد بالذين كفروا عامة ليسطوا تحت ذكرهم وقد ذكر اضافة اسوا بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوا الذى كانوا يعملون فى الاخرة ذلك اشارة الى الاسوا والمعذر اسوا جزاء الذى كانوا يعملون النار عطف بيان للجزاء وقيل خبر مبتدا محذوف لهم فيها دار الخلد اى فى موضع المقام ابدا اى النار فى نفسها دار الخلد الزجاج هو كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وانت تعنى الدار بعينها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون يلغون فيها فذكر الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين كفروا يعنى يقولون يوم القيمة ربنا ارنا قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر عن عاصم باسكان الراء هنا خاصة والباقون بكسرها اللذين اضلانا من الجن وهو ابليس الابالسة والانس وهو ابن ادم الذى قتل اخاه وقيل اللذين اى الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل ارنا بالسكون معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكى عن الخليل انك اذا قلت ارنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطا

معناه اعطنى ثوبك ونظيره استهاراً لا بنا في معنى الاعطا واصله الاحصار بجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما ونطاوهما اسفا مامنهما او ذلا لاهما ليكونا من الاسفلين اسفل منا اى في الدرك الاسفل من النار لانهما سنّا المعصية **قوله تعالى** ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم لما بسط الكلام في الوعيد اردفه بهذا الوعد الشريف وقد ذكر ان الكمالات النفسانية يقين وعمل صالح فان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف اليقينية ورأسها معرفة الله واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مايل الى طرفي الافراط والتفريط قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال اهدنا الصراط المستقيم واليه الاشارة بقوله ثم استقاموا وليس المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية قيل المراد من الاستقامة الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة وقيل المراد منها الاستقامة في الاعمال الصالحة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم استقاموا لم يلتفتوا الى اله غيره اى لم يشركوا بالله شيئا وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه اخلصوا العمل لله وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرايض الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله سادة وابن زيد استقاموا على عبادة الله وطاعته ابن سيرين لم يعوجوا سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا مقاتل بن حيان استقاموا على ان الله ربهم رسع اعرضوا عما سوى الله فضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا اقرارا وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الاية امتي ورب الكعبة وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقاده اذا قاموا من قبورهم وكيع والبشرى في ثلثة مواطن عند الموت وفي القبر وفي وقت البعث الا تخافوا بمعنى اى او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان انوا العالية لا تخافوا على صنيعتكم ولا تحزنوا على مخلفيكم مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم في دنياكم من اهل وولد ودين فانا نخلفكم في ذلك كله السدي الا تخافوا على ما امامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم عطا بن ابي رباح لا تخافوا

ولا تحزنوا

ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال اهل التحقيق استقاموا بالوفا على ترك الجفا تتنزل عليهم الملائكة بالرضا ان لا تخافوا من العنا ولا تحزنوا على الفنا وابشروا بالبقا مع الذي كنتم توعدون من اللقا الا تخافوا فلا خوف على اهل الاستقامة ولا تحزنوا فان لكم انواع الكرامة وابشروا بالجنة التي هي دار السلامة لا تخافوا فعلى دين الله استقمتم ولا تحزنوا فبحبل الله اعتصمتم وابشروا بالجنة وان اذنبتم واجرمتم لا تخافوا فطالما رهبتم ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم وابشروا بالجنة التي فيها رغبتم لا تخافوا فانتم اهل الديانة ولا تحزنوا فانتم اهل الغفران وابشروا بالجنة التي هي دار الرضوان لا تخافوا فانتم اهل الشهادة ولا تحزنوا وانتم اهل السعادة وابشروا بالجنة التي هي دار الزيادة ولا تخافوا فانتم اهل النوال ولا تحزنوا وانتم اهل الوصال وابشروا بالجنة التي هي دار الجلال لا تخافوا فقد امنتم الثبور ولا تحزنوا فقد ان لكم الحبور وابشروا بالجنة التي هي دار السرور ولا تخافوا فسعيكم مشكور ولا تحزنوا فذنبكم مغفور وابشروا بالجنة التي هي دار الثواب والحبور لا تخافوا فطالما كنتم من الخايفين ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين وابشروا بالجنة التي تعجز عنها وصف الواصفين لا تخافوا فلا خوف على اهل الايمان ولا تحزنوا فلستم من اهل الحرمان وابشروا بالجنة التي هي دار الامان لا تخافوا فلستم من اهل الجحيم ولا تحزنوا فقد وصلتم الى الرب الرحيم وابشروا بالجنة التي هي دار النعيم لا تخافوا فقد زالت عنكم المخافة ولا تحزنوا فقد سلمتم من كل افة وابشروا بالجنة التي هي دار الضيافة لا تخافوا العزل من الولاية ولا تحزنوا على ما قدمتم من الجناية وابشروا بالجنة التي هي دار الهداية لا تخافوا حلول العذاب ولا تحزنوا من هول الحساب وابشروا بالجنة التي هي دار الثواب لا تخافوا وانتم سالمون من العقاب ولا تحزنوا وانتم واصلون الى الثواب وابشروا بالجنة فانها نعم المآب لا تخافوا فانتم اهل الوفا ولا تحزنوا بما اكتسبتم من الجفا وابشروا بالجنة فانها دار الصفا لا تخافوا فقد سلمتم من العطب ولا تحزنوا فقد نجوتم من النصب وابشروا بالجنة فانها دار الطلب وذلك قوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم انصاركم واحباؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة السدي يعني الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة مجاهد نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة قال قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قالوا لن نفارقكم حتى ندخلكم الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون تريدون وتسالون وتتمنون نزلا اى جعل ذلك نزلا رزقا من غفور رحيم **قوله تعالى** ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ

بالله انه هو السميع العليم لما قال المشركون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومرادهم ان لا نقبل قولك ولا نلتفت الى دليلك ثم ذكروا طريقا اخرى في السفاهة وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذكر الله الاجوبة الشافية الكافية في دفع هذه الشبهات وازالة هذه الضلالات بين ان القوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليهم المواظبة على التبليغ والدعوة الى الدين الحق فانه اجل الطاعات وراس العبادات فعبر عن هذا المعنى فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين وقيل ان السعادات تامة وفوق التام فالسعادة التامة ان يكتسب من الصفات الفاضلة ما لاجلها يصير كاملا في نفسه فاذا فرغ منها اشتغل بعدها بتكميل الناقص وهو فوق التام فقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى الاول وقوله ومن احسن اشارة الى الثاني ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ابن سيرين والسدي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين الله وجعل الاسلام نحلة له مقاتل هم جميع الائمة والدعاة الى الله عكرمة هو المؤذن ابو امامة الباهلي وعمل صالحا يعني صلى ركعتين بين الاذان والاقامة عن عائشة رضي الله عنها اني لارى هذه الاية نزلت في المؤذنين والاية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل السنة والجماعة الدعاة الى دين الله وقال انني من المسلمين ليس الغرض منه ان يتكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا هاهنا صلة معناه ولا تستوي الحسنة والسيئة يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفدي ولده من يد عدوه فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم صديق فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا ونظيره قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ابن عباس امر الله عز وجل في هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم وما يلقاها يعني هذه الخصلة والفعلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ

عظيم

عظيم في الخير والثواب وقيل ذو جد وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن قال صاحب الكشاف فان قلت كان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وقيل اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ اعتصم بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنزغ الشيطان وقيل واما ينزغنك من الشيطان نزغ في اهمالك اياهم وترك استيصالك شافتهم فاستعذ بالله

قوله تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون

لما بين في هذه الاية المتقدمة ان احسن الاقوال والاعمال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل الدالة على التوحيد والقدرة والحكمة تنبيها على ان الدعوة الى الله عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على معرفة الذات والصفات فهذه تنبيهات شريفة مستفادة من تناسق هذه الاية وكان العلم بهذه اللطايف احسن علوم القرآن فقد عرفت ان الدلائل الدالة على هذه المطالب العالية العالم بجميع ما فيه من الاجزاء والابعاض فذكر هاهنا اربعة وهي الليل والنهار والشمس والقمر وانما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم مقدم على الوجود فهذا كالتنبيه على صورة هذه الاشياء والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كثرت منافعهما واسجدوا لله الذي خلقهن لان عبادة الخالق احق واولى من عبادة المخلوق وقيل هن في خلقهن عائد الى الايات وقيل عائد الى الليل والنهار والشمس والقمر وانما انث اجراء على طريق جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث لانه فيما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون فاعبدوه وحده فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا له فان استكبروا عن عبادة الله ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون اي يسبحون ويحمدون ويكبرون ويهللون دائما وكلها تسبيح وقيل يصلون ولا يسامون لا يملون

قيل للتسبيح منهم كالتنفس من الناس موضع السجود آخر هذه الآية عند الجمهور وعن ابن عباس
والحسن أن موضعه إن كنتم إياه تعبدون **قوله تعالى** ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير
لما ذكر الآيات الأربع الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس والقمر أتبعها بذكر آية أرضية فقال
ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة يابسة دارسة لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر
فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو
خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وزخرف النبات كأنها بمنزلة المختال
في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة إن الذي أحياها أي الأرض بعد موتها
بإنزال المطر عليها لمحيي الموتى عند البعث والنشور إنه على كل شيء من الإحياء والإماتة والإبداء والإعادة
قدير **قوله تعالى** إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير
أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لما بين أن الدعوة إلى دين الله
أعظم المناصب وأشرف المراتب ثم بين أن الدعوة إلى دين الله إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد
والعدل وصحة البعث والقيامة عاد إلى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويحاول ذكر الشبهات
فقال إن الذين يلحدون في آياتنا أي يميلون عن الحق في أدلتنا بالجدال فالكفر والحاد إذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل القرآن عن جهة الصحة والاستقامة ابن عباس هو تبديل
الكلام ووضعه في غير موضعه مجاهد يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط قتادة يكذبون
في آياتنا السدي يعاندون ويشاقون ابن زيد يشركون ويكذبون مقاتل نزلت في أبي جهل لا يخفون علينا
فنلقيهم في النار وعيد لهم على التحريف والإلحاد أفمن يلقى أبو جهل خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة
عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر رضي الله عنهما اعملوا ما شئتم اعملوا ما شئتم أمر وعيد وتهديد
إنه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه إن الذين كفروا بالذكر بدل من الذين يلحدون في آياتنا والذكر
القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله لما جاءهم حين جاءهم وإنه أي القرآن لكتاب عزيز
كريم على الله منيع محمي بحماية الله تعالى لا يأتيه الباطل مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه
سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به السدي الباطل الشيطان من بين يديه
ولا من خلفه وقيل لا يأتيه ما يبطله ويكذبه من الكتب المتقدمة بل هو موافق مصدق لها ولا يجيء
بعده كتاب يبطله وينسخه وقيل من بين يديه ومن خلفه تأويله تنزيل من حكيم حميد **قوله
تعالى** ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم

ولو جعلناه

ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد لما هدد الملحدين في قوله
آيات الله رجع إلى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على أذى قومه وأن لا يضيق قلبه
بسبب ما حكاه عنهم في أول السورة أنهم قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه إلى قوله فاعمل إننا
عاملون فقال ما يقال لك يعني ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم إن ربك لذو مغفرة لمن تاب
وذو عقاب لمن أصر وقيل إن ربك لذو مغفرة للرسل وذو عقاب لأعدائهم ويحتمل أن يراد
ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قول إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب
أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والمقصود تخويف العصاة وتسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد ظهر من الكلام في تفسير هذه السورة أن المقصود هو ذكر الأجوبة عن
قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا
عاملون فكان ينبه على فساد هذه الطريقة ويذكر أنواع الوعد والوعيد لمن يؤمن بهذا القرآن
ولمن يعرض عنه وامتد الكلام إلى هذا الموضع على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم إنه تعالى ذكر
جوابا آخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه فقال ولو جعلناه قرآنا أعجميا كانوا
لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت
وقالوا لولا فصلت آياته بينت آياته بلسان نحن نفهمها فإنا قوم عرب ما لنا وللعجمية ءأعجمي
الهمزة همزة الإنكار يعني لأنكروا وقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي والأعجمي الذي
لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي
المرسل إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا أعجميا كتب إلى قوم
من العرب يقول أكتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب
والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق إليه من الغرض
ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل
واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة
اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما قل يا محمد إن القرآن هدى إرشاد إلى الحق وشفاء لما في
الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون قيل هو في موضع الخبر معطوفا على قوله للذين آمنوا

على معنى قولك قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يومنون في اذانهم وقر فيكون عطفا على
عاملين والاخفش يجيزه وقيل والذين لا يومنون مرفوع على انه مبتدا او لما بعده والذين لا يومنون
هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في اذانهم منه وقر وهو عليهم عمى لا يبصرون منه
مراشدهم وقيل عمى القلب اوليك ينادون اى الذين لا يومنون ينادون من مكان بعيد يعني انهم
لا يقبلونه ولا يوعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها
الصوت فلا يسمع النداء وقيل اوليك ينادون خبر لقوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وسبيل
عمرو بن عبيد ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اين خبرها فقال عمرو معناه في التفسير ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز من مكان بعيد مثل لقلة استماعهم واسماعهم
مما يوعظون به كانه ينادون الى الايمان والقران من حيث لا يسمعون لبعد المسافة ولقد اتينا
موسى الكتاب هذا ايضا متعلق بما قبله كانه قيل انا لما اتينا موسى الكتاب اختلفوا فيه فقبله
بعضهم ورده اخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم
الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فاختلف فيه فقال بعضهم حق وقال بعضهم هو باطل
ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهي العدة بيوم القيمة وان
الخصومات تفصل في ذلك اليوم لقضى بينهم في الدنيا ولفرغ من عقابهم وعجل هلاكهم وانهم اى الذين
لا يومنون لفي شك منه مريب معه تهمة وقيل تم الكلام على قوله فاختلف فيه اى اختلف اليهود
في كتابهم كما اختلف قومك في القران ثم رجع الى القول في العرب فقال ولولا كلمة سبقت الاية
من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فانه
جمع وقيل كانه جواب قايل انه ظلام وقيل من ظلم وعلم انه يظلم فهو ظلام **قوله تعالى**
اليه يرد علم الساعة وما يخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم
يناديهم اين شركاءى قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا
ما لهم من محيص لا يسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيوس قنوط
لما هدد الكفار في الاية المتقدمة بقوله ومن اساء فعليها ومعناه ان جزاء كل احد يصل اليه
في يوم القيمة وكان سايلا قال ومتى يكون يوم القيمة فقال الله يرد علم الساعة اى لا سبيل
للخلق الى معرفة ذلك اليوم لا يعلمه الا الله اليه يرد علم الساعة وهذه الصيغة تفيد الحصر
اى لا يعلم وقت هذه الساعة بعينه الا الله وكما ان هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم
بحدوث الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا لله سبحانه ثم ذكر من امثلة هذا الباب
مثالين احدهما قوله وما تخرج من ثمرات من اكمامها والثاني قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه

قيل

قيل ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة متى قيامها
ولين كنت لا تعلم ذلك فانك لست بنبي فانزل الله عز وجل هذه الاية وما يخرج من ثمرة صلة قرا
اهل المدينة والشام وحفص ثمرات بالجمع والباقون على الواحد من اكمامها اوعيتها واحدتها
كمة وهي كل ظرف لمال وغيره ولذلك سمي قشر الكفراة التي تنشق عن الثمرة كمة ابن عباس يعني الكفرى
قبل ان تنشق فاذا انشقت فليست باكمام وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه يقول اليه يرد علم
الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج اى وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع
واضع الا وهو عالم به يعلم ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن
والقبح وغير ذلك والباء في بعلمه للحال ويوم يناديهم لما ذكر القيمة اردفه بشيء من احوال القيمة ويوم
يناديهم اى ينادي الله المشركين اين شركاءى الذين تزعمون انها الهة قالوا يعني المشركين وقيل
الاصنام وقيل يحتمل ان يكون القول راجعا الى العابدين والمعبودين ايضا اذناك اعلمناك وقيل
اسمعناك ما منا من شهيد اى ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاوك وما منا
الا من هو موحد لك وقيل ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لا يبصرونه
في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة
ومعنى ضلالتهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص
مهرب قال صاحب الكشاف فان قلت اذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد اذنوا فلم سيلوا فقد
يجوز ان يعاد عليهم اين شركاءى اعادة للتوبيخ واعادته في القران على سبيل الحكاية دليل على اعادة
المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء الايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان
كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان اى لا يمل الانسان يعني الكافر
من دعاء الخير ومسالته اياه ربه اى من طلب السعة في المال والنعمة وان مسه الشر فيوس
من روح الله قنوط من رحمته **قوله تعالى** ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فلننبين الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض
وناى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به
من اضل ممن هو في شقاق بعيد   لما بين حال هولاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين
على القول باثبات الشركاء والاضداد لله في الدنيا تبروا عن تلك الشركاء في الاخرة بين ان الانسان
في جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المنهج فان احس بخير ونعمة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء

ومحنة ذل ثم بين ان الذي صار انسا نا تا عظا لو عاودته النعمة يأتي بالاقتراح وبالمفاسد والمذاهب
الباطلة ولئن اذقناه رحمة منا عافية ونعمة من بعد ضراء شدة وبلاء مسته اصابته ليقولن
هذا لي اي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق ليقولن هذا لي اي هذا حقي وصل الي
لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر وقيل هذا لا يزول عني ونحو قوله تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة اي وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان
لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قاسا امر الاخرة على امر الدنيا ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم للكافر امنيتان اما في الدنيا فيقول لئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى واما في الاخرة فيقول يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن
فلنخبرن الذين كفروا بما عملوا بحقيقة ما عملوا من الاعمال ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم
يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم
كانوا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم
عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقون بذلك واذا انعمنا على الانسان هذا ايضا ضرب اخر من
طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بوسا قط فنسي المنعم واعرض
عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الشر الضر والفقر اقبل على دوام
الدعاء واخذ في الابتهال والتعرض وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفات الاجرام
ويستعار الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب ونأى بجانبه في معناه وجهان ان يوضع جانبه
موضع نفسه كما ذكر في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته تنزل منزلة الشيء نفسه
ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب اي نفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان
ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته
فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت
به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وقوله
وتولى بركنه قل يا محمد ان كان القران من عند الله تعالى ثم كفرتم به يعني ان ما انتم عليه من انكار القران
وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم بها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر
واتباع الدليل امر يحتمل بكونه ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما
انه يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته
ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع منكم بيانا لحالهم وصفتهم قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف
بربك

بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط لما ذكر
هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة واجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الجاحدين
قال سنريهم اياتنا في الافاق يعني ما نعطي لمحمد صلى الله عليه وسلم من الافاق وفي انفسهم مكة
هاده في الافاق يعني وقايع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وعطاء في الافاق يعني اقطار الارض
والسماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والانهار والبحار والامطار وفي انفسهم
من لطيف الصنعة وبديع الحكمة وسبيل الغائط والبول حتى ان الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد
ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين قال صاحب الكشاف يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى
الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما
وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار
على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم
امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار الارض المعمورة وبسط
دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على
عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوى معها اليقين
ويزداد بها الايمان حتى يتبين لهم ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر
حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب
والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل قيل
انه الحق يعني ما نريهم ونفعل من ذلك هو الحق وقيل انه يعني الاسلام وقيل محمدا صلى الله
عليه وسلم وقيل القران اولم يكف بربك في موضع الرفع على انه فاعل يكف وانه على كل شيء شهيد
مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده
ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حامله هذه النصرة وقيل اولم يكف الانسان
من الزاجر والرادع عن المعاصي كون الله شهيدا عليه وقيل اولم يكف بربك شهيدا لا يخلف
ما وعد الا انهم في مرية شك من لقاء ربهم البعث والحساب وقيل المخاطبة والمحاسبة
الا انه تعالى بكل شيء محيط عالم بجملها وتفاصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها عينها وشهادتها
ملكها وملكوتها والله الموفق

سورة حم عسق مكية

وهي ثلثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا وثلثمائة وست وستون كلمة وثلث وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم عسق كذلك
يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم الكلام في حم قد سبق عسق

قيل هو قسم اقسم الله به وهو اسم من اسمائه وقيل انها حروف من اسماء ثم قيلها اقوال عكرمة ان العين علم الله والسين سناؤه والقاف قدرته ابو الجوزاء العين فيها عذاب والسين فيها مسخ والقاف قدرته ابو الجوزاء العين فيها عذاب والسين فيها مسخ والقاف فيها قذف عطا العين من عدو مقهور والسين استيصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الارض سعيد بن جبير العين من عالم والسين من قدوس والقاف من قاهر السدي العين من العزيز والسين من السلام والقاف من القادر زيادة انها اسم من اسماء القران وفصل حم من عسق خلاف كهيعص قيل لانه قدم حم قبله واستقلال هذه بنفسها ولهذا عدها اشى ابن عيسى انما فصلت هذه من سايرها بذكر عسق لانها جميعها ذكرًا لكتاب بعده على التصريح الا هذه فانه دل عليه دلالة التضمن بذكر الوحي الذي يرجع الى الكتاب كذلك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله كرر هذه المعاني في القران وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والاخرين ولم يوح اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته قرا ابن كثير بفتح الحاء على البناء للمفعول ورافع الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قايلا قال من الموحى فقيل الله كقراءة من قرا يسبح له بفتح الباء بكسر العزيز الحكيم **قوله تعالى** له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم من فوقهن لان اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملايكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وقيل لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت موثرة من جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم موثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين ويستغفرون لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قايمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملايكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المومنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المومن ويستغفرون للذين امنوا وحكاه عنهم قال صاحب الكشاف قوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا

سبيلك

سبيلك كيف وصف المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعًا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليمًا غفورًا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عامًا فان قلت قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشامًا من كبريائه والملايكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفًا بعد صفوف يداومون خضوعًا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفًا عليهم من سطواته واما على الثاني فانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملايكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدون له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمومني اهل الارض الذين تبرءوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصًا على نجاة الخلق وطمعًا في توبة الكفار والفساق منهم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال الحكماء هيبت وعظم في الابتداء بشر والطف في الانتهاء **قوله تعالى** والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم يحفظ اعمالهم ويحصي عليهم افعالهم ليجازيهم بها قيل حفيظ رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شي وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت عليهم يا محمد بوكيل ولا مفوض اليك امرهم ان عليك الا البلاغ **قوله تعالى** وكذلك اوحينا اليك قرانًا عربيًا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير وكذلك اي ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الاية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت عليهم بوكيل ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله عز وجل في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرانًا عربيًا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي مبين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار وقيل ذلك اشارة الى المصدر اوحينا او مثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرانًا عربيًا بلسانك لتنذر ام القرى مكة اي اهلها ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اي لتنذر الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ويوم الجمع

يوم القيمة لان الخلايق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع بين الارواح والاجساد وقيل تجمع بين كل عامل وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة فضلا وهم المومنون وفريق في السعير عدلا وهم الكافرون عن عبد الله بن عمرو ابن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل عبد الله على ابيه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابض على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسماء ابايهم وعشايرهم وعدتهم على قبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله سبحانه وتعالى عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء ابايهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم قال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله **قوله تعالى** ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير المراد بفريق قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله اي لا يقدر على حملهم على الايمان ولو شاء الله ذلك لفعل لانه اقدر منك ولكنه جعل البعض مومنا والبعض كافرا ولكن يدخل من يشاء في رحمته يدل على انه تعالى هو الذي ادخلهم في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يعني انه تعالى ما ادخلهم في رحمته **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب ام اتخذوا معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل سوى الله ان ارادوا اوليا بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله فعلمه عند الله وقيل كلوا علمه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل تحكمه الى الله وقد بين ذلك في القران اما ظاهرا منصوصا واما مضمنا فيه تضمينا قريب الماخذ او مضمنا بعيد الماخذ مقاتل اهل مكة كفر بعضهم به فاخبر ان حكمهم الى الله يحكم يوم القيمة للمحق على المبطل فيصير المحق الى النعيم

والمبطل

والمبطل الى الجحيم وقيل يحكم في الدنيا باظهار المومنين عليهم وقتلهم واسرهم ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت واليه انيب في رد كيد اعداء الدين واليه انيب ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال صاحب الكشاف فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول وهو ممنوع ٥ **قوله تعالى** فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم فاطر من جملة اخبار ذلكم وقيل خبر مبتدا محذوف السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام اي وخلق من الانعام ايضا من انفسها ازواجا يذروكم فيه يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذرو والذرء اخوات فيه في الرحم وقيل في البطن وقيل في الزوج وقيل في هذا الوجه من الخلقة وقيل في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون والعقلاء على الغيب مما لا يعقل وانما قال يذروكم فيه اي في هذا التدبير ولم يقل يذروكم به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث كما قال ولكم في القصاص حياة ليس كمثله شيء قيل المثل صلة زايدة معناه ليس كهو شيء فادخل المثل توكيدا كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به قال صاحب الكشاف قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عن من يسد مسده وعن من هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد الله الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد لطهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كمثله شيء وبين قوله ليس كالله شيء الا ما تعطيه الكناية من فايدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط

لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فاذا كل
استعمل هنا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحوا مثل كعصف ماكول وقيل
الكاف صلة زايدة معناه ليس مثله شي واعلم ان علما الاصول اختلفوا ان المجاز على تقدير وقوعه
في اللغة هل هو واقع في القران فنفاه الظاهرية واثبته الباقون وهو المختار من حجج المختار قوله
تعالى ليس كمثله شي فانه مجاز بالزيادة لان كمثله موضوع لمثل مثله فاطلق واريد به مثله فيكون
مجازا بالزيادة فانه اريد بمجموع المضاف مع المضاف اليه ومنعت الظاهرية التجوز فيه فان قوله
تعالى ليس كمثله شي ونحو حقيقة في نفي التشبيه ومعناه ليس كذاته شي فان المثل هو العين ومنه
قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به اي بنفسه ويقال مثلك لا يقول اي نفسك واجيب عنه
بان قولهم ليس كمثله شي نفي للتشبيه حقيقة ليس بمستقيم لانه لو كان نفيا للتشبيه حقيقة
لتناقض واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة انه حينئذ يكون التقدير ليس مثل مثله شي
فيلزم التناقض ضرورة انه مثل مثله شي والمثل في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به زايد ليس
هو العين لان المشارك في الصفات حقيقة فلا يكون العين فان قيل قوله تعالى ليس كمثله شي سلب
كلي فلم يقتض ثبوت الموضوع فيجوز ان ينفي مثل المثل لعدم المثل وهو ابلغ اجيب بان السلب الكلي
وان لم يقتض ثبوت الموضوع لم يقتض نفي الموضوع فيمكن اثبات مثل المثل فيكون مناقضا لقولنا
ليس مثل مثله شي والنفي هكذا اي نفي مثل المثل لعدم المثل للمبالغة مجاز وانتم تسمونه والحق ان قوله
تعالى ليس كمثله شي محمول على الحقيقة ويلزم منه نفي المثل مطلقا بطريق برهاني وهو الاستدلال بنفي
اللازم على نفي الملزوم فان مثل المثل لازم للمثل فانه اذا تحقق المثل تحقق مثل المثل لانه اذا كان للشي
مثل يكون ذلك الشي مثل مثله واذا كان مثل المثل لازما للمثل يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل لان نفي اللازم
يلزم منه نفي الملزوم وقوله تعالى ليس كمثله شي سلب كلي والموضوع فيه شي لانه اسم لشي وهو نكرة في سياق
النفي فيكون للعموم وقوله كمثله خبر ليس معناه مثل مثله فان الكاف بمعنى المثل فيكون التقدير
ليس شي من الاشيا مثل مثله ومثل المثل من قبيل الاوصاف فيكون على تقدير ثبوته يستدعي ذاتا
يوصف به والمحمول هو الوصف اذا عرف فنقول يلزم من قوله تعالى ليس كمثله شي نفي مثله
مطلقا اي نفي مثله عينا وذهنا لانه لو كان له مثل ذهنا او عينا لكون هو مثل مثله لما عرفت
ان مثل المثل لازم للمثل لكن ليس هو مثل مثله كقوله تعالى ليس كمثله شي فانه يقتضي نفي مثل مثله عنه
ايضا فظهر من هذا انه اذا حمل هذا الكلام على المفهوم الحقيقي لم يحصل المقصود وهو بيان تفرده
في ذاته ونفي المثل عنه لان نفي مثل المثل لا يوجب نفي المثل بل لو كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم المحال

لانه

لانه يلزم نفيه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا لانه تعالى مثل لمثله لانا نقول نفي مثل المثل
مستلزم نفي المثل لان مثل المثل لازم للمثل ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم قوله بل لو كان المراد
منه نفي مثل المثل يلزم المحال لانه يلزم نفيه تعالى عما يقول الظالمون قلنا اذا كان المراد منه نفي مثل
المثل يلزم نفي هذا الوصف اعني وصف مثل المثل من الله تعالى لا نفيه تعالى ولا محذور في نفي
هذا الوصف عنه فان نفي هذا الوصف اما بنفي الموصوف او بنفي المثل ونفي الموصوف ممتنع لذاته
فيكون بنفي المثل بل محال ان يتصف بهذا الوصف فان اتصافه بهذا الوصف يستدعي ان يتصور له
مثل ولا يتصور له مثل فان المثل هو المشارك في الحقيقة ويمتنع مشاركة شي له في الحقيقة فيمتنع
ان يكون مثلا لمثله وما قيل ان مثل المثل لا يتوقف على ثبوت المثل في الخارج بل على ثبوت مثله في
الذهن وثبوت مثله في الذهن غير محال كلام فانه حقيقته تعالى يمتنع ان يقع منها اثنينية او ثنوية فانه
الفرد الواحد الحقيقي الذي لا مشاركة لشي معه في الحقيقة فلا يتصور له مثل وهو السميع البصير
فقوله ليس كمثله شي نفي التشبيه وقوله وهو السميع نفي للتعطيل واثبات لصفات الكمال
والتعريف فيهما يفيد ان هاتين الصفتين على سبيل الكمال ليس الا لله هذا هو المراد من هذا الحصر
له مقاليد السموات والارض والمراد من الاية المتقدمة انه تعالى فاطر السموات والارض والاصنام
ليست كذلك وايضا فهو خالق انفسنا وازواجنا وخالق اولادنا منا ومن ازواجنا والاصنام ليست
كذلك وايضا له مقاليد السموات والارض والاصنام ليست كذلك يريد مفاتيح الرزق من السموات
والارض فمقاليد السموات الامطار ومقاليد الارض النبات يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شي من البسط والتقدير عليم **قوله تعالى**
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب
لما عظم الله وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه الاية تفصيل ذلك اليوم فقال شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم يا محمد من الدين ما وصى به نوحا وابرهيم وموسى
وعيسى هذا هو المقصود من لفظ الاية وانما خص هولاء الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر
الانبيا واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما
بينهما من الانبياء ابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هولاء الاعلام

من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو
توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما
ولم يرد الشرايع والاحكام الفرعية لانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا ويحتمل ان اقيموا الدين اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه
واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان
هذه امتكم امة واحدة ولا تتفرقوا فيه قيل معناه لا تتفرقوا بالالهة الكثيرة كما قال يوسف عليه
السلام اارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا
نوحي اليه انه لا اله الا انا فاتقون واحتج بعض العلما بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول الامر مبعوثا بشريعة نوح عليه السلام واجيب
عنه بانه عطف عليه ساير الانبيا وذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها كبر
على المشركين عظم عليهم وشق ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد ورفض الاوثان
الله يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق من يشاء اجتباه ويهدي اليه
من ينيب وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة ابن عباس اهل الكتاب دليله ونظيره
في سورة المنفكين الا من بعد ما جاءهم العلم اي من بعد ان علموا ان الفرقة فساد وضلال
وامر متوعد عليه على السنة الانبيا وقيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته بغيا
بينهم انما فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة وحظوظ الحمية النفسانية لا لله على ان ذهب كل
طايفة الى مذهب ودعا الناس اليه وقبح ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا
لوقوع الاختلاف ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب الى اجل مسمى وهو يوم القيمة
لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدهم من بعد الامم الخالية مجاهد
معناه من قبلهم اي من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى لفي شك من كتابهم مريب
لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض
اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلفت الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين
مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب من بعدهم
هم المشركون اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب والانجيل **قوله تعالى**
فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت
لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا

والیه

واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم
وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل
الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون
انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء
وهو القوي العزيز فلذلك فادع اي لاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات
الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله
ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني ان الله انزله اي
الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض ونظيره قوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض وامرت لاعدل بينكم في الحكومة اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه
لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا في المعاد لفصل
القضا بيننا فينتقم لنا منكم وهذه محاجة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام في المقاولة
لا المقاتلة ومعناه لا حجة بيننا وبينكم في مواقف المقاولة بل السيف بيننا وبينكم والذين
يحاجون يخاصمون في دين الله ونبيه من بعد ما استجيب اي استجاب له الناس واسلموا
ودخلوا في دينه لظهور معجزته وقيام محمد ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا حجتهم داحضة زايلة باطلة عند ربهم وعليهم
غضب بكفرهم ولهم عذاب شديد في النار وقتادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا للمؤمنين كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ودعا
يوم بدر واظهر دين الاسلام الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والميزان اي العدل
وقيل الاحكام وقيل هو عين الميزان في زمن نوح ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة
بالحق متلبسا مقترنا به بعيدا من الباطل وقيل بالحق اي على وفق الحكمة وقيل بالواجب من التحليل
والتحريم وغير ذلك وقيل معنى انزال الميزان الهامه الخلق للعمل به وامره بالعدل والانصاف
كقوله انزلنا عليكم لباسا علقمة الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بالكتاب وما يدريك
لعل الساعة قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي ومجازها الوقت الكساي اتيانها قريب
وقيل في تاويل البعث ووجه توفيق ذلك اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان ان الساعة
يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرايع
قبل ان يفاجيكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها

بالساعة الذين لا يؤمنون بها استهزاء وقيل طمعا في ان يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها وقتا معينا ثم مضى الوقت فلا يقع فيصير حجة لهم عليهم والذين امنوا مشفقون خائفون منها ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون يخاصمون في الساعة في قيام الساعة لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها وقيل شاكون في وقوعها وقيل يدخلهم المرية فسموها المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه الله لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كليا ته وجزئيات عن ابن عباس حفي بهم عن عكرمة بارهم السدي رفيق بهم مقاتل لطيف بالبر والفاجر منهم حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم القرظي لطيف بهم في العرض والمحاسبة الضايق في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة لحسبهم عن المفصل في القرآن وتيسيره حمد هو الذي لطف باوليائه حتى عرفوه فعبدوه وهو لطف باعدائه لما جحدوه محمد بن علي الكتاني اللطيف بمن لجا اليه من عباده اذا يئس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل هو الذي لا يياس احد في الدنيا من رزقه ولا ياس مؤمن في العقبى من رحمته وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يؤيس امله وقيل هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي اوقد في اسرار عارفيه من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا وانزل عليهم من سحاب رحمته ماء ثجاجا يرزق من يشاء كما يشاء موسعا ومقترا حلالا و نيرا حراما وحلالا في خفض ودعة وفي كد وعناء فمن يشاء في بلده ومن يشاء في الغربة ومن يشاء بحساب ومن يشاء بغير حساب قال صاحب الكشاف فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مرزوقون لا يخلوا احد من الاتيان بر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب هذا حظه وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه ثم قسم له سهم ما لم يقسمه للاخر فعد رزقه هو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على

كل شي

على كل شي العزيز المنيع الذي لا يغلب **قوله تعالى** من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم بين انه لا بد لهم من ان يسعوا في طلب الخيرات عن القبائح فقال من كان يريد حرث الاخرة يعني يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحد عشرا الى ما شاء الله سمي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكي حرثا على المجاز زيادة يزيد من عمل الاخرة نزد له في حرثه ومن اثر دنياه على اخرته لم يجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا شيئا الا رزقا قد فرغ منه وقسم له ولم يذكر في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة لا ستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب قال الامام ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه يصح صلوته واجمعوا على انه لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتى الا بالقاء البذر الصحيح في الارض والبذر لجميع الخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله تعالى ام لهم شركاء لما بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال ام لهم معنى الهمزة فيه التقرير والتقريع شركاء شياطين شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اي شركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيف اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله تعالى ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابرهيم عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل يوم القيمة حيث قال بل الساعة موعدهم وقيل لولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين المشركين يوم القيمة مشفقين مما كسبوا من الكفر والشرك وهو واقع بهم اي وباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات هي اطيب بقاع في الجنة وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم منصوب بالظرف اي لهم ما يشاؤن اي لهم عند ربهم في روضات

الجنات ما يشاؤن ذلك اى اعطاء هذه الاشيا هو الفضل الكبير ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله
قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم اليا وفتح البا وكسر الشين مشددة والباقون بفتح اليا وسكون البا
وضم الشين مخففة الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اهله والاصل فذكر الثواب
الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول
كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقيل الاصل ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده قل
لا اسألكم انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف واودع فيه ما يحتاج
المكلفون اليه من التوحيد والتكاليف والنبوة والمعاد ورتب الثواب على الطاعة والتوحيد والعقاب
على المعصية والشرك قال قل يا محمد لهم لا اسألكم عليه اى لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ المال
والجاه ولا نفعا عاجلا ولا مطلوبا حاضرا لئلا يتوهموا ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب من هذا التبليغ
حظا من الحظوظ ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق
وليست في يده لذلك سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن اختكم تنوبه نوائب
وحقوق وليس في يده لذلك سعة اجمعوا له من اموالكم ما لا يضركم فاتوه به يستعين به على ما
ينوبه ففعلوا ثم اتوا به فقالوا يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله على يديك وتنوبك نوائب وحقوق
وليست لك عندها سعة فراينا ان نجمع لك من اموالنا فناتيك به تستعين به على ما ينوبك وها هو ذا
فنزلت هذه الاية فرده احتج المشركون في جمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه
اجرا فانزل الله تعالى هذه الاية يحثهم على مودته ومودة اقربائه صلوات الله عليه وعليهم الا المودة في القربى
يجوز ان يكون استثناء متصلا اى لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا
في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اى لا اسألكم
اجرا قط ولكن اسألكم ان تودوا اقربائى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وانما لم يقل الا مودة القربى او الا المودة
للقربى بل قال الا المودة في القربى لتكون القربى مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة ولي فيهم
هوى وحب شديد يريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة
للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى
ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى واختلف العلماء في معنى
الاية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسألكم على ما اتيتكم من البينات والهدى الا ان
تودوا الله تعالى وتتقربوا اليه بطاعته والى هذا ذهب الحسن البصري فقال هو القربى الى الله
يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه والطاعة والعمل الصالح وروى طاوس والشعبي والوالبي
والعوفي عن ابن عباس قال لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبينهم

وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يتابعوه انزل الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في
القربى يعني ان تحفظوا قرابتي ولا تؤذوني فانكم قومي واحق من اجابني واطاعني والى هذا ذهب ابو مالك
وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة وقال بعضهم معناه الا ان تودوا قرابتي وعترتي
وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ثم اختلفوا في قرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذين امر الله تعالى بمودتهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما والدليل على هذا ما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه شكوت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة
انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وشيعتنا من ورائنا
وعن ام سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ائتني بزوجك وابنيك
فجاءت بهم فالقى عليهم فدكيا ثم رفع يده عليهم ثم قال اللهم هؤلاء ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال
محمد فانك حميد مجيد قالت فرفعت الكساء لادخل معهم فاجتذبه وقال انك على خير وعن ابي هريرة قال نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال انا حرب لمن حاربتم سلم لمن
سالمتم روي انه لما جيء بعلي بن الحسين اسيرا فاقيم على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال
الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين اقرات القران قال نعم قال
قرات ال حم قال قرات القران ولم اقرا ال حم قال ما قرات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال
وانكم لانتم هم قال نعم وقيل هم ولد عبد المطلب يدل عليه ما روى انس بن مالك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجنة انا وحمزة وعلي والحسن والحسين والمهدي وعن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي
واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه
غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة وتقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو
المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام يدل عليه قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى وقوله وات ذا القربى حقه وعن ابن عباس قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكانهم فخروا
فقال ابن عباس او العباس شك الراوي لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال
الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله

قال لا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك الم يكذبوك فصدقناك الم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى عن العباس بن عبد المطلب انه قال يا رسول الله ما بال قريش تلقى بعضها بعضا بوجوه تكاد ان تسايل من الود ويلقونا بوجوه قاطبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او يفعلون ذلك قال نعم والذي بعثك بالحق فقال اما والذي بعثني بالحق لا يومنوا حتى يحبوكم لي وقيل هذه الاية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم فيها بالمودة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه وعزروه واحب الله ان يلحقه باخوانه من الانبيا عليهم السلام حيث قال وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فهي منسوخة بهذه الاية وبقوله قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وقوله ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون والى هذا القول ذهب الضحاك بن المزاحم والحسين بن الفضل قال الثعلبي وهذا قول غير قوي ولا مرضي لان ما حكينا من اقاويل اهل التاويل في هذه الاية لا يجوز ان يكون واحدا منها منسوخا وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيته منسوخ والدليل على صحة مذهبنا فيه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات على حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب ال محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب ال محمد مات تائبا الا ومن مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب ال محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب ال محمد فتح في قبره بابان من الجنة الا ومن مات على حب ال محمد جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض ال محمد لم يشم رائحة الجنة قال الامام ال محمد هم الذين يوول امرهم اليه فكل من كان مال امرهم اليه اشد واكمل كانوا هم الال ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الال وايضا اختلف الناس في الال فقيل هم الاقارب وقيل هم امته فان حملناه على القرابة فهم الال وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا ال فثبت انهم على جميع التقديرات هم ال واما غيرهم هل يدخلون تحت الال فمختلف فيه وايضا

لما نزلت

لما نزلت هذه الاية قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجب علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما فثبت ان هولاء الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الا المودة في القربى ووجه الاستدلال به ما سبق الثاني لا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها وثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ولقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالث ان الدعا للال منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعا خاتمة التشهد في الصلوة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الال فكل ذلك يدل على ان حب ال محمد واجب قال الشافعي رحمه الله

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى فيضا كما نظم الفرات الفايض

ان كان رفضا حب ال محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

وقوله الا المودة في القربى فيه نصيب عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فكل من اطاع الله مقرب عند الله فيدخل تحت قوله الا المودة في القربى والحاصل ان هذه الايه تدل على وجوب حب ال محمد وهذا قول اصحابنا اهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة وبين حب الصحابة وسمعت بعض المذكورين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجا وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ونحن الان في بحر التكليف محتاجون الى السفينة الصحيحة والنجوم الزاهرة فالسفينة حب ال محمد والنجوم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرجو من الله السلامة والسعادة في الدنيا والاخرة ومن يقترف يكتسب حسنة طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف السدي حسنة مودة في ال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع والشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها على وجه التفضل ٥ قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو

عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد انما ابتدأ الكلام في اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله وهو قوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى وصل الى هاهنا ثم حكى هنا شبهة وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال ام يقولون افترى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله سبحانه الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشاء الله يختم على قلبك مجاهد يعني يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم انه لو افترى على الله لفعل به ما اخبرهم في هذه الاية ثم ابتدأ فقال ويمح الله الباطل وقال صاحب الكشاف فان يشاء الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترى على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله عز وجل والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم ابتدأ فقال ويمح الله بحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع كما حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع الانسان اي ومن عادة الله تعالى ان يمحو الباطل ويحق الحق ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقران وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم انه عليم بذات الصدور بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقول قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن المعصية بالندم عليه والعزم ان لا يعاود وعن علي كرم الله وجهه التوبة اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وقيل لابي بكر الوراق متى يكون الرجل تائبا قال اذا رجع الى الله مراقبه واستحيا وخاف نقمته فيما عصاه والتجأ الى رحمته فرجاه وذكر حلمه في ستره فاذكاه وندم على مكروه اتاه وشكر ربه فيما هداه وفهم عن الله وعظه فوعاه وفهم عهده فيما اوصاه سبيل

من التايب

من التائب فقال من رأى نفسه من الذنوب معصوما وللخيرات موفقا ورأى الفرح من قلبه غائبا والحزن فيه ثابتا واحب اهل الخير وهاب اهل الشر ورأى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الاخرة قليلا ورأى قلبه فارغا من كل ما ضمن له مشتغلا بكل ما امر به السري السقطي التوبة صدق العزيمة على ترك الذنب والانابة بالقلب الى علام الغيوب والندامة على ما فرط من العيوب والاستقصاء في المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع وقيل ملاك التوبة اصلاح التوبة اصلاح القوت وسئل يحيى بن معاذ من التائب فقال من كسر شبابه على راسه وكسر الدنيا على راس الشيطان ولزم الفطام حتى اتاه الحمام سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وسئل ابو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة في قلبك رويم التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا سئل جنيد عن التائب فقال من ما تعمادونه الله شاه الكرماني اترك الدنيا وقد تبت وخالف هواك وقد وصلت ويعفوا عن السيئات اذا تابوا محوها وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن العقيم الوالد ومن الظمآن الوارد فمن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه ويعلم ما تفعلون قرا حمزة والكسائي وخلف بالتاء من فوق والباقون بالياء لانه يعني خبر عن قوم قال قبله عن عباده وقال بعده ويزيدهم من فضله ويستجيب الذين امنوا الله بالطاعة اي يطيع الذين امنوا ربهم جعل الاستجابة فعل الذين امنوا وقيل ويستجيب الذين امنوا جعل الاستجابة فعل الله وهو الاصوب والاعجب لانه وقع بين فعلين لله الاول قوله يقبل والثاني ويزيدهم والمعنى ويجيب الله المؤمنين اذا دعوه وقيل معناه ويجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض وعن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ بالشام فقال انتم المؤمنون وانتم اهل الجنة والله اني لارجو ان يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم وذلك بان احدهم اذا عمل لاحدكم العمل قال احسنت بارك الله فيك ويقول الله عز وجل ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اي اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوه او زادهم من فضله على مطلوبهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا يجاب لنا قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا والكافرون لهم عذاب شديد في الاخرة

قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير

وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما قال في الاية المتقدمة
انه يستجيب الذين امنوا ورد عليه سوال وهو ان المومن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم انه
يدعوا فلا يرى اثر الاجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين امنوا فاجاب الله
تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض واقدموا على المعاصي ولما كان ذلك
محذورا ما بسط ولبغوا من البغي وهو الظلم نزلت الاية في قوم من اهل المدينة تمنوا سعة الدنيا
والغنا قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة
والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله عز وجل ولو بسط الله ووسع الله لعباده لبغوا في الارض
لطغوا وعصوا ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس شقيق ابن ابرهيم في قوله ولو بسط الله الرزق لو رزق الله العباد من غير كسب
لتفرغوا عن المعاش والكسب لطغوا وبغوا وسعوا في الارض فسادا ولكن شغلهم بالمعاش والكسب
رحمة منه وامتنانا ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء فجعل واحدا غنيا وواحدا فقيرا انه بعباده
خبير بصير قتاده في هذه الاية كان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك وذكر لنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي زهرة الحياة الدنيا وكثرتها وعن انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة واني لاسرع شي الى نصرة اوليائي لاني لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما
ترددت في شي انا فاعله ما ترددت في قبض روح عبدي المومن يكره الموت وانا اكره مساته ولا بد
له منه وما تعبد لي عبدي المومن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا ان سالني اعطيته وان
دعاني استجبت له وان من عبادي المومنين لمن يسالني الباب من العبادة ولو اعطيته
اياه دخله العجب فافسده وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح له الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلحه الا الغنا ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي
المومنين لمن لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك اني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم اني عليم
خبير وهو الذي ينزل الغيث اي المطر سمي به لانه يغيث الناس عن الاصمعي مررت ببعض قبايل العرب
وقد مطروا فسالت عجوزا منهم اتاكم المطر فقالت غثنا ما شينا من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
ويبسط مطره نظيره وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقيل ينشر رحمته اي بركات
الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب عن قتاده ذكر لنا ان رجلا اتى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال يا امير المومنين اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا ثم قال وهو الذي ينزل الغيث

من بعد

من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الذي تولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده
اهل طاعته ومن اياته خلق السموات والارض هذه اية اخرى تدل على الهيته وما بث في محل الرفع
عطفا على المضاف ويجوز ان يكون في محل الجر عطفا على المضاف اليه قال صاحب الكشاف فان
قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشي الى جميع
المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في
فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصايلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله
يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملايكة عليهم السلام مشي في الطيران
فوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي
الاناسي على الارض سبحان من خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم احياهم بعد
الموت اذا يشاء قدير اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه
اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة غم والم ومكروه فبما كسبت ايديكم فهو عقوبة للاثام
والاجرام التي كسبتموها ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يواخذكم بها قرا اهل المدينة والشام
بما بغير فاء وكذلك هي في مصاحفهم والباقون فبما بالفاء وكذلك في مصاحفهم على تضمين ما معنى
الشرط الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش
عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله اكثر وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الا اخبركم
بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الاية
قال وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم
والله عز وجل اكرم ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان
يعود بعد عفوه وعن الحسن دخلنا على عمران بن الحصين في مرضه الشديد الذي اصابه فقال رجل
منا اني لابد اسالك عما ارى من الوجع بك فقال عمران يا اخي لا تفعل فوالله ان احبه الي احبه
الى الله قال الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير هذا مما كسبت يداي وعفو
ربي مما بقي وراى على ظهر كف شريح قرحة فقيل له يا ابا امية ما هذا قال بما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير ابن سيرين لما ركبه الدين اغتم فقال اني لاعرف هذا الغم هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة
وقيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم فقال انهم علموا ان الله عز وجل
انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما اصابكم الاية وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد به الشر امسك عليه بذنبه
حتى يوافيه به يوم القيمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة

لم يكن الله ليبلغه الا بها وعن الضحاك ما نعلم رجلا قرأ القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما اصابكم
الاية ثم قال واي مصيبة اعظم من نسيان القرآن وما انتم بمعجزين في الارض اي فائتين
فلا يغرنكم امهاله وما لكم من دون الله من ولي يحفظكم ولا نصير يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم
قوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله
خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون ومن اياته الجوار يعني السفن واحدتها جارية
وهي السائرة في البحر قال تعالى حملناكم في الجارية في البحر كالاعلام اي الجبال مجاهد القصور واحدها
علم قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا وان صخرا لتأتم
الهداة به كأنه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح فيظللن من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل
رواكد ثوابت وقوفا على ظهر الماء ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في ايات الله فهو يستملي منها العبر
او يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى البليتين اما ان يسكن الريح
فيركد الجواري على ظهر البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب
ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير فلا يعاقب عليها يوبقهن عطف على يسكن لان المعنى
ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى ادخال
العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو
عنهم وقيل ويعف عن كثير من الذنوب فلا يجازي عليها في الدنيا وقيل ولا في الاخرة ويعلم قرا اهل المدينة
والشام ويعلم بالرفع على الاستيناف كقوله في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء والباقون
بالنصب على الصرف كقوله تعالى ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا
وكراهية لتوالي الجزم وقيل النصب للعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون في اياتنا ونحو في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله
اية للناس وقوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت قال الزجاج
النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على
وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما فيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب

بالفاء

بالفاء والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله ولحق بالحجاز فاستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعله
الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على
ضعفه ولا يجوز ان يحمل القراءة المشهورة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت
من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الايات المشكلة ما لهم من محيص
من محيد من عقابه وما اوتيتم من شيء ما متضمنة لمعنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها اي وما اوتيتم من شيء
من رياش الدنيا وعما سها فمتاع الحياة الدنيا وليس من زاد المعاد اي ينفعكم مدة حياتكم في الدنيا وهو
نفع يسير وما عند الله مبتدا غير متضمن لمعنى الشرط فلذلك لم يجئ الفاء في جوابها خير وابقى للذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون يريد منافع الاخرة المعدة للمومنين المتوكلين خير لانه امتع وابقى لانه دائم
لا ينقطع والذين يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذلك ما بعده قرا حمزة والكسائي وخلف
ههنا وفي سورة النجم كبير على الواحد وفسروه بالشرك عن ابن عباس والباقون كبائر على الجمع في السورتين
وقد تقدم الاختلاف في معنى الكبائر والفواحش السدي يعني الزنا مقاتل موجبات الحدود واذا ما غضبوا
هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس
والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا
لربهم اجابوه الى ما دعاهم الله من الطاعة واقاموا الصلاة المفروضة اي الصلوات الخمس في مواقيتها
بشرائطها وامرهم شورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى
يعني اذا كان بينهم اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن
الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم وذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر رضي الله عنه الخلافة شورى ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون وقيل يعطون من الحلال ويحتمل
ينفقون مقرين بانه من رزق الله فان الكافر ايضا ينفق مما رزقه الله لكنه جاحد قيل نزلت هذه
الايات في ابي بكر الصديق رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال مرة فتصدق به كله في
سبيل الخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فانزل الله عز وجل وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة
الدنيا الى ومما رزقناهم ينفقون خص به ابا بكر رضي الله عنه وعم من اتبعه والذين اذا اصابهم
البغي الظلم هم ينتصرون ينتقمون من ظالمهم من غير ان يعتدوا وعن مقاتل هذا في المجروح ينتصر من الجارح
فيقتص منه قال ابرهيم النخعي في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا قوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون

في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن
يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم
من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل لما قال والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل
فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساوي عدل ولهذا قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
سمي جزاء السيئة وان كان مأذونا فيه مشروعا باسم السيئة وان لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة
ابن ابي نجيح هو ان يجاب قائل الكلمة القبيحة بمثلها فاذا قال اخزاه الله يقول اخزاه الله السدي اذا
شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير ان تعتدي عن سفيان ابن عيينة قلت لسفيان الثوري
ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ان شتمك رجل فتشتمه وان يفعل بك تفعل به فلم اجد
عنده شيا فسالت هشام ابن حجير عن هذه الاية فقال الجارح اذا جرح يقتص منه وليس هو ان يسبك
فتسبه قال ابن عيينة وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام ابن حجير فمن عفى فلم ينتقم ابن
عباس رضي الله عنهما فمن ترك القصاص واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء مقاتل فكان من
الاعمال الصالحة فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم عن ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال
ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فذلك قوله عز وجل فمن عفى واصلح فاجره على الله
فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله انه لا يحب الظالمين يدل على الانتصار لا يكاد يؤمن معه
تجاوز التسوية والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين
وهو لا يشعر ابن عباس الذين يبدون بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم اضافة المصدر الى المفعول
فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب والمعنى
اخذ حقه بعد ان ظلم فاولئك ما عليهم من سبيل الى لومه وقيل ما عليهم من اثم انما السبيل بالاثم
والاثم على الذين يظلمون الناس يبدون الناس بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون عليهم بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر
وفوض امره الى الله ان ذلك الصبر والمغفرة منه لمن عزم الامور اي من الامور التي ندب اليها وقيل
من الثابت الذي لا ينسخ والعزم الاقدام على الامر بعد الروية والفكرة وقيل عزم الامور حقيقتها
والعائد الى المبتدا اي منه محذوف لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان

رجلا

رجلا سب رجلا في مجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه
الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون قيل العفو مندوب اليه ثم
قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف
زيادة البغي وقطع مادة الاذى ومن يضلل الله يخلق الضلال فيه فما له من ولي من بعده فليس
له من ناصر يتولاه من بعد اضلاله اياه ويهديه ويمنعه من عذاب الله وترى الظالمين الكافرين
لما راوا العذاب اي يرون وجاء بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل هل الى رجعة
الى الدنيا من حيلة فنؤمن بك وتراهم يعرضون عليها اي على النار ودل ان العذاب حملا
على المعنى وهو النار وقيل على جهنم خاشعين خاضعين متواضعين متذللين منضما بالين
متقاصرين مما لحقهم من الذل وقد تعلق من الذل بخاشعين اي من الذل ينظرون من طرف
اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى
السيف وهكذا ينظر الناظر الى المكان لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينيه منها كما
يفعل في نظره الى المحاب وقيل ينظرون من طرف خفي اي ينظرون الى النار بعين ضعيفة وطرف
سارقة وقيل الطرف الخفي عين القلب لانهم يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك
نظر من طرف خفي وفيه تعسف وقيل من طرف خفي ذليل وقيل ينظرون الى النار ببعض ابصارهم
لانهم يفزعون من النظر اليها بجميع ابصارهم وقيل غضوا من ابصارهم وقيل ينظرون من تحت
اشفارهم وقال الذين امنوا اي ويقول الذين امنوا يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة
وقيل يقولون في الدنيا وقيل هذا تعليم للمؤمنين ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم لا يتمتعون
بانفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم قيل هذا من تمام كلامهم وقيل
هذا تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله اي يحولون بينهم
وبين عذاب ومن يضلل الله فما له من سبيل طريق الى الوصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى
قوله تعالى استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا
يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير لما بسط الكلام في الوعد
والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود الاعظم فقال استجيبوا لربكم بالايمان والطاعة من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له من الله من متعلق بلا مرد له اي بعد ما حكم به او متعلق بياتي اي من قبل

ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجأ مفر وحرز يومئذ وما لكم من نكير
انكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتم ودون في صحائف
اعمالكم فان اعرضوا عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا مسلطا تحفظهم على الايمان وتمنعهم
من الكفر وقيل حسيبا وقيل باعمالهم كفيلا ان عليك الا البلاغ اي ليس عليك الا تبليغ الرسالة
وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة وخصبا وسعة في الرزق اراد بالانسان
الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة فرح بها لاجلها وزهى اعجابا بها فلم يشكر من اسداها
وان تصبهم سيئة محنة وقحط وضيق بما قدمت ايديهم بسبب اثامهم واجرامهم فان الانسان
كفور بعد المصائب وجحد النعم وقيل هذا خاص والمراد به المكفر بالله ولهذا ذكر بلفظ المبالغة
والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما
قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها
لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابتها بضدها اتبع ذلك ان لله الملك وانه يقسم النعمة
والبلاء كيف اراد يخلق ما يشاء من غير اعتراض عليه يهب لمن يشاء من عباده اناثا على حسب
مشيئته ويهب لمن يشاء الذكور فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين
جميعا ويعقم اخرين فلا يهب لهم ولدا قط قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدم الاناث
اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت
لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه
بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه
لا ما يشاؤه الانسان لان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب
التقديم وليلي الجنس التي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك
تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء
الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من
التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال او يزوجهم ذكرانا
واناثا وحث ابلى اذا قرن الضعيف بالقوي مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم جارية ثم غلاما
ثم جارية ابن الحنفية تلد توأما غلاما وجارية ويجعل من يشاء عقيما لا بنين له ولا بنات
ابن عباس الاية خاصة في الانبياء عليهم السلام يهب لمن يشاء اناثا لوط عليه السلام
لم يولد له ذكر قط وانما ولدت له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابرهيم عليه السلام
لم يولد له انثى قط او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات

ويجعل

ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين
ما يشاء **قوله تعالى** وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا
الى الله تصير الامور لما بين قدرته وعلمه اتبعه بيان انه كيف يخص انبياءه
بوحيه وكلامه وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على احد ثلثة اوجه
اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى لام موسى وابرهيم
عليه السلام في ذبح ولده مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه في صدره واما على ان
يسمعه كلامه من غير واسطة وهذا ايضا وحي بدليل انه تعالى اسمع كلامه موسى من غير
واسطة مع انه سماه وحيا قال تعالى فاستمع لما يوحى واما ان يرسل رسولا من الملائكة فيبلغ
ذلك الملك ذلك الوحي الى الرسول البشري وطريق الحصر ان يقال وصول الوحي من الله الى البشر
اما ان يكون من غير واسطة مبلغ او بواسطة مبلغ والاول اما ان لم يسمع عين كلام الله واليه
الاشارة بقوله الا وحيا واما ان سمع كلام الله واليه الاشارة بقوله او من وراء حجاب
واما الذي يكون بواسطة مبلغ فهو المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فهذه اقسام
ثلثة كل واحد منها وحي الا انه تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لان ما يقع في القلب على سبيل
الالهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى فهذا هو الكلام في تمييز هذه الاقسام الثلثة
بعضها من بعض فقيل وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا
ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف
واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا
من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة
كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا
جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله
وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا
في معنى ان يوحي وعطف او يرسل عليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يعطف عليه
نحو او ان يسمع من وراء حجاب قرأ نافع او يرسل بالرفع على الابتداء فيوحي باسكان الياء والباقون
بالنصب في يرسل فيوحي عطفا بهما على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي

او يرسل فيوحى انه على متعال عما لا يليق به من الاوصاف حكيم يدبر ما يريد تجرى افعاله على وفق الحكمة
ويكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك اى كما اوحينا الى سائر
الانبيا اوحينا اليك بان ارسلنا اليك جبريل ويحتمل انه اشارة الى الحالات الثلاث لانه عليه السلام كان
فى بدو الاسلام يرى الرويا وسمع من وراء الحجاب الكلام ليلة المعراج واتاه جبريل على الدوام روحا يريد بما
اوحى الله لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحى الجسد بالروح قيل روحا من امرنا القران سماه روحا لان
حياة الاديان به وقيل روحا رحمة بن عباس سماه روحا لانه حياة الاديان به وقيل روحا رحمة ابن عباس
نبوة السدى وحيا الكلبى كتابا ربيع جبريل ما كنت تدرى قبل الوحى ما الكتاب ولا الايمان يعنى شرايع الايمان
ومعالمه ابو العالية الدعوة الى الايمان الحسين اى الفضل اهل الايمان من يومن ومن لا يومن محمد بن
اسحق الايمان فى هذه المواضع الصلوات دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل الايمان اسم يتناول اشيا
بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع يعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان
له فيه علم حتى كسبه بالوحى ولكن جعلناه نورا وحدا لكناية ههنا الى الايمان والقران لان الفعل لكنه
اسماء يضبطه الفعل الاترى انك تقول اقبالك وادبارك يعجبنى فتوحد وهما اثنان ابن عباس ولكن
جعلناه الايمان السدى القران نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى ترشد الى صراط
مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور ه ه

سورة الزخرف مكية

وهى ثلثة الاف واربعماية حرف وثمانمائة وثلثة وثلثون كلمة وتسع وثمانون اية ه

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم والكتاب
المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون اقسم الله بالكتاب المبين وهو القران
انا جعلناه قرانا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم
عليه اى اقسم الله بالقران انه جعله بلسان العرب ليعقلوه وقيل اقسم ان الله جعله قرانا عربيا وليس
مفترى كما زعمه بعضهم وهذا اولى لان كونه عربيا غير مشكوك فيه المبين البين الذى نزل عليهم لانه بلغتهم
واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج
اليه الامة فى ابواب الديانة وقيل يجوز ان يكون الكتاب عاما والكناية فى جعلناه غير مذكور كقوله تعالى
انا انزلناه فى ليلة القدر ويحتمل ان يقال الكتاب لما كان الجنس يشتمل على القران فصار كالمقدم ذكره فجاز
الكناية عنه وقيل تقديره ورب الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى نحن الكتاب الخط واقسم به تعظيما
لنعمته فيه وفى القسم بالشى تعظيم لذلك الشى وتوكيد لما يقسم عليه انا جعلناه قرانا قيل بيناه بلغة
العرب وقيل وصفناه وقيل قلناه وقيل جعلناه سميناه كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن

انا انا قال صاحب الكشاف جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى
مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور قرانا عربيا غير عجمى لعلكم تعقلون لكى تفهموا معناه وما
شرع لكم فيكون عاما وقيل لعلكم تتفكرون يعنى العرب وقيل لعل للطمع اى ليرجوا محمد صلى الله عليه
وسلم ان يسمعوا فيعقلوا فيومنوا **قوله تعالى** وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم
وانه عطف على القسم اى القران وقيل علم الساعة وقيل عمل بنى ادم فى ام الكتاب اللوح
المحفوظ الذى عند الله منه نسخ قتادة اصل الكتاب وجملته ابن عباس اول ما خلق الله عز وجل القلم
فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم لعلى رفيع
الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اى منزلة عندنا منزلة كتاب هما صفتاه
وهو مثبت فى ام الكتاب هكذا **قوله تعالى** افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم
قوما مسرفين مجاهد والسدى افنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم ونترككم
فلا نعاقبكم على كفركم قتادة وبن زيد معناه افنمسك عن انزال القران ونترككم من اجل انكم لا تومنون
به فلا ننزله ولا نكرره عليكم قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوايل هذه الامة
لهلكوا ولكن الله عاد بعايدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ما شاء الله من
ذلك الكلبى افنترككم سدى لا نامركم ولا ننهاكم الكسائى افنطوى عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا
توعظون قال صاحب الكشاف افننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرايب
عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرايب الابل وقال طرفة اضرب عنك الهموم
طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفا للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم
الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرانا عربيا ليعقلوه ويعملوا
بواجبه صفحا اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم
انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه على
معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا ان كنتم قرا اهل
المدينة والكوفة الا عاصما ان بكسر الالف على معنى اذ كقوله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين
وقوله ان اردن تحصنا والباقون بالفتح على معنى لان كنتم اراد وامعنى المضى كما تقول فى الكلام
اسبك ان حرمتنى يريد ان حرمتنى قوما مسرفين مشركين متجاوزين الحد وامر الله تعالى ه
قوله تعالى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون
فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين والمعنى ان عادة الامم مع الانبيا الذين
يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزا هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم

لان المصيبة اذا عمت خفت وما يا تيهم حكاية حال ماضية مستمرة اى كانوا على ذلك والضمير
فى منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عنهم بطشا
قوة ومضى اى سلف فى القرآن فى غير موضع مثل الاولين اى ذكرهم وصفتهم وسبيلهم وعقوبتهم
وحالهم العجيبة التى حقها ان تسير مسير المثل وهذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم
قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموت والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذى جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر
فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون
وقد تقدم ايضا ذكر الانبيا والضمير فى ولين سالتهم يحتمل ان يرجع الى الانبيا ويحتمل ان يرجع
الى المشركين وهو الاقرب فبين تعالى بانهم مقرون بان خالق السموت والارض وما بينهما هو الله
العزيز العليم قال صاحب الكشاف فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من
الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون
وان كان من قول الله عز وجل فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذى من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذى هذه اوصافه
وليسندنه اليه الذى جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل
من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون اى كما احيا هذه البلدة الميتة
بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذى خلق الازواج الاصناف كلها وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون يقال ركبوا الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسين فغلب المتعدى بغير
واسطة لقوته على المتعدى بواسطة تذكروا نعمة ربكم فقيل ما تركبونه لتستووا على ظهوره على
ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها فى
قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم اذا استويتم عليه وهو ما يروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين
ضابطين فاهرين تعال اقرن الشى اذا اطاقه وحقيقته اقرنه وجده قرينته وما يقرن به
لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم فى الضعيف لا تقرن به الصعبة
قيل وهو من القرن كانه اراد وما كنا له مقاومين فى القوة وانا الى ربنا لمنقلبون كم من راكب

دابة

دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم
فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطور واتصاله بسبب من اسباب التلف امر ان لا ينسى
عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضايه ولا يدع
ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر ان يكون
ركوبه ذلك من اسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرانه
تعالوا نتنزه على الخيل او فى بعض الزوارق فيركبون حاملين فى انفسهم اوانى الخمر والمعازف فلا يزالون
يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او فى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان
ولا يمتثلون الا اوامره فاده بعضكم فى هذه الاية كيف تقولون اذا ركبتم فى الفلك تقولون بسم الله
مجريها ومرسيها ان ربى لغفور رحيم فاذا ركبتم الابل قلتم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون واذا انزلتم من الفلك والانعام تقولون اللهم انزلنا منزلا مباركا
وانت خير المنزلين **قوله تعالى** وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور
مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل
وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملايكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون لما قال ولين
سالتهم من خلق السموت والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءا
اذ قالوا الملايكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا
منه قال النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى ولان المعقول من الولد ان ينفصل منه
جزء من اجزايه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل والمعنى انهم اثبتوا له جزءا وذلك
الجزء هو عبد من عباده وقيل ان الجزء فى لغة العرب اسم للاناث قال صاحب الكشاف وما هو
الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة ثم
صنعوا بيتا وبيتا ان اجزات حمرة يوم فلا عجب زوجها من بنات الاوس مجزية
ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزى الحرة المذكار احيانا قال الزجاج لا ادرى امولد
هذا البيت ام عربى وقيل معنى هذه الاية معنى قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
الاية وقاده المراد بالجزء الاصنام وفرعون وعيسى ومن عبد من دون الله سماه جزءا ندا فعلى هذا التاويل
تكون الكفرة فى امر الاصنام وفى امر الملايكة وعلى التاويل الاول فالاية كلها فى امر الملايكة ان الانسان
لكفور لجحود للنعمة مبين ظاهر جحوده لان نسبة الولد له واثبات الشريك له كفر والكفر اصل الكفران
كله ام اتخذ بل اتخذوا والهمزة للانكار وتجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله

من عباده جزءا حتى جعلوا له كل الجزء وشر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم ابغض خلق الله
الى الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كأنه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد
جائز ومما تمثلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاها
وترك له شرها وادناها قال تعالى انه رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه وذلك انه بين ان اثبات
الولد لله محال فان الولد لا بد وان يكون جزءا من الوالد وما كان له جزء كان مركبا ممكنا وبتقدير
ثبوت الولد يمتنع كونه بنتا لان الابن افضل من البنت فلو قيل انه اتخذ لنفسه البنات واعطى
البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال الاله وذلك محال ببديهة العقل
وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يهب لمن يشاء الذكور واذا
بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله
وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا
اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا
وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها او من ينشأ
قرا اهل الكوفة الا ابا بكر ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله والباقون
بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين والمعنى اجعل للرحمن من هذه الصفة المذمومة صفته
وهو انه ينشأ في الحلية اي يربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء
ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة
عليها وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا ابو عمرو واهل الكوفة عباد بالالف والباقون
عند الرحمن اناثا قد جعلوا في كفر ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله تعالى الولد ونسبوا الى الله
اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم عباد الرحمن المخصوصون بانواع الكرامات من الله
فاستخفوا بهم واحتقروهم ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث اشهدوا احضروا خلقهم وهذا
تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك
ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان شاهدوا خلقهم
فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا على الملائكة من انوثتهم ويسألون
وهذا وعيد **قوله تعالى** وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها

انا

انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه
آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
انه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي ما عبدنا الاصنام
وقيل ما عبدنا الملائكة وقيل لو شاء الرحمن ما امرنا بعبادتهم لعاقبنا والله امرنا بها قيل قالوا
استهزاء معناه لو لم يشأ لعذبنا عليه ما لهم بذلك بكون الملائكة بنات الله من علم دلالة
عقلية ان هم الا يخرصون يكذبون وقيل ما لهم بذلك من علم اي لم اعلمهم ما عندي من المشية في
ذلك قال صاحب الكشاف هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات وهما عبادتهم الملائكة من دون
الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة وما ذكره صاحب الكشاف في غاية
السقوط فان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون في عقبه يدل على ان ما قالوه غير
مستند الى علم والقول فيما يتعلق باصول الدين من غير علم باطل وصاحب الكشاف معترف بهذا ثم قال
فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين
قلت لا دليل على انهم كانوا مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل
الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا
الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق
الهزو لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل
انها كانت كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزو فان قالوا بجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزو
دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية
مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزوا لم يكن لقوله ما لهم بذلك من علم ان هم
الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزو كان الواجب ان ينكر عليه استهزاءه
ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم
ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعلق عبادتهم بمشية الله
قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا
آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ولقائل ان يقول قوله ما لهم بذلك من علم يصح
ان يكون دليلا على انهم قالوه على وجه الاستهزاء شاهده قوله تعالى في البقرة اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اما قوله على ان الله تعالى حكى عنهم على سبيل الذم الى قوله من قبل
انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزو فلقائل ان يقول ما نطقوا بالمحكيات قبل هذا المحكي على طريق
الهزو ولا يلزم من انهم اذا نطقوا بهذا المحكي على سبيل الهزو ان يكون نطقهم بالمحكيات قبله على طريق

الهزو فان المحكيات قبله كفر عقلا ونقلا وما هو كفر قطعا لا يتوقف الحكم عليه بانه كفر على ان يكون
النطق به على وجه الاستهزاء بخلاف هذا المحكي فان نقيضه كفر وهو عين الايمان وما هو ايمان يكون
النطق به على طريق الاستهزاء كفرا واما قوله فان قالوا فجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزو
دون ما قبله فانهم لا يعوج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية
مذهبهم الباطل فلقايل ان يقول نقيض هذا كفر وباطل لانه ثبت بالبرهان القطعي ان الكفر والايمان
والخير والشر والطاعة والمعصية بمشية الله تعالى واختياره واثبات خالق اخر لبعض الممكنات
كفر وضلال فالتسوية بين هذا المحكي والمحكيات قبله تعوج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبه الباطل واما قوله ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزوا لم يكن
لقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزو كان الواجب
عليه ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازيا فلقايل
ان يقول كل قول يعتبر فيه العلم اذا قال القايل وليس له علم به يعتبر قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ام اتيناهم
كتابا من قبله من قبل القران او من قبل الرسل والمعنى انهم عبدوا الاصنام والملايكة اتيناهم كتابا فيه
جواز عبادة الاصنام فهم به بذلك الكتاب مستمسكون اخذون عاملون ام استفهام انكار وقيل فيه تقديم
وتاخير تقديره اشهدوا خلقهم ام اتيناهم كتابا فيه ان الملايكة اناث بل قالوا بل لا حجة لهم يستمسكون
بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة دين من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد
كالرحلة للمرحول اليه وقيل على نعمة وحالة حسنة وانا على اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة
لمهتدون لمتبعون اي قلدوا اباهم من غير حجة قيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة وابي سفيان بن
حرب وابي جهل وعتبة وشيبة وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
متنعموها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم النعمة فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق
الدين وتكاليفه انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون هذه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم اي هذا داب كل قوم وان تقليد الاباء والكبراء داء قديم قل قرا ابن عامر قال على الخبر
وهي رواية حفص عن عاصم والباقون قل على الامر اولو جيتكم باهدى مما وجدتم عليه
اباءكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وجواب لو مقدر تقديره ايقيمون على دين اباءكم
والمعنى ان جميع الانبياء دعوا اممهم الى ترك التقليد قالوا اي المترفون انا بما ارسلتم به كافرون
وان جيتنا بما هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم اهلكناهم هلاك استيصال فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين الرسل **قوله تعالى** واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون

الا الذي

الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هاولاء
واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون واذ قال
ابرهيم لابيه وقومه واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء بري وهو مصدر كظماء
ولذلك استوي فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمونث وضع موضع النعت مما تعبدون
الا الذي فطرني قيل في محل النصب على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه
سيهدين وقيل في محل الجر على ان يكون بدلا من المجرور كانه قيل انني براء مما تعبدون الا من الذي
فطرني فان قيل كيف يجعل بدلا وليس من جنس ما تعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة
لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما تعبدون والثاني ان الله غير معبود بينهم والاوثان معبودة
اجيب بانهم كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وقيل الا صفة بمعنى غير على ان ما في مما تعبدون موصوفة
تقديره انني براء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فان قيل ما معنى قوله سيهدين على التسويف اجيب بانه قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فدلا على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها اي وجعل ابرهيم عليه السلام كلمة التوحيد
التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله عز وجل ويدعوا الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحدهم ونحوه ووصى بها
ابرهيم بنيه مجاهد وقتاده يعني لا اله الا الله وقيل يعني وجعل وصية ابرهيم التي وصى بها
يعقوب ابن زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين لعلهم يرجعون من كفرهم الى طاعته ويتوبون
بل متعت هاولاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا
بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد اي بل متعت هاولاء واباءهم في الدنيا
ولم اهلكهم ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق القران الصحايف الاسلام ورسول
مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات البينة التي بها الاعلام والاحكام وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر شيء لا ثبات له وقيل سحر حيلة خفية توهم معجزة وانا به
كافرون **قوله تعالى** وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون قال صاحب الكشاف
فان قلت قد جعل مجي الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر
فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع
عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين

تخييل بهذه الغاية انهم سهوا عندها عن غفلتهم لا مصابها السمع ثم ابتدا قصتهم عند مجي الحق فقال
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ... واهابهم التي كانوا عليها وهوانه ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة
الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على
حكمة الله تعالى في تخير محمد من اهل زمانهم وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين يعني
من احدى القريتين مكة والطايف عظيم ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة وكان يسمى ريحانة
قريش وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من الطايف مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل قتادة
الوليد بن المغيرة المخزومي وابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي ما زالوا ينكرون ان يبعث الله
بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاءوا بالانكار من وجه
اخر وهو تحكمهم ان يكون احد هؤلاء وقولهم هذا القران ذكر له على وجه الاستهانة وارادوا بعظم
الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن قولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما قال الله عز وجل
اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان
يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها والمتولين لقسمة الله التي لا يتولاها الا هو
باهر قدرته وبالغ حكمته اهم يقسمون رحمة ربك نبوته وكرامته فيجعلونها لمن شاءوا نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا قال صاحب الكشاف ثم ضرب
لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وجل هو الذي قسم
بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب
العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم
بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي يستسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل ويسخر منهم ليكون
بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا هذا بماله وهذا باعماله قاله قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا
فهذا عبد هذا وقيل يسخر بعضهم من بعض وقيل يستخدم بعضهم بعضا حتى يتعايشوا ويترافدوا ويحصلوا
على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لتضايعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر المعيشة
الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى
ورافته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الاخرة والسلم الى الحلول دار السلام ثم قال ورحمة
ربك يريد وهذه الرحمة وهو دين الله وما يتبعه من الفوز في الماب خير مما يجمعها ولا من حطام
الدنيا **قوله تعالى** ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك

لما متاع

لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ولولا ان يكون الناس امة واحدة
اي مجتمعين على اختيار الدنيا على الاخرة وقيل مجتمعين على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكون بمنزلة اللام في قولك وهبت له ثوبا لقميصه
سقفا من فضة قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين على الواحد ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم
السقف من فوقهم والباقون بضم السين والقاف على الجمع ومعارج مصاعد ومراقي ودرجا
وسلالم ومعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح
يعلونها فقال ظهرت على السطح اذا علوته ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا اي وجعلنا
لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب نظيره بيت من زخرف ويجوز ان يكون معناه من فضة وزخرف
فلما نزع الخافض نصب وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا شدده عاصم وحمزة وهشام هنا
بخلاف عنه على معنى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وخففه الباقون على معنى وكل ذلك
واللام حينئذ هي الفارقة بين ان المخففة والنافية لما قال حذرا مما يجعلون فعلا امر الدنيا
وصغرها اردفه ما يقلل قدر الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة قال
صاحب الكشاف اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة
الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا وزينة
من كل شي والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها
من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **قوله تعالى**
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ومن يعش يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم يرج
ثوابه وقيل ومن يعش يعم عن ذكر الرحمن اي القران لقوله صم بكم عمي العرضي بولظهر عن القران
وقيل من لم ينظر في حجج الله بالاعراض منه عنها الا نظرا ضعيفا وقيل يعشوا عنه لاطلاعه عليه
لجهله ومعنى عشوت الى الشي نظرت اليه ببصر ضعيف وكان القياس الى ذكر الرحمن فقيل لان
المعنى حدث له العشو عن ذكر الرحمن وفيه ضعف الا ان يحمل على ترك ذكر الرحمن وقيل عن ذكر
الرحمن عن معرفة الله وطاعته لانه لم يذكره الا من عرفه ولطاعه وقيل يحتمل ان المراد به من ترك
فهمه واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن نقيض اي نضم اليه ونسلطه فهو له قرين
وانهم اي وان الشياطين ليصدونهم يعني الكافرين عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى

اذا جاءنا قراء اهل العراق الا ابا بكر على الواحد يعنون الكافر وابا قوت جاءنا على التثنية
اى الكافر وقرينه قال الكافر للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اى المشرق والمغرب فغلب
كما قيل العمران والقمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء لقوله تعالى رب
المشرقين ورب المغربين وبعد المشرقين تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق
فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما فبئس القرين ابو سعيد الخدرى اذا بعث
الكافر زوج بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم فى الاخرة
اذ ظلمتم اشركتم فى الدنيا انكم فى محل الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم فى العذاب مشتركين
كما ينفع الواقعين فى الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه
وذلك ان لكل واحد منكم من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمنى فى قوله يا ليت
بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمنى مباعدة القرين وقوله انكم فى العذاب
مشتركون تعليل اى لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم فى العذاب كما انتم
مشتركون فى سببه وهو الكفر وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لانكم انتم وقرناؤكم
مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر **قوله تعالى** افانت تسمع الصم
او تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد
روحه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر تماديا فى الغى اى لا يضيق
صدرك فان من سبق علم الله بكفره واراد الله كفره وحقت عليه كلمة العذاب لا يسمع ولا يهتدى
فانهم صم عمى وانت لا تسمع الصم ولا تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين والهمزة للانكار انكار التعجب
من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم فاما نذهبن بك ما فيه عن لام القسم فى انها اذا
دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فاما نذهبن بك فنقبضنك الينا قبل ان نبصرك عليهم
ونشفى صدور المؤمنين منهم وقيل ان نريك ما نعدهم من العذاب فانا منهم منتقمون اشد الانتقام
فى الاخرة لقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وقيل فانا منهم منتقمون بعد موتك الحسن الله اكرمه
بان لم يره تلك النقمة وقيل واما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر او نرينك الذى
وعدناهم من العذاب المدرك بهم يوم بدر فانا عليهم مقتدرون قيل اراد به المشركين يعنى
فى حياتك فانتقم منهم يوم بدر الحسن وقتادة عنى به اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه
وسلم وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم وذهب به ولم يره فى امته الا الذى تقر به عينه وابقى النقمة بعده وليس من نبى الا قد راى النقمة فى امته

الله

الله **قوله تعالى** فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه
لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون والمعنى وسوا جعلنا لكل لتنصروا الظفر والانتقام او اخرناه
الى اليوم الاخر فاستمسك بالذى اوحى اليك اى بالقران وان تلوته حق تلاوته واستمسك باوامره
واجتنب نواهيه انك على صراط مستقيم فانه الصراط المستقيم الذى لا يحيد عنه الا ضال
شقى وزد كل يوم صلابة فى المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شئ من اللين والرخاوة
فى امرك ولكن كما يفعل الثابت الذى لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تاخيره وانه وان الذى
اوحى اليك لذكر لشرف لك ولقومك من قريش نظيره قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
شرفكم وسوف تسئلون عنه يوم القيامة وعن حقه واداء شكره على ان رزقتموه وخصصتم به
من بين العالمين عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى ملك فقال
فقال يا محمد واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا قال قلت على ما بعثوا فقال
على ولايتك وولاية على بن ابى طالب واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا سمينا
وحكمنا من دون الرحمن سوى الرحمن الهة يعبدون مع الله وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم وهو لم يسالهم لانه اعلم منه وليس المراد سؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه
مجاز من النظر فى اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه
نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه انهم يعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الاية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا
عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسالة الشعراء الديار والرسوم والاطلال
وقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك
اعتبارا وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع الانبياء عليهم السلام ليلة الاسرى فى بيت المقدس
فامهم وقيل له سلهم فلم يشك ولم يسال وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية
والانجيل وعن الفراء انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبياء ما اجابوه به عنك
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب
العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها
واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا
لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس لى
ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد

بيبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه
فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم
سلفا ومثلا للاخرين المقصود من اعادة قصة موسى وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام
الذي قد تقدم وذلك ان كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيرا
عديم المال والجاه فبين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة التي
لا شك في صحتها اورد فرعون عليه هذه الشبهة التي اوردها كفار قريش فقال اني غني كثير المال
والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي واما موسى فانه فقير مهين
وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير الغني فثبت ان هذه
القصة تقرر احد الامرين احدهما ان الكفار والجهال ابدا يحتجون على الانبياء بهذه الشبهة التي
التي ذكرها كفار مكة وهي قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقد اوردها
بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم والثاني ان فرعون على غاية علوه في الدنيا صار
مقهورا فيكون الامر في حق اعدائك هكذا ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي المعجزات التي كانت
مع موسى الى فرعون وملائه فقال موسى اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم
منها يضحكون ويستهزئون ويكذبون ويقولون انها سحر وتخييل واذا للمفاجاة وانما جاز ان يجاب
لما باذا المفاجاة لان فعل المفاجاة معها مقدور وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم
باياتنا فاجؤا وقت ضحكهم وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها قرينتها وصاحبتها التي
كانت قبلها قال صاحب الكشاف فان قلت جاء تم اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي
فضلت عليها في الكبر من بقية الايات قلت اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها
وكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل التفصيل والاستقرا واحدة بعد واحدة كما
تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم اذا قرنتهم رجلا رجلا
فان قلت فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون
كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر
لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلهم فيه
التفاوت اليسير ان تختلف اراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنا
الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت اراء الرجل الواحد فيها
فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقول لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما

ابصرت

ابصرت مراتبهم متدانية قلت التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها واخذناهم بالعذاب بالسنين ونقص من الثمرات وغيره لعلهم يرجعون عن كفرهم
على سبيل الوجوب قال صاحب الكشاف ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت
لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامر به ويطلب منه احداثه فان كان
ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما
لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه وهذا بناء على اصله الفاسد وقد عرفت
ان الارادة غير الطلب وان الايمان والكفر والخير والشر والطاعة والمعصية كلها بارادة الله
تعالى ولو اراد الله رجوعهم لرجعوا وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك اي قال فرعون وقومه
لما عاينوا العذاب لموسى عليه السلام يا ايها الساحر العالم الكامل الحاذق وانما قالوا هذا تعظيما
وتوقيرا منهم له عليه السلام لان السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها
الذي غلبنا بسحره يقول العرب خاصمته فخصمته اي غلبته بالخصومة وناضلته فنضلته ويحتمل انهم
ارادوا به الساحر على الحقيقة عيبا منهم اياه بذلك رجاء ان يؤمنوا ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا فسله يكشف عنا اننا لمهتدون مؤمنون
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا
لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون
وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من
ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة
او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ينقضون
عهدهم ويصرون على كفرهم ويتمادون في غيهم ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا للنداء وموقعا
له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع
الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر
عنه في جموع القبط وكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت
جناني وبساتيني قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريري لارتفاعه وعن ابن عباس حولي وعن
[illegible] وملكي الحسن تجري بامري ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري
نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ افلا تبصرون ملكي وقوتي وقيل

حسبي الله وكفى
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابا
عفي عنه

افلا تبصرون فذلك وبحر موسى اما انا خير اكثر المفسرين على ان ام بمعنى بل وليس بحرف عطف معناه انا خير
وقال الفراء وقوم من اهل المعاني الوقف على قوله وعنده تمام الكلام وفي الاية اضمار تقديره افلا تبصرون
ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير يعني موسى عليه السلام وقيل تقديره
افلا تبصرون اني خير ام انتم بصراء ثم استانف فقال انا خير قال صاحب الكشاف ام هذه متصلة
لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت
خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على كل انا خير
منه والهمزة للتقرير وذلك انه قدم اسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته
ونادى بذلك وملائه مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي
من هذا الذي هو مهين وقيل ويحتمل ان التقدير اهو خير من هذا الذي له ملك مصر والانهار تجري
من تحته ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين يفصح بكلامه ومحنة لعيبه والرتة التي في
لسانه يريد انه ليس معه من العدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت
به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبيا كلهم ابيناء بلغاء فلولا القي عليه ان كان صادقا
اسورة اقلبة واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد
الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب قرا حفص اسورة جمع اسوار والباقون اساورة
بالالف على جمع الاسوره وهو جمع الجمع مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق
من ذهب ليكون ذلك دلالة لسيادته وعلامة لرياسته فقال فرعون هلا القي رب موسى عليه
اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين
له لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة ٤
الاعضاد واعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده
وانصاره فاستخف قومه القبط اي طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الاسراع اليها فاطاعوه وقيل
استخف قومه عمل فيه كلامه فخففوا في طاعته وقيل استجهلهم فاطاعوه وقيل وجدهم جهالا فاطاعوه
وقيل فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم ولذلك استفز من قولهم للخفيف
فز فلما اسفونا اغضبونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاة
رحمة للمومن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم
عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم الحسين ابن الفضل خالفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
فجعلناهم سلفا قرا حمزة والكسائي بضم السين واللام قال الفرا جمع سليف اي فريق قد سلف وحكى
عن القاسم بن معن انه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس والباقون بفتح السين واللام جمع سالف

مثل

مثل حارس وحرس وراصد ورصد وخادم وخدم وهما جمعا الماضون المتقدمون من الامم فجعلناهم
قدوة للاخرين من الكافرين يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم
ومثلا وعبرة وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون وقيل
عبرة للاخرين لمن يجي بعدهم وقيل سلفا لكفار هذه الامة **قوله تعالى** ولما ضرب ابن مريم
مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض
يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين انه تعالى ذكر انواعا كثيرة من كفرانهم في هذه السورة واجاب عنها
بالوجوه الكثيرة فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها وقالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه الاية ولما ضرب ابن مريم مثلا في خلقه من غير اب
فشبه بادم في خلقه من غير اب ولا ام اذا قومك منه يصدون ويقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده
ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى الها وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله ابن الزبعرى
مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام وقد ذكر قصته في الانبيا والمعنى ولما ضرب
عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من
اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعبوا بحجة ثم فتحت
عليهم قرا اهل المدينة والشام وجماعة من الكوفيين بضم الصاد اي من اجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة والباقون بكسر الصاد قال الكسائي هما
لغتان مثل يعرشون ويعرشون ويعكفون ويعكفون ودرت الشاة تدر وتدر وشد عليه يشد
ويشد ونم الحديث ينمه وينمه ابن عباس معناه يضجون وقالوا ءالهتنا خير ام هو وحاده يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبد محمدا ونطيعه ونترك الهتنا السدي وابن زيد ام هو يعنون عيسى
قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا مع عزير والملائكة
وعيسى في النار وقيل وقالوا ءالهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى
فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل الا جدلا اي
لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لذا شداد الخصومة
دابهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله وما تعبدون من دون الله ما اريد به الا الاصنام

ومحال ان يقصد الانبيا والملائكة لان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه وخبث دخلته لما راى كلام
الله محتملا لفظه وجها للعموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف
معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق المحك والجدال وحب المبالغة والمكاشرة فتوقح
في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون فدل به على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد
الملائكة فنزلت وقوله الهتنا خير ام هو على هذا القول تفضيل لالهتهم على عيسى لان المراد بهم
الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني الهتنا خير ام هو الا للجدل وقرا عاصم
وحمزة والكسائي استفهام بهمزتين الثانية مطولة والباقون استفهاما واحدا وعنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم قالوا اما قلنا بدعا
من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف
منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى
شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل ان هو
ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا
ادم وشرفناه بالنبوة وجعلناه صيرناه مثلا عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء
لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في
الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى ابن مريم من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة
ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وقيل
ولو نشاء لجعلنا لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون يكونون خلفا منكم فيعمرون
الارض ويعبدونني ويطيعونني وانه اي وان عيسى لعلم للساعة بنزوله يعلم قيام الساعة اي شرط
من اشراط الساعة يعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم ويستدل بنزوله على ذهاب الدنيا واقبال الاخرة
وفي الحديث ينزل عيسى ابن مريم على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه
دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة العصر والامام يؤم بهم
فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل وانه اي وان القران
ومعنى الاية وان القران لعلم للساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن من المرية وهي الشك اي فلا تشكن

بها اي فيها واتبعون اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يصدنكم يصرفنكم الشيطان عن عن دين الله انه لكم عدو مبين قد ابانت عداوته اذ اخرج اباكم من
الجنة ونزع عنه لباس النور **قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم ولما جاء عيسى بالبينات
بالمعجزات او بايات الانجيل قال عيسى لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة بالنبوة وقيل بما يفصل بين الحق والباطل
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه من احكام التورية فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي
خالقي وربكم خالقكم ورازقي وانا عبد مخلوق محتاج الى الرزق فاعبدوه هذا صراط مستقيم يجوز ان يكون
من تمام كلام عيسى ويجوز ان يكون استينافا من الله تعالى فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة بعد
عيسى وقيل اليهود والنصارى من بينهم من بين النصارى وقيل فيما بينهم وقيل من بين اليهود
والنصارى وقيل من زائدة وقيل من بينهم من عند انفسهم لم يؤمروا به وقيل الاحزاب هم
الذين امنوا به اي اختلف الاحزاب من بين الناس فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب ظلموا اكفروا
بايته في سورة مريم من عذاب يوم اليم اي يوم القيمة **قوله تعالى** هل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها
خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون هل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم فان قيل اما ادى قوله بغتة مودى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه اجيب بانه
لا معنى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه اجيب بانه لا لان معنى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم
بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تاتيهم بغتة وهم يتفطنون الاخلاء على المعصية
في الدنيا يومئذ يوم القيمة منصوب بعدو اي ينقطع ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات
الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا
ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين المتحابين في الله على طاعة الله المحصين
الاخلاء السوء عن علي كرم الله وجهه قال في هذه الاية خليلان مومنان وخليلان كافران فمات
احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني
عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات
خليله المومن جمع الله بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بطاعتك

وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول نعم الاخ ونعم الخليل
ونعم الصاحب قال ثم يموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة
رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل
وبئس الصاحب وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي حكاية لما ينادى به
المتقون اي يقال لهم يا عباد المتقين المتحابين في الله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
الذين امنوا منصوب صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين
مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد
فينادي مناد يا عباد فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس الناس منها غير المسلمين
ادخلوا الجنة وقيل الذين امنوا هذا مبتدأ ادخلوا الجنة خبره اي يقال لهم ادخلوا الجنة وقيل الذين
امنوا صفة للمتقين وقيل مبتدأ اخر ويطاف عليهم خبره وقوله ادخلوا الجنة وقيل الذين امنوا صفة
للمتقين وقيل مبتدأ اخر ويطاف عليهم خبره وقيل ادخلوا الجنة متصل بقوله يا عباد وهو اعتراض بين
المبتدأ والخبر والمبتدأ اعتراض بين المنادى والمنادى له انتم وازواجكم قيل الحور وقيل النساء
المسلمات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم وقيل تكرمون اكراما بالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف جمع
صحفة اي فيها طعام من ذهب اي صحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو الكوز لا عروة له اي
من ذهب ايضا وفيها اي وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهذا حصر لانواع النعم
لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون قال المفسرون جمع هاتين اللفظتين ما لو اجتمع
الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه وتلك اشارة الى الجنة المذكورة في قوله ادخلوا
الجنة وهي مبتدأ والجنة التي بعدها خبره التي اورثتموها صفة للجنة وقيل الجنة صفة للمبتدأ اعني
تلك التي اورثتموها خبر المبتدأ وقيل التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف
كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث
الباقي على الورثة لكم فيها فاكهة كثيرة تعلقون بها بعد الطعام والشراب منها اي ما اشتهيتم منها
تاكلون وهذا رد على من زعم ان لا اكل في الجنة عن ثوبان رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت الله مكانها مثلاها من للتبعيض اي
لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة
من ثمرها كما في الدنيا **قوله تعالى** ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم

ماكثون

ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون لما ذكر الوعد للمتقين
اردفه بالوعيد للمجرمين ان المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم ولا يخفف عنهم ولا ينقص
من قوتهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه في العذاب مبلسون
ايسون والمبلس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم اي المشرك في تابوت
من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين
انفسهم بكفرهم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين ونادوا يعني المجرمين يا مالك خازن النار
ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا اي ليمتنا ربك فاستريح
فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون لابثون مقيمون في العذاب ابدا لا تتخلصون عنه
لا بموت ولا فتور وقيل هذا تمن منهم لا طمع لانهم يعلمون انه لا خلاص لهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل اي جاءكم
رسلنا بالحق المحض الذي لا باطل معه ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا مالكا ان يسال
الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون
لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا عدل عن الخطاب الى الغيبة والمعنى
ام ابرموا ام احكموا يعني مشركي مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون
محكمون كيدا بهم ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون
فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم الذي حدثوا به
انفسهم وغيرهم في مكان خال ونجواهم الذي تكلموا به فيما بينهم بلى نسمع سرهم ونجواهم ونطلع عليهما
ورسلنا ايضا لديهم يكتبون يعني الحفظة وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها
للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق
قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول العابدين
فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم
ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب
فيه والا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد

وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها وقيل معناه ان كان للرحمن ولد في زعمكم وقولكم فانا اول الموحدين المؤمنين بالله في تكذيبكم والجاحدين ما قلتم من ان له ولدا ابن عباس يعني ما كان للرحمن ولد وانا اول الشاهدين له بذلك والعابدين له جعل ان بمعنى النفي والجحد يعني ما يكون وما ينبغي له ولد ثم ابتدا فانا اول العابدين وقيل فانا اول الآنفين وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول من يعبده كذا الولد ولكن ليس له ولد وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اعبد الله على هذه الصفة لكن ليس له ولد ولم يثبت فليس الى اعتقاده سبيل وهذا تعريض للكلام كما قال وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فالسيد ولد وهذا الوجه مطابق لظاهر اللفظ موافق للحق ولا محذور فيه وهذا كما يقال ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة متساويين لكن لم ينقسم الخمسة متساويين فلم يكن زوجا سبحان رب السموات والارض رب العرش عن اتخاذ الولد ليدل على ان اتخاذ الولد من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امرهم فذرهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض في الباطل واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من الذين ختم الله على قلوبهم واضلهم ومن يضلل الله فلا هادي له

قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت جواد في طي وجواد في تغلب والمعنى وهو المعبود الذي يعبد في السماء ويعبد في الارض وفيه نفي الالهية التي تعبد في الارض وهو الحكيم في تدبير خلقه على احسن الوجوه العليم بصلاحهم

قوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون تبارك اما ان يعتبر فيه معنى الثبات والبقاء واما ان يعتبر فيه كثرة الخير وعلى التقديرين لم يكن بين عيسى وبينه تعالى مجانسة ومشابهة اما الاول فلانه تعالى دائم البقاء واجب الوجود وعيسى لم يكن كذلك فلا يكون بينهما مجانسة واما الثاني فلانه من خيراته خلق السموات والارض وما بينهما ولم يكن عيسى كذلك فلا يكون مجانسا له فلا يكون ولدا وعنده علم الساعة لما شرح كمال قدرته شرح كمال علمه فقال وعنده علم الساعة والمقصود التنبيه على ان من كان كاملا في ذاته وقدرته وعلمه امتنع ان يكون من هو عاجز قاصر في العلم ولدا له واليه ترجعون قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء من تحت والباقون بالتاء

قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون قيل اراد بالذين

يدعون

يدعون عيسى وعزيرا والملائكة ومن في محل الخفض ومعنى الاية ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الشفاعة الا لمن شهد بالحق فآمن على علم وبصيرة وقيل اراد بالذين يدعون الاوثان والمعبودين من دون الله ومن في محل الرفع والمعنى ولا يملك المعبودون من دون الله الا من شهد بالحق وهم عيسى وعزير والملائكة يشهدون بالحق وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به

قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون اي ولئن سالت يا محمد العابدين وقيل المعبودين وقيل هما جميعا من خلق العابدين وقيل المعبودين وقيل هما جميعا ليقولن الله فانى يؤفكون يصرفون عن الحق الى الباطل وقيل فانى يكذبون والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق المعبودين والعابدين هو الله فكيف اقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة المخلوق اصناما او غيرها

قوله تعالى وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قرا عاصم وحمزة وقيله بكسر اللام على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله وهذا العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم والباقون بفتح اللام والاوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون والضمير في قيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه فاصفح عنهم فاعرض عنهم وعن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل سلام اي تسلم منكم ومتاركة وقيل معروف ثم نسخ بالقتال وقيل قد يكون ذلك مع الامر بالقتال على حسب اختلاف الاحوال وقيل قل ما تسلم من شرهم ودعهم وقيل هو ما ندب اليه في مواضع كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقيل من شان العرب ختم كل امر يبلغون اخره بالسلام كانهم يقولون ابينا ما اردنا وتخلصنا منه والسلام فقل سلام فسوف يعلمون وعيد لهم من الله وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم قرا اهل المدينة والشام بالتاء من فوق والباقون بالياء

سورة الدخان مكية

وهي الف واربعمائة واحد وثلثون حرفا وست واربعون كلمة وتسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم

موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباىكم الاولين بل هم في شك يلعبون
الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتدا
المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها والكتاب المبين القران انا انزلناه جواب القسم
في ليلة مباركة ليلة القدر رواه عن ابن زيد هي ليلة القدر انزل الله تعالى القران في ليلة القدر
من ام الكتاب الى السماء الدنيا ثم انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والاعوام وقيل
هي ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك ان
البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة لذلك الله عز وجل يكتب لعباده المومنين
البراة في هذه الليلة عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا يومها فان الله عز وجل ينزل لغروب الشمس
الى السماء الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا
حتى يطلع الفجر وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في ليلة القدر ماية ركعة ارسل الله له ماية ملك ثلثون
يبشرونه بالجنة وثلثون يومنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة
يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع
المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او مصر على الزنا وما اعطي فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان
في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر
فاعطي الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله تعالى في هذه
الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر
لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملايكة
والروح فيها باذن ربهم وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر في اكثر الاقاويل
في شهر رمضان انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما
جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار
والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور
الحكمية وهذه الليلة مفرق فيها كل امر حكيم يفرق كل امر حكيم محكم الحسن ومجاهد وقتادة
يبرم في ليلة القدر من شهر رمضان كل اجل وعمل ورزق وما يكون في تلك السنة ابو عبد الرحمن
السلمي يدبر امر السنة في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا وقيل امرا نصب على الاختصاص

جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا
الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر
الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر
والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشي وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد
الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه امرين امرا ومن ضمير المفعول اي انزلناه
في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل انا كنا مرسلين قيل بدل من قوله انا كنا منذرين
رحمة من ربك مفعول له على معنى انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب
الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وقيل تعليل لقوله يفرق اي يفصل في هذه الليلة كل امر وتصدر
الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وجل لان المقصود في تكليف العباد
تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان
الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين انه هو السميع العليم وما بعده تحقق لربوبيته وانها لا تحق
الا لمن هذه اوصافه رب السموات والارض قرا اهل الكوفة رب السموات بالجر بدلا من ربك
والباقون بالرفع على انه بدل من قوله هو السميع العليم وقيل هو مبتدا ان كنتم موقنين كانوا
يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب
ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون انه رب السموات
والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس
بكرمه واشتهر سخاوه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم
ورب اباىكم الاولين بل هم في شك يلعبون ثم رد الله تعالى ان يكونوا موقنين بقوله
بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط
بهزء ولعب قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول
مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون يوم نبطش
البطشة الكبرى انا منتقمون فارتقب فانتظر ويقال ذلك في المكروه والمعنى فانتظر
يا محمد عذابهم فحذف مفعول فارتقب لدلالة ما ذكر بعده عليه وهو قوله هذا عذاب اليم وقيل
يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته فارتقبته نحو نظرته فانتظرته بدخان مبين
عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال

يا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص في قوله تعالى يوم تأتي السماء بدخان مبين انه
دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم ويأخذ المؤمنين
منه شبه الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم
شيئا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم ان الله سبحانه قال لنبيه قل ما أسألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكلفين وسأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم سبع سنين كسني يوسف فأصابهم
من الجهد والجوع ما أكلوا العظام والميتة والجلود وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السما فلا يرون
الا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جئت
تأمرنا بالطاعة وصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع لهم فانهم لك مطيعون قال الله تعالى انهم
قالوا ربنا اكشف عنا العذاب فدعا فكشف عنهم فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر
فهذه خمس قد مضين الدخان والدم والبطشة واللزام والروم وقيل بل هو دخان يجيء قبل قيام
الساعة فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى تكون كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه
كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس له خصاص قال ولم يأت بعد وهو آت
وهذا قول ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي يدل عليه ما روي عن ربعي بن حراش قال سمعت
حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول
الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة
أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره
عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت
قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان
وعذاب أليم الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي
قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب قال الله تعالى أنى لهم الذكرى
أنى لهم أن يتذكروا ويتعظوا بعد نزول البلاء وحلول العذاب والمعنى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون
بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من

كشف

كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات
من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا
لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قالوا انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
الى كفركم فاده عائدون في عذاب الله وقيل عائدون اي ربما نكشف عنكم العذاب تعودون
الى شرككم لا تلبثون عقيب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال واذا أتت السماء
بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وعجوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون
ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى وهو يوم بدر انا منتقمون الحسن هو يوم القيامة وروى
عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وانا أقول يوم القيامة انا
منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم يوم نبطش منصوب بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك اليوم **قوله تعالى** ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدوا الي عباد الله اني لكم رسول أمين وان لا تعلوا
على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم
جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك
وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين لما بين ان كفار مكة يصرون
على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين أيضا كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة في قوم فرعون
ولقد فتنا اي امتحنا ووسعنا على قوم فرعون في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي
واقترافهم الآثام وقيل ابتليناهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان
وقيل فتنا قبلهم قوم فرعون اي سلبناهم ملكهم وأغرقناهم وجاءهم رسول كريم على الله وعلى المؤمنين
وهو موسى بن عمران وقيل شريف وسط في قومه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه
وكرامهم ان أدوا هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانهم
لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وقيل هي المخففة من الثقيلة والمعنى وجاءهم
بأن الشأن والحديث أدوا وادفعوا الي عباد الله يعني بني اسرائيل ولا تعذبوهم فقوله عباد
الله مفعول به أدوهم الي وأرسلوهم معي كقوله أرسل معنا بني اسرائيل وقيل يجوز ان يكون
نداء لعباد الله على أدوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع

سبيلي انى لكم رسول امين تعليل لقوله ادوا الى عباد الله امين على الوحي غير متهم في اراده
الخير لكم وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها لا تعلوا لا تستكبروا على الله بالاستهانه
برسوله ووحيه وقيل لا تستكبروا على نبي الله وقيل ولا تطغوا وتعلوا على الله بمعصيته
وبمخالفة امره انى اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة في نفسه واضح موضح لدين الله الذى
هو الصراط المستقيم فتوعدوه بالقتل فقال وانى عذت التجأت الى ربى وربكم ولذت به
وتوكلت عليه ان ترجمون من ان تعدون رجما بالحجارة وقيل من ان تشتموني وتنسبوني الى السحر
وقيل عذت بالله من ان ترجموني فلا تقدرون على قتلي من قوله لا تخافا انني معكما وقيل مجاز قوله
عذت بربي نشدتك الله واقسمت عليك ان تفعل كذا وقيل انى عائذ بربى وربكم متوكل عليه يعصمني
منكم ومن كيدكم غير مبال بما كنتم توعدونني من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لي وان لم تصدقوني فيما اخبركم
به عن الله فاعتزلوني ففارقوني وخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان واليد وقيل يريد ان لم تؤمنوا لي
فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي
ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه
شاكيا قومه ان هؤلاء اى دعا ربه بان هؤلاء قوم مجرمون مشركون قيل كان دعاؤه اللهم
عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله
السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين فاسر بعبادى فيه القول مضمر بعد الفاء
فقال اسر بعبادي وقيل فاسر جواب شرط محذوف كانه قيل ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى
اى فاسر ببني اسرائيل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين
واترك البحر رهوا واترك البحر اذا قطعته انت واصحابك رهوا ساكنا على حاله وهيئته قال
الاعشى   يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل   اى مشيا ساكنا
على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا
على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا
ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عز وجل عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض
العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله
منفرجا انهم جند مغرقون مهلكون بالماء بعد خروجكم من البحر كم تركوا كم عبارة عن الكثرة
من جنات بساتين كثيرة الاشجار وعيون انهار جارية بالماء سعيد بن جبير عيون الذهب وزروع
فنون الاقوات والوان الاطعمة اى كانوا اهل ريف وخصب خلاف حال العرب ومقام
مجلس كريم شريف وانما سماه كريما لانه مجلس الملوك مجاهد وسعيد بن جبير هي المنابر قتادة كريم

حسن

حسن ونعمة تنعم في عيش كانوا فيها فاكهين لاعبين لاهين ناعمين فكهين اشرين بطرين معجبين
كذلك كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما
اخرين ليسوا في شيء منهم من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مسخرين
مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم وقيل الكاف
في كذلك في محل الرفع على الامر كذلك فما بكت عليهم السماء والارض اذا مات رجل خطير
قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس
والمؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا عطاء بكاؤها حمرة اطرافها
السدي لما قتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها محمد بن سيرين
قال اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين سليم القاص مطرنا دما ايام
قتل الحسين عن انس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا وله
بابان في السماء باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله وكلامه فاذا مات فقداه
وبكيا عليه وتلا هذه الاية فما بكت عليهم السماء والارض وذلك انهم لم يكونوا يعملون
على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولا تصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب
ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدأ غريبا
وسيعود غريبا الا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت
عليه السماء ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال
انهما لا يبكيان على الكافر وقال جرير   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا   وقالت
الخارجية   ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف   وذلك
على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط
رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض ~~وعن الحسن فما بكى~~
فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السماء والارض وعن
الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل
السماء واهل الارض وما كانوا منظرين مؤخرين عن العذاب ولا طرفة عين مقاتل لم ينظروا
بعد الايات التسع اى لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر ولم يمهلوا الى الاخرة بل عجل
لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين اى استعباده اياهم واستخدامه
لهم وقتله اولادهم من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا

لافراطه في تعديسهم واهاستهم وقيل من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون انه كان
عاليًا متكبرًا من المسرفين **قوله تعالى** ولقد اخترناهم على علم على العالمين
واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين ۵ ولقد اخترناهم يعني موسى وبني اسرايل
على علم في موضع الحال اى عالمين بمكان للخيره وبانهم احقاء بان يختاروا او يجوز ان تكون المعنى
مع علمنا بانهم يزيغون ونفرط منهم الفرطات في بعض العالمين على العالمين يعني عالمي زمانهم
وقيل على الناس جميعًا لكثرة الانبيا منهم واتيناهم من الايات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الايات العظام التي لم يظهرها الله في غيرهم مثلها ما فيه
اى اتيناهم معجزات موسى وساير انبيا بني اسرايل ما فيه بلاء نعمة مبين ظاهر لان الله
تعالى سالوا بالنعمة كما سالوا بالمحنة فاده نعمة بينة حتى فلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وانزل
عليهم المن والسلوى ان زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة ۵
قوله تعالى ان هاولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين
فاتوا باباينا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم
كانوا مجرمين ان هاولا يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى انه قيل
لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبها حيوة وذلك قوله تعالى وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها
ان تعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها
الموتة من تعقب الحياة لها الا الموتة الاولى خاصة فلا فرق بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا
في المعنى وما نحن بمنشرين بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا
باباينا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين ان كنتم صادقين انا نبعث احياء بعد الموت فعجلوا لنا احياء من ابايننا
بسوالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل
كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم
في المنازل ومعاظم الشوون وقيل لم يحيهم الله لان وعدهم وانما لم يحيهم لان البعث الموعود
انما هو في دار الجزاء يوم القيمة والذي كانوا يطلبونه بعث في الدنيا وحالة التكليف وبينهما
تغاير اهم خير ام قوم تبع فاده هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبني سمرقند
وكان اذا كتب كتابا كتب باسم الذي ملك برا وبحرا وضحا وريحا وذكر ان كعبًا يقول ذم الله قومه
ولم يذمه وكانت عايشة تقول لا تسبوا تبعًا فانه كان رجلا صالحًا قال سعيد بن جبير

هو الذي

هو الذي كسي البيت عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا تسبوا تبعًا فانه كان قد اسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
ادري تبع نبيًا كان او غير نبي وقيل نظر الى قرين شاحبه حمير هذا وسمي الظل لانه يتبع
الشخص ومعنى قوله اهم خير في القوة والمنعة لقوله عز وجل اكفاركم خير من اولائكم بعد
ذكر ال فرعون وفي تفسير بن عباس رضي الله عنهما اهم اشد ام قوم تبع والذين من قبلهم
من الامم الخالية اهلكناهم انهم كانوا مجرمين يجوز ان يكون اهلكناهم خبرا عن الذين من قبلهم
ويجوز ان يكون استيناقا فاتعود الى قوم تبع والذين من قبلهم فيكون التقدير اهم خير ام قوم تبع
والذين من قبلهم خير انهم كانوا مجرمين كافرين ينكرون البعث **قوله تعالى**
~~وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين لاعبين عابثين لاهين~~
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين الجنسين لاعبين عابثين لاهين ما خلقناهما الا بالحق قيل
بسبب الحق وقيل للحق وهو الجزا والحساب وذلك يقتضي البعث والنشور وقيل الباء للحال
اى محقين وقيل بالحق ضد اللعب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله خلق لذلك **قوله تعالى**
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون الا
من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان يوم الفصل يعني يوم القيمة يفصل بين
المحق والمبطل وقيل يفصل بين الولد ووالده والرجل وزوجته والمرء وخليله ميقاتهم
اجمعين وقت موعدهم كلهم يوم لا يغني لا يدفع ولا يمنع مولى كان من قرابة او غيرها عن اى
مولى كان من اعتداى فلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ
على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اى لا يمنع
من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينصب على الاستثنا انه هو العزيز على اعدايه الرحيم
لاوليايه **قوله تعالى** ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون
كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك
انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون روى انه لما نزل اذلك خير نزلا ام
شجرة الزقوم قال بن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر الزقوم فدعا ابو جهل
بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
الفاجر الكثير الاثام وعن ابي الدرداء انه كان يقري رجلا فكان يقول طعام اليتيم فلما اكثر
عليه ابو الدرداء قوله طعام الاثيم وراه لا يفهم قال قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر

بأهذا او بهذا تستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جايز اذا كانت مودية معناها ومنه اجاز
ابو حنيفة القراة بالفارسية على شريطة وهي ان تودى القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم
منها شيئا قالوا وهذه الشريطة انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي
هو معجز لفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية
لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه
عن تحقيق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار
القراة بالفارسية كالمهل اي دردي الزيت يدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت
وردة كالدهان وقيل هو ذايب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر يغلي في البطون قرا ابن
كثير وحفص بالياء من تحت يغلي على ان يكون الفعل للمهل والباقون بالتاء لتانيث الشجرة كغلي الحميم
اي غليا كغلي الحميم اي الماء الحار الذي قد انتهى غليانه خذوه ثم يقول الله للزبانية خذوه اي الاثيم
فاعتلوه سوقوه وادفعوه الى النار يقال عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالعنف والرفع والجذب
وقيل قودوه بعنف وغلظة وهو ان يوخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو
الغليظ الجافي قرا ابو عمرو واهل الكوفة بكسر التا والباقون بضم التاء اي سواء الجحيم وسطها
ومعظمها وقيل وسطها الذي تستوي المسافة اليه من جميع اطرافه ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم والحميم مصبوب فوق راسه ياخذ جميع بدنه من خارج والزقوم في جوفه من داخل قال
صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق روسهم
الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا
ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صب كقوله تعالى
افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب ذق انك
انت العزيز الكريم على سبيل الهزو والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وقيل انك الذي يطلب
العز والكرم على سبيل الهزو والتهكم عن كان يتعزز ويتكرم على قومه وقيل انك الذي معصية الله
معصية الله في قومك وقيل هو على الضد اي الذليل المهين روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا قرا
الكسائي انك بالفتح على معنى لانك والباقون بالكسر على الاستيناف ان هذا اي يقال لهم ان هذا
ان هذا العذاب او الامر هو ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون وتجادلون لرفعه اذ انذرتم
قوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس
واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون

فيها

فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم
فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون ان المتقين
في مقام قرا اهل المدينة والشام بضم الميم من المقام على المصدر اي في اقامة وقيل هو
موضع الاقامة والباقون بفتح الميم وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في معنى العموم امين قيل كيلا ولا من ضد الخائن فوصف به المكان استعارة
لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى من المكان في جنات وعيون بدل من مقام امين
يلبسون من سندس وهو ما رق من الحرير واستبرق وهو ما غلظ منه وهو تعريب
استبره واذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف
فيه وتغييره عن منهاجه واجرايه على اوجه الاعراب متقابلين في مجالسهم وقيل بعضهم الى
ازواجهم من الحور وقيل من القبول اي يقبل بعضهم بعضا ويتوادون من غير عداوة ولا منافسة
كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك وزوجناهم اي وكما اكرمناهم بجنات وعيون ولباس كذلك
اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين وقيل الكاف منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى يعني سوى الموتة الاولى وبعدها وضع الا موضع بعد كقوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النساء الا ما قد سلف يعني بعد ما قد فعل اباوكم قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت
اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة
الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى
يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا عطاء من ربك اي من كل
ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار فضل من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما
يسرناه بلسانك فذلكة للسورة والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه سهلناه حيث انزلناه
عربيا بلسانك بلغتك لعلهم يتذكرون واجب عليهم ان يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بكم الدواير وهذا وعد للمتقين ووعيد للمشركين ٥

سورة الشريعه مكيه

وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والجمهور وحكي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا
هي مكية كلها الا اية وهي قوله قل للذين امنوا يغفروا وهي ثلاث وماية واحدى وتسعون
حرفا واربعمائة وثمان وثمانون كلمة وسبع وثلثون اية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم ان جعلتها اسما

مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تنزيل حم تنزيل الكتاب من الله
من صلة للتنزيل وان جعلت حم تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا
والمعنى ان القرآن كلام الله العزيز في انتقامه الحكيم في تدبيره وليس كما زعم المبطلون انه شعر
او كهانة او يقول محمد **قوله تعالى** ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي
خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله
من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون
يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما
يبث عطف على خلقكم المضاف ولا يكون معطوفا على الكاف الذي هو مضاف اليه لانه ضمير متصل
مجرور يقبح العطف عليه ويستقبح ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكرهوا
ان يقولوا مررت بك انت وزيد وما يبث من دابة آيات قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات
بكسر التاء وكذلك التي بعدها ردا على قوله لآيات وتوحيد الريح والباقون برفعهما قال
صاحب الكشاف قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا
في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء
نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف
الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات
والجر في واختلاف والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر
الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله عز وجل واقروا فاذا نظروا في خلق
انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على الارض من صنوف الحيوان
ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت
كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا
وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق
قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته
يؤمنون   تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله نتلوها في
محل النصب على الحال اي متلوة عليك بالحق محققين وقيل نخبر عنها بالحق لا بالباطل وقيل
لاجل الحق الذي قصدناه وقيل المراد بالحق هو ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية اي
بسبب الاعجاز والعامل في الحال ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا
فبأي حديث بعد الله اي بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه لقوله الله نزل احسن الحديث

وآياته

وآياته وحججه وادلته يؤمنون قرأ اهل الكوفة والشام بالتاء من فوق واختلف فيه عن عاصم
ويعقوب والباقون بالياء **قوله تعالى** ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا
اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم   لما بين الآيات للكفار وبين انهم بأي حديث بعدها يؤمنون
اذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك كذاب اثيم مبالغ
في اقتراف الآثام يسمع آيات الله اي القرآن تتلى عليه اي يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ آيات الله فحذف المفعول الاول تتلى عليه حال من آيات الله ثم يصر مستكبرا يقبل على كفره
ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحني عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان
بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في نضر بن الحارث وما
كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فيمن كان مضادا
لدين الله ومعنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك
ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على
مزاولتها فامر مستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت
عليه كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كأن
مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناظر
السلم   ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم قيل هذا
استهزاء وقيل اخبره خبرا يظهر اثره على بشرته من الترح واذا علم من آياتنا شيئا واذا سمع
من آياتنا شيئا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا
احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم خاض
في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا
يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله
هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك اولئك اشارة الى كل افاك اثيم
لهم عذاب مهين مذل مخز ثم وصف كيفية ذلك العذاب المهين فقال من ورائهم الوراء
اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام   قال أليس ورائي ان تراخت منيتي أدب

مع الولدان ان زحف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم جهنم اى من قدامهم والاولى ان يحمل عليها اى من خلفهم ومن قدامهم جهنم ولا يغنى عنهم ولا يدفع عنهم ما كسبوا اى كسبهم المال والاولاد شيأ من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله من الاصنام اولياء ولهم عذاب عظيم فان قيل انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين فما الفايدة فى قوله بعده ولهم عذاب عظيم قلنا كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا الى اقصى الغايات فى الشدة هذا يعنى القران هدى اى هذا القران كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل فى الرجولية والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اشد العذاب اى لهم عذاب من اشد العذاب **قوله تعالى**

الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه الارض فذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلثة اشياء الرياح التى تجرى على وفق المراد وخلق وجه الماء على الملاسة التى تجرى عليها الفلك وخلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه وهذه الاحوال الثلثه لا يقدر عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه الله الذى سخر لكم البحر سهل لكم ركوب البحر لتجرى الفلك فيه بامره لتسخيره ذلك لكم دون غيره ولتبتغوا من فضله بالتجارة وبالغوص على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروه على هذه النعم وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض اى لولا ان الله اوقف اجرام السموات والارضين مقارها واحيازها لما حصل الانتفاع جميعا منه واقعه موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده اى انه تعالى مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه وقيل يجوز ان يكون منه خبرا مبتدا محذوف تقديره هى جميعا منه وقيل يجوز ان يكون وسخر لكم تاكيدا ثم استانف قوله ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وقيل يجوز ان يكون ما فى الارض مبتداء ومنه خبره ان فى ذلك فى تسخير القوى للضعيف لايات لقوم يتفكرون فى خلق السموات والارض وما فيها وما بينهما وفى تسخيرها لنا ه

قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون لما علم عباده دلايل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق الفاضلة والافعال الحميدة فقال قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى لا يخافون وقايع الله

ولا يخافون

ولا يخافون نقمته وقيل لا يتوقعون وقايع الله باعدايه من قولهم لوقايع العرب وقيل من قولهم لايام الوقت الاوقات التى وقتها الله عز وجل لثواب المومنين ووعدهم الفوز فيها القرظى والسدى نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال ابن عباس ومقاتل نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك ان رجلا من بنى غفار كان يشتمه فهم عمر رضى الله عنه ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره بالعفو عنه بن عباس لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قال يهودى بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فجاء جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله واعلم يا محمد ان عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وطلب اليهودى فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه فلما جاء قال يا عمر ضع سيفك قال صدقت يا رسول الله اشهد انك ارسلت بالحق قال فان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم والذى بعثك بالحق لا ترى الغضب فى وجهى ليجزى قوما قرا اهل الكوفة والشام الا عاصم لنجزى بفتح النون وكسر الزاى وفتح الياء والباقون بفتح الياء على وجه الخبر عن الله لذكر الله قبل ذلك قوما وجه تنكيره وهم معارف مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزى ايما قوم قوما مخصوصين بصبرهم واغضائهم على اذى عدوهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه من عمل صالحا ثم ذكر الحكم العام فلنفسه اى فلها الثواب ومن اساء فعليها العقاب ثم الى ربكم ترجعون ه ه

قوله تعالى ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون انه تعالى بين انه انعم نعما كثيرة على بنى اسرائيل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغى والحسد والمقصود ان يبين ان طريقة قوم النبى صلى الله عليه وسلم كطريقة من تقدم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية والحكم والحكمة والفقه وقيل فصل الحكومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات الحلالات يعنى المن والسلوى واللذيذ من الطعام وفضلناهم على العالمين حيث لم نوت غيرهم مثل ما اتيناهم وقيل على عالمى زمانهم وقيل خصصناهم بكثرة الانبياء من بين سائر الامم واتيناهم بينات ايات ومعجزات من الامر امر الدين وقيل

بينات من الامر يعني احكام التورية فما اختلفوا فاوقع الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف من العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل اراد بالاختلاف اختلافهم في اوامر الله ونواهيه في التورية بغيا بينهم وحسدا لا عن جهل يكون به الانسان معذورا **قوله تعالى** ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصلحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدول عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له سوى اظهار الحق وتوفير الصدق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر اي طريقة ومنهاج من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلايل القطعية والحجج الساطعة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي ولا تتبع اهواء ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم روساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابايك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ان اتبعت اهواهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي الظالمين وهم الكافرون يوالون الظالمين مثلهم وينصرونهم وقيل هم يسعون على عداوتك والله ولي المتقين اي يوالي المتقين وما ابين الفصل بين الولايتين ولما بين الله تعالى هذه البينات قال هذا بصاير للناس اي هذا القران بصاير للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة البصاير في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون اي الذين امنوا وايقنوا ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من وجه اخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان قال الامام ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على اخر سواء كان المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير افيعلم المشركون هذا ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين الذين اجترحوا اكتسبوا السيئات والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا ترى ان لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق قرا اهل

الكوفة

الكوفة الا ابا بكر سواء نصبا اجري سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة والباقون بالرفع والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكل يموت على حسب ما عاش عليه وقيل معناه المومن في الدنيا والاخرة مومن والكافر في الدنيا والاخرة كافر نزلت هذه الاية في نفر من مشركي مكة قالوا للمومنين لين كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات يوم ليلة عند المقام فبلغ هذه فجعل يبكي ويرددها الى الصباح وعن بشر ابي طمعة قال بت عند الربيع ابن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليلة حتى اصبح ما يعدو هذه الاية الى غيرها ببكاء شديد وعن ابرهيم ابن الاشعث كنت كثيرا ما ارى الفضيل ابن عياض يردد من اول الليلة الى اخرها هذه الاية ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت **قوله تعالى** وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون لما بين ان المسلم والكافر لا يستويان في درجات السعادة اتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذا فقال وخلق الله السموات والارض بالحق ولو لم يبعث لما كان ذلك بالحق بل كان ذلك بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل وقيل معطوف على معلل محذوف تقديره وخلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون **قوله تعالى** افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم عاد الى شرح احوال الكفار وقبايح طرايقهم فقال افرايت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الاله وقبلوا متابعة

الهوى فمان هو مطواع هوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه
ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه
لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله ولا يحل ما احل الله انما دينه ما هويت نفسه
يعمل به ذلك لا يحجزه عن ذلك تقوى وقيل افرايت من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما يهوى سعيد
ابن جبير كانت قريش تعبد العزى وهو حجر ابيض حينا من الدهر وكانت العرب تعبد الحجارة
والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول رموه وكسروه او القوه في بير وعبدوا
الاخر فانزل الله عز وجل هذه الاية مقاتل نزلت في الحرث ابن قيس السهمي احد المستهزئين وذلك
انه كان يعبد ما تهواه نفسه سفيان ابن عيينة انما يعبدون الحجارة لان البيت حجارة الحسين
ابن الفضل في هذه الاية تقديم وتاخير تقديره افرايت من اتخذ الهه هواه الشعبي انما سمي الهوى
لانه يهوى بصاحبه في النار ابن عباس ما ذكر الله هوى في القران الا ذمه عن ابي امامة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد تحت السماء ابغض الى الله من هوى وقال صلى الله عليه
وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه عن شداد بن اوس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله مضر القارى لنحت الجبل بالاظافير حتى تقطع الاوصال اهون من مخالفة الهوى
اذا تمكن من النفوس سئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه الشاعر
نون الهوان من الهوى مسروقة واسير كل هوى اسير هوان وقال اخر ان الهوى
هو الهوان بعينه فاذا هويت فقد لقيت هوانا واذا هويت فقد تعبدك الهوى
فاخضع لحبك كائنا من كانا لعبد الله بن المبارك ومن البلاء وللبلاء علامة
ان لا يرى لك عن هواك نزوع العبد عبد النفس في شهواته والحر يشبع تارة ويجوع
لابي العتاهية ٥ فاعص هوى النفس ولا ترضها انك ان اسخطتها زانكا حتى
متى تطلب مرضاتها وانما تطلب عدوانكا ابو بكر ابن دريد اذا طالبتك النفس
يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف
صديق والنفس ان اعطيتها مناها فاغرة نحو هواها فاها سئل سهل بن عبد الله التستري
عن الهوى فقال للسائل هواك داؤك فان خالفته فدواك وهب اذا عرض لك امران
ام ان شككت في خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فاته واضله الله على علم منه تعالى قبله
امره وقيل اضله الله خذله وقيل على علم من الله بضلاله في سابق علمه وقيل على علم المراد به
المعاند لان ضلاله على علم وختم على سمعه في هذه الاية قدم ذكر السمع على القلب وفي سورة
البقرة

البقرة على العكس قال الامام والفرق ان الانسان قد يسمع كلاما فيقع في قلبه منه اثر مثل
ان جماعة من الكفار كانوا يلقون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه شاعر وكاهن وانه
يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه
واما كفار مكة فهم كانوا يبغضونه بسبب الحسد الشديد فكانوا يسمعون اليه ولو سمعوا
كلامه ما فهموا منه شيئا نافعا ففي الصورة الاولى كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر
النفس وفي الصورة الثانية كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى البدن فلما اختلف الشان
لا جرم ارشد الله تعالى الى هذين القسمين بهذين الترتيبين اللذين نبها عليهما ولما ذكر
الله هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله اي بعد ان اضله الله افلا تذكرون ايها
الناس ثم انه تعالى حكى عنهم شبههم في انكار القيمة وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى اولادنا وقيل يموت بعض ويحيى بعض وقيل نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد
ذلك وقيل يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء
ذلك حياة قال الامام الذي خطر ببالي انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هي الا حياتنا الدنيا
ثم قال بعده نموت ونحيى يعني ان تلك الحياة منها ما يطرا عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها
ما لم يطرا عليها الموت بعد وذلك في حق الذين هم احياء لم يموتوا بعد واما شبهتهم في انكار الاله
الفاعل القادر المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب
حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبايع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص
حصلت الحياة واذا وقعت على وجه اخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تاثيرات الطبايع
وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهؤلاء جمعوا بين انكار
الاله وبين انكار البعث والقيمة ثم قال وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون والمعنى
ان قبل النظر ومعرفة الدليل الاحتمالات باسرها قائمة فالذي قالوه يحتمل وضده ايضا
يحتمل وذلك هو ان يكون القول بالبعث والقيمة حقا وان يكون القول بوجود الاله الحكيم
حقا فانهم لم يذكروا شبهة قوية ولا ضعيفة في ان هذا الاحتمال الثاني باطل ولكنه خطر ببالهم
ذلك الاحتمال الاول فجزموا به واصروا عليه من غير حجة وبينة فثبت انه ليس لهم علم ويقين
وجزم في صحة القول الذي اختاروه بسبب الظن وميل القلب اليه من غير موجب وهذه
الاية من اقوى الدلايل على ان القول بغير حجة وبينة قول فاسد باطل وان متابعة الظن منكر
عند الله ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين
سمى قولهم حجة لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه سياقها فسموه حجة على سبيل التهكم وقيل

لانه في حسابهم وتقديرهم حجة وقيل لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي
يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر فيسبون الدهر فقال الله عز وجل يا بني ادم يؤذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وعنه صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك
وتعالى لا يقول ابن ادم يا خيبة الدهر انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما وعنه
صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر قال ابو عبيد
القاسم بن سلام في تفسير هذا الحديث انما هذا مما لا ينبغي لاحد من اهل الاسلام ان يجهل وجهه
وذلك ان من شان العرب ان يذموا الدهر ويسبوه عند المصائب والنوائب فيقولوا
اجتاحهم الدهر وبحوسهم الايام واتى عليهم الزمان وما اشبه ذلك حتى ذكروها في اشعارهم
قال عمرو بن قمية في ذلك رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى
وليس برامي فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام على الراحتين مرة وعلى
العصا انوء ثلاثا بعدهن قيامي قال ابو عبيدة تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
هو الدهر ان الله عز وجل ياتي بالدهر والشدائد والمصائب فاذا سببت وقع السب على الله
لانه فاعل هذه الاشياء وقاضيها ومدبرها الحسين بن الفضل مجازه فان الله مدهر الدهور
من عنده المسرور ومن لديه المحسور ودليل هذا التاويل ما روى ان سالم بن عبد الله
ابن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزبره ابوه عبد الله بن عمر وقال له اياك يا بني وذكر الدهر
فما الدهر يا بني بشيء تخيبه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهر ولكن متى ما يبعث الله
باعثا على معشر يجعل مياسيرهم عسرا ان حجتهم على انكار البعث ان قالوا لو صح ذلك فأتوا
باباءنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم لما انكروا البعث
وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله هو الذي
يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا
الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان باباءهم
وكان اهون شيء عليه ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه في يوم القيمة وقيل في الجمع اي لا
ترتابوا فيه وقيل قد قامت الدلائل على صحة البعث فلم يبق فيه ارتياب ولكن اكثر الناس
لا يعلمون قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التدبر والتفكر في الدلايل قوله تعالى

ولله

ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة
جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك
هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين
لما احتج بكونه قادرا على الاحياء في المرة الثانية في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال
ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة نصب على الظرف والعامل فيه يخسر ويومئذ
بدل منه ومعنى يومئذ حينئذ يخسر المبطلون من لا حجة له وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة
على الركب من هول ذلك اليوم ابن عباس جاثية مجتمعة فماده جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها
جثى وقيل باركة جلسة المدعى عند الحاكم وقيل مستوفزا لا يصيب الارض الا ركبتاه واطراف
انامله وقيل متميزة وقيل خاضعة والجثو للكفار خاصة وقيل عام يقول جثى يجثو اذا جلس على ركبتيه
كل امة رفع على الابتداء تدعى جثى الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا محمول على القول هذا كتابنا
ينطق عليكم بين لكم وضع النطق موضع البيان بالحق بالعدل ولما كانت الاضافة لكونه ملابسة
وكان الكتاب لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته
اياه تعالى فلانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم
بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا
جواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم
رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم تعظمتم عن الانقياد والايمان بها
وكنتم قوما مجرمين كافرين قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب
فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات
ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قرا حمزة والكسائي بالنصب
عطفا على وعد الله والباقون بالرفع عطفا على محل ان واسمها قلتم ما ندري ما الساعة اي
شيء الساعة ان نظن الا ظنا ومعناه اثبات الظن بحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين

ويدا لهم سيئات ما عملوا اى قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم والسيئات كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها وحاق بهم احاط بهم ولزمهم ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم وقيل اليوم
ننساكم نترككم فى النار كما نسيتم تركتم الايمان بيومكم هذا وقيل كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا
وهى الطاعة وقيل نجعلكم وقيل نجعلكم وقيل نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا انتم
بالقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشئ الذى يطرح نسيا منسيا ومعنى اضافة اللقاء الى اليوم
كمعنى اضافة المكر فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه
هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ينصركم ويدفع عنكم ممن كنتم تعزرون بهم فى الدنيا ذلكم
العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله اى ما كان يتلى عليكم هزءا تنزلونها منزلة الهزو الذى
لا يقبل عليه ولا يتدبرونه وغرتكم الحياة الدنيا اغتررتم بما مد لكم فيها من الحطوط السريعة الانقضا
وما وسع عليكم من اسباب دنياكم فاليوم لا يخرجون منها لانكم فيها خالدون ولا هم يستعتبون
لا يطلب رضاهم وقيل لا يكلفون بالتوبة وقيل لا يردون الى الدنيا وقيل ولا هم يستعتبون
ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه وقيل لا يراجعون الكلام بعد دخول النار وقيل
لا يقبل منهم العتبى وهو اعطاء الرضى فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية
العامة موجب الحمد على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت اثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض
وحق مثله ان يكبر ويعظم وقيل ختم السورة بكلمة الاخلاص وقيل قولوا الله علمهم كيف يحمدون
ربهم وله الكبرياء فى السموات والارض اى العظمة والجلال وقيل استحقاق التعظيم فى
اعلا المراتب له وحده وهو العزيز بسلطانه الحكيم فيما امر ونهى وخلق وقضى

سورة الاحقاف مكية

وهى الفان وخمس مائه وخمسه وسبعون حرفا وستمايه واربعون كلمه وخمس وثلثون ايه
بسـم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون الا بالحق الا خلقا متلبسا
بالحق واجل مسمى وا قامه الصدق وقيل بالعدل فى الخلق وقيل لتدل على وحدانية الله تعالى
وقيل بالصدق وقيل لا للعبث وقيل الا بالحق معناه الا لاجل الرحمة والفضل والاحسان
وان الاله يحب ان يكون فضله زايدا واحسانه راجحا ووصول المنافع الى المحتاجين
اكثر من وصول المضار اليهم الجبائى هذا يدل على ان كل ما فى السموات والارض من القبائح فهو ليس

من خلقه

من خلقه بل هو من افعال عباده والا لزم ان يكون خالقا لكل باطل وذلك ينافى قوله ما خلقناهما
الا بالحق اجاب اصحابنا بان خلق الباطل غير الخلق بالباطل فهو خالق الباطل لا انه خلق الباطل
بالباطل بل خلق الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله فى ملك نفسه وتصرف المالك فى ملك
نفسه يكون بالحق لا بالباطل والذى يقرر ما ذكرنا ان قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
يدل على كونه خالقا لجميع اعمال العباد لان اعمال العباد من جملة ما بينهما فوجب كونها مخلوقة
لله ووقوع التعارض فى الاية الواحدة محال فلم يبق الا ان يكون المراد ما ذكرنا فان قيل افعال
العباد اعراض والاعراض لا توصف بانها بينهما قلنا حينئذ سقط ما ذكروه من الاستدلال
والاية دالة على صحة البعث والقيمة لانه لو لم يتحقق البعث والقيمة بطل استيفاء حقوق
المظلومين وبطل توفير الثواب للمطيعين وتوفير العقاب على الكافرين وهو ينافى قوله الا بالحق
واجل مسمى اى باجل مسمى سماه الله وهو يوم القيمة وهذا يدل على انه تعالى ما خلق هذا العالم
ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل ثم انه تعالى يفنيه ثم يعيده فيقع الجزاء فى الدار
الاخرة فالاجل المسمى هو الوقت الذى عينه الله تعالى لافناء الدنيا والذين كفروا عما انذروا
من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون اى مع نصب هذه الدلائل
ومع ارسال الرسل ومع انزال الكتاب ومع مبالغة الرسل فى الترغيب والبشارة والترهيب
والانذار هؤلاء الكفار معرضون عن هذه الدلائل مصرين على الكفر وهذا يدل على وجوب النظر
والاستدلال وعلى وجوب الاعراض عن الدليل

قوله تعالى

قل ارايتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ايتوني بكتاب من قبل
هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين لما قرر الاصل الدال على التوحيد واثبات
العدل والرحمة والبعث والقيمة بنى عليه المسائل الاول الرد على عبدة الاصنام فقال
قل يا محمد لهؤلاء المشركين ارايتم ما تدعون من دون الله اى تدعونه الها وقيل تعبدونه
من الاصنام وقيل الملائكة والجن وعيسى اروني اخبروني ماذا خلقوا من الارض اى من واحد
منهم شيئا من الارض ام لهم شرك فى السموات فى خلقها وملكها ايتوني بكتاب من قبل الكتاب
اى القران يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله
من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم
عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم الكلبى بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
يقول العرب لهذه الناقة اثارة من سمن اى بقية عكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء واصل الكلمة
من الاثر وهى الرواية يقال اثرت الحديث اثره اثرا واثارة الشجاعة والجلادة والصلابة

فأي أثرة ومنه قيل للخبر أثر قال الأعشى إن الذي فيه تماريتما بيّن للسامع والآثر ورواية يأثرونها عمن كان قبلهم وقيل أثارة ميراث من علم وقيل سنة وقيل مناظرة من علم لأن المناظرة في العلم مثيرة لمعانيه وقيل اجتهاد من علم إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوني به

قوله تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم الله تعالى بين فيما سبق أن القول بعبادة الأصنام قول باطل من حيث إنها لا قدرة لها على الخلق والإيجاد ثم أردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهو أنها جمادات فلا تسمع دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين فالدليل الأول إشارة إلى نفي القدرة والثاني إلى نفي العلم فإذا انتفيا لم تصح عبادتها ببديهة العقل ومن أضل معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة على استجابة أحدهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون لا يسمعون ولا يفهمون فأخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني آدم إذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وكانوا بعبادتهم كافرين جاحدين وعنهم متبرئين بأنه قوله تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحو قوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد وقيل واضحات مبينات وهي القرآن قال الذين كفروا للحق اللام فيه مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر هذا سحر مبين ومن عنادهم وظلمهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إن محمدا افتراه ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي

منهم التعجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كان تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات قل يا محمد لهؤلاء الكفار على سبيل العرض فلا تملكون لي من الله شيئا أي إن افتريته كما زعمتم فلا تملكون دفع عذابه عني ولا دفع لي من قبلكم فيكون إن افتريته عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون على دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا أملك لكم من الله شيئا ثم قال هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لجزاء إفاضتهم وهو الغفور لمن تاب من شركه وآمن الرحيم لم يعجل وهذا إشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا قال صاحب الكشاف فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما أتاهم النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه

قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين قل ما كنت بدعا بديعا من الرسل خف وخفيف ونصف ونصيف أي لست بأول مرسل فلا تنكرون نبوتي هل أنا إلا نبي وما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فرحا شديدا وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحدا وما له علينا من مزية ولا فضل ولولا أنه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فتبين له أمره ونسخت هذه الآية فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فأنزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فأنزل الله تعالى ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة وعن ابن شهاب أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره أن أم العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين سكناهم قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه أبياتنا فوجع

وضعه الذي توفي فيه فلما توفي غسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت لعثمن ابن مظعون رحمة الله عليك ابا السايب فشهادتي عليك لقد
اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه قالت فقلت
بابي رسول الله فمن فقال اما هو فقد جاءه اليقين وما راينا الا خيرا فوالله لا ازكي بعده احدا
قالوا وانما قال هذا حين لم يخبر بغفران ذنبه وانما غفر الله عز وجل له ذنبه في غزوة الحديبية
قبل موته بسنتين وشي وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النايم وهو بمكة ارضا
ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال لاصحابه وهم بمكة الى متى نكون في هذا البلاد
الذي نحن فيه ومتى نهاجر الى الارض التي اريت فسكت عليه السلام فانزل الله وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم اترك في مكاني او اخرج الى الارض التي رفعت لي وقيل معناه ما يفعل بي ولا بكم
والى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا الحسن في قوله تعالى ما ادري ما يفعل بي ولا بكم فقال اما
في الاخرة فمعاذ الله قد علم انه في الجنة حين اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما ادري ما يفعل بي
ولا بكم في الدنيا اخرج كما اخرجت الانبيا من قبل ام اقتل كما قتلت الانبيا من قبلي ولا ادري
ما يفعل بكم امتي المكذبة ام المصدقة ام امتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا ام مخسوف بها
خسفا ثم انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يقول
سيظهر دينك على الاديان ثم قال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاخبره الله بما يصنع به وما يصنع بامته وهذا قول السدي والضحاك
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تومرون به وتنهون قال صاحب الكشاف فان قلت
ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي فيما ادري
لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك
لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون
استفهامية مرفوعة ان اتبع الا ما يوحى الي في هذا الباب شي وما انا الا نذير مبين اقتصر
على ما قصره الله عليه من الانذار لكم **قوله تعالى** قل ارايتم ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين قل يا محمد لهاولا الكفار ارايتم اخبروني ان كان اي القران من عند الله
وقيل ان كان محمد من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قتاده والضحاك

وابن زيد

وابن زيد هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فامن به واستكبرتم
عن انس جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال
اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة
والولد ينزع الى ابيه او امه قال اخبرني جبريل بها انفا قال ذلك عدو اليهود من الملايكة اما
اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد حوت واما الولد فاذا سبق ما الرجل نزعه وان سبق ما المراة نزعته قال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد انك رسول ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا
باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
اي رجل فيكم فقالوا اخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان
اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله
واحذر دليل هذا ما روى سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه
نزلت وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله وقال اخرون هو موسى بن عمران روى الشعبي
عن مسروق في هذه الاية قال والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان ال حم نزلت بمكة
وانما اسلم عبد الله بالمدينة وانما كانت محاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه
فانزل الله هذه الاية ومثل القران التورية فشهد موسى عليه السلام على التورية ومحمد
صلى الله عليه وسلم على القران وكل منهما يصدق الاخر وقيل هو يامين وقيل بنيامين من بني اسرايل
جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل
على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والواو في قوله تعالى وكفرتم
للعطف على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو
في قوله واستكبرتم للعطف على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة
قوله شهد شاهد من بني اسرايل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله
وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت عني انك
اخذت ضمين فقطعتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله
مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرايل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه
وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة

على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس
من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان منه ذلك ٥
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق
لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين هذه شبهة اخرى في انكارهم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقال الذين كفروا من اليهود للذين امنوا لو كان دين محمد خيرا
ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه قاله اكثر المفسرين وقال قتادة نزلت في ناس
من مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاة البهم وارذال الناس
قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم
كما قالوا اساطير الاولين ومن قبله اي ومن قبل القران كتاب موسى اماما يؤتم به ورحمة
لمن امن به وعمل به ونصبهما على الحال وقيل للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة
من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به
خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني
فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا اليه محمد حقا ما سبقنا اليه فلانة
وفلانة وقيل كان اليهود يقولون عند عبد الله بن سلام واصحابه والعامل في اذ في قوله
اذ لم يهتدوا به محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم
حينئذ الان وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر
صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون هذا افك قديم مسببا عنه
كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبة وقولهم
افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا
مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به
في امر الله وشرايعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن امن به وعمل بما فيه وهذا القران كتاب
مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لسانا عربيا حال من ضمير
الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان تخصص بالصفة ويعمل فيه معنى
الاشارة وقيل يجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول
لينذر قرا اهل المدينة والشام والبزي بخلاف عنه ويعقوب على خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم والباقون بالياء خبرا عنه وقيل عن الكتاب الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية

وبشرى

وبشرى قيل في محل الرفع عطفا على الكتاب تقديره هذا كتاب مصدق وبشرى قيل في محل الرفع
عطفا على الكتاب تقديره هذا كتاب مصدق وبشرى قيل في محل النصب عطفا على محل لينذر
لانه مفعول له **قوله تعالى** ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
ووصينا الانسان بوالديه حسنا قرا اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا حملته امه كرها
ووضعته كرها قرا اهل الكوفة وابن ذكوان بضم الكاف في الحرفين والباقون بالفتح فيهما وهي
لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره
وحمله وفصاله فطامه ثلاثون شهرا وهذا يدل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع
حولان كاملان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر ابن
اسحق حمله تسعة اشهر وفصاله من الثلاثين لا احد وعشرين شهرا والمراد مدة الرضاع لا الفطام
ولما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد
من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام
المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده نهاية قوته وقامته وغاية شبابه واستوائه وهو
ما بين ثمانية عشرة سنة الى اربعين سنة وقيل بلوغ الاشد اي يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم
فيها قوته وعقله وعن ذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون
سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعون وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين
سنة السدي والضحاك نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر فلما بلغ ابو بكر رضي الله
عنه اربعين سنة امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لربه اني تبت اليك واني من
المسلمين وعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر
رضي الله اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين
ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده قال رب اوزعني الهمني ووفقني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي والنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين

شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وان اعمل صالحا ترضاه قيل هو الصلوات الخمس واصلح لي في ذريتي بان تجعلهم مومنين صالحين وقيل معناه اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحو يجرح في عراقيبها نصلي قيل فاجاب الله تعالى ابا بكر في اولاده فاسلموا ولم يكن من الصحابة احد اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته الا ابا بكر رضي الله عنه اني تبت اليك واني من المسلمين من المخلصين اوليك الذين يتقبل قرا حمزة والكسائي وحفص نتقبل بالنون ونتجاوز ونصب احسن عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة فيثيبهم عليها ونتجاوز عن سياتهم فلا يعاقبهم بها والباقون بالياء المضمومة فيهما ورفع احسن في اصحاب الجنة في جملة اصحاب الجنة ومحله النصب على الحال على معنى كاينين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر موكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد الله من الله لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون وهو قوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات

قوله تعالى

والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اوليك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون والذي قال لوالديه مبتدا خبره اوليك الذين حق عليهم القول اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث والجزا اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني قرا العامة بنونين مخففتين وروى هشام عن اهل الشام بنون واحدة مشددة وان اخرج من قبري حيا بعد فنايي وبلاي وقد خلت مضت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله ك يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الذي تعدانني به وتدعواني اليه الا اساطير الاولين ابن عباس وابو العالية والسدي ومجاهد نزلت هذه الاية في عبد الله وقيل في عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال له ابواه اسلم والحا عليه في دعائه الى الايمان فقال احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون قال محمد بن زياد كتب معاوية الى مروان حتى تبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن

ابن ابي بكر

ابن ابي بكر رضي الله عنه لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون لابنايكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة رضي الله عنها فقالت والله ما هو به ولو شيت لسميته ولكن الله تعالى لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله والذي يدل على صحة ما قالته عايشة رضي الله عنها ان الذي حق عليهم القول في امم هم اصحاب النار وعبد الرحمن رضي الله عنه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم اوليك الذين حق عليهم القول في امم وجب عليهم العذاب قوله في امم نحو قوله في اصحاب الجنة قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين درجات منازل ومراتب مما عملوا من الخير والشر عند الله يوم القيمة فيجازيهم عليها ابن زيد في هذه الاية درج اهل النار تذهب سفلا ودرج اهل الجنة علوا فان قيل كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات اجيب بانه يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال الكل على الفريقين وليوفيهم قرا اهل الكوفة والبصرة وعاصم وهشام بالياء والباقون بالنون اعمالهم بالنصب اي جزا اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا انا صب الظرف القول المضمر قبل اذهبتم ويوم يعرض الذين كفروا على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها قيل يجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شي منها واستمتعتم بها قرا ابن كثير ويعقوب اذهبتم بالاستفهام فقرا ابن ذكوان بهمزتين محققتين وهشام بهمزة واحدة مضمومة ممدودة والباقون بالخبر وهما صحيحان فصيحان لان العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام منه فتقول اذهبت ففعلت كذا وكذا وذهبت ففعلت وفعلت فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر كان اخر عهده بانسان من اهله واول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة رضي الله عنها فلما قدم من غزوة فاتاها فاذا مسح على بابها وراى على الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها فلما رات فاطمة ذلك ظنت انه لم يدخل عليها من اجل ما راى فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين رضي الله عنهما فقطعتهما فبكى الصبيان فقسمته بينهما نصفين فانطلقا

الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهما وقال يا ثوبان اذهب بذا الى بنى فلان اهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب
وسوارين من عاج فان هاولاء اهل بيت لا احب ان ياكلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا وعن ابى
هريرة انما كان طعامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسودان الماء والتمر والله ما كنا
نرى سمراكم هذه ولا ندرى ما هى وعن ابى بردة الاشعرى عن ابيه قال اى بنى لو شهدتنا ونحن
مع نبينا صلى الله عليه وسلم اذا اصابتنا السماء حسبت ان ريحنا ريح الضان وانما كان لباسنا
الصوف وعن قتادة ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول لو شئت كنت احسنكم
لباسا واطيبكم طعاما ولكنى استبقى طيباتى وذكر لنا انه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير
مثله قبله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير وذكر لنا
ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على اهل الصفة مكانا يجتمع به فقراء المسلمين وهم
يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا قال انتم اليوم خير ام يوم يغدوا احدكم فى حلة ويروح
فى اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير
قال بل انتم اليوم خير فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون **قوله تعالى** واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما
العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكنى اريكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شىء
بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شىء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون لما اورد
انواع الدلايل فى اثبات التوحيد والنبوة وكان اهل مكة بسبب استغراقهم فى لذات الدنيا
واشتغالهم بطلبها اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها ولذلك قال فى حقهم ويوم يعرض الذين
كفروا على النار اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا فلما كان الامر كذلك بين ان قوم عاد كانوا
اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله سلط العذاب عليهم بسبب كفرهم فذكر هذه القصة
ههنا ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه من الدنيا ويقبلوا على طلب الدين
فلهذا المعنى ذكر هذه الاية فى هذا الموضع وهو مناسب لما تقدم واذكر يا محمد اخا عاد يعنى

هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من
احقوقف الشىء اذا اعوج بن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة مقاتل كان منازل عاد باليمن
فى حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الجمال فيقال ابل امهرية ومهارى وكانوا اهل عمد
سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم الضحاك الاحقاف
جبل بالشام مجاهد هى ارض حسمى قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باهل اليمن اهل رمل مشرفين
على البحر بارض يقال لها الشحر ابن زيد هى ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا الكلبى
احقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمان الغرق كان ينضب الماء من الارض ويبقى اثره الخليل هى
الرمال العظام الكسائى هى ما استدار من الرمل وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى منذر اى مضت
الرسل من بين يديه اى من قبل هود ومن خلفه والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الرسل الذين بعثوا
قبله والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا
علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ان يجعل قوله وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر
انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر
عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اى قوم هود اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا
من العذاب الذى توعدتنا به من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين فيما
تقول قال هود انما العلم عند الله يحل العذاب لا عندى وابلغكم ما ارسلت به اى الذى امرت
بتبليغه اليكم وليس فيه تعيين وقت العذاب قال صاحب الكشاف فان قلت من اين طابق
قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال
منهم بالعذاب الا ترى الى قوله هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون
فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان ياتيكم بعذابه فى وقت عاجل
تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به اى الذى هو شانى وشرطى ان ابلغكم ما ارسلت به
من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون لا تعلمون
ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما راوه اى راوا
ما يوعدون به وقيل منهم قد وضح امره عارضا اما تمييزا او حالا لان هذا الوجه افصح واعرب
عارضا سحابا عرض فى افق من السماء مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا واضافة مستقبل

وممطرنا مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو اي القول
قبله مضمر والقايل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرا قال هود بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية باذن
ربها عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى الريح فزع وقال
اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى
مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فقال له يا رسول الله تغير لونك فقال اني اخاف ان
يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاصبحوا لا يرى قرا عاصم وحمزة ويعقوب
يرى بالياء مضمومة مساكنهم رفعا قال الكسائي معناه لا يرى شي الا مساكنهم وقرا الباقون لا ترى بالتاء
لانهم كانوا تحت الرمل وانما ترى مساكنهم لانها قايمة والباقون بالتاء مفتوحة مساكنهم بالنصب
على معنى لا ترى يا محمد الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين اي من اجرم مثل جرمهم وهذا تحذير
لمشركي العرب قال صاحب الكشاف فايدة اضافة الرب الى الريح الدلالة على ان الريح وتصريف
اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة
من جهته ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي فيما مكناكم فيه من بسطة الاجسام وقوة
الابدان وطول العمر وكثرة المال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون منصوب بقوله فما اغنى واجري مجري التعليل والظرف
في قوله ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود
اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون ساير الظروف في ذلك بايات الله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون جزاء استهزايهم **قوله تعالى** ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى
وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة
بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة
من القرى كحجر وعاد وثمود وارض سدوم ونحوها وصرفنا الايات الحجج والبينات لعلهم
يرجعون عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم يخوف مشركي مكة فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا الهة الكسائي القربان كلما يتقرب به الى الله من طاعته ونسكه اي اتخذوهم شفعاء
متقربا بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ راجع الى الذين المحذوف
والثاني قربانا الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى
والمعنى فهلا منعتهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا غابوا عنهم وعن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع
نصر الهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم

عنده

عنده فاثر افترايهم على الله الكذب من كونه ذا شركا **قوله تعالى** واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي
الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اوليا
اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير لما بين ان الانس منهم من امن ومنهم
كفر بين ايضا ان الجن منهم من امن ومنهم من كفر وان مومنهم معرض للثواب وان كافرهم معرض
للعقاب واذ صرفنا املنا اليك نفرا او قبلنا بهم نحوك وقيل الجاناهم وقيل وفقناهم بصرفنا اياهم
عن بلادهم اليك والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان
هاهنا احد من انفارنا فلما حضروه اي حضر النفر من الجن القران فلما كان يسمع منهم وقيل
حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا واستمعوا القران
حتى كاد بعضهم يقع على بعض من شدة حرصهم فلما قضي فرغ من تلاوته واستماع الجن ولوا الى
قومهم منذرين مخوفين داعين بامر النبي صلى الله عليه وسلم روي انه لما مات ابو طالب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى الطايف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له
من قومه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف وهم يوميذ
سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير
وعندهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم ودعاهم الى الله عز وجل وكلمهم بما جاءهم له من نصرته
على الاسلام والقيام معه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال
الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الاخر والله لا اكلمك ابدا لين كنت رسولا
من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولين كنت تكذب على الله
ما ينبغي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ييس من خير ثقيف
وقال لهم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه
عنه فيذيرهم ذلك عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به
صلى الله عليه وسلم حتى اجتمع عليه الناس والجاوه الى حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة
وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا
ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلك المرأة من بني جمح فقال لها ماذا لقيت من احمائك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين
انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن
بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك من ان تنزل علي غضبك
او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت
له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه
في ذلك الطبق ثم ضعه واذهب به الى ذلك الرجل فقل له ياكل منه ففعل عداس ثم اقبل به حتى
وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه
البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اي اهل البلاد انت يا عداس وما دينك
قال نصراني وانا رجل من اهل سوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل
الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك ما يونس بن متى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه
ورجليه فيقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس
قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه ورجليه قال يا سيدي ما في الارض
خير من هذا لقد اخبرني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان
دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا
الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن
اهل نصيبين اليمن وكان سبب ذلك ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا
بالشهب قال ابليس ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الارض فبعث سرايا لتعرف الخبر
فكان اول بعث بعث ركب من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة فاندفعوا
حتى بلغوا تهامة فاندفعوا حتى بلغوا وادي نخلة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القرآن فاجتمعوا اليه وقالوا انصتوا وقيل بل امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القرآن فصرف
اليه من الجن من سوى وجمعهم له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت
ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة
فاطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله رضي الله عنه ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا

حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي
خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق ثم قام فافتتح القرآن
فجعلت ارى امثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله عليه
السلام وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع
السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر وانطلق الي وقال انمت
قلت لا والله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا
قال لو خرجت لم آمن ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا
مستشعري ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم
بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يقذرها الناس علينا فنهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يستنجى بالعظم والروث فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون
عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكل فقلت يا رسول الله
اني سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم
تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله ان معي اداوة
فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور
قال قتادة وذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه
حين راهم وقال اظهروا فانه هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالذين صرفوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الجن ابن عباس كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وقيل كانوا اثني عشر
الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى ذهب بعضهم الى انهم كانوا يهودا ولهذا قالوا من بعد موسى قال ابن عباس
كانت الجن لم تسمع امر عيسى ولذلك قالوا من بعد موسى مصدقا لما بين يديه من الكتب
يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله اي محمدا وامنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم قيل لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها
ونحوه قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم واليه ذهب ابو حنيفة والصحيح انهم في حكم بني ادم لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه ونحو قوله وانا ظننا
ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك

في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن وقيل لم يتعب وقيل لم يعجز وقيل لم يذهب وجه الحكمة عليه في خلقه من قولك عييت بهذا الامر اذا لم تعرف وجهه ويجري فيه بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وما في حيزها قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدًا بقائم جاز كانه قيل أليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم ولان المعنى أليس الله قيل أليس الله بقادر على ان يحيي الموتى بلى جواب النفي انه على كل شيء من الاحيا والاماتة قدير ۵

قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فيقال لهم أليس هذا بالحق اي هذا الجزاء حق لا باطل وقيل معناه أليس هذا المستحق لكم قالوا بلى وربنا اعترفوا وحلفوا عليه أليس هذا بالحق اي هذا الجزاء حق لا باطل وقيل معناه أليس هذا المستحق لكم قالوا بلى وربنا اعترفوا وحلفوا عليه أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين **قوله تعالى** فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اولوا العزم اولوا الجد والثبات والعزم والصبر والحزم والصواب من الرسل اي من رسل الله الذين اتت من جملتهم وقيل العزم توطين النفس على الفعل مع التصميم والمحققون على ان رسل الله اولوا العزم ومن في الاية للتبيين لا للتبعيض كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان ابن زيد كل الرسل كانوا ذوي عزم لم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية من البز وكل الانبيا اولوا العزم الا يونس عليه السلام وقيل هم جميع الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله في عقبه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الكلبي هم الذين امروا بالقتال فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة بالبراة وجاهدوهم وقيل اولوا العزم اربعة عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله تعالى الى الانبيا اني مرسل اليكم عذابي على عصاة بني اسرائيل وان شئتم انجيتكم وانزلت العذاب على بني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل وانزل باولئك العذاب وذلك ان سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من سلخ راسه ووجهه ومنهم من رفع على الخشب ومنهم من احرق بالنار صلى الله عليهم اجمعين وقيل هم ستة موسى وهارون وابراهيم

وهود

وهود ولوط وشعيب وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقيل اصحاب الشرايع وهم خمسة نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم مقاتل اولوا العزم ستة نوح صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في البير والسجن وايوب صبر على ضره الحسن البصري هم اربعة ابرهيم وموسى وداود وعيسى فاما ابرهيم فعزمه انه قيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقًا وفيًا في جميع ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين واما داود فعزمه انه اخطا خطيئة فنبه عليها فبكى اربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة وقعد تحت ظلها واما عيسى فعزمه انه لم يضع لبنة على لبنة قال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها وقال الله في ادم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اي كن صادقًا فيما ابتليت به مثل صدق ابرهيم عليه السلام واثقًا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى مهتمًا لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدًا في الدنيا مثل عيسى فاده نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابو العالية كانوا ثلثة ابرهيم ونوح وهود ومحمد رابعهم صلى الله عليه وسلم امران يصبر كما صبروا ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الاخرة لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار يعني في حسب يوم القيمة وقيل لانهم ينسيهم هول ما عاينوا قدر مكثهم في الدنيا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة وهذا تبليغ من الرسول وقيل هذا القران بلاغ وما ذكر فيه من البلاغ بلغكم محمد صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل فهل يهلك بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله وعن الاتعاظ به والعمل بموجبه

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية وهي الفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفًا وخمسمائة وتسع وثلثون كلمة وثمان وثلثون اية ۵ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منًا بعد

واما فداءً حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض
والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم الذين كفروا بتوحيد الله وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام
وهم مشركوا قريش اضل اعمالهم اي ابطلها ولم يجعل لها ثوابا وكانها لم تكن ابن عباس هم المطعمون
يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام
ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم الاسلام وقيل هو عام
في كل كفر وصد قال صاحب الكشاف اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة
ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي بمضيعة لا رب لها يحفظها
ويعتني بامرها وقيل جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة كما يضل الماء في اللبن واعمالهم
ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ
الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان
نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وامنوا
بما نزل على محمد من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به
واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو
الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سيئاتهم غفر لهم وسترها عليهم واصلح بالهم حالهم
وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسلط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد وذلك مبتدأ
ما بعده خبره اي ذلك الاضلال لاعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وتكفير السيئات واصلاح
البال للذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد بسبب ان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم وقيل ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر كما ذكر بهذا السبب
فيكون الجار والمجرور في محل الرفع على الاول وفي محل النصب على الثاني والباطل ما لا ينتفع به مجاهد
الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
للناس امثالهم اي امثال الناس او امثال المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم
لاجل الناس ليعتبروا بهم قال صاحب الكشاف فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع
الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار
وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب
الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب مناب الفعل مضافا
الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي

فيه

فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها
من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه
عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان
ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكر في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة
والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة
العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم فاغلظتموهم من الشيء
الثخين وهو الغليظ وقيل اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض وقيل قهرتموهم
وغلبتموهم فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبات
بفعليهما مضمرين فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بين الاسرى ان تمنوا عليهم
فتطلقوهم وبين ان تفادوهم وحكم اسارى المشركين عند الشافعي ان يكون للامام ان يختار
احدا اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين
والمن وعند ابي حنيفة واصحابه احد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون
في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن
عليهم ليقبلوا الجزية ويكونوا من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسراهم اسارى المشركين فقد
رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان
يعودوا حربا للمسلمين حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها والاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح
والكراع قال الاعشى ﴿ واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا ﴾ وسميت
اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها
وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا
وقيل حتى يتعلق بالضرب والشد وقيل بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل
اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون
ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى للمشركين شوكة واذا علق بالمن
والفداء فالمعنى انه يمن ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان تتاول المن والفداء
بما ذكرنا من التاويل ذلك الذي ذكرت وبين من حكم وقيل الامر ذلك وقيل افعلوا ذلك ولو يشاء

الله لا نتصر منهم فاهلكهم وكفاهم امرهم بغير قتال او بغير كم او بالملائكة او بتسليط اضعف خلقه
عليهم وقيل ولو يشاء الله لانتصر منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب
او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اى ليبلو المومنين بالكافرين
ليظهر المحق من المبطل فيجازيكم على ما يظهر ويعلم المجاهدين منكم والصابرين والذين قتلوا في سبيل
الله قرا ابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم بضم القاف وكسر التاء مخففا من غير الف والباقون
قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون فلن يضل اعمالهم قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم
احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون
اعل هبل فنادى المسلمون الله اجل واعلى فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم
ففي النار يعذبون سيهديهم في الدنيا الى الطاعات وفي العقبى الى الدرجات يعني الشهداء وقيل يثبتهم
على الهداية يعني المجاهدين وقيل سيهديهم الى جواب منكر ونكير في القبر ويصلح بالهم امر معاشهم في الدنيا
وقيل حالهم في النعيم وكرر لان الاول سبب النعيم والثاني نفس النعيم وقيل يصلح قلوبهم بنزع الغل منها
وقيل يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اى بين لهم منازلهم فيها حتى يهتدوا الى مساكنهم
ودرجاتهم التي قسم الله لهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها احدا كانهم سكانها منذ خلقوا وان احدهم
لاهدى الى منزله منها اذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشكل ذلك عليه وانه اهدى الى جنته وزوجته
وخدمه منه الى اهله ومنزله في الدنيا الموحد يعني طيبها لهم والعرف الريح الطيبة تقول العرب عرفت
المرقة اذا طيبتها بالملح والابازير وقيل عرفها حددها لكل احد بحد وحده معروف عن غيرها من عرف
الدار وارفها والعرف والارف الحدود **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
فاحبط اعمالهم   يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اى ان تنصروا رسول الله ودينه ينصركم
على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم على الاسلام وفي مواطن القتال والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء
والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا ابن عباس تعسا لهم بعدا لهم ابو العالية
سقوطا وقال الضحاك خيبة ابن زيد شقاء ابن جريج خزيا او بلاء وهو نصب على المصدر على سبيل الدعاء
واصل التعس في الناس والدواب وهو ان يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ويقال تعسه الله
فتعس وهو متعس وضده لعا اذا ارادوا قيامه وقد جمعهما الاعشى في بيت واحد يصف ناقته بذات
لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا واضل اعمالهم معطوف على الفعل الذي نصب
تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم ذلك الاضلال والاتعاس بانهم كرهوا ما انزل الله اى القران وما انزل الله

من التكاليف

من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك
وتعاظم فاحبط الله اعمالهم **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم   دمر الله عليهم اى اهلكهم
ودمر عليهم ما اختص بهم والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم
وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها اى امثال الهلكة لان التدمير يدل عليها وقيل امثال العاقبة
المذكورة وقيل امثال السنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا ذلك الذي ذكرت وفعلت بان
الله مولى الذين امنوا وليهم وناصرهم وحافظهم قال صاحب الكشاف فان قلت قوله وردوا الى الله
مولاهم الحق مناقض لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه
ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المومنين خاصة والذين كفروا يتمتعون
متاع الحياة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها
ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام **قوله تعالى**
وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم   وكاين من قرية من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك
من اهل قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الى
ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة حجة وبرهان وعقل
وبيان من ربه وهو محمد والمومنون كمن زين له سوء عمله وهم اهل مكة ابو جهل والمشركون الذين
زين لهم الشيطان سوء عمله اى الشرك واتبعوا حمل على اللفظ في له سوء عمله وعلى المعنى في واتبعوا
اهواءهم **قوله تعالى** مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها
من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال
صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار
قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار و
دخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه
قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اى كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عرى من حرف الانكار

وما فائدة التعرية قلت تعرية من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد والتي وعد المتقون في محل الجر صفة للجنة ووعد المتقون صلة التي فيها انهار داخل في حكم الصفة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار من ماء غير اسن اجن متغير منتن يقال اسن باسن واجن ياجن اسونا واجونا اذا تغير طعمه وريحه قرا ابن كثير بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعام وانهار من خمر لذة فانثت لذا وصف بمصدر لم تدنسها الارجل ولم تدنسها الايدي والمعنى ما هو الا اللذة الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا افة من افات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فتخالطه الشمع وعن ابن كعب الانهار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة والفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ولهم ولهم فيها في الجنة من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار فاستغنى بدلالة الكلام عليه وقيل مثل الجنة التي فيها هذه الانهار كمثل النار التي فيها الحميم ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب الاليم وسقوا ماء حميما قيل اذا ادني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم **قوله تعالى** ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ومنهم ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم بذلك فلا يسمعونه حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة ماذا قال محمد انفا الان والساعة على جهة الاستهزاء قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فيسمع المنافقون قوله فلما خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء وتهاونا منهم بقوله قال ابن عباس في قوله تعالى قالوا للذين اوتوا العلم ماذا انا منهم وقد سئلت فيمن سئل قال قتادة هؤلاء المنافقون دخل رجلان رجل عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع وكان يقال الناس ثلاثة فسامع عقل وسامع عاقل وسامع غافل تارك اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا يعني المؤمنين زادهم هدى اي زادهم

الله

الله هدى واتاهم تقواهم اي الهمهم ذلك ووفقهم سعيد بن جبير واتاهم ثواب تقواهم فهل ينظرون ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو قوله ان تطاوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطاوهم بغتة فقد جاء اشراطها اماراتها وعلاماتها وقيل مبعث محمد عليه السلام خاتم الانبياء منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقوله فقد جاء اشراطها متصل باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول وقيل اشراطها ادلتها وحدوثها واحدها شرط واصل الاشراط الاعلام ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ومنه الشرط في البيع وغيره يقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له فانى لهم يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ اذا جاءتهم الساعة بغتة نظيره وانى لهم التناوش من مكان بعيد **قوله تعالى** فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها لما ذكر حال المؤمنين والكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة المؤمنين الموحدين وشقاوة الكفار والمنافقين فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنب المؤمنين والمؤمنات وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره واختها كتبت الحسين ابي الفضل فازدد علما على علمك وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضجر ويضيق صدره من طعن الكافرين والمنافقين فيه فانزل الله قوله فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك على احد سواه ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه فاعلم انه لا ملجا ولا مفزع عند قيام الساعة الا الى الله نظيره مالك يوم الدين واستغفر لذنبك من التقصير الواقع لك في معرفة الله وللمؤمنين والمؤمنات عن عبد الله بن سرجس دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال ولك فقال رجل من القوم استغفر لك رسول الله قال نعم ولك ثم قرا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات فانها صدقة والله يعلم متقلبكم بتصرفاتكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى ويستغفر ويرحم وعن عكرمة متقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض ابن كيسان متقلبكم

من طرالى بطون ومثواكم مقامكم في القبور ابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشغالكم ومثواكم مضجعكم بالليل لا يخفى عليه شي من ذلك ابن عيينة وقد سيل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله تعالى وقد بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا وقال بعده واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعده فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد ويقول الذين امنوا استثناء فامنة الى الوحي وحرصا على الجهاد وكانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة تامر بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة رايت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك نظرا بتحديق شديد كراهة منهم عن الجهاد وجبنا عن لقاء العدو ونظر المغشي عليه اي كنظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما تشخص ابصار الذي اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد وتهديد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعا عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف اي طاعة وقول معروف حسن وقيل هو متصل بالكلام الاول واللام في لهم بمعنى الباء والمعنى فاولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة والطاعة فاذا عزم الامر والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسند الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اي اذا جد الامر وعزم عليه وامروا بالقتال فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد وفي اظهارهم الايمان والطاعة وواطات قلوبهم فيه السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم لغة اهل الحجاز واما لغة بني تميم فيقولون عسى ان يفعل ولا يلحقون الضماير وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ ان تفسدوا في الارض يعني هل يتوقع منكم الافساد في الارض والمعنى انكم لما عهد منكم احقا بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمرسكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولا ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليها لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان توليتم اعرضتم عن القران وعن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان تفسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى ما كنتم عليه في جاهليتكم من الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام واكرمكم بالالفة ومن الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام مقاتلة بعض الاقارب بعضا

وواد

وواد اساف قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم القوم حين تولوا عن كتاب الله وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم عن طريق الهدى وقيل يجوز ان يريد بالذين امنوا المومنين المخلصين الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطا عنهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا يتدبرون القران ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل وهمزة الاستفهام للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر قتادة اذن والله يجدوا في القران زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا وتنكير قلوب فيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضافة الاقفال الى القلوب لاختصاصها بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وعن خالد بن معدان قال ما من الناس احد الا وله اربعة اعين عينان في وجهه لدنياه ومعيشته وعينان في قلبه لدينه وما وعد الله له من الغيب وما من احد الا وله شيطان متبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عاتقه فاغرفاه الى ثمرة قلبه فاذا اراد الله بعبد خيرا ابصرت عيناه اللتان في قلبه وما وعد الله من الغيب فعمل به واذا اراد الله بعبد شرا طمس عليهما فذلك قوله تعالى ام على قلوب اقفالها وعن عروة ابن الزبير تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوبها اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال كلام الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به

قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم قتادة ان الذين ارتدوا على ادبارهم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد عليه السلام سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول زين لهم ركوب العظايم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول واملى لهم قرا ابو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله والباقون بفتح الالف واللام على معنى واملى الله لهم اي مد لهم في الامال والاماني وذلك الاضلال والاملاء بانهم يعني بان اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله يعني للمنافقين وقيل عكسه اي قال المنافقون لليهود وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لين اخرجتم لنخرجن معكم سنطيعكم في بعض الامر وهو التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله وقيل بعض الامر

ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين اليهود والمنافقين للمشركين سنطيعكم في التظاهر
على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى بعض الامر في بعض ما تامرونه
به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم في اهل الكوفة الا ابا بكر بكسر الهمزة على المصدر
والباقون بفتحها على جمع سر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم
اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم عند الموت بن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى
احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما
اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ومعاونة المشركين وارتكاب المعاصي وكرهوا رضوانه ما يرضيه
من الطاعة ونصرة المومنين والايمان برسول الله فاحبط اعمالهم **قوله تعالى**
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا
اخباركم ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم
على المومنين واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين واظهارهم على نفاقهم
وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم واعلمناكهم
ودللناك عليهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعرفون
بها وعن انس ما خفي على رسول الله بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولقد كنا في غزوة وفيها سبعة من المنافقين يشكرهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا على جبهة
كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام في فلعرفتهم هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم
كررت في المعطوف واللام في ولتعرفنهم واقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول
بن عباس معنى القول الحسن في فحوى القرطبي في مقصد القول ومغزاه وقيل في لحن القول في نحو
واسلوبه ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من
العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض
والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن تعرفه ذووا الالباب وقيل للمخطي لاحن لانه
يعدل بالكلام عن الصواب قيل اللحن وجهان صواب وخطا فاما الصواب فالفعل منه لحن يلحن
لحنا فهو لحن اذا فطن لشي ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته
من بعض والفعل من الخطا لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته وفي الخبر
انه قيل لمعاوية ان عبيد الله بن زياد يتكلم بالفارسية فقال اليس ظريفا من ابن اخي ان يلحن في
كلامه اي يعدل به من لغة الى لغة والله يعلم اعمالكم ورا ظاهرها وباطنها ويميز خيرها من شرها

ولنبلونكم

ولنبلونكم بمعاملة المبتلي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي نعلمهم عيانا كما علمناهم
غيبا فان المجازاة تقع على ما يظهر منكم والمجاهدون هم الغزاة وقيل الزاهدون في الدنيا والصابرون
على الجهاد وقيل عن الدنيا ونبلوا اخباركم ما تخبرون به عن اعمالكم وما يحكى عنكم وقيل اسراركم وقيل
ما ستفعلونه وعن الفضيل اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا هتكت
استارنا وفضحتنا **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يعني المطعمين
يوم بدر وشاقوا الرسول عادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا
الرسول قيل نزلت في قوم امنوا ثم ارتدوا لن يضروا الله بارتدادهم وسيحبط اعمالهم التي عملوها
في الدنيا يرجون بها الثواب لانها بسبب كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاداتهم له باطلة
وهم قريظة والنضير وقيل سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايدة التي نصبوها في مشاقة الرسول اي
سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
وقيل هم روسا قريش والمطعمون يوم بدر **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بمعصيتهما مقاتل لا تمنوا على رسول الله فتبطلوا اعمالكم
بن عباس بالريا والسمعة والشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون
والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم
ولا يسئلكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هاولاء تدعون
لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم مقاتل نزلت في رجل سال النبي
عليه السلام عن والده وقد انه كان محسنا في كفره فقال هو في النار فولى الرجل وهو يبكي
فدعاه فقال والدك ووالدي ووالد ابرهيم في النار فنزلت هذه الاية الكلبي نزلت في روسا
اهل بدر فلا تهنوا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تذلوا للعدو وتدعوا الكفار الى الصلح وانتم
الاعلون عليهم اي الاعلون الاقهرون قيل حال وقيل استيناف ووعد والله معكم بالنصر قتادة
لا تكونوا اول طائفتين صرعت الى صاحبتها بالموادعة ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له
قتيلا من ولد او اخ او حميم وحقيقته افردته من قريبه او من ماله وهو من الوتر وهو الفرد
فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام

من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما قتلا ونهبا بن عباس وقتادة وبن
زيد لن يظلكم مجاهد لن ينقصكم اعمالكم بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله انما الحياة الدنيا
لعب ولهو ينقطعان في اسرع مدة اى عن قريب ينقضيان من غير عقبى وقيل ذات لعب ولهو لان
غالب امر الناس فيها اللهو واللعب وان تومنوا بالله ورسوله وتتقوا الشرك يوتكم اجوركم
ولا يسالكم اموالكم اى جميعا انما يقتصر على ربع العشر وقيل لا يسالكم اموالكم لنفسه وقيل لا يسالكم
اموالكم انما ذلك ماله وهو المنعم باعطايه ثم قال ان يسالكموها فيحفكم فيجهدكم ويلح ويلحف عليكم
والاحفا المبالغة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفاه في المسلة اذا لم يترك شيا من الالحاح واحفا
شاربه استاصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهيتكم ومعكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى
اى يضغنكم بطلب اموالكم وقيل الضمير للبخل لانه سبب الاضغان ها انتم هاولاء موصول بمعنى
الذى صلته تدعون اى انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هاولاء الموصوفون ثم استانف وصفهم
كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه
قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطا واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم
ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه
يقال بخلت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يامر بذلك ولا يدعوا اليه لحاجته اليه والله الغني الذي
لا يحتاج من شي الى شي فهو الغني عن العالمين لا حاجة به الى اموالكم ونفقتكم وانتم الفقرا المحتاجون
في كل شي من امور دينكم ودنياكم عاجلا واجلا وان تتولوا معطوف على قوله وان تومنوا وتتقوا اى
وان تعرضوا يا اهل مكة عن دينه وطاعته واتباع رسوله والانفاق في سبيله يستبدل قوما غيركم
يخلق قوما غيركم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما لقوله ويات بخلق
جديد وقيل يستبدل قوما غيركم اقام مقامكم قوما اخرين اطوع منكم ثم لا يكونوا امثالكم في حال توليكم
ان توليتم وليس يريد فيه الحالة الاولى لانهم كانوا على احسن حال وقيل في جميع الاحوال وقيل انهم
العرب والقوم المستبدل بهم الملايكة وزيف بان القوم لا يقع على الملايكة وقيل اهل اليمن وقيل
الانصار وقيل كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وعن ابي هريرة قال ان ناسا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هاولاء الذين ذكر الله عز وجل في القران
ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالكم وكان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذ سلمان رضي الله عنه وقال هذا وقومه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس ٥ ٥ ٥ ٥

سورة

سورة الفتح مدنية

كلها باجماعهم وهي الفان واربعماية وثمانية وثلاثون حرفا وخمسماية وستون كلمة
وتسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا قيل فتح
مكة وقيل فتح الروم وغيرها وقيل المراد بالفتح صلح الحديبية وقيل فتح الاسلام بالحجة
والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم والمختار من هذه الاقاويل فتح مكة وقيل
فتح الحديبية وقيل فتح الاسلام بالاية والبيان والحجة والبرهان ابن عباس سبب نزولها
انه لما نزل قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت اليهود كيف نتبع رجلا لا يدري
ما يفعل به فاشتد ذلك على رسول الله فنزلت هذه الاية قال الاكثرون ان الفتح كان يوم
الحديبية قال البرا ابن عازب نحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الشعبي هو فتح الحديبية
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس
ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية
وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم
في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد كثير بالاسلام قال مجاهد يعني بالفتح ما قضى الله له
من نحر الهدي بالحديبية وحلق راسه وقال ابن قتيبة انا فتحنا لك اى قضينا لك قضاء
عظيما ويقال القاضي الفتاح وقال الفرا الفتح قد يكون صلحا ويكون اخذ الشي عنوة ويكون
بالقتال وقال غيره معنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي جعل مع المشركين بالحديبية
كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله الاشارة الى قصة الحديبية روت عايشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في النوم كان قايلا يقول له لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله امنين فاصبح فحدث الناس برؤياه وامرهم بالخروج الى العمرة فذكر اهل
العلم بالسير انه خرج واستنفر اصحابه الى العمرة وذلك في سنة ست ولم يخرج بسلاح
الا السيوف في القرب وساق هو واصحابه البدن فصلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بالبدن
فجللت ثم اشعرها وقلدها وفعل ذلك اصحابه واحرم ولما بلغ المشركين خروجه فاجمع
رايهم على صده عن المسجد الحرام وخرجوا حتى عسكروا بلدح وقدموا فارسا الى كراع الغميم وسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دنا من الحديبية وهي بير فسمي المكان باسم البير قالوا بينها
وبين مكة تسعة اميال فوقفت يد راحلته فقال المسلمون حل حل يزجرونها فابت فقالوا

خلأت القصواء والخلاء في الناقة مثل الحران في الفرس فقال ما خلأت ولكن حبسها حابس
الفيل اما والله لا تسالوني خطة فيها تعظيم حرمة الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فقامت فولى
راجعا عوده على بدئه حتى نزل على ثمد من اثماد الحديبية قليل الماء فقام فانتزع سهما من كنانته
فغرزه فيها فجاشت لهم بالرواء وجاءه بديل بن ورقاء في ركب فسلموا وقالوا جئناك من عند قومك
وقد استنفروا لك الاحابيش ومن اطاعهم يقسمون لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد
خضراؤهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم نأت لقتال احد انما جئنا لنطوف بهذا البيت فمن صدنا
عنه قاتلناه فرجع بديل فاخبر قريشا ما خبرهم فبعثوا عروة بن مسعود فكلمه بنحو ذلك فاخبر قريشا
فقالوا نرده في عامنا هذا ويرجع من قابل فيدخل مكة فيطوف بالبيت فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عثمن بن عفان فقال اذهب لقريش فاخبرهم انا لم نأت لقتال احد وانما جئنا زوارا
لهذا البيت معنا الهدي ننحر وننصرف فاتاهم فاخبرهم فقالوا لا كان هذا ابدا ولا يدخلها العام
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمن قد قتل فقال لا نبرح حتى نناجزهم فذاك حين دعا المسلمين
الى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة وفي عددهم يومئذ اربعة اقوال احدها الف واربعمائة
قاله البراء وسلمة بن الاكوع وجابر ومعقل بن يسار والثاني الف وخمسمائة روي عن جابر ايضا وبه
قال قتادة والثالث الف وخمسمائة وخمس وعشرون رواه العوفي عن ابن عباس والرابع الف وثلثمائة
قاله عبد الله بن ابي اوفى قالوا وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله على يمينه لعثمن
فقال انه ذهب في حاجة الله ورسوله وجعلت الرسل تختلف بينهم فاجمعوا على الصلح فبعثوا
سهيل بن عمرو في عدة رجال فصالحه كما ذكرناه فاقام بالحديبية بضعة عشر يوما ويقال عشرين
ليلة ثم انصرف فلما كان بضجنان نزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال جبريل يهنئك يا رسول الله
وهناه المسلمون وقيل هو فتح مكة وقيل نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام
الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة في اخباره لانها في تحققها
وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على شان المخبر ما لا يخفى والاول
ان يحمل على الجميع اذ لا محذور فيه ليغفر لك الله ما تقدم جعل الفتح علة لاجتماع ما عدد من الامور
الاربعة المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك الفتح
ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين والاغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون الفتح من
حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب
لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم
بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا

الصلح

الصلح قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية
قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا الفتح لقد صدونا عن
البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح
قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالبراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان
وقد راوا منكم ما كرهوا ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل
ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل
الفتح ليس بسبب للمغفرة وانما التقدير انا فتحنا لك فاستغفر لذنبك ليغفر لك الله والفتح
فسبح واستغفر وقيل يجتمع لك المغفرة مع الفتح ويتم النعمة عليك وقيل ان اللام لام القسم
اي ليغفرن الله فلما حذفت النون كسرت اللام وانشد اذا قال قطني قلت آليت حلفة لتغني عني
ذا انائك اجمعا وقيل المغفرة سبب للفتح اي لمغفرتنا لك فتحنا لك ما تقدم من ذنبك اي تقدم
النبوة وما تأخر بعدها وقيل قبل الفتح وبعده وقيل ما تقدم من ذنب آدم وحوا وما تأخر من ذنوب
امتك وقيل ما وقع وما يقع على طريق الوعد مغفور وقيل اول ذنوبك وآخرها ووحد لانه اشارة
الى الجنس وقيل هذا على وجه المبالغة ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد عليك ويهديك
صراطا مستقيما ويثبتك عليه وينصرك الله نصرا عزيزا عزا لا ذل بعده ابدا وقيل معزا وقيل
ممتنعا على غيرك مثله وقيل عزيزا لا يزيله ولا يعلوه احد **قوله تعالى** هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وساءت مصيرا لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر
وذلك لانه تعالى قد ينصر رسله بصيحة تهلك اعداءهم او رجفة تحكم عليهم بالفنا او بصبر وقوة
وثبات قلب يرزق المؤمنين ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة
تحقيقا للنصر السكينة كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكينة والطمانينة بسبب
الصلح ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما
اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم
الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم وقيل انزل

السكينة لئلا ينزعج قلوبهم لما يرد عليهم فسلموا لقضاء الله وكانوا قد اشتد عليهم صد المشركين
لهم عن البيت حتى قال عمر رضي الله عنه علام نعطي الدنية في ديننا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني ثم اوقع الله الرضى بما جرى في قلوب
المسلمين فسلموا واطاعوا ليزدادوا ايمانا وذلك انه كلما نزلت فريضة زاد ايمانهم ولله جنود السموات
والارض اي كل من في السموات والارض ملك له وعبيد عز له الجند له لو شاء نصر نبيه لا نتصر به
كما نصر بالجند ولكنه اختاركم لذلك فاشكروه وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض
الانس والجن وقيل كلها جنود من حيث انها تدل على الوحدانية قال صاحب الكشاف ولله جنود
السموات والارض سلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب
المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها
فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وكان الله
عليما فيما فيهما حكيما فيما خلقهما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية سبب نزولها انه لما نزل قوله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هنيئا لك يا رسول الله ما اعطاك فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم قبل ان يدخلهم الجنة ليدخلوها معرين من الآثام وكان
ذلك عند الله اي في الدار الآخرة وقيل في حكم الله كما يقول هذا عند ابي حنيفة جائز اي في حكمه
فوزا عظيما وقيل اللام في ليدخل متعلقة بفتحنا ولم يدخل الواو لانه المعدد انا فتحنا ليغفر انا فتحنا
ليدخل المؤمنين وقيل متصل بانزال يعني ليزدادوا ايمانا ليدخل المؤمنين فيكون بدلا من قوله
ليزدادوا وبدل الاشتمال وقيل متصل بقوله ليزدادوا اي ليزدادوا ليدخل وقيل بالمعنى يعني ولله
جنود السموات والارض ولم ينتصر بهم وانتصر بالمؤمنين ليدخل المؤمنين ويعذب المنافقين
هو عطف على يدخل قال مقاتل لما سمع عبد الله بن ابي بذلك انطلق في نفر الى رسول الله فقالوا ما لنا
عند الله فنزلت ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء
هو ظنهم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وقيل ظنهم ان الله ينصرهم على رسوله
والمؤمنين وقيل هو ظنهم ان لله شريكا وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احدا السوء عبارة عن
رداءة الشيء وفساده والصدق عبارة عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال
فعل صدق وفي المسخوط الفاسد فعل سوء عليهم دائرة السوء اي تدور اليهم وتعود اليهم ضرر ما دبروا
اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين تحيط بهم وتدور عليهم والسوء بالضم المصدر وهو الهلاك
والدمار قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين والباقون بفتحها اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي

عندهم

عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق والسوء بالضم كالكره والكره والضعف والضعف
من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر
الذي هو نقيض الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان
حقها الا يضاف اليها الا على التاويل الذي ذكر واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه
وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة وغضب الله عليهم
اسخطهم ولعنهم ابعدهم من رحمته واعد لهم جهنم هيأها لهم وساءت مصيرا اي جهنم **قوله تعالى**
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما   صدفع كيد من عادى الله والمؤمنين
بما شاء منها وكان الله عزيزا في امره حكيما في فعله **قوله تعالى** انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
شاهدا على امتك يوم القيامة وقيل شاهدا لهم بعملهم وقيل شاهدا للانبياء بالتبليغ
وقيل بسلامهم ومبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قرأ ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه
ويوقروه ويسبحوه كلها بالياء والباقون بالتاء على معنى قل لهم وقيل الاخبار للناس والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ولامته ويعزروه ويوقروه بالنصر والعزر والتعزير النصر مرة بعد اخرى
وقيل يطيعوه ويجلوه ويعظموه قيل الضمير في يعزروه ويوقروه يعود الى الله قال الله تعالى ان تنصروا
الله ينصركم قال ما لكم لا ترجون لله وقارا اي عظمة وقيل الضمير فيها يعود الى النبي عليه السلام اي
يعظموا النبي ويدعوه باسم الرسول وباسم النبي ويسبحوه اي يسبحوا الله وينزهوه وقيل يصلوا له وهذا
لله خالصا واستحسنوا الوقف على ويوقروه لهذا بكرة غداة واصيلا عشيا وقيل دائما **قوله
تعالى** ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث
على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما   ان الذين يبايعونك
بيعة الرضوان يوم الحديبية على الموت وان لا يفروا وسميت بيعة لانهم باعوا انفسهم من الله
بالجنة وكان البيعة مع رسول الله انما يبايعون الله مكانهم بايعوا الله لان الله ضمن لهم الجنة
بوفائهم يد الله فوق ايديهم لما قال انما يبايعون الله اكده توكيدا على طريق التخييل فقال يد الله
فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله
سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول
كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل يد الله في الوفاء فوق
ايديهم وقيل يد الله في الثواب فوق ايديهم وقيل يد الله في المنة عليهم بالهداية فوق ايديهم بالطاعة
وقيل قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم قال القفال المعنى راجع الى ما جرت به العادة من التصافق

في الايدي في المبايعات وايضا هو من قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى العليا المعطية اي الله يعطيهم ما يكون له بدا لفضل عليهم وقيل ملك الله فوق ملكهم فمن نكث نقض العهد ولم يوف به فانما ينكث على نفسه اي يرجع ذلك النقض عليه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبى تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي اتى به وافيا غير منتقص وقيل عاهد عليه الله في ايمانه فسيؤتيه قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابان عن عاصم بالنون والباقون بالياء اجرا عظيما جزيلا وهو الجنة ونعيمها **قوله تعالى** سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوما من الاعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم انه يهزم فانهم قالوا اهل مكة يقاتلون عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم واحاط العدو بهم فاعتذروا ابن عباس هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والديل واسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل قوم من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلبون الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس من يقوم باشغالهم سيقول لك المخلفون سموا مخلفين لان الله سلبهم التوفيق لما لم يخلصوا نياتهم فخلفهم وقيل المخلف الذي لا يؤبه به من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا اي لم يكن لنا من يخلفنا في اموالنا واهلينا فخفنا الضياع عليها وعلى اموالهم فاستغفر لنا سل الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك وان كان عن عذر يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني قولهم استغفر لنا وقيل هو قولهم شغلتنا اموالنا واهلونا لانهم علموا ان المانع حدث منهم لديهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس عما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الا الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ضرا قرا حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد والباقون بالفتح قيل بالفتح خلاف النفع

وبالضم

وبالضم سوء الحال وقيل هما لغتان اي ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقيل معناه استغفاري لكم مع خبث نيتكم لا يدفع عنكم عذاب الله بل كان رد لقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي انما خلفكم ظنكم ان المشركين يستأصلون الرسول والمؤمنين فلا يرجع احد منهم الى اهله اما ان يقتلوا او يهزموا فيتبددوا في البلاد وزين ذلك في قلوبكم اي زينه الشيطان وقيل قوي في قلوبكم وظننتم ظن السوء من علو الكفار وانتشار الفساد وكنتم قوما بورا هالكين وقيل فاسدين من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين اقيم مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما يدبره تدبير قادر مختار حكيم فيغفر ويعذب بمقتضى مشيئته ومشيئته المغفرة للمؤمنين وتعذيب الكافرين ومشيئته موافقة لحكمته وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الشرك **قوله تعالى** سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اوضح الله كذبهم به حيث كانوا عندما يكون السفر الى مغانم يتوقعونها جمهور المفسرين على ان هؤلاء هم المخلفون من الاعراب المذكورون فيما تقدم اذا انطلقتم ذهبتم الى مواطن مغانم لتأخذوها هي مغانم خيبر وعد اهل الحديبية ان غنائم خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر ولم يغب منها احد الا جابر بن عبد الله فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وذكر الزهري ان غنائم اهل خيبر كانت بين اهل الحديبية من حضر منهم ولمن حضرها ولمن غاب من غيرهم من الناس وكان انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم من سنة ست ثم خرج في بقية محرم الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرا وجعلها لهم خاصة روي انه عليه السلام لما بدا حصنها قال خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فلما سمع هؤلاء المنافقون بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه غنائم خيبر قالوا ذرونا نتبعكم فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم لان الله امره ان لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية لتكون الغنائم لهم عوضا من غنائم مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح يريدون ان يبدلوا كلام الله هو قوله لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وقيل هو قوله لن تتبعونا ولن تكونوا

مؤمنين بوعد الله المسلمين ما وعدهم ولكن استيذانهم الى خيبر كان فعل من يريد تبديل كلام الله تعالى
الله لنبيه قل لن تتبعونا هو نهي وليس بنفي لان الله قال ذلك ولا مبدل القول لديه وقيل الى خيبر فقط
وقيل عام في غزواته كذلكم قال الله من قبل اي قبل انصرافهم الى المدينة وقيل تهيأهم للخيبر وقيل كلام
الله ههنا هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا وقيل ان تعروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك ان الله
وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا فعلوا مرادهم لا يصيبون فيها شيئا فسيقولون
بل تحسدوننا اي ما امركم به الله بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وتشاركونا في الغنيمة بل
كانوا لا يفقهون الا قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقيل لا يفقهون من كلام الله شيئا الا قليلا وقيل لا يعلمون ان لا تبديل
لكلام الله وقيل الاستثناء من واو الضمير ونصب على اصل الاستثناء وهم الذين اسلموا منهم والاضراب
الاول بل تحسدوننا معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والاضراب الثاني اضراب
عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قوله تعالى
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم
الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما قل يا محمد للمخلفين الذين
تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد وقيل هم هوازن وغطفان وقيل هم الروم
غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك وقيل يدعوهم ابو بكر رضي الله عنه الى بني حنيفة مع
مسيلمة الكذاب وقيل يدعوهم عمر الى فارس وقيل المخالفون عن تبوك وكانوا ثلثة اصناف صنف
كفروا ونزل فيهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وصنف اسلموا وهم الذين اعترفوا بذنوبهم
وصنف هم آخرون مرجون لامر الله وهم المعنيون بهذه الآية فالداعي الاول والثاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الثالث ابو بكر وفي الرابع عمر لانهم يقتلوا الى هذه المدة وقيل هم الحلفا جميعا
داخلون في هذه الآية ولذلك الكفار جميعا وقيل الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة
واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين الذين لا يقبل منهم
الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم
الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس
والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت
عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان صح ذلك

فالمعنى

فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول
مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم
في المغنم والمعنى تقاتلونهم او يسلمون وقيل الى ان يسلموا فلما حذف ان رفع الفعل فان تطيعوا يؤتكم الله
اجرا حسنا في الدنيا الغنيمة وفي الآخرة الجنة وقيل الغنيمة فحسب فمن حملهم على المنافقين وجعل
الداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم لانهم اذا اظهروا الايمان لزم الخلفا والمؤمنين اجراهم مجرى المخلصين
وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما في الآخرة قوله تعالى
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما ابن عباس قال اهل الزمانة وكيف
بنا يا رسول الله فانزل الله ليس على الاعمى اثم عن التخلف لانه لا نظر له المقصود لا يمسح على قصده
ولا على الاعرج من العلل اللازمة احدى الرجلين او كلتيهما حرج ولا على المريض الذي لا قوة به حرج
عذر الله اهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الى الحديبية بهذه الآية ومن يطع الله ورسوله
فيما امر ونهاه يدخله جنات تجري من تحتها قرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما
والباقون بالياء فيهما ومن يتول يعرض عن الطاعة يعذبه عذابا اليما قوله تعالى
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم
واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما
واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة هم الذين تقدم ذكرهم وقيل ذلك عام في كل من بايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا خاص في بيعة الرضوان وسمي بيعة الرضوان لقوله لقد رضي الله عن المؤمنين
والشجرة كانت سمرة وقيل سدرة يروى انها عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت فعلم ما في قلوبهم
من صحة العقايد ونصرة الرسول فانزل السكينة عليهم وسكون النفس الى صدق الوعد وقوة القلب
حتى الجاتهم الى طاعة رسول الله واثابهم جازاهم فتحا قريبا فتح خيبر وقيل فتح مكة وقيل فتح مكة وعدا
ومغانم كثيرة ياخذونها وهي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاهم عثمان
بالصلح وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
وهي ما اصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم ايدي قريش كفهم الله بالصلح وقيل ايدي اليهود وهموا ان يغتالوا عيال المسلمين
الذين خلفوهم في المدينة فكفهم الله عن ذلك وقيل انهم اسد وغطفان حلفاء اهل خيبر جاؤا لينصروا

اهل خيبر فقذف الله في قلوبهما الرعب فانصرفوا عنهم وروي ان اسدًا وغطفان مع اهل خيبر
فقصدهم رسول الله فصالحوا وخلوا بينه وبين خيبر وقيل همّت اسد وغطفان باغتيال
اهل المدينة فكفهم الله عن ذلك عنكم قيل عن اهله وقيل عن عيالكم ولتكون هذه الكفة اية
للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل هذه الغنيمة
المعجلة اية دلالة على ما وعدهم من الغنائم وقيل ولتكون هذه الغنيمة دلالة للنبوة لانه وعدهم
فتح خيبر في طريق الحديبية وقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبيا
وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ولتكون اية عطف على
المعنى لان تعذر الا انه وعدكم الله مغانم ليجازيكم على ما كان منكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم
صراطًا مستقيمًا ويزيدكم هداية ويثبتكم صراطا مستقيما واخرى معطوف على هذه اى فعجل لكم هذه
المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين لم تقدروا عليها لما كان فيها من الحوار
قد احاط الله بها اى قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنّمكموها وقيل وعدكم الله مغانم اخرى
بنصره اياكم على العدو لم تقدروا عليها بعد وقد احاط الله بها علما انها ستصير اليكم وهي غنائم فارس
والروم وقيل لم تقدروا على فتحها فيما مضى قد احاط الله بها قدر على تمكينكم منها وفتحها لكم وكان الله
على كل شيء قديرًا ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر قد احاط الله بها وان لم تقدروا عليها صفة لاخرى
ويجوز ان تكون اخرى مرفوعة بالابتدا لكونها موصوفة بلم تقدروا عليها قد احاط الله بها خبر المبتدا
ويجوز الجر في اخرى باضمار رب ولتكون اية للمؤمنين يجوز ان يكون كلاما معترضًا ومعناه ولتكون
الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك قيل ويجوز ان يكون المعنى وعدكم الله في المغانم فعجل هذه الغنيمة
وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار
عن الغيوب معجزة واية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا **قوله تعالى** ولو قاتلكم الذين
كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليًا ولا نصيرًا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم
عليهم وكان الله بما تعملون بصيرًا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا
ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا اليمًا
ولو قاتلكم الذين كفروا يعني قريشا يوم الحديبية لولوا الادبار ولانهزموا اى لم يكن قتال ولو كان
قتال لكان بهزيمتهم لا يجدون وليا ينصرهم ولا نصيرًا يلي امرهم سنة الله في موضع المصدر المؤكد
اى سن الله عليه انبيايه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي اى سن سنة قديمة فيمن مضى من الامم

ان من قاتل

ان من قاتل نبيًا غلب وقيل سنة الله في نصرة من امن من الانبيا بالقتال وقيل سنة ان كل
قوم قاتلوا الانبيا انهزموا ولن تجد لسنة الله في نصر رسله تبديلا تغييرًا وهو الذي كف
ايديهم ايدي اهل مكة اى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم
والغلبة وعن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم
من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم واستحياهم
فانزل الله هذه الاية وعن عبد الله بن مغفل المزني كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحديبية في اصل الشجرة التي ذكرها الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله
بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم عليه السلام هل كنتم في عهد احد او جعل لكم احد
امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الاية وقيل كف ايديكم بان امركم ان لا تحاربوا
المشركين وكف ايديهم عنكم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل بالصلح من الجانبين وقيل ان عكرمة
بن ابي جهل خرج في خمسمائة رجل فقال عليه السلام لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد اتاك
في الخيل فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على جند يلقى
عكرمة في الشعب فهزمه حتى ادخله حيطان مكة ثم عاد فهزمه حتى ادخله جوف مكة فانزل الله
هذه الاية وسمي خالد يومئذ سيف الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة قال القفال يجوز ان يكون جميع ما دون ببطن
مكة من بعد ان اظفركم عليهم اى كف ايديكم عن القتال ببطن مكة فهو ظرف للقتال وبطن مكة
هو الحديبية لانها من ارض الحرم وقيل بطن ارض مكة والحرم كله مكة وقيل اظفاره دخوله
بلادهم بغير اذنهم وقيل اظفركم عليهم بفتح مكة وقيل بقضاء العمرة وقيل هذه الاية نزلت بعد فتح
مكة وكان الله بما تعملون بصيرًا قرا ابو عمرو يعملون بالياء من تحت والباقون بالتاء هم الذين
كفروا يعني قريشا وصدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام ان تطوفوا به للعمرة والهدي معكوفا
فعل صدوكم مع الهدي معكوفا حال وهو معكوف ممنوع وقيل محبوس وقيل موقوفا ان يبلغ محله محبس
اى ان لا يبلغ وقيل معكوفا عن ان يبلغ وينحر اى سيق الامر به الى ما سبق له والمحل اسم للزمان
والمكان من حل يحل اذا وجب قيل محل هدي العمرة مكة ومحل هدي الحج منًا والهدي جمع هدية ولم
يونث لان الجمع اذا لم يكن بينه وبين واحده الا الهاء جاز تذكيره وتانيثه قال صاحب الكشاف
محله مكانه الذي يحل فيه نحره اى يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان
قلت كيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر واهديهم بالحديبية قلت

بعض الحديبية من الحرم وروى ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل
ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل
المعهود وهو منى ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا
اى لم تعرفوهم باعيانهم انهم مومنون ان تطوهم بدل اشتمال من الرجال والنساء وقيل من الضمير المنصوب
على تعلموهم اى توقعوا بهم وتقتلوهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال ووطئتنا
وطاء على حنق وطء المقيد ثابت الهرم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشدد وطاتك على مضر
ويقال ان قوله صلى الله عليه وسلم وان اخر وطية وطيها الله بوج من هذا لان وج واديا لطايف
وكان اخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها وقيل ان تطاوهم خيلكم ورجالكم فتقتلوهم بسيوفكم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة عيب مفعلة من عرها اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه ابن زيد
اثم ابن اسحق غرم الدية وقيل الكفارة لان الله تعالى اوجب على قاتل المومن في دار الحرب
اذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله ايمانه الكفارة دون الدية فقال تعالى فان كان من قوم عدو
لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة ولم توجب على قاتله خطا دية والمعنى انه كان بمكة قوم من المومنين
مختلطون بالمشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم
عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه بغير علم متعلق بان تطوهم يعني ان تطوهم غير عالمين
بهم ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دل عليه الاية من كف الايدى عن اهل مكة والمنع
من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المومنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله
في رحمته مومنيهم وقيل ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دل عليه الاية من كف الايدى
عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المومنين كانه قال كان الكف ومنع
التعذيب ليدخل الله في رحمته مومنيهم وقيل ليدخل الله في رحمته في دين الاسلام من يشاء
الله ان يدخل في دين الاسلام من اهل مكة لو تزيلوا تميزوا اى تميز بعضهم من بعض من زاله يزيله
وقيل يعرفوا من قوله فزيلنا بينهم لعذبنا الذين كفروا من اهل مكة فيكون من التبعيض وقيل هم
الصادون فيكون من زياده عذابا اليما بالقتل والسيف وقيل يجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير
للولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا جوابهما وقيل فتصيبكم منهم معرة معنى
هولاء المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم ويفعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير
تمييز قال قتادة في هذه الاية ان الله يدفع بالمومنين عن الكافرين كما يدفع بالمستضعفين من
المومنين عن مشركي مكة عن حسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قول الله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما قال هم المشركون

من احداد

من احداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن كان بعدهم في عصره كان في اصلابهم المومنون
فلو تزيل المومنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا اليما **قوله تعالى**
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما
اذ جعل يجوز ان يعمل فيه ما قبله اى لعذبنا الذين كفروا وصدوهم عن المسجد الحرام في وقت جعل
الذين كفروا وقيل منصوب باذكر مضمرا في قلوبهم اى في قلوب الذين كفروا الحمية الانفة حمية
الجاهلية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم
ولا برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمية فعيلة من قول القايل حمى فلان انفه يحمي حمية
ومحمية قال المتلمس الا انني منهم وعرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما اى يمتنع فانزل الله
سكينته وقارا على رسوله وعلى المومنين فتوقروا وحلموا وصبروا والزمهم كلمة التقوى
الاخلاص وقيل كلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله بن عباس وعمرو بن ميمون
ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبد الله بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع
والسدي وبن زيد كلمة التقوى لا اله الا الله وهو قول عمر عطا بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده
لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحسن كلمة التقوى هي الوفا بالعهد ومعنى اضافتها
الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وقيل سمعنا واطعنا ومعنى الزمهم
اوجب عليهم وقيل الزمهم الثبات عليها وكانوا احق بها واهلها من غيرهم لان الله تعالى اختارهم لامته
من هم خيار امة وكان المومنون احق بكلمة التقوى لعدم انذارهم لولا ما سلبوهم من التوفيق
قيل ان الذين كانوا قبلنا لا يكون لاحد ان يقول لا اله الا الله في اليوم والليلة الا مرة واحدة
لا يستطيع ان يقول اكثر من ذلك وكان قايلها يمد بها صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضيلتها
وجعل الله لهذه الامة ان يقولوها متى شاوا وهو قوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها من الامم
السالفة وكان الله بكل شيء عليما فيجري الامور على وفق مشيته وقيل هو اسم الله لهم **قوله
تعالى** لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين
رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما رای

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة
امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم
داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله
بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام
فنزلت لقد صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف
الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق متعلق بصدق اي صدقه فيما راى
وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق وقيل متعلق بالرؤيا حال منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة
بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض
الباطل وقيل بالحق الذي هو من اسمائه لتدخلن المسجد الحرام جواب القسم المذكور على الاول
لتدخلن جواب قسم محذوف قيل راى في المنام رؤيا فيها ثلثة اوجه احدها انه راى رؤيا تعبيرها
دخول مكة على الصفة المذكورة في القران والثاني انه راى يدخل المسجد الحرام مع اصحابه محلقين
روس البعض ومقصرين البعض خائفين والثالث راى في المنام ان ملكا قال له لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون ثم رسول الله اخبرها اصحابه
فلما صدوا عن البيت واظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرغبة في الانصراف على الصلح
قال بعضهم لبعض اليس كان يعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناتي البيت فنطوف به فاجابه
بعض هل اخبركم انكم تاتونه العام فقال لا قال فانكم ساتونه وتطوفون بالبيت فانزل الله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق بتحقيقه ما راه وهو ان يكون ما راه كما راه ومعنى لتدخلن المسجد
اي تحصيه بالعمرة ان شاء الله قيل ان شاء الله حكاية لقول الملك الذي قال له في المنام فاخبر الله
ان ذلك كان منه وياتي وانه محقق هذه البشارة فاخرج بهذا القول الاستثنا من ان يكون
على سبيل التعليق لا لانجاز الوعد وقيل علق الله تعالى عدته بالمشية تعليما لعباده بان يقولوا
في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله ومقتدين بمشيته وقيل لتدخلن من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله تعالى عن رسوله انه قال ذلك ولهذا
استثنا تادبا بادب الله حيث قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل
لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد قال الحسين بن الفضل يجوز ان يكون الاستثنا
من الدخول لان بين الرؤيا وتصديقها سنة مات منهم في السنة اناس والمراد لتدخلن المسجد
الحرام كلكم ان شا الله امنين وقيل يجوز ان يكون الاستثنا واقعا على الخوف والامن لا على الدخول
لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله عليه السلام عند دخول المقابر وانا ان شاء الله بكم

لاحقون

لاحقون فالاستثنا واقع على اللحوق دون الموت وقيل ان بمعنى اذ اي اذ شاء الله كقوله ان كنتم
مومنين وان اردت تحصنا محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون اي محلقين روسكم كلها
ومقصرين بعض روسكم فعلم من تاخير ذلك ما لم تعلموا من ان الصلاح كان في الصلح وقيل ما لم تعلموا من
الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك من دون دخولهم المسجد الحرام
وتحقق رؤيا رسول الله وفتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح قلوب المومنين الى ان يتيسر
الفتح الموعود به ابن زيد فتح خيبر فتحه الله عليهم حين رجعوا من الحديبية فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم على اهل الحديبية الا رجلا واحدا من الانصار كان قد شهد الحديبية وغاب عن
خيبر وهو ابو دجانة وقيل فتحا قريبا هو صلح الحديبية وعن الزهري ما فتح في الاسلام اعظم من
صلح الحديبية لانه اذا كان القتال حجز الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وامن الناس
بعضهم بعضا فالتقوا بها وتفاوضوا في الحديث والمناظرة فلم يكلم احد بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه
فلقد دخل في تلك السنتين في الاسلام مثل من كان في الاسلام قبل ذلك وان هو الذي ارسل
رسوله تاكيدا لبيان صدق الله في الرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون
فيحدث الناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سببا للضلال بالهدى بالبيان الواضح وقيل بالقران
وقيل شهادة ان لا اله الا الله ودين الحق اي الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس
الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق
ذلك سبحانه لانه ليس من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون ظهروا على بلادهم او على بعضها
وظهورهم على بعض بلادهم ظهور عليهم ولا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة
وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل ليظهر محمدا اي ليطلعه على كل الفرايض
فيكون ظاهرا له عاملا وقيل ليظهره بالحجة والبرهان وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين
لنفوس المومنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويفيض عليهم من الغلة على الاقاليم ما يستقلون
الله فتح مكة وكفى بالله شهيدا انك نبي صادق فيما تخبر ونصب شهيدا على التمييز وقيل على الحال
والقطع وقيل كفى بالله شهيدا على ما وعده كابى الحسن شهيد على نفسه انه سيظهر دينك وشهادته
له ما اتاه من المعجزات محمد اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا
ورسول الله عطف بيان والذين معه اي اصحابه عطف على المبتدا اشداء خبره ويجوز ان يكون
والذين معه في محل جر عطفا على قوله بالله فيكون كقوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين
ويحتمل الرفع من هذا الوجه فان الباء زايدة والتقدير وكفى الله ويجوز ان يكون والذين معه في محل
النصب لقوله تراهم كما تقول زيدا رايته فنصب بفعل مضمر والجمهور على ان قوله والذين معه

الصحابة وقيل هم الانبياء اجمعون فيكون الفعل بعد محمدًا رسول الله والذين معه رسل الله فيحسن الوقف على معه ومعنى اشداء على الكفار يغلظون على من خالف دينهم وان كانوا اباءهم او ابناءهم والظاهر ان المراد بالذين معه اصحابه اشداء جمع شديد على الكفار غلاظ على الكفار ولا ياخذهم فيهم رافة رحماء جمع رحيم متعاطفون متوادون بعضهم على بعض كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمومنين رؤف رحيم عن الحسن رضي الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل وقال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوانهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجحة تراهم ركعا سجدا راكعين ساجدين اي يكثرون الصلاة يبتغون فضلا من الله ان يصفح عن تقصيرهم ويدخلهم الجنة ورضوانا اي يرضى عنهم ويقبل اعمالهم التي اتوا بها على قدر امكانهم سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر السجود والمراد بها التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقيل هو نور وبياض في وجوههم يوم القيمة من كثرة ما صلوا شهر ابن حوشب يكون المواضع من سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع سئل مجاهد عن قوله سيماهم في وجوههم اهو الاثر يكون بين عيني الرجل قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة البعير وهو اقسى قلبا من الحجارة ولكنه نور في وجوههم من الخشوع وقال ابن جريج هو الوقار والبهاء سمرة بن عطية هو التهيج وصفرة الوجه واثر السهر الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى عكرمة وسعيد بن جبير هو اثر التراب على جباههم ابو العالية يسجدون على التراب لا على الاثواب سفيان الثوري يصلون بالليل فاذا اصبحوا راى ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وكان كل واحد من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدث في مواقعها منهما اشباه ثفنات البعير ذلك مثلهم في التورية اي ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشان في التورية والانجيل ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله في التورية ثم قال ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين شطاه فراخه يقال اشطا الزرع اذا افرخ ابن شطاه نباته ابن عباس سنبله حتى يسلع نباته عن حباته ابن زيد اولاده مجاهد والضحاك

ماصح

ماصح تحت الحلقة فيتموا ويتم عطا جوانبه مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فقد شطاه السدي هو ان يخرج معه الطاقة الاخرى الكسائي طرفه الفراء شطاء الزرع اي ان ينبت سبعا او ثمانيا او عشرا الاخفش فراخه يقال اشطا الزرع فهو مشطي اذا فرخ وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون قتادة هم اصحاب محمد عليه السلام في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فازره قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ فغلظ وقوي فاستوى تم وتلاحق نباته وقام على سوقه اصوله يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار يعني ان الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليغيظ بهم الكفار وقيل تعليل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة وقيل تعليل لوعد الله المومنين لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن الحسن في قوله محمد رسول الله قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر اشداء عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد وابو عبيدة سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقال هم المبشرون اولهم ابو بكر واخرهم ابو عبيدة ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل قال نعتهم في التورية والانجيل كزرع محمد مثل زرع قال الزرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فازره عمر ابن الخطاب فاستغلظ عثمان بن عفان فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب يعني استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال المومنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم رضوان الله عليهم اجمعين وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابو العالية في هذه الاية وعملوا الصالحات يعني احبوا اصحاب رسول الله المذكورين فيها فبلغ ذلك الحسن فارتضاه واستنصر به منهم قال ابن جرير يعني من الشطء الذي اخرجه الله من الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الى يوم القيمة ورد هم منهم على معنى الشطء لا على لفظ الزرع لذلك قال منهم ولم يقل منه مغفرة واجرا عظيما قيل هذا الوعد لهاولاء الذين ذكروا في الاية وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان سائر المومنين قد وعدهم الله المغفرة ٥٥٥

سورة الحجرات مدنية

وهي [illegible] واربعمائة وستة وسبعون حرفا وثلثمائة وثلاثة واربعون كلمة وثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ٥ قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرها معنى ونقلا سلفه

واسلفه لا تقدموا من عروكوا المفعول يفيد شموله لكل ما يخطر بالبال مما تقدم وقيل ولا تجعلوه
منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه
مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه قال صاحب الكشاف الاول املأ بالحسن
واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقولهم جلست بين يدي فلان اي تجلس بين
الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب
منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ها هنا
على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فايدة جليلة ليست
في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذا
على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكم الله ورسوله به ويأذنان فيه
فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير
ابن عباس لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وعطية عنه لا تكلموا بين يدي كلامه عن جابر بن عبد الله
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في الذبح يوم الاضحى واليه ذهب الحسن البصري لا تذبحوا قبل
ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه
وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وعن عايشة رضي الله عنها لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم مسروق دخلت
على عايشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صايم فقالت
قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا قتادة نزلت في ناس كانوا يقولون
لو انزل في كذا لو صنع كذا وكذا فكره الله تعالى منهم مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء حتى يقضيه الله على لسان رسوله عليه السلام الضحاك يعني في القتال وشرايع الاسلام
يقول لا تقضوا امرا دون الله ورسوله عطاء الخراساني نزلت في قصة بير معونة وقيل ان ثلاثة
الذين نجوا الرجلين المسلمين الذين اعتزيا الى بني عامر واخذوا ما لهما وكانا من اهل العهد فلما اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق اليه فقال بيس ما صنعتم هما من اهل ميثاق وهذا الذي
معكما من كسوتي فقالوا يا رسول الله انهما زعما انهما من بني عامر فقلنا هذان ممن قتل اخواننا فقتلناهما
لذلك واتاه المسلمون فقال رسول الله لا قود لهما لانهما اعتزيا الى عدونا ولكنهما نديهما فوداهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في ذلك الاية حين قتلوا الرجلين ابن زيد لا تقطعوا
امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك بين يدي العلماء فانهم ورثة الانبياء دليل هذا التاويل ما روى عطاء عن ابي الدرداء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راى يمشي امام ابي بكر رضي الله عنه فقال اتمشي امام من هو خير منك في الدنيا

والاخرة

والاخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين خير وافضل من ابي بكر رضي الله
عنه وقيل انها نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سيل الرسول عن
شيء خاضوا فيه وتكلموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وزجروا ان يقول احد في شيء من دين الله
قبل ان يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا تطلبوا منزل   منزلته وقيل
لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقضيه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن
حاله واعجبت من عمرو وكرمه وفايدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطية
لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذا الاثرة واختصه هذا
الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت
لديه بالكلام واتقوا الله في التقديم فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن
جميع ما يقتضي مراقبة الله وتجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا من ارتفاع الريب وانجلا الشك
في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن تقارف بعض الرذايل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك
العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة
وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم وحق مثله ان يتقى
ويراقب **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله
غفور رحيم   اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد
وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند
حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم
الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه
استعظامه ان يالفه الا عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي اي اذا نطق ونطقتم لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان
تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم
لايحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم
وتبهروا منطقه بصخبكم ولا تجهروا له بالقول ان كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول

عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تعمدوا في مخاطبته القول
اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه ويعزروه ويوقروه
وقيل ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض معناه ولا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد كما ينادي بعضكم
بعضا ولكن تفخموه واحترموه وقولوا له قولا لينا وخطابا حسنا بتعظيم وتوقير يا نبي الله يا رسول الله
نظيره قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ان تحبط اعمالكم كي لا تحبط اعمالكم
كي لا تبطل حسناتكم منصوب المحل على انه مفعول له وقيل متعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم
عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وقيل
متعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء
الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا
وحزنا والخيص الفرق بين القولين ان تقدير الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء
واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حاله ثم يعلل له منهيا
له وعند البصريين تعلق الفعل له بالثاني من الفعلين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ
عليه قطرا وعند الكوفيين بالعكس وايهما كان فرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه
الى حبوط والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخت بطونها واذا هلكت ومنه قوله عليه السلام
وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبج الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبط
عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا عفر وهو نكسه وترامية الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره
بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية
على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه
محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى
ويتحفظ وانتم لا تشعرون انه محبط وقيل نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه
وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم انسانا جهر بصوته فربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينادي بصوته فانزل الله الآية فقعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك
يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي وان اكون
من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله وغلب ثابتا البكا فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي
سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فسدي علي الضبة بمسمار حتى اذا خرجت عطفه وقال لا اخرج
حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله فاتى عاصم رسول الله واخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء
عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله فقال له رسول الله ما يبكيك يا ثابت فقال
انا صيت واخاف ان تكون الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول
الله فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل
من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض
الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ولما يصنعون ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة
ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى
قتلا رضي الله عنهما واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام انه
قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عنده فرس
يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان علي دينا حتى يقضي وفلان من رقيقي عتيق
فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر رضي الله
عنهما تلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها
وعن ابي هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا ارفع
صوتي الا كاخي السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه ما حدث رسول الله بعد ذلك فسمع
النبي كلامه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارسل
اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر
والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به
العظماء ويوقر به الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من
التعزير والتوقير ولم يتناول النهي رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال
للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا
يروى ان غارة اتتهم فصاح العباس واصباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني
جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم
فيفتق مرارة السبع في جوفه وروي انها نزلت فيمن يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله
فمحله والخطاب للمؤمنين على ان بين المؤمنين لتندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق

وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم برسول الله فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان الذين يغضون يخفضون اصواتهم عند رسول الله اجلالا له اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار فتخرج خالصة ابن عباس اكرمها قال صاحب الكشاف من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها وقيل وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختبار كما وضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كاين له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم للتقوى بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت فيظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدايد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه ونقاه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت اطالها قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان فيهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتداء وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهمة امر ناطقة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لطاعاتهم ان الذين ينادونك يعني وندائهم من وراء الحجرات والوراء الجهة التي تواريها عنك الشخص بظلام من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان قال صاحب الكشاف فان قلت افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما

يجوز

يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير مدخولا من مبتداء الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة مبتداء ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مبتداء مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع عليهم من ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة الحجرات جمع حجرة وهي الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعيلة كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكان لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء الباب وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين وكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم قيل ان اعراب تميم لما جاؤوا نادوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي من بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري وقدموا وقت الظهيرة ووافوا رسول الله في اهله قايلا فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله وجعلوا ينادون اخرج الينا يا محمد حتى ايقظوه من نومه عليه السلام فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة اني لا احكم بينهم وعمي حاضر وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عليه من كان عليه محرر من ولد اسمعيل فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الاية وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا

تكون اشعر للناس به وان يكون ملكًا يغشى في جنابه فجاؤا الى حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من سمات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه في حجرته ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين منه ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم وقع باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما داخله من الحاش تعجر فهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر قال صاحب الكشاف فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل خيرا لهم في دينهم بما ينالون من الثواب في تعظيم نبي الله وفي دنياهم بما يكون من ثناء الله على الدلالة على وفور عقلهم باستعمال السكينة والوقار والله غفور

اي مع

اي مع هذا بليغ الغفران لمن تاب منهم رحيم في قبولها واسع المغفرة والرحمة فلم يضيق غفرانه ورحمته على هؤلاء سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال هم الجفاة من بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

هذه السورة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله واما مع الرسول عليه السلام او غيرهما من ابناء الجنس وهم على صنفين لانهم اما ان يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طاعتهم السالك في طريقتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غايبا عنهم فهذه خمسة اقسام احدها يتعلق بجانب الله وثانيها بجانب الرسول وثالثها بجانب الفاسق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغايب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مراتب يا ايها الذين امنوا ارشد في كل مرة الى مكرمة مع قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول رسول الله وقال ثانيا يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق لبيان وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثالثا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على اقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم وبين ذلك عند تفسير قوله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم وقال ولا تنابزوا لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم والازدراء بحالهم ومنصبهم وقال خامسا يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولا تجسسوا وقال ولا يغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين والاحتراز عن اهانة جانب المؤمن حال غيبته وذكر ما لو كان حاضرا لتأذى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان الابتداء بالله ثم برسوله ثم بذكر ما يفضي الى القاء الفتنة بين المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه فانه اهم ثم بالمؤمن الحاضر ثم بالمؤمن الغايب فانه لا يؤدي الى التقابل الا ترى ان الله تعالى ذكر عقيب نبإ الفاسق اية الاقتتال فقال وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا نزلت الاية في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونودي اليه ما قبلنا
من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا ان يكون انما رده عن الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته
علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله وبعث خالد بن الوليد
اليهم في خفية مع عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال له انظر فان رايت منهم ما يدل
على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم ترهم غير ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل
ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشا فاخذ صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة
فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبا في تنكير فاسق ونبا شياع في الفساق والانباء كانه قيل اي فاسق جاءكم باي
نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى
جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه ولما كان رسول الله والذين معه بالمنزلة التي
لا يجسر احد منهم ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف
الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة
زور ان تصيبوا لئلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما برآء مما قذفوا به بجهالة يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه
القصة فتصبحوا على ما فعلتم فتصيروا على ما فعلتم نادمين والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو
ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزوم لانه كلما
ذكر المندوم عليه راجعه من الندم وهو لزام الشريف ودوام صحبته وذكر بعض العلماء في هذه الاية
ان خبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله امرنا بالتثبت في خبر الفاسق ولو ثبتنا في خبر العدل
لسوينا بينهما وقيل ان الوليد كان ثقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فاسقا بكذبه
وخبر الواحد مردود حتى يخبر اخر مثله قيل ان الوليد لم يقصد الكذب لانه ظن لما اجتمعوا للاكرامه
هموا بقتله والظاهر انه ليس معللا بالفسق فاذا انتفى ولم يتحقق عليه اخرى ليس فوجب
قبول خبر من غير لبس والوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان وهو الذي ولاه عثمان الكوفة
بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله
عثمان عنهم واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا الباطل وتفتروا الكذب فان الله
تعالى يخبره انباءكم ويعرفه احوالكم فيفتضحوا لو يطيعكم بالجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما
مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر

المرفوع

المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل
المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم لوقعتم في الجهل والهلاك فيقال
فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا
يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق
قول الوليد وان نظائر ذلك من الزلات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم
في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم
ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي
لا يفطن لها الا الخواص وقيل لو يطيعكم في كثير من الامر يحكم برايكم ويقبل قولكم لعنتم لاثمتم وهلكتم وقيل
معناه وفيكم رسول الله والذين معه لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لنالكم المكروه اي لو عمل برايكم لكان
خطا في انفاذه كما لو قبل من الوليد فعل وقتلهم واخذ المال واخذتم لعنتم لاثمتم وقيل معناه لو فعل
جميع ما تختارونه وتريدونه لنالكم ضرر وقيل لغويتم وهلكتم وقيل لو يطيعكم جاء على الاصل لان الطاعة
من فعل الداعي غير ان المستعمل في حق الاكبر الاجابة وفي حق الادون الطاعة ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم بنصب الادلة وقيل حسنه وزينه بتوفيقه له وقيل بما وعد عليه
من النصر والفتح في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان فانتم
تطيعون رسول الله وتاتمون به فيقيكم الله بذلك العنت وكره اليكم الكفر اي قبح الكفر والفسوق
الكذب والخروج عن امر الله بارتكاب الكبائر وقيل الفسوق الكبائر والعصيان الصغائر
ثم التفت من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون والكاف في اولئك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني اولئك المستثنون هم الراشدون الذين قد اصابوا طريق الحق ولم يضلوا
عن الهدى وفائدة تقدم خبر ان على اسمها القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن
منهم من استتباع راي رسول الله صلى الله عليه وسلم لارائهم فوجب تقديمه لانصباب
الغرض اليه وانما قيل يطيعكم دون اطاعكم للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على
ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم راي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر لعنتم كقولك
فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده فوجد منه مستمرا فان قيل كيف موقع لكن
وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا اجيب بانها مفقودة من حيث
اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم
ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وقيل الكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود

والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لامر الله لما امر به الشارع والعرق العاصي المعاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا مفعول له لفعل الرشد لفعل الرشد فان الرشد فعل الله كما ان الفضل فعل الله ويجوز ان يكون فضلا مفعولا له للتحبيب والتزيين والتكريه فان الكل بفعل الله لا بفعلهم واختيارهم والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض وقيل يجوز ان يكون مصدرا من غير فعله على ان توضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المومنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم في تدبيره حتى يفضل وينعم على من يشاء من عباده **قوله تعالى** وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون قال اكثر المفسرين وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على مجلس من مجالس الانصار وهو على حمار فبال حماره فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال اليك عنا حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن ابي رواحة والله لحمار رسول الله اطيب منك ريحا فغضب لعبد الله بن ابي رجل من قومه وغضب لعبد الله بن رواحة رجل من قومه فغضب لكل واحد منهما رجال حتى استبوا وتجادلوا بالايدي والجريد والنعال ولم يقدر رسول الله على امساكهم فانزل الله هذه الاية فلما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض واقبل بشير بن النعمان الانصاري مشتملا على سيفه فوجدهم فقال عبد الله بن ابي اعلي تشتمل بالسيف يا بشير قال نعم والذي احلف به لو جيت قبل ان تصطلحوا لضربتك حتى اهلك فانشد عبد الله بن ابي يقول متى ما يكن مولاك خصمك جاهدا تضام ويصرعك الذي تصارع ه وقاده نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف الكلبي انها نزلت في حرب سمير وحاطب وكان سمير قتل حاطبا فجعل الاوس والخزرج يقتتلون الى ان اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية امر الله والمومنين ان يصلحوا بينهم السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد كانت تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والقياس ان يكون

حمل على

حمل على المعنى دون اللفظ لان الطايفتين في معنى القوم والناس فاصلحوا بينهما بالدعا الى كتاب الله وعليها قتال بالسيوف الكلبي انها نزلت في حرب سمير وحاطب وكان البغي الا واباء الصلح فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء وترجع الى امر الله في كتاب الله الذي بين خلقه والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل والغنيمة يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين فان فاءت رجعت الى الحق فاصلحوا بينهما بالعدل بحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله وهو العدل واقسطوا واعدلوا بينهما في ترك الهوى والميل وقيل اقسطوا ايها الناس فلا تقتتلوا بمانع الحق ان الله يحب المقسطين العادلين في القول والفعل العمال واقسطوا خطاب للمصلحين والمعنى حذوا بالصفح والعفو والفضل بينكم من قوله ان تبروهم وتقسطوا اليهم وفي الاية جواز قتال الباغي بالسلاح وفي هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين عاصين يدل على ذلك ما روى الحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيها وعنه رضي الله عنه ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من امر هذه الاية لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كانت وقبضت عن الحرب ايديها تركت ولا يحلوا العسان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة والواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويعم المكافة والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقاما على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم يعملا على شاكلة ما هديتا ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي

بان الضمان يلزمها اذا فات واما قتل المتجمع والمتحند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها
فما حسنة صمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل عند محمد ظاهر منطبق على لفظ التنزيل وعلى
قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين
وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة
القسط وانما قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول لان المراد بالاقتتال في اول الاية
ان يقتتلا باغيين معًا او راكبين شبهة وايتهما كان فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في
شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا
اذا اصرتا فحينيذ يجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احدهما فان
الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم
بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله عز وجل على عقب
النهي عن التقدم بين يديه انما المومنون اخوة في الدين والولاية فاصلحوا بين اخويكم اذا اختلفا
واقتتلا هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المومنين وبيان
ان الاخاء قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة
ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل
ذلك بين اثنين من اخوة الولاد ولزم السائرين ان يتناهضوا في دفعته وازاحته ويركبوا الصعب
والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرفعه وما استشن
من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه قال ابو عثمان الحيري اخوة الدين اثبت
من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ولا تنقطع بمخالفة النسب وسيل الجنيد
عن الاخ فقال هو انت في الحقيقة الا انه غيرك في الشخص وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه الريح
الا باذنه ولا يوذيه بقتار قدره الا ان يغرف له ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها الى صبيان
جاره ولا يطعمونهم منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا الجار ولا يحفظه منكم الا قليل
وانما خص الاثنان بالذكر لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل
كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج والمعنى ليس المومنون الا اخوة وانهم خلص لذلك وانهم متمحضون قد انزاحت عنهم
عنهم شبهات الاجنبية واتى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع
فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله انكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الاعلى التواصل

والاسلاف

والاسلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه لعلكم ترحمون وكان عند فعلكم ذلك وصول
رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم عن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنيه وقر فكان اذا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه يسمع
ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاته من صلوة الفجر ركعة مع رسول الله فلما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم منه فظن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع
احد لاحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلوة وقام متها
اقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتخطى رقاب الناس فيقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت مجلسا
فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل وقال من هذا قال انا فلان
قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه فاستحيا فانزل الله
هذه الاية الضحاك نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة استهزوا بفقراء اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خباب وعمار وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة
لما راوا من رثاثة حالهم فانزل الله في الذين امنوا منهم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي رجال
من رجال والقوم اسم جمع الرجل والنساء وقد يختص بجميع الرجال لقول زهير وما ادري وسوف اخال
ادري اقوم ال حصن ام نساء وقيل القوم للرجال لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال
قوامون على النساء الخ على وضع الاماد بعنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قايم كصوم وزور
في جمع صايم وزاير وقيل تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت
قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور
والاناث فليس لفظ القوم بمتناول للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع
لرجالهن في تنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض
وان تقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية على السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة

من امراة على التوحيد اعلاما بان اقدام غير واحد من رجالهم وغير واحد من نسائهم على السخرية واستقطاعا
للشان الذي كانوا عليه ولانه مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه
من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من نظرق سمعه فتستطيبه ويضحك
به فيودي ذلك وان اوجده واحد الى تكثير السخرية وانقلاب الواحد جماعة وقوما عسى ان يكونوا
خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد
كان حقه ان يوصل بما هو قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور به ربما كان عند الله
خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله
خلوص الضماير ونقى القلوب وعلمهم بذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه
اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد
صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم
وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل
الذي صنعته وعن عبد الله بن مسعود نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سخروا
من ام سلمة وذلك انها ربطت حقويها بسبيبة وهو ثوب ابيض ومثلها السبيب وسدلت طرفيها خلفها
كانها لسان كلب فقالت هذا سخرتهما وقال انس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة
بالقصر وقيل نزلت في عايشة رضي الله عنها اشارت بيدها الى ام سلمة انها قصيرة وروى عكرمة عن ابن
عباس ان صفية بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني
ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وعمي
موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم
بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض واللمز الطعن والضرب باللسان وقيل اللمز العيب في المشهد والهمز
في المغيب ابن زيد اللمز يكون باللسان والعين والاشفار والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى وخصوا
ايها المومنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم
ولا يسير بسيرتكم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس
وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرا قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعرات له ويقول
يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته
ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون
لا يقول له قايل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط قال الضحاك فينا نزلت
هذه الاية في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وما منا رجل الا له اسمان او ثلثة

وكان

وكان اذا دعا الرجل الرجل باسم قلنا يا رسول الله انه يغضب من هذا فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب قتادة وعكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا كافر يا منافق الحسن كان اليهودي والنصراني
اذا اسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك ابن عباس التنابز بالالقاب
ان يكون الرجل عمل بالسيات ثم تاب منها ورجع الى الحق فنهى الله ان يعير بما سلف من عمله بيس الاسم
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناوه وصيته وحقيقته ما سمي
من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بيس الذكر المرتفع للمومنين بسبب
ارتكاب هذه الجرايران يذكروا بالفسق قيل بيس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك
فتستحقوا اسم الفسوق وقيل الاسم الذي يسميه يا فاسق بعد ان علمت انه امن قال صاحب
الكشاف وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق
الذي يا باه الايمان ويحظره كما تقول بيس الشان بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم
لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بيس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق
واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من
فسق غير مومن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بيست الحرفة الفلاحة بعد التجارة
ومن لم يتب عما نهوا عنه فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن نزلت
في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويخف
في حوايجهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيا لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان
الفارسي الى رجلين فتقدم سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهي لهما شيا فلما قدما قالا له
ما صنعت شيا قال لا قالا ولم قال غلبتني عيناي فقالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واطلب لنا منه طعاما واداما فجا سلمان الفارسي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده
فضل من الطعام والادام فليعط وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله
فاتاه فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما بذلك فقالا كان عند اسامة ولكن بخل
فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع سلمان قالا لو بعثناه الى بير
سميحة لغار ماوها يحسسان هل عند اسامة ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله
ما تناولنا يومنا هذا لحما فقال اظللتم تاكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله تعالى يا ايها الذين

امنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم قال في مطاوعه اجتنب الشر فنقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم قال صاحب الكشاف فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك لا تعيين لئلا يجترى احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه الامارة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة محرم من اشتهر الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المومن دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا ظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحيا ولا غيبة له ان بعض الظن اثم ذنب يستحق به صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته اثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى في فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة في الاثم عن الواو كانه قيل يثم الاعمال اي يكثرها ولا تجسسوا يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السماء والتحسس يقارب التجسس الذي هو التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الراس بالحاء والجيم قيل التجسس بما يكتم ويوارى ومنه الجاسوس والتجسيس بالحاء تحيز الاخبار والبحث عنها ومعنى الاية خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم ولا تستنكفوا عما ستروه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا وكونوا عباد الله اخوانا وعن زيد ابن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرًا فقال ابن مسعود انا نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به وعن زرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن ابن عوف انه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة فبينما هما يمشيان اذ شفت لهما سراج في بيت فانطلقا يومانه فلما دنيا منه اذا باب مجاف على قوم لهما اصوات

مرتفعة

مرتفعة ولغط فقال عمر رضي الله عنه واخذ بيد عبد الرحمن اتدري من بيت هذا قلت لا ادري قال بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى قال عبد الرحمن انا قد اتينا ما نهى الله عنه فقال ولا تجسسوا وقد تجسسنا فانصرف عمر رضي الله عنه وتركهم وعن ابي قلابة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث ان ابا محجن الثقفي شرب الخمر في بيته هو واصحابه فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل فقال ابو محجن يا امير المومنين ان هذا لا يحل لك وقد نهى الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم صدق يا امير المومنين هذا التجسس فخرج عمر رضي الله عنه وتركه وروى زيد ابن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يعسان اذ تبينت لهما نار فاتيا الباب واستاذنا ففتح الباب ودخلا فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر رضي الله عنه للرجل وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المومنين فقال له عمر فمن هذه منك قال امراتي قال وما في القدح قال ماء زلال قال للمراة وما الذي تغنين فقالت اقول تطاول هذا الليل واسود جونبه ولكن عقلي والحاء يردني واكرم بعلي ان تنال مراكبه ثم قال الرجل ما امرنا بهذا يا امير المومنين بل قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف ولا يغتب بعضكم بعضا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فاما ان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا فقالوا ما ياكل الا ما اطعم وما يرحل الا ما رحل وما اضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم اخاكم فقالوا يا رسول الله وغيبته ان يحدث بما فيه فقال حسبكم ان تحدثوا عن اخيكم بما فيه وعن ابي هريرة ان رجلا قام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراوا في القيام عجزا فقالوا يا رسول الله ما اعجز فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتم لحم اخيكم فاغتبتموه ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال قتادة كما انك ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها فكذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدًا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان اخاه ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتًا وانتصب ميتًا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب على الاخ فكرهتموه ولما قررهم الله عز وجل بان احدًا منهم لا يحب اكل لحم اخيه ميتا عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم

لا تقدرون على دفعه وانكاره لان البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق
ايضا ما نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين واتقوا الله ان الله تواب رحيم واتقوا الله
فيما نهاكم عنه وتوبوا اليه عما سلف وقيل واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد
منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين والمبالغة في التواب
للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه
او لانه بليغ في القبول للتوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه قال بعض اهل العلم
بينا انا نائم اذا انا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل قلت يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان
قلت والله ما قلت فيه لا خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت ورضيت فكان بعد لا يغتاب احد
ولا يدع احدا ان يغتاب عنده احدا وحكي عن بعض الصالحين انه قال كنت قاعدا في المقبرة الفلانية
فاجتاز بي شاب جالد فقلت هذا وامثاله وبال على الناس فلما كانت تلك الليلة رايت في المنام كانه
قدم الي جنازة عليها ميت وقيل لي كل من لحم هذا وكشف عن وجهه فاذا ذلك الشاب فقلت انا
لم اكل من لحم الحيوان الحلال منذ سنين فكيف اكل هذا فقيل فلم اغتبته اذا فانتبهت حزينا فكنت
اروح الى تلك المقبرة سنة واحدة فرايت الرجل فقمت اليه لاستحل منه فقال انه نظر الي من بعيد
وقال تبت قلت نعم قال ارجع الى مكانك وروي انه جاء ماعز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انه زنا فاعرض عنه حتى اقر اربع مرات فامر برجمه فمر النبي صلى الله عليه وسلم برجلين
يتكران ماعزا فقال احدهما هذا الذي ستر الله عليه فلم يدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب
فسكت عنهما حتى مر معهما على جيفة حمار شايل رجله فقال صلى الله عليه وسلم انزلا فاصيبا منه
فقالا غفر الله لك وتوكل هذه الجيفة قال فما اصبتما من لحم اخيكما انفا اعظم عليكما انه الان في
انهار الجنة ينغمس فيها وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم
اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم هاولا يا جبريل قال هاولا الذين ياكلون
لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة اشد من الزنا
وقيل وكيف ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له
صاحبه وقال رجل لابن سيرين اني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال اني اكره ان احل ما حرم الله وعن
عيسى بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه ارايتم لو ان احدكم راى اخاه المسلم قد كشفت الريح
عن ثيابه اكنتم تردونه قالوا سبحان الله اذا كنا نرده قال بل كنتم تكشفون ما بقي ضربه مثلا لهم
تسمعون للرجل سيئة فتذكرون اكثر من ذلك **قوله تعالى** يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم ان الله عليم خبير

يا ايها

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر ادم وانثى حوا وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام
فما منكم من احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الاخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في
النسب قيل نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت بن قيس فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم
فنظر اليهم فقال ما رايت يا ثابت بن قيس قال رايت ابيض واسود واحمر قال انك لا تفضلهم الا في
الدين والتقوى فانزل الله في ثابت هذه الاية وفي الذي لم يتفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا في المجالس الاية مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى
علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال
الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مودنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا
يغيره وقال ابو سفين ابن حرب اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر به رب السماء فاتى جبريل عليه
السلام فاخبره بما قالوا فاقروا فانزل الله هذه ونهاهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال
والازدراء بالفقراء بن يزيد بن شجرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمر ببعض اسواق المدينة
واذا غلام اسود ينادى عليه ليباع فيمن يزيد وكان الغلام يقول من اشتراني فعلي شرط فقيل وما هو
قال لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل على هذا الشرط
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلوة مكتوبة ففقده ذات يوم فقال لاصحابه
قوموا بنا نعوده فقاموا معه فعادوه فلما كان بعد ايام قال لصاحبه ما حال الغلام قال يا رسول الله
ان الغلام لما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه وهو فيما به فقبض على تلك الحال
فتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غسله وتكفينه ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار من ذلك
امر عظيم فقال هاجرنا ديارنا واموالنا واهالينا فلم ير احد منا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام
وقال الانصار اويناه ونصرناه وواسيناه باموالنا فاثر علينا عبدا حبشيا فعذر الله رسوله فيما
تعاطاه من امر الغلام واراهم الله فضل التقوى وانزل الله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا وهي روس القبايل وجمهورها مثل ربيعة ومضر والاوس
والخزرج واحدها شعب بفتح الشين والشعب الطبقة الاولى من الطباق الست التي عليها العرب
وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبايل تشعبت منها وقيل الشعوب
من العجم والقبايل من العرب والاسباط من بني اسرايل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد ينتسبون

الى المداين والقرى والارضين والقبايل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين
ينسبون الى ابايهم لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده فلا ينتمي الى غير ابيه
لا ان تفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة
التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فاده ان اكرم الكرم التقوى والام الكرم الفجور وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله وقال عمر رضي الله عنه كرم الناس دينه وتقواه واصله عقله وحسبه
ماله ومروته خلقه وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بكم وباحوالكم
خبير بفعلهم **قوله تعالى** قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم ان الله غفور رحيم لما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
والاتقى لا يكون الا بعد حصول التقوى واصل التقوى الايمان واتقاء الشرك قالت الاعراب امنا
ولنا النسب الشريف مع الايمان الذي هو اصل التقوى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل
للاعراب لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الآية نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الفتح
وهم اعراب مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا بالله ليامنوا على انفسهم
واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا فان الايمان
هو التصديق القلبي مع الثقة وطمانينة وليس لكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا مخافة السبي
والقتل فان الاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمومنين ما ظهر والشهادتين
ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاخبر ان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار به باللسان واظهار
شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا دون الاخلاص الذي محله الثبات وان الاسلام غير الايمان يدل
على ذلك ان سعد بن ابي وقاص روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى رهطا وترك رجلا
لم يعطه شيئا وسعد جالس فيهم فقال سعد نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم
لم يعطه وهو اعجبهم الي فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا فقال رسول الله
او مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما اعلم منه فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية
ان يكب في النار على وجهه واعلم ان الاسلام الدخول في السلم وهو الطاعة والانقياد والمتابعة
يقال اسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال اشتى اذا دخل في الشتاء واصاف اذا دخل في الصيف
واربع اذا دخل في الربيع واقحط اذا دخل في القحط فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان
والابدان والجنان كقوله تعالى لابرهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله تعالى فاخرجنا من كان

فيها من

فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنه ما هو الانقياد باللسان
دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا بيانه قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال
صاحب الكشاف فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان دون مواطاة القلب فهو اسلام
وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت فما وجه قوله قل لم تومنوا ولكن قولوا
اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم
تومنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل
قل لم تومنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل
كذبتم ووضع لم تومنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه
موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هولاء هم الكاذبون
ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تومنوا عن ان يقال لا تقولوا
امنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة
المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج
الدعوى والزعم كما كان قولهم امنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم
لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد
قوله قل لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفايدة متجددة قلت ليس كذلك
فان فايدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به
ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام
واقع موقع الحال من الضمير في قوله لم تومنوا وما في لما من معنى التوقع على ان
امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا وسرا وعلانية لا يلتكم
لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال لاته السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد
واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات
ولا تصمه الاصوات قرا ابو عمرو لا يالتكم بالالف اعتبارا بقوله تعالى وما التناهم من عملهم
من شيء الت يالت قال الشاعر ۝ ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا
والباقون يلتكم من لات يليت ليتا تقول رويته ولته ذات نذي سريت ولم يلتني عن سراها ليت
۝ ومعناهما لا ينقصكم ولا يظلمكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور للذنوب رحيم بالعباد
قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله

يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم ثم بين حقيقة الايمان فقال انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ثم لم يشكوا في وحدانية الله ولا نبوة انبيائه ولا فيما امنوا به بل انقوا واخلصوا وارتاب مطاوع رابه اذا اوقعت في الشك مع التهمة والمعنى امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الشك لما كان هو الاصل في الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في ... او يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها والمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوة وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وقيل هم الذين ايمانهم صدق وايمان حق وجد وثبات تقول ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله بدينكم لهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم

٥ **قوله تعالى** يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

يقال من الله عليه بيد اسداها كقولك انعم عليك وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من منزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها الله ليقطع بها حاجته لا غير من ان يعد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعة اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقيل لهم لا تعتدوا على اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي

لا ايمانا

لا ايمانا ثم قال بل الله يمن عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير بالياء من تحت والباقون بالتاء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعويهم يعني ان الله عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم فانه عالم بكل شيء لا يختلف علمه بالنسبة الى كل معلوم

تم الجزو السابع بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه

ان شاء الله تعالى في الثامن سورة ق والحمد لله

وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

غفر الله لمولفه ومالكه وكاتبه ولمن

نظر فيه ولمن دعا لهم بالمغفرة

ولجميع المسلمين

اجمعين

م م

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

سورة ق ويقال لها سورة الباسقات روى العوفي وغيره عن ابن عباس انها
مكية وكذلك قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور وحكى عن ابن عباس وقتادة منها
اية مدنية وهي قوله ولقد خلقنا السماوات والارض الاية وهي الف واربعمائة
وتسعون حرفا وثلثماية وسبع وخمسون كلمة وخمس واربعون اية ه

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد الكلام في ق والقران المجيد بل عجبوا نحو في ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا سوآء بسوآء لا لتفاتهما في اسلوب واحد ابن عباس رضي الله عنه
ق اسم من اسماء الله اقسم به قتاده اسم من اسماء القران القرطبي مفتاح اسماء الله قدير
وقادر وقاض وقريب وقاهر وقابض الشعبي فاتحة السورة وعكرمة والضحاك هو
جبل محيط بالارض من زمردة خضراء خضرة السماء منه وعليه كنف السماء وما وجد الناس
من زمرد فهو ما سقط من ذلك الجبل وهي رواية ابي الجوزاء عن ابن عباس قال وهب ان ذا القرنين
اتى على جبل قاف فراى حوله جبالا صغارا فقال له ما انت فقال انا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال
هي عروقي وليست مدينة من المداين الا وفيها عرق منها فاذا اراد الله تعالى ان يزلزل تلك الارض امرني
فحركت عرقي ذلك فتزلزلت الارض قال له يا قاف فاخبرني بشيء من عظمة الله عز وجل فقال ان شان ربي
لعظيم يقصر عنه الصفات وينقص دونه الاوهام قال فاخبرني بادنى ما يوصف منها قال ان وراي
جبلا ارضا مسيرة خمسماية عام فيها من جبال ثلج يحطم بعضه بعضا لولا ذلك الثلج لاحترقت من حر جهنم
قال زدني قال ان جبريل واقف بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة ماية الف ملك
واوليك الملايكة صفوف بين يدي الله عز وجل منكسوا روسهم فاذا اذن الله لهم بالكلام قالوا
لا اله الا الله وهي قوله تعالى يوم يقوم الروح والملايكة صفا الى قوله وقال صوابا يعني لا اله الا
الله قال الفرا سمعت من يقول قاف قضي ما هو كاين ابو بكر الوراق قف عند امرنا ونهينا ولا تعدهما

وقيل

وقيل معناه قل يا محمد وقيل هو قرب الله من عباده سانه قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ابن عطا اقسم
الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله والقران المجيد
ذي المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو سبب
من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب ان جاءهم منذر
نحوف منهم قد عرفوا حسبه ونسبه وصدقه وامانته ووساطته فيهم وعدالته ومن كان على صفته لم يكن
الا ناصحا لقومه منذرا عليهم خايفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم
ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة
الله على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشاة الاولى ثم عول على
احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في
الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر
العظيم هذا اشارة الى الرجع شيء عجيب ائذا منصوب بمضمر معناه ائذا متنا وكنا ترابا معناه احين نموت ونبلى نرجع
ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم
والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم ما
انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن واذا كان الرجع بمعنى المرجوع يكون ناصب
الظرف ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث **قوله تعالى** قد علمنا ما تنقص
الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها
من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب
الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ه
قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه الى ما تغلغل حتى تنقص الارض من اجساد الموتى فتاكله
من عظامهم واجسادهم وقيل قد علمنا ما يبلى منهم وما يبقى الا العصعص لا تاكله الارض كما جاء في الحديث كل ابن
ادم يبلى الا عجب الذنب ومنه يركب وابدان الانبيا والشهدآء ايضا لا تبلى وقال المزني هو الموت اي قد علمنا
من يموت منهم ومن يبقى وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ
المكتوب فيه جميع الاشيا المقدرة وقيل حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول
للدلالة على انهم جاوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات لما جاءهم
في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه ومرج فيقولون تارة
شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن ولا يثبتون على شيء واحد سيل ابن عباس عن المريج فقال الشيء المنكر اما سمعت

قول الشاعر فجالت والتمست فيه حشاها فخر كانه خوط مريج الوالي عنه امر مختلف العوني عنه
امر ضلاله سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس قتاده من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ابن
زيد مختلط وقيل فاسد وقيل متغير وكل هذه الاقاويل متقاربة واصل المرج الاضطراب والقلق
يقال قد مرج امر الناس ومرج الدين ومرج الخاتم في اصبعي وحرج اذا قلق من الاضطراب وفي الحديث مرجت
عهودهم واماناتهم وقيل الحق القران وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم
كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج شقوق وفتوق واحدها فرج ابن زيد
الفروج الشيء المفرق وقيل المشقوق المتبري بعضه من بعض الكسائي ليس فيها تفاوت واختلاف يعني انها
ملسا سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والارض مددناها بسطناها
ودحوناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج يبهج به لحسنه اي يسر الناظر
تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة ليتبصر به وذكرى ليتذكر به لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع خلقه يعني
تبصيرًا وتذكيرًا ونصبهما له لان من قدر على خلق السموات والارض والنبات قادر ان يبعثهم وانزلنا من
السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي
تحصد وتدخر ويقتات فاضاف الحب الى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع
الاول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها والنخل باسقات طوالا في السماء وقيل مستويها استقامتها في الطول
سعيد بن جبير مستويات الحسن مواقير حوامل يقال للشاة اذا ولدت بسقت ومحلها النصب على الحال لها طلع
ثمر وحمل سمي بذلك لانه يطلع نضيد منضود متراكب متراكم بعضه فوق بعض اي نضد بعضه على بعض مسروق
نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال والدلاء وانهارها تجري في غير اخدود رزقا اي جعلناها رزقا
للعباد قال صاحب الكشاف رزقا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي
انبتناها لرزقهم واحيينا به بالماء بلدة ميتا قد جفت نباتها وتيبس فانبتنا فيها فاهتزت بالنبات وحسنت
كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء

قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط
واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اي قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف
عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير
الراجع اليه على اللفظ دون المعنى واخوان لوط اي وقوم لوط وسماهم اخوانه لان بينهم نسبا قريبا فحق وعيد
فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخويف وتهديد
لكفار مكة افعيينا بالخلق الاول اي اعجزنا عنه وتعذر علينا فنعيا بالاعادة والخلق الثاني عي بالامر اذا لم يهتد

لوجه

لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الخلق الثاني بل هم
في لبس شك من خلق جديد وهو البعث ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك
في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه
قول علي رضي الله عنه يا حارث انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان اليهم تسويله اليهم
ان احياء الموتى خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة
اقدر وقصد في تنكير خلق جديد الى خلق جديد بل له شان عظيم وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به
ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ
في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا
بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به تحدث به نفسه فلا يخفى علينا سرائره والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس
الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت
بكذا وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما يجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون
حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته نفسه به قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه اي اعلم به واقدر
عليه وهو مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته
فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم
هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى من الوريد وحبل الوريد عرق في العنق وهو عرق
من الحلقوم والعلباوين والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين فان الحبل هو العرق سببه
بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشا اخلب والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده واضافة الحبل الى الوريد وهو
نفسه للبيان كقولهم شانئه وقيل المراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو
واحد كما لو قيل حبل العلبا مثلا اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظروف متقدمة ومتاخرة
والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى

المتلقيان اي تلقي ويأخذ المتلقيان الملكان الموكلان الحفظان وكل الله تعالى بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبانه اثره الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل قعيدان قال اهل البصرة لانه اراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الاخر كقول الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف والقعيد والقاعد كالسميع والسامع والعليم والعالم والقدير والقادر وقال اهل الكوفة اراد قعودا رده الى الجنس فوضع الواحد موضع الجمع كالرسول في الاسن قال انا رسول رب العالمين عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك منك على ثنيتيك قلمهما اللسان وريقك مدادهما وانت تجري اطنه قال فما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وعنه صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات موكل بكاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قال الحسن ان الملايكة يجتنبون الانسان عند غايطه وعند جماعه ابو الجوزاء ومجاهد يكتبان عليه كل انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان عليه الا ما يوجر عليه او يوزر فيه الضحاك مجلسهما تحت الدق على الحنك ومثله روى عوف عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين رفعا الى الله ما حفظا فيرى الله تعالى في اول الصحيفة خيرا وفي الاخرى خيرا الا قال للملايكة اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده المومن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فلان فياذن الله لنا نصعد الى السماء فيقول الله سمائي مملوة من ملايكتي يسبحونه فيقولان فمن في الارض فيقول الله ارضي مملوة من خلقي يسبحونه فيقولان فاين نكون فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيمة ما يلفظ ما يتكلم من قول الا لديه عنده رقيب حافظ عتيد حاضر والعتيد بمعنى المعد من قوله انا اعتدنا والعرب تعاقب بين الدال والتاء لقرب مخرجهما فيقولوا اعتددت واعدت وعددت وكبت وكبد قال صاحب الكشاف حين تلقي الحفيظ ما يلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض الصحايف يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد ذلك مع علمه باحاطة الله تعالى بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وجاءت سكرة الموت لما ذكر انكارهم البعث فاحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي

وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت غمرته وحيرته وشدته الذاهبة بالعقل كالسكر الذي تغلب على فهم الانسان من الشراب والنوم بالحق بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة حتى تتبينه الانسان ويراه بالعيان والباء بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله وقيل حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر وقيل الحق هو الله معناه وجاءت سكرة امر الله بالموت عن ابي وايل لما كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقضي قالت عايشة لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فقال ابو بكر رضي الله عنه لا تقولي يا بنية ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريقة الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب وقيل تكره الحسن تقرب الضحاك تروغ عطا الخراساني تميل مقاتل ابن حيان تنكص واصل الحيد الميل يقال حدت عن الشيء احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه وعن بعضهم ان سيل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال انها لهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك اليوم الوعيد الذي وعد الله للكفار ان يعذبهم فيه والاشارة الى المصدر نفخ وجاءت وذلك اليوم كل نفس معها سايق يسوقها الى المحشر وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير او شر وروي ان عثمن بن عفان رضي الله عنه خطب فقرا الاية فقال السايق يسوقها الى امر الله والشاهد العمل وقال الاخرون هما جميعا من الملايكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل ابو هريرة السايق الملك والشاهد وقيل رجل واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سايق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة اي يقول الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا كانت الغفلة غطاء وغطى به جسدك كله وقيل كانت الغفلة غشاوة غطى بها العينين فلا تبصر شيا فكشفنا عنك فرفعنا عنك غطاءك اي فاذا كان يوم القيمة سقطت وزال عنك الغفلة والغطاء فبصرك اليوم حديد فتبصر ما لا تبصر من الحق فرجع بصرك الكليل عن الابصار لغفلتك حديدا قويا نافذا ثابتا ترى ما كان يحجب عنك مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقيل اراد بالبصر العلم اي علمك حين لم ينفعك العلم وابصرت حين لم ينفعك البصر وقال قرينه الموكل به هذا ما لدي عتيد معد محضر مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من بني ادم قد احضرته واحضرت ديوان اعماله وقيل قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد

هذا ما لدي شيء لدي وقيل ملكين عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا قرينا به يقول
قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي وما في قوله ما لدي ان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر
او خبر مبتدأ محذوف ألقيا في جهنم خطاب من الله للملكين السابق والشهيد اي قال الله للملكين ألقيا في جهنم
وقيل يجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما ان ينزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما فيكون
عنى به تكرار القول فيه وكأنه يقول الق الق فثنى القيا مناب التكرار للتأكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل
منهم اثنين فكثر على ألسنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين قال الخليل
والاخفش هذا كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين وهو جيد حسن فيقول ويلك ارحلاها
وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه وسقيه اثنان فجرى
كلام الواحد على صاحبه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليلي قال امرؤ القيس خليلي مرا بي على ام جندب نقضي
لبانات الفؤاد المعذب وقال قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وقال الآخر فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع اصوله
واجتز شيحا قال الفراء وانشدني ابو ثروان فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا وعن الحجاج
انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف كل
كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله عاص معرض عن الحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة
له لا يبذل منه قط وقيل مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم معتد ظالم متخط للحق مريب متشكك
شاك في الله سبحانه وفي دينه ومعناه انه داخل في الريب الذي جعل في محل النصب بدل من كل كفار فألقياه
تكريرا للتوكيد وقيل الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء في فألقياه في العذاب الشديد
وهو النار وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة واراد بقوله مناع للخير انه كان يمنع بني اخيه من الاسلام ويقول لئن
دخل احدكم في دين محمد لا انفعه بخير ما عشت قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد ربنا ما
اطغيته ما اضللته وما اغويته الغرض ما اكرهته على الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق فتبرأ شيطانه
عنه ابن عباس ومقاتل قال قرينه يعني الملك وذلك ان الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب السيئات
ربنا انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما اعجلته سعيد بن جبير يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة
فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما زدت عليه في الكتابة ولا كتبت الا ما قال وعمل وانما اخليت الجملة الثانية عن الواو
وادخلت على الاولى لان الجملة الثانية استؤنفت كما يستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة
بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا اجيب بانه لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله ربنا ما اطغيته
وتلاه قوله لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو اطغاني
فيقول قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له قال الله لا تختصموا استئناف مثل قوله قال

قرينه

قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء
وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد قضيت ما انا قاض وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في القرآن حذرتكم وانذرتكم ما يبدل القول لدي فلا تبديل لقولي
ولوعيدي ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم ما يبدل
القول لدي هو قوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال
الفراء ما يكذب علي لعلمي بالغيب وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم
هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت
واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما
في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة
ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون
من قولك هو ظالم لعبده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم
فنفى ذلك يوم نقول انتصاب يوم بظلام او بمضمر نحو اذكروا انذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كأنه
قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول ولا يقدر حذف المضاف
قرأ نافع وابو بكر عن عاصم يقول بالياء والباقون بالنون لجهنم هل امتلأت لما سبق من وعده اياها
انه يملأها من الجنة والناس اجمعين وهذا سؤال من الله سبحانه على طريق التصديق لخبره
والتحقيق لوعده والتقريع لاهل عذابه والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل من مزيد يحتمل
ان يكون استفهاما بمعنى الاستزادة اي هل من مزيد فازاده ويحتمل ان يكون جحدا اي ما من مزيد
وانما صلح هل لوجهين جميعا لان في الاستفهام ضربا من الجحد وطرفا من النفي قال صاحب الكشاف
وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه
معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها
لقوله لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز
ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا
للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمحيد واما اسم مفعول كالمبيع قال ابن عباس
ان الله قد سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما بعث الناس وسيق اعداء الله
الى النار زمرا جعلوا يقتحمون في جهنم فوجا فوجا لا يلقى في جهنم شيء الا ذهب فيها ولا يملأها شيء
فقالت ألست قد اقسمت لتملأني فوضع قدمه عليها ثم يقول لها هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت
ليس في من مزيد قال ابن عباس ولم يكن يملأها شيء حتى وجدت مس قدم الله فتضايقت فما فيها موضع

ابرة ومعنى القدم قوم يقدمهم الله الى جهنم بملاوها بهم قد سبق في علمه انهم صايرون اليها وخالدون فيها
سيل الخليل عن معنى هذا الخبر فقال هم قوم قدمهم الله للنار وقال عبد الله بن المبارك هم من قد سبق في علمه
انهم من اهل النار وكل ما تقدم فهو قدم قال الله ان لهم قدم صدق عند ربهم يعني اعمالا صالحة قدموها والرجل
العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال رايت رجلا من الناس ورجل من الجراد ويصدق هذا التاويل قوله
صلى الله عليه وسلم في سياق الحديث ولا يظلم الله من خلقه احدا فدل ان الموضوع الملقى في النار خلق من خلقه
وقال بعضهم اراد قدم بعض ملايكته ورجله فاضافه اليه لقوله تعالى وسل القرية التي كنا فيها

قوله تعالى

وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب
وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاوون فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص وازلفت وادنيت الجنة للمتقين حتى
روها قبل ان يدخلوها غير بعيد منهم نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على المصدرية
كالزيير والصهيل والمصاد ويستوي في الوصف بها المذكر والموث او على او على حذف الموصوف اي شيا غير بعيد
ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا ما توعدون في الدنيا
على السنة الرسل لكل اواب تواب رجاع الى الطاعة ابن عباس وعطا اواب مسبح من قوله تعالى يا جبال اوبي
معه الحكم بن عتيبة هو الذاكر لله في الخلا الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها واو المصلي مقاتل
المطيع عبيد بن عمير هو الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله ابو بكر الوراق هو المتوكل على الله في السرا والضرا
لا يهتدي الى غير الله المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه القسم هو الذي لا يشتغل الا بالله حفيظ ابن عباس هو الذي
حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها قتادة حفيظ لما استودعه من حقه ونعمه ابن عباس ايضا الحافظ لامر الله الضحاك
المحافظ على نفسه المتعهد لها عطا هو الذي يذكر الله في الارض القفرا الشعبي هو المراقب ابو بكر الوراق المحافظ
لاوقاته وهماته وخطراته سهل بن عبد الله المحافظ على طاعات الله تعالى ولاوامر الله وهذا ما توعدون جملة
اعتراضية لكل اواب بدل من للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم هذا اشارة الى الثواب
او الى مصدر ازلفت من خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ
ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده
ويجوز ان يكون مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم
من لا يزال محسنا احسن الي ويجوز حذف حرف النداء للقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غايب
لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشية خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غايب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حتى لا يراه
احد وانما قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثنا البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة

كما انه اثنى عليه بانه خاشي مع ان المخشي غايب ونحو والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل
مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لانه الاعتبار بما ثبت منها في القلب وقيل
منيب مقبل الى طاعة الله ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا لحرمته مواليا له متواضعا لجلاله تاركا
لهوى نفسه ادخلوها بسلام اي يقال لهم ادخلوها سالمين من العذاب وزوال النعم وقيل بسلام مسلما
عليكم يسلم الله عليكم وملايكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود
لهم ما يشاوون فيها ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاوه وقال جابر وانس هو النظر الى وجه
الله بلا كيف وقيل السحاب تمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله ولدينا مزيد وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد ابن عباس اثروا الضحاك طافوا مجاهد ضربوا النضر دوخوا
الفراء خرقوا المورج تباعدوا ومنه قول امرئ القيس لقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
والنقب السير في الارض والبحث والطلب قال الحرث اي جعلوا يتقبون في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض
كل مجال وقيل فتقبوا في البلاد ساروا فيها طلبا للهرب ودخلت الفا للتسبيب هم اشد منهم بطشا اي شدة
بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه وقيل اراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يوملوا مثله لانفسهم هل من محيص من الله او من الموت

قوله تعالى

ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن الليل فسبحه وادبار السجود ان في ذلك اي في القرون التي اهلكت وقيل فيما ذكر في هذه السورة
لذكرى تذكيرا وعظة لمن كان له قلب اي عقل فكنى عن العقل بالقلب لانه موضعه ومنبعه قتادة لمن كان
له قلب حي نظيره لتنذر من كان حيا الشبلي كل قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين يحيى بن معاذ القلب
قلبان قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا احضر امر من امور الاخرة لم يدر ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا
وقلب قد احتشى باهوال الاخرة حتى اذا احضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الاخرة وقيل
معناها ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب مستقر لا يتقلب عن الله في السرا والضرا وقيل له قلب داع لان
من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع اي استمع القران تقول العرب الق الي سمعك اي استمع الحسن اي
العقل وجعل مسامعه وحولها الى الذكر كما يقال اصغى اليه وهو شهيد حاضر القلب لفطنته لان من لا يحضر
ذهنه فكانه غايب قتادة وهو شهيد على ما يقرا ويسمع في كتاب الله من نعت محمد وقيل وهو مومن شاهد على
صحته وانه وحي من الله وقيل وهو بعض الشهدا في قوله لتكونوا شهدا على الناس ولقد خلقنا السموات
والارض عن ابن عباس ان اليهود اتت النبي فسالته عن خلق السماوات والارض قال خلق الله الارض يوم
الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلثا وخلق الشجر والنبات والما يوم الاربعا وخلق السموات

يوم الخميس وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة فقالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش
قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح يوم السبت فغضب النبي عليه السلام غضباً شديداً فنزلت ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب من اعيا وتعب يقال ان الذي وقع من التشبيه
في هذه الاية انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل
فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل
هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مامور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامداً ربك على عطائه اسأني يعني قل
سبحان الله والحمد لله وقيل وصل بامر ربك وتوفيقه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب صلاة العصر وعن ابن
عباس وقبل الغروب صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة العشاء ابن مجاهد من الليل كله يعني
صلاة الليل في اي وقت وادبار السجود التسبيح في ادبار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة
وقيل النوافل بعد المكتوبات قال عمر ابن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن والشعبي والنخعي
والاوزاعي وادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وعن ابن عباس قال لي النبي
صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب ادبار السجود وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين كتبت صلوته في عليين ما لم يتكلم قال انس تقرأ في الركعة الاولى قل يا ايها
الكافرون وفي الاخرى قل هو الله احد مقاتل وقتها ما لم يغب الشفق مجاهد هو التسبيح باللسان في ادبار
الصلوات المكتوبات ابن زيد هو النفل ادبار المكتوبات قرا ابو عمرو وعاصم والكسائي وابن عامر ويعقوب
بفتح الالف والباقون بالكسر وقال بعض العلماء في قوله قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر وقبل الغروب الركعتان
قبل المغرب وعن انس كان ذووا الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب
عن رعبان مولى حبيب ابن سلمة رايت اصحاب النبي عليه الصلوة والسلام يهبون اليها كما يهبون الى المكتوبة
يعني الركعتين قبل المغرب سادة ما ادركت احداً يصلي الركعتين قبل المغرب الا انساً وابو هريرة الاسلمي

قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق
ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا
يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد   واستمع يا محمد لما
اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل عظيم وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه يوم يناد المنادي
منصوب بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ينادي المنادي اسرافيل
ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله عز وجل يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط
الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلاً وقيل باثني عشر يوم يسمعون بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة

الاخيرة بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور انا نحن
نحيي الموتى ونميت اي نميتهم في الدنيا والينا المصير للبعث في الاخرة يوم تشقق تتصدع الارض عنهم
سراعاً جمع سريع حال عن المجرور في منهم ذلك حشر جمعهم علينا يسير جمع هين تقديم علينا يدل على الاختصاص
يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر على كل شيء الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقول المشركون من تكذيبك وتكذيب البعث والافتراء على ربك
هذا تهديد لهم وتسلية لرسول الله وما انت عليهم بجبار بمسلط تقهرهم وتجبرهم على الاسلام انما بعثت
مذكراً منذراً محذراً فذكر بالقران من يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا المؤمنون لو ذكرتنا يا رسول الله
فانزل الله فذكر بالقران من يخاف وعيد خص الخائفين لانتفاعهم

سورة والذاريات مكية

وهي الف ومايتان وسبع وثمانون حرفاً وثلثمائة وستون كلمة وستون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذرواً
فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات امراً انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك   والذاريات الرياح
لانها تذروا التراب وغيره قال الله تذروه الرياح يقال ذرت الريح التراب واذرت عن الاعرج
بلغنا ان مساكن الرياح تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج
من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال ثم تقع من رؤوس الجبال فتقع في البر فاما الشمال فانها تمر بجنة عدن
فتاخذ من عرف طيبها فتمر على ارواح الصديقين ثم تاخذ حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وتاتي
الدبور حدها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتاتي الجنوب حدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس
وتاتي الصبا حدها من مطلع الشمس الى كرسي بنات نعش فلا تدخل هذه في حد هذه فالحاملات وقراً
السحاب لانها تحمل المطر فالجاريات يسراً السفن يسراً جرياً ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امراً الملائكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها وتفعل التقسيم مامورة بذلك مجاهد يتولى تقسيم
امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن الحسن المقسمات
يقسم الله عز وجل بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان تراد الرياح لا غير لانها
تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جرياً سهلاً وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قيل
فما معنى الفاء على التفسيرين اما على الاول فمعنى التعقيب فيه انه قسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه
فبالفلك التي تجريه بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر
ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدي في الهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو

باسطة له فيقسم المطر انما توعدون لجواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق لعيشة راضية وان الدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك الطرايق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مايه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرايق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرايق الوشى وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اى محكمها واذا اجاد الحايك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهى جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق انكم يا اهل مكة لفى قول مختلف فى القرآن انه سحر وسحر واساطير الاولين وفى محمد فمن مصدق ومكذب ومقر ومنكر وانه شاعر وساحر ومجنون الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو مختلف متناقض وقيل نزلت فى المقتسمين يوفك عنه القرآن او الرسول عن الايمان بهما من افك من صرف الصرف الذى لا صرف اشد منه واعظم منهم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله اى علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوى وقيل يصرف عن هذا القول اى من اجله وبسببه عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون له انه ساحر وكاهن فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد وقد يكون عن بمعنى من اجل ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يوفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المافوك

قوله تعالى

قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسئلون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون قتل الخراصون الكذابون ابن عباس المرتابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح وقيل الخراصون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هولاء الخراصون الذين هم فى غمرة غفلة وشبهة وجهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين اى متى يوم الجزاء يعنى متى يوم القيمة استهزاء منهم وتكذيبا ولم يقع ايان طرفا لليوم لان الاحيان لا يقع ظرفا الا للحدثان فيكون معناه ايان وقوع يوم الدين ويوم الذى وقع فى الجواب منصوب بفعل مضمر دل عليه السوال اى يقع يوم هم على النار يفتنون واذا مبنيا على يكون محله النصب بالفعل المضمر الذى هو يقع وقيل محله الرفع على تقدير هو يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون ويحرقون ويصحون بالنار كما يفتن الذهب بالنار ومنه الفتين وهى الحرة لان حجارتها كانها محرقة مثل ومجاز لعظمة على معنى انهم يوقنون على النار وقيل هو بمعنى البناء ذوقوا فتنتكم فى محل النصب على الحال اى مقولا لهم ذوقوا فتنتكم

هذا اى

هذا اى هذا العذاب مبتدا الذى خبره اى هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اى ذوقوا هذا العذاب

قوله تعالى

ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفى اموالهم حق للسايل والمحروم ثم ذكر حال المتقين فقال ان المتقين فى جنات وعيون آخذين قابلين ما اتاهم ربهم كل ما اعطاهم راضين به اى انه ليس فيما اتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله ويأخذ الصدقات اى يقبلها ويرضاها سعيد بن جبير يعنى آخذين بما امرهم ربهم عاملين بالفرايض التى اوجبها عليهم انهم كانوا قبل ذلك اى قبل دخولهم الجنة محسنين قد احسنوا اعمالهم فى الدنيا وقيل قبل نزول الفرايض محسنين فى اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون فى طايفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اى كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم ويجوز ان يكون موصولة اى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة راسى فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما الموكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين محمد بن على كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة انس يصلون ما بين المغرب والعشاء مطرف قل ليلة لا يصلون فيها لله تعالى اما من اولها واما من وسطها الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فلا ينامون الى السحر وبالاسحار هم يستغفرون فاذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرايم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه ابن عمر يصلون الضحاك يصلون صلاة الفجر وفى اموالهم حق للسايل الذى يسال الناس والمحروم الذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذى لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل المحروم المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم وقيل المحارف الذى لا يكاد يكسب عكرمة المحروم الذى لا ينمى له مال زيد بن اسلم هو المصاب بثمره وزرعه او نسل ماشيته محمد بن كعب القرظى صاحب الحاجة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون وعن ابى قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجاء سيل فذهب بماله فقال رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هذا المحروم واصله فى اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا انس ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيمة يقولون يا ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم فيقول وعزتى وجلالى لاقربنكم ولابعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى اموالهم حق للسايل والمحروم

قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قيل متعلق بقوله انما
توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الارض ايات للموقنين تدلهم على ان الحشر كائن كما قال تعالى
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى قوله ان الذي احياها لمحيي الموتى وقيل متعلق بافعال المتقين فانهم
خافوا الله فعطفوا واظهروا الشفقة على عباده وكان لهم ايات في الارض وفي انفسهم على اصابتهم الحق
في ذلك فان من تكون له في الارض الايات العجيبة تكون له القدرة التامة فيخشى ويتقى ومن له في
النفس لنا سيحكم بالغد ونعم سابقة يستحق ان يعبد ويترك الهجوع بعبادته واذا قابل العبد عبادته بالنعم
يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم ان الرزق من السماء لا يبخل بماله وفي الارض ايات تدل
على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها
المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات
من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالمطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة
الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها
ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة
في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا
اية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها
من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك
بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف
وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الايات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر وع الاسماع
والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين ابن الزبير
وفي انفسكم افلا تبصرون سبيل الغائط والبول ابن شريك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين
واشرب لبنا محضا خرج دما فتلك الاية في النفس ابو بكر الوراق تحويل الحالات وضعف القوة وقهر المنة
وعجز الاركان وفسخ الصريمة ونقض العزيمة وفي السماء رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات سعيد بن جبير
هو الثلج والمطر اللذان بهما تخرج الارض النبات الذي هو سبب الاقوات وقيل معناه وفي المطر سبب
رزقكم فسمي المطر سماء لانها من السماء تنزل قال الشاعر اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا
غضابا ابن كيسان وعلى رب السماء رزقكم في على كقوله في جذوع النخل والرب مقدر كقوله واسال القرية

ونظيره

ونظيره قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وما توعدون من خير وشر الضحاك
وما توعدون من الجنة والنار ابن سيرين وما توعدون الساعة وقيل ما ترزقونه في الدنيا وما
توعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه ان الذي ذكرت
من امر الرزق لحق مثل قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل
نطقكم والباقون بالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتح بناء لاضافته الى غير
متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك
ههنا والضمير في انه اشارة الى ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم
او الى ما توعدون **قوله تعالى** هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم
قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة
فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك
للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم اشارة الى تسلية قلب النبي صلى الله عليه
وسلم بان ان غيره من الانبياء كان مثله واختار ابرهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي
على سنته في بعض الاشياء وانذار لقومه بما جرى من الضيف من انزال الحجارة على المذنبين المضلين
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم اي ما كان من شانهم والعرب تقول للمخاطب اذا اخبر عن خبر ماض
هل اتيك خبر كذا وان علم انه لم ياته وقيل هل ههنا بمعنى قد اي قد اتاك وقيل الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد به القوم اي هل يمكنهم ان يقولوا اتيك ضيف ابرهيم من غير وحي به اليك وبالجملة هل اتاك
تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي ضيف للواحد والجمع
كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه ابن عباس ومقاتل وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة
عاشرهم جبريل عطا كانوا ثلثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر سماهم ضيفا لانهم كانوا غير مدعوين عبد العزيز
الكتاني كانوا مكرمين عند الله وقيل ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امراته وعجل لهم القرى
اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم لهم والا فما في ضيف من معنى الفعل او باضمار
اذكر فقالوا سلاما قال سلام قوم اي انتم قوم منكرون عن ابي العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك البلاد لانه علم للاسلام وقيل
... وقيل انما انكرهم لانهم دخلوا عليه
من غير استيذان
اراد انهم ليسوا ممن عرفه او من جنس الناس الذين عهدهم كانوا بصور العرب قوما من الخزر اورانهم

شكلاً وحالاً لاختلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سوالاً لهم كانه قال انكم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره فجاء بعجل سمين لان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فقربه اليهم قال الا تاكلون الهمزة فيه للانكار انكر ابرهيم عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس منهم فاضمر منه خيفة انما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا عن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالت الملائكة لابرهيم عليه السلام لا تخف انا رسل الله وقيل ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وكانت في الدار فصدقهم وامن فبشروه بغلام باسحق باجماع من المفسرين الا مجاهدا وحده فانه قال المبشر به في الاية اسمعيل عليم يعلم اذا بلغ والعليم المبالغ في العلم فاقبلت امراته في صرة في صيحة ولم يكن ذلك باقبال من مكان الى مكان بل معناه فاخذت في صرة كما يقولوا اقبل يشتمني فحل عندي في صرة النصب على الحال فجاءت صارة ابن عباس اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فضحكت فلطمت وجهها من الحياء وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتي عكرمة رنتها وقيل فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز انا عجوز عقيم فكيف الد وقيل قالت اءلد عجوز ولها تسع وتسعون سنة وكانت في شبابها عقيما قالوا اى الملئكة كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اى انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله العليم بعباده وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة مثمرة لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال ابرهيم فما خطبكم ايها المرسلون فما شانكم ارسلتم لامر جليل وشان عظيم فما ذاك قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى لاهلاكهم وهم قوم لوط ومدنهم سدوم لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل وهو طين مطبوخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل علمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعداوتهم وعملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها في القرية فالضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المومنين يعني لوطا ومن امن به قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين من ذهب الى ان الايمان هو الاسلام واحتج بهذه الاية تقريرا لا يصح انه تعالى استثنى المسلم من المومنين حيث فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اى غير اهل بيت يدل على ذلك من المسلمين وغير ههنا بمعنى الا اى فما وجدنا فيها الا اهل بيت من المسلمين لان غيرا اما بمعنى الصفة او بمعنى الا او بمعنى بالث والثالث باطل بالاتفاق

والاول

والاول ايضا باطل والا يلزم ان لا يوجد فيها غير بيت المسلمين تعين الثاني فيكون معناه فما وجدنا فيها الا اهل بيت من المسلمين فيكون الاستثناء مفرغا فيكون المستثنى منه ما تقدم ذكره او غيره والاصل عدم اذ لا دلالة عليه فتعين ما تقدم ذكره وهو قوله من المومنين فيكون المسلم مستثنى من المومنين فيلزم اتحاد الايمان والاسلام والجواب ان غاية ما ذكر ان المومن يصدق على المسلم ولا يلزم من صدق المسلم على المومن اتحاد مفهوم الاسلام والايمان فان الكاتب يصدق على الاسود في شخص اسود كاتب ولا يلزم من ذلك اتحاد مفهوم الكتابة والسواد وتركنا فيها في القرية اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم اى يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل ما اسود منتن ابن جريج هي حجر منضود فيها

قوله تعالى وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي موسى معطوف على وفي الارض ايات للموقنين وقيل معطوف على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى فاعرض عن الايمان وادبر بركنه بقوته وقومه يعني المنعة والعشيرة الموزع بجانبه وجمع بدنه وهي كناية عن المبالغة في الانكار والاعراض وقيل بميله عن الحق والركن ما ركن اليه الانسان من مال وجند وقوة وقال فرعون هو اى موسى ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم ات بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فنبذناه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف وصف نبي الله يونس بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح

قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم العقيم وهي التي لا تلقح شجرا ولا تنشئ سحابا ولا رحمة فيها ولا بركة وهي ريح الهلاك وعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالشيء البالي الذي اتت عليه الايام والليالي وقيل الرميم الرماد وقيل التراب المدقوق وقيل العظم البالي وقيل الهشيم من النبات وقيل بارمة الماشية مرمتها وهي الشفة لمعنى ما يبرك من شيء هبت من انفسهم وانعامهم واموالهم الا اهلكته

قوله تعالى وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وفي ثمود قوم صالح اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني وقت مجي آجالهم تفسير قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا فاستكبروا وعتوا عن امر ربهم عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة قرا الكسائي الصعقة بسكون العين

من غير الف والباقون بالالف وكسر العين الصعقة الموت من مصدر صعقتهم الصاعقة وهى النازلة
نفسها قيل كل صاعقة فى القرآن فهى عذاب وهم ينظرون اليها نهارًا اى يعاينونها فما استطاعوها
من قيام فما قاموا بعد نزول العذاب وما قدروا على نهوض به ولا دفاع وما كانوا منتصرين منتقمين
منا ولا ممتنعين من العذاب قتادة ما كانت لهم مسعوة بها من امر الله قوله تعالى
وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين قرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وخلف وقوم نوح
بالجر اى فى قوم نوح والباقون بالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه وقيل واذكر
قوم نوح وقيل مردود الى على هم فى قوله كانوا قوما عاصين قوله تعالى والسماء بنيناها
بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
ما تقدم كان شانًا للحشر وهذا بيان للوحدانية والسماء بنيناها بايد بقوة والايد والاد القوة
وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق الحسن لموسعون
الرزق على خلقنا بانزال المطر الضحاك لاغنياء يدل عليه قوله تعالى وعلى الموسع قدره الحسن
ذووا السعة على خلقنا وقيل لعالمون احاط علمنا بكل شىء وقيل خلقنا بينها وسعة الارض سعة والارض
فرشناها بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون نحن ومن كل شىء اى من كل من الحيوان خلقنا زوجين
ذكرًا وانثى الحسن ومن كل شىء خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس
والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والكفر والايمان
والشقاوة والسعادة والحق والباطل والذكر والانثى والموت والحيوة والدنيا والاخرة والجنة
والنار وكل اسم منها زوج والله فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض
وخلق الازواج لكى تذكروا وتعلموا ان خالق الازواج فرد فتعبدوه ولا تعبدوا غيره قوله تعالى
ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهًا اخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت
بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبًا مثل ذنوب اصحابهم
فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ففروا الى الله اى فاهربوا من
معصية الله وعذابه الى طاعته وثوابه بالايمان ومجانبة العصيان ابن عباس ففروا منه اليه
واعملوا بطاعته ابو بكر الوراق ففروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن عثمن ابن عفان اخرجوا الى
مكة الحسين ابن الفضل احترزوا من كل شىء دونه فمن فر الى غيره لم يمتنع منه الحسد الشيطان داع
الى الباطل ففروا الى الله فنعكم منه ذو النون ففروا من الجهل الى العلم ومن الكفر الى الشكر عمرو بن عثمان

ففروا من انفسكم الى ربكم الواسطى فروا الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم سهل
ابن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله انى لكم منه من العذاب نذير مبين منذر وقيل نذير عالم
من قولهم نذرت اذا علمت قيل المعنى نذير من عند الله ولا تجعلوا مع الله الهًا اخر انى لكم منه
نذير مبين من الاشراك والتكرار للتاكيد والاطالة فى الوعيد ابلغ وقيل الاول متصل بالمعصية
والثانى بالشرك واذا اختلفا لا يكون تكرارًا والمعنى بالجحد ففروا الى الله لذلك الامر مثل ذلك
اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرًا او مجنونًا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان
تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحًا
على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا ساحر او مجنون اى رموا الانبيا
من فرط جهلهم بامرين منها تضاد لان الساحر لا يكون الا فطنا لسنًا والمجنون بالضد من ذلك
اتواصوا به اى بهذا القول يعنى اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين
عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل هم قوم طاغون بل جمعتهم
العلة الواحدة وهى الطغيان الحاصل عنه فتول فاعرض عنهم عن الذين كررت عليهم الدعوة
فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فما انت بملوم فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت
مجهودك فى البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين بان تزيد
فى علم المؤمنين وان لم يتذكر بها الكافرون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليوحدون
يريد المؤمنين منهم ومن سواهم قال على ابن ابى طالب رضى الله عنه اى الا لامرهم ان يعبدون
وادعوهم الى عبادتى ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الهًا واحدًا ابن عباس الا ليقروا لى
بالعبودية طوعًا وكرهًا فان قيل كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيته اجيب
بانهم قد تذللوا لقضائه الذى قضى عليهم لان قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه اذا نزل
بهم وانما خالفه من كفر به فى العمل بما امر به فاما التذلل لقضائه فانه غير ممتنع مجاهد الا ليعرفون
وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم
الايات الكلبى الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده فى الشدة
دون الرخاء بيانه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين الاية عكرمة الا ليعبدون ثم قال
فى اية اخرى ولقد ذرانا لجهنم كثيرًا من الجن والانس وقال بعضهم معناه وما خلقت السعداء من الجن
والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى هذا معنى قول زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من
الشقاوة والسعادة الحسين ابن الفضل هو الاستعباد الظاهر وليس هذا على القدر لانه لو قدر
عليهم عبادتهم لما عصوا ولما عبدوا معه غيره قط وانما هو كقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة

لعلكم تشكرون ثم قال قليلا ما تشكرون وقليل من عبادي الشكور ووجه الاية في الجملة
ان الله تعالى لم يخلقهم للعبادة وخلق جبلة واختيار وانما خلقهم لها خلق تكليف واختيار فمن رفقه
وسدده اقام العبادة التي خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل لما خلق له لقوله صلى الله عليه وسلم
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ما اريد منهم من رزق اي ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم
فان ملاك العبيد انما يملكوهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا
او مرتب في فلاحة فلاحاجة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ
او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك
ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم
وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي
وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين الشديد القوي المقتدر النافع في القوة
والقدرة ابن عباس المتين الصلب الشديد فان للذين ظلموا اشركوا من اهل مكة ذنوبا دلوا عظيما
سعيد بن جبير سجلا مجاهد سبيلا النخعي طرفا عطا وقتادة عذابا الحسن دولة الكسائي حظا الاخفش
نصيبا والذنوب في اللغة الدلو العظيمة المملوة ماء قال الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب
ثم يستعمل في النصيب كقول علقمة وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب وقال اخر لعمرك والمنايا
طارقات لكل بني اب منهم ذنوب مثل ذنوب اصحابهم من كفار قريش الامم الخالية فلا يستعجلون بالعذاب
والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب
الله مثل نصيب اصحابهم ونظرايهم من القرون فانما امهلوا مع ذنوبهم فويل للذين كفروا من يومهم يوم بدر
وقيل يوم القيمة

سورة والطور مكية

وهي الف وخمسماية حرف وثلث ماية واثنى عشر كلمة وتسع واربعون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور
في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من
دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا كل جبل يسمى طورا ولكنه عنى سبحانه بالطور
ههنا الجبل الذي كلم عليه موسى بالارض المقدسة وهي بمدين وكتاب مسطور مكتوب في رق جلد منشور
وهو الصحيفة الكلبي ما كتب الله تعالى بيده لموسى من التورية وموسى يسمع صرير القلم فكان كالمرقم
بكان خرقه الى الجانب الاخر فكان كتابا له وجهان وقيل اللوح المحفوظ وقيل القران ونكر لانه كتاب
مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها وقيل دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيمة
منشورة فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك

واذا

واذا الصحف نشرت وقيل ما كتب الله تعالى في قلوب اوليائه من الايمان بيانه قوله تعالى اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وقيل ما كتب الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية
والاهل وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة
الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون فيه
ابدا وخادمه ملك يقال له رزين وقيل كان بيت المعمور في الجنة فحمل الى الارض لاجل ادم ثم رفع الى
السماء وايام الطوفان روي ان النبي قدم مكة حرسها الله فارادت عايشة ان تدخل البيت ليلة
فقال لها بنو شيبة ان احدا لا يدخل ليلا ولكنا نخليه لك نهارا فدخل عليها النبي عليه السلام فشكت
اليه انهم منعوها ان تدخل البيت فقال انه ليس لاحد ان يدخل البيت ليلا ان هذه الكعبة بحيال
البيت المعمور الذي في السماء يدخل ذلك البيت المعمور سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابدا
الى يوم القيمة لو وقع به حجر على ظهر الكعبة ولكن انطلقي انت وصواحبك فتصلين انت وصواحبك
في الحجر ففعلت فاصبحت وهي تقول قد دخلت البيت على رغم من رغم الحسن والبيت المعمور هو
الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة اول مسجد وضع للعباد في الارض
والسقف المرفوع السماء سمي سقفا لانها للارض كالسقف للبيت شاهده قوله تعالى وجعلنا السماء
سقفا محفوظا والبحر المسجور مجاهد والضحاك وشمر ابن عطية ومحمد بن الكعب والاخفش الموقد المحمي
بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل للمسعر مسجر شاهده قوله عليه السلام لا تركبن البحر الا حاجا او معتمرا
او مجاهدا في سبيل الله فان تحت البحر نارا او تحت النار بحرا وتحت البحر نارا في نار وقال عليه السلام
البحر نار في نار وروى سعيد بن المسيب ان عليا رضي الله عنه قال لرجل من اليهود اين جهنم فقال البحر
فقال ما اراه الا صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت وتفسير هذه الاخبار ما روي في الحديث
ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا فيسجر بها نار جهنم قتادة المسجور المملو ابن كيسان المجموع
ماؤه بعضه الى بعض ابو العالية اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب روى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس
الفارغ قال خرجت امة لتستقي فرجعت فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ وروى علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس المسجور المحبوس الربيع ابن انس المختلط العذب بالملح وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انه قال هو بحر تحت العرش مسيره ما بين سبع سموات الى سبع ارضين وهو ماء غليظ يقال له بحر
الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم ان عذاب ربك لواقع لنازل
ما له من دافع جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم النبي عليه السلام في اسارى بدر فدفعت اليه
وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فكانما صدع قلبي وكان اول ما دخل قلبي الاسلام فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت

اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع لي العذاب وعن هشام ابن حسان انطلقت انا ومالك ابن دينار الى
الحسن فاتينا اليه وعنده رجل يقرأ فلما بلغ هذه الاية ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى
الحسن وبكى اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه يوم تمور تضطرب وتجي وتذهب وقيل تدور
كدوران الرحى وتكفا باهلها تكفا السفينة ويموج بعضها في بعض واصل المور الاضطراب والاختلاف
وقيل المور تحرك في تموج وهو الشي يتردد في عرض كالداغصة في الركبة وتسير الجبال سيرا فتزول عن اماكنها
وتصير هبا منبثا منثورا **قوله تعالى** فويل للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم
يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ويل يومئذ للمكذبين تاكيد للوعيد
والفا للمعنى الجزا اي اذا وقع الجزاء والعذاب فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض في باطل
يلعبون ومنه قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وكنا نخوض مع الخائضين وقيل في خوض في انكارهم
البعث وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا يلعبون من غير بيان وحجة وقيل في
اسباب الدنيا يلعبون من غير فكرة في ثواب وعقاب وقيل معناه يسرعون الى المعاصي وقيل
يشاغلهم بكفرهم لعب عاقبته العذاب يوم يدعون يدفعون الى نار جهنم دعا ويزعجون اليها ازعاجا
والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى
اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم حتى يردوا هذه النار فاذا دنوا
منها قالت لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي
هذا سحر افسحر هذا تريد ا هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون
كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم
اصلوها ادخلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي انتم لا زمون لها حالتكم من الجزع والاستغنا
والتصبر وترك الجزع وهو خبر في صيغة امر بتقدير الجزع وترك الجزع سوا وقيل سوا خبر محذوف
اي سوا عليكم الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون اي هذا جزا اعمالكم علل استوا الصبر
وعدمه بقوله بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة
بان يجازى عليه الصابر جزا الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزا ولا عاقبة له ولا منفعة
فلا مزية له على الجزع. **قوله تعالى** ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم
ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم
من عملهم من شي كل امري بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها

كاسًا

كاسًا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لولو مكنون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا
من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ان المتقين في جنات اية جنات ونعيم اي نعيم
بمعنى الكمال في الصفة وقيل في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين
نصب على الحال اي ذووا فاكهة كثيرة متلذذين معجبين ناعمين بما اتاهم ربهم بما اتاهم الله اياهم
ووقاهم ربهم عطف على قوله في جنات او على اتاهم ربهم على ان يجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين
باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا
يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا اي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة
قد صف بعضها الى بعض فوصل بعضها ببعض وقيل موصول بعضها ببعض وقيل مرمولة بالذهب
والفضة والصف مدا لشي على الولا وقيل تقديره متكئين على نمارق مصفوفة على سرر فحذف لان الاتكا
يدل على النمارق وزوجناهم بحور عين قرناهم والمعنى جعلنا ذكران اهل الجنة ازواجا للحور العين
ومعنى البا انهم صاروا بسببهن ازواجا وقيل زوجت به لغة والحور جمع الحورا ولا يقال للمذكر احور
وذهب بعضهم الى ان الحور نسا المومنين في الدنيا وهذا خلاف الامة وان فاق صرف في الحسن
مثلهن وفوقهن فهذا قريب والذين امنوا عطف على حور اي قرناهم بالحور العين وبالذين امنوا اي
بالرفقاء والجلسا منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة
الاخوان المومنين واتبعناهم قرا ابو عمرو بالنون والالف وذرياتهم بالالف وكسر التا فيهما لقوله الحقنا
وما التناهم ليكون الكلام على نسق واحد والباقون واتبعتهم بالتا من غير الف ثم اختلفوا في ذرياتهم
قرا ابن كثير واهل الكوفة والحقنا بهم ذريتهم الاولى بغير الف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء
الثانية ابن عامر بالالف فيهما وهو اختيار يعقوب والباقون بغير الف فيهما وكسر التا الثانية قيل معنى
الاية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم المومنين في الجنة بدرجاتهم وان كانوا
لم يبلغوا باعمالهم درجات ابايهم تكرمة لابايهم لتقر بذلك اعينهم وهذه رواية سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما وقيل والذين امنوا واتبعتهم الذرية التي بلغت الايمان بايمان الحقنا بهم
ذريتهم بالصغار الذين لم يبلغوا الايمان وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس فاخبر الله
تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما يحب في الدنيا ان يجتمعوا ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم
بدرجتهم بعمل ابايهم من غير ان ينقص الابا من اجور اعمالهم شيئا فذلك قوله تعالى وما التناهم من عملهم
من شي يعني الابا وهم راجع الى قوله والذين امنوا والالتا النقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع

السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم وقيل بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم ومعنى تنكير الايمان الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقنا بهم وقيل والذين امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله واتبعناهم ذرياتهم اعتراض بينهما وما التناهم وما نقصناهم اى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم على سبيل التفضل وعن النبي عليه السلام اذا دخل اهل الجنة الجنة فيسال عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول لقد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وعن علي رضي الله عنه سالت خديجة النبي عليه السلام عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال النبي عليه السلام ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم الاية كل امرئ بما كسب من الخير والشر رهين مرهون فيؤخذ بذنبه ولا يؤخذ بذنب غيره قال صاحب الكشاف كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عنده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم اعطيناهم وزدناهم في وقت دون وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان يتنازعون يتناولون فيها وقيل يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا اناء فيه خمر لا لغو فيها وهو الباطل مقاتل لا فضول فيها ابن المسيب لا رفث فيها ابن زيد لا سباب فيها ولا تخاصم القتبي لا يذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا قال اى لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيها الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم اضياف الله ولا تاثيم اى فعل يؤثمهم وهو تفعيل من الاثم لانهم لا ياثمون في شربها وقيل لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء ويطوف عليهم للخدمة غلمان لهم اى مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم من بياضهم وصفائهم لؤلؤ مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى وقيل مخزون مصون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيم وعن النبي عليه الصلوة والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه

فيجيبه

فيجيبه الف ينادونه كلهم لبيك لبيك وعن الحسن انه كان اذا تلى هذه الاية ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف سيد الخادم المخدوم قال كما بين القمر ليلة البدر والكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عذاب الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انه قرا نافع والكسائي بفتح الالف بمعنى لانه والباقون بالكسر على الابتداء كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعني في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة ونسله الوقاية انه هو البر اللطيف المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب

قوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

فذكر يا محمد اى فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ودم على التذكير والموعظة فما انت بنعمة ربك برحمة ربك وعصمته بكاهن مبتدع القول ولا مجنون كما زعموا ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وكفينا امره بموت او حادثة متلفة فيموت ويتفرق اصحابه وذلك انهم قالوا ننتظر به الموت فيهلك كما هلك من الشعراء زهير والنابغة وفلان وفلان وانما هو كاحدهم وان اباه توفي شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الموت وبمعنى الدهر سميا بذلك لانهما ينقصان ويقطعان الاجل وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال امن المنون ودبه تتوجع وقيل المنون الموت

وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قل يا محمد لهم
تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم
بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يعدون في الجاهلية
اهل الاحلام ويوصفون بالعقل وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم يومنوا وقد وصفهم الله بالعقل
فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها التوفيق ام هم قوم طاغون اي بل هم قوم طاغون مجاوزون
الحد في العناد ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه ليس كما تقولون بل لا يومنون استكبارا وكفرهم
وعنادهم يرمونه بهذا المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمقول العجز العرب عنه وما محمد
الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثل القرآن بشبهه ان كانوا صادقين ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يقوله من قبل نفسه فان اللسان لسانهم وهم مستوون في البشرية واللغة والقوة ام خلقوا
ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ابن عباس من غير رب وقيل
من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة اليسوا خلقوا من نطفة ثم من علقة
ثم من علقة ثم من مضغة قاله عطا ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى لا يومرون ولا ينهون
وهذا كقول القايل فعلت كذا وكذا من غير شيء يعني الاشيء ام هم الخالقون لانفسهم حيث لا يعبدون
الخالق ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والارض
قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون ولا يوقنون وقيل معناه بل لم يخلقوا شيئا منها لا يوقنون اي لا يتدبرون
في الايات فيعلموا خالقهم وخالق السماوات والارض وساير المخلوقات وقيل بل لا يوقنون بوعد الله
فهانت عليهم المعاصي ام عندهم خزاين ربك ابن عباس المطر والرزق فلا يحتاجون الى من يرزقهم
عكرمة النبوة حتى يرزقوا النبوة من شاوا وقيل علم ما يكون حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة
ام هم المسيطرون المسلطون الجبارون عطا الارباب القاهرون الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية
ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وفيه لغتان السين والصاد قرا قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام
بالسين وحمزة بخلاف والباقون بالصاد ام لهم سلم سبب ومصعد ومرقى يرقون به الى السماء
يستمعون فيه الوحي فيدعون انهم سمعوا هناك اي ان الذي عليه حق فهم متمسكون به فلذلك
قال فليأت مستمعهم ان ادعوا ذلك بسلطان مبين حجة بينة وقيل سلم منصوب الى السماء يستمعون
صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين من تقدم هلاكه على
هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة ظاهرة تصدق استماع مستمعهم ام
له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لاحلامهم حيث اختاروا لله ما يأنفون عنه ام تسألهم اجرا جعلا
على ما جئتهم به وعلى تبليغ الرسالة ودعوتهم اليه فهم من مغرم غرم واداء مثقلون مجهودون والمغرم

ان سالتهم

ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم تثقل عندهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم
الغيب اي علم الغيب ما غاب عنهم حتى علموا ان ما اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم
من امر القيمة والبعث والحساب والثواب والعقاب باطل عن كان قتادة لما قالوا نتربص
به ريب المنون انزل الله تعالى ام عندهم الغيب فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله عليه وسلم
والى ما يوول امره ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون فيه ويخبرون الناس به القتيبي
فهم يحكمون والكتاب الحكم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين تحاكما اليه سأقضي
بينكما بكتاب الله اي بحكم الله عز وجل وقيل فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا
لم نعذب ام يريدون كيدا مكرا بك في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون الممكور بهم بعود
الضرر عليهم ويحيق المكر بهم دونك وذلك انهم قتلوا ببدر وقيل هم المغلوبون في الكيد من كايدته
فكدته ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب الله سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في سورة
الطور من ذكر ام كلمة استفهام وليس بعطف وان يروا كسفا قطعة وقيل قطعا واحدتها كسفة
مثل سدرة وسدر من السماء ساقطا يقول لشدة طغيانهم وقوة معاندتهم وفرط عنادهم وشقاوتهم
لو اسقطنا عليهم كسفا من السماء يقولوا سحاب مركوم بعضه على بعض يمطرنا ويسقينا وهذا جواب
لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال لو فعلنا
هذا لقالوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا اي لا ينفع انذار هولاء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون يموتون قرا عاصم وابن عامر يصعقون بضم اليا وفتح العين اي يهلكون والباقون
بفتح اليا والعين هما لغتان مثل سعد وسعد يقال صعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني
عنهم كيدهم شيئا اي لا يدفع مكرهم عنهم عذاب الله ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين
ظلموا اشركوا عذابا دون ذلك البرا ابن عازب هو عذاب القبر ابن عباس هو القتل ببدر مجاهد
الجوع والقحط وقيل مصايب الدنيا التي تصيبهم من الاوجاع وذهاب الاموال والاولاد ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم واصبر لحكم ربك لبلايه فيما ابتلاك به من قومك وقيل لحكم
ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة فانك باعيننا بمنظر ومرأى منا مثل اي بحيث نراك
ونكلوك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقيل بعلمنا
وقيل بحراستنا وحفظنا والكل متقارب والمعنى انك مراعى محفوظ محروس لا يصلون اليك بمكروه
وسبح بحمد ربك صل حين تقوم من الليل حين صلاة الصبح وقيل من اي مكان قمت فان كان المكان
خيرا ازددت ثناء وحسنا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام
قال من جلس في مجلس كثر فيها لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك

واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك ومن الليل فسبحه اي صل صلوة العشا وقيل المغرب والعشا
وقيل يريد صلوة الليل وقيل هو التسبيح بالليل اذا انتبه من نومه وادبار النجوم واذا ادبرت
النجوم من اخر الليل قال علي وابن عباس وجابر وانس رضي الله عنهم وقيل صلوة الفجر فريضة وقيل
المراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح للصلوة اذا قام من نومه

سورة والنجم مكية

وهي الف واربعمايه وخمسة احرف وثلثمايه وستون كلمة واثنان وستون اية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة
فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ابن عباس
النجم الثريا اذا هوى اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما وهو اسم غالب لها وان كانت
في العدد نجوما الدريدي هي سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد منها خفي يمتحن الناس به
ابصارهم ومنه قول العرب اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا مجاهد يعني نجوم السما
كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع كقول الراعي فباتت تعد النجم في مستحير سمي الكواكب
نجما للطلوع وكل طالع نجم يقال نجم الشي اذا طلع اذا هوى غرب او انتثر يوم القيمة عكرمة انه
النجم الذي يرجم به اذا هوى انقض الضحاك النجم من نجوم القران اذا نزل ثلث ايات واربع
ايات وسورة وكان بين اوله واخره ثلث وعشرون سنة والعرب تسمي التفريق نجما اذا هوى
نزل وقيل النجم النبات ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان اذا هوى سقط على الارض
لانه مما ليس له ساق جعفر الصادق يعني محمدا اذا نزل من السما ليلة المعراج والهوي السقوط
والنزول يقال هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا وروى عروة بن الزبير عن رجال من اهل
بيته قالوا كانت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عتبة بن ابي لهب فاراد الخروج
الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه فقال يا محمد هو يكفر بالنجم اذا هوى وبالذي
دنى فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة
الى ابيه فاخبره بذلك ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال
هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني دعوة محمد فجمعوا احمالهم وفرشوا لعتبة في اعلاها فنا وا حوله فجاء الاسد فجعل يتشمم
وجوههم ثم ثنى ذنبه وضرب عتبة بيده ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات مكانه فقال

في ذلك

في ذلك حسان بن ثابت من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم محمد
والخطاب لقريش وهو جواب القسم وما غوى والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو
مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى اي بالهوى
والعرب تعاقب بين عن والبا فتقيم احدهما مقام الاخرى وما اتاكم به من القران ليس بمنطق
يصدر عن هواه ورايه ان هو الا وحي يوحى ما هو الا وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الاية
من لا يرى الاجتهاد للانبيا ويجاب بان الله اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند
اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها
على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وكانت شدة ايضا انه ابصر ابليس وهو يكلم عيسى عليه
السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه في اقصى جبل بالهند
وكانت شدته ايضا صيحته بثمود فاصبحوا جاثمين وكانت شدته ايضا هبوطه من السماء
على الانبيا وصعوده اليها في اوحى من رجعة الطرف ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة
في دينه وكانت جبريل له رايه وعقله حصافة ان الله عز وجل ايتمنه على تبليغ الرسالة والوحي
الى جميع رسله ابن عباس ذو مرة اي ذو منظر حسن قتادة ذو خلق طويل حسن فاستوى فاستقام
على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كانت يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل على صورة
دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى
له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد
صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل فاستوى جبريل وهو يعني محمدا واكثر
كلام العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا الموضع ان يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى
هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان وانشد الفراء الم تر ان النبع يصلب عوده ولا يستوي
والخروع المتقصف والمعنى ولا يستوي هو والخروع ونظيره قوله تعالى ايذا كنا ترابا واباؤنا فعطف بالاباء
على المكنى في كنا من غير اظهار نحن ولقايل ان يقول ترابا قايم مقام نحن ومعنى الاية استوى جبريل ومحمد
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس في السماء وقيل
استويا في العلو والصعود الى السما وقيل استويا في العلم بالوحي وقيل استوى جبريل اي ارتفع وعلا الى
السماء بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم دنا فتدلى ثم دنى جبريل من محمد عليهما السلام فتعلق
عليه في الهوى ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب
وخيط ويقال هو مثل القرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان قاب قوسين عن سين والقاب

والقيب والقادة والقيد والقيس المقدار وقد جا المقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة
والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان يرتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم
من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من
حزيمة اصبعا وتقدير قوله فكان قاب قوسين فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت
هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع
او ادنى اي على تقديركم كقوله او يزيدون وقال بعضهم في معناها ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى
من الارض فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي واهوى اليه فكان منه قاب قوسين او ادنى
بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وقيل في الكلام تقديم وتاخير ثم تدلى فدنا لان
التدلي سبب الدنو ولكنه شايع حسن لان التدلي يدل على الدنو والدنو على التدلي وانما تدلى
للدنو ودنا للتدلي وقال اخرون معناه ثم دنا الرب تعالى من محمد عليه السلام فتدلى فقرب منه
حتى كان قاب قوسين او ادنى واصل التدلي النزول الى الشي حتى يقرب منه فوضع موضع القرب
قال لبيد فتدليت عليه قافلا وعلى الارض غيابات الطفل هذا معنى قول انس ورواية ابي
سلمة عن ابن عباس سمع انس بن مالك يحدث عن ليلة المسرى انه عرج جبريل برسول الله صلى الله
عليه وسلم الى السما السابعة ثم علا به بما لا يعلمه الا الله حتى جا سدرة المنتهى ودنا الجبار تبارك
وتعالى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى ودنو الله تعالى من العبد ودنو العبد من الله بالرتبة
والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطا المسالة لا بالمكان والمسافة والنقلة كقوله تعالى فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال بعضهم معناه ثم دنى جبريل من ربه عز وعلا وكان منه قاب
قوسين او ادنى وهذا قول مجاهد يدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملايكة الى الله جبريل
وقال الضحاك ثم دنى محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين
او ادنى وقيل ثم دنى محمد عليه السلام من ساق العرش فتدلى اي جاوز الحجب والسرادقات
لا نقلة مكان وهو قايم باذن الله كالمتعلق بالشي لا يثبت قدمه بمكان وهذا معنى قول الحسين ابن
الفضل وقال اهل المعاني هذا اشارة الى تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة واصله
ان الحليفين والمحبين في الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفا والوفا والعهد خرجا بقوسيهما
والصقا سهما وتدانيا بذلك انهما متظاهران متحاميان يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقيل
هذا تمثيل في تقريب الشي من الشي وهو مستعمل في امثال العرب واشعارهم وقال شقيق ابن
سلمة وسعيد بن جبير وعطاء وابو اسحق الهمداني فكان قاب قوسين اي قدر ذراعين والقوس
الذراع يقاس بها كل شي وهي لغة بعض اهل الحجاز او ادنى بل اقرب وقال بعض المحققين انما قال

ادنى

ادنى لانه لم يرد ان يجعل لذلك حدا محصورا وسيل ابو العباس ابن عطا عن هذه الاية فقال كيف
اصف لكم مقاما انقطع عنه جبريل وميكايل واسرافيل ولم يكن الا محمد صلى الله عليه وسلم وربه
عز وجل **قوله تعالى** فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفواد ما راى افتمارونه
على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة
ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الله الى عبده
محمد عليه السلام الحسن والربيع وابن زيد معناه فاوحى الله اي رسول الله ما اوحى تفخيم
للوحي الذي اوحى اليه وقيل اوحى جبريل الى عبده ما اوحى ربه سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما
فاوى فاوحى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها امتك ابو الحسين النوري فاوحى اليه سرا بسر لسر من سره في سره وفي ذلك
يقول القايل بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه سر مازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه
ما كذب الفواد اي فواد محمد ما راه بل صدقه واختلفوا في الذي راه فقال قوم راى جبريل واليه ذهب
ابن مسعود وقال اخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الروية فقال بعضهم جعل بصره في فواده
فراه بفواده ولم يره بعينه وقال قوم بل راه بعينه الحسن يحلف بالله تعالى لقد راى محمد عليه
السلام ربه تعالى ابن عباس كان يقول ما كذب الفواد ما راى راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه
سبحانه وتعالى وقال بعض اصحاب رسول الله رايت ربك قال رايته مرتين بفوادي ولم اره
بعيني ثم تلا ما كذب الفواد ما راى ومثله روى ابن الحنفية عن ابيه وابو العالية عن ابن عباس
وعن عبد الله بن شقيق قلت لابي ذر لو رايت رسول الله لسالته قال وكم كنت تسيل قال
هل راى ربه فقال قد سالته فقال قد رايت نورا انى اراه وكذلك روي عن ابي سعيد الخدري
انه سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل قال رايت نورا ومثله روى مجاهد وعكرمة
عن ابن عباس وقد ورد في هذا الباب حديث جامع عن الشعبي عن عبد الله بن الحرث قال اجتمع
ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين وقال تعجبون
ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى والروية لمحمد فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ثم قال ان الله تعالى
قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى وراه محمد قال الشعبي فاخبرني مسروق انه قال
لعايشة رضي الله عنها يا اماه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل قط قالت انك لتقول
قولا ليقف منه شعري قال قلت رويدا والنجم اذا هوى الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويدا
اين يذهب بك انما راى جبريل في صورته من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه
الابصار ومن حدثك انه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة

وينزل الغيث الاية ومن حدثك ان محمداً قد كتم شيا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما
انزل اليك من ربك الاية قال عبد الرزاق فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال ما عايشة عندنا باعلم من ابن
عباس افتمارونه على ما يرى قرا حمزة والكساي وخلف ويعقوب افتمرونه بفتح التا من غير الف على معنى
افتجحدونه واختاره ابو عبيد قال لانهم لم يماروه وانما جحدوا وتقول العرب مريت الرجل حقه اذا جحدته
والباقون افتمارونه بضم التا والالف بعد الميم على معنى اتجادلونه من المرا وهو الملاحاة والمجادلة
واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقيل افتمرونه افتغلبونه
في المراء ما رايته ثم تشده ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا على ما يرى ولقد راه يعني
محمداً صلى الله عليه وسلم ربه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي
هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل راى النبي جبريل نزلة اخرى وذلك ان
جبريل راه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها مرتين مرة بالافق الاعلى في الارض
ومرة عند سدرة المنتهى في السما وهذا قول عايشة رضي الله عنها واكثر العلما وهو الاختيار لانه
قرن الروية بالمكان فقال عند سدرة المنتهى ولانه قال نزلة اخرى وتقديرها ولقد راه نازلاً نزلة
اخرى ووصف الله تعالى بالمكان والنزول الذي هو الانتقال محال ولانه قال نزلة اخرى ولم يرو
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى ربه قبل ليلة المعراج فراه تلك الليلة مرة اخرى يدل
عليه ما روي عن مسروق ان عايشة قالت من زعم ان محمداً صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد
اعظم الفرية على الله قال وكنت متكيا فجلست وقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني ارايت
قول الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى ولقد راه بالافق المبين قالت انما هو جبريل راه على صورته
التي خلق عليها مرتين مرة حين هبط من السماء الى الارض سادا اعظم خلقه ما بين السماء الى الارض
ومرة عند سدرة المنتهى قالت وانا اول من سال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال
هو جبريل عند من صلى قوله راه سدرة المنتهى شجرة النبق سميت بها لانها اليها ينتهي
علم كل عالم سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى فقال انها سدرة في اصل العرش على روس
حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله ابن مسعود سميت بذلك لانه
ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله اذا انتهى من يصعد اليها من الارض
قبض منها واذا انتهى ما يهبط من فوقها اليها قبض منها فسميت المنتهى لانه ينتهي اليها كل شي من امر الله
ولا يعدوها والى هذا ذهب الضحاك وقيل انه ينتهي اليها كل من مات على سنة رسول الله ومنهاجه
وعن ابي هريرة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه سدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها

وهي

وهي شجرة يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن الى قوله مصفى والورقة منها مغطية للامة كلها عن اسماء
بنت ابي بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظلها
مايه عام ويستظل منها في الغنن منها مايه الف راكب فيها فراش من ذهب كان ثمرها القلال مقاتل
شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الوان وورقة منها وضعت في الارض لاضات لاهل الارض
الالوان ولوان رجلا ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله
الهرم وهو طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة الماوى ابن عباس هي عن يمين
العرش هي منزل الشهدا نظيرها فلهم جنات الماوى ابن عباس هي عن يمين العرش وهي منزل
الشهداء اي ياوي اليها ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاه فقد
علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلايق الدالة على عظمة الله وجلاله اشيا لا يكتنهها
النعت ولا يحيط بها الوصف الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت وقيل يغشاها الجم الغفير
من الملايكة يعبدون الله تعالى روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت كل ورقة من
ورقها ملكا قايما يسبح الله عن ابي هريرة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة
فغشيها نور الخلاق وقيل غشيتها الملايكة من حب الله امثال الغربان يقعن على الشجر وعنه صلى
الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود يغشاها فراش من ذهب ما زاغ
البصر اي ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مال يميناً وشمالا ولا جاوز الحد فيما
اي اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحاً من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن روية
العجايب التي امر بروءيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر بروءيته لقد راى التي من ايات ربه
الاية التي هي كبراها وعظمها هي ما راى ليلة المعراج في مسراه وعوده وبدايته يدل عليه قوله
لنريه من اياتنا **قوله تعالى** افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم
الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها
من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان
ما تمنى فلله الاخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان
ياذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى
وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد
ومنع الخلق عن الاشراك افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم

وهي اوثان فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل كانت بنخلة يعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم
كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة وقيل يلتوون عليها اي يطوفون وقيل اللات ماخوذ من الله
الحقت بها التا فانثت كما قيل عمرو للذكر ثم قيل للانثى عمرة كما قيل عباس وعباسة وكذلك سمى
المشركون اوثانهم باسما الله قالوا من الله اللات ومن العزيز العزى مجاهد هي شجرة
لغطفان يعبدونها واصلها تانيث الاعز وهي التي بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد يقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت
الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال
ان خالدا رجع الى النبي عليه السلام فقال قد قطعتها فقال ما رايت قال لم ار شيا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة
فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا الضحاك
هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه لما قدم مكة فراى الصفا والمروة
وراى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا
لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما امرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا فقال
هذا الصفا وحجرا من المروة فقال هذا المروة ثم اخذ ثلثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم
فاعبدوه فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة وبعث خالد بن الوليد فقطعها ومناة
قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بالمد والباقون بالقصر وهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس
لثقيف وكانها سميت مناة لان دما النسايك كانت تمنى عندها اي تراق ومعنى مناة مفعلة من
النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانوا تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله
وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاوهم لرسايهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم
للات والعزى الكم الذكر وله الانثى كانوا يقولون ان الملايكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا
يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاوهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى وقيل
ان المراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركا ومن شانكم ان تحتقروا الاناث
وتستنكفوا من ان يولدن لكم فكيف تجعلون هولا الاناث اندادا لله سبحانه وتسمونهن الهة
تلك اذا قسمة ضيزى قرا ابن كثير بالهمز والباقون بغيرهمز ابن عباس وقتادة يعني قسمة
جايرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم اليا يعني قسمة
جايرة حيث جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لانفسكم مجاهد ومقاتل عوجا الحسن غير معتدلة
ابن سيرين غير مستوية ان يكون لهم الذكر وله الاناث الضحاك ناقصة سفين منقوصة ابن زيد

مخالفة

مخالفة الكسائي يقال منه ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا ظلم ونقص
ان هي اي ما هي الا اسما سميتموها ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو
ابعد شي منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها هذا
على تقدير ان تكون هي على ضمير الاصنام وقيل هي ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة
وهم يقصدون بها اسما الالهة يعني ما هذه الاسما الا سميتموها بهواكم وشهوتكم ما انزل الله
بها من سلطان ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها
يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون الا الظن الا الظن ان ما هم عليه حق وان هولا شفعاوهم
وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ولقد
جاهم من ربهم الهدى البيان وانها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان
هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى اشتهى وهم الكفار زعموا ان
الاصنام تشفع لهم عند ربهم يعني ظنوا ان لهم ما يتمنون من شفاعة الاصنام فليس هو
كما ظنوا او تمنوا فانه تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي
فلله الاخرة والاولى يعطي من يشا من يشا ويمنع من يشا ما يشا وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي
منهما وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هولا الكفار ويزعمون انها بنات الله ويرجون شفاعتهم
عند الله لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى ان الذين لا يومنون بالاخرة
ليسمون الملايكة تسمية الانثى اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملايكة بنات الله
فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى ما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون ان يتبعون الا الظن
وهو تقليد الاباوان الظن لا يغني من الحق شيا وانما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي وما هو عليه
بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم وقيل لا يقوم الظن مقام الحق اي العلم وقيل الحق هو الله سبحانه والمعنى
لا يدفع من عذاب الله شي فاعرض يا محمد عن دعوة من تولى من راسه معرضا عن ذكرنا اي القران وقيل
الايمان ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولا يتهالك على اسلامه ولم يسع الا للحيوة الدنيا ذلك اي اختيارهم
الدنيا وارادتهم الحيوة الدنيا والرضى بها مبلغهم من العلم منتهى علمهم وهو قليل حقير وقيل اشارة الى تسمية
الملايكة اناثا وقيل علموا ما يحتاجون اليه في معاشهم ونبذوا الاخرة وراء ظهورهم ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى هذا متعلق بقوله فاعرض والمعنى كلهم الى فاني مجاز
محسنهم ومسيئهم فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين **قوله تعالى** ولله ما في السموات
وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كباير الاثم

والفواحش الا اللمم معناه ما لكهم ليجزي واللام في لله دل على ملكهم وقيل خلق السموات والارض
ليجزي المحسن من المكلف والمسي منهم وقيل اللام لام العاقبة وهو متصل بقوله ان ربك هو اعلم الاية
اي كان عاقبة ذلك ان يجازيهم على اعمالهم الذين اساوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى بالاحسن من الاعمال وقيل بالمثوبة الحسنى وهي الجنة الذين يجتنبون قيل محل الذين
يجتنبون نصب على الصفة للذين احسنوا وقيل هم الذين يجتنبون كبائر الاثم قيل هي الشرك
والفواحش المعاصي وقيل كبائر الاثم ما له حد في الدنيا والفواحش الزنا خاصة وهذه الاية
مثل ما في سورة النساء ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الا اللمم قيل الاستثناء متصل واللمم من الكبائر
والفواحش والمعنى الا ان يلم بالفاحشة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد
والحسن وابي صالح ورواية عطا عن ابن عباس قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وقال عبد الله بن عمرو اللمم ما دون الشرك
وقال اخرون هو استثناء منقطع اي لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش فقال بعضهم هو ما
سلف في الجاهلية فلا يواخذهم به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انما كانوا بالامس يعملون معنا
كما نعمل فانزل الله تعالى هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابيه ورواية الوالبي عن ابن
عباس وقال بعضهم هو صغار الذنوب مثل النظرة والغمزة وهو من الم بالشي اذا لم يتعمق فيه ولم يلزمه
وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبي وابي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان ورواية طاوس عن
ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق وزنا الشفتين
التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه فان
تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وقال ابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو ما بين الحدين حد الدنيا
وعذاب الاخرة وهي رواية العوفي والحكم ابن عيينة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب
لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي يكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش
والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به الرجل المرة بعد المرة فيتوب منه وقال مقاتل اللمم ما بين الحدين
من الذنوب نزلت في نبهان التمار وقد مضت قصته في سورة آل عمران وقال عطاء ابن ابي رباح اللمم عادة
النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب اي خطر وقال محمد بن الحنفية كل ما هممت
به من خير او شر فهو لمم شاهده الخبر المروي ان للشيطان لمة وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة
الملك الالهام وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظر فليس بلمم وهو
ذنب وقال اهل اللغة اللمم المتقارب من صغار الذنوب واصل اللمم الالمام وهو ما يعمله الانسان من بعد المرة

والحين

والحين بعد الحين ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته وانصرفت ومنه المام الخيال
قال الاعشى الم خيال من قتيلة بعد ما وهي حبلها من حبلنا فتصرما **قوله تعالى** ان ربك
واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبأ بما
في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ان ربك واسع المغفرة لا يتعاظمه
ذنب يسع جميع ذنوب العباد ولا يضيق عنها ابن عباس واسع المغفرة لمن فعل ذلك ثم تاب
هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض انشا اباكم منها قبل خلق اباكم من التراب وقيل خلقكم من الارض
واذ انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن يسمى جنينا لاجتنانه اي استتاره
روى مسروق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان اليهود اذا هلك لهم صبي قالوا هو صديق
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد كذبوا ما من نسمة يخلقها الله عز وجل في بطن امها
الا شقي او سعيد فانزل الله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
فلا تزكوا انفسكم ابن عباس فلا تمدحوها مجاهد وزيد بن اسلم فلا تبروها الكلبي ومقاتل كان ناس
يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب قال صاحب الكشاف فلا تنسبوها
الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكا والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ادم وقبل ان تخرجوا من بطون
امهاتكم وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح
من الله عز وجل وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى ابن عباس والكلبي والسدي والمسيب بن شريك نزلت في عثمن
ابن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن ابي
السرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شي فقال عثمن ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما
اصنع رضى الله تعالى وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك
كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة والنفقة فانزل الله
تعالى افرايت الذي تولى يعني يوم احد حين ترك المركز واعطى يعني صاحبه قليلا واكدى قطع
عطيته وامسك واصله اكدى الحافر وهو ان يلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر
ويقول اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم فعاد عثمن الى احسن من ذلك واجمل

مجاهد وابن زيد نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه
فعيّره بعض المشركين وقالوا له تركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار وكان ينبغي لك
ان تنصرهم قال اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع
الى شركه ان يتحمّل عنه عذاب الله تعالى ففعل فاعطى الذي عاتبه فانزل الله افرايت الذي تولى ادبر
عن الايمان واعطى قليلا لصاحبه الضامن واكدى وبخل بالباقي مقاتل اعطى الوليد قليلا من الخير
بلسانه ثم اكدى اي قطع فلم يتم عليه عطاء ابن يسار نزلت في رجل قال لاهله زودوني انطلق الى هذا
الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فتجهّز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال اين تريد قال محمدا
لعلي اصيب من خيره فقال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك فنزلت في هذه الاية وعن السدي
ايضا قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الامور محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم
الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى ولم يومن به المورج اكدى منع الخير قال الحطيه فاعطى
قليلا ثم اكدى بالوعد بذل المال في الناس تحاما عنده علم الغيب فهو يرى ان ما قال له صاحبه من
احتمال اوزاره حق ام لم ينبا لم يخبر بما في صحف موسى اي التورية وابرهيم الذي وفى ما ارسل به من تبليغ
الرسالة والتشديد مبالغة في الوفاء وقيل وفى بمعنى وفر وتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء
وتوفية من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه
باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم ويمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم الحسن ما اكرمه الله بشيء الا وفى به ثم بين ما في صحف موسى وابرهيم فقال الا تزر وازرة وزر اخرى
عن ابن عباس كانوا بين نوح وابرهيم ياخذون الرجل بذنب غيره ويوخذ الولي بالولي في القتل حتى ان الرجل
يقتل بابيه واخيه وابنه وعمه وخاله والزوج يقتل بامراته والسيد يقتل بعبده حتى كان ابرهيم عليه
السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله الا تزر وازرة وزر اخرى الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد
عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه مجاهد وفى بما فرض عليه الربيع وفى برؤياه عطاء الخراساني استكمل
الطاعة ابو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وهي ثلاثون عشر
في التوبة التائبون وعشر في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المومنين قد افلح المومنون وما ابتلى بهذا
الدين احد فاقام بشروط سهامه كلها الا ابرهيم عطاء بن السايب بلغني ان ابرهيم عليه السلام قد عهد
ان لا يسال مخلوقا شيئا فلما قذف في النار واتاه جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فاثنى الله عليه بتمامه
بما قال ووفائه بما عهد ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم قال اسلمت فطالبه
الله تعالى بصحة دعواه فابتلاه الله في ماله وولده ونفسه فوجده في ذلك كله وافيا فقال وابرهيم الذي

وفى

وقيل لانه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قرا وابرهيم الذي وفى قال اتدرون ما وفى قال عليه السلام اتدرون ما وفى قالوا الله
ورسوله اعلم قال وفى عمله كل يوم باربع ركعات من اول النهار وهي صلوة الضحى الا تزر مخففة
من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف
موسى او الرفع هو الا تزر كان قائلا قال وما صحف موسى وابرهيم ان ليس للانسان الا ثواب
ما عمل من خير او شر وما عمل غيره فليس له ولا عليه فان قيل صح في الاخبار ان الصدقة عن الميت والحج
عنه وله الاضعاف اجيب بان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه وبان سعي غيره اذا
عمله لنفسه ولكن اذا نواه له كم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه وعن ابن عباس وان
ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم باعاده الايه ثم يجزيه العبد
سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم يفسره بقوله الجزاء الاوفى
او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا **قوله تعالى** وان الى ربك
المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من
نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاولى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك
عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والموتفكة اهوى
فغشاها ما غشى فباي الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها
من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
فاسجدوا لله واعبدوا وان الى ربك المنتهى منتهى الخلق ومصيرهم وهو مجازيهم باعمالهم
وقيل منه ابتداء المنة واليه ينتهي الامال يعني هذا كله في الصحف وقيل تصيرا الى حيث لا ينفذ فيه
حكم الا حكم الله وقيل معناه اذا انتهى الى الله فامسكوا ومن تعاطى ذلك هلك وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وعن ابي هريرة خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يتفكرون فقال فيم انتم قالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في الخلق ولا تفكروا
في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة وانه اضحك من شاء من خلقه وابكى من شاء عن عايشة رضي الله عنها
قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يضحكون فقال لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
فنزل جبريل فقال ان الله تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى قيل يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك
والحزن يجلب البكاء الضحاك اضحك الارض بالنبات واضحك السما بالمطر وقيل اضحك الاشجار بالنوار
وابكى السحاب بالامطار ذو النون اضحك قلوب العارفين بشمس معرفته وابكى قلوب الكافرين
والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته سهل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخطة محمد بن علي الترمذي

اضحك المومن في الاخرة وابكاه في الدنيا وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانه امات
واحيى يعني امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل امات النطفة واحيا النسمة
وقيل امات الكافر بالنكرة والقطيعة واحيا المومن بالمعرفة والوصلة قال الله تعالى ومن كان
ميتا فاحييناه وقال القشيري امات عن ذكره واحيا بذكره ابن عطا امات بعدله واحيا بفضله
وقيل امات بالمنع والبخل واحيا بالجود والفضل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تصب في الرحم يقال منى الرجل وامنى وقيل تقدر يقال منيت الشي اذا قدرته ومنه سميت
المنية لانها مقدرة وان عليه النشاة الاخرى الخلق الاخر يعيدهم احيا وانه هو اغنى ابن عباس
اغنى الناس بالمال واقنى اعطى القنية واصول الاموال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال
واقنى بالابل والبقر والغنم مجاهد والحسن وقتادة اغنى اخدم ابن عباس رضي بما اعطى الحضرمي اغنى
نفسه وافقر الخلائق اليه ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقيل واقنى واعطى القنية وهي المال الذي
تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك وانه هو رب الشعرى وهو كوكب خلف الجوزا اتبعه يقال
له مرزم الجوزاء وهي يطلع وراها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان يقال لاحدهما العبور وللاخرى
الغميصا والمراد الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها واول من سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم
وكانت قريش تقول لرسول الله ابو كبشة يشبهه به لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم
هذا وانه اهلك عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدما لانهم اول الامم هلاكا
بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف قرا اهل الكوفة وابو عمرو ويعقوب عادا الولى بدرج الهمزة في
النون في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا يعني قوم صالح فما ابقى وقوم نوح من
قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى لانهم كانوا يوذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا
يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاوه قريبا من الف سنة والموتفكة المنقلبة وهي
قرى قوم لوط الاربع التي اسفكت باهلها اي انقلبت يقال افكه فائتفك اهوى يعني اهواها جبريل الى
الارض بعد ما رفعها الى السما فغشاها ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة وهذا تهويل وتعظيم
لما صب عليها وامطر عليها من الصخر المنضود فباي الا ربك عليك تتمارى تتشكك وتجادل والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الا من قبل
ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا اي القران وقيل محمد نذير انذار من جنس الانذارات الاولى
التي انذرتها من قبلكم وقيل هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة ارسل
اليكم كما ارسل الى قومهم وهذا كما يقال فلان واحد من بني ادم وواحد من الناس ازفت الازفة اي قربت
الموصوفة بالقرب اي القيامة فانها موصوفة في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر ليس لها من دون

الله كاشفة مظهرة مقيمة والهاء فيه للمبالغة بيانه قوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وقيل ليس لها نفس
كاشفة اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل ليس لها الا الله نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة مصدر
بمعنى الكشف كالعاقبة اي ليس لها من دون الله كشف وقيام ولا يقيمها الا باقامة الله اياها ثم قال
لمشركي العرب انه لم يرضا حكما بعد نزولها وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل ساهون لاهون غافلون
لاعبون يقال دع عنا سمودك اي لهوك عكرمة السمود الغنا كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا الضحاك
اشرون بطرون ابن عباس كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين الم تر الى الفحل كيف يخطر
شامخا مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض عن ابي هريرة لما نزلت هذه الاية
افمن هذا الحديث تعجبون بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حسهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل
الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجا الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم ويدخلهم الجنة فاسجدوا لله
واعبدوا ولا تعبدوا الالهة عن ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والنجم فسجد فيها فسجد المسلمون
والمشركون والجن والانس

سورة القمر مكية

وهي الف واربعماية وثلثة وعشرون حرفا وثلثماية واثنان واربعون كلمة وخمس وعشرون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خاشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم
عسر انشقاق القمر من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم واياته النيرة عن ابن عباس
اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تومنون قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا
وذلك بمكة قبل الهجرة روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقد روى الحديث
الانشقاق جماعة منهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عباس وانس
ابن مالك وعلى هذا جميع المفسرين الا ان قوما شذوا وقالوا سينشق يوم القيمة وقد روى عثمان ابن
العطاء عن ابيه مثل ذلك وهذا القول الشاذ لا يقاوم قول الجماعة المذكورين ولان قوله وانشق القمر
لفظ ماض وصرفا للفظ الماضي عن مفهومه الحقيقي الى المستقبل يفتقر الى دليل صارف وليس لهم وفي قوله

وان يروا اية يعرضوا ويقولوا دليل على انه كان واقعا وكفى به وان يروا اي اهل مكة اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر مار ذاهب يزول ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب وقيل مستمر قوي محكم
من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتد مرارته اي مستبشع عندهم على لهواتهم لا يقدرون ان
يسيغوه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر
لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات قالوا هذا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم ما مالت اليه طباعهم
دون الحق الواضح وقيل وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر من خير او شر مستقر اي
لا بد ان يصير الى غاية فيستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل
وسيظهر لهم عاقبته وقيل وكل امر من خير او شر مستقر قراره ومنتهاه ونهايته فالخير مستقر باهله في الجنة
والشر مستقر باهله في النار قتادة وكل امر مستقر اي باهل الخير الخير وباهل الشر الشر مقاتل لكل حديث
وقيل لكل امر حقيقة الحسين ابن الفضل يعني يستقر قرار تكذيبهم وقرار تصديق المومنين حتى يعرفوا
حقيقته في الثواب والعقاب وقيل مراده كل ما قدر كاين واقع لا محالة وقيل كل امر من الامور التي امضيتها
في خلقي مستقر قراره لا يزول ولقد جاء اهل مكة من الانبآء القران الموعد انبآء القرون الخالية او انبآء الاخرة
وما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر اي ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع
الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وهو مفتعل من الزجر
واصله مزتجر قلبت التاء دالا حكمة بالغة تامة ليس فيها نقص وهي القران وحكمة بدل من ما او خبر مبتدا
محذوف اي هو حكمة فما تغن النذر اذا كذبوهم وخالفوهم فما تغني او انكار وما منصوب به اي فاي غنا تغني
النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم قيل نسختها اية القتال يوم يدع الداع نصب يوم يخرجون
او باضمار اذكر قيل الداعي اسرافيل الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة
وقيل هو النار خاشعا حال من الخارجين ابصارهم فاعل خاشعا قرا حمزة والكسائي ويعقوب وخلف
خاشعا بالالف على الواحد والباقون خشعا بلا الف على الجمع ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع
ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران
في عيونهما يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة
والتموج يقال في الجيش الكثير المايج بعضه في بعض جاوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين
مسرعين مادين اعناقهم الى الداع وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد
ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع وقيل قابضين ما بين اعينهم وقيل ما بين اذانهم الى قول الداعي يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب شديد مثله يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير **قوله تعالى**
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب

السماء

السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر
تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا اي قوم نوح عبدنا يعني
نوحا ومعنى فكذبوا بعد كذبت كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه على عقيب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين
للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا هو مجنون وازدجر اي زجروه عن دعوته
ومقالته وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل وازدجر
من جملة قيل قوم نوح اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه
فدعا نوح ربه باني مغلوب مقهور فغلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي لا يمكنني
مقاومتهم الا بنصرك فانتصر فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم قيل وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر
وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو
يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع
اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون
الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعني ماء السماء والارض وانما قال فالتقى والالتقاء
لا يكون من واحد وانما يكون بين اثنين فصاعدا لان الماء يكون جمعا وواحدا على امر قد قدر قضي عليهم
في ام الكتاب قيل الاموات قبل الاجساد وكان القدر قبل البلاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية
وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما انزل من الارض سواء بسواء وحملناه يعني نوحا على ذات الواح ذكر
النعت وترك الاسم اي على سفينة ذات الواح من الخشب ودسر مسامير واحدها دسار فعال من دسر
اذا دفعه لانه يدسر به منفذه قيل ذات الواح من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب
منابها وتودي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ولو جمع بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح
وهذا من فصيح الكلام وبديعه تجري باعيننا اي بمراى منا مقاتل بحفظنا مقاتل بن سليمان بوحينا
سفيان بامرنا جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان
كفر وهو نوح عليه السلام وجعل مكفورا لان النبي نعمة الله ورحمة الله قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة مجاهد من كان به عن الله ابن عباس لمن كفر لنفسه
الفرا جزاء لكفرهم ومن بمعنى ما المصدر وقيل معناه عاقبناهم لله ولاجل كفرهم به ولقد تركناها اي السفينة
ابقاها الله عبرة حتى نظرت اليها اوايل هذه الامة نظرا وكم من سفينة كانت بعدها صارت رمادا … ابقاها
الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوايل هذه الامة فهل من مدكر متعظ معتبر

وخايف مثل عقوبتهم فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري استفهام تعظيم لما مضى وتخويف لمن لا يؤمن
بمحمد ولقد يسرنا سهلنا وهونا القران للذكر اي لتذكر وتعتبر به وتتفكر فيه سعيد بن جبير يسرناه للحفظ
ظاهرا وليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القران فهل من مدكر متعظ معتبر وتكرار لان كل
واحد وقع مع قصة اخرى فلم يكن تكرارا للمعنى ولقد يسرنا استنباط معانيه وسهلنا علم ما فيه
فهل من مدكر يتذكر ما فيه وهل من طالب علم فيعان عليه وهذا حث على الذكر لانه طريق الى العلم ثم
ختم قصة نوح وعاد وثمود ولوط به لما في كل واحد منها من التخويف والتحذير وبدايع ما حل بهم فيسعطوا به تالي
القران وحافظه ومن يستنبط معانيه ويتعظ غيره به **قوله تعالى** كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز
نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس شوم وشر وكان يوم الاربعا مستمر
شديد ماض على الكبير والصغير واستمر عليهم ودام حتى اهلكهم جميعا ولم يبق منهم نسمة تنزع تقلع الناس
تجر ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدي بعض ويدخلون في الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتصرعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل ابن عباس اصول نخل الضحاك
اوراك نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط على الارض وواحد اعجاز عجز مثل عضد واعضاد وانما قال اعجاز
نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من اجسادهم فتبقى اجسام بلا رؤس
والمعنى انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث عظام طوال كانهم اعجاز نخل منقعر وذكر صفة
نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية **قوله تعالى** كذبت ثمود
بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر اءلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب
اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر
ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي
ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر ○ كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا نصب بفعل يفسره نتبعه منا واحدا ونحن
جماعة كثيرة انا اذا ان فعلنا ذلك وتركنا دين ابايناو تابعناه على دينه وهو واحد منا ادمي مثلنا لفي
ضلال ذهاب عن الصواب وسعر ابن عباس وعناب الحسن شدة العذاب قتادة عناء سفين ابن
عيينة هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال
الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الكاتب بها سعرا اذا العيس هزها
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا

لان

لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا
منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا
او ارادوا واحدا من اساينهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم القي الذكر عليه من بيننا
اانزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر
متكبر حمله بطره وبطره وطلبه التعظيم علينا على ادعا النبوة سيعلمون غدا قرا اهل الشام
وحمزة بالتاء فهو من قول صالح لهم وغيرهم بالياء من تحت فهو من قول الله عز وجل والمعنى في الغد
القريب على عادة الناس في قولهم للعواقب ان مع اليوم غدا وان مع اليوم اخاه غدا وارادوا
به وقت نزول العذاب بهم من الكذاب الاشر اي اذا لحقهم العذاب يوم القيمة علموا انهم الكاذبون
لا صالح وسماه غدا للتقريب وسعده الوعيد وقيل غدا يريد به يوم العذاب في الدنيا انا مرسلوا
الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سالوا فتنة محنة لهم وقيل امتحانا لهم وابتلاء
فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم واصطبر افتعل من الصبر واصل
الطاء منه تا فحولت طاء لاجل الصاد ونبيهم ان الماء قسمة مقسوم بينهم لها اي للناقة شرب
يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر يحضره لهم او للناقة اي كل شرب نصيب
من الماء يختص بحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم
حضروا شربهم مجاهد يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا
صاحبهم قدار بن سالف وكان اشقى ولذلك قيل احيمر ثمود فتعاطى فتناول الناقة بسيفه
قيل فاجترا على تعاطي الامر والسيف فكيف كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم كالشجر اليابس المهشم المتكسر المحتظر الذي
يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة
بالشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم قتادة يعني كالعظام
النخرة المحترقة وعنه كحشيش تاكله الغنم سعيد بن جبير التراب الذي يتناثر من الحايط ابن زيد
هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح والعرب تسمي كل شي كان رطبا فيبس هشيما ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر **قوله تعالى** كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد
انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر ○ كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم

بالحجارة اى ترميهم بالحصى وقيل هو الحجر نفسه الضحاك يعنى صغار الحصى والحاصب والحصب والحصبا
هى الحجر الذى دون ملء الكف والمحصّب الموضع الذى يرمى فيه الجمار وسمع عمر ابن الخطاب رضى الله
عنه يقول لاهل المدينة حصّبوا المسجد اى صبّوا فيه الحجارة ثم استثنى فقال الا ال لوط اى اتباعه
على دينه من اهله وامته نجيناهم من العذاب بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه
وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين
تذّكى وصرف لانه نكرة اى سحر من الاسحار ولو اراد سحرا بعينه لقال سحر غير منصرف يقال لقيته
بسحر اذا لقيته فى سحر يومه نعمةً انعاما مفعول له وقيل يعنى كان ذلك وجعلناه نعمة من عندنا
عليهم حيث انجيناهم واهلكنا اعداهم كذلك كما جزينا لوطا واله نجزى من شكر نعمة الله عز وجل
فامن وطاعته ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب قبل حلوله بهم فتماروا فكذبوا
بالنذر بانذاره متشاكين وهو تفاعل من المرية ولقد راودوه عن ضيفه طالبين وسائلين
ان يخلى بينهم وبينهم فطمسنا اعينهم مسحنا اعينهم وجعلناها كسائر الوجه لا ترى لها شق وذلك
انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل
ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فاستاذن جبريل ربه عز وجل فى عقوبتهم فاذن له فصفقهم
جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقالت
لهم ذوقوا عذابى ونذر على السنة الملايكة ولقد صبحهم جاءهم العذاب وقت الصبح بكرة اول
النهار وباكورة كقوله مشرقين مصبحين عذاب مستقر دايم عام استقر فيهم حتى يفضى بهم الى عذاب
الاخرة وفايدة تكرير قوله فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر اى يجددوا
عند استماع كل نبأ من انباء الاولين اذكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا
الحث على ذلك والبعث عليه وان تقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشنان تارات ليلا يغلبهم
السهو وكيلا يستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله تعالى فباى الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة
عددها فى سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية اوردها فى سورة والمرسلات وكذلك
تكرير الانباء والقصص فى انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة
غير منسية فى كل اوان **قوله تعالى** ولقد جاء ال فرعون النذر كذبوا باياتنا
كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر ولقد جاء ال فرعون النذر يعنى موسى وهرون وغيرهما من
الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون وقيل جمع نذير وهو الانذار كذبوا باياتنا التسع
كلها فاخذناهم بالعذاب اخذ عزيز لا يغالب مقتدر قادر لا يعجز شئ اراده **قوله تعالى**
اكفاركم خير من اوليكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر

بل الساعة

بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر **ثم خوف** اهل مكة فقال سبحانه اكفاركم
يا اهل مكة خير من اوليكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وال فرعون اى اهم خير
قوة والة ومكانة فى الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعنى ان كفارهم مثل اوليك بل شر منهم ام لكم براءة من العذاب
فى الزبر الكتب يعنى ام انزلت عليكم يا اهل مكة فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل
كان امنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة ام يقولون يعنى كفار مكة نحن جميع منتصر اى جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام ولا نقصد بسوء لا يرادحرنا ولا تفرق جمعنا سيهزم
الجمع ويولون الدبر اى الادبار فوحد والمراد الجمع كما قيل كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فصدق الله تعالى
وعده وهزمهم يوم بدر مقاتل ضرب ابو جهل فرسه فتقدم يوم بدر فى الصف وقال نحن ننتصر القوم
من محمد واصحابه عكرمة لما نزلت سيهزم الجمع قال عمر رضى الله عنه اى جمع يهزم فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفتها ولها بل الساعة موعدهم موعد عذابهم
والساعة اى عذاب يوم القيمة ادهى اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوايه
وامر اعظم بلية واشد مرارة من الهزيمة والقتل والاسر يوم بدر **قوله تعالى** ان المجرمين
فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ٥ ان المجرمين المشركين
فى ضلال عن الحق فى الدنيا وسعر ونيران تسعر عليهم فى الاخرة وقيل فى ضلال وسعر جنون جواب لقولهم
انا اذا لفى ضلال وسعر يوم يسحبون يجرون فى النار على وجوههم ذوقوا يقال لهم ذوقوا مس كقولك
ذاق الم السياط ووجد مس الحمى لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها مستهم مسا بذلك
كما يمس الحيوان ويباشر بما يوذى ويولم سقر علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته النار وهى ممنوعة من الصرف
للتعريف والتانيث **قوله تعالى** انا كل شئ خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر ٥ انا كل شئ
منصوب بفعل يفسره الظاهر الذى بعده اى انا خلقنا كل شئ خلقناه بقدر اى مقدرا محكما مرتبا
على حسب مشيته وقيل مقدرا مكتوبا فى اللوح المحفوظ معلوما قبل كونه حاله وزمانه شاهده قوله
وان من شئ الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم الحسن قدر الله لكل شئ من خلقه قدره
الذى ينبغى له الربيع هو كقوله قد جعل الله لكل شئ قدرا اى اجلا لا يتقدم ولا يتاخر ابن عباس انا
كل شئ جعلنا له شكلا يوافقه ويصلح له فالمراة للرجل والاتان للحمار والرمكة للفرس وثياب الرجال لا يصلح
للنساء وثياب النساء لا تصلح للرجال وكذلك ما شاكلها على هذا وعنه خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق لهم
الخير والشر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاوة وقيل هذا يعود الى العذاب اى بقدر اعمالكم تعذبون
وما امرنا الا واحدة قيل معناه الامر واحدة يعنى الساعة وقيل الا كلمة واحدة سريعة التكوين معناه

وما امرنا للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة يعني كن فنكون لا مراجعة فيها كلمح البصر لم يلبث كونه قيل نزلت الاية في القدرية عن ابي هريرة جاءت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الايات ان المجرمين الى اخر السورة روي ان وفد نجران قالوا ما الارزاق والآجال فمقدرة واما الاعمال فليس بقدر فانزل الله ان المجرمين في ضلال وسعر الى آخر السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الايات في ناس يكونون في اخر امتي يكذبون بقدر الله تعالى وعن عطا بن ابي رباح قال اتيت ابن عباس وهو ينزع في زمزم وقد ابتلت اسافل ثوبه فقلت له قد تكلم في القدر فقال او قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الاية الا فيهم ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر اوليك شرار هذه الامة لا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا موتاهم ان اريتني احدا منهم فقات عينيه باصبعي هاتين عن عبد الرحمن السلمي لما نزلت هذه الاية انا كل شي خلقناه بقدر قال رجل يا رسول الله ففيم العمل في شي نستانفه او في شي فرغ منه فقال رسول الله اعملوا فكل ميسر سنيسره لليسرى وسنيسره للعسرى عن كعب نجده في التورية ان القدرية يسحبون في النار على وجوههم وعن ابي قرارة قال ابن عباس اذا كثرت القدرية ايتفكت باهلها واذا كثرت السبابة بالكوفة ائتفكت باهلها وعن سعيد بن محمد الغساني لما احذ ابو شاكر الديصاني بالبصرة واقرانه ديصاني وكان يظهر القول بالرفض والقدر فقيل له لم اخترت القول بالقدر والرفض قال اخترت القول بالقدر لاخرج افعال العباد من قدرة الله عز وجل وانه ليس بخالقها فاذا جاز ان يخرج من قدرته شي جاز ان تخرج الاشيا كلها من قدرته واخترت القول بالرفض للتوصل بالطعن الى نقلة هذا الحديث فاذا بطل النقلة بطل المنقول وعن الماوردي قال لي اذا سلمت عليك القدرية فرد عليهم كما ترد على اليهود وقل وعليك ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم السالفة فهل من مدكر متعظ معتبر وكل شي موصوف بانهم فعلوه في الزبر في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير منهم ومن اعمالهم ومن كل ما هو كاين مستطر مكتوب في اللوح المحفوظ محفوظ عليهم كما يقال كتبت واكتتبت وسطرت واستطرت وقرات واقترات ان المتقين في جنات ونهر وانهار واكتفى باسم الجنس فوحد لاجل رؤوس الاي الضحاك يعني في ضيا وسعة ومنه النهار في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها

سورة الرحمن

تقدست اسماوه وجل ثناؤه مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي الف وستماية وستة وستون حرفا وثلثماية واحدى وخمسون كلمة وثمان وسبعون آية وعن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شي عروس وعروس القران سورة الرحمن **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن

الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان عدد الله عز وجل الاه فاراد ان يقدم اول شي ما هو اسبق قدما من ضروب الايه وصنوف نعمايه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماويه ومصداقها والعيار عليها ولما كان تعظم السورة في تعداد نعمايه افتتح بلفظ الرحمن واخر ذكر خلق الانسان عن ذكر تعليم القران ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان المراد في انشايه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من ساير الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمايرها اخبار مترادفة واخلاوها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر احسانه قيل نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل هو جواب اهل مكة حيث قالوا انما يعلمه بشر وان هذا الا اختلاق اي الرحمن علم القران محمدا ليعلمه امته وقيل مكنهم من تعلمه بانزاله عربيا وقيل من رحمته تعليم القران والتعليم تبيين ما يصير به المرء عالما والاعلام ايجاد ما يصير به عالما وقيل معناه جعله اية يعتبر بها خلق الانسان ابن عباس وقتادة يعني خلق ادم عليه السلام علمه اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها وكان ادم يتكلم بسبعماية الف لغة افضلها العربية وقال الاخرون اراد جميع الناس لان الانسان اسم الجنس ثم اختلفوا في علم البيان مادة علمه بيان الحلال والحرام وبين له الخير والشر وما ياتي وما يذر لتجب بذلك عليه ابو العالية ومن الهمداني وابن زيد يعني الكلام الحسن والنطق والتمييز محمد بن كعب ما يقول وما يقال له السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم ابن كيسان يعني محمدا علمه البيان بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والاخرين وعن يوم الدين **قوله تعالى** الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان الشمس والقمر يجريان بالحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة بهما تحسب الاوقات والاعمار والآجال لولا الشمس والقمر والليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيا لو كان الدهر كله ليلا كيف يحسب او نهارا كيف يحسب الضحاك يجريان بقدرته مجاهد كحسبان الرحا يدوران في مثل قطب الرحا السدي باجل كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى ابن عباس يجريان باجل الدنيا وقضايها وفنايها والحسبان قد يكون مصدر احسبت حسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان والبرهان

وقد يكون جمع السحاب مثل الشهبان والكثبان والقضبان والرهبان ونظم الاية الرحمن علم القرآن وقدر الشمس والقمر وقيل هو مردود على البيان اى علمه البيان ان الشمس والقمر بحسبان ويقال سعة الشمس ستة الاف فرسخ واربعماية فرسخ في مثلها وسعة القمر الف فرسخ في الف فرسخ مكتوب في وجه الشمس لا اله الا الله محمد رسول الله خلق الله الشمس بقدرته واجراها بامره وفي بطنها مكتوب لا اله الا الله رضاه كلام وغضبه كلام ورحمته كلام وعذابه كلام وفي وجه القمر مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله خلق القمر وخلق الظلمات والنور وفي بطنه مكتوب لا اله الا الله خلق الخير والشر بقدرته يبتلي بهما من يشاء من خلقه فطوبى لمن اجرى الله الخير على يديه والويل لمن اجرى الله الشر على يديه والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر النبات الذي له ساق يسجدان ينقادان لله عز وجل فيما خلقا له لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده وقيل سجودهما تحول ظلهما مجاهد وقتادة النجم الكوكب وسجوده طلوعه وقيل هما يسجدان ولا نفقه على سجودهما كما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سجودهما حمل غيرهما على السجود وقيل سجودهما الا انهما على التوحيد وقيل الشمس والقمر مبتدا خبره بحسبان وقيل خبره مقدر اى يجريان والجملتان استغنى عنهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له وادخل في الجمل الاولى بالعاطف ثم جي به بعده بكت تلك الجمل الاولى واردة على سنن التعديد للذين انكروا الرحمن والالاء كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف والتناسب بين هاتين الجملتين الذي وسط بينهما العاطف ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر والسماء رفعها وخلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملايكته الذين يهبطون بالوحي على انبيايه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان مجاهد العدل الحسن وقتادة والضحاك هو الذي يوزن به ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط اى قوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتدا وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح

الناس والارض وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق الحسن للجن والانس ابن عباس والشعبي لكل ذي روح فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة يعني انواع الفواكه يتفكه بها والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر واحدها كم وقيل كل ما يكم اى يغطى من ليفه وسعفه وقيل كفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه الضحاك ذات الاكمام ذات الغلف الحسن اكمامها ليفها قتادة رقابها ابن زيد الطلع قبل ان ينشق والحب ذو العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره كعصف ماكول ابن عباس العصف التبن مجاهد ورق الزرع ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة ابن كيسان العصف ورق كل شي خرج منه الحب بدوا ولا ورق ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان مجاهد هو الرزق وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال كل ريحان في القرآن فهو رزق مقاتل بن حيان الريحان الرزق بلغة حمير سعيد بن جبير الريحان الربيع الضحاك هو الطعام فالعصف التبن والريحان ثمرته الحسن وابن زيد هو ريحانكم هذا الذي يشم الوالبي هو خضرة الزرع وقيل هو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى منه وهو الحب وقرا العامة والحب ذو العصف والريحان كلها مرفوعا بالرد على الفاكهة ونصبها كلها ابن عامر على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشيا وقرا اهل الكوفة الا عاصما والريحان بالجر عطفا على العصف ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس فباي الاء ربكما تكذبان ايها الثقلان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وعن جابر بن عبد الله قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية من مرة فباي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب وقيل خاطبهم بلفظ التثنية على عادة العرب المعنى الحكمة في تكرارها ان الله عز وجل عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه الاه ثم اتبع ذكر كل كلمة وضعها نعمة ذكرها بهذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها وهو كقولك لرجل احسنت اليه وتابعت عليه بالايادي وهو في كل ذلك ينكرك ويكفرك الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تك عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تك خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تك صرورة فحججت عنك افتنكر هذا والتكرار سايغ في كلام العرب حسن بليغ في مثل هذا الموضع الحسن اى العضل التكرار لطرد الغفلة وتاكيد الحجة قوله تعالى

خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان

ولله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال
من طين يابس له صلصلة كالفخار كالطين المطبوخ بالنار وهو الخزف واختلافا لتنزيل في هذا
حيث قال في موضع من تراب وفي موضع من طين وفي آخر من حمإ مسنون لا تناقض فيه لانه بيان لكيفية خلقه على
سبيل التفصيل فانه يفيد انه خلقه من تراب فانه الاصل في خلقه ثم جعله طينا بخلط الماء بالتراب ثم
جعله حمأ مسنونا بادخال الهواء فيه ثم جعله صلصالا كالفخار وسوده النار وبالحقيقة خلق كل واحد
من اشخاص الانسان على هذه الوجه لكن خلقة آدم قد تم بهذا من غير طور آخر بخلاف بني آدم فان خلقة
كل واحد منهم بعد هذه المراتب متوقفة على اطوار اخر قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وخلق الجان ابا الجن
قيل هو ابليس وقيل الجان واحد الجن من مارج من لهب صاف خالص لا دخان فيه ابن عباس المارج هو
لسان النار ويكون في طرفها اذا التهبت عكرمة هو احسنها مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض
من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت وهو من قولهم مرج امر القوم اذا
اختلط وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط من نار بيان لمارج كانه قيل
من صاف من نار او مختلط من نار او من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين مشرق
الصيف ومشرق الشتاء ورب المغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء مرج البحرين ارسل البحرين
العذب والملح متجاورين يلتقيان لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز وحائل من قدرة
الله تعالى وحكمته لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة ولا يختلطان ولا
يتغيران قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز
بينهما قتادة ايضا بحر فارس والروم بينهما برزخ وهو الجزائر مجاهد والضحاك يعني بحر السماء وبحر الارض
يلتقيان كل عام يخرج قرأ نافع وابو عمرو ويعقوب بضم الياء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل والباقون
بفتح الياء وضم الراء منهما اللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر
والمرجان صغاره قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب قال اهل المعاني
وانما يخرج لمن احدهما وهو الملح دون العذب ولكن هذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما بفعل
دون الآخر كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن الكلبي
قال وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر اللؤلؤ وقال اهل الاشارة

مرج

مرج البحرين احدهما معرفة القلب والآخر بحصا النفس في معرفة القلب ابن عطا بين العبد وبين
الرب بحران احدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا والثاني بحر الهلاك وهو الدنيا
من تمسك بها وركن اليها هلك وقيل بحر الدنيا وبحر العقبى بينهما برزخ وهو القبر قال الله تعالى
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون لا يختلط احدهما بالآخر وقيل بحر العقل والهوى بينهما برزخ اداب
الله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحق والصواب وله الجوار السفن المنشآت قرأ حمزة
وابو بكر عن عاصم بكسر الشين المقبلات المبتدئات اللاتي انشأن جريهن وسيرهن وقرأ
الباقون بفتح الشين اي المخلوقات المرفوعات المسخرات في البحر مجاهد المنشآت ما رفع
قلعه من السفن كالاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل **قوله تعالى** كل من عليها
فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان والمعنى
كل ما على الارض من حيوان كناية عن غير مذكور كقول الناس ما عليها اكرم من فلان يعنون
الارض وما بين لابتيها افضل من فلان يعنون حرتي المدينة فان هالك ابن عباس لما نزلت هذه
الآية قالت الملائكة هلك اهل الارض فانزل الله كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة
بالهلاك ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة الذي يجله الموحدون عن التشبيه
بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين
من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله وعن عبد الله بن سلام بعث الى النبي عليه
السلام فقال يا ابن سلام ان الله تعالى يقول ذي الجلال والاكرام فاما الاكرام فقد عرفت
فما الجلال قلت بأبي انت وامي يا رسول الله انا نجده في الكتب انها الحيطة المحيطة بالعرش قال فكم
بينها وبين الجنان التي يسكن الله عباده قال مد سبع مائة سنة قال فنزل جبريل تصديقه عن معاذ
بن جبل ان رسول الله مر برجل وهو يصلي وهو يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله
قد استجيب لك عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام
قوله تعالى يسئله من في السماوات والارض كل يوم هو في شأن فبأي
آلاء ربكما تكذبان من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى باحد منهم عنه ابن عباس
يسئلونه المغفرة ولا يسئلونه الرزق واهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة كل يوم هو في شأن
اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله تعالى
لا يقضي يوم السبت عن عبد الله بن منيب تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قلنا
يا رسول الله وما ذاك الشأن قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين عن ابن عباس
ان اول ما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله

فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم
هو في شان مجاهد من شانه انه يجيب داعيا ويعطي سائلا ويفك عانيا ويشفي سقيما ويغفر
ذنبا ويتوب على قوم سفين ابن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر
يوم القيمة والشان الذي فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا
والاماتة والاعطاء والمنع وشان يوم القيمة الجزا والحساب والثواب والعقاب الحسين ابن
الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ويقال شانه جل ذكره انه يخرج في كل يوم وليلة ثلث عساكر
عسكرا من اصلاب الرجال الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا
الى القبور ثم يرتحل جميعا الى الله الربيع يخلق خلقا ويميت خلقا ويرزقهم ويكلوهم وقيل يعتق رقابا
ويقحم عقابا ويعطي رغابا وقيل هو الجمع والتفريق ابو سليمن الداراني هو ايصاله المنافع اليك
ودفع المضار عنك فلم تغفل عن طاعة من لا يغفل عن برك وقيل كل يوم له الى العبيد بر جديد وحكي
عن بعض الامرا انه سال وزيره عن معنى هذه الاية فلم يعرفه واستمهله الى الغد فرجع الوزير الى
داره كئيبا حزينا فقال له غلام اسود من غلمانه يا مولاي اخبرني ما اصابك فرجه فقال يا مولاي
اخبرني فلعل الله يسهل لك الفرج على يدي فاخبره بذلك فقال له عد الى الامير وقل له ان لي غلاما
اسود ان شئت يفسر لك هذه الاية ففعل ذلك فدعا الامير الغلام وساله عن ذلك فقال ايها الامير
شان الله تعالى ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل العزيز ويفقر غنيا ويغني فقيرا
فقال الامير احسنت يا غلام قد فرجت عني ثم امر الوزير بخلع ثياب الوزارة وكساها الغلام
فقال يا مولاي هذا شان الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين ابن الفضل فقال له اشكلت
علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله
كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى
فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة
لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل
هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي
ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام
عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه **قوله تعالى** سنفرغ لكم ايها الثقلان
فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموت
والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي الاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار

ونحاس

ونحاس فلا تنتصران فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ قرا حمزة والكسائي وخلف بفتح
اليا وضم الرا اعتبارا بقوله يسئله من في السموات والارض فاتبع الخبر الخبر والباقون
بفتح النون وضم الرا فان قيل الفراغ لا يكون الا عن شغل والله تعالى لا يشغله شان عن شان
فقيل هذا وعيد وتهديد من الله تعالى مستعار من قول الرجل لمن يهدده سافرغ لك
وما به شغل يريد ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر
على النكاية فيه والانتقام منه العتبي والكسائي سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في
امركم وقد يقول القايل الذي لا يشتغل له وقد فرغت لي وفرغت لشتمي اي اخذت فيه واقبلت
عليه الحسن ومقاتل وابن زيد ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم
مما وعدناكم واوحينا اليكم واخبرناكم فنحاسبكم به ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم ونوصل كلا
الى ما وعدناه فيتم ذلك ونفرغ منه ابن كيسان الفراغ للفعل هو التوفر عليه دون غيره ايها
الثقلان الجن والانس دليل قوله في عقبه يا معشر الجن والانس سميا ثقلين لانهم ثقل على الارض
احياء وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقال بعض اهل المعاني كل شي له وزن وقدر
يتنافس به فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصاييده يفرح اذا ظفر به وقال النبي عليه
السلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر الصادق
سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان
ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون
ان تنفذوا تجوزوا من اقطار السموات والارض اي اطرافها فانفذوا اي اخرجوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي
ومن سمائي وارضي فانفذوا فجوزوا وانما يقال لهم هذا يوم القيمة الضحاك يعني هاربين من الموت
فاخبرا انه لا يجيرهم احد من الموت ولا محيص لهم منه ولو نفذوا من اقطار السموات والارض كانوا
في سلطان الله وملكه ابن عباس يعني ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا
ولن تعلموا الا بسلطان بينة من الله تعالى لا ينفذون لا يقدرون على النفوذ الا بسلطان
بقوة وقهر وغلبة واني لكم هذا ونحو وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ابن عباس وعطا
لا تخرجون من سلطاني وقيل معناه الا الى سلطان كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي يرسل عليكما
شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمه وهما لغتان وهو اللهب الخالص الذي لا دخان
فيه مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب
ليس بدخان الحطب ونحاس قرا ابن كثير وابو عمرو بكسر السين عطفا على النار والباقون بالرفع

عطفا على الشواظ سعيد بن جبير النحاس الدخان وهي رواية ابي صالح وابي طلحة عن ابن عباس قال
النابغة يضي كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم
فلا دخان فيه مجاهد وقتادة هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس
مقاتل هي خمسة انهار من صفر ذائب يجري من تحت العرش على رؤوس اهل النار ثلاثة انهار على مقدار الليل
ونهران على مقدار النهار عبد الله بن مسعود النحاس المهل رسع الغطار الضحاك دردي الزيت الكسائي
هو الذي له ريح شديد فلا تنتصران فاذا انشقت السماء فصارت ابواب النزول
الملائكة بيانه قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فكانت فصارت وردة حمراء مشرقة وقيل
متغيرة بلون الورد قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها يومئذ وردا احمر كالدهان كدهن الزيت كما قال
كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل اسم ما يدهن به كالحزام والادام وقيل الدهان الاديم
الاحمر ابن عباس والضحاك وقتادة والربيع يعني كلون الفرس الورد يكون في الربيع كميتا اصفر فاذا ضربه
اول الشتاء يكون كميتا احمر فاذا اشتد الشتاء يكون كميتا اغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس
في تلونه مجاهد وابو العالية كالدهن قتادة الدهان جمع الدهن والدهن الوان تتشبه السماء بالوانه
عطاء كعصير الزيت يتلون في الساعة الوانا الحسين ابن الفضل كصبيب الدهن تتلون ابن جريج
تذوب السماء كدهن المذاب وذلك حين تصيبها حر جهنم مقاتل كدهن الورد الصافي الممزوج كالوردة
الحمراء قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فباي الاء ربكما تكذبان الحسن وقتادة لا يسالون
عن ذنوبهم لان الله تعالى علمها منهم وحفظها عليهم وكتبت الملائكة عليهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس
وعنه ايضا لا يسال الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده والى هذا ذهب مجاهد وعن
ابن عباس ايضا في قوله فوربك لنسالنهم اجمعين وقال فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم
هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتم كذا وكذا عكرمة انها مواطن يسال في بعضها
ولا يسال عن بعضها ابن عباس ايضا لا يسالون سؤال شفاء وراحة انما يسالون سؤال تقريع وتوبيخ ابو
العالية لا يسال غير المذنب عن ذنب المجرم انس بعض من الانس ولا جان احد ولا جني ولا بعض من الجن
فوضع الجار الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه انس
لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسالون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون
يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء
ظهره فيسحبون الى النار ويقذفون فيها وقيل يسحبهم الملائكة تارة وتاخذهم بالنواصي وتارة بالاقدام كما يقال

لهم

لهم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون المشركون يطوفون بينها وبين حميم ماء حار ان قد
انتهى حره قتادة قد اني طبخه منذ خلق الله السموات والارض والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم
وقيل يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار وجعل
غياثهم الحميم كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم
وهم في الاغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله
لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن ونعمة الله
فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف
قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا
الجنتين دان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي
الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فباي الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين يديه وقيل موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة بيانه يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قيام ربه عليه
ان ربه قائم عليه اي حافظ مهيمن بيانه افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر
على معصيته مجاهد هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله ذوا النون علامة الخوف
من الله ان يؤمنك خوفه من كل خوف السري الشيان معقودان الخوف المزعج والشوق المقلق جنتان
بستانان من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر ترابهما الكافور والعنبر وحماتهما المسك الاذفر كل بستان
منهما مسيرة مائة سنة في وسط كل بستان دار من نور محمد الترمذي جنة بخوفه ربه وجنة بتركه
شهوته مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان
من فضة للتابعين وقيل الخطاب للثقلين وكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف
الانسي وجنة للخائف الجني وقيل جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر
عليهما وقيل جنة يثاب بها واخرى يضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة ذواتا افنان جمع
فن وهو من قولهم افنن فلان في حديثه اذا اخذ في فنون منه خص الافنان بالذكر وهي الغصنة
التي تتشعب من فروع الشجر لانها التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان
الالوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش
اخضر ناضر الضحاك الوان الفاكهة مجاهد اغصان واحدها فنن عكرمة ظل الاغصان على الحيطان

الحسن ذواتا ظلال وهو كقوله وظل ممدود الضحاك ايضا ذواتا اغصان وفضول وغصونها
كالمعروشات يمس بعضها بعضا قتادة ذواتا فضل وسعة على ما سواهما ابن كيسان ذواتا اصول فيهما
عينان تجريان ابن عباس بالكرامة والزيادة على اهل الجنة الحسن تجريان بالماء الزلال احدهما
التسنيم والاخرى السلسبيل عطية احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين
وقيل تجريان حيث شاوا في الاعالي والاسافل وقيل انهما تجريان من جبل من مسك ابو بكر الوراق
فيهما عينان تجريان لمن كان له في الدنيا عينان تجريان بالبكاء فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان
قيل صنف معروف وصنف غريب ابن عباس ما في الدنيا من حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل
الا انه حلو متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع على فرش جمع فراش
بطائنها جمع البطانة من استبرق من ديباج ثخين اذا كانت البطائن من استبرق فما ظنك بالظهائر
قيل هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل بطائنها من استبرق وظواهرها من نور
جامد الفرا اراد بالبطائن الظواهر المورج هو بلغة القبط وقد يكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة
لان كل واحدة منهما يكون وجها تقول العرب هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء الذي تراه قال عبد الله
بن الزبير في قتلة عثمن قتلهم الله شر قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب يعني هربوا ليلا فجعل
ظهور الكواكب بطونا قال القتبي هذا من عجيب التفسير وكيف تكون البطانة ظاهرة والظهارة والظاهرة
بطانة والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شانه اخفاؤه والظهارة ما ظهر منه ومن شان
الناس اظهاره وهل يجوز لاحد ان يقول لوجه المصلي هذا بطانته ولما يلي الارض ظهارته
لا يجوز هذا الا والله وانما اراد الله ان يعرفنا لطفه من حيث نعلم فضل هذه الفرش فان ما ولي
الارض منها استبرق واذا كانت البطانة كذلك فالظهارة اعلى واشرف وكذلك قول النبي
عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من هذه الحلل فذكر المناديل دون غيرها
لانها احسن ويصدق قول الفسر ما حكينا عن عبد الله بن مسعود وابي هريرة وجنى الجنتين
ثمرهما دان قريب ينالها القائم والقاعد والنائم فيهن في هذه الالاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش والجنا وفي الجنتين لاشتمالها على اماكن وقصور ومجالس قاصرات
الطرف غاضات الاعين قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم
ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي
وجعلني زوجك لم يطمثهن قرا الكسائي برواية ابي عمرو بضم الميم في الاولى وابو الحرث عنه في الثاني
كذلك ومعناه لم يجامعهن ولم يفترعهن واصله من الدم ومنه قيل للحائض طامث كانه قال
لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقيل لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات

احد

احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس سهل من امسك طرفه في الدنيا
عن اللذات عوض في الاخرة القاصرات كانهن الياقوت في صفا الياقوت والمرجان في بياض
المرجان وصغار الدر نضح بياضا عن النبي عليه السلام ان المراة من اهل الجنة ليرى
بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله تعالى يقول كانهن الياقوت
والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه قيل
ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب
الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان يقول الله هل جزاء من
انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي ابن المنكدر هل جزاء
من انعمت عليه بالاسلام الا الجنة ابن عباس هل جزاء من عمل في الدنيا حسنا وقال لا اله الا الله
الا الجنة في الاخرة السدي هل جزاء الذين اطاعوني في الدنيا الا الكرامة في الاخرة الصادق
هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه الى الابد محمد بن الحنفية هي مسجلة
للبر والفاجر اي مرسلة يعني كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه قوله تعالى
ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما
تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي
الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام
ومن دونهما يعني ومن دون الجنتين الاولتين الموعودتين لمن خاف مقام ربه جنتان اخريان
ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد في الفضل ابن جريج بين اربع جنتان للمقربين السابقين
فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان الكسائي
يعني امامهما وقبلهما دليل هذا التاويل قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان
من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاولتين مدهامتان ناعمتان سوداوتان من ريهما وشدة
خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد والدهمة السواد لان الغالب على هاتين الجنتين
النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاولتين الاشجار والفواكه فيهما عينان نضاختان
ممتلئتان فياضتان فوارتان بالماء لا ينقطعان والنضخ اكثر من النضح الحسن وعطا تنبعان ثم
تجريان ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة ابن مسعود ينضخان على اولياء الله بالمسك
والكافور سعيد بن جبير نضاختان بالماء وانواع الفواكه انس ينضخ بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة

كما ينفع طش المطر واصل النضخ الرش فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها
اختصاصًا لهما وبيانًا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان اخران كقوله وجبريل وميكال وقيل لان
النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة اذا حلف ان لا ياكل
فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث خالفه صاحباه فيهن خيرات اصلها خيّرات فخففت كقوله عليه السلام
هينون لينون ولما خيرا الذى بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرون والمعنى فاضلات الاخلاق
حسان الخلق الكسائى ذكر الله تعالى الخنس ثم جمعهن فقال فيهن خيرات حسان جور بن عبد الله
مختارات وقيل خيرات ليس بذربات ولا ذفرات ولا بخرات ولا متطلعات ولا متشوفات ولا متسلطات
ولا طماحات ولا طوافات فى الطرق ولا يغرن ولا يوذين وقيل نسا اهل الجنة ياخذ بعضهن بايدى بعض
ويتغنين باصوات لم يسمع الخلايق مثلها نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ابدًا
ونحن خيرات حسان حبينا لازواج كرام عن عايشه ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابهن
المومنات من نسا الدنيا نحن المصليات فلا صليتن ونحن الصايمات وما صمتن ونحن المتوضيات
وما توضاتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عايشه رضى الله عنها فغلبتهن والله حور
مقصورات قصرن فى خدورهن وقيل محبوسات مستورات فى الحجال يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة اذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج فى الخيام جمع الخيمة ابن مسعود لكل امراة خيمة طولها
ستون ميلًا وعن النبى عليه السلام الخيمة من درة واحدة طولها فى السما ستون ميلًا فى كل زاوية
منها اهل للمومن لا يراهم الاخرون لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اى قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر
الجنتين متكين نصب على الاختصاص على رفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسايد وقيل
كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه سعيد
بن جبير رياض الجنة خضر مخصبة قيل واحد الرفرف رفرفة والرفارف جمع الجمع وعبقرى منسوب الى عبقر
تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شى عجيب وقيل عبقرى حسان من الزرابى مجاهد هو الديباج
ابو العالية الطنافس المخملة الى الرقة القتبى كل ثوب موشى عند العرب عبقرى ابو عبيدة هو منسوب الى ارض
تعمل فيه الوشى قطرب ليس هذا بمنسوب ولكنه بمنزلة قولك كرسى وكراسى ونختى ونخاتى الخليل كل جليس
نفيس فاضل فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى ومنه الحديث فى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فلم ار عبقريًا يفرى فريه تبارك اسم ربك ذى الجلال قرا اهل الشام بالواو وليا قون بالياء

سورة الواقعة مكية

وهى الف وستمايه وثلثمايه احرف وثلثمايه وثمان وسبعون كلمة وست وتسعون ايه روى ان عثمن
ابن عفان رضى الله عنه دخل على عبد الله بن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال

ما تشتكى

ما تشتكى قال اشتكى ذنوبى قال فما تشتهى قال اشتهى رحمة ربى قال افلا تدعوا الطبيب قال
الطبيب امرضنى قال افلا امر بعطايك قال لا حاجة لى به قال ادفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن
به قد امرتهن ان يقران سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله يقول من قرا سورة الواقعة
لم تصبه فاقة ابدًا وعن مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا
اهل النار ونبا الدنيا والاخرة فليقرا سورة الواقعة **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجًا وبست الجبال
بسًا فكانت هباءً منبثًا وكنتم ازواجًا ثلثة ٥ اذا وقعت الواقعة كقولك كانت الكاينة
وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التى
لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اى نزل ما كنت اترقب نزوله اذا
منصوب بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل وقيل منصوب بمحذوف اى اذا وقعت كان كيت
وكيت او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة تكذيب فان كاذبة مصدر كالعافية والنازلة والعاقبة
الكسائى هو بمعنى الكذب كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اى لغو ومنه قول العامة عايذا بالله اى
معاذا الله وقم قايما اى قم قيامًا ولبعض نسا الاعراب ترقص ابنها قم قايمًا قم قايمًا اصبت عبدًا نايمًا
وقيل ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله عز وجل وتكذب فى
تكذيب الله لان كل نفس حينيذ مومنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب على الله
عز وجل مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم
ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها فى قوله يقول يا ليتنى قدمت لحياتى
وقيل ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكونى وقيل
هى من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما
فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينيذ تحدث صاحبها
بما تحدث به عند عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يوميذ اضعف من ذلك واذل
الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف خافضة اى هى خافضة رافعة تخفض قومًا الى
النار وترفع قومًا الى الجنة اما وصفها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك ترفع فيها ناس الى مراتب
ويتضع ناس واما لان الاشقيا يحطون الى الدركات والسعدا يرفعون الى الدرجات واما لانها تزلزل
الاشيا وتزيلها عن مقارها لتخفض قومًا وترفع اخرى حيث تسقط السما كسفًا وتنتثر الكواكب وتنكدر
وتسير الجبال سرابًا فتمر فى الجو مر السحاب السدى ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت
فاسمعت من نأى يعنى انها اسمعت القريب والبعيد ورفعت قومًا بالفضل اذا رجت حركت الارض رجًا

تحريكا شديدا حتى تهدم كل شي فوقها من جبال وبنا من قولهم السهم يرتج في الغرض اي يهتز ويضطرب
الكلبي وذلك ان الله اذا اوحي اليها اضطربت من الفرق وقيل ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم
كل بنا عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال واصل الرج في اللغة التحريك يقال رجحته فارتج قال
ضاعفنه قالت رجرجته فترجرج وبست فتت وحتت الجبال بسا فتا فصارت كالدقيق المبسوس
وهو المبلول والبسيسة عند العرب الدقيق او السويق يلت ويتخذ زادا عطا اذهبت اذهابا سعيد
بن المسيب والسدي كسرت كسرا الكلبي سيرت عن وجه الارض تسييرا من بس الغنم اذا ساقها كقوله
وسيرت الجبال مجاهد لتت لت الحسن قلعت من اصلها فذهبت بعد ما كانت صخرا صما نظيرها فقل
ينسفها ربي نسفا عطيه بسطت بسطا كالرمل والتراب ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد ان كانت
شامخة طويلة فكانت هبا قال ابن عباس شعاع الشمس حتى يدخل من الكوة علي رضي الله عنه رهج الدواب
عطيه ما نطاير من شرر النار قتادة حطام الشجر منبثا متفرقا اذا رجت بدل من اذا وقعت وقيل اذا
رجت منصوب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض
ما هو مرتفع ويرفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر
بعضها مع بعض ازواج **قوله تعالى** فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من
الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ثم بين من هم فقال عز وجل فاصحاب الميمنة هم
الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة الضحاك هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه
وقال الله سبحانه لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم الحسن والربيع هم الذين
كانوا ميامين مباركين على انفسهم باحسانهم ثم عجب نبيه عليه السلام فقال ما اصحاب الميمنة
وهذا كما يقال زيد ما زيد يراد زيد شديد واصحاب المشئمة الذين يعطون صحائفهم بشمائلهم والعرب
تسمي اليد اليسرى الشومى ومنه الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها اذا دخل الحجر
تحت الميزاب وقيل هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل هم الذين كانوا على شمال ادم عند اخراج
الذرية وقال الله لهم هولاء في النار ولا ابالي وقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب
المشئمة اصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة
عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتسميتهم بالشمايل ولسوحهم بالسانح وتطيرهم من البارح وكذلك

اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة اصحاب
اليمن والشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقيا مشائيم عليها بمعصيتهم والسابقون
السابقون ابن سيرين هم الذين صلوا القبلتين دليله قوله والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وعن كعب في قول الله والسابقون السابقون هم اهل القران وهم المتوجون يوم القيمة
عثمان ابن ابي سودة السابقون اولهم رواحا الى المسجد واخرهم خروجا في سبيل الله وقيل الناس
ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل
ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بالتوبة فهذا صاحب يمين ورجل ابتكر الشر في حداثته
ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا سابق الموت ورجل ابتكر عمره بالذنوب صاحب شمال
ابن عباس والسابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة علي ابن ابي طالب الى الصلوات الخمس
عكرمة الى الاسلام الضحاك الى الجهاد القرظي الى كل خير سعيد بن جبير هم المسارعون الى التوبة
والى اعمال البر نظيره قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون الربيع ابن انس السابقون الى اجابة الرسول في الدنيا هم السابقون الى الجنة في العقبى
ابن كيسان السابقون الى كل ما دعاهم الله اليه وشقوا العصا في طلب مرضاة الله اولئك هم المقربون
من الله في جنات النعيم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم
وعدهم الله وقول اي النجم وشعري شعري كانه قال ما انتهى وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل
السابقون تاكيدا او اولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون
اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة
وما اصحاب المشئمة اولئك المقربون في جنات النعيم قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم
روي انه اذا خرج رجل من السابقين المقربين من سكنه في الجنة كان له ضوء يعرفه من دونه فيقول
هذا ضوء رجل من السابقين المقربين ثلة جماعة من الاولين اي من الامم الماضية والثلة
الامة من الناس الكثير قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقليل من
الاخرين يدل على الكثير وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت
من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى محمد
صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين امة محمد وقيل من الاولين متقدمي هذه الامة ومن الاخرين
متاخريها وعن النبي عليه السلام الثلتان جميعا من امتي وقيل من الاخرين هذا في السابقين
والثلة من الاخرين واصحاب اليمين فانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين ثلة خبر مبتدا محذوف
اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر قد ادخل بعضها في بعض مضاعفة

كما يوضن حلق الدرع ومنه قول الاعشى ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرا فعيرا الضحاك موضونة
مصفوفة ابن عباس منسوجة اجر موضونة اذا صف بعضها على بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل
فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين في الزيادة لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق والاداب يطوف عليهم للخدمة ولدان غلمان مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان لا يموتون
ولا يهرمون ولا يكبرون ولا ينقصون ولا يتغيرون وليسوا كخدم الدنيا يتغيرون من حال الى حال سعيد بن
جبير مقرطون والخلد القرط وقيل هم اولاد الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
لان الجنة لا ولادة فيها وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب جمع كوب اي اواني بلا عرى وخراطيم
واباريق ذوات الخراطيم جمع ابريق سمي بذلك لبريق لونه وكاس من معين خمر جارية لا يصدعون عنها لا تصدع رؤسهم
عن شربها وقيل لا يصدعون بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقيل لا يفرقون عنها تقول صدعته فانصدع
وقيل لا يمنعون عنها ولا ينزفون اي لا ينزف عقولهم وقيل لا يسكرون وقيل لا يسئلون يقال لكل ما اسمعي عليه
حتى يذهب كله نزف ابن عباس في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول والله تعالى نزه خمر
الجنة عنها كلها وقيل لا ينفد شرابهم يقول انزفوا القوم اذا فني شرابهم وقيل انزف سكر قال لعمري لان انزفتم اوصحوتم
وفاكهة مما يتخيرون يختارون ويأخذون خيره وافضله ولحم مما يشتهون يتمنون ويجدون لذة وشهوة في اكله
من غير قرم مما يحتمل جنس الطير كالدجاج والفرخ وغير ذلك ويحتمل اتخاذ الالوان كالمطبوخ والمشوي ويحتمل
اجزاء الطير وعن النبي عليه السلام ان في الجنة لطيرا فيه سبعون الف ريشة فيجي فيقع على صحفة الرجل من اهل
الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون ابيض من الثلج والين من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه
صاحبه ثم يطير فيذهب وحور عين بالرفع على وفيها حور عين وقيل للعطف على ولدان قرأ حمزة والكسائي
وحور بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور وقيل للعطف على اكواب لان معنى
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وحور ايتبعوا الاخير الاول في الاعراب على اللفظ وان اختلفا في المعنى
لان الحور لا يطاف بهن والباقون بالرفع وقيل هو مبتدأ وخبره فيما بعده كامثال اللؤلؤ المكنون المخزون
في الصدف الذي لم تمسه الايدي جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها في الجنة
وقيل عينا كاذبة وقيل صياحا وعبثا ولا تاثيما اي لا يقال لهم اثمتم واسأتم وقيل لا يأثمون انما
يكون كقولك اكلت خبزا ولبنا لان الاثم لا يسمع الا قيلا سلاما سلاما الا قولا ذا سلامة والاستثنا منقطع
اي لكن قيلا سلاما يسمعونه وقيل الا سلام عليكم من قوله تحيتهم فيها سلام وسلاما اما بدل من قيلا بدليل
قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما
والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام **قوله تعالى** واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة

لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين   ثم رجع الى ذكر منازل اصحاب
الميمنة فقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح شجر موز الحسن ليس هو بالموز
ولكنه شجر له ظل بارد طيب الفرا وابو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك وقيل هو شجر
ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل
حكي ان رجلا قرا عند علي رضي الله عنه وطلح منضود فقال علي وما شان الطلح انما هو وطلع منضود
ثم قرا طلعها هضيم فقيل انها في المصحف بالحاء قال افلا تحولها فقال ان القران لا تهاج اليوم
ولا تحول منضود متراكم قد نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة مسروق اشجار
الجنة من عروقها الى افنانها ثمر كله وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس دايم لا ينسخه الشمس الربيع يعني ظل الشمس عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة
تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود قال لبيد غلب العزاء
وكان غير مغلب دهر طويل دايم ممدود وماء مسكوب منصوب يجري دايما من غير اخدود يسكب
لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وفاكهة كثيرة لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان
العين لا محظور عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقيل لا ينقطع الثمر اذا جنيت بل يخرج مكانها
مثلها وقيل ولا ممنوعة بالشوك او بعد التناول وفرش جمع فراش مرفوعة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام ابو امامة الباهلي لو طرح
فراش من اسفلها الى اعلاها لم يستقر الا بعد سبعين خريفا علي ابن ابي طالب مرفوعة على الاسرة
وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا على الاستعارة لان الفراش
محل النساء مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء اهل الدنيا يدل على هذا قوله في عقيبه انا انشاناهن
انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انا انشاناهن انشاء
ابتداناهن خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدي انشاؤهن او اللاتي اعيد
انشاؤهن فجعلناهن ابكارا عذارى عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب الحسن ملقه الحسن
غنجة ابن زيد شكلة بلغة مكة مغنوجة بلغة المدينة عن زيد بن حارثة حسانة الكلام وقيل هي الحسنة
التبعل وكانت العرب تقول للمراة اذا كانت حسنة انها لعربة واحدتها عروب اترابا مستويات
في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن ايضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين واللام في لاصحاب اليمين
من صلة انشاناهن وجعلناهن عن مجاهد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وعندها

عجوز من بني عامر فقال من هذه العجوز عندك يا عايشة قالت احدى خالاتي يا رسول الله
فقال ان الجنة لا يدخلها عجوز فبلغ ذلك من العجوز كل مبلغ فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت
له عايشة ما لقيت من العجوز فقال انها اذا دخلت الجنة انشيت خلقًا اخر وعن ام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم انها قالت سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشاناهن انشاء
الاية فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجايز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر
اترابًا على ميلاد واحد في الاستواء ابن شريك انا انشاناهن انشا هن عجايز الدنيا انشاهن الله خلقًا
جديدًا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارًا فلما سمعت عايشة قالت واوجعاه فقال رسول الله
ليس هناك وجع عن الحسن ان امراة عجوزًا كبيرًا اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها العجايز فولت وهي تبكي فقال رسول الله
اخبروها ليست يومئذ عجوزًا ان الله عز وجل قال انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارًا عربًا اترابًا
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قيل لما انزل الله على رسوله ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى
عمر رضي الله عنه فقال يا نبي الله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال عمر رضينا عن ربنا ونصدق نبينا
فقال رسول الله من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيمة ثلة **قوله تعالى** واصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون
على الحنث العظيم وكانوا يقولون ءاذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا ءانا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل
ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم
يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم ريح حارة وقيل
في حر نار تنفذ في المسام وحميم ماء حار متناهي الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم وقيل اليحموم جبل
في جهنم يستغيث الى ظله اهل النار لا بارد بل حار لانه من دخان سعير جهنم ولا كريم عذب نفى لصفة
الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلًا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من
اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان
للنفي في هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشئمة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم
الذي هو لاضدادهم في الجنة انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين منعمين منعهم من الانزجار وشغلهم
عن الاعتبار وقيل وصفهم بالترف لان عذاب المترف اشد الما وقيل مترفين فيما حرم الله عليهم السدي متوفين
مشركين وكانوا يصرون يقيمون ويداومون الاصرار الاقامة على الشي بخلاف التوبة على الحنث على الذنب
العظيم وهو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المواخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه

خلاف بوفها ويقال تحنث اذا تاثم وتحرج والحنث نقض العهد المؤكد باليمين وقيل على الكذب
وقيل اليمين الغموس هو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت تقويه ما بعده وكانوا
يقولون ايذا متنا تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه لان قوله معوثون
يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لمكان ان ولمكان الاستفهام وكل واحد منهما يمنع ان يعمل ما بعده فيما
قبله وكنا ترابًا وعظامًا ائنا لمبعوثون او اباؤنا من حرك الواو ودخل عنده همزة الاستفهام على
حرف العطف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة
كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي ومن سكن الواو جعله عطفًا قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اى يحشرون الى مكان الحساب او زمان الحساب
والميقات ما وقت به الشي اى حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول
مكة الا محرمًا يوم معلوم عند الله وقيل لمجموعون في القبر الى ميقات الحشر ثم يقال لهم انكم ايها
الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لاكلون من لابتداء الغاية
شجر من لبيان وتفسير زقوم فمالئون منها من الشجر انث الضمير على المعنى البطون لان الله تعالى
يسلط عليهم جوعًا شديدًا فيملاون بطونهم باكلها وجاز زوال الجوع فاذا امتلاوا منه وجدوا عطشًا
شديدًا فيعرض عليهم الحميم فشاربون عليه اى على الشجر ذكر الضمير على اللفظ من الحميم فشاربون شرب
الهيم قرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها عن الكسائي عن يحيى ابن سعيد عن ابن
جريج انه قال ذكرت لجعفر الصادق قراة اصحاب عبد الله شرب الهيم بفتح الشين فقال اما بلغك
ان رسول الله بعث بديل بن ورقاء الخزاعي الى اهل منى في ايام التشريق فقال انها ايام اكل وشرب
وبعال يعني بفتح الشين والفتح والضم مصدران والهيم الابل العطاش عكرمة وقتادة هو داء بالابل
لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك ويقال لذلك الداء الهيام ويقال جمل اهيم وناقة هيما وابل هيم قال
ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد لها ولا يقضي عليها هيامها الضحاك وابن عيينة وابن
كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو
الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه
يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملوا منه البطون سلط عليهم
من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاهم فيشربون شرب الهيم معطوف على الشاربون
عليه وليس هو عطف الشي على نفسه لانهما ليسا متفقين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو
عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضًا
وكانا صفتين مختلفتين هذا نزلهم رزقهم الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم

بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق الثاني وهو البعث تخصيص على التصديق اما بالخلق لانهم وان
كانوا مصدقين الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم يكذبون به واما بالبعث لان
من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا **قوله تعالى** افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون
ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون ءانتم
انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم لما قال
نحن خلقناكم قال المشركون الطبيعيون نحن موجودون من نطفة حدثت بحرارة كامنة وقيل كل احد
نطفة احد فقال تعالى ردا عليهم افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه تقدرونه
وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمنا عليكم قسمة الرزق
على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط نحن قدرنا على
الاحياء والاماتة ومما ضادان قدرنا على الاحياء ثانيا قرا اهل مكة قدرنا مخففا والباقون مشددا وما نحن
بمسبوقين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم فذلك قوله عز وجل على ان نبدل امثالكم وننشئكم
سبقه على الشيء اذا اعجزه عنه وغلبه عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل
امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم
من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم مثلها اي انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم
فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم
واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها وقيل فيما لا تعلمون من الصور مجاهد في اي خلق شئنا سعيد بن المسيب
فيما لا تعلمون في حواصل طير سود وقيل نحن قادرون على احيائكم وانشائكم ما نبيا وان كنتم لا تعلمون النشاة الثانية
ولقد علمتم النشاة الاولى نطفة ثم علقة الى تمام الحلم وقيل ولقد علمتم النشاة الاولى نطفة ولم تكونوا فلولا تذكرون
ان من قدر على شيء مرة لم يعجز عنه مرة ثانية افرايتم ما تحرثون تثيرون الارض وتعملون فيها وتطرحون البذر ءانتم
تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية عن رسول الله لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت
قال ابو هريرة الم تسمعوا قول الله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه
حطاما هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم
وقيل يعني تبنا لا قمح فيه فظلتم والاصل فظللتم فحذف اي الاولى تخفيفا تفكهون تعجبون الحسن تندمون على تعبكم

ونعمائكم

ونعمائكم وانعامكم عليه وعلى ما سلف منكم من معصية الله التي اوجبت لكم عقوبته حتى
نالكم في زرعكم ما نالكم عكرمة تلاومون ابن زيد تتفجعون ابن كيسان تحزنون وهو من الاضداد
تقول العرب تفكهت اي تنعمت وتفكهت اي حزنت قرا عاصم برواية ابي بكر والمفضل ائنا بهمزتين والباقون
على الخبر والمعنى فظلتم تفكهون ويقولون ائنا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك مجاهد وعكرمة ائنا لمولع بنا ابن عباس وقتادة لمعذبون
والغرام العذاب ابن اي محي لملقون للشر الضحاك وابن كيسان غرمنا اموالنا وصار ما انفقنا
غرما علينا مرة الهمداني انا لمحاسبون بل نحن قوم محرومون محدودون ممنوعون والمحروم ضد المرزوق
قال انس ابن مالك مر رسول الله بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال
فلا تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت
زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله افرايتم ما تحرثون الايات افرايتم الماء الذي تشربون اي الماء العذب
الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن السحاب واحدتها مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة
وهو اعذب ماء ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا شديد الملوحة زعاقا مرا لا يقدر على شربه
قال صاحب الكشاف فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت
منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط
ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها
في مضمون جملتيها ان الثاني لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق
فزيدت هذه اللام ليكون علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا
لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن
يقول له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه ويساوي حال حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك
بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ارفاذا حذفها اختصار
وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها
ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم
دون اية المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست
قعدت تحت قول ابي العلاء بن سليمان المعري اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم
شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب
فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين
تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوها بالفحل والطروقة ءانتم انشاتم

شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون الخالقون لها ابتدأ نحن جعلناها
اي النار التي في الدنيا تذكرة للنار الكبرى اي نار جهنم عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي
توقدون بني آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافيتنا يا رسول الله قال
فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وقيل تذكرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب
المعاش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به
وقيل جعلناها تذكرة اي جعلنا خروج النار من الشجرة الخضراء تذكرة لقدرتنا وقيل جعلنا النار
التي تقدمت تذكرة لحق الله وما يجب من طاعته ومتاعا بلغة ومنفعة يتمتعون وينتفعون بها
للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والاهالي يقال اقوت الدار اذا
دخلت من سكانها قال النابغة اقوت وطال عليها سالف الابد وقيل للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام يقال اقويت من ايام لم اكل شيئا مجاهد للمقوين يعني للمستمتعين بها من الناس اجمعين
المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون بها في البرد وينتفع بها في الطبخ والخبز ويتذكرون بها نار
جهنم فيستجير بالله منها الحسن بلغة للمسافرين يتبلغون بها الى اسفارهم يحملونها في الخرق والجوالق
الربيع والسدي يعني للمرملين المقترين الذين لا زاد معهم يوقدون نارا فيختبزون بها ابن زيد للجائعين
تقول العرب اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا فظرف المقوي من الاضداد بمعنى الفقر والغني يقال
اقوى الرجل اذا قويت دابته اكثر واذا كثر ماله قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسم ربك وقيل اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك **قوله تعالى** فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب
العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم
وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين
ترجعونها ان كنتم صادقين لما ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق اتاه كلما ينبغي
له فاتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها والموعظة الحسنة وهي الامور
المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة التي هي على البيان ليس لظهور المدعى بل لنفي
ذهن المدعي وقوته على تركيب الادلة وهو يعلم انه يغلب نفي جدا له بظهور مقاله وربما يقول
احد المناظرين للآخر عند انقطاعه انت تعلم ان الحق بيدي لكن ستضعفني ولا تنصفني وحينئذ لا يبقى
للخصم جواب غير القسم بالايمان التي لا مخارج عنها انه غير مكابر وانه منصف وذلك انه لو اتى بدليل آخر
لكان له ان يقول وهذا الدليل ايضا غلبتني فيه لقوتك وقدرتك فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم
لما اتاه الله عز وجل ما ينبغي قالوا انه يريد التفضيل علينا فيما نعلم خلافه فلم يبق الا ان يقسم فانزل الله

انواعا

انواعا من القسم بعد الدلايل ولهذا كثرت الايمان في اواخر التنزيل وفي السبع الاخير خاصة
فلا اقسم معناه اقسم ولا مزيدة موكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل معناه فليس
الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القرآن التي نزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بمساقط النجوم ومغاربها عطا بن ابي رباح منازلها
الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيمة قرا حمزة والكسائي وخلف بموقع على الواحد والباقون بمواقع
على الجمع قال صاحب الكشاف بمساقطها ومغاربها ولعل الله الى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى
المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة ولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين
اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة عليهم والرضوان فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم
ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقيل اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل
على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض
لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف
وصفته انه لقرآن كريم حسن مكرم مرضي في جنسه من الكتب سمي كريما لانه يس يغلب عسر وقيل
نفاع جم المنافع كريم على الله تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله محفوظ عن الشياطين ومن
جميع ما يشين وقيل مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون
من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح
وان جعلتها صفة صفة للقرآن فالمعنى لا يمسه الا من هو على طهارة من الناس يعني مس المكتوب
منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرا وهو غير طاهر وعن
ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون فاما في
الدنيا فيمسه الكافر والمؤمن والمنافق الرجس الكلبي هم السفرة الكرام البررة محمد بن كعب
لا يقرؤه الا الموحدون عكرمة كان ابن عباس ينهى عن ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن
الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهر من
عند الانوار من الاقذار الجنيد هم الذين طهر سرهم عما سوى الله تعالى وقال قوم لا يمسه الا المطهرون
من الاحداث والجنابات والنجاسات وردوا الكناية في قوله لا يمسه الى القرآن وقالوا اراد
بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كالخبر الصحيح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو وظاهر الاية نفي ومعناها نهي كقوله تعالى
والمطلقات يتربصن ونحوها واستدلوا بهذه الاية على منع الجنب والحائض والمحدث مس المصحف
وحمله وقالوا لا يجوز لاحد حمل المصحف ولا مسه حتى يكون على صفة يجوز له الصلوة والى هذا ذهب

جمهور العلماء الا ان ابا حنيفة لا يمنع من حمله بغلاف ومسه بحايل والاختيار انه ممنوع منه لانه ان حمله
في جلده فانما حاله بحايل ومع هذا يمنع منه وذهب الحكم وداود بن علي وحماد انه لا باس بحمل المصحف
ومسه على اي صفة كانت سوا كان طاهرا او غير طاهر مومنا كان او كافرا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك
حمل المصحف والدليل على انه لا يحمل المصحف ولا يمسه الا طاهر ما روى ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن
ابيه عن جده ان النبي عليه السلام لما بعثه الى اليمن كتب في كتابه ان لا يحمل المصحف ولا يمسه الا طاهر
وروى سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمس القران الا وانت طاهر
ولانه باجماع الصحابة روي ان علي بن ابي طالب سيل ايمس المحدث مصحفا فقال لا وروي ان مصعب
بن سعد بن ابي وقاص كان يقرا في المصحف فادخل يده تحت ذكره فاخذ ابوه المصحف من يده وقال قم وتوضا
ثم خذه ولا مخالف لهما في الصحابة وقال عطا لا يمسه الا المطهرون لا يقلب الورق من المصحف الا
المتوضي واستدل المجوزون بكتاب رسول الله الى قيصر وفيه بسم الله الرحمن الرحيم قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الاية واجاز الفقها ذلك اذا دعت ضرورة اليه او حمله عدو عليه واما
الصبيان فلاصحابنا فيه وجهان احدهما انهم يمنعون منه كالبالغين والثاني انهم لا يمنعون منه لمعنيين
احدهما ان الصبي لو منع من ذلك ادى الى ان يتلقن القران ولا يتعلمه ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه حال
الصغر والثاني ان الصبي وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا جاز ان
يحمله على طهر غير كامل جاز ان يحمله محدثا تنزيل صفة رابعة للقران اي منزل من رب العالمين وقيل وصف
بالمصدر لانه نزل نجوما من بين ساير كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمايه
فقيل جا في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا افبهذا الحديث اي بالقران انتم مدهنون
متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ابن عباس مكذبون مقاتل كافرون
نظيره قوله تعالى لو تدهن فيدهنون ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما يحق عليه ويدفعه بالعلل المورج
المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة واحد واصلهما من الدهن يريدون ان
تمالوهم فيه وتركنوا اليهم وقال بعض ايمة اللغة مدهنون اي تاركون للحزم في قبول هذا القران بامور
ومداهنة العدو وملابسته مكان ما يجب من مخالفته وتجعلون رزقكم حظكم ونصيبكم من القران
انكم تكذبون وقيل والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به الحسن في هذه الاية خسر عبد
لا يكون حظه من كتاب الله تعالى الا التكذيب به وقيل نزلت في الاستسقا بالانوا ابن عباس
مطر الناس على عهد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم
كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله تعالى وقال بعضهم صدق نو كذا وكذا فنزلت هذه الاية فلا
اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون يعني وتجعلون شكر ما رزقكم الله

محمد الحيني

من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم
عند خروجها من الجسد فاختزل الفاعل لدلالة الكلام عليه وانتم حينيذ تنظرون الى امري
وسلطاني ابن عباس يريد من حضر الميت من اهله ينظرون اليه متى تخرج نفسه قال
الفرا ذلك معروف من كلام العرب ان يخاطبوا الجماعة بالفعل كانهم اهله واصحابه والمراد به
بعضهم غايبا كان او شاهدا فيقولون اقتلتم فلانا والقاتل منهم واحد ويقولون لاهل المسجد
اذا اذوا رجلا بالازدحام اتقوا الله فانكم تؤذون المسلمين وقيل وانتم تنظرون الى الميت
وقيل الى سلطان الله وقدرته وقيل وانتم تنظرون ان يحل بكم ما حل به ونحن اقرب اليه منكم
بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شي منه قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شي الا نظرت
الله سبحانه وتعالى اقرب الي منه وقيل رواة الله تعالى من غير مسافة وقيل ملك الموت ورسلنا
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الله وتدبيره وملك الموت ورسله وقيل لا تبصرون لا تعقلون
ولا تعلمون فلولا ان كنتم غير مدينين مملوكين ومحاسبين ومجزيين ترجعونها جواب لقوله فلولا
اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين قال الفرا انهما اجيبا بجواب واحد ومعناهما
واحد وربما اعادت العرب الحرفين بجواب واحد ومعناهما واحد فهذا من ذاك ومنه قوله تعالى
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم اجيبا بجواب واحد قال صاحب الكشاف
ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد
والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مربوبين من دان السلطان
الرعية اذا ساسهم والمعنى انكم في جحودكم افعال الله واياته في كل شي ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر
وافترا وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق
نو كذا على مذهب يودي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم
ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد قوله تعالى
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية
جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت
وفي البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج
الثلاثة المذكورة في اول السورة فروح قال استراحة ابن عباس ومجاهد قراءة سعيد بن
جبير فرح ضحاك مغفرة ورحمة وريحان ابن عباس مستراح مجاهد وسعيد بن جبير رزق مقاتل
هو بلسان حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه الربيع بن خثيم وابن زيد فروح عند الموت

وريحان يحيونه في الاخرى وقال الاخرون هو الريحان المعروف الذي يشم ابو العالية لا يفارق احد
من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض وجنة نعيم ابو بكر الوراق الروح النجاة
من النار والريحان دخول دار القرار الترمذي الروح الراحة في القبر والريحان الدخول في الجنة
بسام بن عبد الله الروح السلامة والريحان الكرامة وقيل الروح الراحة والريحان النجاة من الاذى
وقيل الروح الموت على الشهادة والريحان نداء السعادة وقيل الروح كشف الكروب والريحان غفران
الذنوب وقيل الروح الثبات على الايمان والريحان الامن والامان وقيل الروح فضله والريحان
وصله وقيل الروح تخفيف الحساب والريحان تضعيف الثواب وقيل الروح عفو بلا عتاب والريحان
رزق بلا حساب ويقال فروح للسابقين وريحان للمقتصدين وجنة نعيم للصالحين وقيل الروح
لارواحهم والريحان لقلوبهم والجنة لابدانهم والحق لاسرارهم واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك لقوله الا قيلا سلاما
سلاما قيل فسلام لك اي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله واما
ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب المشأمة فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين
وتصلية جحيم وادخال نار ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت
من اليقين قتادة في هذه الاية ان الله عز وجل ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه على اليقين
من هذا القرآن فاما المؤمن فايقن فنفعه ذلك في الدنيا يوم القيمة واما المنافق فايقن يوم القيمة
حين لا ينفعه فسبح فصل باسم بذكر ربك واحمده وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه عن عقبة بن عامر الجهني
لما نزلت على رسول الله فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم

سورة الحديد

للحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل انها مدنية وهي رواية العوفي عن ابن عباس
ابن السايب انها مكية وهي الفان وستة وسبعون حرفا وخمسماية واربع واربعون كلمة
وسبع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا المسبحات
قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل من الف اية يعني المسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ٥ جاء في فاتحة الحديد والحشر والصف على لفظ الماضي
وفي فاتحة الجمعة والتغابن على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شانه ما استند
اليه التسبيح ان سبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى

في قوله وسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا
ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله
احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا قيل بدا سورة بني اسرائيل بلفظ المصدر والحديد والحشر
والصف بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع والاعلى بالامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع
جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر ما في السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح
وكل شيء اي مشى يتاتى منه التسبيح لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض مبتدا وخبر والجملة لا يكون لها محل يحيي ويميت يجوز
ان لا يكون له محل ويكون جملة براسها ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف اي هو يحيي
ويجوز ان يكون منصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها والمعنى يحيي النطف والبيض
والموتى يوم القيمة ويحيي الموتى وهو على كل شيء قدير هو الاول قبل كل شيء بلا احد ولا ابتداء كان
هو ولا شيء موجود معه والاخر الذي يبقى بعد فنا كل شيء بلا انتها والظاهر الغالب العالي على كل شيء فكل
شيء دونه وقيل الظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه هذا قول ابن عباس
ابن عمر الاول بالخلق والظاهر بالرزق والباطن بالاماتة الضحاك هو الذي اول الاول واخر الاخر واظهر
الظاهر وابطن الباطن مقاتل بن حيان هو الاول بلا تاويل احد والاخر بلا تاخير احد والظاهر
بلا اظهار احد والباطن بلا ابطان احد يمان هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم
والباطن العليم محمد بن الفضل الاول ببره والاخر بعفوه والظاهر باحسانه والباطن بستره ابو بكر
الوراق الاول بالازلية والاخر بالابدية والظاهر بالاحدية والباطن بالصمدية قيل هذه الواوات
مقحمة والمعنى هو الاول الاخر الظاهر الباطن لان من كان اولا لا يكون اخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا
قال صاحب الكشاف والواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة
على انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات
الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفا ولا يدرك بالحواس وفي هذا
حجة على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة وكلامه الى ما قبل الباطن صحيح وفي الباطن باطل فانه
لا دلالة للفظ عليه ولا حجة من جهة العقل فيه الحسين ابن الفضل هو الاول بلا ابتداء والاخر
بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الاول السابق الى فعل الخيرات والمتقدم
على كل محسن الى فعل الاحسان والاخر الباقي بعد فنا الخلق والخاتم بفعل الاحسان والظاهر الغالب
القاهر لكل احد ومن ظهر على كل شيء فقد غلبه والظاهر ايضا الذي يعلم الظواهر ويشرف على السرائر
والظاهر ايضا الذي ظهر على العقول بالاعلام وظهر للارواح بالمعنى وان خفي عن اعين الناظرين

والباطن الذي عرف المغيبات واشرف على المستترات والباطن ايضًا الذي خفي عن الظواهر
فلم يدرك بالسرائر الذي هو الاول من اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت
والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك ابن عطاء الاول
بكشف احوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والاخر بعد كل مختوم والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه
والباطن على قلوب اعدائه حتى ينكروه وقيل الاول قبل كل معلوم والاخر بعد كل مختوم والباطن
فوق محتوم وقيل الاول باحاطة علمه بذنوبنا والاخر بستره علينا في عقبانا والظاهر بحفظه ايانا في
ديننا والباطن بتصفية اسرارنا وشغله اذكارنا وقيل هو الاول بالتكوين بيانه قوله انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والاخر بالتلقين بيانه قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الاية والظاهر بالتبيين بيانه قوله يريد الله ليبين لكم والباطن بالتزيين بيانه قوله وزينه
في قلوبكم محمد بن علي الترمذي الاول بالتاليف والاخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف
الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم
الغيوب وسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه
بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وقيل هو الاول بالعطا والاخر بالجزاء والظاهر بالثناء
والباطن بالوفاء وقيل هو الاول بالبر والكرم والاخر بحله القسم والظاهر باسباغ النعم والباطن
بدفع النقم وقيل هو الاول بالهداية والاخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية وقيل هو
الاول بالانعام والاخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقيل هو الاول بتسمية الاسماء
والاخر بتكميل النعماء والظاهر بتسوية الاعضاء والباطن بصرف اللاواء وقيل الاول بانشاء
الخلائق والاخر بافناء الخلائق والظاهر باظهار الحقائق والباطن بعلم الدقائق الواسطي لم يدع
للخلائق نفسا بعدما اخبر عن نفسه انه الاول والاخر والظاهر والباطن الشبلي قال في هذه الاية
اشياء ساقطة فانت اول اخر ظاهر باطن وهو بكل شيء عليم قتادة ذكر لنا ان النبي عليه السلام بينا هو
جالس في اصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم هذا العنان
هذا روايا الارض يسوقه الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا
الله ورسوله اعلم قال انها الرقيع موج مكفوف سقف محفوظ قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله
ورسوله اعلم قال فوقها سما اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع سموات بين كل سمائين مسيرة
خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش
وبينه وبين السماء السابعة مثل ما بين السمائين ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال فانها الارض قال فهل تدرون ما تحتها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا مثلها بينهما

مسيرة خمسماية عام حتى سبع ارضين كل ارض مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد
بيده لو دليتم احدكم بحبل الى السابعة السفلى لهبط على الله سبحانه وتعالى ثم قرا هذه الاية هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ومعناه بالعلم والقدرة والخلق والملك قال ابو هريرة
دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته خادما فقال لها رسول الله الا ادلك على ما هو
خير لك من ذلك ان تقول اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل
التورية والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته انت
الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت
الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر **قوله تعالى**
هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ٥
هو معكم اي بالعلم والقدرة **قوله تعالى** له ملك السماوات والارض والى الله
ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير مستخلفين
فيه مملكين معمرين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه وانما هي
مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفا في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة
وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها
كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه وقيل جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في
ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به
وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وقيل جعلكم مستخلفين بالقيام باداء حقوقه فالذين امنوا بالله
ورسوله منكم وانفقوا من ماله في الوجوه المندوب اليها لهم اجر كبير **قوله تعالى**
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ٥
وما لكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين
بالله والرسول الواو فيه واو الحال فهما حالان متداخلتان يدعوكم لتؤمنوا بربكم والمعنى واي عذر لكم
في ترك الايمان والرسول يدعوكم الى الايمان وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج
وقد اخذ وقيل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم في ظهر ادم بان الله ربكم لا اله لكم سواه قاله مجاهد وقيل
ميثاقكم بان ركب فيكم العقول واقام الحجج والدلائل التي تدعو الى متابعة الرسل قرا ابو عمرو بضم الهمزة
والقاف على وجه ما لم يسم فاعله والباقون بفتحهما فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما كان

هذا الموجب لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مومنين يوما من الايام فالان احرى به الاوقات ان تومنوا
لقيام الحجج والاعلام على حقيقة الاسلام وصحة نبوة المصطفى عليه السلام **قوله تعالى**
هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرءوف رحيم
هو الذي نزل على عبده محمد ايات بينات ليخرج الله بالقران وقيل باياته وقيل ليخرجكم الرسول
بالدعوة من الظلمات اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم **قوله تعالى**
وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله
بما تعملون خبير وما لكم اي شي لكم في ترك الانفاق في سبيل الله وقيل اي شي يمنعكم فيكون لا زيادة
ولله ميراث السماوات والارض يرث كل شي فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغني يعني واي غرض
لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم ووارث اموالكم وهو من ابلغ
البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين فضل السابقين في الانفاق والجهاد فقال لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح يعني فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله
افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح هو صلح الحديبية قال وقال
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله افتح هو قال نعم عظيم اولئك الذين انفقوا
من بعد الفتح اعظم درجة وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى
عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من الذين انفقوا من بعد الفتح
وقاتلوا عن الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة واضحة وحجة
بينة على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من اسلم وكلا قرا ابن عامر كل بالرفع والباقون بالنصب
اي وكل واحد من الفريقين من انفق قبل الفتح وبعده وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة
مع تفاوت الدرجات **قوله تعالى** من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له وله اجر كريم يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ٥ القرض هو الانفاق في سبيل الله
شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه وقيل استعار
لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء وقيل التطوع بالعبادات وقيل النفقة على الاهل والاولاد وقيل
جميع اعمال الخير وقيل هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فيضاعفه له اي
يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وقيل يكتب بالواحد عشرا وله اجر كريم اي
وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقيل الجنة وقيل يكرم على من ناله وقيل كريم

لانه

لانه لم يبتذل في طلبه وقيل كريم صاحبه وقيل يخلفه الله في الدنيا فيضاعفه عطف على يقرض
يوم ظرف لقوله وله اجر كريم وقيل منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم ترى المومنين والمومنات
يسعى نورهم يمضي نورهم على الصراط بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحايف اعمالهم
من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا يوتونها من وراء ظهورهم ومن شمايلهم فجعل النور في الجهتين
شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة
ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما وقيل اراد بالنور القران قال
عبد الله بن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره
كالرجل القايم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفا مرة ويوقد مرة قتادة ذكر لنا ان نبي الله
قال من المومنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن وصنعا فدون ذلك حتى ان من المومنين من لا
يضيء نوره الا موضع قدميه وقيل يوتون كتبهم بايمانهم وقيل الباء بمعنى في اي في ايمانهم كتبهم ومنها نورهم
وقيل الباء بمعنى عن والتقدير يسعى نورهم بين ايديهم وعن ايمانهم وقيل بايمانهم وقيل يسعى ثواب اعمالهم
بشراكم وتقول لهم الملايكة بشراكم اليوم قيل يجوز ان تكون البشرى اسما اي المبشر به جنات ويجوز
ان تكون مصدرا والتقدير بشراكم اليوم دخول جنات فحذف المضاف تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم **قوله تعالى** يوم يقول المنافقون والمنافقات
للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن
معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله
وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماويكم النار هي مولاكم
وبئس المصير ٥ يوم يقول بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين امنوا اي يقولون لهم
اذا راوهم وهم في صفاء نور والمنافقون خلفهم في ظلمة لا يبصرون مواقع اقدامهم قرا حمزة
أَنظِرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء اي امهلونا والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء اي
انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تدف بهم وهولاء مشاة وقيل معناه
انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به
نقتبس نصب من نوركم وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا وقيل نقتبس من نوركم ناخذ من نوركم
قبسا سراجا او شعلة وقيل معنى نقتبس من نوركم نمشي فيه معكم قال المفسرون اذا كان يوم
القيامة اعطى الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط واعطى المنافقين ايضا
كذلك خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المومنين

ولا يعطون النور فبيناهم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا نور المنافقين فذلك قوله تعالى
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا فاطلبوا هناك لانفسكم نورا اخر فانه لا سبيل
لكم الى الاقتباس من نورنا وقد علموا ان لا نور لهم وانما يحسب واقناطا لهم وقيل ارجعوا ورا
فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور
فالتمسوه هناك فمن ثم يقتبس وقيل ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو
الايمان فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحايط حايل بين الجنة والنار وقيل
هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو
الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره السور من قبله اي من قبل ذلك الظاهر العذاب
وهو الظلمة والنار وعن ابن عباس وادي جهنم موضع السور وعن عبد الله بن عمر ان السور الذي
ذكره الله في القران وادي جهنم وعن عبادة بن الصامت انه قام على سور بيت المقدس الشرقي
فبكى فقال بعضهم ما يبكيك فقال من ههنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم
عن شرح ان كعبا كان يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي
قال الله فضرب بينهم بسور له باب الاية ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم
في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا اي المؤمنون بلى ولكنكم
فتنتم اهلكتم انفسكم ومحنتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وقيل تربصتم بالايمان
والتوبة مقاتل وتربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت وقلتم يوشك ان يموت محمد ونستريح
وارتبتم شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني الاباطيل ابو بكر الوراق طول الامل والطمع في
امتداد الاعمار وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطوطا وخط خطا منها ناحية
فقال تدرون ما هذا قال مثل ابن ادم ومثل التمني وذلك الخط الامل بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت
بلال بن سعد قال ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء امر الله اي الموت وغركم الشيطان
بالله الغرور بان الله عفو كريم لا يعذبكم قتادة كانوا على خدعة من الشيطان وما زالوا عليها
حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يؤخذ منكم فدية بدل وعوض قرا ابن عامر تؤخذ بالتاء من فوق
والباقون بالياء ولا من الذين كفروا يعني المشركين ماواكم النار هي مولاكم وقيل هي اولى بكم وحقيقته
مولاكم محراكم ومعكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم وقيل هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها
والمراد نفي الناصر على الثبات ونحو قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى

يغاثوا

يغاثوا بماء كالمهل وقيل متوليكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار **قوله تعالى**
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون الكلبي ومقاتل نزلت في المنافقين
بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا اخبرنا عما في التورية فان فيها
العجايب فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص الاية فاخبرهم
ان هذا القران احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله ثم عادوا ايضا
فسالوا فقالوا حدثنا عما في التورية فان فيها العجايب فنزلت هذه الاية فعلى هذا يكون معنى الاية
الم يان للذين امنوا في العلانية وباللسان وقيل نزلت في المؤمنين قال عبد الله بن مسعود مل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن
الحديث الاية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص
الاية فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا ووعظتنا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود ما كان بين
اسلامنا وبين ان دعوتنا بهذه الاية الا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا ابن عباس
ان الله تعالى استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة سنة من نزول القران فقال
الم يان للذين امنوا من اني الامر يانى اذا جا اناه اي وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا واصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ان تخشع ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل قرا نافع وحفص
وعاصم برواية المفضل خفيفة الزاء والباقون مشددة من الحق وهو القران مجاهد نزلت هذه الاية
في المعذبين بعد الهجرة عن شداد بن اوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع عن الناس
الخشوع ولا يكونوا يعني وان لا يكونوا محله النصب بالعطف على تخشع قال الاخفش وان شئت جعلته
نهيا اي ولا يكونن كالذين اي نهيا لهم عن مماثلة الذين اوتوا الكتاب من قبل وهم اليهود والنصارى
فطال عليهم الامد الزمان والدهر والغاية بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم بعد ان ونحو ذلك
ان بني اسرايل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت
قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفا والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغير قيل
يحتمل ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القران لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان
يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القران كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين **قوله تعالى**
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين
والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا

بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ۝ اعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها كذلك يحيي الموتى وقيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها
كما يحيي الغيث الارض وقيل كما يحيي الارض بعد موتها يحيي الكافر بالايمان وقيل كما يحيي الارض بعد موتها
يلين القلوب القاسية لتفكروا في الايات ان المصدقين والمصدقات قرا ابن كثير وعاصم برواية
ابي بكر والمفضل بتخفيف الصاد من التصديق يعني ان المومنين والمومنات الذين صدقوا
الله ورسوله والباقون بتشديدهما يعني ان المتصدقين والمتصدقات فادغم التاء في الصاد
ان الذين تصدقوا واقرضوا الله عطف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب
عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة الحسن كما في القران من القرض الحسن فهو المطوع
يضاعف قرا ابن كثير يضعف بالتشديد والباقون يضاعف بالالف وفتح العين اولئك هم الصديقون
يريد ان المومنين بالله ورسله هم عند الله من الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
استشهدوا في سبيل الله قال الضحاك هم ثمانية نفر سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام
ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة بن عبد المطلب وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه
الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل تمام الكلام عند قوله الصديقون ثم قال
والشهداء واراد بهم شهداء المومنين خاصة والواو فيه واو الاستيناف وهذا قول ابن عباس ومسروق
وجماعة من العلماء وقال اخرون هي متصلة بما قبلها والواو فيها واو العطف ثم اختلفوا في معناها
قال الضحاك نزلت في المومنين المخلصين كلهم عن عبد الله ان الرجل ليقاتل ليرى مكانه وان الرجل
ليقاتل على الدنيا وان الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله وان الرجل ليموت على فراشه فيكون شهيدا ثم
قرا والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم مجاهد كل مومن صديق
وشهيد ثم قرا هذه الاية يعني موصولة ابن عباس في بعض الروايات اراد بالشهداء الانبياء خاصة
لهم اجرهم ونورهم في ظلمة القيمة **قوله تعالى** والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم **قوله تعالى** اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور ۝ اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر
والتكاثر في الاموال والاولاد وقيل لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان
وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي لعمار بن ياسر لا تحزن على الدنيا فان الدنيا

ستة اشياء

ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاكثر طعامها العسل
وهو نفثة ذبابة واكثر مركوبها الفرس وعليها يقتل الرجال واكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال
والله ان المرأة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب
الكفار اي الزراع نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فيبلى ويفنى وفي الاخرة عذاب شديد
قيل ان الكلام قد تم عند قوله حطاما ثم قال وفي الاخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوانه
للمومنين وقيل واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله
قيل شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب
به الكفار والجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر
وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحب الجنة وصاحب الجنتين **قوله تعالى**
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله
ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم سابقوا مسابقة السابقين
لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السماوات وسبع
الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض واقصر لامتداد فاذا وصف عرضه بالبسطة
عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر
امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب
الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم **قوله تعالى** ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول
فان الله هو الغني الحميد ما اصاب من مصيبة اي لم يصب ولا يصيب مصيبة في الارض
بالجدب والقحط وذهاب الزرع والثمر ولا في انفسكم ابن عباس في الدنيا والدين وقيل الاوصاب
والاسقام وضيق المعاش والموت وقيل اقامة الحدود وقيل في الارض ظرف لاصاب وقيل
لمصيبة الا في كتاب في اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها نخلق المصيبة وقيل من قبل ان نخلق
الانفس وقيل من قبل ان نخلق الارض ان ذلك اي تقدير ذلك واثباته في كتاب من قبل ان نبراها
على الله يسير سهل وهين وقيل ان خلق ذلك وحفظه على الله هين عن الربيع دخلت على
سعيد بن جبير في نفر فبكى رجل من القوم فقال له ما يبكيك قال ابكي لما ارى بك ولما يذهب بك اليه
قال فلا تبك فانه كان في علم الله تعالى ان يكون الم تر الى قول الله تعالى ما اصاب من مصيبة

الاية تتم على ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تاسوا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا
بطروا بما اتاكم قرا ابو عمرو بقصر الالف اى جاكم وا لباقون بمدها اى اعطاكم يعني انكم اذا علمتم
ان كل شى مقدر مكتوب عند الله قل حزنكم على الفايت وفرحكم على الاتى لان من علم ان ما عنده
مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير
واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله عكرمة ليس احد الا وهو يفرح
ويحزن فاجعلوا للفرح شكرا وللحزن صبرا والله لا يحب كل مختال فخور متكبر عادى من الدنيا
فخور به على الناس لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس
قال جعفر الصادق يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح
بموجود لا يتركه في يديك الموت الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين
يبخلون يعني الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا او حظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم
وعظمه في عيونهم يزودنه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل
والية اشار بقوله ويامرون الناس بالبخل ويرغبونهم في الامساك ويزينونه لهم وذلك كله نتيجه
فرحهم به وبطرهم عند اصابته قيل هم رؤسا اليهود بخلوا ان يبينوا صفة النبي في كتبهم لئلا يومن به
الناس فتذهب ماكلتهم فامروا قومهم بكتمانه يدل عليه ومن يتول اي ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه
ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفايت والفرح بالاتي ومن البخل وحمل الناس عليه فان الله هو الغني
الحميد قرا نافع وابن عامر باسقاط هو والباقون باثباته **قوله تعالى** لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه
باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ۝
اى ارسلنا الانبيا بالمعجزات الدالة على صدقهم وانزلنا مع الانبيا الكتب التي تتضمن مصالح
دينهم ودنياهم وقيل لقد ارسلنا رسلنا يعني الملايكة الى الانبيا لقوله وانزلنا معهم لان الكتاب
ما انزل مع الانبياء فان الانبيا ينزل عليهم الكتاب او اليهم ولا ينزل معهم وانزلنا معهم الكتاب
اى الوحي والميزان اى العدل اى نزيد ما يوزن به روى ان جبريل نزل بالميزان وقال مر قومك يزنوا
به ليقوم الناس بالقسط ليتعاملوا الناس بينهم بالعدل وانزلنا الحديد ابن عباس نزل ادم من الجنة
ومعه خمسة اشيا من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه
المر والمسحاة وعن النبي عليه السلام ان الله انزل اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد
والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد وخلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك
ان اوامره انما تنزل من السما وقضاياه واحكامه وقيل معنى وانزلنا الحديد جعلنا ذلك

تخلاهم

نزلا لهم فيه باس شديد قوة شديدة يعني السلاح والكراع ومنافع للناس مما يستعملونها في مصالحهم
ومعايشهم اذ هو الة لكل صنعة وليعلم الله يعني ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليعامل
الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره اى ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير
السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غايبا عنهم ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوى
على الامتناع عزيز عن الاعتراض عليه وقيل ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه
عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر الى الثواب **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا
في ذريتهما اى ذرية نوح وابرهيم النبوة والكتاب اى الوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتبت
كتابا وكتابة وقيل والكتاب اى الكتب فهو للجنس فمنهم اى فمن الذرية مهتد وقيل من المرسل اليهم وقد
دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اى فمنهم مهتد ومنهم فاسق وكثير منهم فاسقون
والغلبة للفساق ثم قفينا على اثارهم برسلنا اى ارسلنا رسولا بعد رسول على اثر نوح وابرهيم
ومن مضى من الانبياء ولا يعود ضمير في اثارهم الى الذرية لان الذرية باقية بعد وقفينا بعيسى ابن مريم
واتيناه الانجيل قيل جاء دفعة واحدة وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اى اتبعوا عيسى وساروا بسيرته
واسعوا منهاجه رافة وهي اشد رقة ورحمة ورهبانية ابتدعوها من قبل انفسهم والرهبانية ترهبهم في الجبال
فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الكلام تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها ما فرضناها واوجبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية
نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فاتينا الذين امنوا يريد اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا عيسى طلبا لرضا
الله وكثير منهم فاسقون الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وكفروا بدين عيسى وتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب واقام منهم اناس على دين عيسى حتى ادركوا محمدا فامنوا به
فيه قال ابن مسعود كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدرى
من اين اتخذ بنو اسرايل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي
الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا
لهولاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا

عيسى يبعثون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية فاتينا الذين امنوا يعني من ثبتوا عليها اجرهم وكثير منهم فاسقون ثم قال النبي عليه السلام يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلوة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وعن ابن مسعود دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلث وهلك سايرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال النبي عليه السلام من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاولئك هم الهالكون قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم يعني وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله تعالى وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا المومنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ابن عباس كتب الله عليهم القتال قبل ان بعث محمدا فلما استخرج اهل الايمان ولم يبق منهم الا قليل وكثر اهل الشرك وذهبت الرسل وقهروا اعتزلوا في الغيران فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طايفة منهم وتركوا امر الله تعالى ودينه واخذوا بالبدعة والنصرانية واليهودية فلم يرعوها حق رعايتها وثبتت طايفة على دين عيسى حتى جاءهم البينات وبعث محمد عليه الصلوة والسلام وهم كذلك فذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت ملوك الارض بعد عيسى بدلوا التورية والانجيل وكان فيهم مومنون يقرؤون التورية والانجيل ويدعونهم الى دين الله ويامرونهم بتقوى الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هولاء الذين شقوا عليكم واذوكم فلتقتلوهم او ليقروا كما قروا به ودخلوا فيما هم فيه فدعاهم ملكهم وجمعهم وعرض عليهم القتل او تركوا قراة التورية والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون منا نحن نكفيكم انفسكم فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت

طايفة

طايفة ابنوا لنا دارا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس احد من اولئك الا وله حميم فيهم ففعلوا بهم ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ كما اتخذ فلان وهم على شركهم ولا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين الذين جاوا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبي عليه السلام ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب الدير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانهم بعيسى والانجيل وايمانهم بمحمد عليه السلام والقران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني القران وقيل ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لئلا يعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة اي لا يقدرون ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم ولم يكسبهم فضلا قط هذا اذا كان يا ايها الذين امنوا خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب وان كان خطابا للذين امنوا من غيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يوتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب الكفلين في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمان لا تفرقون بين احد من رسله روى ان رسول الله بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم عليه فدعاه فاستجاب له وامن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن اسلم من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا فنفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من امن بكتابكم وكتابنا فله اجر مرتين واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى ان مومني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المومنين بانهم يوتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امة فعلمها واحسن تعليمها وادبها واحسن تاديبها واعتقها وتزوجها فله اجران وعبد ادى حق الله وحق مواليه ورجل من اهل الكتاب امن بما جاء به عيسى وما جاء به محمد فله اجران قتادة حسد اهل الكتاب

المسلمين فانزل الله هذه الاية قال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل
فلما خرج من العرب كفروا فانزل الله لئلا يعلم اهل الكتاب وعن ابن عمر قال رسول الله ان الله قسم
الاجر وقسم العمل فقيل لليهود اعملوا فعملوا الى نصف النهار فقيل لكم نصف قيراط وقيل للنصارى اعملوا
فعملوا الى العصر فقيل لكم قيراط وقيل للمؤمنين اعملوا من صلوة العصر الى غروب الشمس فلكم قيراطين فتكلمت
اليهود والنصارى في ذلك فانزل الله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله
وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

سورة المجادلة مدنية

وهي الف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا واربعمائة وثلثة وسبعون كلمة واثنان وعشرون
اية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظهرون
منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع
فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم
قد سمع الله قول التي تجادلك تخاصمك وتحاورك اي تراجعك في زوجها وتحاورك اي تسائلك
وهي امرأة من الانصار ثم من الخزرج واختلفوا في اسمها ونسبها ابن عباس هي خولة بنت المقدس خويلد
ابو العالية خولة بنت الدليم قتادة خويلة بن ثعلبة المقاتل هي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة
الخزرجية من بني عمرو بن عوف عطية عن ابن عباس خولة بنت الصامت وروى هشام ابن عروة
عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها ان اسمها جميلة وزوجها اوس بن مالك وذلك انها كانت حسنة الجسم
فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فنظر الى عجزتها فلما انصرفت ارادها فامتنعت عليه وكان امرأ فيه
سرعة ولمم فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية
فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي قالت لا تقل ذلك ائت رسول الله فاسأله فقال اني اجدني استحيي منه ان
اسأله عن هذا الحديث قالت فدعني اسأله قال سليه فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل شق
رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس ابن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات مال واهل حتى اذا
اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول
الله حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس
الي فقال رسول الله حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني

اني كثر ولدي

اي كثر ولدي فقال رسول الله ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت
تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت
اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام
فقامت عايشة تغسل شق رأسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله
فقالت عايشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان رسول الله اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك
فتلى عليه رسول الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع لكلامها فانه يصح ان يسمع كل مسموع بصير بحالها فانه يصح ان يبصر كل مبصر ومعنى
قد في قوله قد سمع التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرأة المجادلة يتوقعان ان يسمع
الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها ثم بين حكم الظهار وجعل فيه الكفارة فقال سبحانه
الذين يظهرون قالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها ان المرأة لتحاور رسول الله
وانا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه اذ انزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك
الايات فلما نزلت هذه الايات وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له هل تستطيع ان تعتق
رقبة قال اذا يذهب مالي كله الرقبة غالية وانا قليل المال فقال رسول الله فهل تستطيع ان تصوم
شهرين متتابعين قال والله يا رسول الله اني لم اكل في اليوم ثلث مرات كل بصري وخشيت ان تعشو
عيني فقال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله الا ان تعينني على ذلك يا رسول الله
قال رسول الله اني معينك بخمسة عشر صاعا واجتمع لهما امرهما فذلك قوله تعالى الذين يظهرون
منكم من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم بخفض امهات على حجازها وهو منصوب فان نصبه بالكسر والمعنى
ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثل الام وهذا تشبيه
باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات
وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم
الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين لان الله تعالى حرم
نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الازواج فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات
على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات وانهم ليقولون منكرا من القول ولا تعرف صحته وزورا كذبا
فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن
الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تاب ولم يعد اليه والذين يظهرون من نسائهم اعلم ان الالفاظ

التي يصير بها المرء مظاهراً صريح نحو انت علي كظهر امي او انت عندي كظهر امي وكذلك اذا قال انت علي كبطن
امي او كرأس امي او كفرج امي ونحوها وكذلك اذا قال فرجك او رأسك او ظهرك او صدرك او بطنك
او يدك او رجلك علي كظهر امي فانه يصير مظاهراً وكل ذلك نص على قوله يدك او رجلك او رأسك
او بطنك طالق فانه يطلق والخلاف في هذه الاية بين الفريقين كالخلاف في الطلاق ومتى ما شبهها
بامه او باحدى جداته من قبل امه وابيه كان ذلك ظاهراً بلا خلاف وان شبهها بغير الام والجدة
من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالابنة والاخت والعمة والخالة ونحوها كان مظاهراً على الصحيح من المذهب
فصريح الظهار هو ان يشبه زوجته او عضواً منها بعضو من اعضاء امه او اعضاء واحدة من ذوات محارمه
وكنايته فصريح الظهار هو ان يقول انت علي كامي ومثل امي او نحوهما فانه يعتبر فيه نيته فان اراد ظهاراً
كان مظاهراً وان لم ينو ظهاراً لا يصير مظاهراً وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره سواء كان حراً او رقيقاً مسلماً
او ذمياً او دخل بالمرأة ولم يدخل بها او كان قادراً على جماعها او عاجزاً عنه وكذلك يصح الظهار من كل زوجة
صغيرة يمكن كانت او مجنونة او رتقاء او سليمة محرمة او غير محرمة ذمية او مسلمة او في عدة يملك رجعتها وقال
ابو حنيفة لا يصح ظهار الذمي وقال مالك لا يصح ظهار العبد وقال بعض العلماء لا يصح ظهار غير المدخول بها
وقال المزني اذا طلق الرجل امرأته طلقة رجعية ثم ظاهر منها فانه لا يصح ثم يعودون اي والذين كانت
عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله قالوا او قيل ثم يعودون لما قالوا ثم
يتداركوه ما قالوا لان المتدارك للامر عائد عليه وقيل معنى ما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بالشهوة اعلم ان الكفارة تلزم بالظهار
والعود جميعاً ولا يلزم باحدهما دون الاخر كما ان الكفارة في باب اليمين تجب باليمين والحنث جميعاً فاذا
فاذا عاد في ظهاره لزمته الكفارة واختلف الفقهاء في معنى العود فقال الشافعي العود الموجب للكفارة
ان يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده مدة يمكنه ان يطلقها فلم يطلقها وقال قتادة في قوله ثم يعودون
لما قالوا يريد ان يغشاها ويطأها بعدما حرمها واليه ذهب ابو حنيفة قال ان عزم على وطئها فيريد ان
يغشاها كان عوداً وان لم يطأها لم يكن عوداً وقال اصحاب الظاهر ان كرر اللفظ كان عوداً وان لم يكرر اللفظ
لم يكن عوداً وقال مالك ان وطئها كان عوداً وهو قول اهل العراق وظاهر الاية تشهد له وهو قوله ثم يعودون
لما اي الى ما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل ان يتماسا لان الله قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل واطلق
في هذا الموضع ومن حكم المطلق ان يحمل على المقيد من قبل ان يتماسا ان يجامعها فالجماع نفسه محرم على
المظاهر حتى يكفر فان وطئ قبل التكفير فقد فعل محرماً ولا يسقط عنه الكفارة بل يأتي بها على وجه القضاء كما لو اخر
الصلوة عن وقتها فانه لا يسقط عنه اتيانها بل يلزمه قضاؤها وسواء كفر بالاعتاق او الصيام او الاطعام

فانه

فانه يجب عليه تقديم الكفارة ولا يجوز له ان يطأها قبل الكفارة وقال ابو حنيفة ان كفر بالاطعام
جاز له ان يطأها ثم يطعم ولم يخالف في العتق والصيام فهذا حكم وطئ المظاهر قبل التكفير واما
غير الوطئ من القبلة والتلذذ فانه لا يحرم في قول اكثر العلماء وهو قول الحسن وسفيان والصحيح
من مذهب الشافعي وقال بعضهم عنى به جميع معاني المسيس لانه عام وهو احد قولي الشافعي
ذلكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا
الى الظهار وتخافوا عقاب الله والله بما تعملون خبير فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها او يكون مالكاً للرقبة الا
انه محتاج اليها لخدمته او يكون مالكاً للثمن ولكن محتاج اليه لنفقته او نفقة من هو في نفقته او كان
له مسكن يسكنه فله الانتقال الى الصوم وقال ابو حنيفة ليس له ان يصوم وعليه ان يعتق الرقبة
وان كان محتاجاً اليها او الى ثمنها فان عجز عن الرقبة فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان
افطر في اثنائهما بغير عذر قطع التتابع وعليه ان يستأنف شهرين متتابعين وان افطر بعذر المرض او السفر
فاختلف العلماء فيه فقال بعضهم لا ينقطع التتابع وعليه ان يستأنف شهرين متتابعين وهو احد قول
الشافعي وقال آخرون يلزمه ان يستأنف ويبتدي وهو قول النخعي واصحابه والاصح من قولي الشافعي
وان تخلل صوم الشهرين زمان لا يصح فيه الصوم عن الكفارة كالعيد وايام التشريق فان
التتابع ينقطع بذلك ويجب الاستئناف ولو وطئ المظاهر في الشهر ليلاً فان وطئ نهاراً بطل
التتابع وعليه الابتداء وان وطئها لم يبطل التتابع وقال ابو حنيفة سواء وطئ ليلاً او نهاراً فانه
يبطل التتابع وعليه ان يستأنف صوم شهرين متتابعين فمن لم يستطع الصيام او عدم الاستطاعة
مثل ان يخاف من الصوم التلف او يلحقه مشقة شديدة او مرض ظاهر فاطعام ستين مسكيناً لكل
مسكين مد من غالب قوت بلده والخلاف فيه كالخلاف في زكوة الفطر ذلك البيان والتعليم للاحكام
والتنبيه عليها لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره
ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله اوامره ونواهيه التي لا يجوز تعديها وللكافرين
الذين لا يؤمنون بالله ورسوله عذاب اليم **قوله تعالى** ان الذين يحادون
الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين
يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله
يعلم ما في السموات والارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله
بكل شيء عليم ان الذين يحادون الله اي يخالفون ورسوله ويعادون ويشاقون كبتوا
اهلكوا واخزوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات

بينات تدل على صحة النبي وصحة ما جاء به وقيل تقدمت آيات في المتحادين لتكون بينهما اتصال وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بقوله للكافرين او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا منه كلهم من الارض لا يترك منهم احد غير مبعوث وقيل مجتمعين في حال واحد كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله اي احصى الله ما عملوا احاط به عددا لم يفته منه شي ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وقيل نسوه لكثرته وطول الزمان والله على كل شي شهيد لا يغيب عنه شي وقيل تشهد عليهم فلا يستطيعون رده قوله تعالى الم تر الم تعلم وقيل ترى من رؤية العين اي الم تر الدلائل على انه عالم وقيل معناه تنبه ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من كان التامة اي ما يقع من نجوى من يناجي ثلثة قيل ان شئت خفضت ثلاثة على نعت النجوى اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل او جعلوا النجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وان شئت اضفت النجوى الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الرابع ههنا اسم للفاعل وكذلك السادس ولا ادنى من ذلك اي ولا اقل من ذلك اي ثلاثة ولا اكثر اي من الخمسة الا هو معهم اينما كانوا من السما والارض قال صاحب الكشاف فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا وهو معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشيا بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طايفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر الله الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه انتهى الا هو معهم اينما كانوا لا يخفى عليه ما هم فيه وكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شي عليم **قوله تعالى** الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ۝

ابن عباس

ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين وينظرون الى المومنين ويتغامزون باعينهم فاذا راى المومنون نجواهم قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت او مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون كذلك حتى يقدم اصحابهم فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل ان نزلت في اليهود وكانت بينهم وبين النبي عليه السلام موادعة فاذا مر بهم رجل من اصحاب النبي عليه السلام جلسوا يتناجون فيما بينهم حتى يظن المومن انهم يتناجون بقتله وبما يكره فانزل الله هذه الاية ابن زيد كان الرجل ياتي رسول الله ويساله الحاجة ليرى الناس انه قد ناجى رسول الله وكان النبي عليه السلام لا يمنع ذلك من احد والارض يومئذ حرب على اهل البلد فكان ابليس ياتي القوم فيقول لهم انما يتناجون في حرب او جمع قد جمع لكم او امر بهم قد وقع فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها ويتناجون قراة حمزة ينتجون على وزن يفتعلون والباقون يتناجون على وزن يتفاعلون بالاثم بما هو اثم والعدوان للمومنين ومعصية الرسول ومخالفته واذا جاوك يريد اليهود حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت وكان عليه السلام وعليكم السام فسمعت عايشة يوما فقالت وعليكم السام والذام فقال عليه السلام يا عايشة ان الله يحب الرفق ويكره الفحش والتفحش فقلت يا رسول الله الست ترى ما يقولون فقال الست ترين ما ارد عليهم ثم قال اذا سلم عليك كتابي فقولوا وعليك فنزلت هذه الاية وقيل السام السيف وقيل معناه ستسامون دينكم ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم ويجوز ان يكون للمومنين اي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر والاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى اللام للعهد والمعهود بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليحزن الذين امنوا ويغيظوا وليس المتناجي او الشيطان او الحزن بضارهم شيا الا باذن الله بعلمه وقضايه وقدره وقيل لا يضارهم شيا الا ما اراد الله وقيل كانوا يوهمون المومنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان

اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم التناجي او الشيطان او الحزن بذلك المؤمن الا باذن الله الا بمشيئته
وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليفوضوا امورهم اليه
وليثقوا به وقيل في معنى قوله انما النجوى من الشيطان هو احلام النوم التي يراها الانسان في نومه
فيحزنه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا
يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
والله بما تعملون خبير ٥ تفسحوا في المجالس توسعوا فيه فافسحوا اي وليفسح بعضكم عن بعض
من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا والمراد مجلس رسول الله قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس النبي
وكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا ضيقوا مجلسهم عند رسول الله فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض المقاتلان
كان النبي عليه السلام في الصفة وفي المكان ضيق وكان يوم الجمعة وكان رسول الله يكرم اهل بدر من المهاجرين
والانصار فجاء اناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي فقالوا
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا
على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي عليه السلام ما يحملهم على القيام فلم يفسحوا فشق ذلك
على النبي فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار ولمن يليه من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان
فاقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف
النبي الكراهة في وجوههم فقال المنافقون للمسلمين الستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله
ما عدل على هولاء فانزل الله هذه الاية الكلبي نزلت في ثابت بن قيس وقد ذكرت قصته في سورة الحجرات
فانزل الله في الرجل الذي لم يفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس قرا عاصم في المجالس
بالالف على الجمع والباقون في المجلس عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقم الرجل الرجل من مجلسه
حتى يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
قاتل المشركين وصف اصحابه للقتال تشاحوا على الصف الاول فيقول لاخوانه تفسحوا ليلقى العدو
ويصيب الشهادة فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد والشهادة فانزل الله هذه الاية يفسح الله
لكم مطلقة في كل ما يبتغي الناس فيه الفسحة من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك
واذا قيل انشزوا فانشزوا قرا عاصم واهل المدينة والشام بضم الشين فيهما والباقون بكسرها
وهما لغتان اي فاذا قيل لكم انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه فانشزوا فانهضوا وقوموا وتحركوا وارتفعوا وتوسعوا لاخوانكم وقيل
معناه واذا قيل لكم انهضوا الى الصلوة والجهاد والذكر وعمل الخيرات اي حق كان فانشزوا ولا تقصروا
عكرمة والضحاك يعني اذا نودي للصلوة فقوموا لها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلوة اذا نودي

لها

لها فانزل الله هذه الاية ابن زيد هذا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كل رجل
منهم كان يحب ان يكون اخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله واذا قيل انشزوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم فان له حوائج فانشزوا ولا تطيلوا المكث عنده يرفع الله الذين امنوا منكم
بطاعتهم رسول الله وامتثال اوامر الله واوامر رسوله وقيامهم في مجالسهم وتفسحهم لاخوانهم والذين اوتوا
العلم منهم بفضل علمهم وسابقتهم درجات جنات فاخبر الله سبحانه ان رسول الله مصيب فيما امر وان اولئك
المؤمنين مثابون فيما امروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا من الاكرام والله بما تعملون
خبير وعن ابن مسعود انه كان اذا قرا هذه الاية قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية لترغبكم في العلم فان الله
تعالى يقول يرفع الله المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات وعن جابر ابن عبد الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على
العالم درجة وفضل القران على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي
على ادناهم وقال رسول الله من جاءه الموت وهو يطلب العلم فبينه وبين الانبياء درجة واحدة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله
غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
فاقيموا الصلوة واتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون فقدموا
بين يدي نجواكم امام نجواكم صدقة ابن عباس وذلك ان الناس سالوا رسول الله فاكثروا حتى شقوا
عليه واحفوا بالمسالة فادبهم الله وفطمهم عن ذلك بهذه الاية وامرهم ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة
مقاتل بن حيان نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله فيكثرون مناجاته فامر الله
بالصدقة عند المناجاة فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما اهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما اهل
الميسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله فنزلت الرخصة وقال علي رضي الله عنه
ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فانها فرضت ثم نسخت ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر
لان الصدقة طهرة عن علي رضي الله عنه لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول دعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ترى ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال
انك لزهيد نزلت ءاشفقتم ابخلتم وخفتم بالصدقة الفاقة ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم وتجاوز عنكم وخفف ورخص لكم في ان لا تفعلوا
قيل نسخ الصدقة الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ فاقيموا

الصلوة واتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله اى فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وساير الطاعات
والله خبير بما تعملون **قوله تعالى** الم تر الى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم
ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابًا شديدًا انهم ساء
ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئًا اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله
جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان فانسيهم ذكر الله اوليك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
۝ نزلت في المنافقين تولوا اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب
عليه وكانوا يناصحوهم وينقلوا اليهم اسرار المومنين ما هم منكم يا معشر المسلمين ولا منهم ولا من اليهود لكونهم
مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا لمسلمون
يحلفون على الكذب الذى هو ادعا الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت وفايدة
قوله وهم يعلمون ان الكذب هو ان يكون الخبر غير مطابق لما في الواقع سوا علم المخبر ام لم يعلم فالمعنى
انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس
السدى ومقاتل نزلت في عبد الله بن ابى المنافق كان يجالس النبى صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه
الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد
الظل يتقلص عنهم فقال لهم انه يدخل الان عليكم رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فاذا اتاكم
فلا تكلموه فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فقال
علام تشتمنى انت واصحابك فلان وفلان وفلان نفر سماهم باسمايهم فحلف بالله ما فعل وقال له
النبى صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله الاية اعد
الله لهم عذابًا شديدًا نوعًا من العذاب متفاقمًا شديدًا انهم ساء ما كانوا يعملون يعنى انهم كانوا
في الزمان الماضى مصرين على سو العمل مضرين عليه وقيل هى حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا
ايمانهم الكاذبة جنة وقاية وسترة يستترون بها من المومنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم
وسلامتهم عن سبيل الله عن طاعته والايمان به وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون
امر المسلمين عندهم وقيل صدوا المومنين عن سبيل حكم من القتل في انفسهم واموالهم فلهم عذاب مهين
انما وعدهم الله بالعذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابًا فوق العذاب لن تغنى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئًا
قليلا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له لله في الاخرة

كاذبين

كاذبين على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم في الدنيا على شيء من النفع
يعنى لحسن العقيدة من حلفهم لكم فانهم ستر يخفى عليكم الشر يروان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم
واستجرار للفوائد دنيوية وانهم يفعلون في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب
من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما اندرهم الرسل والمراد
وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه الا انهم هم الكاذبون معنى ان الغاية التى لا مطمح ورآها في قول الكذب
حيث استوت حالهم في الدنيا والاخرة استحوذ استولى عليهم الشيطان من حاذ الحمار العانة
اذا جمعها وساقها غالبا لها والحوذ السوق الشديد يقول حذت الابل احوذها حوذا واحوذتها مثله
والاحوذى الخفيف في الشى لحذقه واستحوذ جا بالواو على الاصل كما جا استروح واستصوب واستحوذ
اى ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانسيهم ذكر الله اى ان يذكروا
الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اوليك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله اوليك
في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يومنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
اوليك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اوليك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
۝ ان الذين يحادون الله ورسوله اوليك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى
احدا اذل منهم وقيل في الاذلين الاسفلين الصاغرين في الدنيا بالقتل والسبى وفي الاخرة بالعذاب
والنار كتب الله في اللوح المحفوظ وقضى الله لاغلبن انا ورسلى بالحجة والسيف او باحدهما وذلك
ان المومنين قالوا لئن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولهما فانا نرجوا ان يظهرنا الله على الروم وفارس
قال عبد الله بن ابى اتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله لهم اكثر عددا واشد
بطشا من ذلك فانزل الله كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز لا يمتنع عليه ما يريد
غالب غير مغلوب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما يومنون
بالله واليوم الاخر يوادون يوالون من حاد الله ورسوله اى يوالون اعداء الله ورسوله
المشركين والمقصود به انه لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال
مبالغة في النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم

والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه وعقابه اولئك حزب الشيطان او لئك حزب
الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو عين الاخلاص
كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان وهي موقنة مخلصة وقيل كتب في قلوبهم الايمان كقوله
في جذوع النخل وقيل حكم لهم بالايمان فذكرا لقلب لانه موضعه وايدهم بروح منه وقواهم بنصر منه قاله
الحسن وقال السدي يعني بالايمان ربيع بالقرآن وحججه يقينه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ابن
جرير بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة وقيل ايدهم بجبريل قيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل
مكة السدي نزلت في عبد الله بن عبد الله بن ابي وذلك انه كان جالسا الى جنب رسول الله فشرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فقال يا رسول الله ابق فضلة من شرابك فقال وما تصنع بها
قال اسقيها ابي لعل الله يطهر قلبه ففعل فاتى بها اباه فقال ما هذا فقال فضلة من شراب رسول الله
صلى الله عليه وسلم جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال ابوه هلا جئتني ببول امك فرجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في قتل ابي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل ترفق به وتحسن ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي عليه السلام فصكه ابو بكر صكة سقط
منها ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم او فعلته قال نعم قال فلا تعد اليه
فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لو كان السيف مني قريبا لقتلته فانزل الله هذه الاية عن عبد الله
بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم أُحُدٍ
او ابناءهم يعني ابا بكر دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم يعني
مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم أُحُدٍ او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام
بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة
يوم بدر اولئك حزب الله انصار حقه ودعاة خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الباقون في النعيم
المقيم حكي ان داود عليه السلام قال يا الهي من حزبك وحول عرشك فاوحى الله عز وجل يا داود
الغاضة ابصارهم النقية قلوبهم السليمة اكفهم اولئك حزبي وحول عرشي والحمد لله حق حمده

سورة الحشر مدنية

وهي الف وسبعمائة وثلاثة عشر حرفا واربعمائة وخمس واربعون كلمة واربع وعشرون اية
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسمي هذه السورة سورة بني النضير لانها نزلت في بني النضير وكذا لمفسرون

اجمعها

اجمعها نزلت فيهم قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ٥
ذكر اهل التفسير والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مسجد قبا ومعه نفر من
اصحابه فصلى فيه ثم اتى بني النضير فكلمهم ان يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما فقتلهما عمرو بن امية وهو
لا يعلم فقالوا نفعل وهموا بالغدر به وقال عمرو بن جحاش انا اطرح عليه حجرا فاطرح عليه صخرة فقال سلام بن
مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وجاء رسول الله الخبر فمضى سريعا فتوجه الى المدينة فلحقه اصحابه
فقالوا قمت ولم نشعر فقال همت يهود بالغدر فاخبرني الله بذلك فقمت وبعث اليهم رسول الله محمد بن مسلمة
ان اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به وقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه
فمكثوا اياما يتجهزون فارسل اليهم ابن ابي لا تخرجوا فان معي الفين من قومي وغيرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم
من غطفان وطمع حيي فيما قال ابن ابي فارسل الى رسول الله انا لا نخرج فاصنع ما بدا لك فكبر رسول الله
وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود ثم سار اليهم في اصحابه فلما راوه قاموا على حصونهم معهم النبل
والحجارة فاعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان وكان رئيسهم كعب بن الاشرف قد خرج
الى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله عليه الصلاة والسلام فاخبر الله نبيه بذلك
فبعث محمد بن مسلمة فاغتاله فقتله وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم فقالوا
نحن نخرج من بلادك فاجلاهم عن المدينة فمضى بعضهم الى الشام وبعضهم الى الحيرة وقبض اموالهم وسلاحهم
فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك منهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه
النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا رسول الله احدا وهزم المسلمون ارتابوا ونافقوا
واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا
قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل ابو سفيان في اربعين وكعب
في اربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب بن
الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما تعاقد عليه
كعب وابو سفيان وامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة

الأنصاري وكان أخاه من الرضاعة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة ونقض بعهد حين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعلي يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة حين أعتقهما بنو عامر فأجابوه إلى ذلك وأجلسوه وهموا أن يقتلوه وطرح الحجر عليه من فوق الحصن فلما قتل كعب أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية لهم يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب وكان سيدهم فقالوا يا محمد واعية على إثر واعية وباكية على إثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم ألا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم إنهم أجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينكم فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعوا منك فإن آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل إليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين سألوا النبي الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا السلاح وعلى أن يخلوا ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم ابن عباس صالحهم على أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم الباقي الضحاك أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم التي كانت بيثرب قال ابن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبي عليه السلام من أحد وكان فتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب

وبينهما

وبينهما سنتان لأول الحشر اللام في لأول متعلق بأخرج وهي اللام في قوله يا ليتني قدمت لحياتي وهي لام التوقيت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام اليهود بنو النضير كانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا فكانوا أول من حشر في الدنيا حشروا إلى الشام ابن عباس رضي الله عنه من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يومئذ اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر قال ولهذا لأول الحشر الكلبي إنما قال لأول الحشر لأنهم أول من حشر من أهل الكتاب ونفوا من الحجاز ومن الهمداني كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه وقال قتادة كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل منهم من تخلف ثم إنما قال لأول الحشر لأن الله تعالى فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم في أول ما قاتلهم ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا من المدينة لشدة بأسهم ومنعتهم وبما في حصونهم ومن عددهم وعددهم وظنوا يعني بني النضير أنهم مانعتهم حصونهم من بأس الله حيث دربوها وحصنوها فأتاهم الله أي فأتاهم أمر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غيلة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم يخربون بيوتهم قرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد لأن الإخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها ولكنهم خربوها بالنقض والهدم والباقون بالتخفيف من الإخراب أي يهدمونها وقالوا الإخراب والتخريب بمعنى واحد بأيديهم وأيدي المؤمنين الزهري وذلك أنهم لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم مما يستحسنونها أو العمود أو الباب فيهدمون بيوتهم فينزعونها منها ويحملونها على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها ابن زيد كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدر ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا الضحاك جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا هم ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ويخربونها ثم يبنون ما خرب المسلمون قال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل أعداؤهم ينقبون دورهم من أدبارها يخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتادة كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وفي تقديم الخبر على المبتدأ في قوله مانعتهم حصونهم دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى

معها احد يعرض لهم او طمع في معازيهم والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وقد قذفه الله في قلوبهم
قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ومعنى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين انهم لما
عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا فاتعظوا بما دبر الله ويسر من امر
اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب النار وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير
قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم
فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل
والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار اي وان نجوا من عذاب
الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة **قوله تعالى** ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله
فان الله شديد العقاب ۝ ذلك اي اصابهم ذلك الجلاء والحرب بسبب انهم شاقوا الله
خالفوا الله ورسوله ومن يشاق فان الله شديد العقاب سالما لعذاب الاليم **قوله تعالى**
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ۝ وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بني النضير وتحصنوا في حصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها
فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح امن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت
فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم من قولهم
وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلف المسلمون في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا
وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم
واخبر ان قطعه وتركه باذن الله عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني
النضير وقال فيه حسان بن ثابت ؞ وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير ؞
وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم وانث
الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة وهي النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة
والبرنية وهما اجود النخل وياء اللينة عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها
من اللين ابن عباس كان النبي عليه السلام امر بقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر
الالوان واحدها لون ولين وقيل هي النخل كله من غير استثناء العجوة هي لون من النخل فقال لتمرها اللون
وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة منها ثمن
وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوا ذلك الضرب يقطع شق عليهم مشقة شديدة وقالوا للمؤمنين تزعمون
انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون وتخربون وتقطعون الشجر دعوا هذا النخل فانما هو لمن غلب عليها وقيل هي

النخلة الكريمة

النخلة الكريمة من الارض او تركتموها قائمة على اصولها فلم تقطعوها ولم تحرقوها فباذن الله فقطعها
باذن الله وامره وليخزي الفاسقين اليهود ويذلهم ويغيظهم يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا
ويضاعف لكم حسرة اذا راوكم تحكمون في اموالهم كيف احببتم وتتصرفون فيها ما شئتم واتفق العلماء ان حصون الكفرة
وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقطعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن
مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر
اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد
استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد
مصيب **قوله تعالى** وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ۝ وما افاء الله
على رسوله اي وما رد الله على رسوله ورجعه اليه ومنه فيء الظل والفيء العود والرجوع ويستعمل بمعنى المصير
وانه لم يسعدهم ذلك وقيل ما جعله الله فائدة خاصة منهم من مال بني النضير فما اوجفتم عليه الايجاف من الوجيف
وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل
على هينتكم ومعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على
ارجلكم والمعنى ان ما خول الله عز وجل رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلط
الله عليهم وعلى ما في ايديهم ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه
مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهو ابو دجانة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ولم يسلم من بني النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب والثاني
سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اموال بني النضير كانت مما
افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خالصة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة
في سبيل الله وعن مالك بن اوس بن الحدثان قال ارسل الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخلت عليه فقال
انه قد حضر اهل ابيات من قومك واني قد امرت فيهم برضخ فاقسمه بينهم فقلت يا امير المؤمنين مر بذلك غيري قال
اقبضه ايها المرء فبينا انا كذلك اذ جاءه مولاه يرفا فقال عبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان وسعد يستاذنون فقال
ائذن لهم ثم مكث ساعة ثم جاء فقال هذا علي والعباس يستاذنان فقال ائذن لهما فلما دخل العباس قال

اقض بيني وبين هذا الغادر الفاجر الخائن وهما حينئذ يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أموال بني
النضير فقال القوم اقض بينهما يا أمير المؤمنين وأرح كل واحد منهما من صاحبه فقد طالت خصومتهما
فقال أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالوا قد قال ذلك ثم قال لهما أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالا نعم قال فسأخبركم بهذا الفيء إن الله تعالى خص نبيه بشيء لم يعطه غيره
فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب وكانت هذه لرسول الله خاصة
والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها دونكم ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم ثم يجعل ما بقي مال الله مما أفاء الله على رسوله فلم يزل
على هذه الحال لأنها كانت للأولى فهي مما أعطاه الله خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بها ما
الله عليه وأمر أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة وقوله ما أفاء الله على رسوله
من أهل القرى يعني من أموال الكفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي
من المدينة على ثلاثة أميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام يحكم فيها بما
أراد فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها فأنزل الله هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله
وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب واختلفوا بأي وجه استحقوا سهمهم من مال
الفيء والغنيمة فقال قوم إنهم يستحقونه بالقرابة ولا يعتبر فيهم الحاجة وعدم الحاجة وإليه ذهب الشافعي
وأصحابه وقال آخرون إنهم يستحقون ذلك بالحاجة لا بالقرابة وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه فإذا قسم ذلك
سهم فضل الذكور على الإناث كالحكم في الميراث فيكون للذكر سهمان وللأنثى سهم وقال محمد بن الحسن سوى بينهم ولا
يفضل الذكور على الإناث اختلف العلماء في حكم هاتين الآيتين فمنهم من قال هما واحد والثانية تفسير وبيان للأولى
بين الله حكم المال الذي ذكر في الأولى ومنهم من قال قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الغنائم التي
يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة وغلبة وكانت الغنائم في بدء الإسلام للذين سماهم الله في سورة
الحشر دون الغانمين الموجفين عليها ثم نسخ ذلك بقوله في سورة الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شيء ومنهم من قال
الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير خاصة وقد جعلها الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة بقوله
تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم والآية الثانية نزلت في سائر الأموال التي أصيبت بغير قتال ولم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب ومنهم من قال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى هو الجزية والخراج واعلم أن جملة
الأموال التي للأئمة والولاة فيها مدخل على ثلاثة أصناف أحدها ما أخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم
كالصدقات والثاني الغنائم وهي ما يحصل في أيدي المسلمين من أموال الكافرين بالقهر والحرب والثالث
الفيء وهو ما رجع إلى المسلمين من أموال الكافرين عفوا صفوا من غير قتال ولا إيجاف خيل وركاب مثل مال

الصلح

الصلح والجزية والخراج والعشر الذي يؤخذ من تجار الكفار إذا دخلوا ومثل أن يموت المرتدون ويتركوا أموالهم
أو يموت منهم في دار الإسلام أحد ولا يكون له وارث فأما الصدقات فمصرفها ما ذكر الله عز وجل في قوله
إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وأما الغنائم فإنها كانت في بدء الإسلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع بها ما شاء كما قال تعالى قل الأنفال لله والرسول ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا أنما غنمتم من شيء
الآية فجعل أربعة أخماسها للغانمين يقسم بينهم ولا يخمس عنهم وأما العقار فاختلف العلماء فيه فقال مالك
للإمام أن يحبس الأراضي عليهم ويجعلها وقفا على مصالح المسلمين وقال أبو حنيفة الإمام مخير بين أن يقسمها
بينهم وبين أن يحبسها عليهم ويجعلها وقفا على مصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للإمام حبسها عليهم
بغير رضاهم وحكمها حكم سائر الأموال وهو الاختيار لأن الله تعالى أخرج الخمس منها بعد ما أضاف الجميع إليهم
بقوله غنمتم فدل أن الباقي لهم وحدهم وأما الخمس الباقي فمقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما الفيء فكان يقسم على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما أربعة أخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل بها ما يشاء ويحكم فيها ما أراد والخمس الباقي يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة وأما بعد
وفاته صلى الله عليه وسلم فقد اختلف العلماء في الأربعة الأخماس التي كانت له صلى الله عليه وسلم من الفيء
فقال قوم إنها تصرف إلى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور وهو أحد قولي الشافعي وقال آخرون تصرف
إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر ونحوها يبدأ بالأهم فالأهم وهو القول الآخر
للشافعي وأما السهم الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خمس الفيء وخمس الغنيمة فإنه يصرف
بعده إلى مصالح المسلمين بلا خلاف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والخمس مردود عليكم وهكذا ما خلفه من
المال غير موروث عنه بل هو صدقة يصرف عنه إلى مصالح المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم إنا لا نورث
ما تركناه صدقة وكانت صفايا رسول الله من مال الفيء الذي خصه الله بها ينفق منها على أهله نفقة سنتهم ثم يجعل
ما فضل في الكراع والسلاح في سبيل الله فلما توفي رسول الله وليها أبو بكر رضي الله عنه فجعل يعمل بها
ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وليها عمر على ما وليها رسول الله وأبو بكر فلما استخلف عثمان
ولاها عليا على سبيل التولية وجعل العمل فيها فجعل يعمل فيها على ما وليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه وبالإسناد الثابت عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما الصدقات
للفقراء حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه الآية ثم قال
هذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية حتى بلغ للفقراء والمهاجرين والذين تبوءوا
الدار والذين جاءوا من بعدهم ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها حق ثم قال لئن
عشت ليأتين الراعي بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه قوله كي لا يكون الفيء دولة هي ما يتداول للأغنياء أي يدور في الحد

ومعنى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم كي لا يكون الفي الذي حقه ان يعطى الفقرا بلغة يعيشون بها جدا
بين الاغنيا يتكاثرون به وقيل معناه كي لا يكون الفي دولة بين الروسا والاقويا والاغنيا فيغلبوا عليه
الفقرا والضعفا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم
يصطفي منها ايضا بعد المرباع ما شا فجعله الله لرسوله يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها خمس
فاذا جا خمس وقع بين المسلمين جميعا وقيل معناه كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية
ان الروسا منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزّ بزّ
والمعنى كي لا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد
من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كي لا يكون الفي شيئا
يتداوله الاغنيا بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقرا اما اذا اعطاكم الرسول من الفي والغنيمة فخذوه
وما نهاكم عنه اي عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم للحسن تولية الغنايم ويتبعهم المقول والاحسن
ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفي داخل في عمومه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المراة صعقت مستصعف عو على من يوله مستنكر على من تبعه وطلعه وحديث صفت مستصعف وهو
الحلم في اسمه حديث وحفظ بجامع القران ومن بها دت بالقران وعدت حسن الدنيا والاخرة وامرهم ان
ياخذوا بقولي او يكتفوا امري وسمعوا اسمي في رضي بقولي بعد رضى بالقران في معنى اسمهر ابقولي فقد
اسمهر ابالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن عبد الله بن
مسعود انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرا علي اية من كتاب الله قال
نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ان الله يحب الطيبين ويها بوابا ومن يواهبه ان الله
شديد العقاب لمن خالف رسوله قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك
هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم ٥ قيل للفقرا بدل من لله
والرسول والمعطوف ومنهم من سعى الابدال في لله وللرسول والمعطوف عليهما لان الله اخرج
رسوله من الفقرا في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله وقيل للفقرا بدل من المساكين واعاد
اللام لان العامل في البدل غير العامل في المبدل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقيل معناه

فيلا

فلا يكون ما افا الله على رسوله دولة بين الاغنياء منكم لكي يكون للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم الذين جحوا او هجروا اوطانهم بمكة وقومهم اضاروا النبي صلى الله عليه وسلم
والاسلام يبتغون فضلا من الله ورضوانا لم يقصدوا سوى هدى وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم وقولهم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال
والاهل والعشاير وخرجوا حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام على ما كانت فيه من الشدة حتى ذكر
ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار
غيرها وقيل كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله
الى انهم فقرا وجعل لهم سهما في الزكاة ثم ذكر الله الانصار فقال والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين
الدار والايمان اي نزلوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل نزلوا الدار وجعلوا
الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك وقيل اراد دار الهجرة
ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع
المضاف اليه مقامه وقيل سمى المدينة لانها دار الهجرة وكان ظهور الايمان بالايمان وقيل تحذوا المدينة
دار الايمان والهجرة وهم الانصار اسلموا في ديارهم وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه
وسلم بسنتين واحسن الله الثنا عليهم من قبلهم من قبل المهاجرين وبطل الاول والذين نزلوا الدار والايمان
من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل قدوم المهاجرين عليهم يحبون
من هاجر اليهم يعني يحب الانصار المهاجرين بعطفهم حتى شاطروهم اموالهم وانزلوهم مساكنهم ومن كانت عنده
امراتان نزل عن واحدة منهما لواحد منهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزن وغيظا وحسدا مما اوتوا اي
مما اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين بني النضير وقيل لا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي
طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطه من مالك
حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شي منه تحتاج اليه وقيل مما اعطوا من الفضل والتقدم عليهم
وقيل ضيقا لما يقعون عليهم وقيل معناه هم راضون بما اوتوا اعين جيدها غير نائرا اولا من جهد في اموالهم
وقيل لا يجدون في انفسهم مس حاجة من فقد ما اوتوا فحذف المضاف ويوثرون اي ويقدم الانصار اخوانهم
المهاجرين على انفسهم باموالهم ومنازلهم ولو كان بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يوثرون وذلك انهم قاسموهم
ديارهم واموالهم والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين
من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شي
من هذه الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم

فمن ثم قيل وعن ابي هريرة جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فقال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني جائع فاطعمني فبعث النبي عليه السلام الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن
والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك
هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله
فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم حتى يناموا ولا تطعميهم شيئا ثم اسرجي فاذا اخذ
الضيف ليأكل فقومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئا
ثم قامت فاثردت واسرجت فلما اخذ الضيف ليأكل قامت كانها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يمضغان
السنتهما لضيف رسول الله عليه السلام وظن الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع ضيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وباتا وبات طاويين فلما اصبحا غدوا الى رسول الله فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله
من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح
نفسه والشح بالضم حرص على المنع وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها والبخل هو المنع نفسه ومنه قوله
واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بتوفيق الله تعالى فاولئك
هم المفلحون الظافرون بما ارادوا   والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين   وهم الذين هاجروا
بعد المهاجرين الاولين   وقيل التابعون باحسان وقيل الذين يجيئون الى يوم القيامة وقيل الناس على
ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان   والذين جاءوا من بعدهم فاجهد ان لا تكون
خارجا من هذه المنازل يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان عن ابن عباس امر الله
تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عائشة رضي الله عنها امرتم بالاستغفار
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة
حتى يلعن آخرها اولها ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم   قوله تعالى
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا (من اهل الكتاب) لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا
وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ٥ الم تر الى الذين نافقوا اظهروا خلاف ما اضمروا فان المنافق
يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج من العقد والنفاق لفظ اسلامي لم يكن العرب تعرفه قبل الاسلام يقولون

لاخوانهم

لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب وهم قريظة والنضير ومعنى لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر
ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم في قتالكم احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا على القتال وقيل في خذلانكم
واخلاف ما وعدناكم من النصر ولئن قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم فاللام محذوفة لننصرنكم لفظا ويكون احسن
المعاونة والله يشهد انهم لكاذبون فيما سماهم كاذبين مما قالوا لهم ان الكذب يكون في الماضي والحلف
يكون في المستقبل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي هم لا يفون بما عاهدوهم واللام
الاولى لام توطئة القسم واللام الثانية لام القسم وما بعدها جواب القسم دون جزاء الشرط وقد تحذف لام التوطئة
اكتفاء بدلالة جواب القسم عليه بقوله وان قوتلتم لننصرنكم اراد ولئن قوتلتم قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون
اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم وقيل
ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين وقيل في قوله ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون
بعد قوله لا ينصرونهم اقوال فان الله اذا اخبر عن شيء لم يوجد الخبر بخلاف ما اخبر به فلئن تعاطوا نصرهم
ما نصروهم وقيل او نصروهم ولوا الادبار ويكون حيلا لا نصرا لان النصر صدق المعاونة واحتمال المظاهرة
وقيل لا ينصرونهم اي لا يقدرون على النصر وقيل لا ينصرونهم طائعين وان نصروهم كارهين وقيل المعنى
في قوله ولئن نصروهم لغير الذين اخرجوا لا ينصرونهم وقيل ولئن نصر اليهود المنافقين والضميران يحتملان
لانتم اشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية في صدورهم من الله دلالة على نفاقهم
يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله ومعناه ان رهبتهم من الله
التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لكم رهبة شديدة من الله وقيل يريد ان اليهود تخافونكم في صدورهم اشد
من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس شديد ويحتمل انهم كانوا يستخفون لكم مع اضمار الخفية في صدورهم
ذلك بانهم قوم لا يفقهون فان الفقه هو العلم بمقصود الكلام ظاهره الجلي وخافيه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة
وهو لا يتوجه الا لمن وفقه الله ثم اخرج سوء النصير لم يخرجوا معهم وقتل قريظة ولم ينصرهم منافق
لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود وقيل اليهود والمنافقين الا كائنين
في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر اي كمين وابو عمرو جدار بالالف على الواحد والباقون
بضم الجيم والدال اي اذا اجتمعوا لقتالكم لم يخرجوا اليكم ولم يبارزوكم بل يقاتلونكم متحصنين بالسور
والخندق او من وراء جدار بالنبل والحجر بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم
فهم اجبن خلق الله وقيل بأسهم بينهم شديد يعني بعضهم فظ على بعض وبعضهم عدو لبعض وعداوة بعضهم

لبعض بيده وقيل ان البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم
ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين وقلوبهم
شتى متفرقة لا الفة بينهم قيل يريد ان بينهم اختلافا وعداوات فلا يتعاضدون ويحق التعاضد ولا يرمون عن قوس
واحدة فهذا اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة شهاداتهم مختلفة اعمالهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق
مجاهدا دائما دين المنافقين يخالف دين اليهود وهذا تشجيع للمؤمنين في قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان
العداوة لا تقع من العقلاء قيل التي الله في قلوبهم الرعب فشق اختلاف ما فعل بالمؤمنين من قوله والف بين قلوبهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون امر دينهم **قوله تعالى** كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا و
بال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف
الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ۞ كمثل الذين
من قبلهم اي مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم وهم مشركو مكة ذاقوا وبال امرهم يوم بدر قريبا منصوب
بمثل اي على وجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله عليه الصلوة والسلام
من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ابن عباس
رضي الله عنه كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان قريبا
ذاقوا وبال امرهم الجلاء والنفي وقيل كمثل من اهلك الله من الامم وقيل بعدين ولئن نصروهم ليولن الادبار
كمثل الذين من قبلهم قريبا يوم بدر كمثل الشيطان ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود في تخاذلهم اي مثل
المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم واخلافهم مثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اي اغوى الانسان بالدعوة ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر
وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء
منكم وقيل هذا عام في جميع الكفار في دعائه اياهم الى الكفر والمعاصي ووعده بالغرور ابن عباس في قوله
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر كان راهب في الفترة يقال له برصيصا وكان قد تعبد في صومعة له
سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فلم يستطع له شيئا فجمع ذات
يوم مردة الشياطين فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي
تصدى للنبي عليه الصلوة والسلام وجاءه في صورة جبريل ليوسوس له على وجه الوحي فجاء جبريل حتى دخل بينهما
ثم دفعه بيده دفعة هينة فوقع من دفعة جبريل الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك فانطلق
على صفة الرهبان فاتى صومعته فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلوته الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا
في كل عشرة ايام فلما راى انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع فراه منتصبا
يصلي على هيئة حسنة فناداه ما حاجتك قال احببت ان اكون معك اقتبس من علمك واتادب بادبك

ويجمع

ونجتمع على العبادة فقال برصيصا اني لفي شغل عنك ثم اقبل الابيض يصلي فلم يقبل اليه برصيصا
اربعين يوما ثم انفتل فراه يصلي فلما راى شدة اجتهاده قال ما حاجتك فاعاد عليه القول فاذن له
فصعد اليه فاقام معه حولا لم يفطر الا كل اربعين يوما ولا ينفتل من صلوته الا في كل اربعين يوما
وربما زاد على ذلك فلما راى برصيصا اجتهاده احتقر شانه وتقاصرت اليه نفسه فلما حال الحول قال الابيض
لبرصيصا اني منطلق عنك فان لي صاحبا غيرك ظننتك اشد اجتهادا مما ارى وقد بلغنا عنك غير
الذي ارى فاشتد ذلك على برصيصا وكره مفارقته فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دعوات اعلمها
لتشفي الله بها السقيم وتعافي بها المبتلى فقال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واخاف
ان يعلم الناس بها فيشغلوني عن العبادة فلم يزل حتى علمه اياها ثم انطلق الى ابليس فقال والله اهلكت
الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا
افاعالجه قالوا نعم فقال لهم اني لا اقوى على جنيه ولكن سارشدكم الى من يدعو الله فيعافيه قالوا دلنا قال
انطلقوا الى برصيصا فانه يدعو الله فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل بالناس ذلك
ثم يرشدهم الى برصيصا فيعافون الى ان انطلق الى جارية من بنات ملوك بني اسرائيل لها ثلاثة اخوة فخنقها
ثم جاء اليهم في صورة متطبب فقال اعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم
الى رجل يدعو لها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها قالوا من هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يقبلها منا
وهو اعظم شانا من ذلك قال ان قبلها والا فضعوها في صومعته وقولوا هي امانة عندك فانطلقوا اليه
فابى عليهم فوضعوها عنده وفي بعض الروايات انه قال ضعوها في ذلك الغار وهو غار الى جنب صومعته
فوضعوها فجاء الشيطان فقال له انزل اليها فامسحها بيدك تعافى وتنصرف الى اهلها فنزل فلما دنا الى باب
الغار دخل الشيطان فيها فاذا هي تركض فسقطت عنها ثيابها فنظر العابد الى شيء لم ير مثله حسنا وجمالا
فلم يتمالك ان وقع عليها فضربه على اذنه فجعل يختلف اليها الى ان حملت فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا
قد افتضحت فهل لك ان تقتل هذه وتتوب فان سالوك عنها قلت جاء شيطانها فذهب بها فلم يزل به حتى
قتلها ودفنها ثم رجع الى صومعته فاقبل على صلوته اذ جاء اخوتها يسالون عنها فقالوا يا برصيصا
ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما
امسوا اتى الشيطان الى كبيرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه
دفنها في موضع كذا من جبل كذا فقال هذا حلم وبرصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال وهو لا يكترث
فانطلق الى الاوسط كذلك ثم الى الاصغر بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه لقد رايت كذا وكذا فقال
الاوسط وانا والله وقال الاكبر وانا والله فاتوا برصيصا فسالوه عنها فقال قد اعلمتكم بحالها فكانهم
اتهموه فقالوا لا والله واستخفوا وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وكذا

وان اراد ها الخارج من الباب فانطلقوا فحفروا عنها فوجدوها فقالوا يا عدو الله لم قتلتها اهبط فهدموا
صومعته ثم اوثقوه وجعلوا في عنقه حبلا ثم قادوه الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان عرض
له فقال تقتلها ثم تكابر فاعترف فامر الملك بقتله وصلبه فعرض له الابيض فقال اتعرفني قال لا قال
انا صاحبك الذي علمك الدعوات ويحك ما اتقيت الله في امانة خنت اهلها اما استحييت من الله
الم يكفك ذلك حتى اذا اقررت فضحت نفسك واشبهت من الناس فان مت على هذه الحالة لم تفلح
انت ولا احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة حتى انجيك واحد باعينهم واخرجك
من مكانك قال وما هي قال تسجد لي سجدة فقال هذا الذي اردت منك فصار عاقبة امرك ان
كفرت اني بريء منك ثم قتل فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم المنافقون ثم اسلموهم اني اخاف الله
رب العالمين فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك انهما في النار [illegible] الطرف مسقطا خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين
من اهل المدينة وذلك ان الله عز وجل امر نبيه ان يجلي بني النضير عن المدينة فدس المنافقون
اليهم فقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم
فاطاعوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم
فناصبوا الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله قال ابن
عباس فكانت الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور
في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله تعالى مما رموه به
انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ۝ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اداء فرائضه واجتناب
معاصيه ولتنظر نفس نكرها لنفس استقلالا للانفس النواظر فيما قدمت للاخرة كانه قال نفس واحدة
في ذلك ما قدمت لغد نكرها لغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا تعرف كنهه لعظمه واتقوا الله
كرر الامر بالتقوى للتاكيد وقيل اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك
المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن
الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل
عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حق
الله وتركوا امره فانساهم انفسهم اي فاراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم كقوله لا يرتد اليهم

طرفهم

طرفهم لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة
فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار
والبون العظيم بين اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ولم يعرفوا ان اصحاب
الجنة هم الفائزون فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من
لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي
بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر **قوله تعالى**
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۝ لو انزلنا هذا القران مع امره ونهيه ووعده
ووعيده وبيان توحيده واثبات نبوة انبيائه وبيان المبدا والمعاد وذكر عجائبه على جبل وركبنا
فيه العقل لرايته خاشعا في صلابته [illegible] خاضعا منقادا متصدعا من خشية الله من خوف عذابه
وقلوب بني ادم لم تخش ولم ترق وقيل هذا امتنان على النبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران
على جبل لما ثبت له ولتصدع لنزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له وقيل لو انزلنا هذا القران
على جبل وجعلنا فيه تمييزا لرايته خاشعا وهذا على وجه التمثيل والتخييل كما ذكر في قوله تعالى
انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس وهذا توبيخ لمن لم يؤثر القران
في قلبه مع الفهم والعقل لقسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القران وتلك الامثال اشارة الى هذا
المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل لعلهم يتفكرون في امثال الله **قوله تعالى**
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم ۝ قيل هذه الاية ترجع الى اول السورة وقيل ترجع الى قوله من خشية الله وقيل
هو جواب لمن سأله [illegible] وقيل لما ذكر ما يدل على عظمة القران اخبر عن عظمته وكبريائه وربوبيته فقال
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة وهي
ما علموه وعاينوه وشاهدوه وقال الحسن السر والعلانية وقيل الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان اي
المعدوم والموجود المدرك كانه يشاهده وقيل الغيب الاخرة والشهادة الدنيا وقيل الغيب
ما غاب عن الحواس والشهادة ما يدرك بالحواس هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو
الملك القدوس الطاهر من كل عيب البليغ في النزاهة عما لا يليق به [illegible] المبارك اي كثير المجد
ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام بمعنى السلامة ومنه

دار السلام والسلام عليكم وصف به مما لحق وصف كونه سليما من النقائص وفي اعطائه السلامة
وقيل سلم من الاوصاف التي لا تليق به وقيل سلم عباده من ظلمه المؤمن واهل الامن وقيل مؤمن
عباده من الخوف وقيل المصدق رسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب
ونائل اعاديهم ومصدق الكافرين ما اوعدهم من العقاب ابن زيد هو الذي يصدق المؤمنين اذا وحدوه
الحسين بن الفضل هو الداعي الى الايمان والامر به والموجب لاهله اسم القرطبي هو المجير كما قال
وهو يجير ولا يجار عليه ابن عباس ومقاتل هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن من عقابه من الامان
الذي هو ضد الخوف كما قال وامنهم من خوف قال النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان
مكة بين الغيل والسعد المهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء ابن
عباس ومجاهد وقتادة الشهيد الضحاك الامين المصدق عطاء المؤمن على خلقه عمان هو المطلع
سعيد بن المسيب القاضي وقيل الحديث المسبل عكرمة الدال ابو عبيدة خمسة احرف في كلام العرب
على هذا الوزن المهيمن المسيطر المبيطر المبيقر وهو الذاهب في الارض وقيل اسم جعل ابن كيسان
هو اسم من اسماء الله في الكتب الله اعلم بتاويله العزيز الغالب غير المغلوب وقيل لا يرام ولا يمنع
عليه ما يريد الجبار ابن عباس العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا صفة الذات وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح
يقال جبرت العظم اذا اصلحته بعد الكسر وجبرت الامر فانجبر وجبرته فجبر ومنه قولهم لا زمان دمتها قال العجاج
قد جبر الدين الاله فجبر السدي هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد محمد بن كعب انما سمي
الجبار لانه جبر الخلق على ما اراد والخلق ادق شانا من ان يعصوا وبهم طرفة على الاله اراد وسئل بعض
الحكماء عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله وحكم فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجز ولا يفكر
فيمن دونه ان ادم احسن من غير طاعة وان ابليس لعين على غير الطاعة وقيل هو الذي لا تناله الايدي
من قول العرب نخلة جبارة اذا طالت وفاتت الايدي قال الشاعر نواسوها وابتنت
فروعها وعالين سوداء من نسر احمرا المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم
عما لا يليق به واصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد قال الشاعر عفت مثل ما
يعفو الفصيل فاصبحت بها كبرياء الصعب وهي ذلول وقيل المستحق لصفات التعظيم سبحان الله
عما يشركون هو الله الخالق المقدر والمقلب للشيء بالتدبير الى غيره كما قال يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا
من بعد خلق وقال وقد خلقكم اطوارا البارئ المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود وقيل
المميز بعضه من البعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بها المعرفة
حتى يعرف بعضها من بعض يقال هذه صورة الامر اي مثاله فالاول يكون خلقا ثم براء ثم تصويرا اذا انتهى
وكمل له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم صدق الله وصح ما فسرناه

فسبحان

فسبحان الله على كل حال عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قائما على هذا المنبر يعني منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي عن ربه عز وجل فقال ان الله
تعالى اذا كان يوم القيامة جمع السموات والارضين في قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته
ثم بسطها ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن
انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدات الدنيا ولم تك شيئا انا الذي اعيدها
اين الملوك اين الجبابرة

سورة الممتحنة

مدنية وهي الف وخمسمائة وعشرة احرف وثلثمائة وثمان واربعون كلمة وثلث عشرة اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم
ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم
اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا
اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ٥ نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل
والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني
وتكسوني وتحملوني قال لها فاين انت من شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة
بدر فحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها واعطوها
نفقة فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة
دنانير اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل
جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم
تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا
معها شيئا فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم سنة وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من
ذوائبها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولما معها ورجعوا بالكتاب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل
تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة
من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم اي غريبا وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ
عندهم يدا وعلمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب
عنق هذا المنافق فقال رسول الله وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال لهم
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت في شان حاطب
ومكاتبة المشركين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي … تعدى الى مفعولين الاول عدوي
والثاني اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد
تلقون حال من ضمير لا تتخذوا او صفة لاولياء … ولا حاجة الى الضمير البارز لانه فعل
والضمير البارز شرط في الاسماء دون الافعال … تلقون اليهم بالمودة على الوصف لوجب الضمير
البارز … والالقاء ايصال المودة والايصال بها اليهم فقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه … وقيل
استئناف اي تلقون اليهم بالمودة وقيل … مفعول اي تلقون اليهم بالمودة الباء في بالمودة
زائدة مؤكدة للتعدي … ولا تلقوا بايديكم … مفعول تلقون محذوف معناه تلقون
اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم
بالمودة اي تفضون اليهم مودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة وقد كفروا حال من لا تتخذوا او من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم والحال
انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن يخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم وقيل حال من كفروا
الرسول واياكم من مكة ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لاجل ايمانكم … ذكر
بلفظ المضارع يخرجون … ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني
لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وقيل
ان شرط خرجتم جهادا اي خرجتم من اوطانكم للجهاد هذا … في اللفظ مقدم في المعنى والتقدير ان كنتم
خرجتم للجهاد وتطلب مرضاة الله فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون
اليهم بالمودة قيل بدل من تلقون اليهم بالمودة وقيل استئناف معناه اي طائل لكم في اسراركم بالمودة

وانا اعلم

وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي وقد علمتم اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم لا … والاعلان عندي لانه
في علمي لا يتفاوت … لا يطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله … الاسرار فقد ضل سواء
السبيل طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم … يكونوا لكم
اعداء خالصي العداوة ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم
بالقتل والسنتهم بالسوء بالسب والشتم … وودوا لو تكفرون او
يرتدون عن دينكم فلا يوادونهم ولا يناصحونهم فانهم لا يوادونكم ولا يناصحونكم … مرادهم …
خطاء عظيم منكم ومغلطة … ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف ورد جواب الشرط مضارعا مثل الشرط ثم قال ووردوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري
مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق
المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد
اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم ثم قال لا تدعونكم قراباتكم واولادكم الذين … الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة اعدائهم ومظاهرتهم فلن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم
الله تعالى لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم فيدخل اهل طاعته والايمان به الجنة
ويدخل اهل معصيته والكفر به النار ويوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر
منكم غدا خطابا لهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوا اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة
ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرا عاصم ويعقوب يفصل بفتح الياء وكسر الصاد
مخففا وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء وكسر الصاد مشددا وابن عامر بضم الياء وفتح الصاد وتشديده
والباقون بضم الياء وفتح الصاد مخففا والله بما تعملون بصير فيجازيكم باعمالكم **قوله تعالى**
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ۝ قد كانت لكم
اسوة حسنة قدوة حسنة في ابرهيم والذين معه والاسوة هي اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن
مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره اذ قالوا لقومهم الكفار … قولهم … ما قالوا حين كاشفوهم بالعداوة

وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضهم ليس إلا كفرهم
بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة
موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فاخلصوا من الإخلاص والذين معه من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء
إذ قالوا لقومهم إنا براء جمع بريء مثل ظريف وظرفاء منكم ومما تعبدون من دون الله أي معبودكم
كفرنا بكم أي جحدنا بكم وأنكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده
إلا قول إبراهيم استثناء من قوله أسوة حسنة لأن المراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به
ويتخذوه سنة يستنون بها يعني قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم في أقواله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن
لك فإنه لا يأتسوا بإبراهيم في هذه خاصة ويستغفروا للمشركين وقيل المعنى هلا فعلت يا حاطب كما فعل
إبراهيم ومن كان معه من قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وذلك لموعدة وعدها إياه قال صاحب
الكشاف فإن قلت فلم قوله وما أملك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله قل فمن يملك
من الله شيئا قلت أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه
وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار وما أملك من الله من شيء من عذاب
وقيل هذا من تمام قوله والاستثناء من المضمر مع إبراهيم وهو أقواله وقيل الاستثناء منقطع أي
لكن قول إبراهيم لأبيه فليس لكم فيه أسوة قيل وفي هذه الآية دليل على تفضيل نبينا وذلك أنه حين
أمر بالاقتداء به أمر على الإطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين
أمر بالاقتداء بإبراهيم استثنى ربنا عليك توكلنا قيل هذا من تمام كلام إبراهيم أي يقول إبراهيم ومن معه
ربنا عليك توكلنا وقيل استئناف أي قولوا وقيل خطاب لحاطب أي قل يا حاطب هذا فلم يجيء إلى
ما فعلت وإليك أنبنا وإليك المصير المرجع وقيل ربنا عليك توكلنا متصل بما قبل الاستثناء وهو
من جملة الأسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقولوه وتعليم
منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها
على الإنابة إلى الله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا طاقة لنا به
وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك وقيل لا ترسلهم فيسمون لنا وقيل لا تظفرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق
ونحن على الباطل وقيل احفظنا من السلطان لا تسلطهم فيصيرونا لهم واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم
ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد
فقال لقد كان لكم فيهم في إبراهيم والذين معه من المؤمنين أسوة حسنة لمن كان يرجو الله بدل من لكم
ثم عقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به فلما نزلت هذه الآيات
شدد المؤمنون في عداوة أقربائهم المشركين من آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم ومقاطعتهم في الله وأظهروا لهم

العداوة

العداوة والبراءة **قوله تعالى** عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
مودة والله قدير والله غفور رحيم ٥ فلما وعد الله من المؤمنين شدة وجدهم بذلك والصبر
عليها وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه عسى الله وعد
من الله تعالى على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في
تمام ذلك أو قصد به إطماع المؤمنين أن يجعل بينكم أيها المؤمنون وبين الذين عاديتم منهم يعني مشركي
مكة مودة والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وجعل المودة والله غفور رحيم لمن
أسلم من المشركين ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم
وتزوج النبي عليه السلام أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب فلان لهم أبو سفيان وكانت أم حبيبة
تحت عبيد الله بن جحش وكانت هي وزوجها ممن هاجر إلى الحبشة فتنصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت
وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليخطبها
له فقال النجاشي لأصحابها من أولى بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل ومهرها
النجاشي أربعمائة دينار وساق إليه امرأتها وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه **قوله تعالى**
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا
إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من
دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ٥ ثم رخص الله
تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من جميع الكافرين فقال تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم بدل من الذين
لم يقاتلوكم وتقسطوا عطف على تبروا إليهم أي تعدلوا فيهم بالإحسان والبر إن الله يحب المقسطين
والإقساط أن تعطوهم مثل ما تعطون أي وتعطوهم ما تبذلون من طعام وغيره قسطا يقول أقسط
أي عدل وسبب القسط أي الجور وقيل أقسط أعطى قسطه وأنصف أعطى نصفه أي نصيبه وعدي بإلى
لتضمنه معنى الإحسان وقيل أنهوا إليهم بالقسط والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وهذا رخصة لهم
لشدة وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم
بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم قال ابن عباس نزلت في خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وسراقة بن مالك بن
جعشم وبنو مدلج وكانوا صالحوا النبي على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا عبد الله بن الزبير نزلت في أسماء بنت
أبي بكر رضي الله عنهما وذلك أن أمها قتيلة بنت العزى قدمت المدينة بهدايا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل
منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى أستأذن رسول الله فسألت لها عائشة رضي الله عنها رسول
الله فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتحسن إليها من الهدايا

وعطية العوفي نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس وقيل هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النسا
والصبيان وعن قتادة نسختها اية القتال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم اي عن تولي هولا وبرهم واخرجوكم
من دياركم اي المشركين وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم بدل من الذين قاتلوكم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون لانهم وضعوا الولاية في غير موضعها **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم
والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما
انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ٥ يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك وقيل لانهن يشارفن لثبات
ايمانهن مهاجرات من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات
ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن عن ابن عباس معنى امتحانهن ان يستحلفن ما خرجن من بغض زوج وما خرجن رغبة
عن ارض الى ارض وما خرجن الا حبا لله ورسوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله عليه السلام معتمرا حتى
كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة من اصحابه ردوه عليهم ولم يردوا عليه وكتبوا بذلك كتابا
وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية فاقبل زوجها مسافر من بني مخزوم قال المقاتلان هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد
اردد على امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله
يا ايها الذين امنوا فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل
منا وما خرجت الا رغبة في الاسلام فحلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء اذا امتحن ويعطي ازواجهن الكفار
ما انفقوا عليهن من المهر الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون منه علما تطمئن معه نفوسكم فان استحلفتموهن
ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف
وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك واتوهم واعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا مثل ما دفعوا اليهن
من المهور سمى الظن الغالب علما في قوله فان علمتموهن مؤمنات ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد
والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وفائدة قوله

الله اعلم

الله اعلم بايمانهن ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن
فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم
لا يعدوه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن وان كان لهن ازواج كفار في دار الكفر
لانه فرق بينهما الاسلام اذا استبرئت ارحامهن قال صاحب الكشاف ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هولا
المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن
ليدفعنه الى ازواجهن فشرط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل
القرض ثم تزوجهن على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد
من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا
وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا قرا ابو عمرو وعاصم
بالتشديد من التمسيك والباقون بالتخفيف من الامساك بعصم الكافرات ولا تمسكوا عصم الكوافر
والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وامرهم بفراقهن يعني اياكم واياهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال
ابن عباس يقول لا ياخذ بعقد الكوافر من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها فقد انقطعت عصمتها منه
وليست له بامراة وان جاءتكم امراة من اهل مكة ولها بها زوج فلا تعتدن به فقد انقطعت عصمته منها
قال الزهري فلما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امراتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت
ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو الخزاعي
ام عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فتزوجها ابو جهم بن حذافة رجل من قومها وهما على شركهما واسالوا ايها
المؤمنون الذين ذهبت ازواجهم فلحقن بالمشركين ما انفقتم عليهن من الصداق ممن تزوجهن منهم وليسالوا
يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم مؤمنات اذا تزوجن منكم من تزوجها منكم ما انفقوا الى ازواجهن
المشركين من المهر ذلكم اشارة الى جميع ما ذكر في هذه الاية حكم الله يحكم بينكم كلام مستانف وقيل حال
من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا العهد والهدنة التي
كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا
وكذلك كان يصنع من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المؤمنون بحكم الله فادوا ما امروا به
من نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله تعالى فيما امروا به من اداء نفقات المسلمين
فانزل الله وان فاتكم شيء واعطف سبقكم ايها المؤمنون شيء من ازواجكم لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة
هي ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه
فعاقبتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وظفرتم وكانت العاقبة لكم والمراد معناه فغلبتم من بعدهم وصار

الامر اليهم قال صاحب الكشاف فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فاتوا الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار منكم مثل ما انفقوا عليهن من العقبة التي صارت في ايديكم من اموال الكفار وقال صاحب الكشاف فان فات من امراته الى الكفار فمثل مهرها من مهر امراة تجي ولا يؤتى زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر قال ابن عباس وكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى وزوجها عمرو بن عبد وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعطاهم رسول الله مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مومنون

قوله تعالى

يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ۝ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الاية وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن وهو ان تقذف ولدا على زوجها وليس منه كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين يديها ورجليها لان الولد اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها الذي يحمله بطنها الذي بين يديها وفرجها الذي بين رجليها فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك

في معروف

في معروف فيما امرهن به من الحسنات ونهاهن عنه من المعاصي وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف وانما لم يقتصر على قوله ولا يعصينك مع انه قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر الا بالمعروف تنبيها بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بالتوقي والاجتناب فقالت هند والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت رسول الله ارحم بنا من انفسنا قلت يا رسول الله صافحنا قال اني لا اصافح النساء وانما قولي لامراة كقولي لمائة امراة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله يبايع النساء بالكلام بهذه الاية وما مست يد رسول الله يد امراة قط الا امراة يملكها وعن الشعبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء وعلى يده ثوب قطري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي عليه السلام كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن فيه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ۝ قوما غضب الله عليهم هم اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا يعني هولاء اليهود يئسوا من الاخرة ان يكون لهم فيها حظ وثواب لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور من موتاهم ان يرجعوا اليهم احيا وسعيد عن ابن عباس والحسن ومجاهد هم الكفار اصحاب القبور من الاخرة يكون من اصحاب القبور بان للكفار مجاهد كما يئس الكفار من اصحاب القبور الكفار حين دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله لانهم تيقنوا حالهم وسوء منقلبهم ۝

سورة الصف مكية

قال ابن يسار وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور انها مدنية ويقال لها سورة الحواريين وهي تسعمائة حرف ومائتان واحدى وعشرون كلمة واربع عشرة اية

قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ۝ عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سلام قال خرجنا نتذاكر فقلنا ايكم ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيساله اي الاعمال احب الى الله عز وجل ثم هبنا ان ياتيه احد منا فارسل الينا رسول الله فجمعنا فجعل بعضنا يومي الى بعض فقرا علينا سبح لله الى اخرها ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص عن عبد الله بن سلام قلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه السورة وقيل ان الرجل كان يجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فعلت كذا وكذا وما فعل فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الضحاك كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر فنزلت هذه الاية ابن عباس كان ناس من المومنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون

وددنا لو أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبرهم الله تعالى أن أفضل الأعمال
الإيمان والجهاد فكره ذلك ناس منهم وشق عليهم الجهاد وتباطؤوا عنه فنزلت هذه الآية عن سعيد بن
المسيب عن صهيب كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين ونكأ فيهم فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول
الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب أخبر النبي
صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فإن فلانا ينتحله فقال صهيب إنما قتلته لله ولرسوله فقال عمر وعبد الرحمن
يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم يا رسول الله فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
أي نزلت في المنافقين كانوا يعدون المؤمنين النصر ويقولون لو خرجتم خرجنا معكم ونصرناكم فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه فنزلت هذه الآية لم هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية
كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف
كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء
السكت أو الإسكان ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة
عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم كبر مقتا عند الله هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب
من غير لفظه ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج
عن نظائره وأشكاله وأسند إلى قوله أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون
مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل
نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله أبلغ من
ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك قوله إن الله يحب الذين
يقاتلون عقيب ذكر مقت القول بلا فعل دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في
قتال الكفار فلم يفوا صفا صافين أنفسهم أو مصفوفين ولا يزولون عن أماكنهم كأنهم في تراصهم من غير
فرجة وخلل بنيان رص بعضه على بعض ووصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات
صفا كأنهم بنيان حالان متداخلان **قوله تعالى** وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني
وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين
إذ منصوب باذكر أو حين قال لهم كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه
وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب
الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا أني رسول الله وقضية
علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله

علما بأن

علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله
قلوبهم عن الدين والله لا يهدي القوم الفاسقين **قوله تعالى** وإذ قال عيسى بن
مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين إنما قال عيسى يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال
موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه إني رسول الله إليكم مصدقا أرسلت إليكم في حال تصديقي
لما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهو الذي
لا يذم قيل إن الأنبياء كلهم حمادون لله تعالى ونبينا أحمد أي أكثر حمدا لله منهم وقيل إن الأنبياء كلهم محمودون
ونبينا أحمد أي أكثر مناقب وأجمع للفضائل أي أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر
وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم
من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل والناصب مصدقا
ومبشرا ما في الرسول من معنى الإرسال ولا يجوز أن ينتصب بإليكم لأن إليكم صلة للرسول ولا يجوز
أن يعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى
فعل فلا تعمل فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين **قوله تعالى** ومن أظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون ٥ ومن أظلم وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام
الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي
هو دعاؤه إلى الحق هذا سحر مبين لأن السحر كذب وتمويه يريدون ليطفئوا أصله أن يطفئوا
كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك
جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الإضافة في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم
تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مبين مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور
الشمس ليطفئه والله متم نوره قرئ بالتنوين وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة والباقون رفع منون نوره
نصب ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى بالقرآن
ودين الحق الملة الحنيفية التي هي الإسلام ليظهره على الدين كله على جميع الأديان المخالفة ليعليه
ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وقيل ليظهره بالحجج
والبينات وقيل ليطلعه على جميع الأديان وما خالف أهلها فيه رسلهم حتى يكون عالما بذلك
وقيل ليظهره على الدين كله نزول عيسى ودخول أهل الأرض قاطبة في الإسلام **قوله تعالى**

يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وبشر المؤمنين ○ يا ايها الذين امنوا الخطاب للمخاصين وقيل عام كما في اول السورة هل ادلكم
استفهام في اللفظ الجاب في المعنى على تجارة تنجيكم تخلصكم وتبعدكم من عذاب اليم قرا ابن عامر بالتشديد
من التنجية والباقون بالتخفيف من الانجا تؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فبين ما هي فقال
تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم وتجاهدون عطف على تؤمنون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم وانما جي على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان بالله
ورسوله وجهاد في سبيل الله موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة
لقوة الرجا كانها وجدت وحصلت وقيل يغفر لكم جواب لقوله هل ادلكم ووجهه ان متعلق الدلالة هو
التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد وكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت هذه الاية فمكثوا ما شا الله يقولون
ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر لوارد على
النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به وذلكم اي ما ذكر من الايمان
والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ان
الايمان والجهاد خير لكم واعتقدتم احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون
وتفلحون يغفر لكم قد ذكرنا انه جواب لقوله تؤمنون لانه خبر في معنى الامر ويدخلكم عطف على يغفر
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم الى
هذه النعم المذكورة من المغفرة والثواب في الاجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله
نصر من الله وفتح قريب عاجل وهو فتح مكة للحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شي من التوبيخ على
محبة العاجل وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل امنوا بالله ورسوله وجاهدوا
في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن في الاجل وينصركم في العاجل وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله
قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين
امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ○ ثم حثهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو كونوا انصارا لله منونة والباقون

انصار الله

انصار الله بالاضافة اي دوموا على ما انتم عليه وانصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى
من انصاري وحرك نافع يا من انصاري قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه صحة التشبيه
وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه
محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من
انصاري الى الله ومعنى من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري
خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري
من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني
مع الله لانه لا يطابق الجواب فامنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فايدنا مؤمنهم على كافرهم
وظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة قيل الخطاب لاهل المدينة وهم الانصار وكانوا
سبعين نفرا بايعوا رسول الله ليلة العقبة كما قال عيسى بن مريم للحواريين قيل معناه انا ادعوكم
الى هذا كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري الى الله وقيل انصروا الله كنصر الحواريين لدين الله
وقيل معناه من يضم نفسه الى نصر الله قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار الحق فامنت
طائفة من بني اسرائيل بعيسى وكفرت طائفة به فايدنا الذين امنوا على عدوهم ونصرناهم فاصبحوا
ظاهرين غالبين قيل وانك اصحاب عيسى بعد عيسى نصرهم الله ولم يكن عيسى امر بالقتال وقيل
ظاهرين بالحجة لا بالحرب وقيل كان بعض المؤمنين اصحاب عيسى كانوا في اصحابه دعاة في دينهم تغلب المؤمنون
الكافرين وقيل فامنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد عليه الصلوة والسلام وكفرت طائفة وعن ابن
عباس في قوله فاصبحوا ظاهرين اي فاتلوا الليلا فاصبحوا ظاهرين ○ ○ ○ ○ ○

سورة الجمعة مدنية

وهي سبعماية وعشرون حرفا وماية وثمانون كلمة واحدى عشرة اية ○

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين
منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
○ قيل فائدة اعادة ذكر التسبيح في هذه السورة استفتاح السورة بتعظيم الله كما استفتح
بسم الله الرحمن الرحيم فادخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح هو الذي بعث في الاميين
الى العرب الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم والمعنى بعث
رجلا اميا في قوم اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله يتلوا يقرا عليهم اياته مع

كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بحيث يعلم الله سنة ويزكيهم ويطهرهم من
الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب القران والحكمة السنة وان هي المخففة من الثقيلة
واللام دليل عليها اي وانهم كانوا لفي ضلال لا يرى اعظم منه ضلالا واخرين معطوف على الاميين
يعني هو الذي بعث في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين الذين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل هم اولاد الصحابة ممن ادركوا النبي وقيل هم العجم فانه
لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان بالثريا لناوله رجال من
هؤلاء وقيل هم الذين من بعدهم الى يوم القيمة وقيل واخرين في محل النصب عطفا على الضمير الذي هو
مفعول يعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو
الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم الذي يصنع كل شيء فيضعه على
وفق مشيئته ذلك اي بعث رجل من الاميين رسولا وقيل النعماء للناس لامر وقيل الاسلام
قوله تعالى
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الشامل للدنيا والاخرة
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله
والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝
مثل الذين حملوا التورية اي كلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا
كتبا من العلم والحكمة الاسفار جمع سفر وهي الكتب العظام شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها
وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بما فيها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم والبشارة به بالحمار حمل اسفارا فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما مر بجنبه وظهره
من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بهذا مثله بئس مثل مثل القوم اي اليهود الذين كذبوا بايات
الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا بايات
الله فحذف المضاف والذين في محل الرفع وان شئت جررت والمذموم محذوف كما حذف المخصوص
في قوله نعم العبد والله لا يهدي لا يرشد القوم الظالمين قل يا محمد يا ايها الذين هادوا تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله يريد قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا
من دون الناس يعني محمدا واصحابه فتمنوا الموت اي ان كان قولكم حقا وزعمكم صدقا وكنتم على ثقة
فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ان كنتم صادقين انكم
اولياء الله من دون الناس فان الموت يوصلكم اليه ولا يتمنونه اي الموت ابدا بما قدمت بسبب ما قدمت

الدرهم

ايديهم من الكفر وتغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها منكم احد الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما ملك احد ان يتمنى
وهي احدى المعجزات قال صاحب الكشاف ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي المستقبل
الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه
قل يا محمد لليهود ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم وتمردكم
فانه ملاقيكم لا محالة ودخل الفاء في الخبر لتضمن الذي هو نعت الاسم معنى الشرط ثم تردون بالموت
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم فيخبركم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه
قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة
اراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة يدل على ذلك ما روى الزهري
عن السائب بن يزيد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد لم يكن له مؤذن غيره
فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن على المسجد فاذا نزل اقام الصلوة
ثم كان ابو بكر كذلك وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فامر
بالتاذين الاول على دار له بالسوق يقال لها الزوراء فكان يؤذن له عليها فاذا جلس عثمان
على المنبر اذن مؤذنه الاول فاذا نزل اقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه من يوم سأله لاذا وبعسرتله
وقيل من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة كقوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض عن النبي
عليه السلام فيها انما سميت الجمعة لان ادم عليه السلام جمع فيها خلقه وقيل ان الله فرغ
فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيه
للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل ان اول من
سماها جمعة الانصار عن ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه
كل سبعة ايام وللنصارى يوم ايضا مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل
ونصلي ونشكره او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
لنا فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه
فذبح لهم اسعد بن زرارة رضي الله عنه شاة فتعشوا وتغدوا من شاة واحدة لقلتهم فانزل الله

الله الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله باصحابه فقال اهل
السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل قبا على بني عمرو بن عوف
وذلك يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام صلى الله عليه وسلم
بقبا يوم الاثنين ويوم الثلثا ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة
فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا وكانت هذه
الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام فخطب في هذه الجمعة وهي اول
خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله احمده واستعينه واستهديه واستغفره
واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع
من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة
وان يامره بتقوى الله تعالى لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما يبتغون من امر الاخرة ومن
يصلح الذي بينه وبين الله في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في العاجل وذخرا فيما
بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رءوف بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر
عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته
وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب
الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله
اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت
فانه من اصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك ان الله يقضي على الناس ولا
يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فلهذا صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة وهو قول جمهور العلما وقال الحسن هي مستحبة وليست
بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من الظهر فاذا تركها وصلى ركعتين من الجمعة فقد
ترك الركعتين من الظهر واقل ما يجزي من الخطبة الاولى ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله
عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران في الخطبة الاولى ويجب في الثانية اربع كالاولى

الا ان

الا ان الواجب بدل قراءة الاية الدعا هذا قول اكثر الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التسبيح
او التحميد او التكبير اجزا وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم الخطبة ثم القيام شرط
في صحة الخطبة مع القدرة عليه في قول عامة الفقها الا ابا حنيفة فانه لم يشترط فيها والدليل
على ان القيام شرط في الخطبة وتركوك قايما وحديث ابن عمر ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب الخطبتين الا وهو قايم وللشافعي قولان في الطهارة في الخطبة الجديد على انها شرط
والقديم ليست بشرط وهو مذهب ابي حنيفة هذا بيان القول في اول جمعة جمعت في المدينة بعد
ما اول جمعت في الاسلام بعد يه تعالى لها احراي عن قوله النحريين فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه
واعملوا له ابن عمر رضي الله عنهما سمعت عمر رضي الله عنه يقرا فامضوا الى ذكر الله وعنه ما سمعت
عمر قط يقرا الا فامضوا الى ذكر الله وعنه انه كان يقرا فامضوا الى ذكر الله وروى الاعمش عن ابرهيم
كان عبد الله يقراها فامضوا الى ذكر الله ويقول لو قراتها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وهي قراءة
ابي العالية وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا المسجد الا وعليهم السكينة والوقار
ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة انه كان يقول في هذه الاية فاسعوا السعي ان تسعى بقلبك وعملك
وهو المشي اليها قال المفسرون السعي في هذا الموضع هو العمل قال الله تعالى ان سعيكم لشتى وقال
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الى ذكر الله اي
الى الصلوة وعن سعيد بن المسيب فاسعوا الى ذكر الله موعظة الامام وقيل الى ذكر الله الى الخطبة
والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكر الله قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله
كقوله سبحان الله والحمد لله جاز قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة
وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى خلفائه
الراشدين واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة
والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل وذروا
البيع يعني البيع والشرا لان البيع يتناول المعنيين جميعا وانما يحرم البيع عند الاذان الثاني
وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا فقيل المراد الامر
بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط
الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص
الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينيذ تحر التجارة ويتكاثر
البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل
لهم بادروا واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شي انفع منه واربح وذروا البيع الذي

نفعه يسير وربحه متفاوت والبيع في ذلك وان كان حراما فهو صحيح لان البيع لم يكن منهيا عنه في ذلك
لعينه ولا لما هو داخل فيه ولا لما هو خارج لازم له وانما هو منهي عنه بسبب شيء مجاور له يحتمل الانفكاك
وهو ما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء
بالماء المغصوب واعلم ان صلاة الجمعة واجبة على كل مسلم عاقل بالغ الا المرأة والعبيد والمريض من خاف المرض بحضوره
قال رسول الله تجب الجمعة على كل مسلم الا امرأة او صبيا او مملوكا وقال صلى الله عليه وسلم يحرم التجارة
عند الاذان يوم الجمعة ويحرم الكلام عند الخطبة ويحل التجارة بعد يوم الجمعة ولا تجب الجمعة على الزمن المريض
والعبد والصبي والمرأة فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وتجب الجمعة
على اهل القرى اذا سمعوا النداء من المصر ويعتبر سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا
والاصوات هادئة والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد يعتبر كل قرية بالسور التي يليها
هذا مذهب الشافعي وقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على كل من كان على عشرة اميال من مصر
وقال سعيد بن المسيب تجب على من آواه وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وربيعة
اربعة اميال ومالك والليث ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا تجب على اهل السواد سواء كانت قريبة
او بعيدة حتى حكي ان محمد بن الحسن سئل هل تجب الجمعة على اهل زبارة وبينها وبين الكوفة مجرى نهر
فقال لا لا تقام الجمعة عنده الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا
اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اجتمعت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها
الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام من تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع
الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاضي
او صاحب شرطة لم يجز فان لم يكن الا استئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة
سوى الامام وقال الشافعي لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين نفسا من قرية جمعت اربعين بالغين
عاقلين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وجبت عليهم الجمعة وقال مالك
اذا كان قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد والحجة على ابي حنيفة حديث ابن عباس
اول جمعة جمعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في قرية من قرى البحرين يقال لها جواثا وروي
ان عمر بن الخطاب كتب الى اهل البحرين صلوا الجمعة حيث ما كنتم والدليل على ان السلطان واذنه ليس
شرطا في انعقاد الجمعة ما روي ان الوليد بن عقبة والي الكوفة ابطأ يوما في حضور الجمعة فتقدم عبد الله بن
مسعود وصلى بالناس الجمعة من غير اذنه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه صلى الجمعة يوم حصر عثمان
رضي الله عنه ولم ينقل انه استأذنه وان سعيد بن العاص والي المدينة لما اخرج من المدينة صلى ابو موسى
الاشعري الجمعة من غير استئذان ولا يجوز ان يصلى في بلد واحد الا جمعة واحدة فان صليت ثانية بطلت

وقال

ابو يوسف اذا كان للبلد جانبان جاز ان يصلى في كل جانب منه جمعة وقال محمد بن الحسن يجوز
ان يصلى في بلد واحد جمعتان استحسانا واما الوعيد الوارد لمن ترك صلاة الجمعة من غير عذر فما روى
جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على
قلبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يشهدونها او ليطبعن
الله على قلوبهم او ليكونن من الغافلين او ليكونن من اهل النار وروي انه صلى الله عليه وسلم خطب
فقال ان الله قد فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا فمن تركها في حياتي او بعد مماتي وله امام عادل
او جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله الا ولا حج له الا ولا صوم له ومن تاب تاب الله
عليه وعن ابي بكر الصديق وعمران بن حصين رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فاذا اخذ في المشي كتب له بكل خطوة عمل عشرين سنة
فاذا فرغ من الجمعة اجيز بعمل مائتي سنة وعنه صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة
راح فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة
فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت
الملائكة يستمعون الذكر وعنه صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي الى السماء رايت تحت سبعين
مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه
ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل في الجمعة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه اهبط وفيه تيب عليه وفيه
مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس
شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم يسال الله تعالى شيئا الا
اعطاه اياه قال ابو هريرة قال عبد الله بن سلام هي اخر ساعة في يوم الجمعة فقلت له كيف تكون
اخر ساعة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة
لا يصلى فيها فقال ابن سلام الم يقل النبي عليه السلام من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو
في صلاة حتى يصليها قالت بلى قال فهو ذلك وعن انس بن مالك ابطأ علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فلما خرج قلنا احتبست قال ذاك ان جبريل اتاني بكهيئة المرآة البيضاء
فيها نكتة سوداء فقال ان هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد ارادها اليهود والنصارى
فاخطؤوها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها
مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه وذخر له مثله يوم القيامة او صرف عنه من السوء

مثله والله خيرًا لانام عند الله وان اهل الجنة يسمونه يوم المزيد قلت يا رسول الله وما يوم
المزيد قال ان في الجنة واديًا افيح فيه مسك ابيض ينزل الله اليه كل يوم جمعة فيضع كرسيه
فيه ثم يجا بمنابر من نور فتوضع خلفه ويحف به الملائكة ثم يجي بكراسي من ذهب فتوضع ثم يجي
النبيون والصديقون والشهدا والمومنون واهل الغرفة فيجلسون ثم يتجلى الله تعالى
فيقول اي عبادي سلوا فيقولون نسالك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم فتمنوا لونه مناهم
فيعطيهم ما سالوا واضعافه فيعطيهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ثم يقول الم انجز لكم وعدي واتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي ثم ينصرفون الى غرفهم ويعودون
كل يوم جمعة قلت يا جبريل قال وما غرفهم قال من لولوة بيضا او ياقوتة حمرا او زبرجدة خضرا
يعوده منها انهارها فيها ازواجها مطروه فيها انهارها وعن انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ليلة الجمعة ويوم الجمعة اربعة وعشرون ساعة لله في كل ساعة ستماية
الف عتيق من النار فاذا قضيت الصلوة فرغ منها فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف
في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي الرزق ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضا الصلوة
من الانتشار وابتغا الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شي من التجارة ولا غيرها
عنه وان تكون همتهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفصون عنه لان فلاحهم
فيه وفوزهم منوط به وهذا امر اباحة وتخيير لقوله واذا حللتم فاصطادوا وعن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله ليس بطلب دنيا كم ولكن زيارة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله
وقيل صلوة التطوع الحسن وسعيد بن جبير ومكحول فابتغوا من فضل الله هو طلب العلم
جعفر الصادق وابتغوا من فضل الله يوم السبت واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما عن جابر بن عبد الله اقبلت عير ونحن نصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثنا عشر رجلا انا فيهم فنزلت
واذا راوا تجارة او لهوا وروي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلا شديد فقدم دحية بن
خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا
اليه بالبقيع خشوا ان يسبقهم اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم ابو بكر
رضي الله عنهما قيل ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وكانوا اذا
اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن هاده فعلوا ذلك ثلث مرات

في كل مقدم غير المقالات بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن
خليفة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن عبد مناة من الشام بتجارة وكان اذا قدم بالمدينة
عاتق الا اتاه وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فنزل عند احجار الزيت
وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب الطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج اليه الناس فلم يبق
في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا
عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولاء لقد سومت لهم الحجارة من السماء
فانزل الله تعالى هذه الاية واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة
المذكور عليه وتركوك قايما على المنبر وبخهم بانهم اذا راوا تجارة متعلقة بنفع دنيوي انفضوا اليها بل
اذا راوا لهوا لا نفع فيه اصلا انفضوا اليها وتركوك قايما على المنبر قل ما عند الله خير من اللهو
الذي لا نفع فيه بل خير من التجارة التي فيها نفع في الجملة قدم اللهو الذي لا نفع فيه بل اخر من التجارة
والتجارة على اللهو في الاول فان المقام يقتضي هكذا والله خير الرازقين لانه موجد الارزاق فاياه
فاطلبوا وقيل لم يكن يفوتكم الرزق لو اقمتم لان الله خير الرازقين ٥ ٥ ٥

سورة المنافقين مدنيه

وهي سبعماية حرف وستة وسبعون حرفا ومائة وثمانون كلمة واحدى عشرة اية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا
ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب
مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يوفكون واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون ٥ ذكر اهل
التفسير انها نزلت في عبد الله بن ابي ونظرايه وكان السبب ان عبد الله خرج مع النبي صلى الله
عليه وسلم في خلق كثير من المنافقين الى المريسيع وهو ماء لبني المصطلق طلبا للغنيمة لا للرغبة
في الجهاد لان السفر كان قريبا فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوه اقبل رجل من جهينة
يقال له سنان وهو حليف لعبد الله بن ابي ورجل من غفار يقال له جهجاه بن سعيد وهو اجير
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لاستقا الماء فدار بينهما كلام فرفع الغفاري يده فلطم الجهني فادماه
فنادى الجهني يا ال الخزرج فاقبلوا ونادى الغفاري يا لقريش فاقبلوا فاصلح الامر قوم من المهاجرين
فبلغ عبد الله بن ابي فقال وعنده جماعة من المنافقين فقال والله ما مثلكم ومثلها ولا الرهط من قريش

الا مثل ما قال الاول سمن كلبك ياكلك ولكن هذا فعالكم بانفسكم اويتموهم في منازلكم وانفقتم
عليهم اموالكم فقووا وضعفتم وايم الله لو امسكتم ايديكم لتفرقت عن هذا جموعه ولين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وكان زيد بن ارقم وهو غلام يوصد لا يوبه فقال لعبد الله انت
والله الذليل القليل فقال انما كنت العب فاقبل زيد بالخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
زيد دعني اضرب عنقه فقال اذن ترعد له انف كثيرة قال فان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين
فمر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة او عباد بن بشر فليقتله فقال اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال انت صاحب هذا
الكلام فقال لا والذي انزل عليك ما قلت شيئا من هذا وان زيدا لكذاب فقال من حضر لا تصدق
عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة في
الانصار لزيد وكذبوه وقال له عمه ما اردت الا ان كذبك رسول الله والمسلمون ومقتوك فاستحيا
زيد وجلس في بيته وبلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني
به فانا احمل اليك راسه فاني اخشى ان يقتله غيري فلا تدعني نفسي حتى اقتل قاتله فادخل النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نحسن صحبته ما بقي معنا وانزل الله سورة المنافقين
في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فارسل رسول الله الى زيد فقراها عليه وقال ان الله قد صدقك
ولما اراد عبد الله بن ابي ان يدخل المدينة جاء ابنه وقال وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا
تدخلها حتى ياذن رسول الله ليعلم اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله الى رسول الله
ما صنع ابنه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه حتى يدخل فلما نزلت السورة
وبان كذبه قيل له يا ابا حباب انه قد نزل فيك ايات شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستغفر لك فلوى راسه فذلك قوله لووا رؤسهم وقيل ان الذي قال له هذا
عبادة بن الصامت اذا جاءك المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه قالوا نشهد اي اذا
حضروك شهدوا شهادة موكدة بانك رسول الله وقيل معنى نشهد نحلف وبهذا وقع بعده
ان واللام وقيل معنى نشهد نعلم انك لرسول الله ههنا تم الخبر عنهم ارادوا بقولهم نشهد
انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم ثم ابتدا فقال تعالى والله يعلم انك
لرسوله اي قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة
وقيل انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون
في تسميته شهادة وقيل ارادوا والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون

ان قولهم

ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه وقيل والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون فيما اظهروا لانهم اضمروا خلافه قال صاحب الكشاف فان قلت اي فايدة
في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون
لكان يوهم ان هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا
ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة
تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله
في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين
في استجنانهم بالايمان فصدوا عن سبيل الله فاعرضوا عن طاعة الله وقيل فصدوا غيرهم عن الايمان
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيس العمل عملهم حين اظهروا خلاف ما اضمروا وحلفوا عليه كاذبين
ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس
اعمالا بسبب انهم امنوا اقروا اذا راوا المومنين ثم كفروا اذا خلى بعضهم الى بعض وقيل ذلك
اشارة الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا
اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين
بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل
ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم ونحو لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ونحو لا تعتذروا قد
كفرتم بعد ايمانكم وقيل انهم امنوا اي نطقوا بالايمان عند المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وقيل اراد اهل الردة منهم وطبع على قلوبهم حتى لا يدخلهم
الايمان جزاء على نفاقهم فهم لا يفقهون لا يعرفون صحة الايمان واعجاز القران كما يفهم
المومنون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لحسن خلقها وحسن صورها وطول قامتها قال
ابن عباس كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صحيحا صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين
في مثل صفته وهم روسا المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستندون
فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بها
كلهم ماذا قالوا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهم قال الله تعالى وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم
خشب مسندة اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم في استنادهم وما هم الا اجرام
خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف

وجدارا وغيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحايط فشبهوا
به في عدم الانتفاع وقيل يجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب
المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رايتهم للنبي صلى الله
عليه وسلم او لكل من يخاطب قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي خشب بضم الخاء وسكون الشين
والباقون بضمها جمع خشبة على القراءتين وموضع كانهم رفع على هم كانهم او هو كلام مستانف
لا محل له يحسبون من جبنهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة مفعول اول يحسبون عليهم
ثاني مفعول يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم مقاتل يقول ان نادى
مناد في العسكر او انفلتت دابة او نشدت ضالة ظنوا انهم مرادون لما في قلوبهم من الرعب
وقيل ان ذلك لانهم على وجل من ان ينزل الله فيهم امرا يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
ثم قال هم العدو مبتدا وخبر اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك
وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تامنهم ولا تغتر بظاهرهم وقيل يجوز ان يكون هم العدو
المفعول الثاني ليحسبون كما لو طرح الضمير وانما قال هم ولم يقل هي نظرا الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وقيل
يجوز ان يقدر مضاف محذوف على معنى يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته
تعالى ان يلعنهم ويخزيهم وقيل تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق تعجبا من جهلهم وضلالهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي مالوا
واعرضوا بوجوههم اظهارا للكراهية واستكبارا قرا نافع لووا رؤسهم بتخفيف لووا والباقون
بالتشديد لانهم قد فعلوها مرة بعد اخرى ورايتهم يصدون يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون
لا يستغفرون **قوله تعالى** سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم
لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم ولان الله لا يغفر لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون حتى يتفرقوا ولله خزاين
السموات والارض اي ان الله رازق المهاجرين لا هؤلاء وهو رازق المؤمنين والكافرين جميعا
قيل خزاين الله مقدوراته التي يخرج منها ما يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون لا يفهمون ان
خزاين السموات والارض لله وقال الجنيد خزاين السماء الغيوب وخزاين الارض القلوب
وهو علام الغيوب وخزاين الارض القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب وكان الشبلي
يقول ولله خزاين السموات والارض فاين تذهبون **قوله تعالى** يقولون لئن رجعنا

الى المدينة

الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
٥ يقولون اي المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه والله لئن رجعنا من غزاة بني لحيان ثم بني
المصطلق وهو حي من هذيل الى المدينة ليخرجن الاعز عني به نفسه منها من المدينة الاذل عني به
لعنه الله محمدا عليه افضل الصلاة والسلام واكمل التحيات ولله العزة الغلبة والقوة ولرسوله
الذي اعزه الله وايده وللمؤمنين الذين هم الاخصاء بذلك فعزة الله قهره من دونه وعزة رسوله اظهار
دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصره اياهم على اعدائهم وهم ظاهرون وقيل عزة الله الولاية
قال الله تعالى هنالك الولاية لله الحق وعزة الرسول الكفاية قال الله تعالى انا كفيناك المستهزئين
وعز المؤمنين الرعاية قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال وكان بالمؤمنين رحيما
وقيل عزة الله الربوبية وعزة الله النبوة وعزة المؤمنين العبودية وكان جعفر الصادق يقول من مثلي
ورب العرش معبودي وانت لي وقيل عزة الله خمسة عز الملك والبقا وعز العظمة والكبرياء والبهاء
وعز الرسول خمسة عز السبق والابتدا وعز الاذان والنداء وعز قدم الصدق على الانبياء وعز الاجتبا
والاصطفا وعز الظهور على الاعداء وعز المؤمنين خمسة عز التاخير بيانه نحن الاخرون السابقون
يوم القيمة وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القران للذكر يريد الله بكم اليسر وعز التبشير بيانه وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوقير بيانه وانتم الاعلون وعز التكثير بيانه انهم
اكثر الامم ولكن المنافقين لا يعلمون ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وانهم لا يقدرون على اخراجهم
من المدينة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول
رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها
والله خبير بما تعملون ٥ يا ايها الذين امنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها
والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النما فيها بالتجارة والاغتلال وابتغا النتاج والتلذذ
بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم وتسوية
ما يصلحهم من معايشهم في حيوتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون
شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله قيل عن الصلوات الخمس نظيره لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي الاشتغال بالاموال والاولاد حتى الهي عن ذكر الله فاولئك
هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل عن ذكر الله عن القران
الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وانفقوا مما رزقناكم اي اجعلوا المال فدا انفسكم
وادوا الفرض منه مما رزقناكم للبعض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت

اي اسبابه اي من قبل ان يرى علامات الموت ويعاين ما ييأس من الامهال ويضيق به
الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد
ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته واطاق الحج فلم يحج
الا سال الرجعة عند الموت فلا يعطاها فقالوا يا ابن عباس اتق الله فانما يرى هذا الكافر يسال
الرجعة فقال انا اقرا عليكم به قرانا ثم قرا هذه الاية الى قوله فاصدق واكن من الصالحين
وعنه تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل فيقول رب لولا اخرتني
امهلتني يجوز ان يكون لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني ويجوز ان يكون لولا بمعنى هلا فيكون
استفهاما اي هلا اخرت موتي الى اجل قريب يعني مثل ما اجلت لي في الدنيا وقيل الى اجل الى زمن
قليل فاصدق فازكي واكون من الصالحين قيل هذه الاية نزلت في المنافقين من المومنين
وقيل الصلاح ههنا الحج والاية نازلة في المومنين قرا ابو عمرو واكون بالواو والنصب على جواب
التمني او الاستفهام وانما حذفت الواو من المصحف اختصارا والباقون بالجزم عطفا بها على محل
فاصدق لو لم يكن فيه الفاء وذلك لان قوله فاصدق لو لم يكن الفاء كان جزما كانه قيل ان اخرتني
اصدق واكن ولن يوخر الله نفسا نفي التاخير على وجه التاكيد عن الموت اذا جاء اجلها المكتوب
في اللوح المحفوظ والله خبير بما تعملون والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل
اليه وانه هاجم لا محالة وانه عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الى المسارعة
الى الخروج عن عهد الواجبات والاستعداد للقاء الله قرا عاصم يعملون بالياء والباقون بالتاء

سورة التغابن مدنية

قال الجمهور منهم ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة الضحاك انها مكية عطاء بن يسار
هي مكية الا ثلث ايات منها نزلت بالمدينة وهي يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم والتان بعدها
وهي الف وسبعون حرفا ومايتان واحدى واربعون كلمة وثمان عشرة اية **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموت وما في الارض له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن والله بما تعملون بصير
له الملك وله الحمد تقديم المجرور يدل على معنى اختصاص الملك والحمد لله عز وجل وذلك لان
الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لانه متصف
بالصفات الجميلة ومنه اصول النعم وفروعها واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر قيل ان الله خلق بني ادم
مومنا وكافرا رواه الوالبي عن ابن عباس والاحاديث تعضده قال صلى الله عليه وسلم خلق فرعون

في بطن

في بطن امه كافرا وخلق يحيى ابن زكريا في بطن امه مومنا وقال عليه السلام فيومر الملك باربع كلمات
يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد وقيل تم الكلام عند قوله خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم
كافر ومنكم مومن وهو مثل قوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه والمشي فعلهم
لو خلقهم كافرين ومومنين لما وصفهم بفعلهم فمنكم كافر ومنكم مومن والكفر فعل للكافرين والايمان فعل
المومنين واحتج بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة وبقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله عليه السلام
اخبارا عن ربه اني خلقت عبادي كلهم حنفاء ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويلها فروى ابو الجوزاء
عن ابن عباس فمنكم مومن ومنكم كافر يومن وقال ابو سعيد الخدري فمنكم كافر في حياته مومن في
العاقبة ومنكم مومن في العاقبة ومنكم مومن في حياته كافر في العاقبة الضحاك فمنكم كافر في
السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم مومن في السر كافر في العلانية كعمار ودونه عطاء بن ابي
رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكواكب يعني في شان الانوار وقال
الزجاج وهو احسن ما قيل فيها هو الذي خلقكم فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب اهل الدهر
والطبايع ومنكم مومن بان الله خلقه والذي عليه جمهور الامة والايمة والمحققون من اهل
السنة والجماعة هو ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وخلق المومن وايمانه فعلا له
والكافر يكسب الكفر ويختاره بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه
والمومن يومن ويختار الايمان بعد خلق الله اياه لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه
وعلمه منه ولا يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدره الله عليه وعلمه منه لان وجود خلاف
المقدور عجز وخلاف المعلوم جهل والله منزه عن العجز والجهل لانهما على الله محال لا يليقان
به ومن سلك هذا السبيل سلم من الجبر واجاب الحق كقول لبيد يا ناظرا في الدين ما الامر
لا قدر صح ولا جبر حكي انه قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت
فيه الظنون واختلفت فيه المحققون فالواجب علينا ان نرد ما اشكل علينا من حكمه الى
ما سبق من علمه قال صاحب الكشاف فمنكم كافر ومنكم مومن يعني فمنكم ات بالكفر وفاعل
له ومنكم ات بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد
وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين
من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان
يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم
شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مومن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم فان قلت

نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر
ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا
واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفًا باترًا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة
فقتل به مومنًا اما نطق العلماء على ذم الواجب والتعنيف والمدق في مروته كما تذمون القاتل
بل انحاوهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه
فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنًا وان يكون له وجه
حسن وخفا وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا
بداعي الحكمة الى خلقها وفساد هذا الكلام وعدم دلالة اللفظ على مقصده ظاهر لا يحتاج الى التعرض
له والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليها **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق
وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور ۝ بالحق بالعدل وقيل بالحق دون الباطل وقيل على وفق علمه
وارادته وحكمته وصوركم فاحسن صوركم اي جعلكم احسن الحيوان كله وانها بدليل ان الانسان
لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلقه منتصبًا
غير منكب كما قال في احسن تقويم وقيل جعل صورة الانسان احسن صور الحيوان ولم يشارك
بني ادم في صورته وشكله غيرهم من الموجودات وهذا معنى قوله عليه السلام ان الله خلق ادم
على صورته فاحسن صورته اي صورته التي صوره عليها وقيل انها تعود الى الله واضافته الى نفسه
تعالى وتقدس حالا لادم كبيت الله وناقة الله وقيل في قوله احسن صوركم يريد حسنه في العقل
والحكمة ولم يرد استحلاء المناظر فقد قيل الحسن هاهنا قبول الطبع فان ابن ادم لو خير بين الصور
ما اختار الا صورته قال صاحب الكشاف فان قلت كم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة
تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض
الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطًا بينًا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح ولا هي داخلة في حيز الحسن
غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن
منها فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكما شيئان
لا غاية لهما الجمال والبيان نعلم ما في السموات والارض نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسر
العباد وما يعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور انه عالم بكل شي من الكليات والجزئيات غير خاف عليه
ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترى على خلافه ما امر ونهاه وتكرير العلم في معنى تكرير
الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مومن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى

عند الخالق

عند الخالق **قوله تعالى** الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم
ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ۝ الم ياتكم الخطاب لكفار مكة نبؤا الذين
كفروا من قبل يعني الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين
فذاقوا الفاء للتعقيب اي كفروا فذاقوا وبال امرهم كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في
العقبى ذلك الوبال والعذاب بانه بسبب انهم ان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات والايات فقالوا ابشر يهدوننا ولم يقل يهدينا لان البشر وان كان لفظه
واحدة فهو في معنى الجمع فانه اسم جنس يقع على الواحد والجمع انكروا ان يكون الرسل بشرًا ولم ينكروا
ان يكون الاله حجرًا فكفروا بالرسل وتولوا واعرضوا عن التفكر في البينات واستغنى الله
اطلق ليتناول كل شي ومن جملته ايمانهم وطاعتهم والله غني عن خلقه حميد في افعاله **قوله تعالى**
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله
يسير ۝ زعم ادعى الذين كفروا العلم الزعم ادعا العلم ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم زعموا الكذب وعن شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى
مفعولين تعدى العلم قال ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقام
المفعولين الذين كفروا اهل مكة ان لن يبعثوا قل يا محمد لهم بلى اثبات لما بعد ان وهو
البعث اي ليس الامر كما زعمتم وربي لتبعثن اكد الاخبار باليمين ثم لتنبؤن لتخبرن ولتحاسبن
بما عملتم بعملكم وتجازون عليه وذلك ان البعث على الله يسير لا يصرفه عنه صارف **قوله تعالى**
فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدًا ذلك الفوز العظيم ۝ فامنوا بالله ورسوله اي محمد صلى الله
عليه وسلم والنور الذي انزلنا اي القران الذي هو بيان لكل شي والله بما تعملون خبير يوم منصوب
بقوله لتنبؤن وقيل منصوب بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله معاقبكم يوم يجمعكم
وقيل منصوب باضمار اذكر كانه اي اذكر يوم يجمعكم الله اي ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون ذلك
اليوم يوم التغابن وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد بالتغابن مستعار من تغابن
القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضًا وقد ورد في تفسير التغابن عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من عبد مومن يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرًا
وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرته قال المفسرون

من عمل اهله وماله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام وقيل التغابن هو ان يغبن بعضهم بعضًا لنزول السعداء منازل الاشقيا ونزول الاشقيا منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقيا وفيه تهكم بالاشقيا لان نزولهم ليس بغبن وقيل يوم التغابن يوم القيمة اي يتغابنون في المنازل عند الله فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل يغبن اهل الجنة اهل النار ويغبن المظلوم الظالم وعن الحسن التغابن من الغبن وهو الاخفا اي اليوم الذي اخفاه الله ومنه المغابن ومنه الغبن الموضع الذي يخفى فيه الشيء وعن عيسى التغابن التفاوت في اخذ الشيء بدون قيمته ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظامًا له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت ومن يومن بالله يصدق بوحدانية الله ويعمل صالحا صفة لمصدر اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز العظيم قرا نافع وابن عامر ههنا وفي السورة التي تليها نكفر وندخله بالنون والباقون بالياء

قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ۵ من جمع المعكوس **قوله تعالى** ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين ۵ ما اصاب بني ادم من مصيبة من شدة ومرض وموت اهل او شيء يقتضي همًّا مما يفعل الله وقيل عام في الظلم والسرقة وما يكون من العباد الا باذن الله بارادته وقضائه كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يومن بالله يصدق به ويعلم ان المصيبة من الله يهد قلبه يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه للاسترجاع فيقول انا لله وانا اليه راجعون فيصبر على البلاء ويشكر على النعماء وقيل يزيد قلبه هداية ويثبته عليها وقيل يحتمل ان يكون على القلب اي ومن يهد قلبه يومن بالله وقيل ومن يصح ايمانه يهد قلبه لاتباع السنة والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين فلا عليه لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وقيل فاطيعوا الرسول فانما يامركم بالصبر وترك الجزع **قوله تعالى** الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون ۵ بعث المومنين على التوكل على الله والتقوى به في امرهم حتى ينصرهم الله على من كذب وتولى **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ۵ انما اموالكم

واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرًا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۵ يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم ازواجا عدوًّا لكم يعادونكم ويخاصمونكم ويخالفون عليكم ومن اولادكم اولادًا يعادونكم ويعقونكم ويجرعونكم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو وقيل للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم انهم عدو لكم فكونوا منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم نزلت في قوم ارادوا الهجرة فثبطهم عنها ازواجهم واولادهم قال ابن عباس كان الرجل يسلم فاذا اراد ان يهاجر منعه اهله وولده وقالوا ننشدك الله ان تذهب وتدع اهلك وعشيرتك وتصير بالمدينة بلا اهل ولا مال وانا قد صبرنا على اسلامك فلا نصبر على فراقك ولا نخرج معك فمنهم من يرق لهم ويقيم لذلك ولا يهاجر واذا هاجروا ورا الناس قد تفقهوا في الدين هموا ان يعاقبوا بهم في تباطئهم عن الهجرة ومنهم من لا يطيعهم ويقول لهم في خلافهم اياه في الخروج لئن جمعنا الله واياكم لا تصيبوا مني خيرًا ولا نفعًا فانزل الله هذه الاية وقال عطا بن يسار وعطا الخراساني نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق ويقيم فانزل الله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوًّا لكم يحملونكم اياكم على المعصية وترك الطاعة فاحذروهم ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا فلا تعاقبوهم على خلافهم وتثبيطهم اياكم وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله واياكم في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا تكرار للتاكيد والمراد بها واحد وقيل تعفوا تتركوا عقابهم واصله المحو وتصفحوا تولوهم صفحة اعناقكم بالاعراض عن التوبيخ وتغفروا تستروا ذنوبهم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة محنة وبلاء واختبار يحملكم على الكسب من الحرام والمنع من الحق ويوقعكم في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منها الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم قيل ادخل من للتبعيض في ذكر الازواج والاولاد حيث اخبر عن عداوتهم لانهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانها لا تخلو عن فتنة واشتغال القلب بها عن عبد الله بن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن

والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهما ووضعهما
في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما
ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم في الآخرة وذلك اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم
فاتقوا الله ما استطعتم اي اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد
عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به
واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا نصب
بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تحث على امتثال هذه الاوامر
وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات
وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه بخلها وحرصها وقد تقدم فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله
قرضا حسنا على نية واخلاص يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء الله
من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يقبل القليل ويعطي الجزيل حليم عن البخل عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم

سورة الطلاق

وتسمى النساء القصرى وهي الف وستون حرفا ومائتان وتسع واربعون كلمة واثنا عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا
ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف
واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله
بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا ٥ يا ايها النبي خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء
ثم جمع الخطاب فقال اذا طلقتم لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان
افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون
عن رايه ولا يستبدون بامر دونه وكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل معناه
يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة
الشارع فيه كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله فطلقوهن لعدتهن وهو ان يطلقها طاهرة
من غير جماع يعني فطلقوهن لعدتهن في حال طهرهن من غير ان يكونوا جامعوهن منذ طهرت
تطليقة واحدة وهو طلاق السنة وقيل يقول طلقوهن لتطهيرهن الذي يحصين من عدتهن

ولا

ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتددن به من قروئهن وهذا في المدخول بها لان من لم يدخل
بها لا عدة عليها فاذا طلقها في طهر لم يجامعها فيه نفذ طلاقه واصاب السنة فان طلقها
حائضا وقع الطلاق ولم يكن طلاق السنة وقال سعيد بن المسيب في آخرين لا يقع لانه
خلاف ما امر الله واليه ذهب الشيعة فان طلقها في طهرها ثلاثا فكرهه قوم وقالوا ليس بطلاق
للسنة لانه لم يدع للامساك موضعا وكان الشافعي والجمهور يصححونه ولا يكرهونه لان
عبد الرحمن بن عوف طلق امراته ثلاثا قال صاحب الكشاف فطلقوهن مستقبلات لعدتهن
كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم
للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعهن فيه
ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل
عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون
ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن
عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانهم
كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان
تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها
ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء
وعند الشافعي لا حرمة بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة
وهو غير محرم فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق
والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده والطلاق المخالف للسنة واقع والمطلق آثم لما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله
وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذا عصيت
وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه
ضربا واجاز ذلك عليه واختلف المفسرون فيمن نزلت فيه هذه الآية عن قتادة عن
انس قال طلق رسول الله حفصة فاتت الى اهلها فانزل الله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الآية
وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من احدى نسائك وازواجك في الجنة وقال السدي
نزلت في عبد الله بن عمر وذلك انه طلق امراته حائضا فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يراجعها

ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة اخرى فاذا طهرت طلقها قبل ان يجامعها او يمسكها فانها
العدة التي امر الله تعالى بها عن ابن عمر قال طلقت امراتي على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة
اخرى فاذا طهرت فليطلقها ان شاء قبل ان يمسكها فانها العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء
وقال المقاتلان نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد وطفيل بن الحارث وعتبة بن
غزوان عن محمد بن عبد الرحمن قال بلغ ابا موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم وجد عليهم فاتاه
فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد تزوجت قد طلقت وليس كذلك عدة المسلمين
طلقوا المراة في قبل عدتها وفي هذه الاية دليل واضح ان السنة والبدعة اعتبارهما في وقت الطلاق
لا في عدد الطلاق لان الله تعالى ذكر وقت الطلاق فقال فطلقوهن لعدتهن ولم يذكر عدد الطلاق
وكذلك في حديث ابن عمر الذي رويناه دليل ان الاعتبار بالوقت لا بالعدد لان النبي صلى الله عليه وسلم
علمه الوقت لا العدد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال
تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وقال ايما امراة سالت زوجها الطلاق في غير
ما باس به فحرام عليها ريح الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة
فان الله لا يحب الذواقين ولا يحب الذواقات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق
ولا استحلف به الا منافق واحصوا العدة اي عدوا اقرائها فاحفظوها وقيل واضبطوها بالحفظ
واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن
من بيوتهن من مساكنهن واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن
التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى
ولا يخرجن ومعنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنهن
او لحاجة لهما الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع
الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل هي الزنا فيخرجن
لاقامة الحد عليهن ومثل معناه الا ان يطلقن على نشوزهن والنشوز يسقط حقها في السكنى والفاحشة
النشوز وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن عن ابن عباس في قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة
قال الا ان يبذوا على اهلها فاذا بذت عليهم فقد حل لهم اخراجها وتلك حدود الله اي الاحكام
المذكورة حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه استحق عقاب الله وقيل منع نفسه
ما كان الله جعله له وهي المراجعة لا تدري النفس وقيل لا تدري النفس وقيل لا يدري انت يا ايها
النبي وقيل ايها المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي مراجعة في الواحدة والثنتين ما دامت في العدة

عن الشعبي

عن الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسالتها عن قضاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وامرني ان اعتد في بيت ابن ام
مكتوم وعن عبد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو بن حفص ابن المغيرة المخزومي
وانه خرج مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى اليمن حين امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بعض اليمن فارسل الى امراته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها
وامر عياش بن ابي ربيعة والحارث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا لها والله ما لك من نفقة الا ان
تكوني حاملا فاتت النبي عليه السلام فذكرت له قولها فلم يجعل لها نفقة الا ان تكون حاملا
واستاذنته في الانتقال فاذن لها فقالت اين انتقل يا رسول الله قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى
تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فانكحها النبي اسامة بن زيد فارسل
مروان ابن الحكم قبيصة بن ذويب فسالها عن هذا الحديث فقال مروان لم يسمع هذا الحديث
الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني
وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قالت
هذا لمن كانت له مراجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث قال صاحب الكشاف الامر الذي يحدثه الله
ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى
الندم عليه فيراجعها والمعنى وطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون
فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضاء عدتهن وقربن منه فانتم بالخيار من الامساك والمفارقة
فامسكوهن برجعة تراجعوهن او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم
ولكن املكوا انفسهن ولا تضاروهن فترك الضرار هو المعروف والضرار هو ان تراجعها
في اخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة عند الرجعة او الفراق
عند الفراق وهذا الاشهاد ليس بواجب على الصحيح في مذهب الشافعي لا في الرجعة ولا في الفراق
بل مندوب وعلى الرجعة احب قيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم الحسن من المسلمين قتادة من احراركم
واقيموا ايها الشهود الشهادة لله لوجه الله خالصا وذلك ان لا يقصدوا المشهود له ولا المشهود
عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم لقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء
ولو على انفسكم ذلكم اي الحث على اقامة الشهادة لله لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق

من امر الطلاق على السنة وطريقة الاحسن ولا بعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق
للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط واشهد يجعل الله مخرجا مما في شان الازواج
من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر باله ولا يحتسب
ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقيل ما له عكرمة والشعبي والضحاك ومن يطلق للسنة يجعل له
مخرجا الى الرجعة ويرزقه من حيث لا يحتسب لا يرجوا ولا يتوقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم يتق الله
فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجابها على سبيل الاستطراد
وعند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها
واكثر المفسرين على ان هذه الاية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وذلك ان المشركين اسروا له ابنا يسمى
سالما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر
واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل ذلك فبينا هو في بيته اذ جاء ابنه وقد غفل
عنه العدو فاصاب ابلا واتاها الى ابيه وكان فقيرا وقال الكلبي في رواية يوسف ابن بلال قدم
ابنه ومعه خمسون بعيرا فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب
ما ساق الله من الغنيمة فقال اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابنه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل مما اتاه به ابنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم
وانزل الله تعالى هذه الاية ابن مسعود ومسروق يجعل له مخرجا هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله
تعالى رازقه وهو معطيه ومانعه الربيع يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس ابو العالية مخرجا من كل
شدة الحسن مخرجا مما نهاه عنه الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا
من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب عمر بن عثمان الصدفي ومن يقف عند حدوده
ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ابو سعيد
الخراز ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع اليه يجعل له مخرجا بعصمه ورزقه وقيل ومن يتق الله
في الرزق وغيره بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يقولها
ويعيدها ويحكى ان رجلا اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرا القران
قال لا فقال انا لا اولي من لا يقرا القران فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القران رجاء ان يعود
الى عمر فيوليه عملا فلما تعلم القران تخلف عن عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير

المومنين

المومنين لست ممن يهجرك ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال اي اية
اغنتك قال قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وعن ابن عباس قال رسول الله من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فيثق به ويسكن قلبه اليه في الموجود والمفقود فهو حسبه ان الله
بالغ امره قرا حفص عن عاصم بالغ امره بالاضافة اليه والباقون بالتنوين امره بنصب اي
منفذ امره ممضيه في خلقه قضاؤه بالغ ما يشاء لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب قيل لما نزلت
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا اذا توكلنا
عليه فنحن نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فانزل الله ان الله بالغ امره يعني فيكم وعليكم قد جعل
الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وحدا واجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله
وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق
الا التسليم للقدر والتوكل قال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل او لم يتوكل عليه غير
ان المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا الربيع ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه
كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجاب له دعاه وتصديق
ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني
قريب اجيب الاية قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا ٥ واللائي يئسن من المحيض فلا يرجون ان يحضن اذا ارتبتم قبل
ان شككتم ان الدم الذي يظهر منها لكبرها من المحيض او الاستحاضة فعدتهن ثلثة اشهر
وقيل ان ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما الحكم في عدتهن فعدتهن ثلثة اشهر قيل لما نزلت عدة النساء
في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا من اهل
المدينة يقولون قد بقي من النساء ما لم يذكر فيهن شيء قال وما هو قال الصغار والكبار
وذوات الحمل فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللاتي قعدن عن
المحيض ان ارتبتم في حالهن وفي علمهن وقيل ان ارتبتم اي تيقنتم وهو من الاضداد ويكون شكا
ويقينا كالظن فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغار فعدتهن ثلثة اشهر
فحذف لدلالة المذكور عليه واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن من المطلقات والمتوفى

عنهن أزواجهن فإن اللفظ عام يشمل المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن عن عبد الله بن عتبة قال أرسل مروان عبد الله بن عتبة إلى سبيعة بنت الحارث يسألها عما أفتاها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته أنها كانت عند سعد بن خولة فتوفي عنها في حجة الوداع وكان بدريًا فوضعت حملها قبل أن يمضي لها أربعة أشهر وعشر من وفاته فلقيها أبو السنابل حين تعلت من نفاسها وقد اكتحلت قال لعلك تريدين النكاح إنها أربعة أشهر من وفاة زوجك وخطبها قالت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ما قال أبو السنابل فقال النبي عليه السلام قد حللت حين وضعت حملك وأمرها أن تزوج فإن ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة فإن ارتابت أحامل هي أم لا فإن استبان حملها فأجلها أن تضع حملها وإن لم يستبن حملها فاختلف الفقهاء فيه فقال بعضهم تتربص بها وأقصى ذلك سنة وهذا مذهب مالك وأحمد وإسحق وأبي عبيد كانوا يرون عدة المرأة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وروي ذلك عن عمر وغيره وأما أهل العراق فإنهم يرون عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة في عمرها وإن مكثت عشرين سنة إلى أن تبلغ من الكبر مبلغًا تيأس من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر وهذا الأصح من مذهب الشافعي وعليه أكثر العلماء وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه ومن يتق الله بطاعته يجعل له من أمره يسرًا ييسر الله ويحلل له من عقده بسبب التقوى قيل أمرنا بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات ووعد في كل مرة نوعًا من الجزاء فقال أولًا يجعل له مخرجًا يخرجه مما دخل فيه وهو يكره ويتيح له محبوبه من حيث لا يأمل وقال في الثاني يسهل عليه الصعب من أمره ويتيح له خيرًا ممن طلقها إن كان الطلاق من جهتها والثالث وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء ذلك أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات وقيل ذلك المفروض المقدم ذكره أمر الله فرضه الله أنزله من اللوح المحفوظ إليكم ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا

قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا ٥ أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم

من للتبعيض مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانًا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه من وجدكم بيان وتفسير لقوله من حيث سكنتم كأنه قيل أسكنوهن مكانًا أسكنكم من سعتكم وطاقتكم حتى يمضي عدتهن ولا تضاروهن ولا تؤذوهن لتضيقوا عليهن مساكنهن فيخرجن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من عدتهن واختلف الفقهاء في هذه المسألة فذهب الشافعي ومالك والأوزاعي وابن أبي ليلى وأبو عبيد ومحمد بن جرير إلى أن المبتوتة المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ولها السكنى واحتجوا بأن الله عم بالسكنى المطلقات كلهن وخص بالنفقة أولات الأحمال خاصة فقال فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وقال أحمد وأبو ثور لا سكنى لها ولا نفقة واحتجوا بحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس حين أرسل زوجها المخزومي طلاقها فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وقال إنما النفقة إذا كان له عليها حق الرجعة فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وأما سفيان وأهل العراق فقالوا لها السكنى والنفقة حاملًا كانت أو حائلًا وهو قول عائشة ويروى أن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله يا فاطمة فقد فتنت الناس إنما أخرجك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك كنت امرأة لسنة تخشى لسانك على أحمائك فأما نفقة المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وشريح والنخعي والشعبي وحماد بن أبي ليلى وسفيان وأصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وعبد الله بن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة لا ينفق عليها إلا من نصيبها فإن أرضعن لكم أولادكم منهن فآتوهن أجورهن على رضاعهن وأتمروا بينكم بمعروف يقول وليقبل بعضكم على بعض إذا أمروا بالمعروف ائتمروا أي يتمروا الكسائي تشاوروا وقيل فإن أرضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات إذا أرضعن لكم ولدًا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن أجورهن حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي قبل الإبانة والائتمار بمعنى التأمر كالاشتوار بمعنى التشاور ويقال ائتمر القوم وتأمروا إذا أمر بعضهم بعضًا والمعنى ليأمر بعضكم بعضًا والخطاب للآباء والأمهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا يعاسر الأم لأنه ولدهما معًا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه وإن تعاسرتم في الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجر رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه فسترضع له أخرى فسيوجد ولا يعوز مرضعة غير الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى ستقضيها غيرك تريد أن تبقى غير مقضية

وان تعاسرتم اى تضايقتم فسترضع له اخرى اى فليسترضع الاب غير معاشرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر وسعه وقيل لينفق ذو سعة من سعته على قدر غناه ومن قدر وضيق عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اى فلينفق من ذلك الذى اتاه الله وان كان قليلا لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اعطاها من المال يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقيل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اى بقدر عقلها فعلى هذا لا يكون متصلا بما قبلها وهو بعيد سيجعل الله بعد عسر يسرا اى بعد ضيق فى المعيشة وهذا وعد لفقرا ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم وقيل وعد لفقرا الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا **قوله تعالى** وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ۝ وكاين من قرية عتت عصت وطغت وتمردت واعرضت عن وجه العتو والعناد عن امر ربها ورسله فى الفتنة فحاسبناها حسابا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا عظيما فضيعا والمراد حساب الاخرة وعذابها فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وجيء به على لفظ الماضى كقوله ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كاين وكان اعد الله لهم عذابا شديدا تكريرا للوعيد وبيانه لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولى الالباب اى العقول الخالصة الصافية عن كدورات الهوى ونزغات الشيطان وقيل وحاسبناها فى الدنيا اى احصينا السيئات واستقصينا عليهم فى الدنيا واثبتناها فى صحايف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب فى الاجل ويجوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القران رسولا بدل من الذكر اعنى جبريل لانه وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر فصح ابداله منه وقيل اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل اليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذى العرش مكين او جعل لكثرة ذكره وعبادته لله كانه ذكر وقيل اريد ذا ذكر اى ملكا مذكورا فى السموات عند ذى العرش مكين لو جعل لكثرة ذكره وعبادته لله كانه ذكر وقيل اريد ذا ذكر اى ملكا مذكورا فى السموات وفى الامم كلها وقيل

بدل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل بحانه قيل ارسل رسولا وقيل اعمل ذكرا فى رسولا اعمال المصدر فى المفاعيل الذى انزل الله اى ذكر رسولا او ذكره رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقيل من الجهل الى العلم وقيل من النار الى الجنة وقيل من الضلال الى الرشاد وقيل من الباطل الى الحق ومعناهن متقارب ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المومن من الثواب **قوله تعالى** الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما ۝ الله مبتدا الذى خلق خبره سبع سموات ومن الارض مثلهن فى العدة وقيل ما فى القران يدل على ان الارضين سبع الا هذه الاية وقيل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء هكذا امثلها يتنزل الامر بينهن بالوحى من السماء السابعة الى الارض السفلى وقيل يجرى امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وقيل ان الارض واحدة وقوله مثلهن فى الخلق لا فى العدد وليس فى القران ما يدل على انها سبع وقيل ان المراد بها الاقاليم السبعة والدعوة شاملة جميعها وقيل انها سبع ارضين متصلة بعضها ببعض والحايل بين كل ارض وارض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة اليهم وقيل انها سبع ارضين بعضها فوق بعض منفصلة لا فرجة بينها وقيل ان كل واحدة منها الى الاخرى خمسمائة عام كما جاء فى ذكر السماء وفى كل ارض منها خلق حتى قالوا فى كل ارض ادم وحوا ونوح وابرهيم وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويستمدون الضياء منها وقيل جعل الله لهم نورا يستضيئون به وقيل ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار والشتا والصيف ويخلق الحيوان على اختلاف شانها وانواعها وينقلهن من حال الى حال ابن كيسان هذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللرياح والسحاب ماده فى كل ارضه من ارضه وسماء من سمايه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضايه لتعلموا ان الله على كل شىء قدير واللام فى لتعلموا متعلق وقيل بيتنزل والاول اقرب وان الله قد احاط بكل شىء علما لا يخفى عليه شىء وعلما مصدر من غير لفظ الفعل اى علم كل شىء علما

سورة التحريم مدنية

وهى الف وستون حرفا ومايتان وسبع واربعون كلمة واثنتا عشرة اية وتسمى سورة النبى **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض

فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير ٥ ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا صلى الغداة دخل على نسائه امراة امراة وكانت قد اهديت لحفصة بنت عمر رضي الله
عنهما عكة من عسل فكان اذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم حبسته وسقته منها
وان عايشة رضي الله عنها انكرت احتباسه فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضراء اذا دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا يصنع فاخبرتها الخبر وشان
العسل فغارت فارسلت الى صواحبها فاخبرتهن الخبر وقالت اذا دخل عليكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلن انا نجد منك ريح مغافير وهو صمغ العرفط كريه الرايحة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكره ويشق عليه ان توجد منه ريح منتنة لانه ياتيه الملك فدخل رسول الله على سودة
قالت فما اردت ان اقول ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني فرقت من عايشة فقلت يا رسول
الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغافير قال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على امراة امراة وهن يقلن ذلك ثم دخل على عايشة فاخذت بانفها فقال
لها النبي صلى الله عليه وسلم ما شانك قالت اجد ريح المغافير اطعمتها يا رسول الله قال لا بل سقتني
عسلا قالت جرست اذا نحلة العرفط فقال لها والله لا اطعمه ابدا فحرمه على نفسه وقال عطا
ان التي كانت تسقي رسول الله العسل ام سلمة وعن عبد الله بن عمير سمعت عايشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم تخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها
عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد ريح
المغافير اكلت المغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا فقال لا بل
شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود اليه فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
الايات قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الايام بين نسائه فلما كان يوم حفصة
قالت يا رسول الله ان بي الى ابي حاجة نفقة لي عنده فاذن لي ان ازوره واتي بها فاذن لها فلما خرجت
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية ام ابرهيم عليه السلام
وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب
مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة
تبكي فقال ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي
وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذاك رضاك فلا تخبري بهذا امراة
منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها

ويبين

وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته
مارية فقد اراحنا الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين
على ساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة رضي الله عنها فلم يزل نبي الله
صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله
لك يعني العسل ومارية وقال عكرمة نزلت في المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه
وسلم ويقال لها ام شريك فابى النبي صلى الله عليه وسلم ان يقبلها لاجل ازواجه تبتغي تفسير
لتحرم او حال او استيناف قال صاحب الكشاف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد
ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم
كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك
به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم
من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيه ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا
اطلقتها وذلك ان يقول ان شا الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل من المسلمين ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة
القسم ومنه قول ذي الرمة قليلا تحلل الالى تحلة اصلها تحللة على وزن تفعلة نقلت حركة
اللام الاولى الى الحاء وادغم اللام في اللام اي قد بين الله تحليل ايمانكم بالكفارة في المايدة وقول
القايل لامراته او امته انت حرام علي يوجب الكفارة سوى الطلاق او قصد تحريم عينها وان نوى
بقوله انت حرام الطلاق او الظهار في الزوجة والعتق في الامة فما نواه من الطلاق او الظهار
في المراة والعتق في الامة وابو حنيفة حكم تحريم الحلال يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود
فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فقد حلف على وطيها او زوجة فعلى الايلا
منها اذا لم تكن له نية فان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى
ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضا بابطال
الايلا وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو فعلى ما نوى وعن ابي بكر
وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي
وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة باينة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه
شيئا ويقول لا ابالي احرمها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشي محتجا بقوله
تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم وما لم يحرمه فليس لاحد ان يحرمه ولا ان تصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراماً ولم يثبت عنه انه قال لما احله الله
هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم
فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه
وكفر ونحوه قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم انه كانت منه يمين وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم لم يكفر لانه كان مغفوراً له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمومنين وعن مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم
الحكيم فلا يامركم وينهاكم الا على وجه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته
انفع لكم من نصايحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حفصة حديثاً وهو تحريم صلى
الله عليه وسلم مارية على نفسه وقوله لا تخبري بذلك احدا الكلبي اسر اليها ان اباك وعمر رضي
الله عنهما يكونان خليفتين على امتي بعدي سعيد بن جبير اسر النبي صلى الله عليه وسلم امر الخلافة
بعده فحدثت به حفصة ميمون بن مهران اسر اليها ان ابا بكر خليفتي من بعدي فلما نبات به اخبرت
بالحديث الذي اسر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبتها واظهره الله عليه اي واطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه انها قد نباته وافشته على عايشة وقيل اظهر الله الحديث
على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف النبي عليه السلام اعلم حفصة بعضه اي بعض
الحديث بكر ما قراه الكسايي بالتخفيف اي جازى عليه من قولك للمسي لاعرفن لك ذلك وقد عرفت
ما صنعت اوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القران وكان جزاوه تطليقه اياها
والباقون عرّف بالتشديد يعني انه عرف رسول الله حفصة بعض ذلك الحديث واخبرها به
واعرض عن بعض يعني انه لم يعرفها اياه ولم يخبرها به وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه
حديث مارية الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض مقاتل
اخبرتها بعض ما قالت عايشة ولم يخبرها بالجميع عرف حفصة بعض الحديث واعرض عن بعض
الحديث بان ابا بكر وعمر يملكان بعدي فلما نباها اي فلما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اخبره الله به قالت حفصة من انباك هذا يا رسول الله قال رسول الله نباني العليم الخبير
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق
ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها اباها **قوله تعالى** ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملايكة
بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن مسلمات مومنات قانتات

تايبات عابدات سايحات ثيبات وابكاراً ٥ ان تتوبا خطاب لحفصة وعايشة
على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما عن ابن عباس لم ازل حريصاً على ان اسال عمر
عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء
على يده فتوضا فقلت من هما فقال واعجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة
وعايشة فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت والمستوجب التوبة ابن زيد مالت قلوبكما
بان سرهما ان يحتبس رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحب جاريته وقيل
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تعاونا
عليه بما يسووه من الافراط في الغيرة وافشا سره فلن يعدم هو من يظاهره فان الله هو مولاه
وجبريل وصالحوا المومنين وكيف يعدم من المظاهر من الله وليه وناصره وزيادة هو
ان نصرته عزيمة من عزايمه وان الله يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره
مفرداً له من الملايكة تعظيماً له واظهاراً لمكانته عنده عز وجل وصالح المومنين يعني كل من
امن وعمل صالحاً سعيد بن جبير من بري منهم من النفاق وقيل الانبيا وقيل الصحابة وقيل
الخلفا منهم المسيب بن شريك هو ابو بكر الصديق سعيد بن جبير عمر عكرمة ابو بكر وعمر عن النبي
عليه الصلاة والسلام في قوله وصالح المومنين علي بن ابي طالب اسما بنت عميس سمعت
النبي يقول وصالح المومنين علي بن ابي طالب قال صاحب الكشاف فان قلت صالح المومنين
واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقوله لا يفعل هذا الصالح من الناس يريد الجنس كقوله
لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المومنين
بالواو فكتبت بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف
متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملايكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالحوا المومنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من
يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هو لا ظهراوه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملايكة
ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالحي المومنين ونصرة الله عز وجل اعظم واعظم
قلت مظاهرة الملايكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم ومظاهرتهم على غيرها من
وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن مسلمات
مومنات مقرات مخلصات قانتات داعيات مصليات تايبات عابدات سايحات سيحي
معه وقيل صايمات زيد ابن اسلم والسيح مهاجرات لانه لم يكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة وقيل

والاية واردة في الاخبار عن المقدرة لا عن على الكون في الوقت لانه عز وجل قال ان طلقكن و
قد علم انه لا يطلقهن وهذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فهذا اخبار
عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من امة محمد عليه الصلاة والسلام قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير
من امهات المومنين قلت اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك
الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على رضاه
وهواه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله
في طاعة رسوله وانما اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار لانهما
صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيه اجتماع ساير الصفات فلم يكن بد من الواو قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون
ما كنتم تعملون ۵ يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بان تامروهم بالخير وتنهوهم عن الشر وتعلموهم وتادبوهم وقيل واهليكم بان تاخذوهم
بما تاخذون به انفسكم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران
بالحطب عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة غلاظ شداد في دواهم شدة وفي افعالهم جفا
وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله وهم الزبانية التسعة عشر واعوانهم من
خزنة النار لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يومرون فيما ياتي وقيل معنى لا
يعصون الله ما امرهم انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى يفعلون
ما يومرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه قال صاحب الكشاف فان قلت قد خاطب
الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فما معنى مخاطبته به المومنين قلت الفساق
وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنوا الكفار في دار واحدة فقيل للذين
امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة
ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا
للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم
النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا

الى الله

الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم
جهنم وبئس المصير ۵ يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصفت
التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة
انفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات قال عمر وابي ومعاذ رضي
الله عنهم التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع الحسن
هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على انه لا يعود فيه الكلبي ان يستغفر باللسان
ويندم بالقلب ويمسك بالبدن قتادة هي الصادقة الناصحة سعيد بن جبير هي توبة مقبولة
ولا يقبل ما لم يكن فيه ثلث خوف ان لا يقبل ورجاء ان يقبل وادمان الطاعات سعيد بن جبير
ينصحون بها انفسهم القرظي يجمعون اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع
بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الخلان سفيان الثوري علامة التوبة
النصوح اربعة القلة والعلة والذلة والغربة فضيل بن عياض هي ان يكون الذنب نصب
عينه ولا يزال كانه ينظر اليه ابو بكر الواسطي هي توبة لا لفقد عوض لان من اذنب في الدنيا
لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حظ نفسه لا لله ابو بكر الوراق
هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت وان تضيق عليك نفسك كتوبة الثلاثة الذين خلفوا
ابو بكر الوراق المصري رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات رويم الراعي هي ان
يكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه رابعة توبة لما يتاب منها دوا
النون علامتها ثلث قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام شقيق هي ان يكثر صاحبها
لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من افاتها بالسلامة سري السقطي لا ينصح التوبة
النصوح الا نصح لنفسه والمومنين لان من نصحت توبته صار محبا لله تعالى ومن احب الله
تعالى شيء ما دون الله سهل هي توبة اهل السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له لدليل قوله
صلى الله عليه وسلم حجر الله تعالى على كل صاحب بدعة ان يتوب ابو الادبان هي ان يكون
لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح فاذا كان كذلك فان توبته نصوح واما رات
التوبة منه تلوح فتح الموصلي علاماتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظما
وقيل توبة نصح الناس اي يدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل على مقتضاتها عسى ربكم اطماع من الله لعباده قيل انما جاء به على ما للعباد وجوب الترجي

بين الخوف والرجاء وقيل انما جاء به على ما جرت به عادة اصحاب الهمم العالية وارباب المفاخر السنية
من الاجابة بعسى ولعل ان يكفر عنكم سياتكم لا يواخذكم بذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار يوم نصب بيدخلكم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه تعريض لمن اخزاهم الله من اهل
الكفر والشرك والنفاق واستحماد للمومنين على انه عصمهم من مثل حالهم المفضية الى الخزي وقيل لا يخزي
الله النبي في شفاعته ولا يشفع خلف فيما وعد به المومنين وقيل تم الكلام على النبي ثم استانف فقال
والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم على الصراط وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يقولون ذلك
اذا طفي نور المنافقين اشفاقا قال الحسن ان الله متمم نورهم لهم ولكن يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر
لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادنى منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواقع اقدامهم
لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على
الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج وقيل اغلظهم متهم النفاق
جاهدهم الحسن جاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وكان اكثر من يصيب الحدود هم المنافقون
واستعمل الغلظة والخشونة على الكفار والمنافقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وقيل جهاد
المنافقين الغلظة والعبوس في الوجوه واغلظ عليهم بالقول والزجر والابعاد والهجر وقيل بافشاء سرهم
قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
٥ مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير
ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة او وصلة صهر لان عداوتهم وكفرهم
بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المومن الذي
يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن
الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل ضرب الله مثلا
للطالحات والصالحات من النساء فقال ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح واسمها واعلة
وامراة لوط واسمها واهلة وقال مقاتل والغة وواهلة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
وهما نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما في الدين وما بغت امراة نبي قط قال ابن عباس ليس بخيانة
زنا وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما كانت امراة نوح تخبر الناس انه مجنون وتطلع على
سره فاذا امن بنوح احد اخبرت الجبابرة من قوم نوح واما امراة لوط فكانت تدل على اضيافه
فلم يغنيا عنهما بنبوتهما من الله شيئا وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين

الذين

الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وقيل مع داخلي النار من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط
قيل بحرف عايشة وحفصة رضي الله عنهما **قوله تعالى** وضرب الله مثلا للذين
امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من
القوم الظالمين ٥ مثل حال المومنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا
من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى فقال
وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون وهي اسية بنت مزاحم لما غلب موسى السحرة امنت
امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها وتد عليها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها
في الشمس وامر بصخرة عظيمة فتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
فابصرت بيتها في الجنة من درة وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح
فلم تجد الما من عذاب فرعون قال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب
قيل كانت امراة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها
في الجنة ونجني من فرعون وعمله ودينه ابن عباس وعمله جماعه ونجني من القوم الظالمين الكافرين
قطع الله بهذه الايات طمع من ركب المعصية ورجا ان ينفعه صلاح غيره واخبر ان معصية
الغير لا تضره اذا كان مطيعا **قوله تعالى** ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ٥
ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون اي وضرب الله مثلا للذين امنوا مريم ابنة عمران وما
اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي
طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر
الكفر ونحوه في التغليظ ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان يكونا
في الاخلاص والكمال فيه مثل المومنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل
لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت
حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه وتعريضاته في كل باب
بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره التي احصنت فرجها
من الرجال فنفخنا يعني نفخ جبريل بامرنا فيه اي في جيب درعها وقيل في فرجها وقيل في عيسى
قال صاحب الكشاف وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب
الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها

سلبية للارامل وتطييبًا لانفسهن وصدقت بكلمات ربها وكتبه اى جعلت الكلمات والكتب
صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه قيل اراد بكلمات صحفه التي انزلها
الله على ادريس وعنى سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وقيل يجوز ان يراد به جميع ما كلم
الله تعالى به ملايكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح المحفوظ وغيره قرا ابو عمرو ويعقوب وكتبه
على الجمع وهي رواية حفص عن عاصم والباقون وكتابه على الواحد وهو الانجيل وكانت من القانتين
المطيعين اى من القوم القانتين ولذلك لم يكن من القانتات والقنوت صفة يشمل من قنت
من القبيلين الذكور والاناث فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض وقيل يجوز ان تكون
لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام
وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام ٥

سورة الملك

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر ابن مسعود هي المانعة
من عذاب القبر وهي الف وثلثمائة حرف وثلثمائة وثلثون كلمة وثلثون اية ٥ ٥
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير
الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع
سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع
البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ٥ تبارك وتعالى عن صفات
المخلوقين الذي بيده الملك يوتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو المالك على كل موجود مالك
الملك غير المملك واليد عبارة عن القدرة والتصرف والاستيلا على الشي وقيل اليد صلة
والملك ملك السموات والارض وقيل النبوة يعز بها من اتبع النبي ويذل بها من خالفه واتبع
هواه وهو على كل شيء قدير من الانعام والانتقام قادر على الكمال الذي خلق الموت والحياة
قدم الموت على الحياة لانه الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وعادة اولاد الله بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ودار
فناء وجعل الاخرة دار جزاء وبقاء وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا كانت في حكم
الموات كالنطفة والتراب ونحوهما ثم اعترضت عليهما الحياة قال ابن عباس خلق الموت على صورة
كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه على شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس ابلق انثى وهي

التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر وهو فوق الحمار ودون البغل
لا يمر بشي ولا تطا شيئا ولا يجد ريحها شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل
فحي ليبلوكم المعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم فيما بين الحياة والموت سمى علم الواقع
منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر ايكم احسن عملا تعلق قوله ايكم احسن
عملا بفعل البلوى من حيث انه يتضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته
ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن
عملا ولا يسمى هذا تعليقا لان التعليق ان يقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت
ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين من ان يقع ما بعده مصدرا
بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد
منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب
لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على
السنة عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ الى قوله
ايكم احسن عملا ثم قال احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرعكم في طاعة الله قال صاحب
الكشاف يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها
على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على
القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا
الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم وعن ابي
قتادة قلت يا رسول الله ارايت قول الله ايكم احسن عملا ما عنى به قال يقول قال يقول ايكم احسن
عقلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما
امر الله تعالى ونهى عنه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا فضيل بن عياض والحسن ايكم ازهد في الدنيا
واترك لها تركا سهل ايكم احسن توكلا على الله الفراء لم يوقع البلوى على اى لان فيما بين اى
والبلوى اضمارا وهو كما تقول في الكلام بلوتكم انظر ايكم اطوع ومثله سلهم ايهم بذلك زعيم اى سلهم
وانظر ايهم فاى رفع على الابتداء واحسن خبره وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور
لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل
اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل
طباقا طبقا على طبق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة كرحبة ورحاب سمع بعض الاعراب يذم رجلا
فقال شره طباق وخيره غير باق قال سيبويه ونصب طباقا لانه مفعول ثان ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت قرأ حمزة والكسائي تفوت بغير ألف وتشديد الواو والباقون من تفاوت بالألف ومعنى التباين
واحد أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت
عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضًا ولا يلائمه وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضه بعضًا
لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وهذه الجملة صفة تابعة لقوله طباقًا وأصلها ما ترى
فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيمًا لخلقهن وتنبيهًا على سبب سلامتهن
من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك المتناسب وأسند
الخلق إلى الرحمن لأن خلقهن محض الرحمة والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب فارجع البصر
فرد البصر متعلقًا بما ترى في خلق الرحمن من تفاوت على معنى التسبيب أخبر بأنه لا تفاوت في خلقهن
ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور
من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه
اللحم يطلع الضحاك اختلاف وشطور عطية عيب ابن كيسان تباعد القرطبي فروج ثم ارجع البصر
أمر بتكرير البصر فيهن متصفحًا ومتتبعًا يلتمس عيبًا وخللًا ينقلب إليك البصر أي إن رجعت البصر
وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك البصر
بالحسور والخسران أي بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردًا بالصغار وبالإعياء
والكلال لطول الإحالة والترديد ومعنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد
إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض فإن قيل فما معنى ثم ارجع أمرًا بأن لا يقنع بالرجعة الأولى وبالنظرة
الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه
لا يعثر على شيء من فطور وقيل ثم ارجع ردد البصر وكرر النظر كرتين ينقلب وينصرف ويرجع البصر
إليك خاسئًا صاغرًا ذليلًا بعيدًا وهو حسير يعني كليل منقطع لم يدرك ما طلب **قوله تعالى**
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ٥ ولقد زينا السماء الدنيا القربى لأنها أقرب
السموات إلى الناس والمعنى السماء الدنيا منكم بمصابيح بسرج سميت بها الكواكب والناس يزينون
مساجدهم ودورهم بإثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي
مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة وضممنا إلى ذلك منافع أخر أنا جعلناها رجومًا للشياطين الذين
هم أعداؤكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر قتادة خلق الله
النجوم لثلاث زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول غير ذلك فقد كلف
ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب

التي تنقض

التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها
لأنها قارة في الفلك وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من
الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل وجعلناها ظنونًا ورجومًا بالغيب
لشياطين الإنس وهم المنجمون وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير مع ما جعلنا لهم في الدنيا
من الشهب وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم أي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب
جهنم ليس الشياطين المخصوصين بذلك وبئس المصير **قوله تعالى** إذا
ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها
ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ٥ إذا ألقوا طرحوا كما يطرح الحطب
في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها قيل سمعوا لأهلها ممن تقدم
طرحهم فيها أو لأنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل سمعوا للنار شهيقًا صوتًا كصوت الحمار
تشبيهًا لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه مجاهد تفور بهم كما يفور بالشهيق
الحب القليل في الماء الكثير تكاد تميز من الغيظ يتفرق بعضها من بعض على أهلها غضبًا وانتقامًا
لله عز وجل وقيل جعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظًا ويتقصف
غضبًا وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز
أن يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج قوم سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير رسول في الدنيا توبيخ
يزدادوا به عذابًا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية قالوا بلى
اعتراف منهم بعدل الله قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا للرسل ما نزل الله من شيء إن أنتم في ضلال
كبير هذا من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار والمعنى ألم يأتكم أهل
نذير أو وصف به منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارًا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله
إنا رسول ربك أي حامل رسالته ويجوز أن يكون قوله إن أنتم إلا في ضلال كبير من كلام الخزنة للكفار
على إرادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا وقيل أرادوا بالضلال الهلاك
ويجوز أن يكون من كلام الرسل للكفار حكوا أي حكى الكفار للخزنة أي قال الرسل لنا فلم نقبل وقالوا
أي الكفار وهم في النار لو كنا نسمع من النذر ما جاؤونا به أو نسمع الإنذار سماع طالبي الحق أو نعقل
عقل متأملين ما كنا في أصحاب السعير إنما ذكر السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلتهما قال
صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب
الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين

قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هاولاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة
عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هدين الفريقين
فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا بعدا سعيد بن جبير هو واد في جهنم لاصحاب
السعير اى اعترفوا وجحدوا فلا ينفعهم **قوله تعالى** ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم
مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ۞ ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون الله ويتركون معصيته حيث لا يراهم
احد من الناس وقيل بالغيب اى بقلوبهم ونياتهم لا كالذين قالوا بافواههم ما ليس في قلوبهم وقيل
يخافونه وهم لم يروه وقيل يخشون ربهم قبل المصير اليه لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير عظيم في الاخرة
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه فقال بعضهم اسروا قولكم حتى لا يسمع
اله محمد وقال اهل المعاني ان شئت جعلت من في محل من خلق اسما للخالق تعالت الا يعلم الله الخالق
ما في الصدور وهو اللطيف الخبير وان جعلته اسما للمخلوق فعلت الا يعلم الله مخلوقه على السبب
قال بينا رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل فقال اترى الله يعلم
ما يسقط من هذا الورق فنودى من خلفه الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير حكى ان رجلا دخل
غيضة فقال لو خلت هاهنا بمعصية من كان يرانى فسمع صوتا ملأ ما بين لابتى الغيضة
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **قوله تعالى** هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا
هى تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير ۞ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا سهلا مسخرة لا تمتنع
فامشوا في مناكبها المشى في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزة الغاية لان المنكبين وملتقاهما
من الغارب ارق شئ من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعل
في الذل بحيث تمشى في مناكبها لم يترك بن عباس في جبالها الضحاك في اكامها مجاهد في طرقها
وبحاجها الكلبى في اطرافها الفراء في جوانبها مقاتل في نواحيها حيث اردتم حيث اردتم فقد جعلها
لكم ذلولا لا تمتنع واصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكبا وتنكب فلان فكلوا
من رزقه واليه النشور اى نشوركم فهو مسايلكم عن شكر ما انعم به عليكم امنتم من في السماء
بن عباس عذاب من في السماء وقيل معنى الاية امنتم من فوق السماء قدرته وسلطانه وعرشه
ومملكته وقيل انما قال في السماء لانهم كانوا يعترفون بانه اله السماء ويزعمون ان الاصنام الهة

الارض

الارض وكانوا يدعون الله من جهة السماء ينتظرون نزول امره بالرحمة والسطوة منها
قال المحققون معنى قوله من في السموات فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اى فوقها لا
بالمماسة والتحيز ولكن بالقهر والتدبير وقيل معناه على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع
النخل ومعناه مالكها ومدبرها والقايم عليها كما يقال فلان على العراق والحجاز وفلان على خراسان
واصفهان يعنون انه واليها واميرها قال بعض المفسرين واعلم ان الايات والاخبار الصحاح
في هذا الباب كثيرة وكلها الى العلو مشيرة ولا يدفعها الا ملحد جاحد وجاهل معاند والمراد بها
والله اعلم توقيره وتعظيمه وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة دون ان يكون
موصوفا بالاماكن والجهات والحدود والحالات لانها صفات الاجسام وامارات الحدث والله سبحانه
وتعالى كان ولا مكان فخلق الامكنة غير محتاج اليها وهو على ما لم يزل عليه الا ترى ان الناس
يرفعون ايديهم الى السماء في حال الدعاء مع احاطة علمه وقدرته ومملكته بالارض وغيرها احاطته
بالسماء الا ان السماء مهبط الوحى ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين والمقربين من ملائكته
والبها يرفع اعمال عباده وفوقها عرشه وجنته ان يخسف يغور بكم الارض فاذا هى تمور تتحرك باهلها
الضحاك تدور بهم في قعرها بن كيسان تهوى بهم ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط واصحاب الفيل فستعلمون كيف نذيرى اى اذا رايتم المنذر به
علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل قومك فكيف كان
نكيرا انكارى **قوله تعالى** اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
الا الرحمن انه بكل شئ بصير امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشى مكبا
على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم ۞ اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات باسطات اجنحتها في الجو عند طيرانهن لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها
صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات
لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل
في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارى على البسط للاستظهار به على
التحرك فجى بما هو طارى غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض
تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن ما يحبسهن في حال القبض والبسط الا الرحمن
بقدرته وما دبر لهن من القوادم والخوافى وهى الاجسام على شكل وخصايص فلا تاتى منه
الجرى في الجو انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجايب امن هذا من يشار اليه

من الجوع ويقال هذا الذي هو جند لكم ابن عباس منعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما
اراد بكم وقيل امن هذا الذي هو جند لكم من جند كم الذي ينصركم ويحول بينكم وبين عذاب الرحمن
فامتنع عنا بدّ سببه وقيل معناه هل نجى من اصنامكم يدفع عنكم من عذاب الله ان الكافرون الا
في غرور اي هم مغترون يغرور الشيطان غير متمسكين بحجة وبرهان وقيل معناه من ينصركم سوى
الرحمن امن هذا الذي يرزقكم امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم رزقه ويجوز ان يكون اشارة
الى جمع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم وكانهم الجند الناصر الرازق
ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا بل تمادوا في عتو عناد وشرادعن الحق لثقله
عليهم فلم يسمعوه وقيل في عتو تمادٍ في الضلال ونفور تباعد من الحق وقيل في استكبار عن الحق
وعن الداعي اليه ونفور عنه افمن يمشي مكبًّا يجعل اكبّ مطاوع كبّه ويقال كببته فاكبّ من الغرائب
والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء بنا افعل مطاوعًا ولا قال صاحب
الكشاف ولا يسمى نحو هذا الاجماله كان سيبويه وانما اكبّ من باب انقض والام ومعناه دخل في
الكبّ وصار ذا كبٍّ وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كبّ وقشع انكبّ وانقشع
في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبًّا فحاله نقيض حال
من يمشي سويًّا اي قائمًا سالمًا من العثور والخرور وقيل مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف
المعتسف الذي يحرف هكذا وهكذا على طريق مستوٍ وقيل يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق
معتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدى
له وهو مثل للمؤمنين والكافر وقيل افمن يمشي مكبًّا على وجهه كانا رأسه في الضلالة والجهالة
اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو ... هو الكافر اكبّ على معاصي الله
في الدنيا فحشره الله يوم القيمة على وجهه اهدى امن يمشي سويًّا على صراط مستقيم وهو المؤمن
وقيل نزلت في ابي جهل وعمار بن مسعود الكلبي عني به ابو جهل وبالسوي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب قوله تعالى قل هو الذي انشاكم وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض واليه
تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما
انا نذير مبين ۝ قل هو الذي انشاكم ابتدا خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خص هذه الثلثة بالذكر لانه العلوم والمعارف بها يحصل قليلا ما تشكرون اي تشكرون
شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض خلقكم في
الارض صغارًا واليه تحشرون اي الى دار الحساب والجزاء تحشرون وقيل الى حيث لا يحكم

لغني

لغني امرفيه ويقولون متى هذا الوعد اي ما وعدوا من الخسف والحاصب وقيل البعث والنشور
ان كنتم صادقين في وقوعه فعينوا زمانه فان من عرف مجي شي عرف زمانه قل انما العلم عند الله
اي علم وقت العذاب وقيل علم الساعة لم يطلع عليه احدًا وانما انا نذير مبين اخوفكم بجحيد ۝
قوله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون ۝ فلما راوه زلفة اي فلما راوا العذاب زلفة قريبا والزلفة القرب وانتصابها
على الحال وقيل انتصابها على الظرف اي راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة وقيل فلما راوا العذاب
في الاخرة مجاهد العذاب في الاخرة مجاهد العذاب بدر زلفة اسم مصدر وصف به يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والتثنية والجمع سيئت اي ساءت رؤية الوعد وجوه الذين
كفروا فاسودت عليها الكآبة والغبرة وغشيها الكسوف وطلي الحال كوجه من يقاد الى
القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل اي وقال لهم الخزنة هذا الذي كنتم تدعون تفتعلون
من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا
تبعثون وقيل تمترون وتنسألون وقيل تدعون ان لا جنة ولا نار قوله تعالى
قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ۝
كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان اهلكني الله قل يا محمد
لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ويتربصون بك ريب المنون ارايتم ان اهلكني الله فاماتني
ومن معي كما تتمنون فنقلب الى الجنة او رحمنا بالنصرة وابقانا واخر في آجالنا واظهر الاسلام
كما نرجو فمن يجير الكافرين من عذاب اليم فانه واقع بهم لا محالة وقيل فمن يجير الكافرين
اي فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار ولا بد لكم منه والمعنى انتم
تطلبون لنا اما الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي
لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه وقيل ارايتم ان اهلكني الله فعذبني
ومن معي او رحمنا فغفر لنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ونحن مع ايماننا خائفون من
عذابه لان له ان ياخذنا بذنوبنا ويعاقبنا ويهلكنا لان حكمه جار وامره نافذ وفعله
واقع في ملكه فمن يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وقيل وان اهلكني الله ومن معي بالموت
فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتالكم
فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك وقيل ان اهلكني الله ومن معي بذنوبنا في الآخرة ونحن
مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له
قوله تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال

مبين ۝ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ۝ قل هو الرحمن آمنا به أخر مفعول آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قال آمنا ولم نكفر كما كفرتم وعليه توكلنا قدم مفعول توكلنا أي وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متوكلون عليه من رجالكم وأموالكم فستعلمون من هو في ضلال مبين نحن أم أنتم قل يا محمد للمشركين إن أصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا في الأرض لا ينالها الأيدي والدلاء وصف بالمصدر كعدل ورضا الكلبي ومقاتل ماء زمزم وبئر ميمون الحضرمي وهي بئر عادية قديمة فمن يأتيكم بماء معين ظاهر تناله الأيدي والدلاء ابن عباس جار الموج عذب بلغة قريش ۝ ۝ ۝ ۝

سورة النون وتسمى سورة القلم وسورة النون مكية

وعن ابن عباس إنها فيها من المدني إنا بلوناهم إلى قوله لو كانوا يعلمون وقوله فاصبر إلى قوله من الصالحين مدني وهي ألف ومائتان وست وخمسون حرفا وثلثمائة كلمة واثنتان وخمسون آية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ۝ قرأ الكسائي ن والقلم بالإدغام دون عنه والكسائي ويعقوب عن نافع وأبو بكر عن عاصم بالإخفاء بين الإظهار والإدغام والباقون بسكون النون على أنه حرف منفصل حقه الوقوف عليه مجاهد ومقاتل ومرة الهمداني وعطاء الخراساني والسدي والكلبي هو الحوت الذي تحت الأرض وهي رواية أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع بخار الماء فخلق منه السموات ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النون فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس نون والقلم وما يسطرون الكلبي ومقاتل اسمه بهموت أبو اليقظان والواقدي ليوثا وكعب لوثيا وعن علي رضي الله عنه بلهوث وعنه في بعض نسخ مالي أراكم سكوتا والله إني خالق البلهوتا وقيل هي آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ونون حروف الرحمن تبارك وتعالى مقطعة الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وهي رواية ثابت البناني عن ابن عباس وقال فيه الشاعر إذا ما الشوق برح بي إليهم ألقت النون بالدمع السجوم ۝ قال صاحب الكشاف والمراد هنا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فلا أدري أهو وضع لغوي أو شرعي ولا يخلو إذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فإن كان جنسا فأين الإعراب والتنوين وإن كان فلا بد من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به

وجب

وجب إن كان جنسا أن تجره أو تنونه ويكون القسم بدواة منكرة أو مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علما أن يجر وتصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النسب أو يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة كذلك ابن زيد فاتحة السور عطاء افتتاح اسمه نور وناصر ونصير محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرته المؤمنين سائر قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين جعفر الصادق هو نهر في الجنة والقلم وهو الذي يكتب به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض وأقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف يقال لما خلق الله تعالى القلم وهو أول ما خلقه نظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر فقال يا رب بما أجري قال بما هو كائن إلى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك قال عطاء سألت أبا الوليد بن عبادة بن الصامت كيف كان وصية أبيك حين حضره الموت فقال دعاني فقال أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال يا رب وما أكتب قال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد وقيل أراد بالقلم الخط والكتابة الذي امتن الله على عباده بتعليمه إياهم ذلك كما قال علم بالقلم وما يسطرون يكتبون وقيل ما يسطر الحفظة وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة ما أنت بنعمة ربك الباء في بنعمة متعلق بمجنون منفيا كما هو متعلق بعاقل مثبتا في قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك النفي والإثبات استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت مجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن تعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهل للنبوة بمعزل وقيل يعني أنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هما كما تقول ما أنت مجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت مجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك وإن لك على احتمال ذلك من المشركين وإساغة الغصة فيه والصبر عليه لأجرا ثوابا غير ممنون غير مقطوع ولا منقوص كقوله عطاء غير مجذوذ وقيل غير ممنون عليك بذلك وإنك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم ابن عباس ومجاهد دين عظيم الحسن كان خلقه أدب القرآن

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن
قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله عز وجل وينهى عما نهى الله قال الله خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين الجنيد سمي خلقه عظيما لأنه لم يكن همه سوى الله الواسطي لأنه
جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عاشرهم بخلقه وباينهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق
وباطنه مع الحق وبالصدق مع الصدق وقيل لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله خذ العفو
الآية وقيل عظم خلقه حيث صغر الأكوان في عينه بعد مشاهدته مكونها وقيل سمي خلقه عظيما
لاجتماع مكارم الأخلاق فيه يدل عليه قوله بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدبني ربي
فأحسن تأديبي وعن عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الليل الصائم النهار وعن أبي الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيء أثقل في الميزان من خلق حسن وعن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق فإن سوء
الخلق في النار لا محالة وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم إلى الله أحسنكم
أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم إلى الله المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الإخوان فستبصر ويبصرون يا محمد ويبصرون يعني الذين رموك بالجنون
بأيكم المفتون قيل بأيكم المجنون وهو مصدر على وزن مفعول كما يقال ما لفلان مجلود ومعقول
ومعقود أي جلد وعقل وعقد أي بأيكم الجنون فستبصر ويبصرون بأي الفريقين الجنون
أبفريقك يا محمد أم بفريقهم والمفتون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المجنون لأنه فتن أي
محن بالجنون وقيل لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان الفتاك منهم والباء
مزيدة معناه أيكم المفتون وقيل بأيكم المفتون وهو الشيطان إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهم
العقلاء سيميز بعضهم عن بعض في الآخرة وقيل تكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بحال الفريقين
قوله تعالى فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف
مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين
إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب
الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك
وهم نائمون ٥ فلا تطع المكذبين فيما دعوك إليه من دينهم الخبيث الباطل وفي الكف
عن التشديد عليهم وعيب آلهتهم وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم نزلت في مشركي

قريش

قريش حين دعوه إلى دين آبائه وكانوا قد أرادوه على أن يعبدوا الله وآلهتهم مدة ويكفوا عنه
غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فيلينون ويصانعون عطية والضحاك لو تكفر
فيكفرون ابن عباس لو ترخص فيرخصون لك زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون
أبان لو تجانبهم فيجانبونك العوفي فتكذب فيكذبون الحسن لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض
أمرهم ابن كيسان لو تقاربهم فيقاربونك رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني
لأنه عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه
فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم
في إدهانك قال سيبويه زعم هارون أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع
كل حلاف مهين كثير الحلف بالباطل وقيل بالحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله
تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وأراد به الوليد بن المغيرة وقيل ابن عبد يغوث وقيل الأخنس
بن شريق مهين ضعيف حقير من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز وقيل أراد
الكذاب لأنه حقير عند الناس ولأن الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليه قتادة مكار في السوء هماز
مغتاب يأكل لحوم الناس عياب طعان الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجلس كقوله همزة والثوري يشد
فيه في أعين الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السفاهة وقيل
ساع بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير ابن عباس يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام
ويقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا وقيل بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق
معتد مجاوز في الظلم حده غشوم ظلوم أثيم كثير الآثام فاجر عتل غليظ جاف من عتله إذا
قاده بعنف وغلظة ابن عباس فاتك شديد منافق عبيد بن عمير أكول شروب قوي شديد
يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة الحسن فاحش الخلق سيء الخلق عطاء جاف قاس لئيم العرق
مقاتل الضخم الكلبي شديد في كفره وكل شديد عند العرب فهو عتل وأصله من العتل وهو الدفع
بالعنف بعد ذلك بعد ما عد له من المعايب والنقائص زنيم دعي ملحق النسب ملصق بالقوم
وليس منهم قال حسان وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ٥
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت
أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاه ودعوته أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ
طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ
منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده
وعن علي رضي الله عنه الزنيم الذي لا أصل له وقيل هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وهي الهنة

من حلمة الماعز يقطع علي معلقه في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله عن ابن عباس رضي الله عنهما في
هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها عكرمة الزنيم الذي
يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها الشعبي هو الذي له علامة في الشر يعرف بها كما يعرف الشاة
بزنمتها سعيد بن جبير والقرظي وابو رزين هو الكذاب الهجين المعروف بالشر الملصق الوابي الزنيم
الظلوم سئل رسول الله عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول والشروب
الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحب الجوف وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل ولا زنيم قيل فما الجواظ قال كل جماع مناع قيل وما الجعظري
قال الفظ الغليظ قيل فما العتل الزنيم قال كل رحب الجوف وثير الخلق اكول شروب غشوم ظلوم وعن
زيد بن ارقم في قوله عز وجل زنيم قال رسول الله تبكي السماء من رجل اصح الله جسمه وارحب
جوفه واعطاه من الدنيا مقضمًا فكان للناس ظلومًا فذلك العتل الزنيم وتبكي السماء من الشيخ الزاني
ما تكاد الارض تقله مجاهد في الزنيم كانت له اصابع ست في يده في كل ابهام له اصبع زائدة واكثر
العلماء على ان الزنيم الدعي المشهر ان كان قرا ابن عامر ويعقوب آان بالمد وحمزة وابو بكر عن عاصم
أان بهمزتين والباقون بالخبر فمن قراها بالاستفهام فمعناه كان ذا مال كذب او اطيعه
لان كان ذا مال وبنين وقيل لان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
ومن قرا بالخبر فمعناه ولا تطع لان كان فيكون متعلقًا بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب
لان كان ذا مال اي ليسار وحظه من الدنيا وقيل يجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولًا
مستظهرًا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وروى الزبيري عن نافع
ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطًا يساره لانه اذا اطاع الكافر
لاغنائه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي في قوله لعله
يتذكر او يخشى سنسمه على الخرطوم ابن عباس سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على انفه
ما عاش فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف بالقتال قتادة سنلحق به شينًا لا يفارقه العتيبي يقول
العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عارًا لا يفارقه
كما ان السمة لا يمحى اثرها ابو العالية ومجاهد سنسمه على انفه ونسود وجهه فنجعل له علمًا
في الاخرة يعرف بسواد وجهه الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه محمد بن جرير سنبين امره
بيانًا واضحًا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم قال صاحب الكشاف الوجه
اكرم موضع من الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان

العز

العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا
في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة
على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف
به واستهانة النضر بن شميل معناه سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وهو تعسف انا بلوناهم
اختبرناهم وامتحنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا ابتلينا اصحاب الجنة بستان باليمن يقال
له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطاوه اهل الطريق كان غرسه قوم من اهل الصلاة وكانت لرجل
فمات فورثه ثلث بنين له وكان يكون للمساكين اذا حصدوا زروعهم وكل شيء تعداه المنجل فلم يجزه
فاذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شيء سقط دون البساط فهو ايضًا للمساكين واذا داسوا
كان لهم كل شيء ينتثر ايضًا فلما مات الاب وورثها ولده الاخوة عن اسهم قالوا والله ان المال
لقليل وان العيال كثير والعيال قليلًا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل هذا
فحلفوا بينهم يومًا ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا لم يقولوا ان شاء
الله فغدا القوم بسدفة من الليل طائف من عذاب اصابها فاحرقها فاصبحت كالصريم وذلك قوله
تعالى اذ اقسموا حلفوا ليصرمنها ليجدنها وليقطعن ثمرها مصبحين اذا اصبحوا اذا اصبحوا قبل
ان يعلم المساكين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سمي استثناء وهو شرط لانه يؤدي
مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد
فطاف عليها طائف بلاء وعذاب وهلاك من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالليل الاسود
اي احترقت فاسودت قال الشاعر تطاول ليلك بالجون البهيم فما ينجاب
عن صبح صريم وقيل كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل النهار اي يبست وذهبت
خضرتها وقيل لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الانا اذا فرغه الحسن اي صرم عنها الخير فليس فيها شيء
من كيسان كالحرة السوداء ابن زيد كالارض المصرمة الاحفش كالصبح انصرم من الليل
المورج كالرملة انصرمت من معظم الرمل اصل الصريم المصروم وكل شيء قطع من شيء فهو صريم
والصبح صريم لان كل منهما ينصرم عن صاحبه ابن عباس كالرماد الاسود بلغة خزيمة فتنادوا
فنادى بعضهم بعضًا مصبحين ان اغدوا على حرثكم وانما قال على ولم يقل الى لانه لما كان الغدو
ليصرموه ويقطعوه كان عدوًا عليه كما تقول عدا عليهم العدو وقيل ضمن الغدو معنى الاقبال
كقولهم يغدوا عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين ان كنتم صارمين قاطعين لها
قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد

قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
٥ فانطلقوا فمضوا اليها وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ان لا يدخلنها
ان مفسرة بإضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين والنهي عن الدخول
للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوا مسكينا من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك
ها هنا وغدوا على حرد قادرين ابن عباس على قدرة قادرين في انفسهم ابو العالية والحسن
على جد وجهد الشعبي والقرظي ومجاهد وعكرمة على امر مجمع قد اسسوه بينهم نخعي عن الحسن
على فاقة وقيل على قوة السدي الحرد اسم الجنة سفيان على حنق وغضب ابو عبيدة والقتيبي
على منع والحرد والمحاردة المنع يقول العرب حاردت السنة اذا امتنعت خيرها ولم يكن فيها
مطر وحاردت الناقة اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع
يعني انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر
وذهاب مال لا يقدرون فيها الا النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا الحرمان للمساكين فتعجلوا
الحرمان والمسكنة وقيل وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين
على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع وقيل لما قالوا اغدوا
على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرم خيرها فلم يغدوا على حرث وانما
غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان
المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين فلما راوا الجنة بخلاف ما تركوها قالوا انا لضالون اي
ضللنا طريق جنتنا وانا لمخطئون الطريق وليس هذه بجنتنا لما راوا من هلاكها وقيل لضالون
بمنعنا حق المساكين فلما تاملوا وعرفوا انها جنتهم قالوا بل نحن محرومون حرمنا جنتنا ونفعها
لمنعنا المساكين وترك الاستثناء قال اوسطهم اعدلهم واعقلهم وافضلهم وخيرهم من قولهم
هو من سطة قومه اعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون
هلا تستثنون قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله ويقولون سبحان الله وتشكرونه
على ما اعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم
قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة
من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل سبحان ربنا انا
كنا ظالمين قالوا سبحان ربنا نزهوه عن ان يكون ظالما واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا

ظالمين

ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مفارقة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم الحسن هو الصلاة كانهم كانوا
يتوانون في الصلاة والا لنهاهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم
من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين في منعنا حق الفقراء وتركنا الاستثناء ابن كيسان طغينا نعم ربنا
فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع اباؤنا عسى ربنا ان يبدلنا قرا ابو عمرو ونافع ان يبدلنا بالتشديد
والباقون بالتخفيف وهما لغتان وفرق قوم بينهما فقال التبديل تغيير الشيء او تغيير حاله
وعين الشيء قائم والابدال رفع الشيء ووضع شيء اخر مكانه انا الى ربنا طالبون راغبون منه
الخير راجون لعفوه عن عبد الله بن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعلم الله منهم الصدق
فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا كذلك العذاب الذي
بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وقيل كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن
تعدى حدودنا وخالف امرنا ولعذاب الاخرة اكبر اشد واعظم منه لو كانوا يعلمون لما اقاموا
على ما يؤديهم الى العذاب **قوله تعالى** ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم
افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما
تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم
ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ٥ ان للمتقين عن الشرك في الاخرة
جنات النعيم ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا
نعيمها مقيم لا ينفد ولا يفنى بخلاف جنات الدنيا فانها فانية هالكة افنجعل المسلمين كالمجرمين
كان صناديد قريش يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا الحديث
الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالهم
وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فانزل
الله افنجعل المسلمين كالمجرمين استفهام انكار اي لا نجعل فان المسلمين يدخلهم الجنة والمجرمين
اي الكافرين يدخلهم النار ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج
ومن اين حكمتم بالتسوية بين المطيع والعاصي واي عقل اقتضى ذلك كان امر الجزاء مفوض اليكم
حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون ان لكم لما تخيرون بفتح ان لانه مدروس

فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام
على نوح وتخيرا لشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنحله وانتحله اذا اخذ متخولة ام لكم ايمان عهود
ومواثيق علينا بالغة مؤكدة عما عاهدناكم عليه ووعدناكم فاستوثقتم بها منا فلا ينقطع عهدكم الى
يوم القيمة متعلق بالمقدر في الظرف اي ايمان ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها
الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون وقيل يجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم
وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم يقال لفلان علي يمين
بكذا اذا ضمنته منه وحلفت على الوفاء به ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية
في التوكيد ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان المعنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ان لكم
لما تحكمون سلهم ايهم بذلك الحكم اي بما يقولون ان لكم لما تخيرون وتحكمون زعيم كفيل قائم به
وبالاحتجاج لصحته كما يقول الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم الحسن الزعيم الرسول
ههنا ام لهم شركاء ام لهم ناس شركاء في هذا القول ذاهبون مذهبهم في هذا الحكم وقيل
ارباب تفعل هذا وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق ما يصدقون فليأتوا بشركائهم ان كانوا
صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم
ينطق لهم به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به قوله تعالى يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون يوم يكشف عن ساق عن امر شديد فظيع وهو اقبال الآخرة وذهاب الدنيا يقول
العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج فيه الى جد وجهد ومعاناة ومقاساة للشدة شمر عن
ساقه فاستعير الساق موضع الشدة ويقال للامر اذا اشتد وتفاقم وظهر كشف عن ساقه
وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق هكذا قال اسفر وجه الامر واستقام صدر الراي
قال الشاعر يصف حربا   كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح قال صاحب
الكشاف الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب
واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك
قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء   فمعنى يوم
يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للاقطع
الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه

وقوله

وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه
فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه
ويشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف
على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة عنده وهي ساق الرحمن وانما جاءت منكرة
في التمثيل للدلالة على امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء
نكر كانه يوم يقع امر فظيع هائل وعن سعيد بن جبير يوم يكشف عن ساق عن شدة الامر
وعن ابن عباس الى اشد ساعة في يوم القيمة وحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة
خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل
وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار رونقه ويدعون
الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا ولا يدعون اليه تعبدا وطفا مع اعقام
اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا
الى السجود وهم سالمون اي الاصحاء فلا يأتون به قيل وهم سالمون الاصلاب والمفاصل
ممكنون من اجر الفعل فما يعدو الله وعن ابن مسعود تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني
عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة ابراهيم التيمي
وقد كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على
الفلاح فلا يجيبون كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجمعة
فذرني فدعني ومن يكذب بهذا الحديث بهذا القرآن يريد كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك
ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي
مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به وبالقرآن ثم توعدهم فقال سنستدرجهم سنأخذهم
بالعذاب من حيث لا يعلمون استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه
فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومسلقا
الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وقيل
نعدبوا يوم بدر وقيل الشكر العباد لم يعاقبهم في وقت مخالفتهم فيستيقظوا بل امهلناهم
وامددناهم في النعم حتى زال عنهم خاطر التذكير وكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة
الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه

قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ۝ واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله عز وجل وافضال منه يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا للكفر فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج ان كيدي متين سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصف بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب الى الهلاك ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب عطف على قوله ام لكم كتاب ام لكم ايمان الغيب اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وقيل ام لانهم يعلمون الغيب فهم يكتبون ذلك علموا انك لست بحق فيما اسهم به اي بل ام عندهم الغيب الذي هو من باب اعجاز القران فهم يكتبون كتابا مثله يأتون فيه بمثل ما في القران من الاخبار عما كان وعما يكون فاصبر لحكم ربك على تبليغ الوحي وتحمل الاذى ولا تكن كصاحب الحوت في الضجر والغضب والعجلة وهو يونس عليه السلام اذ نادى دعا ربه في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلي ببلائه حسن تذكير الفعل وقيل مكظوم مجهود وقيل مكروب وقيل محبوس عن التصرف وهو من كظم غيظه اي حبسه لولا ان تداركه نعمة حسن تذكير الفعل لفصل الضمير وتداركه نعمة نبوة وقيل عبادة سابقة وقيل قوله لا اله الا انت سبحانك وقيل رحمة من ربه بقبول توبته لنبذ لطرح بالعراء بالفضاء حيث لا شجر ولا ماء وقيل العراء وجه الارض وقيل العراء ارض المحشر قال صاحب الكشاف ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم وقيل مذموم مذنب مبعد من الرحمة وقيل مليم لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم روي انها نزلت في احد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف فاجتباه ربه فاختاره لرسالته قبل مجيء الملك وقرنه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين من الانبياء وقيل حكم له بالصلاح بن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه قوله تعالى

وان يكاد

وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ۝ وان مخففة من الثقيلة واللام ليزلقونك علمها قرا نافع ليزلقونك بفتح الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه زلقا وازلقه ازلاقا بمعنى واحد بن عباس ينفذونك بابصارهم لما سمعوا الذكر يقال زهق السهم وزلق اذا نفذ مجاهد يزهقونك الكلبي يصرعونك وعنه يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة عطية يرمونك المورج يزيلونك النضر بن شميل والاخفش يعينونك عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك نظرا شزرا بتحديق شديد يصرعونك ويظهرون العداوة السدي يصيبونك بعيونهم زيد ليمسونك جعفر لياكلونك الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما يقال صرعني بطرفه وقتلني قال الشاعر يرميك من لقه العيون بطرفه ويكل عنك نصال رمي الرامي وقال اخر ۝ يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطن الاقدام الحسن دواء اصابة العين ان تقرا الانسان هذه الاية وقيل ان الكفار ارادوا ان يعينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش فقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكيل والدراهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر الكلبي كان الرجل منهم يجوع ثلثة ايام ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قريبا حتى يسقط منها طائفة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فيفعل به مثل ذلك فاجابهم وانشد قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة فكيف يجنن من جاء بمثله ۝

سورة الحاقة مكية

وهي الف واربعمائة وثمانون حرفا ومايتان وست وخمسون كلمة واثنان وخمسون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم

تذكرة وتعيها اذن واعية ﴿٥﴾ الحاقة القيمة سميت حاقة لانها الساعة الواجبة الوقوع الثابتة
المجيء التي هي آتية لا ريب فيها ولان فيها حواق الامور وحقايقها من الحساب والثواب والعقاب
ولان التي فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها
وهو لاهلها ولانها تحق الجزا على الاعمال التي تجب فيها يقال حق عليه الشيء اذا وجب عليه تحق حقوقا
قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين والحاقة رفع بالابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل
الحاقة ما هي اي شيء تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك
واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث
لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع
على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة التي
تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف
شدتها وقيل بالقارعة اي بالعذاب الذي نزل بهم حين وعدهم نبيهم حتى هجم عليهم فقرع قلوبهم
فاما ثمود ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا
لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وعصيانهم وهي
مصدر كالعافية وقيل هي بعث اي بفعلتهم الطاغية دليله كذبت ثمود بطغويها وقيل بالطاغية
بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح
فاهمدتهم وقيل بالرجفة ابن عباس بالصاعقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت لها
صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي بشدة تحرقها عاتية شديدة العصف
والعتو استعارة وقيل عتت على خزانها فلم يطيعوهم وجاوزت المقدار وقيل عتت على عاد فما قدروا
على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم
وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ارسل الله تعالى نسمة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد
ويوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية سخرها ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار سبع ليال وثمانية
ايام وهي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح شديدة وانما سميت هذه
الايام الى العجوز لان عجوزة دخلت في سرب وتوارت فيه فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن
من نزول العذاب وانقطع العذاب من اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتاء

ولها

ولها اسام مشهورة الصن والصنبر والامر والوبر والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن
حسوما ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها فترة وعلى هذا القول هو من حسم الكي وهو
ان يتابع عليه بالمكواة قتادة والكلبي دائما الضحاك كاملة لم تفتر عنهم حتى افنتهم عطية شوما
كانها حسمت الخير عن اهلها الخليل قطعا لدابرهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وحسم
الرضاع يمان والنضر بن شميل حسمتهم فقطعتهم واهلكتهم وهو نصب على الحال قال صاحب الكشاف
الحسوم لا تخلو اما ان تكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالكفور والشكور فان كان
جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب
الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء
كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى
تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم
للاستيصال فترى القوم فيها صرعى هلكى جمع صريع كانهم اعجاز جذوع وقيل اصول نخل وهي ما يبقى
على المكان بعد قطع الجذع خاوية ساقطة وقيل خالية الاجواف من خوى بطنه اذا خلا وخوى المنزل
عن القطان وصفهم بعظم الاجسام وان الريح قطعتهم وقطعت رؤوسهم وقيل كان طولهم اثنا
عشر ذراعا وقيل خاوية الاجواف من الحياة وقيل خاوية الحشا لان الريح اخرجت ما في بطونهم وهذان
القولان ضعيفان لان قوله خاوية بالجر صفة للنخل او يقال لخلوهم من الحياة او من الاحشاء
شبههم بنخل خاوية فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس باقية وقيل مصدر كالطاغية
اي فهل ترى لهم من بقاء وجاء فرعون ومن قبله قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء
اي ومن عنده من اتباعه واجناده والباقون بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون
الخالية والمؤتفكات قرى قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بالخاطئة بالخطأ او الخطيئة او الافعال
ذات الخطأ العظيم والذنب الكبير فعصوا رسول ربهم قيل فعصى قوم لوط لوطا وقيل رسل ربهم
وقيل كل امة رسولهم وقيل رسالات ربهم فاخذهم اخذة رابية نامية عالية ابن عباس شديدة
وقيل زائدة على عذاب الامم انا لما طغى الماء اي عتى فخرج بلا وزن ولا كيل وتجاوز الحد المعتاد
قتادة طغى الماء فوق كل شيء خمسة عشر ذراعا حملناكم حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح
لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون
لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها اي لنجعل نجاة المؤمنين واغراق الكفرة وقيل لنجعل
السفينة الجارية فانها بقيت الواحها دهرا وقيل لنجعل سفينة لتتخذ على مثالها وقيل لنجعل
هذه الحالات التي تقدمت لكم تذكرة عظة وعبرة وتعيها وتحفظها اذن وحفظها اذن واعية

من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته لقولك اوعيت الشيء والظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه حين نزلت هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي ان انساه وانما قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعيت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم وان ملؤا ما بين الخافقين **قوله تعالى** فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

۝ فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى لان عندها فساد العالم وحملت الارض والجبال وما فيها فدكتا فكسرتا ودقتا دكة واحدة فصارت هباء ومنبثاً وانما قال فدكتا ولم يقل فدككن لانه جعل الارض كالشيء الواحد والجبال كالشيء الواحد فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيمة ووقعت جواب اذا فيومئذ بدل من اذا كرر لما طال الكلام وانشقت قال صاحب الكشاف وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملايكة او بقدرة الله من غير سبب فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة لا يرى فيها ولا امتاً من قولك اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة محمد نزلت النازلة وهي القيمة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة والملك اسم الجنس يعني الملايكة قيل يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعاً في قولهم على المعنى قيل الملك اعم من الملايكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملايكة على ارجائها جوانبها الواحد رجى مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملايكة فيصيرون الى اطرافها وما حولها من حافاتها قيل ارجاء السما وقيل ارجاء الارض وقيل ارجاء الدنيا وقيل على حافتها التي لم تنشق ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الخلق يومئذ ثمانية اي ثمانية منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله تعالى باربعة اخرى فيكونون يومئذ ثمانية ابن عباس ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقيل ثمانية املاك بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك على صورة الاوعال

ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر ابن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية الاف ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق اخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون تحاسبون والعرض عبارة عن المحاسبة والمسالة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر ليعرف احواله وفي الحديث يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وخصومات ومعاذير واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تطير الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله قال صاحب الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت اي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو بعد النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جيته عام كذا وانما كان مجيك في وقت واحد من اوقاته لا تخفى منكم خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون ۝ فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول اخبار عن قول من اوتي كتابه بيمينه ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك هاؤم تعالوا اقرؤا كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذفت لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطراً قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقروه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثاراً لثبوتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل ولا اسقاط اني ظننت علمت

وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال
اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت ملاق حسابيه اى معاين حسابي فكنت استعد له عن
زيد بن ثابت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن
الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فاين ابوبكر فقال هيهات هيهات زفته الملايكة
الى الجنة وعن عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة كل الناس يحاسبون
يوم القيمة الا ابابكر رضي الله عنه فهو في عيشة راضية مرضية كقوله من ماء دافق وقيل منسوبة
الى الرضى كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة وقيل جعل الفعل
لها مجازا وهو لصاحبها رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار وقيل رفيعه
المكان في السما قطوفها ثمارها دانية قريبة ينالها القايم والقاعد والنايم والمضطجع كلوا واشربوا
يقال لهم كلوا واشربوا هنيا سليما من الافات والمكاره ولا تنغيص فيها ولا تكدير لها اى اكلا
وشربا هنيا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من
ايام الدنيا مجاهد ايام الصيام اى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم من الاكل والشرب لوجه الله
وروي ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا اوليايي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت
شفاهكم عن الاشربة وقد غارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا
واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول اخبار عن قول
من اوتي كتابه بشماله يا ليتني لم اوت كتابيه ابن السايب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى
كتابه وقيل ينزع يده من صدره الى خلف ظهره فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يقول ذلك لما يرى فيه من الفضايح وقيل لم اوت كتابي بشمالي وقيل يا ليتني لم ابعث ولم احاسب
ولم ادر ما حسابه ولم ادر ما جزا عملي وقيل هو كتاب البراءة من الله وقيل نزلت في ابي جهل وقيل
في الاسود بن عبد الاسد فيكون هو سبب النزول والمعنى يعم جميع الكفار يا ليتها يا ليت الموتة
التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعده والقاضية موتة لا حياة بعدها
وقيل يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه
مرارة الموت وشدته فتمناه عندها وقيل معناه يا ليتني مت فاسترحت فما دة تمني الموت ولم يكن
عنده في الدنيا شي اكره من الموت ما اغنى عني ماليه يعني الاستفهام على وجه الانكار اى شي اغنى
عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسليطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا ابن
عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم يقول الله تعالى لخزنة جهنم
خذوه فغلوه اجمعوا يديه الى عنقه ثم الجحيم صلوه اى ادخلوه فيها وقيل اوقدوا النار واسوه بها

وقيل

وقيل اجعلوه يصلى وقيل ثم لا يصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم
على الناس يقال صلى النار وصلاه النار ثم في سلسلة ذرعها طولها سبعون ذراعا ابن جريج
بذراع الملك الحسن الله اعلم باى ذراع هو نوف الذراع سبعون باعا كل باع ما بين الكوفة الى
مكة او ابعد وجاء لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص والذراع
طول يد الانسان وانبساطها والذرع المصدر ايضا فاسلكوه فادخلوه قال ابن عباس فيدخل
في دبره ويخرج من منخريه وقيل يدخل في فيه ويخرج من دبره وعن عبد الله بن عمر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء
الى الارض وهي خمسماية سنة لبلغت الى الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة
لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها قال صاحب الكشاف سلكه
في السلسلة ان يلوى على جسده حتى يلتف عليه اثناوها وهو فيما بينها مرهق عليه مضيق
لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين
مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك
مثله في تقديم الجحيم على التصلية اى لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من ساير مواضع
الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك
في السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب
هذا العذاب الشديد فاجيب بانه كان لا يومن بالله العظيم جزاء على كفره وبخله ولا يحض
على طعام المسكين اى لا يطعم ولا يامر به وفيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين
احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه
المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القايل اذا نزل الاضياف كان عذوّرا
على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء
انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان
افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكافرين وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام
المسكين فليس له اليوم ههنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون
منه كقوله ولا يسال حميم حميما ولا طعام الا من غسلين صديد اهل النار فعلين ماخوذ
من الغسل كانه غسالة قروحهم وفروجهم لا ياكله الا الخاطيون المذنبون اصحاب الخطايا وهم
الكافرون خطي الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل
ويتعدون حدود الله قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول

رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه
حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين
فسبح باسم ربك العظيم ۝ فلا اقسم بما تبصرون بما ترون وما لا تبصرون وما لا ترون
انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر اقسم بجميع المكونات والموجودات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل
الاجسام والارواح وقيل الانس والجن وقيل الخلق والخالق وقيل النعم الظاهرة والباطنة وقيل
ما في ظهر الارض والسماء وما في بطنها وقال جعفر ما تبصرون من صنعي في ملكي وما لا تبصرون من بري
باوليائي وقال الجنيد ما تبصرون من اثار الرسالة والوحي على جسمي محمد صلى الله عليه وسلم
وما لا تبصرون من الشريعة ليلة الاسرا وقيل ما اظهر الله تعالى عليه الملائكة واللوح والقلم وما
استاثر بعلمه فلم يطلع عليه احدا ابن عطا ما تبصرون من اثار القدرة وما لا تبصرون من اسرار
القدرة والاول الاحسن فانه اقسم بالاشيا كلها على الشمول والاحاطة لا يخرج من قسمين مبصر
وغير مبصر اي ان هذا القران لقول رسول كريم اي تلاوة محمد وتبليغه اي يقوله ويتكلم به على وجه
الرسالة من عند الله وقيل وحي جبريل كريم على الله وفي لفظ الرسول دليل على انه يبلغ عن الله
ويحكيه والقول يقع على الحكاية وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن كما تدعون قليلا ما تذكرون
قرا ابن عامر وابن كثير يومنون ويذكرون بالياء من تحت والباقون بالتاء فيهما ما صلة وقليلا
صفة مصدر محذوف اي يومنون ايمانا قليلا ويذكرون ذكرا قليلا وقيل القلة في معنى العدم
اي لا يومنون ولا يذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل
بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين ولو تقول تخرص وافتعل واختلق علينا بعض
الاقاويل التقول افتعال من القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال الاقاويل المنقولة تصغيرا لها
وتحقيرا لقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى قوله ادعى علينا شيئا
لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخطة والانتقام فصور
قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار
لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في معناه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان
يكفحه بالسيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين
لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقيل
من صلة معناه لعاقبناه وانتقمنا منه بالحق كقوله انكم كنتم تاتوننا عن اليمين من قبل الحق ابن
عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقيل معناه لاخذناه منه باليد اليمنى من يديه وهو في معنى لاذللناه

واهناه

واهناه وهذا القول ذي السلطان اذا اراد الاستخفاف بعض من هو بين يديه واهانته
بعض اعوانه خذ بيده فاده الوتين حبل القلب مجاهد الحبل الذي في الظهر وقيل هو حبل بين
العليا والحلقوم فما منكم من احد عنه حاجزين ما نعين يحجزونا عن عقوبته وما نفعله به وانما
جمع وهو فعل واحد ردا على معناه والضمير في عنه للقتل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقدرون ان تحجزوا منه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وانه لتذكرة للمتقين
خصهم بالذكر لانتفاعهم به وانا لنعلم ان منكم مكذبين والخطاب للناس والمعنى ان منكم
مكذبين ومنكم مومنين مصادقين فالنبي يذكر احدهما وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم
ناسا سيكفرون بالقران وانه اي وان القران لحسرة على الكافرين وقيل المكذبين اذا راوا
ثواب المصدقين به وقد خالفوهم وقيل وان التكذيب لحسرة على الكافرين وانه وان القران
لحق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح
الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله العظيم الذي كل شي في جنب عظمته صغير ۝

سورة المعارج مكية

وهي الف واحد وستون حرفا ومايتان وستة عشر كلمة واربع واربعون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل
بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملايكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا يوم يكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم
يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه
ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ۝ قرا اهل المدينة والشام سال بغير همز مثل قال
والباقون بالهمز فهو من السوال والباء في قوله بعذاب بمعنى عن كقوله فسل به خبيرا اي عنه قال
علقمة فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادوا النساء طبيب اي عن النساء ومعنى الاية
سال سايل عن عذاب واقع اي نازل كاين على من ينزل ولمن هو فقال الله هاهنا
مبينا للكافرين قال الحسن وقتادة كان هذا بمكة لما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم اليهم وخوفهم بالعذاب والنكال قال المشركون بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب
سلوا محمدا لمن هو وعلى من ينزل ولمن يقع فبين الله تعالى وانزل سال سايل بعذاب واقع للكافرين
وقيل الباء صلة وضمن سال معنى دعا كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه
وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين للكافرين على الكافرين اللام بمعنى على وهو النظر بن

الحارث حيث دعا على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل به
ما سال يوم بدر فقتل صبرًا ولم يقتل منه الا سلام ولم يقتل من الاسرى يومئذ غيره وقيل هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين ومن قرا سال ففيه وجهين احدهما
ان يكون من السوال وهي لغة قريش يقولون سلت تسل وهما تسايلان وثانيهما ان يكون من
السيلان ويويده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغاير
والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله
على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه يتضمن معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله
للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كاين او بواقع اي بعذاب
نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين من الله متصل بواقع اي واقع
من عنده وقيل متصل بدافع يعني ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته ذي المعارج ذي المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه
اي الى عرشه وجنته يهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة مما تعد الناس
والروح جبريل افرده ليميز فضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة
على الناس ابن عباس ذي المعارج ذي السموات ابن كيسان المعارج العلو الذي بين كل سمائين
والارضين قتادة ذي الفواضل والنعم سعيد بن جبير ذي الدرجات القرظي ذي الفضائل العالية مجاهد
معارج الملائكة وقيل هو ارواح المومنين عند الموت وقيل هم قوم يشبهون الانس وليس بهم اليه
الى محل الكرامة والزلفى وقيل الى حيث لا يكون لغير الله فيه حل ولا عقد ولا امر ولا نهي وقيل في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة من سني الدنيا لو صعد غير الملائكة وذلك انها تصعد من منتهى امر الله
من اسفل الارض الى منتهى امره من فوق السموات مقدار خمسين الف سنة وفي يوم كان مقداره
الف سنة يعني بذلك نزول الامر من السماء الى الارض في يوم واحد وذلك مقداره الف سنة
لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام محمد بن اسحق لو سار بنو ادم من الدنيا
الى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة قبل ان يقطعوه الحكم وعنه هو مدة عمر الدنيا
من اولها الى اخرها خمسون الف سنة لا يدري احدكم مضى وكم بقي الا الله فاذا هو يوم القيمة
وليس يعني ان مقدار طوله هذا دون غيره ولو كان كذلك كانت له غاية يفنى فيها الجنة
والنار ولكنه يقول موقفهم للحساب يعني يحصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا
وذلك ان اليوم القيمة اول وليس له اخر لانه يوم ممدود ولو كان له اخر لكان منقطعًا
وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منهم في خمسين الف سنة

الكلبي لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في
خمسين الف سنة وانا افرغ منها في ساعة من نهار فان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنًا كل
موطن الف سنة وفيه تقديم وتاخير كانه قال ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة فاراد ان اهل الموقف يستطيلون يستطيلون ذلك اليوم وعن ابي سعيد الخدري
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المومن حتى يكون عليه
اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ابراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومنين الا كما بين
الظهر والعصر فاصبر على تكذيبهم اياك صبرًا جميلًا لا جزع فيه قيل وهذا قبل ان امر بالقتال
فنسخ وقيل غير منسوخ فان الصبر الجميل الانتظار من غير استعجال وقوله فاصبر متعلق بقوله سال
سائل لان استعجال النضر بن الحارث بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله عليه
السلام والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر
عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن
قرا سال سائل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الكفار انهم ان الكفار
يرونه يرون ان العذاب الواقع ومن علق في يوم بواقع يقول يرونه يوم القيمة بعيدًا يستبعدونه
على جهة الاحالة ونحن نراه قريبًا هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب من الامكان لان كل ما هو ات قريب وقيل يظنونه بعيدًا ونعلمه
قريبًا يوم تكون منصوبًا بقريب اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم وقيل منصوب بيقع مضمر
الدال عليه واقع عليه وقيل يوم تكون السماء كالمهل كان ثبت وكيت وقيل هو بدل عن في يوم فيمن
علقه بواقع كالمهل كعكر الزيت وقيل كالنحاس المذاب وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانًا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المصبوغ اذا طيرته الريح مقاتل كالصوف
المنفوش الحسن كالصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملًا مهيلًا
ثم عهنًا منفوشًا ثم تصير هباء منثورًا ولا يسال حميم حميمًا قريب قريبًا لشغله بشان
نفسه يبصرونهم يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وليس في القيمة مخلوق الا وهو
نصب عين صاحبه من الجن والانس يبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يساله
ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار
ثم لا يتعارفون بعد ذلك السدي يبصرونهم يعرفونهم اما المومن فببياض وجهه واما الكافر

فيسود وجهه يبصرونهم كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله يبصره فقيل يبصرونهم
ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم وانما جمع الضميرين في يبصرونهم وهما للحميمين لان المعنى
على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين
اياهم يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ قرا نافع والكسائي بفتح الميم على البناء للاضافة
الى غير متمكن والباقون بالجر ببنيه وصاحبته زوجته واخيه وفصيلته عشيرته الادنون الذين
فصل عنهم ابو عبيدة محمد بن ثعلب انها الادنون وقيل اقرب اباه الاقربين التي تؤويه يضمه انتما اليه وقيل
تاوي اليها عند الخوف اوليا ذا بها الا لنوايب مجاهد قبيلته ومن في الارض جميعا ثم ينجيه
ذلك الافتدا من عذاب الله والمعنى يود لو يفتدي بجميع هاولاء المذكورين ثم ينجيه ذلك الافتدا
من عذاب الله وثم لاستبعاد الانجا يعني يتمنى لو كان هاولا جميعا تحت يده وبذلهم في فداء
نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه **قوله تعالى** كلا انها لظى نزاعة للشوى
تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم
غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون ٥ كلا ردع للمجرم عن
الودادة على انه لا ينفعه الافتدا الذي ليس لذلك لا ينجيه من عذاب الله شي ثم ابتدا فقال
انها لظى اي النار ولم يتقدم لها ذكر لان العذاب دل عليها وقيل يجوز ان يكون ضمير القصة وقيل يجوز
ان يكون ضميرا مبهما يوضحه الخبر وقيل معناه حقا انها لظى فيكون متصل لظى اسم من اسما جهنم
وقيل علم للنار منقول من اللظى ويجوز ان يراد اللهب نزاعة قرا حفص عن عاصم بالنصب على الحال
المؤكدة او على انها تتلظى نزاعة او على الاختصاص للتهويل والباقون على انه خبر بعد خبر لان او
خبر للظى ان كان الها ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع
على التهويل اي هي نزاعة تنزع وتقلع وتكشط للشوى الكلى لام الراس باكل الدماغ كله ثم يعود
الدماغ كما كان ثم يعود لاكله كذلك دابها عطية للجلود والهام سعيد بن جبير للعصب والعقب مجاهد
لجلود الراس جمع شواة وهي جلدة الراس قال كثير لا صبحت مدتك الحوادث هنه لها فشواة الراس
بادهرها ابرهيم بن مهاجر اللحم دون العظم الحسن الهام يحرق كل شي فيه ويبقى فواده نضيحا ابو صالح للحم
الساق ثابت البناني لمكارم وجهه سادة لمكارم خلقه واطرافه ابو العالية لمحاسن وجهه يمان

خلاعة

خلاعة للاطراف من الاعضا الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا الكسائي
المفاصل ابن جرير السوى جمع شواة وهي من جوارح الانسان ما لم يكن مقتلا يقال رمى فاشوى
اذا لم يصب مقتلا تدعوا الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن الحق وتقول الي الي ابن عباس
تدعوا الكافرين والمنافقين باسمايهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب ثعلب تدعوا
اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلك الله الخليل انه ليس كالدعا ولكن دعواها اياهم
تمكينها من تعذيبهم وفعلها بهم ما يفعل وجمع المال فاوعى فجعله في وعاء وكنزه ولم يود الزكاة والحقوق
الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر ان الانسان اي الناس فلذلك استثنى
منهم الا المصلين خلق هلوعا ابن عباس حريصا على ما لا يحل له سعيد بن جبير شحيحا عكرمة ضجورا
الحسن والضحاك بخيلا حريصا قتادة وابن زيد مجاهد شرها الضحاك ايضا الهلوع الذي لا يشبع
مقاتل ضيق القلب ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ويسخطه
ثم تعبده بانفاق ما يحب وبالصبر على ما يكره عطا عجولا وقيل جهولا سهل متقلبا في شهواته وهواه
ابن عطا الهلوع الذي يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود الوراق نساما عند النعمة دعا عند المحنة
سهل ايضا اذا افتقر جزع واذا ايسر منع ابو عبيدة هو الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر
لم يصبر وقيل طموعا يرضيها القليل من الدنيا ويسخط مثله والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا
الجزع وقيل الهلع سرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير حنيفة عطية
عن ابن عباس هو الذي قال الله عز وجل اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وعن احمد بن
يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله فلا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو
الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر
الفقر او الخير الصحة والشر المرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا جزع واحد يوصي قال
صاحب الكشاف والمعنى ان الانسان لايثار الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه
مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل
عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل
عليه الاستثنا المومنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وطلقوها من الشهوات
حين لم يكونوا جازعين ولا مانعين قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع
وجبن خالع ثم استثنى فقال الا المصلين قيل هم الصحابة خاصة وقيل هم المومنون عامة فانهم
يغلبون فرط الهلع بحكم الشرع لثقتهم بربهم وتقسيم بتقديره واستثنا الجمع من الواحد لان الانسان
اسم الجنس وهو في معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون مواظبون على ادائها لا يخلون بها ولا

يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام افضل العمل ادومه وان قل وقول عايشة كان عمله ديمة وروي ان عقبة بن عامر قال الجماعة من الذين هم على صلوتهم دايمون قالوا الذين لا يزالون قال ولكن الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والذين في اموالهم حق معلوم هو الزكاة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه في اوقات معلومة للسايل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خايفون وجلون المحسن يشفق المومن ان لا تقبل حسناته واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون اي يعفون عما حرم عليهم الحسن لفروجهم لباسهم حافظون فلا يكشفونها على محرم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يعني الجواري وما بمعنى من وقيل ما المصدر اي ملك يمينهم فانهم غير ملومين على ترك الحفظ فمن ابتغى وراء ذلك طلب منكحا سوى الزوجة والجارية ومعنى وراء ذلك اي الخارج عن الحد المذكور فاولئك هم العادون المجاوزون من الحلال الى الحرام والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون غير خاينين ولا ناقضين وقيل الامانات ما يدل عليه العقول والعهد ما اتى به الرسول والذين هم بشهاداتهم قايمون يقيمونها ولا يكتمونها ولا يغيرونها والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احيا الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها سهل قايمون يحفظ ما شهدوا به من شهادة لا اله الا الله فلا يشركون به في شيء من الاقوال والافعال والاحوال قرا ابن عامر وحفص ويعقوب بشهاداتهم بالالف على الجمع والباقون بشهادتهم والذين هم على صلواتهم يحافظون ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظونها من الاحباط باقتراف الماثم فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها اولئك في جنات مكرمون يعني اهل هذه الاوصاف في جنات مكرمون بفضل

قوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون .

○ فما للذين كفروا اي فما بال الذين كفروا كقوله فما لكم في المنافقين فئتين وقوله فما لهم عن التذكرة معرضين مهطعين مقبلين عليك مادي اعناقهم مديمي النظر متطلعين اليك والاهطاع الاسراع عليهم وهو نصب على الحال عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة

تعتزي

تعتزي الى غير ما يعتزي اليه الاخرى فهم يفترقون وقيل عزين حلقا وفرقا عصبة عصبة وجماعة جماعة متفرقين والعزين جماعات واحدتها عزة ثبة وثبين وكرة وكرين وقلة وقلين قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتايب جندل شتى عزينا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي اراكم عزين كان المشركون يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه ولا ينتفعون به بل يكذبونه ويكذبون عليه ويستهزئون به وباصحابه ويقولون لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم وليكونن لنا فيها اكثر مما لهم فانزل الله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم ابتدا فقال ذلك انا خلقناهم مما يعلمون اي من نطفة ثم علقة ثم مضغة فلا يستوجب احد منهم الجنة لكونه شريفا لان مادة الخلق واحدة بل يستوجبونها بالطاعة وقيل انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب فحذف اجل وقيل ما بمعنى من اي انا خلقناهم من يعلمون ويعقلون لا البهايم قال صاحب الكشاف كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى اخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث وكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزا فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة بالقدرة على ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة وقيل يجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهو منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفي اشعارا بانه منصب يستحيي من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم عن انس بن مالك قال كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا خطبنا يقول مناس ابن ادم فذكر بدء خلقه انه يخرج من مخرج البول مرتين ثم يقع في الرحم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يخرج من بطن امه فيتلوث في بوله وخرئه حتى يقذر احدنا نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق في كفه ووضع اصبعه فقال يقول الله تعالى اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة وقيل معناه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم على ان نهلكهم ونات بخلق امثل منهم واطوع لله وارضى منهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك فذرهم دعهم امر تهديد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا ويلهوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه بالعذاب قيل يوم بدر وقيل يوم المبعث يوم يخرجون قرا ابو بكر عن عاصم بضم الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء من الاجداث من القبور سراعا الى اجابة الداعي

كانهم الى نصب الى شى منصوب يقال فلان نصب عيني ابن عباس الى غاية وذلك حين سمعوا الصيحة
للاخيرة الكلبي الى علم وراية ابو العالية سمعت بعض العرب يقول النصب الشبكة التي يقع
فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها مخافة ان يفلت الصيد منها قرا ابن عامر وحفص عن عاصم
نصب بضم النون والصاد مثل مقاتل والكسائي يعني الى اوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله
تعالى والباقون بفتح النون وسكون الصاد يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كانما كانوا
يستبقون الى انصابهم ابن عباس وقتادة يسعون ابو العالية ومجاهد يستبقون الضحاك
ينطلقون الحسن يبتدرون القرظي يشتدون خاشعة ذليلة خاضعة ابصارهم بالعذاب
ترهقهم ذلة يغشاهم هوان ومنه غلام راهق اذا غشي الاحتلام ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا وهم يكذبون به وهو يوم القيمة ن ن ن

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي تسع ماية وتسعون حرفا ومايتان واربع وعشرون كلمة وثمان وعشرون اية ل

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه
ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون ن انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر اي بان انذر قومك حذف الجار واوصل
الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى انا ارسلنا نوحا الى قومه بان قلنا له انذر اي ارسلناه
بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لان الارسال فيه معنى القول من قبل ان ياتيهم
عذاب اليم قيل عذاب الاخرة وقيل الطوفان والغرق قال نوح يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا
الله يجوز ان ان في الوجهين واتقوه واحذروا عصيانه وعقابه واطيعون فيما امركم به
وانهاكم عنه يغفر لكم من ذنوبكم قيل من للسبق كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل
صلة اي يغفر لكم ذنوبكم وقيل للتبعيض اي يغفر لكم ما سبق من ذنوبكم وقيل بحسب ما يقع
من الاقلاع عنها وقيل ان المعنى يخرجكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى وهو الموت
فلا يهلككم بالعذاب فتموتوا غير ميتة المستاصلين بالعذاب الى اجل مسمى اي الى اجل تعرفونه
كذلك وقيل يؤخر اجالكم فلا نعرفكم الى الاجل الذي كتب لكم قال صاحب الكشاف فان قلت
ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم
نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمايه فقيل لهم امنوا
يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت

الاطول

الاطول تمام الالف ثم اذا اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم
حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير وقيل وعدهم اجلا يعطيهم ان امنوا وعلم انهم لا يؤمنون
للحسن اي ان امنتم اخرتم بعد ذلك الى يوم القيمة لا يواخذكم بذنب في الدنيا قيل في الاية دليل
على اثبات الاجلين لان الوعد بالاجل المسمى مشروط بالعبادة والتقوى فلو لم يفعلوا يفعل بهم العذاب
الاستيصال قبل الاجل الاقصى والله اعلم ان اجل الله اذا جاء بحلول العذاب او بالموت لا يؤخر
وقيل اجل الله القيمة لو كنتم تعلمون لعلمتم ذلك **قوله تعالى** قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم
واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم اطوارا ن قال نوح يشكو الى الله ما قاساه من قومه رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا دايبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها وقيل دعوتهم احيانا بالليل واحيانا
بالنهار ويروى انه كان ياتي باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب الدار من على الباب
فيقال انا نوح قل لا اله الا الله وقيل المراد بالليل والنهار فرادى وجماعات فلم يزدهم دعاي الا
فرارا نفارا وادبارا وقيل لم يزدادوا الا تماديا في الغي واعراضا جعل الدعا فاعل زيادة الفرار
والمعنى انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحو فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادهم
ايمانا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي دعوتهم الى الايمان ليؤمنوا فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم
اي سدوا اذانهم كراهة استماع مجاورتي ودعاي اياهم الى الله واستغشوا ثيابهم غطوا بها
وجوههم كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم
في دين الله وقيل غطوا رؤسهم وسكتوا عني حتى لا اعرفهم الحسن نفضوا ثيابهم وقاموا عني واصروا
على الكفر من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقدام على المعاصي
والاكباب عليها واستكبروا تعظموا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وقبول كلامي وترفعوا عن
الادعان للحق فقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وذكر المصدر اي استكبارا تاكيد ودلالة على
فرط استكبارهم وعتوهم ثم اني دعوتهم جهارا ظاهرا يرى بعضهم بعضا ثم اني اعلنت لهم الدعوة
واسررت لهم اسرارا قال صاحب الكشاف فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم
في السر والعلن فيجب ان تكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه
السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتدا بالاهون والترقي في الاشد فالاشد

فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد
احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء
بقعد او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا فقلت
استغفروا ربكم امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم
واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها
من خير الدنيا والاخرة كما قال واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم انه كان غفارا عن الشعبي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال عمر لقد طلبت
المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا اي المطر عليكم مدرارا دروراً
كثيراً دائما وعدكم باموال وبنين يزدكم اموالا واولادا ذكورا ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا اي
يجعل لكم بساتين واشجارا ويجعل لكم مياها جارية في البساتين وذلك ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه
زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم
فوعدهم الله ان امنوا ان يرد عليهم وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدوبة فقال استغفر الله
واتاه اخر فشكا اليه جفاف بساتينه فقال استغفروا الله فقلنا له اتاك رجال يشكون اليك
ابوابا ويسألون انواعا وامرتهم كلهم بالاستغفار فقال لهم ما قلت من راي نفسي في ذلك شيئا
انما اعتبرت فيه قول الله عز وجل اخبارا عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه استغفروا
ربكم انه كان غفارا دائم المغفرة يرسل السماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد
السحاب او المطر من قوله اذا نزل السحاب بارض قوم عليكم مدرارا اي الدرور ومفعال يستوي فيه
المذكر والمؤنث كقولهم رجل وامراة معطار ومتفال ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما
والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر
لكان صلة للوقار وعن ابن عباس ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة العوفي لا تعلمون لله عظمة ما له لا ترجون
لله عاقبة ابن زيد لا ترون لله طاعة الكلبي لا ترجون لله ابن كيسان ما لكم لا ترجون في العبادة ان يثيبكم
على توقيركم اياه خيرا الحسن لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة ابن جبير ايضا لا ترجون لله ثوابا
ولا تخافون عقابا والرجاء من الاضداد يكون املا وخوفا وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال
ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم

اولا

اولا ترابا ثم خلقكم نطفة ثم خلقكم علقة ثم خلقكم مضغة ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم طبقا اخر **قوله تعالى**
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ۝ نبههم
على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم العلوي ثم السفلي وما سوى
فيها من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
بعضها على بعض لحسن كل سماء طبق للاخرى الاولى للاولى والثانية للثانية ثم على التوالي وطباقا جمع طبق وهي
صفة لسبع وقيل نصب على المصدر اي طابقها طباقا وقيل حال وجعل القمر فيهن في السموات وهو في السماء
الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال
في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت
في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس والقمر نورا والضياء
اقوى من النور والله انبتكم من الارض نباتا قيل معناه خلق ادم من تراب وانتم اولاده وقيل جعل نشاكم
ونماكم بالغذاء الذي من الارض ونباتا مصدر انبت بحذف الزوائد وقيل بمعنى وتنبتون نباتا استعير
الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا
نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم
في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا منصوب
بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم منها احياء يوم القيامة ثم اكده بالمصدر كانه
قال يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه
لتسلكوا منها لتتصرفوا عليها مجيئا وذهابا سبلا فجاجا طرقا هينة وقيل واسعة منفجة وقيل طرقا
مختلفة وقيل واسعة وقيل بعيدة وقيل السبل الطرق والفجاج ما يتشعب منها **قوله تعالى**
قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا
۝ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به من التوبة والايمان واتبعوا من لم يزده ماله
وولده اي اتبعت السفلة رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد الذين اموالهم
واولادهم لم تردهم الا خسارا حسرانا وهلاكا لانهم لم يتقوا شكر ما انعم الله عليهم وقيل وارتسموا
ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة
في الدنيا زائدين خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها وتثبيتا
وابطالا لما سواه قراءة نافع وابن عامر وعاصم وولده بفتح الواو واللام والباقون بضم الواو وسكون
اللام وهما لغتان ومكروا مكرا كبارا معطوف على لم تزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى
الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم

عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكراً كباراً كبيراً وكباراً بالتخفيف
وكبّاراً بالتشديد قيل كلها بمعنى واحد وقيل الكُبار بالتشديد اكبر من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف
اكبر من الكبير ونحوه طويل وطوال وطوّال **قوله تعالى** وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّاً ولا
سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد اضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالاً مما خطيئاتهم اغرقوا
فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً ۝ وقالوا اى رؤساؤهم للسفلة ولا تذرن
وداً كأن هذه المسميات كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قوله لا تذرن آلهتكم وقد
انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد
ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث عن محمد بن كعب كان لآدم خمس بنين ود وسواع
ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عباداً فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزناً شديداً فجاءهم الشيطان فقال
هل لكم ان اصور لكم في قبلتكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نكره ان نجعل في قبلتنا شيئاً نصلي اليه قال
فاجعلوه في مؤخر المسجد قالوا نعم فصوروه له من صفر ونحاس ورصاص ثم مات آخر فصوره لهم ثم مات
آخر فصوره لهم قال فتنقصت الاشياء كما تنتقص اليوم واقاموا على ذلك ما شاء الله ان يقيموا
ثم تركوا عبادة الله فأتاهم الشيطان فقال لهم ما لكم لا تعبدون شيئاً قالوا من نعبد قال هذه آلهتكم
وآلهة آبائكم الا ترونها منصوبة في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحاً عليه السلام
فدعاهم الى عبادة الله فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا سواعاً وقيل كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم
تباع يقتدون بهم فلما مات اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم قالوا لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة
اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس وقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون
المطر فعبدوهم وقال ابن عباس كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند فحال بين الكافرين وبين ان يطوفوا
به فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفتخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد واصور لكم
مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فلما كان ايام
الغرق دفن الطوفان تلك الاوثان وطمها بالتراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب
فاتخذت قضاعة وداً فعبدوه بدومة الجندل ثم توارثه بنو الاكابر فالاكابر حتى صارت الى كلب فجاء
الاسلام وهو عندهم واخذ اعلى وانعم وهما من طيء يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زماناً ثم ان بني
ناجية ارادوا ان ينزعوه من اعلى وانعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحرث بن كعب واما يعوق فكان لكهلان
ثم توارثه بنوه الاكابر فالاكابر حتى صار الى همدان واما نسر فكان لخثعم يعبدونه واما سواع فكان لآل ذي الكلاع
يعبدونه عطاء وقتادة وابن المسيب صارت اوثان قوم نوح للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وكان
سواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلاع

من حمير

من حمير واما اللات فلثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر واما مناة
فكانت بقديد واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت نائلة حيال
الركن اليماني وكانت هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعاً الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع
على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير وقد اضلوا
كثيراً قبلها ولاد المؤمنين بان تمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم وقيل وقد اضلوا اى
الاصنام اى ضل بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره رب انهن اضللن كثيراً من الناس ولا تزد
الظالمين عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه
قال رب انهم عصوني وقالوا ولا تزد الظالمين الا ضلالاً اى قال هذين القولين وهما في محل النصب
لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفاً احدهما على صاحبه
الا ضلالاً الا هلاكاً وقيل عذاباً وقيل عدولاً عن الصواب دعا عليهم حين قال الله له لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن مما خطاياهم اى من خطاياهم وما صلة يعني من خطاياهم لبيان انه لم يكن اغراقهم
بالطوفان وادخالهم النار الا من اجل خطاياهم واكد هذا المعنى بزيادة ما قال صاحب الكشاف
وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطاياهم وان كان كبراهن وقد نعت عليهم
سائر خطاياهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استحقاق العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على
اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وفيما قاله دسيسة
اعتزالية اغرقوا فادخلوا ناراً دخول النار دليل على اثبات عذاب القبر ومن مات في الماء او في النار واكلته
السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وقيل جعل دخول النار في الآخرة كانه متعقب
لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار فلم يجدوا لهم
من دون الله انصاراً تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه
قال فلم يجدوا لهم آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجراً كفاراً من الكافرين دياراً احداً يدور في الارض فذهب وهو من الاسماء المستعملة في النفي
العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدوران ومن الدار اصله ديوار ففعل به
ما يفعل باصل سيد وميت ولو كان فعالاً لكان دواراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ابن عباس
كان ينطلق بابنه الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب فان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير
عليه ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً اى من سيكفر ويفجر محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال

نوح هذا حين اخرج الله تعالى كل مؤمن من اصلابهم وارحامهم واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب
رجالهم قبل العذاب باربعين سنة واخبر الله تعالى نوحًا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا فحينئذ
دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ابو العالية والحسن
لو اهلك الله اطفالهم معهم لكان عذابًا من الله معهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ابو العالية والحسن
لو اهلك الله اطفالهم معهم لكان عذابًا من الله لهم ولكن الله تعالى اهلك ذريتهم واطفالهم بغير عذاب
ثم اهلكهم والدليل عليه قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وقد علمنا ان الاطفال لم يكذبوا
الرسل وانما نزل العذاب على المكذبين **قوله تعالى** رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارًا ۝ رب اغفر لي ولوالدي اسم ابيه
لمك بن متوشلخ واسم امه سمحا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما ادم وحوا ولمن دخل بيتي مؤمنًا داري ومنزلي
ومسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعايه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد
الظالمين الكافرين المشركين الا تبارًا هلاكا ودمارا ابن عباس كما استجاب الله دعاه في الكافرين ولم
يذر منهم احدا كذلك يستجيب في المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة قيل قال في الاية الاولى ضلالا وفي
الثانية تبارًا لان في الاية الاولى اهلكهم كثيرًا اخبارهم بالاضلال ضلالا لا تمردهم تدميرًا

سورة الجن مكية

وهي ثمان الاف وسبعون حرفا وماىتان وخمس وثمانون كلمة وثمان وعشرون اية ۝
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبًا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدًا ۝
قل يا محمد اي اخبر قومك ما ليس لهم به علم ثم بين فقال اوحي الي اخبرت بالوحي من الله ان الامر والشان
انه الفتح مع اسمه وخبره في محل الرفع لانه قائم مقام فاعل اوحي استمع القران فحذف لان ما بعده يدل
عليه والاستماع طلب السماع بالاصغا له نفر من الجن جماعة منهم وكانوا تسعة من جن نصيبين
وقيل كانوا من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددًا وهم عامة جنود ابليس فقالوا لما رجعوا الى قومهم
انا سمعنا الكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم يحمل بعدها البواقي فما كان من الوحي فتح وما حكي من قول
الجن كسر وكلهن من قول الجن الا الثنتين الاخيرتين وان المساجد وانه لما قام قرانا كتابا عجبًا
بديعا مباينا لساير الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه مقام الاعجاز عجبا مصدر
وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج من حد اشكاله ونظايره يهدي الى الرشد يدعو الى
الصواب وقيل يهدي الى التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدًا ولما كان
الايمان بالقران ايمانا بالله عز وجل وبوحدانيته وبراة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدًا

قوله تعالى

قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا وانه كان يقول سفيهنا على الله
شططًا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبًا ۝ وانه واخواته قرا اهل الشام
والكوفة الا ابا بكر بالفتح عطفًا على محل الجار والمجرور في امنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وكذلك البواقي والباقون بالكسر الا ما اتى عن ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب انهم فتحوا انه لما قام فقط تعالى جد ربنا الحسن غنا ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود
ابن عباس قدرة ربنا مجاهد وعكرمة جلال ربنا قتادة عظمة ربنا الضحاك فعل ربنا القرظي الاء ربنا
ونعمه على خلقه الاخفش ملك ربنا ابن كيسان ظفر ربنا على كل كافر بالحجة والجد لغة العظمة ومنه قول
انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم ابن عباس لو علمت الجن ان في الانس جدًا
ما قالت تعالى جد ربنا والمعنى وصفه تعالى بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا لذلك وهو استعارة من الجد الذي هو الدولة
والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون وعن جعفر الصادق وابيه محمد الباقر والربيع ابن
انس ليس لله جد وانما قالت الجن بالجهالة فلم يوجدوا به ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا وذلك انهم
لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله
سبحانه بخلقه واتخاذه صاحبة وولدًا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا
مجاهد وقتادة هو ابليس اي السفيه الذي ليس فوقه سفيه على الله شططًا عدوانا وقولا عظيمًا
وكذبا وجورًا وردًا والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشطت في السوم اذا ابعدت فيه اي
يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشطط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا
حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدًا
حتى سمعنا القران فتبين بالقران كذبهم وافتراهم كذبا اي مكذوبا فيه وقيل نصب كذبا نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول **قوله تعالى** وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقًا وذلك قول الرجل من العرب اذا امسى في الارض القفر اعوذ بسيد هذا الوادي من سفها
قومه فيبيت في امن وجوار حتى يصبح مقاتل كان اول من تعوذ من الجن قوم من اهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا
ذلك في العرب والجمهور على ان الجن رجالا ونساء كما في الانس رجال ونساء وقيل رجال من الانس
يعوذون برجال ادميين ايضا وقوله من الجن متعلق يعوذون كما يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وكان اهل مكة يقولون اعوذ بحذيفة ابن بدر من جن هذا الوادي ان يحرهوا فعطاعتهم الى الشيطان
وحزبه بالطاعة لهم والقبول لهم فزادوهم اي فزاد الانس الجن رهقا عظمة بذلك القول فاذا سمعوا
استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم وقيل فزاد الجن الانس رهقًا باغوايهم واضلالهم

لاستعاذتهم بهم عن ابن عباس اثما قتادة خطيئة سعيد جرأة مجاهد طغيانا ربيع فرقا ابن زيد خوفا الحسن
شرا ابن عطية حسبانا والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم الانس ظنوا كما ظننتم وهو من
كلام الجن بقول بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة الوحي والضمير في انهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم
لكفار قريش ان لن يبعث الله احدا بعد موته **قوله تعالى** وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ۞ وانا لمسنا السماء اي طلبنا
خبر السماء والمصير اليها فحذف المضاف واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف وقيل
اللمس طلب ادراك الملموس بحاسة المس وهي اليد في الغالب والرجل ظاهر الجسد والمعنى طلبنا بلوغ
السماء واستماع كلام اهلها وهذا كلام الجن بعضهم لبعض اي اتينا السما لنستمع الى ما يكون فيها فوجدناها
اي السماء وقيل ابوابها وقيل طرقها ملئت حرسا حفظة وهو اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام
ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخاف رجلا او ركبا غاديا لان الرجل
والركب مفردان في معنى الرجال والركاب وقيل مصدر اي يحرسها الملايكة حرسا شديدا وشهبا جمع
شهاب وهو المضيء المتوقد من النار وانا كنا نقعد منها من السماء مقاعد للسمع اي الاستماع من الملايكة
ما يقولون فيما بينهم من الحوادث قبل اليوم فمن يستمع الان طلب السمع من السماء يجد له شهابا رصدا
والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب وهم الملايكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم
من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى راصدا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله وقيل حفظة
تمنع من الاستماع وهو بدل من قوله شهابا وقيل رصدا يرصدونه ليرجموه به وقيل يجد راصدا له تمنعه
ويزجره عن الاستماع قال صاحب الكشاف فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر
الجاهلية قال بشر بن ابي حازم   والعير يرهقها الغبار وجحشها   ينقض خلفهما انقضاض الكواكب
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم
وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي
صلى الله عليه وسلم وروي عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا
كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد

منها مقاعد للسمع اي نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها وانا
لا ندري وهذا ذكره ما حملهم على الضرب في البلاد واستماع القران يقولون لما حدث هذا الحادث من
كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا
او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة وقيل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي عذاب وهلاك
حين اشتدت حراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وقيل رشدا ارسال رسول يرشدهم وقيل
لا ندري اراد الله رشدا بعث هذا الرسول فيرشدهم ام اراد ان يكفروا به فيهلكهم **قوله تعالى**
وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرايق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ۞
وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار المتقون ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم قيل هم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين وقيل ومنا دون
ذلك اي الكافرون وقيل الصالحون اصحاب الخير ودون ذلك اصحاب الشر كنا طرايق قددا بيان
للقسمة المذكورة اي كنا ذوي اهواء مختلفة ومذاهب متفرقة وفرق شتى منا المؤمن ومنا الكافر
سعيد بن جبير الوانا شتى الحسن قددا مختلفين الاخفش ضروبا ابو عبيدة اصنافا المؤرج اجناسا
النضر بن شميل مللا ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس الحسن في قوله عز وجل
امثالكم فيهم قدرية ومرجية ورافضة وشيعة وواحد القدد قدة وهو الفرقة واصلها من القد
وهو القطع وقيل كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة وقيل كنا في طرايق مختلفة وقيل
كانت طرايقنا طرايق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرايق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه
ووصفت الطرايق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وانا ظننا تيقنا الظن بمعنى اليقين
ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا حال لان اي لن نعجزه كاينين في الارض
اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض ان اراد بنا
امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقايدهم منهم اخيار
واشرار ومقتصدون وهم يعتقدون ان الله عز وجل غالب لا يفوته مطلب لا ينجي عنه مهرب
وانا لما سمعنا الهدى سماعهم القران امنا به بالقران فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
اي فهو غير خايف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف بخسا
نقصا ولا رهقا ظلما اي نقصا في الحسنات وزيادة في السيئات ويقال الرهق العذاب ههنا
قال صاحب الكشاف فان قلت اي فايدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له و
وجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفايدة فيه انه اذا فعل

ذلك معانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون
غيره وقيل بخسًا ولا رهقًا اي بخس ولا رهق لانه لم يبخس احد حقًا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاهما
وفيه دليل على ان من حق من امن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المومن من امنه
الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة
من قوله تعالى وترهقهم وقيل ولا ان يوخذ بذنب غيره ولا ان يعاقب بغير جرم قيل رهقا مكروها بخسًا
وقيل ذهاب كل نطيره فلا يخاف ظلما ولا هضمًا **قوله تعالى** وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون فمن اسلم فاوليك تحروا رشدًا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ٥
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون العادلون عن طريق الحق يقال اقسط الرجل فهو
مقسط اذا عدل قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقسط يقسط قسوطًا اذا جار
فمن اسلم فاوليك تحروا رشدًا اي قصدوا وعمدوا ويوخذ منه تحري القبلة لمن عميت عليه رشدًا
صوابًا من القول والفعل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له
حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل قال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط
والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون قال صاحب الكشاف وقد زعم من لا يرى للجن ثوابًا ان الله اوعد قاسطيهم وما وعد
مسلميهم وكفى به وعدًا ان قال فاوليك تحروا رشدًا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل
من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد **قوله تعالى** وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماءً غدقًا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابًا صعدًا وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدًا وان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحى الي ان الشان
والحديث لو استقام الانس والجن على الطريقة المثلى اي على طريق الحق والايمان والهدى وكانوا مومنين
لاسقيناهم ماءً غدقًا كثيرًا قال عمر رضي الله عنه في هذه الاية اينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت
الفتنة لاعطيناهم مالا كثيرًا وعيشا رغيدًا ووسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم في الدنيا لنفتنهم فيه
فنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوه وهذا قول سعيد بن المسيب وعطا بن ابي رباح والضحاك وقتادة
ومحمد بن عمر وعطية ومقاتل والحسن قال والله كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين
مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها ووثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان بن عفان رضي الله
عنه وقيل معناه وان لو استقام اهل الكفر على طريقة الكفر والضلالة وكانوا كفارًا لاسقيناهم لاعطيناهم
ووسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجًا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع وزيد بن
اسلم والكلبي وثمان بن رباب وابن كيسان وقيل لو ثبتوا لاسقيناهم ماءً غدقًا كناية عن الاهلاك بالماء

كما كان

كما كان لقوم نوح لنفتنهم فيه لنعذبهم به ولنختبرهم به كف بن عباس لو استقام اهل مكة على طريقة
الاسلام وامنوا لاسقيناهم ماء غدقًا فاهديناهم الى الصراط المستقيم فهو مثل وقيل ان الشان والحديث
للجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله عز وجل والطاعة ولم
يستكبر عن السجود لادم ولم يكفر وتبعه ولده لانعمنا عليهم واوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق
اي الكثير لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه وقيل
معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها
الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببًا في اتباعهم
شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثمًا او لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه
يسلكه قرا اهل الكوفة ويعقوب وابو قرة بفتح النون وضم اللام اي ندخله عذابًا والاصل يسلكه
في عذاب لقوله ما سلككم في سقر يعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار
موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه صعدًا مصدر صعد يقال صعد صعدًا
وصعودًا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر
رضي الله عنه ما تصعدني شي كما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي وما غلبني وان المساجد
من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي
فلا تدعوا مع الله احدًا في المساجد لانها لله خالصة ولعبادته الحسن يعني الارض كلها لانها
جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدًا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله قتادة كانت اليهود والنصارى
اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم
والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد سعيد بن جبير وطلق بن حبيب اراد بالمساجد
الاعضا التي يسجد عليها العبد وهي سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه ابن عطا
مساجدك اعضاك التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها ابن عباس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة ارباب فانه جعلت المساجد
المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم وان جعلتها الاعضا فواحدها مسجد بفتح الجيم الحسن وان
المساجد يعني الصلوات لله فلا تدعوا مع الله احدًا اي افردوا له التوحيد واخلصوا له العبادة
وقيل معناه وافردوها لذكر الله وعبادته فلا تتخذوها متجرًا ولا مجلسًا ولا طريقًا ولا تجعلوا لغير
الله نصيبًا **قوله تعالى** وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا قال
انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدًا قل اني لا املك لكم ضرًا ولا رشدًا قل اني لن يجيرني من الله احد

ولن اجد من دونه ملتحدًا الا بلاغًا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدًا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرًا واقل عددًا ۝
وانه قرا نافع وابو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها لما قام عبد الله يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم قال
صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لانه تقدير واوحي الي انه لما قام عبد الله
فلما كان واقعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل
اولانه المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدًا
ومعنى قام يدعوه قام يعبده وقيل يدعوه لا اله الا الله ويدعوا الله ويقرا القران في الصلوة ببطن
مكة وقيل يراد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يعني الجن يكونون عليه
لبدًا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتدا اصحابه وراكعًا وساجدًا واعجابًا
مما تلا من القران لانهم راوا ما لم يروا امثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا
يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه
وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين وعن ابن عباس وسعيد بن جبير عنه هذا من قول النفر
من الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وايتمامهم به في الركوع والسجود واقتدائهم به في الصلوات واصل اللبد الجماعات بعضها
فوق بعض جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وتلبد الشعر اذا تراكم ومنه
سمي اللبد لتراكمه للحسن وقتادة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء
به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره وينصره ويظهره على من ناواه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا عاصم وحمزة قل على الامر والباقون قال رسول الله للمتظاهرين عليه انما
ادعوا ربي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدًا وقيل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله تعالى ورفضي الاشراك به بامر
يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعوا غير الله ويجعل له شريكًا وقيل قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اني لا املك ضرًا في دينكم ودنياكم ولا رشدًا ولا نفعًا وقيل ضرًا غيًا
ولا رشدًا ولا هداية وقيل عذابًا ولا نعيمًا وقيل موتًا ولا حياة والمعنى لا استطيع ان اضركم ولا
انفعكم لاني عبد مثلكم بل الضار النافع هو الله القادر على كل شيء قل اني لن يجيرني لن يمنعني من الله
احد من عذاب الله مانع ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدًا منهبًا ومدخلا في الارض وقيل
وليا وموئلا الحسن مستندًا يوم القيمة والملتحد الموضع او الشيء يميل اليه الانسان من اللحد
واللحاد وهو الميل الا بلاغًا استثناء منه اي لا املك الا بلاغًا من الله ورسالاته وذلك الذي

املكه

املكه بعون الله وتوفيقه واما الكفر والايمان فلا املكهما وقل اني لن يجيرني من الله احد
جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله
ان اراد به سوءًا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجير منه احد او يجد من دونه ملاذًا ياوي
اليه وقيل الا بلاغًا من الله ورسالاته فانه سبيل الامن والجواب والنجاة وقيل لا املك لكم ضرًا
ولا رشدًا ولكن ابلغ بلاغًا من الله انما انا مرسل ومبلغ لا املك الا ما ملكت وقيل بلاغًا بدل
من ملتحدًا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه
ومعناه ان لا ابلغ بلاغًا ان لا قيامًا وتعودا ورسالاته عطف على بلاغًا كانه قال لا املك
لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبًا لقوله اليه
وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ انما هي
بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغًا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله فيما يدعوه
اليه من التوحيد فان له نار جهنم خالدين فيها ابدًا حتى تعلق بقوله يكونون عليه لبدًا على انهم
يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون
من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ من اضعف
ايهم اضعف ناصرًا واقل عددًا وقيل حتى متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف
الكفار له واستقلالهم لعدده كانهم لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون
قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدًا عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه
رصدًا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددًا ۝
قل هذا جواب لمشركي مكة حين استعجلوا بالعذاب وقالوا متى يكون هذا الموعود انكارًا
له فقيل قل يا محمد لهم انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو
لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لانه اراد اخفاءه ان ادري
اي ما ادري اقريب ما توعدون من العذاب في الدنيا وقيل هو يوم القيمة ام يجعل له ربي
امدًا غاية تطول مدتها قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدًا
والامد يكون قريبًا وبعيدًا الا ترى الى قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدًا بعيدًا قلت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في
كل ساعة او موجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب قيل صفة لربي وقيل بدل وقيل عالم السر
وقيل الغيب ما هو كائن لم يكن وقيل الغيب امر القيمة ابن زيد الغيب القران فلا يظهر فلا يطلع

على غيبه احدًا من خلقه فيعلمه الا من ارتضى من رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه
لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى قال صاحب
الكشاف وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا مرتضين فليسوا
برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والسحر
لان اصحابها ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط ولا شك ان في هذه ابطال الكهانة
والسحر واما ابطال الكرامات فليس في الآية ما يدل عليه فان الكرامات ليست باخبار
عن الغيب فانه يسلك من بين يديه من ارتضى من رسول ومن خلفه ذكر بعض الجهات
دلالة على جميعها رصدًا حفظة من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاء
شيطان في صورة ملك قالوا هذا شيطان فاحذره فاذا جاء ملك قالوا هذا رسول ربك
وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملك يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة
الملك ليعلم قيل ليعلم الرسول انه اتاهم ولم يأت غيره وقيل ليعلم الرسول ان المرسل قبله قد
ابلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ليعلم الجن وقيل ليعلم من كذب الرسل
ان الرسل قد بلغوا عن الله ما امرهم به وقيل ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبيا
وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين
فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم لذكر
في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم واحاط الفعل لله سبحانه بالاختلاف وهو عطف على قوله فلا يظهر
على غيبه احدًا بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفًا فهو مهيمن
عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددًا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط
بما عند الرسل من وحيه وكلامه عددًا حال اي وضبط كل شيء معدودًا ومحصورًا او مصدر
في معنى احصاء

سورة المزمل مكية

وعن ابن عباس سوى ايتين منها قوله واصبر على ما يقولون والتي بعدها وقال ابن يسار
ومقاتل فيها اية مدنية وهي قوله ان ربك يعلم انك تقوم وثمانمائة وثمانية وثلثون حرفًا
ومائتان وخمس وثلثون كلمة وقيل سبع عشرة اية وقيل عشرون اية ٥ قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص
منه قليلًا او زد عليه ورتل القران ترتيلًا ٥ المزمل المتلفف بثوبه واصله
المتزمل فادغم التاء في الزاي ومثله المدثر يقال تزمل وتدثر اذا تغطى به وزمل غيره اذا غطاه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائمًا بالليل متزملًا في قطيفة واستعداده للاستثقال

في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فذمه بالاشتمال على كسائه وجعل ذلك
خلاف الجلد والكيس وامر ان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة
والمجاهدة في الله عز وجل فلا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك
مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى
انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترقى امرهم الى حد رحمهم له
ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فيه فهو على هذا ليس
بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحالة التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك قال ابو عبد الله
الجدلي سالت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل يا ايها المزمل ما كان تزمله ذلك قالت
كان مرطًا طوله اربع عشرة ذراعًا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي قال ابو عبد الله فسالتها ما كان فقالت والله ما كان خزًا ولا قزًا ولا مرعزى ولا
ابريسمًا ولا صوفًا كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقًا اول ما اتاه
جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل
السدي اراد يا ايها النائم وعن عكرمة يا ايها الذي زمل هذا الامر الذي حمله والمزمل الحمل وقيل خاطبه
بالمزمل والمدثر في اول الامر لانه لم يكن ادى شيئا بتبليغ الرسالة قم الليل الا قليلا ثم سمي فقال
نصفه بدل من الليل الا قليلا استثناء من نصفه كانه قال قم اقل من نصف الليل او انقص منه من
نصفه او زد عليه على نصفه والمعنى التخيير بين امرين النقصان من النصف او الزيادة على النصف
وقيل يجعل نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص من
النصف وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل قال صاحب الكشاف
فان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف
الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص
من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز
اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان يجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع
كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه ويجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه
قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان يجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين
النصف والثلث والربع روي انه لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح
مخافة ان لا يحفظ حتى شق عليهم وانتفخت اقدامهم وامتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم

وسخها بقوله علم ان سيكون منكم مرضى الاية فكان بين اول السورة واخرها سنة وقال سعيد بن جبير لما نزل قوله يا ايها المزمل مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما امره الله تعالى وكانت طايفة من اصحابه يقومون معه فانزل الله بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى الاية فخفف عنهم بعد عشر سنين وقال مقاتل وابن كيسان كان هذا بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس وقال ابن عباس لما نزلت اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها واخرها سنة وروى ابو سلمة بن عبد الرحمن عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فلما راى اجتماعهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويسعلون حتى خرج اليهم فقال يا ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فكتبت عليهم وانزلت بمنزلة الفريضة حتى اذا كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فلما راى الله تعالى ما يتكلفون ويبتغون به وجه الله ورضاه رحمهم فوضع ذلك عليهم فقال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الاية فردهم الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قال الحسن في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد فريضة ورتل القران الحسن اقرا القران قراءة بينة مجاهد ترسل فيه ترسلا وعنه بعضه على اثر بعض على تؤدة ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلث ايات واربعا وخمسا قتادة تثبت فيه تثبيتا ابن كيسان تفهمه تاليا له وقيل فصله تفصيلا ولا تعجل في قراته ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف خطابه وطالب نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه وقيل ترتيل القران قراته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجي المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا تهذه هذا ولا تسرده سردا كما عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه الالص سابعه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراها وسئلت عايشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقاري **قوله تعالى** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ۵ هذه الاية اعتراض انا سنلقي عليك سننزل

عليك

عليك قولا ثقيلا اي القران وما فيه الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وخاصة على رسول الله لانه يتحملها بنفسه ويحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه الحسن ان الرجل ليقرا السورة ولكن العمل به ثقيل قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده ابن عباس شديدا ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين الفرا ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا عبد العزيز بن يحيى مهيبا ومنه يقال للرجل العاقل رزين راجح سيل الحسين بن الفضل عن هذه الاية فقال معناها انا سنلقي عليك قولا خفيفا على اللسان ثقيلا في الميزان ابو بكر بن طاهر يعني قولا لا يحمله الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد القاسم في هذه الاية سماع العلم من العالم سر واستعماله ثقيل لكنه ياتي بالفرج اذا استعمله العبد على حد السنة وتمام الادب وقيل عنى بذلك ان القران عليه ثقيل محمله ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقيل في الميزان يوم القيمة وعن عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل في اليوم الشديد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وعن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه ويربد له جلده ان ناشئة الليل ساعاته كلها وكل ساعة منها فهي ناشئة سميت بذلك لانها تنشا ومنه نشات السحابة اذا بدت وانشاها الله وجمعها ناشئات وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا ويقول اما سمعتم قول الله ان ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض وقيل قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روى عن عبيد بن عمير قلت لعايشة رضي الله عنها رجل قام اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع وقيل الناشئة العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وترتفع هي اشد وطأ قرا ابن عامر وابو عمرو وطاء بكسر الواو ممدودا على المواطاة وهي ان تواطي قلبه وسمعه وبصره ولسانه والباقون بفتح الواو مقصورا اي فراغا للقلب ابن عباس كانت صلوتهم اول الليل وهي اشد وطأ يقول هو اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ قتادة اثبت للخير واحفظ للقراءة الفرا اثبت قياما القرطبي هي اشد على المصلي من صلوة النهار دليله قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر ابن زيد افرغ له قلبا من النهار لانه لا يعرض له حوايج ولا شي الحسن اشد وطأ في الخير وامنع من الشيطان واقوم قيلا واصوب قراءة وعبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا واكثر

بركة قيل هي اشد وطا هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطاة يواطى قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطى فيها قلب القايم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلايق واقوم قيلا اصح قولاً واشبه استقامة وصواباً لفراغ القلب وقيل اقوم قيلا اعجل اجابة للدعا واشد مقالة واثبت قراءة لهدو الاصوات ان لك في النهار تصرفا وتقلباً في مهماتك وحوايجك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل كلفة قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوايج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك وقيل ان فاتك شي فلك في النهار فراغ بقدر تداركه فيه واذكر اسم ودم على ذكر ربك في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قران ودراية علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره سهل بن عبد الله اقراء بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلوتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك من كل ما سواه وتبتل اليه وانقطع اليه وانما قيل تبتيلاً مكان تبتلا لان معنى تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل ابن عباس واكثر الناس اخلص لله اخلاصاً الحسن اجتهد اجتهاداً ابن زيد تفرغ لعبادته زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله رب المشرق قراءة اهل الحجاز وابو عمرو وحفص رب بالرفع على الابتداء وعلى المدح على اضمار هو والباقون بالجر على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد فاتخذه وكيلا فيما يامرك ففوضها اليه وهو مسبب عن التهليلة لانه هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار

قوله تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلاً ۝ واصبر على ما يقولون لله من الولد والصاحبة والشريك ولك من الساحر والكاهن والمجنون واهجرهم اي جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة عن ابي الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف قوله وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا نزلت في صناديد قريش المكذبين المستهزئين اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك

ومشتهاك

ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه فان كل امر الي وستكفيه فان في ما تفرغ بالك وتخلي همتك وليس ثم منع حتى تطلب اليه ان تذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه والمعنى دعني واياهم ولا تهتم بشانهم فاني اكفيك اولي النعمة التنعم النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الثروة والانعام وبالضم المسرة وهذا وعيد للمطعمين يوم بدر وهم عشرة سبق ذكرهم في الانفال وقيل هم بنو المغيرة ووصفهم بالنعمة توبيخا لهم على ترك الشكر ونسيان انه اطغاهم استغناؤهم ومهلهم قليلا الى يوم بدر فكان بين نزول الاية وبين يوم بدر زمان يسير وقيل الى يوم القيمة **قوله تعالى** ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلاً ۝ ان لدينا ما يضاد تنعمهم احمالا قيودا واغلالا اهانة لهم لا خوفا من فرارهم مقابل انواعا من العذاب والنكال القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل وانكال وجحيما نارا عظيمة شديدة الحر والايقاد وطعاما ذا غصة غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع وعذابا اليما يخلص وجعه الى القلب فلا ترى موكولا الله امرهم ولا يهمه وسيهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة فصعق يوم منصوب بما في لدينا ترجف تتحرك وتضطرب والرجفة والزلزلة والزعزعة الشديدة الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا مهيلا سايلا منهارا اذا مسسته تتابع من كتب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن **قوله تعالى** انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلاً ۝ الخطاب لاهل مكة انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم يوم القيمة بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم يوم القيمة بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى فعصى فرعون الرسول انما نكر ثم عرف لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا صعبا شديدا غليظا من قولهم كلا وبيل وخيم لا يستمر لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم والوبال وتقول العرب لمن اول عليه السراي بومع **قوله تعالى**

فكيف تتقون ان كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولًا
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلًا ۝ فكيف تتقون اى فكيف لكم بالتقوى
يوم القيمة ان كفرتم يعني لا سبيل لكم الى التقوى ولا ينفعكم التقوى اذا وفدتم القيمة فيكون
يومًا ظرفا وقيل معناه فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله وكيف تتحصنون منه ان بقيتم
على الكفر ولم تؤمنوا فيكون يومًا مفعولا به وقيل يجوز ان ينتصب يومًا بكفرتم على تاويل جحدتم اى
وكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه يومًا يجعل
الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم تشيب نواصي الاطفال والاصل فيه
الهموم اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبي ويهرم ۝ وذلك من هوله وشدته وذلك حين يقال لادم اخرج بعث
النار من ذريتك وقيل يجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة
والشيب السماء منفطر منشقة واهية وصف اليوم بالشدة وان السماء على عظمها واحكامها
تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء
شيء منفطر به والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني ان السماء تنفطر
لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما ينفطر به وقيل السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها
لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده من اضافة
المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر له
ذكر لكونه معلومًا ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة وموعظة فمن شاء
اتعظ واتخذ الى ربه سبيلا بالايمان والطاعة والتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل
الى الله التقرب والتوسل بالطاعة **قوله تعالى** ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله
هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ۝ ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى اقل من ثلثي الليل استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة
بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ونصفه وثلثه نصبهما
اهل مكة والكوفة على انك تقوم اقل من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما مر في اول

السورة

السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد
عليه وهو الادنى من الثلثين وخفضهما الباقون عطفا على ثلثي الليل اى تقوم اقل من ثلثي الليل
واقل من نصفه وثلثه وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من ثلثي الليل والثلث وهو
ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة عطف على المستكن
في تقوم اى وتقوم طائفة من الذين من الذين معك اى جماعة من اصحابك والله يقدر الليل
والنهار ومعرفة مقادير ساعاتها الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو
الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه اى علم ان لن تطيقوا
قيام الليل وقيل الضمير الذي هو مفعول تحصوا المصدر يقدر اى علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات
ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ
منكم فتاب عليكم تجاوز عنكم ورجع بكم الى التخفيف عليكم وقيل فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك
القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع
التبعة عن التائب فاقرؤا ما تيسر من القران السدي مائة اية الحسن من قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه
القران كعب من قرا مائة اية في ليلة كتب من القانتين سعيد خمسين اية الحسن فاقرؤا ما تيسر
من القران يعني في صلوة المغرب والعشا وقيل عبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر
عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول
ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس علم ان سيكون منكم مرضى قيل قد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام
على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله قيل سوى بين درجة الضاربين
في الارض للتجارة للمكتسبين المال الحلال لينفقه على نفسه وعلى العيال ودرجة المجاهدين الذين
يقاتلون في سبيل الله وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جالب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين
صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا عبد الله واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وعن ابن عمر يقول ما خلق الله تعالى
موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رجل اضرب في الارض ابتغي من
فضل الله فاقرؤا ما تيسر منه من القران قيل في صلاة المغرب والعشاء عن جعفر الصادق في هذه الاية
ما تيسر لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر واقيموا الصلاة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة
الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل اخر السورة مدنيا
واقرضوا الله قرضا حسنا قيل يريد سائر الصدقات المستحبة وسماه قرضا تاكيدا للجزاء وقيل يجوز ان
يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء

وجه الله والصرف الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير مما تعلق بالنفس والمال تجدوه
عند الله هو خيرا ثاني مفعول تجدوا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه
في امتناعه من حرف التعريف المعرفة واعظم اجرا لان الله يعطي المومن اجره بغير حساب
وقيل خيرا من الشح والمنع واستغفروا الله من تقصير وذنب وقع منكم ان الله غفور لمن تاب رحيم
لمن استغفر

سورة المدثر مكية

وقال مقاتل فيها اية مدنية وهي قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة وهي الف وعشر
احرف ومايتان وخمس وخمسون كلمة وست وخمسون اية ٥ **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ٥ سيل ابو سلمة بن عبد الرحمن
اي القران انزل قبل فقال يا ايها المدثر قيل او اقرا قال سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل
قبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني جاورت بحرا فلما قضيت جواري نزلت
فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار شيا
ثم نظرت الى السماء فاذا هو على العرش في الهوا فاخذتني وحشة فاتيتهم فدثروني فانزل الله
يا ايها المدثر حتى بلغ وثيابك فطهر وعن جابر ان اول شي نزل من القران يا ايها المدثر وقال جابر اخبر
ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول جاورت بحرا فلما قضيت جواري
اقبلت في بطن الوادي فنادى مناد فنظرت عن يميني وشمالي وامامي وخلفي فلم ار شيا ثم نادى
فنظرت فوقي فاذا هو جالس على عرش بين السماء والارض فجثثت منه فرقا فاقبلت الى خديجة
فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فانزل الله يا ايها المدثر وعن الزهري سمعت ابا سلمة ابن
عبد الرحمن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتر على الوحي مرة فبينا انا امشي اذ سمعت
صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي اتاني بحرا قاعد على كرسي بين السماء
والارض فجثثت منه فرقا حتى هويت الى الارض فجيت الى اهلي فقلت زملوني فانزل الله يا ايها
المدثر وقال الزهري اول ما نزل اقرا في صحيح البخاري حدثنا يحيى ابن عبد الله بن بكر حدثنا الليث عن عقيل
عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدا به رسول الله من الوحي
الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرا الرويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلوا
بغار حرا فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى
خديجة رضي الله عنها فيزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا قلت ما انا
بقاري فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية

حتى بلغ

حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم فرجع بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فرجع الى خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب
عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي الحديث وهو اثبت والظاهر انه لما نزل عليه
اقرا رجع فدثر فنزل يا ايها المدثر يدل عليه ما اخرج في الصحيحين من حديث جابر قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي الحديث المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب
الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وقيل سمع من قريش ما
كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع الانذار وان اسمعوه واذوه قم من مضجعك
وقيل قم قيام عزم وتصميم وقيل كانه قيل يا ايها الطالب صرفا لاذى بالدثار اطلبه بالانذار وقيل
معناه لا تنم عما امرتك به ولا تستعمل الهوينا فيه بل قم وارفض الراحة وبلغ الرسالة وانذر الكفرة
فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يومنوا والظاهر ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له
باحد وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبريا وان يقال الله اكبر روي انه لما نزل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل
على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان
تكون ثيابه طاهرة لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا يصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير
الصلاة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل خبثا وقيل امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب
وجرهم الذيول وذلك ما لا يومن معه اصابة النجاسة ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على
غدرة قال غيلان بن سلمة الثقفي واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع والعرب
تقول للرجل اذا وفى وصدق انه طاهر الثياب واذا غدر ونكث انه لدنس الثياب ابي بن كعب
لا تلبسها على غدر ولا ثم البسها وانت بر طاهر ابرهيم وقتادة والضحاك والشعبي والزهري
ويمان وثيابك فطهر من الذنب والاثم والمعصية وقيل اراد طهر نفسك عن الذنوب وكنى
عن الجسم بالثياب لانها تشتمل عليه قال الشاعر ٥ ثياب بني عوف طهارى نقية
واوجههم بيض المسافر غران ٥ اي انفس بني عوف السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه
لطاهر الثوب واذا كان فاجرا انه لخبيث الثياب الحسن والقرظي وخلقك فحسن ابن عباس
لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر ابن سيرين وابن زيد نق ثيابك واغسلها بالماء
وطهرها من النجاسة وذلك ان المشركين كانوا لا يتطهرون فامره بتطهير ثيابه وقيل واهلك
فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا يحيى ابن معاد

طهر قلبك من مرض الخطايا واشغال الدنيا يجد حلاوة العبادة فان من لم يرض الجسم يجد شهوة
الطعام وقيل طهر قلبك عما سوى الله والرجز فاهجر اي والعذاب فاهجر ومعناه اهجر ما يؤدي اليه
من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه بن عباس اترك المآثم
مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد والاوثان فاهجر ولا تقربها الضحاك والشرك فاهجر ابن
كيسان والشيطان فاهجر وقيل اهجر ما اوجب لك العذاب من الاعمال وقيل اسقط حب الدنيا
من قلبك فانه راس كل خطيئة ومن نفسك مخالفها ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على
الحال اي ولا تعط مستكثرا واسالما تعطيه كثيرا فطالما المتكثير نهى عن الاستغزار وهو ان يهب
شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستعير
يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله تعالى اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم
له ولامته اكثر المفسرين فلا تعط شيئا لتعطى اكثر منه من ماده لا تعط مالك طمعا لمجازات الدنيا
ومقارضتها القرظي لا تعط مالك مصانعة الحسن ولا تمنن على الله بعملك فتستكثر الربيع
لا تكثرن عملك في عينيك فانه مما انعم عليك واعطاك ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه في نفسك
انما عملك من الله منة عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته فعليك بذلك الشكر اذ هداك
له مجاهد ولا تضعف ان تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اذا كان ضعيفا ابن زيد لا تمنن
بالنبوة على الناس فتاخذ عليها منهم اجرا وعوضا من الدنيا ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل
الصبر على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله
صبرا على العطاء من غير استكبار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور
عليه ومصبور عنه زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي
يثيبك عليها ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب ثم العجم فاصبر عليه لله وقيل فاصبر على موارد
القضاء لاجل الله وقيل فارق الملامة والمسامة وقيل فاصبر على البلوى فانه يمتحن احباءه واصفياءه
قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني
ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد
كلا انه كان لآياتنا عنيدا ساُرهقه صعودا ۵ فاذا نقر الفاء للتسبيب كانه قال اصبر
على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك نقر في الناقور نفخ في
الصور عن ابن عباس في قول الله عز وجل فاذا نقر في الناقور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحاب رسول الله

كيف

كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا فذلك القاء للجزاء وانتصب اذا عادل
عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز يومئذ ظرفا ليوم عسير
ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور فاعول من النقر
اي من شانه ان ينقر واصله التصويت كنقر الطائر الذي بمنقاره وقيل هي النفخة الاولى وهل
الثانية يحيى الناس عندها وقيل الناقور القلب فذلك يومئذ اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا
يوم عسير خبره وقيل اشارة الى النقر ويومئذ من صلته ويوم عسير خبره على تقدير نقر يوم عسير
يشتد فيه الكلفة على الكافرين وقيل يجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير
خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير غير يسير توكيد وهو على التقليل الكلفة لما قال على الكافرين فقصر العسر
عليهم قال غير يسير ليؤذن انه لا يكون عليهم كما لا يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد
الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من امور الدنيا ذرني ومن خلقت في بطن امه فريدا وحيدا
لا مال له ولا ولد فيكون وحيدا حالا من المخلوق نحو قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة قيل نزلت في الوليد بن المغيرة بن عباس وكان يسمى الوحيد في قومه وقيل يجوز ان يكون
وحيدا حالا من الخالق اي ذرني ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد وقيل كان وليد بن
المغيرة يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بعد ذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو
تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يومون من مدحه والثناء عليه بانه وحيد
قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا
لا مال له ولا ولد فآتاه الله تعالى ذلك فكفر نعمة الله واشرك به واستهزا بدينه و
جعلت له مالا ممدودا كثيرا مبسوطا وقيل ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له
الزرع والضرع والتجارة ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل
كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل الف دينار ابن عباس تسعة
آلاف فضة وعن ابن عمر في قوله عز وجل وجعلت له مالا ممدودا غلة شهر بشهر وبنين شهودا
حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه سعيد بن جبير كانوا ثلثة عشر ولدا مجاهد وقتادة كانوا
عشرة مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال شهود حضور معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل ولا
تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم
فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم
والاشتياق اليهم وقيل يجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل تسمع

شهاداتهم فيما يحاكم فيه قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بساطا الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت
عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك
وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة عن عباس بسط المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش وكان
الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوليد وريحانة قريش ثم يطمع يرجوا ان ازيد
مالا وولدا او تمهيدا في الدنيا استبعادا واستنكارا لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي
سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه
عما كان يطمع فيه ويكون متصلا بالكلام الاول وقيل قسم اي حقا فيكون ابتداء انه كان لاياتنا
عنيدا معاندا تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قايلا قال لو لا يزاد فقيل انه عاند ايات
المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد سارهقه ساكلفه صعودا مشقة من العذاب
لا راحة معها منها وقيل ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق
الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم صعودا هو جبل في النار من نار يكلف
ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
قوله تعالى انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر
واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر وما ادراك ما سقر
لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا
يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا
ذكرى للبشر ⁅ انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل
بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب واقطعه لبلوغه بالعناد ولا يعاقبه
في الاخرة باشد العذاب غايته واقصاه في تفكره وتسميته القران سحرا او يجوز ان يكون كلمة الردع
متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل
النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا لكنه
عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القران وقدر في نفسه ما يقوله وهياه وذلك ان الله تعالى
لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه
المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة في المسجد قريبا منه يسمع

قراءته

قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى
مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلوا ولا يعلى ثم
انصرف الى منزله فقال قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه
فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال ما يمنعني الا احزن
وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبرسنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي
كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم
مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى
مجلس قومه فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن
فهل رايتموه قط يتكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه قط ينطق بشعر قالوا
اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقال قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه وعبس فقال
ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر
فذلك قوله تعالى انه فكر في محمد صلى الله عليه وسلم والقران وقدر في نفسه ماذا امكنه ان يقول
فيهما فقتل لعن ⁅ الزهري عذب كيف قدر على سبيل التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ثم عبس وبسر كلح قال صاحب الكشاف فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه
الغرض الذي كان ينحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف
قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القايل قتله الله ما اشجعه واخزاه
الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم
نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما حضرت بباله الكلمة الشنعاء
وهم بان يرمي به وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر
ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما ومعنى
ثم الداخل على تكرير الدعاء الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى قال صاحب الكشاف فما معنى
المتوسط بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة
تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت
بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين

قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد فقال ان هذا ما هذا الذي يقرءه محمد الا سحر
يؤثر يروى ويحكى عن مسيلمة وعن اهل بابل فارح المادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه
ان هذا ما هذا الذى نعرفه الا قول البشر سأصليه سأدخله سقر لم ينصرف لانه من اسماء جهنم عن
النبى صلى الله عليه وسلم سأل موسى ربه عز وجل فقال اى عبادك افقر فقال صاحب سقر سأصليه
سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته واهلكته مجاهد لا تميت ولا تحيى
يعنى انها لا تبقى من فيها حيا ولا تذر فيها ميتا ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم ولا تذر اى واذا هلك
لم يذر هالكا حتى يعاد السدى لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما الضحاك اذا احدث فيهم لم تبق
منهم شيئا واذا اعيدوا لم تذرهم حتى تعيدهم ولكل شىء فترة الا جهنم لواحة للبشر يعنى للجلود
تقول العرب لاحته الشمس ولوحته قال يقول ما لاحك يا مسافر ۞ يا بنة عمى لاحنى الهواجر
۞ قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اسد سوادا من الليل والبشر اعالى الجلود ابن عباس وزيد بن اسلم
محرقة للجلد الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله تعالى وبرزت الجحيم
للغاوين لواحة رفع على الاختصاص تسهيل اى هى لواحة عليها تسعة عشر اى يلى امرها ويتسلط على
اهلها تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صنفا من الملائكة ويحتمل ان يكون تسعة عشر نقيبا ويحتمل
ان يكونوا تسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين ولا يستنكر هذا فانه اذا كان ملك واحد
يقبض ارواح جميع الخلق كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق عن ابن جريج حدثت
حدثنا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه نعت خزنة النار فقال كان اعينهم البرق وكان
افواههم الصياصى يجرون اشفارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة على رقبته فيرمى
بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من
ربيعة ومضر ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم
اسمع ابن ابى كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم
ان يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن كلدة بن خلف الجمحى انا اكفيكم منهم عشرة
على ظهرى وتسعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
لا رجالا ادميين من جنسكم يطاقون ما لا يطاق الانس والجن فمن ذا يغلب الملائكة وما جعلنا
عدتهم عددهم الا فتنة بلية وضلالة للذين كفروا حتى قالوا فيهم ما قالوا وقيل محنة ليظهر ما يقول
كل واحد منهم ويعتقده وقيل الا فتنة للذين كفروا التكذيبهم بذلك وقول بعضهم انا اكفيكموهم
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لانه مكتوب فى التورية والانجيل انهم تسعة عشر قال صاحب
الكشاف فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب

وزيادة

وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم
بالعدد سببا لذلك وانما العدة نفسها هى التى جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا
عدتهم الا تسعة فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة
واحدا من العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله عز وجل وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن
اذعان المؤمن وان خفى عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن
بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة
عشر فى الكتابين فاذا سمعوا مثلها فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا
لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه
كذلك ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون قال
صاحب الكشاف فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان
وازدياد الايمان دلا على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفى الشك
كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال
ولتخالف حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق
الحسين بن الفضل هذه السورة مكية ولم تكن بمكة نفاق البتة فالمرض فى هذه الاية الخلاف
لا النفاق قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ذكر الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة
مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون فى مستقبل
الزمان بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس فى ذلك الا الاخبار بما سيكون
كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك
والارتياب لان اهل مكة اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم
تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب فيصح ان يكونا غرضين فكيف يكون قول المنافقين
والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب فى العلة ان يكونا غرضا الا
ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هى بغرضك مثلا
تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم اية وليس فى الاية مثل ولكنهم استغربوا هذا
العدد فهو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا
العدد واستبداعا له والمعنى اى شىء اراد الله بهذا العدد العجيب واى غرض قصد فى ان جعل
الملائكة تسعة عشر وقيل اللام لام كى وقيل لام العاقبة كذلك الكاف فى كذلك فى محل النصب
ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله

من يشاء وما يعلم جنود ربك جموع ربك الا هو وقيل جموع ملايكة ربك وقيل لا نعلم جميع الخلايق
كميتهم وكيفيتهم ونسبهم الا الله وقيل وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد من كون
بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا
سبيل لا الى معرفته ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايا
والبروج والكواكب اد النصب والحدود والكفارات والصلوة في الشريعة وقيل وما يعلم
جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة
لا تعلمونها وهو يعلمها قال مقاتل هذا جواب ابي جهل حين قال اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر
قال صاحب الكشاف وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وما هي الا ذكر متصل بوصف
سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير للايات التي ذكرت فيها **قوله تعالى**
كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين
حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ۝ كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى لانهم
لا يتذكرون وقيل ردع لمن زعم انه يكفي امر الخزنة ويخرج منها وقيل ردع لمن زعم ان جنوده
بحاجته اليهم وقيل ردع للوليد عايد الى اول الكلام وقيل ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبير
نذيرا والقمر والليل اذا ادبر ولى ذاهبا قراء نافع وحمزة وخلف ويعقوب وحفص اذ بغير الف
ادبر بالالف والباقون اذا بالالف ودبر بغير الف والباقون اذا بالالف ودبر بغير الف واختاره
ابو عبيد لانها اشد موافقة للحروف التي تليه وهو قوله والصبح اذا اسفر ودبر بمعنى ادبر قطرب
دبر اي اقبل من قول العرب دبر فلان جاء خلفي فيكون الليل دبر خلف النهار ابو عمرو دبر لغة قريش
والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم وقيل تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
الكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتابها وكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها اي ان سقر لاحدى
الامور العظام او لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احدى الكبر انها من بينهن واحدة في العظم
لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء نذيرا اي انذارا للبشر تمييز من احدى على
معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل نذيرا حال وهو متصل باول
السورة يعني قم نذيرا قال صاحب الكشاف هو من بدع التفاسير لمن شاء منكم ان يتقدم
في الخير والطاعة او يتاخر عن الخير والطاعة بالشر والمعصية ان يتقدم في محل الرفع على الابتداء
ولمن شاء خبر مقدم عليه و لمن شاء المتقدم والتاخر ان يتقدم او يتاخر

والمراد

والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهذا وعيد لهم كقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من البشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين
الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة اي عند
الحساب مرهونة بعملها اما تخلصها او توبقها قال صاحب الكشاف رهينة ليست بتانيث
رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه قد قصدت الصفة لقيل رهين
لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى
الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهينة ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف
نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل ۝ كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس بكسبها
عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم لا يحاسبون ولا يرتهنون بذنوبهم ولكن يغفرها الله
لهم ويتجاوزها عنهم كما وعدهم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله الا اصحاب اليمين
هم اطفال المسلمين لانه لا اعمال لهم يرهنون بها وعن عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ولدان المؤمنين اين هم قال في الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملايكة
وعن ابي جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين مقاتل هم اهل الجنة الذين كانوا على يمين ادم يوم
الميثاق حين قال لهم الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي الحسن هم المسلمون المخلصون وعنه ايضا
هم الذين كانوا ميامين على انفسهم ابن كيسان هم المؤمنون الصالحون لسوابق تهنيهم لانهم ادوا
ما كان عليهم عان هم الذين فتكوا رهونهم الحكيم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلهم
في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير
او شر الا من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين
به ومن اعتمد على الفضل فانه غير ماخوذ عن اي عمرو البجاوي كل نفس بما كسبت رهينة في
الفراز من القدر وكيف الفرار على الخطر في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون
اي بعضهم بعضا عن المجرمين المشركين وقيل يسالون غيرهم عن المجرمين كقوله دعوته
وتداعيناه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين
ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان
المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين قلنا لهم ما سلككم في
سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل
في غرابة نظمه قالوا لم نك من المصلين وقيل لم نعتقد وجوبها وفرضها ولم نك نطعم المسكين

لهم بالآية ولهم تأمر به وكنا نخوض مع الخائضين اي وكنا نشرع في الباطل وما لا ينبغي وقيل نكذب
مع المكذبين وقيل ما غوي غاو الا وغوينا معه وقيل هو قولهم محمد ساحر او شاعر او مجنون
وكنا نكذب بيوم الدين قال صاحب الكشاف فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك
قلت توبيخا لهم وتحسيرا او ليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد
بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول
النار فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه
وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا
انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا حتى
اتانا اليقين الموت وقيل البعث قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن
مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة
ثم تلا قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم
الدين الحسن كنا نحدث ان الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته الحسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيمة اي رب عبدك فلان سقاني
شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول اذهب فاخرجه من النار فيذهب فيتجسس النار حتى
يخرجه منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفعن رجل من امتي لاكثر من بني تميم قال
صاحب الكشاف اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم
شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهو مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة
تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين **قوله تعالى** فما لهم عن التذكرة معرضين
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون
الاخرة كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل
المغفرة ۝ فما لهم عن التذكرة معرضين عن التذكرة والعظة اي القران
وسائر المواعظ معرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما وقيل صاروا معرضين كانهم
حمر جمع حمار مستنفرة قرا اهل الشام والمدينة بفتح الفاء اي المدعو المحمولة
على النفار والباقون بالكسر اي نافرة شديدة النفار كانها تطلب من نفسها حملها له
وحملها عليه وقيل نفرت واستنفرت بمعنى واحد فرت من قسورة من جماعة الرماة التي يتصيدونها
وقيل هي الاسد يقال ليوث قسا مفعولة من القسر اي القهر والغلبة وفي وزنه
الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس هي عصب الرجال وعنه ركز الناس واصواتهم عكرمة

هي ظلمة

هي ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت
في نفارها مما فزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل
اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمار الوحش واطرادها في العدو واذا
رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا
وردت ماء فاحس عليها بقانص وقيل هي جمع الرجال زيد بن اسلم رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند
العرب فهو قسور وقسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب
التي يتكاتب بها او كتبا نشرت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة
رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فاتنا بكتاب خاصة الى فلان وفلان
من رب العالمين نؤمر فيه باتباعك نظيره قوله تعالى لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ابن
عباس كان المشركون يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته
وامنه من النار والكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند
راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى
هذه الاية فعلى هذا اريد بالصحف المنشرة الطاهرة المكشوفة ولا بعد فيه كلا ردع عن تلك
الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات وقيل ليس كما يقولون ويريدون وقيل ثم قال بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ثم ردعهم عن اعراضهم عن
التذكرة وقال انه اي القران تذكرة بليغة كافية مبهما امرها في الكفاية وليس بشيء فمن شاء ذكره
ان يذكره ولا ينساه ويجعل نصب عينيه ذكره فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره
للتذكرة وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القران وما يذكرون قرا نافع بالتاء من فوق والباقون
بالياء الا ان يشاء الله الا مشيئة الله تعالى لان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن هو اهل
التقوى اي اهل ان تتقى محارمه ويخاف عقابه فيؤمنوا ويطيعوا واهل المغفرة واهل ان يغفر
وامن به وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه قال ربكم عز وجل
اهل انا ان اتقى ولا يشرك بي غيري وانا اهل لمن اتقى ان يشرك بي ان اغفر له

سورة القيمة مكية

وهي ست ايات واثنان وخمسون حرفا ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعون

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه
۝ لا اقسم لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر   وقال غوية بن سلمى   الا نادت
امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي   وفايدتها توكيد القسم وعن سعيد بن جبير انها
صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله في بير لا حور سرى وما شعر قال صاحب
الكشاف واعترضوا عليه بانها تزاد في وسط الكلام ولكن الجواب لا في اوله واجابوا بان القران
بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا
في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته
والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدل عليه قوله فلا
اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له
باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم
انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة قال الفرا لا رد لكلام
المشركين للا البعث ثم ابتدا القسم فقال اقسم بيوم القيمة قال وكل يمين قبلها رد لكلام فلا بد
من تقديم لا قبلها ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحدا واليمين التي تستانف الا ترى
انك تقول مبتديا والله ان الرسول بحق واذا قلت لا والله ان الرسول لحق فكانك كذبت
قوما انكروه قال صاحب الكشاف فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يومنون وللابيات التي
انشدها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطية للنفي بعده
ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه ههنا المحذوف منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون
سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان هذا القول مساغ ولكنه لم يقصر
الا ترى كيف نفى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع
النجوم بقوله انه لقران كريم وقيل اصله لاقسم اعتبارا بقراة ابن كثير ثم اشبع فظهر من الاشباع
الف على ان اللام للابتدا واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم   انه في الامام
بغير الف الحسن انه اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة والجمهور على انه اقسم بهما
جميعا وعن المغيرة بن شعبة يقولون القيمة القيمة وانما قيمة احدهم موته وعن سفيان وسعر
عن ابي قيس شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وهذه
هي القيمة الصغرى واما القيمة الكبرى فلا شك انها اتية ولا يعلم وقت اتيانها الا الله
ولا اقسم بالنفس اللوامة سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء
والضراء مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه تقول لو فعلت ولو لم افعل قتادة اللوامة
الفاجرة ابن عباس هي المذمومة الفرا ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت

علمت

علمت خيرا قالت الا ازددت وان كانت عملت سوءا قالت ليتني لم افعل الحسن هي النفس المومنة
ان المومن والله ما تراه الا يلوم نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي
تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي
نفس ادم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وقيل النفس اللوامة النفس المتقية
التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى وقيل هي التي لا تزال تلوم
نفسها وان اجتهدت في الاحسان وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن قيل نزلت في عدي بن ربيعة ابن ابي سلمة حليف
بني زهرة ختن الاخنس ابن شريف الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري
السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عدي بن ابي ربيعة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله
ايحسب الانسان اي الكافر ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وبلاها ورجوعها رميما ورفاتا
مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض فنحييه ونبعثه بعد الموت يقال
انه ذكر العظام واراد بها نفسه كلها لان العظم قالب الخلق ولن يستوي الخلق الا باستوائها
وقيل هو خارج عن قول المنكر او يجمع الله العظام كقوله للاخر قال من يحيي العظام وهي رميم بلى
اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع اي بلى قادرين على ان نجمع عظامه قادرين حال من الضمير في نجمع
اي نجمع العظام على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه
التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقيل على ان نسوي بنانه ونضم   على صغرها
ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل
بل نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه اناملة فنجعل اصابع يديه
ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كظلف الخنزير ونحوها والحافر فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا ولكنا
فرقنا اصابعه حتى ياخذ بها ما شاء ويقبض اذا شاء ويبسط اذا شاء فحسنا خلقه المعنى
ظن الكافر ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام البالية فقال الله تعالى بلى
قادرين ان نعيد السلاميات على صغرها ونولف بينها حتى نسوي البنان ومن يقدر على هذا
فهو على جمع كبار العظام اقدر وهذا الرجل قلت له انزل نقدر ان نولف بين هذا الحنظل
في خيط فيقول نعم وبين الخردل **قوله تعالى** بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل
ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ

اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر ۵ بل يريد
عطف على الحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان نضرب عن مستفهم
عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب يقول الله تعالى وما اجهل بن ادم ان ربه
قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد ان يفجر امامه اى يمضى قدما قدما في معاصي الله لا ينزع
عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمه والسدي وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر
التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت وهو على شر احواله واسوء اعماله الضحاك
هو الامل يامل الانسان يقول اعيش واصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت ابن عباس وابن
زيد يكذب بما امامه من البعث والحساب ابن كيسان يريد ان ياتيه القيمة وللاخرة التي هي
امامه فراها في دار الدنيا واصل الفجور الميل ومنه قيل للكاذب والفاسق والكافر فاجر لميله عن
الحق السدي ايضا ليظلم على قدر طاقته وقيل يركب راسه في هواه ويهيم حيث قادته نفسه يسال
ايان يوم القيمة يسال سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه
ويقولون متى هذا الوعد فبين الله تعالى له ذلك فقال تعالى فاذا برق البصر قرا نافع بفتح الراء
من البريق اى لمع من شدة شخوصه والباقون بالكسر برق يبرق فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى
البرق فدهش بصره وخسف القمر اظلم وذهب ضوءه ابن كيسان ويحتمل ان يكون بمعنى غاب كقوله
تعالى فخسفنا به وبداره الارض وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل جمع الشمس
والقمر في ذهاب الضياء عطاء بن يسار يجمعان يوم القيمة يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى
وقيل وجمع الشمس والقمر اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار يقول الانسان يومئذ اين المفر
بالفتح المصدر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا حرز ولا حصن ولا ملجا السدي لا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا
الى الجبل فتحصنوا به فقال الله لا جبل يومئذ يمنعهم فكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتحصنت به
فهو وزر الى ربك خاصة يومئذ المستقر للعباد اى استقرارهم وقيل مستقر الخلق واعمالهم
وكل شى مقاتل المنتهى يمان المصير والمرجع نظيره ان الى ربك الرجعى والى الله المصير وقوله الا الى
الله تصير الامور وقيل معناه انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه والى حكمه
ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم وقيل ان الى ربك مستقرهم اى موضع
قرارهم من جنة او نار اى مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار
ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او طالح وما
اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعد موته مجاهد باول عمله واخره قتادة بما قدم
من عمل خير او شر وما اخر من العمل بطاعة الله فلم يعمل به عطا بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره زيد بن

اسلم

اسلم بما قدم من امواله فتصدق به لنفسه وما اخر خلف لورثته نظيره علمت نفس ما قدمت
واخرت **قوله تعالى** بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل
تحبون العاجلة وتذرون الاخرة ۵ بل الانسان عكرمه ومقاتل والكلبي معناه بل
الانسان على نفسه من نفسه رقبا يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به وهي سمعه وبصره ويداه
ورجلاه وجميع جوارحه قال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه ابو العاليه وعطا بل الانسان
على نفسه شاهد والهاء في بصيرة للمبالغة ابان بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة
وصفت بالبصارة على سبيل المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى ايتنا مبصرة وقيل
بل الانسان على نفسه عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزى عن الانباء
لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره يعني انه يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل
عن نفسه نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
الفرا ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره مقاتل ولو ادلى بعذر واحتج لم يسمع ذلك
ومعنى الالقا القول نظيره والقوا الى الله يومئذ السلم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون الضحاك
والسدي يعني ولو ارخى لمه الستور واحدها معذار قال صاحب الكشاف فان صح فلانه يمنع
رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب والمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها
ونحوه المناكير في المنكر وقيل المعاذير احالة بعضهم على بعض لا تحرك به الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اى لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان لا يفتر من قراة القران مخافة ان ينساه فكان اذا نزل عليه جبريل بالقران لم يفرغ
جبريل من الاية حتى يقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم اولها ويحرك لسانه بها في نفسه مخافة ان
ينساها فانزل الله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وانزل سنقرئك فلا تنسى وانزل
لا تحرك به اى بالقران وقيل لا تحرك ببادرة الوحي لسانك لتعجل به اى بتلاوته لحفظه ولا
تنساه ان علينا جمعه في صدرك حتى تحفظه وقرانه عليك حتى تعيه وقيل اراد بقوله وقرانه
وجمعه في صدرك وهو مصدر كالرجحان والنقصان فاذا قراناه عليك فاتبع قرانه اى ما فيه
من الاحكام ثم ان علينا بيانه بما فيه من الحلال والحرام والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما
دام جبريل يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا
جمعه في صدرك واثبات قراته في لسانك فاذا قراناه جعل قراة جبريل قراته والقران القراة فاتبع

قرأنه فكن مقفيًا له ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم
ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعًا
كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ
في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كأنه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه
تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة قرأ نافع والكوفيون تحبون وتذرون بالتاء
من فوق فيهما والباقون بالياء اي يختارون الدنيا على العقبى في سورة الانسان ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلا اتصال قوله لا تحرك به لسانك الى آخر تذكر
العنهم من جهة هذا التخليص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ٥

قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل
بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق
الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك
فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى

٥ وجوه يومئذ يعني يوم القيمة ناضرة ابن عباس حسنة الحسن حسنها الله بالنظر
الى ربها مجاهد مسرورة ابن زيد ناعمة مقاتل بيض يعلوها النور السدي مضيئة يمان مسفرة
الزجاج مشرقة بالنعيم الكسائي مبتهجة الفراء والاخفش يقال نضر الله وجهه فلان ينضر نضرًا فنضر
وجهه ينضر نضرة ونضارة قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال صلى الله عليه
وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ونظير هذه الآية قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول
الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه
ترجعون واليه المصير عليه توكلت واليه انيب قال ابن عباس تنظر الى ربها عيانا عكرمة واسمعيل
بن ابي خالد واشياخ من اهل الكوفة تنظر الى ربها نظر الحسن تنظر الى الخالق وحق لها
ان تنظر الى الخالق العوفي ينظرون الى الله لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم
وذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار دليل هذا قوله عليه السلام
ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه وسرره ونعمته مسيرة الف عام وان
اكرمهم عند الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجوه

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدًا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة
وعن عمار بن ياسر كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسألك النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة قال صاحب الكشاف كيف دل هاهنا التقديم
على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر
يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورًا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه ان
يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعماء وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر
حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون
النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون ولا يخاف ان ما ذكر من قوله
ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق
كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يصلح
ان يصرف اللفظ عن ظاهره به وذلك لانه يجوز ان يكون استغراقهم في النظر الى ربهم مانعًا من
النظر الى غيره فان اللذة في النظر اليه اعظم من اللذة الى النظر الى غيره ولئن سلم ان الوجوه يومئذ
ناظرة الى اشياء غيره فيجوز ان يكون في بعض ذلك اليوم الى ربها ناظرة وحينئذ لا ينظر الى غيره
اعلم ان جميع اهل السنة والجماعة يتمسكون بهذه الآية في اثبات ان المؤمنين يرون الله يوم
القيمة واما المعتزلة فلهم هاهنا مقامان احدهما بيان ان ظاهره لا يدل على رؤية الله والثاني
بيان التأويل اما المقام الاول فقالوا النظر المقرون بحرف الى ليس اسمًا للرؤية بل لمقدمة الرؤية
وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب الى المعرفة
وكالاصاخة وكالاصغاء بالنسبة الى السماع وكما ان نظر القلب مقدمة للمعرفة والاصغاء مقدمة
للسماع فكذا نظر العين مقدمة للرؤية قالوا والذي يدل على ان النظر ليس اسمًا للرؤية وجوه
منها قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اثبت الرؤية حال عدم الرؤية ومنها
انه يقال نظرت الى الهلال فلم اره وقوله تعالى الى ربها ناظرة معناه تنظر الى ربها خاصة
ولا تنظر الى غيره وقد تقدم الاحتجاج به والجواب عنه وثانيهما بيان التأويل وهو من وجهين
الاول ان يكون النظر بمعنى الانتظار اي وجوه يومئذ ناضرة الى ثواب ربها منتظرة يقال
انما انظر الى فلان في حاجتي والمراد انتظر حاجة من جهته وقال تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون

وقال فان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة والثاني ان يحمل الى على واحد الالاء وحينئذ تكون
المراد وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة اى منتظرة او يحمل على حذف المضاف وهو الثواب
وحينئذ تكون المراد الى ثواب ربها ناظرة لا نقول التاويلان باطلان اما الاول فلان الانتظار
سبب الغم والاية مسوقة لبيان النعم واما الثاني فلان النظر الى الثواب لا بد وان يحمل على
رؤية الثواب لان تقليب الحدقة نحو الثواب من غير الرؤية لا يكون من النعم البتة واذا وجب
اضمار الرؤية لا محالة كان اضمار الثواب اضمارا لزيادة من غير دليل لانا نقول الاية دالة على
ان الحال التي عبر عنها سبحانه وتعالى بقوله وجوه يومئذ ناضرة سابقة على حال استقرار اهل الجنة
واهل النار في النار بدليل قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة اى تتوقع ان يفعل بها
فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة تقصم فقار الظهر فانه في حال استقرار اهل النار قد فعل بها
الفاقرة واذا كانت تلك الحالة سابقة على الاستقرار كان انتظار النعمة بعد البشارة بها سرورا
يستتبع نضارة الوجه ومثل ذلك الانتظار لا يكون مستتبعا للغم كما ان انتظار اكرام الملك
وعطاياه لا يكون موجبا للغم اذا تيقن وصوله اليه وان انتظار العذاب بعد الانذار بوصوله غم
يستتبع بسارة الوجه اى شدة عبوسته كانتظار عقاب الملك اذا تيقن عقابه ولا يحتاج الى
اضمار الرؤية فان النظر الى الثواب بمعنى الانتظار ولان النظر عبارة اما عن الرؤية او عن تقليب
الحدقة وتقليب الحدقة نحو الثواب بعد البشارة انتظار لوصوله من النعم لما بينا وجه استدلال
الاصحاب بهذه الاية ان النظر اما ان يكون عبارة عن الرؤية او عن تقليب الحدقة نحو المرئى
طلبا لرؤيته والاول هو المطلوب والثاني تعذر حمله على ظاهره فلا بد من حمله على الرؤية التي
هي النظر بالمعنى الثاني سببها واطلاق اسم السبب على المسبب من احسن وجوه المجاز والجواب
قولهم ليس النظر عبارة عن الرؤية قلنا ههنا مقامان المقام الاول ان نقيم الدلالة على ان النظر
الرؤية من وجوه منها ما حكى الله عن موسى انظر اليك ولو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة
نحو المرئى لاقتضت الاية ان موسى عليه السلام اثبت لله جهة ولاقتضت مكانا وذلك محال
ومنها انه جعل النظر امرا مرتبا على الارادة فكان متاخرا عن الارادة وتقليب الحدقة غير متاخر
عن الارادة فلا يكون النظر تقليب الحدقة المقام الثاني وهو الاقرب الى الصواب سلمنا ان النظر
تقليب الحدقة الى المرئى التماسا لرؤيته لكنا نقول لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمل مسببه
وهو الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وحمله على الرؤية اولى من حمله على الانتظار لان
تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق له بالانتظار فكان حمله على الرؤية اولى اما
قولهم النظر بمعنى الانتظار قلنا في الجواب مقامان الاول ان النظر بمعنى الانتظار ورد

في القران

في القران كثيرا ولكنه لم يقرن الا بالى قال تعالى انظرونا نقتبس هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
هل ينظرون الا تاويله والذي ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية والدليل عليه
ان وروده بمعنى الرؤية او بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر فوجب ان لا يرد بمعنى الانتظار
دفعا للاشتراك واما قولهم يحمل الى على واحد الالاء فالجواب ان الى على هذا يكون اسما للماهية التي
يصدق عليها انها نعمة فيكون في تحقق مسماه اى جزء من اجزاء النعمة وان كان في غاية القلة والحقارة
واهل الثواب يوم القيمة في النعم العظيمة المتكاملة ومن كان حاله كذلك كيف يمكن ان يبشر
بانه يكون في توقع الشيء الذي يطلق عليه اسم النعمة المقام الثاني هب ان النظر المعدى بالى
جاء في اللغة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن حمل هذه الاية عليه لان لذة الانتظار مع يقين
الوقوع كانت حاصلة في الدنيا ولا بد ان يحصل في الاخرة شيء ازيد منه حتى يحسن ذكره في معرض
الترغيب في الاخرة ولا يجوز ان يكون ذلك قرب الحصول لان ذلك معقول بالعقل فيبطل ما
ذكروه من التاويل واما التاويل الثاني وهو ان يكون المراد الى ثواب ربها ناظرة فهذا ترك للظاهر
قولهم انا صرنا اليه لقيام الدليل العقلي والنقلي على ان الله لا يرى قلنا قد بينا في اصول الدين
ضعف ذلك ووجوه يومئذ باسرة عابسة كالحة منقبضة مسودة تظن تتوقع ان يفعل بها فعل
هو من شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها
كل خير واصلها من الفقرة والفقار يقال منه فقرة اذا كسر فقاره كما يقال راسه اذا ضرب راسه
صادة الفاقرة التي كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما
بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة اذا بلغت النفس
التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل
الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل وقال من حضره اى حاضروا صاحبها وهو المحتضر
بعضهم لبعض من راق هل من طبيب يرقيه ويداويه وقيل ايكم يرقيه مما به صادة المتسول له الاطبا
قالوا يغنوا عنه من قضاء الله شيئا عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
عز وجل لم ينزل داء الا وانزل دواء جهله من جهله وعلمه من علمه مقاتل بن سليمان هذا
من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب ابو العالية تختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى بها وظن المحتضر
وايقن انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض عليك السلام
تفارقني وافارقك الى يوم القيمة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه على ساقه عند الموت

الرسع بين الشيئين الدنيا والاخرة ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة اسمعيل بن ابي خالد عمل الدنيا بعمل الاخرة الضحاك الناس يجهزون جسده والملايكة تجهز روحه الحسن ومجاهد اجتمع فيه الحياة والموت قتادة الشدة بالشدة الحسن ماتت رجلاه فلم تحملاه وكان عليهما جوالا قتادة اما رايته اذا اضرب برجله رجله الاخرى ابو مالك هو بسها عند الموت عكرمة خروج من الدنيا الى الاخرة مجاهد بلاء بالبلاء القرظي الامر بالامر زيد بن اسلم ساق الكفن ساق الميت سعيد بن جبير قد تابعت عليه الشدايد السدي لا يخرج من كرب الا جاء اشد منه والعرب لا تذكر الساق الا في المحن والشدايد ابن عطا اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا والاهل والولد وشدة القدوم على ربه لا يدري ما يقدم عليه كذلك قال عثمن رضي الله عنه ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه لانه اخر منازل الدنيا واول منازل الاخرة يحيى بن معاذ اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد عند راسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن شماله فيقول الذي عند راسه يا بن ادم انقضت الاجال وانقطعت الاعمال ويقول الذي عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الاشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال الى ربك يومئذ المساق المنتهى والمرجع تسوق الملايكة روحه الى حيث امرهم الله تعالى فلا صدق اي الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسال ايان يوم القيمة اي لا يومن بالبعث فلا صدق بالرسول ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله يعني فلا زكاه قيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر زيد ابن زيد هي مشية بني مخزوم واصله من المطا وهو الظهر اي يلوي مكانه تبخترا وقيل اصله يتمطط اي يتمدد والمطا هو المد فجعلت احدى الطايين ياء وعن الانسان اذا قام من مقامه يتمدد وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض وجعل باسهم بينهم يعني كذب رسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى اهله سحرا افتخارا بذلك اولى لك فاولى اي ويل لك وهو دعا عليه بان يليه ما يكره قيل هذا وعيد من الله على وعيد لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد وقيل معناه انك اولى واجدر بهذا العذاب واحق واولى يقال للرجل يصيبه مكروه فيستوجبه وقيل هي كلمة يقولها العرب لمن قاربه المكروه واصله من الولي وهو القرب ومعنى الاية كانه يقول لابي جهل الويل لك يوم تحيى والويل لك يوم تموت والويل لك يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار وتخلد فيها قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا فقال له اولى لك فاولى

ثم

ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد وما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني اعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف عليهم وقال لا نعبد الله بعد اليوم فصرعه الله شر مصرع وقتله اسوا قتلة وذكر ان ابا جهل كان يقول لو علمت ان محمدا رسول الله ما انبعث غلاما من قريش وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لكل امة فرعون وان فرعون هذه الامة ابو جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى هملا لا يومر ولا ينهى يقال اسديت حاجتي اي ضيعتها وابل سدى ترعى حيث شات بلا راع الم يك نطفة من مني يمنى قرا حفص عن عاصم بالياء والباقون بالتاء ثم كان علقة فخلق فسوى خلقه فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذي انشا هذه الانشا بقادر على الاعادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك اللهم وتلي سورة هل اتى ويقال لها

سورة الانسان قال طايفة منهم مجاهد وقتادة انها مدنية

كلها ابن يسار ومقاتل وحكي عن ابن عباس مكية وقال طايفة ان فيها مكيا ومدنيا ثم في ذلك قولان احدهما ان المكي منها اية وهي قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا وما فيها جميعه مدني قاله الحسن وعكرمة وثانيهما ان اولها مدني الى قوله انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها مكي وهي الف واربعة وخمسون حرفا ومايتان واربعون كلمة واحدى وثلثون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا ۝ هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم ۝ فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا اي كان شيا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب وقيل الانسان ههنا ادم والحين في الاية زمان محدود وهو اربعون سنة ابن عباس ابن مسعود خلق الله ادم من تراب فاقام اربعين سنة ثم من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حماء مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد ستين ومايه سنة ولو لم يكن محدودا لما قال اتى على الانسان حين وقيل هو غير محدود وقوله على الانسان اي عليه في علم الله لم يكن شيا مذكورا وقيل لم يكن شيا اصلا وقيل كان ولم يكن مذكورا وقيل المراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طايفة من الزمن الطويل الممتد لم يكن شيا مذكورا في محل النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى على الانسان حين من الدهر غير مذكور وقيل في محل الرفع على انه وصف لحين كقوله يوما لا تجزي والدعن ولده

روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف وروي ان رجلا
قرا عند ابن مسعود هذه الاية فقال يا ليت ذلك لم يكن **قوله تعالى** انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ٥ انا خلقنا
الانسان يعني ولد ادم من نطفة من مني الرجل ومني المراة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة
امشاج اخلاط ومادة الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة قال صاحب
الكشاف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك
وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج
سلالته مهين ولا يصح ان يكون امشاج جمعا لمشج بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما
ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق
النطفة ابن عباس وعكرمة ومجاهد والربيع يعني ماء الرجل وماء المراة يختلطان في الرحم
فيكون منهما جميعا الولد وماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه
كان الشبه له الضحاك اراد اختلاف الوان النطفة نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المراة خضراء
وحمراء فهي مختلفة الالوان عطاء الخراساني الحمرة في البياض والبياض في الحمرة او الصفرة الحسن
نعم والله خلقت من نطفة مشيجة بدم وهو الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض يمان كل
لونين اختلطا فهما امشاج ابن كيسان الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع فخلق الانسان
منها ذا طبايع مختلفة نبتليه نختبره بالامر والنهي موضع الحال اي خلقناه مبتلين ويجوز
ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن مسعود نصرفه
في بطن امه نطفة ثم علقة فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة
قال صاحب الكشاف وهو من التعسف انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى
والضلالة وعن قتادة طريق الخير والشر وهو كقوله تعالى وهديناه النجدين اما شاكرا اما مومنا سعيدا
واما كفورا كافرا شقيا يعني خلقناه اما كذا واما كذا وقيل معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق ان شكر
او كفر وشاكرا وكافرا حالان من الهاء في هديناه ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل
اما سبيلا واما سبيلا كافرا كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر بطريق المجاز
ثم اتبعهما الوعيد والوعد وبين مال الفريقين فقال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
قرا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم سلاسلا سلاسلا وقوارير قواريرا كلهن باثبات الالفات في الوقف

والسوسي

والسوسي في الوصل وهي رواية هشام عن اهل الشام ضده حمزة وخلف وحفص وابن كثير وابو عمرو
وقوارير الاولى بالالف والباقون بغير الف **قوله تعالى** ان الابرار يشربون من كاس
كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما
كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ٥ ان الابرار
جمع بر وبار كرب وارباب يعني المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم المحسن هم الذين
لا يوذون الذر ولا يضمرون الشر قيل واحدهم بار مثل شاهد واشهاد وناصر وانصار وصاحب
واصحاب يشربون في الاخرة من كاس فيها خمر كان مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم
عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه قتادة تمزج لهم
بالكافور وتختم لهم بالمسك عكرمة مزاجها طعمها وقيل عينا بدل من محل كاس على تقدير حذف مضاف
كانه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل نصب على الاختصاص عينا يشرب بها عباد الله قال
صاحب الكشاف فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت
لان الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم وكان المعنى يشرب بها عباد
الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل وقيل الباء صلة يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم
وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
بالنذر قتادة بما فرض الله عليهم من الصلوة والزكوة والحج والعمرة وغيرها من الواجبات
مجاهد وعكرمة اذا نذروا في طاعة الله وثوابه والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء
الواجبات لان من اوفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون
يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر
وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام ابن عباس على قلته
وحبهم اياه وشهوتهم له وحاجتهم اليه ونحوه واتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وقال الداراني على حب الله والحسين بن الفضل على حب اطعام الطعام مسكينا
ويتيما واسيرا وهو الحربي يوخذ قهرا والمسلم المحبوس بحق قتادة لقد امر الله تعالى بالاسراء
ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك فاخوك المسلم احق ان تطعمه وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
فيكون عنده اليومين والثلاثة فيوثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكافر
في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا

فقال عز منك اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة
بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله تعالى فلا معنى لمكافاة الخلق مجاهد وسعيد بن
جبير اما انهم ما تكلموا به ولكن الله علمه من قلوبهم فاثنى به عليهم ليرغب فى ذلك كل راغب
وعن عايشة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسئل الرسول ما قالوا
فاذا ذكر دعا دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله والشكور والكفور
مصدران كالشكر والكفر انا نخاف قيل معناه ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم
لا لارادة مكافاتكم وقيل معناه انا لا نريد منكم المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس
على طريق المجاز من وجهين ان يوصف بصفة اهله من الاشقيا كقولك نهارك صايم وليلك
قايم ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان نسبه
فى شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل عن ابن عباس عبوسا لا انبساط له قمطريرا
شديدا قتاده ومجاهد ومقاتل القمطرير الذى يقبض الوجوه والجباه وما بين الاعين من شدته
الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلاء يقال يوم عبوس قمطرير اذا كان شديدا
كريها قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا
جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت
قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها
تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم
حسبتهم لولوا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب خضر واستبرق
وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا ٥ فوقاهم الله شر ذلك اليوم الذى يخافونه اى من شدايده ولقاهم اى اعطاهم
بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه هى اثر النعمة وحسن اللون والبها وسرورا فى القلوب
وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الايثار وطاعة الله
وعن معصيته الضحاك على الفقر القرظى على الصوم عطا على الجوع سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء
الفرايض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصايب جنة بستانا فيه ما كل هنى
وحريرا فيه ملبس بهى متكئين فيها على الارائك على السرر فى الحجال لا يكون اريكة الا اذا اجتمعا
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اى لا ينالون فى الجنة حرا ولا بردا يعنى ان هواها معتدل لا حر شمس
يحمى ولا شدة برد يوذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل لا يرون فيها شمسا لانهم

فى ضياء

فى ضياء مستديم لا شمس فيها ولا زمهرير عطف على المعنى لان الزمهرير الذى هو شدة البرد لا يرى ٥ مرة
الهمدانى الزمهرير هو شى مثل البرد القاطع مقاتل روس مثل روس الابر تنزل من السماء فى غاية البرد وقيل
الزمهرير القمر وعن ثعلب انه فى لغة طى ٥ وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير
ما ظهر فعلى القولين يرى الزمهرير فيكون عطفا على شمسا بحسب اللفظ مقاتل هذه الايات نزلت
فى رجل من الانصار اطعم فى يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا روى ان مسكينا اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اطعمنى قال ما عندى ما اطعمك ولكن اطلب فقال الانصارى لامراته
ما ترين فقالت اطعمه واسقه ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم فقال يا رسول الله اطعمنى فقال
ما عندى ما اطعمك ولكن اطلب فاتى اليتيم الانصارى الذى اتاه المسكين فقال اطعمنى فقال لامراته
ما ترين فقالت اطعمه واسقه فاطعمه ثم اتى رسول الله اسير فقال يا رسول الله اطعمنى فقال ما عندى
ما اطعمك ولكن اطلب فاتى الاسير الانصارى فقال له اطعمنى فقال لامراته ما ترين فقالت اطعمه فكان
هذا كله فى ساعة واحدة فانزل الله بما صنع للانصارى من اطعامه المسكين واليتيم والاسير ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقيل نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه وفاطمة رضى الله
عنها وجارية لهما يقال لها فضة عن ابن عباس رضى الله عنهما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما
فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس ومعه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فقالوا يا ابا الحسن
لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة وفضة ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شى
فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون اليهودى الخيبرى ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا
واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال السلام
عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موايد الجنة فاثروه وباتوا
لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه
ووقف عليهم اسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين
واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع
قال ما اشد ما يسوءنى ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها
وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك فاقرءه السورة
ودانية عليهم ظلالها معطوفة على الجملة التى قبلها لانها فى موضع الحال من المجزيين وهذه حال
مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم فى عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة فى حكم مفرد تقديره
غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين
مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم

وقيل يجوز ان يجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفتان لجنة اى وجنة دانية عليهم ظلالها على
انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف وذللت سخرت وسهلت
وقربت قطوفها ثمارها تذليلا فينالون شاؤا ياكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين على اى
حال كانوا وذللت حال من دانية اى تدنوا ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم وقيل وذللت
معطوف على دانية اى ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهى
صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا ويطاف عليهم بانية اى يدور عليهم
خدمهم كووس الشراب وهى من فضة وهى مع سامى الفضة وحسنها فى صفا القوارير وشفيفها
وكانت هو من تكوين فى قوله كن فيكون اى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة
الشان الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله مزاجها كافورا من فضة قدروها
صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها فى انفسهم ان تكون على مقادير واشكال
على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير فى قدروا للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم
على انهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
مجاهد لا يفيض ولا يغيض ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا تسوق وتطرب من غير لذع والعرب
تستحب الزنجبيل وتستلذه وتستطيبه قال شاعرهم كان جنيا من الزنجبيل بات بفيها
وارى مشارا قال المسيب وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وقيل
هى عين فى الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل مادة يشربها المقربون صرفا وتمزج لساير اهل الجنة
عينا فيها بدل من زنجبيلا عند الفرا الزجاج يسقون عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلامة
انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها وابو العالية ومقاتل ابن حيان سميت سلسبيلا لانها
تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان وشراب
الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك والسلسبيل فى اللغة وصف لما كان فى غاية
السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقيل زيدت الباء فى التركيب حتى صارت
الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة وقيل يمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله
طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة
على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان الاكثر على انهم غلمان ينشيهم الله لخدمة المومنين
وقيل هم الاطفال لمشركين ولدانا وهم من الولادة مخلدون لا يشيبون معطرون اذا رايتهم
ايها المخاطب حسبتهم لولوا منثورا شبهوا فى حسنهم وصفاء الوانهم وسابهم فى مجالسهم
ومنازلهم باللولو الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء واذا رايت ليس له مفعول

ظاهر

ظاهر ولا مقدر لشيوع وبعم كانه قيل واذا وجدت الروية ثم معناه ان بصرك اينما وقع لم يتعلق
ادراكه الا بنعيم كثير وثم فى موضع النصب على الظرف يعنى فى الجنة وملكا كبيرا واسعا هنيئا
لا زوال له وهو ان ادناهم منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاها كما يرى ادناها وقيل
اذا ارادوا شيئا كان عاليهم قرا نافع وحمزة عاليهم بتسكين الياء على انه مبتدا خبره ثياب
سندس اى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقون بالنصب على انه حال من الضمير
فى يطوف عليهم او فى حسبتهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لولوا
عاليا لهم ثياب وقيل يجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وقيل يجوز ان يراد
اذا رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب خضر واستبرق قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر
بالخفض على نعت سندس واستبرق بالرفع على نعت ثياب وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بضده
ونافع وحفص كلاهما بالرفع وحمزة والكسائى وخلف كلاهما بالجر وحلوا عطف على ويطوف
عليهم اساور من فضة قيل للطائعين والذهب المطوف عليهم وقيل الفضة للرجال
والذهب للنساء وقيل انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما يزاوج نسا
الدنيا بين انواع الحلى ويجمع بينها وما احسن المعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب
وسوار من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تدنسه الايدى
ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا ابو قلابة وابرهيم يعنى انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا
فى ابدانهم كريح المسك وان الرجل من اهل الجنة تقسم له شهوة ماية رجل من اهل الدنيا
واكلهم ونهمتهم فاذا اكل ما شاء سقى شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ما اكل رشحا يخرج
من جلده اطيب ريحا من المسك الاذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته وقيل يطهرهم من الذنوب
والادناس والارجاس وسخيهم للجنة قال جعفر يطهرهم به عن كل شى سواه اذ لا طاهر من تدنس
بشىء من الاكوان ابو سليمان الدارانى سقاهم ربهم على حاشيته بساط الود فاراهم من صحبة
الخلق واراهم روية الحق ثم اقعدهم على منابر القدس وحياهم بتحف المزيد وامطر عليهم مطر الانس
فسالت عليهم اودية السوق فكفاهم هموم الفرقة وحياهم بسرور القربة وقيل صبت على صدورهم
ما المحبة فشرحت صدورهم بمعنى المحبة ولانت بنور المعرفة قلوبهم وانغسلت بنور الطاعة
جوارحهم وضمائر بنسيم الهيبة وحيا ارواحهم بحبوة القربة فما لها من ساق وما لها من مسقى
وسيل ابو يزيد البسطامى عن قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال طهرهم به عن محبة غيره
ثم قال ان لله شرابا ادخره لافضل عباده يتولى سقيهم فاذا شربوا طاشوا واذا طاشوا طاروا
واذا طاروا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا فهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر صلوا خلف

سهل بن عبد العشاء فقرأ قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كانه يمص شيئا فلما فرغ من صلوته قيل له اتشرب ام تقرأ فقال والله لو لم اجد له لذة عند قرائته كاللذة عند شرابه ما قرأته **قوله تعالى** ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما ۝ ان هذا اي يقال لاهل الجنة ان هذا الذي نعدم من عطاء الله كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي محمود مثنى به عليكم وقيل ما جوزي به شكرا على التوسع الكلبي جزيتم به الجنة انا نحن نزلنا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله الا حقا وصوابا كانه قيل ما نزل عليك الكتاب تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري حكما لا افعل شيئا الا على الوجه الذي سعى مؤا فقا لمشيئتي ولقد اردت ان انزل عليه الامر بالمحافظة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك على تاخير نصرتك على اعدايك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قل اصبر منك على اذاهم وضجر امن تاخر اللطف وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم قال صاحب الكشاف فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو والنهي عن طاعتهما فان نهي احدهما انما يتحقق بنهي كل واحد منهما بخلاف الواو فان نهي الاثنين على سبيل الجمع لا يستلزم نهي كل منهما فان نهي الاثنين على سبيل الجمع يصدق بنهي احدهما دون الآخر واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي دم على الفجر والعصر ومن الليل اي وبعض الليل فصل يعني صلاة المغرب والعشاء وادخل على الليل للتبعيض كما دخل في المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه اي تهجد له نصا من الليل اي طائفة منه طويلا ثلثيه او نصفه او ثلثه قيل اي التطوع بصلوة الليل وقيل المراد الادامة على ذكر الله في الاوقات كلها ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة

ويذرون

ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤن به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض نحن خلقناهم وشددنا واحكمنا اسرهم ربطهم اي احكمنا خلقهم ومفاصلهم وقواهم وربطنا بعضهم ببعض الحسن او صالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب واصل الاسر الشد ومنه قولهم خذه باسره اذا ارادوا ان يقولوا هو لك كله كانهم ارادوا اعطه بشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيعه ان هذه السورة او الآيات القريبة تذكرة للخلق وسبيل لما خير وحق من شاء اتخذ الى ربه سبيلا بان يسلك طريق طاعته باتباع انبيائه ورسله وما تشاؤن قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالياء من تحت والباقون بالتاء الا ان يشاء الله لانه لا يدخل شيء من الخير والشر والهداية والضلال والكفر والايمان والطاعة والمعصية في الوجود الا بمشيئة الله تعالى وتقيد صاحب الكشاف تفسيرهم حيث قال الا ان يشاء الله تقسيرهم عليها باطل فانه صرف عن الظاهر الحق الى خلافه الباطل ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم على الوجه الاحسن الاكمل بمقتضى مشيته قال صاحب الكشاف محل ان يشاء الله النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله يدخل من يشاء من المؤمنين في رحمته والظالمين اي المشركين اعد لهم عذابا اليما ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك **سورة والمرسلات ويقال لها سورة العرف مكية** كلها في قول الجمهور وحكي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان منها آية مدنية وهي قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وهي ثمان مائة وست عشر حرفا ومائة واحدى وثمانون كلمة وخمسون آية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع ۝ والمرسلات عرفا يعني الرياح يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل كثيرا والعرب يقول الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا ويقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا البوا عليه وقد يكون العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة او نصاح بالمطر الحسن هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اقسم الله تعالى بالرياح ثلث مرات وقيل اقسم الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامر فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تحققا في امتثال امر وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن

في الجو عند انحطاطهن بالوحي وقيل نشرن الشرائع في الارض وقيل نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما
اوحين ففرقن بين الحق والباطل مقاتل والحسن وابن كيسان يعني القرآن فرقت بين الحق والباطل وبين
الحلال والحرام وقيل يعني السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج حين تضع
فالملقيات ذكرا يعني الملائكة التي تنزل بالوحي نظيرها قوله تلقي الروح عذرا اي اعذارا للمحقين او نذرا
او انذارا للمبطلين قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بسكون الذال منهما واختاره ابو عبيد لانهما
في موضع مصدرين الاعذار والانذار ليسا بجمع فيثقلا والباقون بتخفيف عذرا وتثقيل نذرا وقيل
اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله
كسفا وقيل اقسم بسحايب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله عز وجل وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم
ماء غدقا لنفتنهم فيه فالملقيات ذكرا اعذارا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا
راوا نعم الله في الغيث ويشكرونها وانذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى
الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت قال
صاحب الكشاف فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا
قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمومنين الذين انتقم الله لهم منهم فان
قلت ما العذر والنذر وبما انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف
على فعل كالشكر والكفر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى العاذر
والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما الوجه
الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين انما ان الذي توعدون من مجيء يوم القيمة واحوال
اصحاب الجنة واصحاب النار لواقع لجاي نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم **قوله تعالى**
فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم
اجلت ليوم الفصل وما ادريك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ۝ فاذا النجوم طمست
محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق
نورها ثم ينتثر ممحوقة النور واذا السماء فرجت فتحت وقيل فتحت ابوابا واذا الجبال نسفت قلعت
من اماكنها وذهبت بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته واذا الرسل اقتت جمعت لميقات
يوم معلوم وقيل جعلت لهم وقتا كما قال ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وقيل اجلت للاجتماع لوقت
هو يوم القيمة ابن عباس جمعت ومعنى توقيت الرسل تبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة
على اممهم قرا ابو عمرو ووقتت بالواو وتشديد القاف على الاصل والباقون بالالف وتشديد القاف
والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت واكدت وورخت الكتاب وارخته ووجهت

بين القوم

بين القوم واجهت ووشاح واشاح ووكاف واكاف ووساده واساده لاي يوم اجلت اي وقت من الاجل
وقيل اخرت والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت تعظيم لليوم وتهويل وتعجيب من هوله ليوم
الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق قال صاحب
الكشاف والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها التي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت
اخرت وما ادريك ما يوم الفصل من اين تدرك كنهه ولم تعهد مثله ويل يومئذ للمكذبين ويل مبتدا
مخصص وهو في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله عدل به الى الرفع للدلالة على معنى
ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم **قوله تعالى** الم نهلك الاولين
ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نهلك الاولين
من الامم المكذبين في قديم الدهر ثم نتبعهم الاخرين السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب
وهذا وعيد لاهل مكة ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم
لانهم كذبوا مثل تكذيبهم **قوله تعالى** الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار
مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نخلقكم من ماء مهين
حقير ذليل ضعيف فجعلناه في قرار مكين اي رحم يستقر فيه الماء ويتمكن وقيل يتمكن فيه الولد وقيل
من المحافظة والمنزلة لكونها محل خلق الولد وتصوير الحيوان الى قدر معلوم الى وقت الولادة
وقيل الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر بحسب الغالب او ما فوقها
او ما دونها فقدرنا قرا اهل المدينة بالتشديد من التقدير وهي اختيار الكسائي والباقون
بالتخفيف من القدرة لقوله تعالى فنعم القادرون ويجوز ان يكون التشديد والتخفيف بمعنى
واحد لقوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتشديد والتخفيف اي فقدرنا ذلك التقدير
فنعم القادرون فنعم المقدرون نحن وقيل فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن ويل يومئذ
للمكذبين **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نجعل الارض كفاتا موضعا يكفت
فيه شيء اي يضم وبه انتصب احياء وامواتا كانه قال كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه
وهو يكفت والمعنى يكفت احياء على ظهرها وامواتا على بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي
على قطع النباش بان الله جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من
الحرز ويتكرر احياء وامواتا للتفخيم كانه قيل يكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان
احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس وجعلنا فيها رواسي شامخات اي جبالا

ثوابت طوالا واسقيناكم ماء فراتا عذبا ويل يومئذ للمكذبين ٥ رواسي شامخات وما فراتا يحتمل ان يفيد التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان تكون شمخت ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين ٥ اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب في الاخرة انطلقوا الثاني تكرير الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل انها عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على روس المومنين والدخان على روس المنافقين واللهب الصافي يقف على روس الكافرين وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم الله حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين ولا يغني في محل الجر اى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي اى جهنم بشرر هو ما تطاير من النار اذا التهبت واحدتها شرارة كالقصر اى كل شرارة كالقصر من القصور من عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحد قصرة نحو جمرة وجمر سيل ابن عباس عن قوله انها ترمي بشرر كالقصر قال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخره للشتا فكنا نسميها القصر كانها جمالات قرا حمزة والكسائي وحفص وخلف جمالة بكسر الجيم من غير الف بعد الميم جمع جمال وقيل جمع الجمع مثل حجر وحجارة والباقون جمالات بكسر الجيم والف بعد الميم جمع جمال شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى الابل بالافدان والمجادل صفر جمع الاصفر وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شرر نار جهنم سود كالقار والعرب تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر ٥ تلك خيلي منها وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ٥ اى سود وانما سميت سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون يوم القيمة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت وكذلك ورد الامران في القران وجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون رفع عطف على يوذن منخرطه في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عن الاذن لا محالة ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى**

هذا

هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ٥ هذا يوم الفصل للقضا جمعناكم يا مكذبي امة محمد والاولين من بني ادم كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعدا والاشقيا وبين الانبيا واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد حيلة في التخلص من العذاب فكيدون فاحتالوا على هذا تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ٥ ان المتقين في جنة ظليلة مصونة من الحر ولا تودي بالبرد وفواكه مما يشتهون لذيذة مشتهاة على وفق شهوتهم يقال لهم واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اى هم مستقرون في ظلال مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون لا تشوبه مكروه ولا ينقطع انا كذلك نجزي المحسنين المومنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه فان لم يكونوا يرونه فانه يراهم ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين ٥ كلوا وتمتعوا حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا يقال لهم ذلك في الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار متاع العاجل على النعيم والملك المخالد وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون ٥ واذا قيل لهم اركعوا صلوا لا يركعون لا يصلون مقاتل نزلت في ثقيف حين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون اى ان القران من بين الكتب المنزلة اية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون ٥ ٥ ٥

سورة النبأ مكية

وهي سبعمائة وسبعون حرفا ومائة وثلث وسبعون كلمة واربعون اية ٥
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبأ
العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ٥ عم اصله عما على
انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا
الاستفهام تفخيم الشان يعني عن اي شيء يتساءلون يسئل بعضهم وقيل يتساءلون غيرهم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة والضمير لمشركي
مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم
بيان للشان المفخم مجاهد هو القرآن دليله قوله تعالى هو نبأ عظيم قتادة هو البعث قال
صاحب الكشاف عن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف
واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره
كشيء مبهم ثم يفسر الذي هم فيه مختلفون كان من المشركين من يكذب البعث ويقطع القول
بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا يسئلون عنه اما المسلم فليزداد
خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المسئول عنه القرآن وقيل نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم كلا ردع للمتسائلين هذا سيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما
يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه ثم كلا سيعلمون تكرير للردع مع الوعيد
تشديد لذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد قوله تعالى
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ٥ لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف
اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكاركم قدرته على البعث
وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل
فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل فعل الم نجعل الارض استفهام
تقرير مهادا فراشا يمكن الاستقرار عليها فانها كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية
للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او على ذات مهد والجبال اوتادا وخلقناكم
ازواجا اي ارسيناها بالجبال كما يثبت البيت بالاوتاد ولولاها لارتجت بالزلازل والرياح وقيل
هيئة الجبال على الارض كهيئة الاوتاد مرتفعة وخلقناكم ازواجا اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا
نومكم سباتا قطعا عن العمل راحة لابدانكم والنائم مسبوت لا يعلم ولا يعقل كانه ميت وقيل سباتا

موتا

موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين
وجعلنا الليل لباسا غطاء وغشاء يلبس كل شيء بسواده ساترا مما شأنه ستر وجعلنا النهار معاشا
اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل لما جعل النوم موتا جعل
اليقظة معاشا اي حياة وقيل زمانا للعيش واللذة قوله تعالى وبنينا فوقكم
سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات الفافا ٥ وبنينا فوقكم سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية
الخلق لا يؤثر فيه مرور الازمان وجعلنا سراجا مضيئا منيرا وهاجا متلألئا وقادا وهو الشمس
توهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات اي الرياح التي تعصر
السحاب وقيل المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقوله
اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ولم يحصر المبرد
المعصرات العاطرات ابن كيسان المغيثات من قوله تعالى وفيه يعصرون ابي بن كعب
والحسن وسعيد بن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان من المعصرات من السموات ماء
ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدي مجاهد مدرارا قتادة متتابعا يتلو بعضه بعضا وقيل
المعصرات بالسموات ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي
يحملن على العصر ويمكن منه لنخرج به بالماء حبا ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير ونباتا
ما يعتلف به من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان
وجنات الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخفاف وقيل الواحد لف وقد انشد
جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وقيل يحتمل هو جمع ملتفة بتقدير حذف
الزوائد قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون
افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا
للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء
وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا ٥ ان يوم الفصل كان في تقدير الله وحكمه ميقاتا حدا توقت به
الدنيا وتنتهي عنده وقيل حدا للخلائق ينتهون اليه وقيل ميقاتا لما وعد الله يوم ينفخ بدل
من يوم الفصل وقيل عطف بيان في الصور فتاتون افواجا زمرا زمرا وقيل افواجا من القبور
الى الموقف امة كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة عن البراء بن عازب كان معاذ بن جبل

جالسًا قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله
يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا قال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال تحشرون
عشرة أصناف من أمتي أشتاتًا قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم
عميًا وبعضهم صمًا بكمًا وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم
يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم
أشد نتنًا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابًا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على
صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم
فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون
ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين
يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد
نتنًا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما الذين ملبسون
الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ۞ وفتحت قرأ أهل الكوفة بالتخفيف والباقون بالتشديد
على معنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونًا
كأن كلها عيون تتفجر وقيل شقت حتى جعلت كالأبواب قطعًا وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب
وطرق وقيل إن لكل عبد بابين في السماء باب لعمله وباب لرزقه فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب
وسيرت الجبال عن مكانها فكانت سرابًا كقوله فكانت هباءً منبثًا يعني أنها تصير شيئًا كلا شيء لتفرق
أجزائها وانبثاث جواهرها إن جهنم كانت مرصادًا أحد الحدود فيه الرصد وقيل طريقًا وممرًّا فلا سبيل
إلى الجنة حتى يقطع مقابل محبسًا للطاغين للكافرين مآبًا مرجعًا لابثين فيها قرأ حمزة لبثين بغير ألف
والباقون لابثين بالألف أحقابًا حقبًا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية وقيل الحقب
هو اسم للزمان والدهر وليس له حد معلوم عن ابن مسعود لا يعلم عدد الأحقاب إلا الله وقيل
هو محدود وعن ابن عمر أن الحقب أربعون سنة كل يوم منها ألف سنة وعن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه قال لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل قال نجده في كتاب الله
ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرًا كل شهر ثلاثون يومًا كل يوم ألف سنة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابًا والحقب بضع وثمانون سنة
والسنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلن أحد على أن يخرج من النار
بشر بن كعب بلغني أن الحقب ثلاثمائة سنة كل سنة ثلاثمائة يوم وستون يومًا كل يوم ألف سنة

مجاهد

مجاهد الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبًا كل حقب سبعون خريفًا كل خريف سبعمائة سنة
كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم ألف سنة الحسن إن الله لم يذكر شيئًا إلا وجعل له
مدة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدة قال لابثين فيها أحقابًا فوالله ما هو إلا أنهم
إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى أبد الآباد فليس عنده إلا الخلود في النار ولكن
قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها
فلن نزيدكم إلا عذابًا يعني أن العدد ارتفع والخلود قد حصل ولا يكاد يستعمل الحقب
والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة
الراكب والحقب الذي وراء التصدير لا يذوقون فيها بردًا يفسر والاستثناء المنقطع
يعني لا يذوقون فيها بردًا وروحًا ينفس عنهم حر النار ولا شرابًا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميمًا وغساقًا قال دمهرئا وقيل صديد أهل الصعر وقيل دموعهم شهر بن حوشب
الغساق وادٍ في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبًا في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتًا في كل بيت
أربع زوايا في كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كل شجاع سم وقيل البرد النوم
أنشد فيه   بردت مراشفها علي فصدني عنها وعن قبلاتها البرد   والعرب
تقول منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم قيل إن النوم يبرد صاحبه وإن العطشان لينام
فيبرد غليله فلذلك سمي النوم بردًا قال الشاعر   وإن شئت حرمت النساء سواكم
وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردًا   أي نومًا الحسن وعطاء لا يذوقون فيها بردًا أي روحًا
وراحة جزاءً نصب على المصدر أي جازيناهم جزاءً وفاقًا وافق أعمالهم كما تقول قاتل بما لا
الوسع جزاء بحسب أعمالهم لقتال على قدر أعمالهم مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب
أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار الحسن وعكرمة كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله
ما يسوؤهم إنهم كانوا لا يرجون لا يخافون حسابًا محاسبة الله إياهم قيل لا يؤمنون بالبعث
فيرجوا ثواب حسابًا وكذبوا بآياتنا كذابًا تكذيبًا هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابًا
وخرقت القميص خراقًا وقيل يحتمل أن يكون مصدرها فعالًا مشددًا في لغتهم وكل شيء أحصيناه كتابًا مصدر
في موضع إحصاء وأحصينا في معنى كتبنا لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل
وقيل هي حال في معنى مكتوبًا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله
أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض فذوقوا مسبب عن شركهم وكفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي
لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدًا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله

عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار **قوله تعالى** ان للمتقين
مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء
من ربك عطاء حسابا ۝ ان للمتقين مفازا فوزا ونجاة من النار والى الجنة
وظفرا بالبغية ابن عباس والضحاك متنزها حدائق فسر مفازا بما بعده وهو حدائق بساتين
فيها انواع الشجر المثمر واعنابا اشجار العنب وكواعب نواهد يكعب ثديهن واحدتها كاعب
اترابا لدات مستويات في السن وكأسا دهاقا مملوة وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني سعيد بن
جبير ومجاهد متتابعة وعن ابي هريرة في قوله تعالى وكأسا دهاقا دما دم فارسية عكرمة صافية
مقاتل على قدر ريهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا وماثما وهو ما يلغى من هجر الكلام ولا كذابا اي لا يتكاذبون
جزاء مصدر توكيد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز من ربك
تفخيم للجزاء عطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطا حسابا صفة بمعنى كافيا كبيرا
وافيا يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ويكفيني قال الشاعر ۝
ونقفي وليد الحي ان كان جائعا ونحسبه ان كان ليس بجائع اي نعطيه حتى يقول حسبي
وقيل جزاء على حسب اعمالهم **قوله تعالى** رب السموات والارض وما
بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وقال صوابا ۝ قرأ ابن عامر وعاصم بخفض رب والرحمن وحمزة والكسائي
رب خفضا والرحمن رفعا والباقون برفعهما قال ابو عبيد اوسطها اعدلها فخفض رب من
قوله جزاء من ربك فيكون نعتا له وبعد الرحمن منه وقيل رب السموات والرحمن بالرفع على
هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران
وبالجر على البدل من ربك وجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن
لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله
ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون
منه وقيل لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم
ذلك ويأذن لهم فيه قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا عن ابن عباس ان نفرا من اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الروح ما هو فقال هو جند من جند الله
ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا
فقال هؤلاء جند وهؤلاء جند وعن ابن عباس هو اعظم الملائكة خلقا واشرف منهم واقرب
من رب العالمين ۝ ابن عباس الروح ملك اعظم من السموات ومن الجبال واعظم من الملائكة

وهو

وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة
صفا وحده والسعي والضحاك هو جبريل الضحاك عن ابن عباس انه عن يمين العرش نهر من نور مثل السموات
والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل عليه السلام فيه كل سحر فليغتسل فيزداد نورا الى نوره
وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك
يدخل كل يوم منهم سبعون الف ملك البيت المعمور والكعبة لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وهب ان
جبريل واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة صفوف
بين يدي الله منكسوا رؤوسهم فاذا اذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا انت وهو قوله تعالى
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يوم يقوم متعلق بلا يملكون
او لا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكرمهم طاعة واقربهم منه وهو الروح والملائكة
لا يملكون التكلم بين يديه تعالى فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض مجاهد خلق على صورة بني ادم
يأكلون ويشربون ۝ ابو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس الحسن وقتادة هم بنو ادم ۝ قتادة
وهذا مما كان يكتمه ابن عباس ۝ مجاهد عن ابن عباس الروح خلق من خلق الله وصورهم على صور خلق بني ادم
وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح عطية عنه هي ارواح الناس يقوم مع الملائكة فيما
بين النفختين قبل ان ترد الارواح الى الاجساد ابن زيد هو القرآن وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا والملائكة صفا الشعبي سماطا رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح وسماط من الملائكة
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا حقا في الدنيا وعمل به ابو صالح في قوله الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا قال لا اله الا الله في الدنيا قيل هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم
بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى **قوله تعالى**
ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ۝ ذلك اليوم الحق لا باطل فيه ولا ظلم وذلك اليوم
حق كائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بطاعته في الدنيا ليكون المرجع الى الثواب انا انذرناكم عذابا
قريبا قيل في الدنيا وقيل يوم بدر وقيل هو عذاب الاخرة لان ما هو آت قريب يوم ينظر المرء هو الكافر
لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر وضع موضع المضمر لزيادة الذم ما قدمت يداه من الشر لقوله
وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ما قدمت يجوز ان يكون
استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى
نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر قتادة هو المؤمن يا ليتني
كنت ترابا في الدنيا فلم اكلف ولم اخلق وقيل يا ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله

الحيوان غير المولف حتى ينتقص لحما من الغرنا ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس وذلك انه عاب ادم عليه السلام لانه خلق من التراب وافتخر انه خلق من النار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه المومنون من الثواب والرحمة والراحة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه بمكان ادم فيقول حينيذ يا ليتني كنت ترابا

سورة الساهرة مكية

وهي سبعمائة وثلثة وخمسون حرفا وكلماتها مائة وسبعون كلمة وست واربعون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة

اقسم الله تعالى بطوايف من الملايكة والنازعات مسروق هي الملايكة التي تنزع نفوس بني ادم قال علي رضي الله عنه هي الملايكة تنزع ارواح الكفار ابن مسعود انفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر واصول القدمين ثم يغرقها فيردها في جسده فهذا عمله بالكافر مقاتل هم ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق في الماء سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار مجاهد هو الموت ينزع النفوس السدي هي النفس حين تغرق في الصدر وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كانها تغرق الحسن وقتادة وابن كيسان وابو عبيدة والاخفش هي النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب عطا وعكرمة هي القسي وقيل الغزاة الرماة والمعنى والنازعات اغراقا كما يغرق النازع في القوس اذا بلغ بها غاية المد حتى ينتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقا واراد بالاغراق المبالغة في النزع وهو سايغ في جميع وجوه تاويلاتها والناشطات نشطا ابن عباس الملايكة تنشط نفس المومن اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها فيقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وعنه ايضا هي انفس المومنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ليس من مومن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها اشباها من اهله وازواجه من الحور العين وهم يدعونه اليها فنفسه نشيطة ان تخرج اليهم مانيهم وقال علي رضي الله عنه هي الملايكة تنشط ارواح الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم بالكرب والغم مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان السدي حين تنشط من القدمين عكرمة وعطا هي الاوهاق قتادة والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب يقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد اي يذهب ويقال لبقر الوحش نواشط لانها تذهب من موضع الى موضع والسابحات سبحا قال علي رضي الله عنه هي الملايكة تسبح بارواح المومنين

الكلبي

الكلبي هم الملايكة يقبضون ارواح المومنين كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح مجاهد وابو صالح هي الملايكة ينزلون من السماء مسرعين كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في سيره وقيل هي طوايف الملايكة التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من الامور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم قتادة هي النجوم والشمس والقمر قال الله تعالى وكل في فلك يسبحون عطا هي السفن فالسابقات سبقا مجاهد سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح مقاتل هي الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملايكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله ورحمته وكرامته عطا هي الخيل قتادة النجوم تسبق بعضها بعضا في السير فالمدبرات امرا يعني الملايكة عبد الرحمن ابن سابط يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فاما جبريل فموكل بالجنود والرياح واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقيل اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسنادا لتدبير اليها لانها من اسبابه وقيل اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان يقطع الفلك كله حتى ينحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الارهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف منصوب بهذا الضمير الراجفة يعني النفخة الاولى التي تتزلزل وتتحرك لها كل شي تتبعها الرادفة هي النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنة قتادة هما صيحتان اما الاولى فتميت كل شي باذن الله واما الاخرى فتحيي كل شي باذن الله مجاهد يوم ترجف الراجفة يعني تتزلزل الارض والجبال تتبعها الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة عطا الراجفة القيمة والرادفة البعث ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة واصل الرجفة الصوت والحركة ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها وكل شي ولي شيا وتبعه فقد ردفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذهب ربع الليل قال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قيل الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها

تنشق وتنتثر کواکبها علی اثر ذلک تتبعها الرادفة فی محل الحال ای ترجف تابعتها الرادفة قال صاحب
الکشاف فان قلت کیف جعلت یوم ترجف ظرفا للمضمر الذی هو لتبعثن ولا یبعثون عند النفخة
الاولی قلت المعنی لتبعثن فی الوقت الواسع وهو وقت النفختین الاخری ودل علی ذلک ان قوله تتبعها
الرادفة جعل حالا عن الراجفة ویجوز ان ینتصب یوم ترجف بما دل علیه قلوب
یومئذ واجفة خایفة شدیدة الاضطراب والوجیف والوجیب اخوان وقیل وجلة زایلة عن اماکنها
قلقة مستوفزة غیر هاربة ولا ساکنة خاشعة ذلیلة قلوب مرفوعة بالابتداء واجفة صفتها ابصارها
خاشعة خبرها کقوله ولعبد مومن خیر من مشرک ومعنی ابصارها ابصار اصحابها یقولون یعنی هولاء
المکذبین المنکرین للبعث من مشرکی مکة اذا قیل لهم انهم مبعوثون من بعد الموت اینا لمردودون فی الحافرة
فی الحالة الاولی یعنون الحیاة بعد الموت ای فراجعون احیاء کما کنا قبل مماتنا وهو من قول العرب رجع فلان فی حافرته
ای فی طریقه التی جاء منها فحفرها ای اثر فیها بمشیه فیها جعل اثر قدمیه حفرا کما قیل حفرت اسنانه فحفرت حفرا ای
اثر الاکال فی اسنانها والخط المحفور فی الصخر قیل حافرة کما قیل عیشة راضیة ای منسوبة الی الحفر والرضی
او کقولهم نهارک صایم ثم قیل لمن کان فی امر فخرج منه ثم عاد الیه رجع الی حافرته ای الی طریقته وحالته
الاولی قال الشاعر ٥ احافرة علی صلع وشیب معاذ الله من سفه وعار ٥ یرید ارجوعا الی الحافرة
وقیل النقد عند الحافرة یریدون عند الحالة الاولی وهی الصفقة ٥ سمع الحسن یقولون اینا لمردودون
فی الحافرة قال خلق جدید وقیل الحافرة العاجلة اینا لمردودون الی الدنیا فنصیر احیاء کما کنا قال الشاعر ٥
البیت لا انساکم فاعلموا حتی تردوا الناس فی الحافرة ٥ وقیل الحافرة الارض التی فیها تحفر قبورهم فسمیت
حافرة وهی بمعنی المحفورة ومعنی الایة اینا لمردودون الی الارض فنبعث خلقا جدیدا ثم مردودون فی قبورنا
امواتنا وهذا قول مجاهد والخلیل وقد سمیت الارض حافرة لانها مستقر الحوافر کما سمی القدم ارضا لانها علی
الارض والمعنی نرد فنمشی علی اقدامنا ای نرد الحافرة النار ایذا کنا عظاما نخرة قرا اهل الکوفة الا حفصا
ناخرة بالالف والباقون نخرة بغیر الف وهما لغتان تقال نخر العظم فهو نخر وناخر کقولک طمع فهو طمع وطامع
وفعل ابلغ من فاعل وهو البالی الاجوف الذی تمر فیه الریح فیسمع له نخیر اذا منصوب بمحذوف تقدیره ایذا کنا
عظاما نخرة نرد ونبعث قالوا تلک اذا کرة خاسرة منسوبة الی الخسران او خاسر اصحابها والمعنی ان صحت
فنحن اذا خاسرون لتکذیبنا بها وهذا استهزاء منهم فانما هی زجرة واحدة متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هی زجرة واحدة یعنی لا تحسبوا تلک الکرة صعبة علی الله فانها سهلة هینة فی قدرته ما هی الا صیحة
واحدة یرید النفخة الثانیة فاذا هم بالساهرة فاذا هم احیاء علی وجه الارض بعدما کانوا امواتا فی جوفها
زجر البعیر اذا صاح علیه الساهرة الارض البیضاء المستویة سمیت بذلک لان السراب یجری فیها
من قولهم عین ساهرة جاریة الماء وفی ضدها نائمة قال الاشعث بن قیس وساهرة یضحی السراب

مجالا

مجالا لاقطارها قد حسبها مثلثا اولان سالکها لا ینام خوف الهلکة فاذا هم فی جهنم
قیل هذه الساهرة جبل عند بیت المقدس او العایلة فاذا هم بالساهرة بالصقع الذی بین جبل
حسان وجبل اریحا **قوله تعالی** هل اتاک حدیث موسی اذ ناداه ربه بالواد المقدس
اذهب الی فرعون انه طغی فقل هل لک الی ان تزکی واهدیک الی ربک فتخشی فاراه الایة الکبری
فکذب وعصی ثم ادبر یسعی فحشر فنادی فقال انا ربکم الاعلی فاخذه الله نکال الاخرة والاولی
ان فی ذلک لعبرة لمن یخشی ٥ هل اتاک هذا استفهام یتضمن التنبیه علی ان هذا مما یجب
ان یعلم ویتضمن التشریف للمخاطب به والحث علی استماعه وقیل معناه هل اتاک وقیل هذا اول
قصة موسی حدیث موسی ما حدث وعومل به حین ناداه بالواد المقدس من ناحیة الشام
طوی هو اسمه من صرفه جعله اسما للموضع او صفة کقولهم مالا لبدا ومن لم یصرفه جعله اسم
بقعة او معدولا کعمر وزفر وقیل معنی طوی مرتین وقیل نودی مرتین اذهب الی فرعون علی ارادة
القول متعلق بالنداء محمول علی القول لان النداء قول وقیل تقدیره بان اذهب انه طغی تجاوز الحد فی
الکفر والفساد فقل له هل لک فی کذا وهل لک الی کذا کما تقول هل ترغب فیه وهل ترغب الیه الی
ان تزکی الی ان تطهر من الشرک قرا اهل الحجاز ویعقوب بتشدید الزای تزکی والباقون بالتخفیف
ای تسلم وتصلح وتطهر واهدیک الی ربک وارشدک الی معرفة الله وانبهک علیه فتعرفه فتخشی
لان الخشیة لا تکون الا بالمعرفة قال الله تعالی انما یخشی الله من عباده العلماء ای العلماء به وذکر
الخشیة لانها ملاک الامر من خشی الله اتی منه کل خیر ومن امن اجترا علی کل شر ومنه قوله علیه
السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذی معناه العرض کما
یقول الرجل لضیفه هل لک ان تنزل بنا واردفه الکلام الرقیق لیستدعیه بالتلطف فی القول
ویستنزله بالمداراة من عتوه کما امر بذلک فی قوله فقولا له قولا لینا فاراه الایة الکبری تقدیره
فذهب الیه فاراه الایة الکبری هی العصا والید البیضاء قیل قدمت العصا علیه لانها کانت
المقدمة والاصل والاخری کالتبع لها لانه کان یتقیها بیده فقیل له ادخل یدک فی جیبک وقیل
ارادهما جمیعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانیة کانها من جملة الاولی ولکونها تابعة لها
فکذب بموسی والایة الکبری وسماها ساحرا وسحرا وعصی الله بعدما علم صحة الامر وان الطاعة
قد وجبت علیه ثم ادبر اعرض عن الایمان ای لما رای الثعبان ادبر مرعوبا یسعی یسرع فی مشیته
قال الحسن کان رجلا طیاشا خفیفا وقیل تولی عن موسی یسعی ویجتهد فی مکایده وقیل اراد ثم اقبل
یسعی کما یقول اقبل فلان یفعل کذا بمعنی انشا یفعل موضع ادبر موضع اقبل لئلا یوصف بالاقبال
فحشر فجمع السحرة وقومه کقوله فارسل فرعون فی المداین حاشرین فنادی فی المقام الذی اجتمعوا فیه

معه وقام فيهم خطيبًا فقال انا ربكم الاعلى اى ليس رب فوقى وقيل اراد الاصنام ارباب
وارباها وربكم وقيل اراد القادة والسادة وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى
والاخرى انا ربكم الاعلى فاخذه الله فعاقبه الله نكال مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كانه قال نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
يعنى النكال فى الدنيا والاخرة وهى قوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة وقيل عشرون
سنة ان فى ذلك فيما فعل بموسى لعبرة لمن يخشى ان يعاقب وقيل ان فيما قصصناه عبرة لمن
يخشى وقيل لمن يعلم الله **قوله تعالى** ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع
سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها
ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم ٥ ءانتم ايها المشركون المنكرون
للبعث اشد اصعب خلقا وانشاء ام السماء فان الذى قدر على خلق السما قادر على احيائكم
بعد الموت ونظيره قوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله
ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى وقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم بين
كيف خلق السماء فقال بناها ثم بين البنا فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو
مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور
او فتممها بما علم انها تتم واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان واغطش ليلها اظلم ليلها غطش
الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه الله ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها
وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى
للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس
هى السراج المثقب فى جوها والارض بعد ذلك دحاها ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير
ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك
اى بسطها ابن عباس وعبد الله بن عمر وخلق الله الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل
ان يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها
كما يقال للرجل انت احمق وانت بعد هذا لئيم الحسب اى مع هذا قال الله تعالى عتل بعد ذلك
زنيم اى مع ذلك ودليل هذا التاويل قراءة مجاهد والارض عند ذلك دحاها وقيل بعد بمعنى قبل
كقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر وهو القران اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها
قيل هو الكلا الذى يرعى وقيل موضع الكلا الذى يرعى وقيل موضع الرعى وقيل مصدر وفيه بعد
وقيل المرعى يعم الاشجار والثمار والزروع وانواع العشب والجبال ارساها ونصب الارض والجبال

باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير قال صاحب الكشاف فان قلت هلا ادخل
حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر
التمهيد بما لابد منه فى تاتى سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج
الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى ان يكون اخرج حالا
باضمار قد كقوله او جاءوكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعى
للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب متاعا لكم فعل ذلك متعا لكم ولانعامكم لان منفعة
ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم **قوله تعالى** فاذا جاءت الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى الماوى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحيها ٥ الطامة الداهية التى تطم على الدواهى اى تعلو
وتغلب وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة
الثانية وقيل الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل
من اذا جاءت يعنى اذا راى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله
ونسوه وما فى ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت الجحيم لمن يرى للرائى
جميعا اى لكل احد يعنى انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم لقولهم
قد تبين الصبح لذى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى
على احد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فاما من جاوز الحد فى كفره ولم يسع الا للحيوة الدنيا
قوله فاما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول
للرجل غض طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب الماوى
وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول التعريف لانهما معروفان قوله هى فصل او مبتدا
واما من خاف مقام ربه اى مقامه بين يدى ربه ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردى وهو
اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير فان الجنة هى الماوى قيل
الايتان نزلتا فى ابى عزيز بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص جوفه يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها اى متى
ارساؤها اى اقامتها ارادوا متى يقيمها الله عز وجل ويثبتها ويكونها استفهام انكار واستبعاد
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فيم انت

في اي شيء انت من ذكراها من ان يذكرها لهم ويعلمهم به يعني ما انت من ذكراها وتبيين وقتها
في شيء والمعنى انك لا تعلمها وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الساعة ويسئل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام
انت من ذكراها والسوال عنها والمعنى انهم يسئلونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال
عنها ثم استانف فقال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يوت علمها احدًا من خلقه وقيل فيم انكار
لسوالهم اي فيم هذا السوال ثم قيل انت من ذكراها اي من ذكرى ذكراها اي ارسالك وانت خاتم
الانبياء واخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها وكفاهم بذلك دليلا
على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها انما انت منذر من يخشاها
اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه انما بعثت لتنذر من اهوالها من يخشاها
فان من ينكرها لا يخشاها ولا يسعك انذارك اياه كانهم ان كان كفار قريش يوم يرونها يعاينون
القيمة لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها اي اذا صاروا الى الساعة
التي يسئلونك عنها استقصروا مدة لبثهم في الدنيا او في القبور وانما صح اضافة الضحى
الى العشية لما بينهما من الملابسة لوقوعهما في نهار واحد وفائدة الاضافة الدلالة على ان
مدة لبثهم لم يبلغ يومًا كاملًا ولكن ساعة منه عشية او ضحاه فلما ترك اليوم اضافة الى العشية
فهو كقوله كان لم يلبثوا الا ساعةً من نهارٍ ٥ ٥ ٥

سورة عبس مكية

وهي خمسمائة وثلثة وثلثون حرفًا ومائة وثلثون كلمة وهي احدى واربعون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى
فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى
٥ عبس وتولى قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص
على اسلام قريش واشرافهم وكان يومًا يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام وابيا
وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجوا اسلامهم فجاء ابن ام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله
ابن شريح بن مالك ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي فقال علمني يا رسول الله مما علمك الله وجعل
يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه صلى الله عليه وسلم مشتغل بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واقبل على القوم يكلمهم فنزلت هذه الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تكرمه

تكرمه بعد ذلك ويقول مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي عز وجل وذهب قوم منهم مقاتل انه انما جاء
ليؤمنه فاعرض عنه النبي عليه السلام اشتغالا بالروسا فنزلت هذه الايات عبس قطب وجهه
وتولى اعرض بوجهه ان جاءه لان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين روي
انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه
ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيًا جنى عليه ثم يقبل
على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجهًا بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول
قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفًا وترؤفًا وتقريبًا
وترحيبًا ولقد تادب الناس بادب الله عز وجل في هذا تادبًا حسنًا فقد روي عن سفيان
الثوري ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء جعلك داريًا بحال هذا الاعمى لعله يزكى
اي يتطهر بما يتلقى من الشرايع من بعض اوضار الاثم قيل اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالعبوس ولم يخاطبه معاتبة له وقيل تعظيما لحرمته ثم عاد الى خطابه فقال وما يدريك اي انك
لا تدري لعل هذا الذي اعرضت عنه اكرم عند الله لانه يتزكى اي يطلب ان يكون زكيًا بالعمل
الصالح والزكي النامي في الخير او يذكر يتعظ بما يتعلمه فتنفعه الذكرى اي ذكراك وموعظتك
قرا حفص عن عاصم فتنفعه بالنصب جوابًا لقوله لعله والباقون بالرفع عطفًا على يذكر والمعنى انك
لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منه وقيل الضمير في لعله للكافر
يعني انك في ان تزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كاين وعطف بان لان الزكي على من التذكر والتذكر دونه فكانه اراد مرتبة دون مرتبة ثم
فصل ذكر ما عتبه عليه من توجيهه على الكافر الغني حرصًا على اشتماله وعفوه عن المومن الفقير
استهانة به فقال اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه قرا ابن كثير ونافع تصدى
بفتح التاء وتشديد الصاد والباقون بفتح التاء والصاد مع تخفيفها وما عليك الا يزكى ومعناه
يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك باس ان لا يتزكى بالاسلام
وانما عليك البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع في طلب الخير ويعمل الخير وهو ابن ام مكتوم يخشى الله وقيل
يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء ومعه قائد وليس يخشى فانت عنه تلهى
تغفل وتتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى فيه اختصاص
معناه انما التصدي والتلهي عنه اي مثلك خصوصًا لا ينبغي له ان يتصدى للغني ويتلهى عن
الفقير **قوله تعالى** كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره ٥ كلا ردع عن المعاتب عليه وهو

معاودة مثل انها المواعظة التي وعظ بها النبي تذكرة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بمقتضاها
فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف
يعني اللوح المحفوظ مكرمة عند الله وقيل في صحف منتسخة من اللوح المحفوظ مكرمة مرفوعة
في السماء وقيل مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا المطهرون وقيل مطهرة
عن ان ينالها ايدي الكفار وقيل مطهرة مما ليس بكلام الله فهو الوحي الخالص والحق المحض بايدي سفرة
بايدي ملائكة مطهرة سفرة كتبة ينسخون الكتب من اللوح بررة اتقيا وقيل هي صحف الانبيا
وقيل السفرة الانبياء وقيل القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المومنون
كرام اي على الله وقيل كرام عن المعاصي من قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قتل الانسان دعاء
عليه وقيل من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وقيل هذا تعليم اي
قولوا قتل الانسان وهو عتبة بن ابي لهب بعينه وذلك انه قال كفرت برب النجم اذا هوى فقال
عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاخذه الاسد في طريق الشام ما اكفره قيل الاستفهام
اي اي شيء حمله على الكفر وقيل يتعجب من افراطه في كفران نعمة الله عز وجل ولا ترى اسلوبا اغلظ
منه ولا احسن مساقا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة
على قصر مسه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم
وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما ينقلب فيه والى ما يجب
عليه من القيام بالشكر **قوله تعالى** من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم
السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم ۝ من اي شيء خلقه حقير مهين خلقه فقدره فهياه
لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا قيل فقدره احوالا نطفة ثم علقة الى اخر تمام
الخلقة وقيل خلقه على استواء من قوله ثم سواك رجلا وقيل قدره على هذه الصورة التي هو عليها
وقيل قدره اي جعله قادرا ثم السبيل منصوب باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله
اي طريق خروجه من بطن امه الحسن ومجاهد يعني طريق الحق والباطل بين له ذلك وسهل له العلم به
دليله قوله تعالى انا هديناه السبيل وهديناه النجدين ابو بكر ابن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدره
عليه دليله قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم اماته فقبض روحه فاقبره صيره بحيث
يقبر وجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير
كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت اذا امر ان يقبر ومكنه منه ثم اذا شاء انشره

انشاه

انشاه النشاة الاخرة اي احياه بعد موته كلا ردعا للانسان عما هو عليه اي الحسن الامر كما يقول
ويظن هذا الكافر الحسن لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه وقيل لم يقض
بعد مع تطاول الزمان وامتداده من ادم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره
يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه
فقال فلينظر الانسان الى طعامه مطعمه الذي يعيش به كيف قدره ربه ودبره له ليكون له اية
وعن مجاهد الى مدخله ومخرجه الكلبي ان النبي عليه السلام قال لبعض اصحابه ما طعامك قال
يا رسول الله اللحم واللبن ثم الى ماذا قال الى ما قد علمت قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن
ادم مثلا للدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم ان مطعم ابن ادم جعل مثلا للدنيا فانظر الى ما تصير
وسئل ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر الى ما يخرج منه قال يانيه الملك فيقول له انظر الى ما بخلت
به الى ما صار انا قراءة الكوفيين بفتح الالف على نية تكرير الخافض على البدل من الطعام بعد من فلينظر
الى انا صببنا والباقون بالكسر على الاستيناف صببنا الماء صبا اي الغيث ثم شققنا الارض
بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الفعل الى نفسه لانه هو الفاعل حقيقة
فانبتنا فيها حبا كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وعنبا وقضبا ابن عباس والضحاك
يعني القضقضة واهل مكة يسمون القت القضب سمي بذلك لانه يقضب في كل الايام اي يقطع
الحسن القضب العلف وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا غلاظ الاشجار واحدها اغلب مجاهد
ملتفة ابن عباس طوالا قتادة غلبا نخالا كراما عكرمة كرام الاوساط ابن زيد عظام الجذوع
والاعناق قيل يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول
حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي غلاظا عظاما والاصل في الوصف بالغلب الرقاب
فاستعير قال عمرو بن معدي كرب   يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل
جلالا   وفاكهة وابا كلاء ومرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع الحسن هو الحشيش مما تاكله
الدواب ولا ياكله الناس قتادة اما الفاكهة فلكم واما الاب فلانعامكم ابن رزين النبات
يدل عليه ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ما انبتت الارض مما تاكل الناس والانعام
ابن عباس الاب الثمار الرطبة الضحاك هو التبن عكرمة الفاكهة مما ياكل الناس والاب
مما ياكل الدواب عن ابرهيم التيمي ان ابا بكر رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى وفاكهة وابا
فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم عن انس اخبرني انه سمع عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قرا هذه الاية فقال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض عصا بيده
ثم قال لعمر الله انه التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا

الكتاب وما لا تدعونه متاعاً لكم يعني الفاكهة ولانعامكم يعني العشب قال صاحب الكشاف
فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى
ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به
تكلفاً عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد
علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعاً له ولانعامه فعليك
بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما بين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه
بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى
ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك
من مشكلات القرآن **قوله تعالى** فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك
هم الكفرة الفجرة ۝ يعني صيحة القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع اي تبالغ
في اسماعها حتى كادت تصمها يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً لان
الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لا يلتفت الى احد منهم
لشغله بنفسه وقيل هذا الفرار من مطالبتهم اياه بما بينهم وبينه من التبعات والمظالم يقول الاخ
لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا
ولم ترشدنا وقيل لعلمه بانهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه من الله شيئاً بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما
اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهما اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من
صاحبته وبنيه عبد الله بن طاهر الابهري قال في هذه الاية يفر منهم اذا ظهر له عجزهم
ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد سوى ربه الذي لا يعجزه شيء ومكن من فسحة التوكل واستراح
في طلب التفويض الحسن اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم عليه السلام واول من يفر من امه
محمد صلى الله عليه وسلم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من اخيه هابيل ابن آدم واول من
يفر من صاحبته نوح ثم لوط ثم تلا هذه الاية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ۝
يشغله عن شأن غيره ويكفيه في الاهتمام به وجوه يومئذ مسفرة مشرقة مضيئة متهللة من
اسفر الصبح اذا اضاء ضاحكة لما ترى من النعيم وقيل ضاحكة من الكفار شماتة وغيظاً
مستبشرة عطاء مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث
من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الضحاك من آثار الوضوء ووجوه يومئذ عليها غبرة

غبار

غبار ترهقها تعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه
كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت ذكر ان البهائم التي يصيرها الله تراباً يحول الله
ذلك التراب غبرة في وجوه الكفرة ترهقها قترة ظلمة وكآبة وكسوف ابن عباس تغشاها ذلة ابن زيد
الفرق بين الغبرة والقترة ان القترة ما ارتفع من الغبار فلحق السماء والغبرة ما كان اسفل
في الارض اولئك الذين تكون وجوههم بهذه الصفات هم الكفرة الفجرة ۝

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع آيات وخمسمائة وثلثون حرفا روى ابو عبد الله
الحاكم في صحيحه من حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى القيامة
فليقرأ اذا الشمس كورت **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت
واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت واذا
الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت
نفس ما احضرت ۝ اذا الشمس كورت ضوؤها من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف
ضوؤها لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهي عبارة عن ازالتها والذهاب لانها
ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان
الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه فجوره
وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار عطية ذهبت مجاهد
اضمحلت سعيد بن جبير عورت ابو صالح نكست وعنه ايضاً القيت يقال طعنه فكوره اي القاه
ربيع بن خثيم رمي بها واصل التكوير في كلام العرب جمع بعض الى بعض كتكوير العمامة وهو لفها
على الرأس وتكوير المتاع من الثياب وهو جمع بعضها الى بعض ثم لفها فرمي بها واذا فعل ذلك بها
ذهب ضوؤها قلت ونظيره وجمع الشمس والقمر وارتفاع الشمس على الفاعلية لان معها فعل مضمر
يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم انكدرت تناثرت من
السماء فتساقطت على الارض وانكدر اي اسرع وانقض قال ابصر خربان فضاء فانكدر
۝ وروي في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم ابن عباس تغيرت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض وابعدت
وقيل سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب واذا العشار عطلت جمع
عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي النوق الحوامل التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك

اسمنها حتى تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت سيبت واهملت وتركها
اربابها وكانوا لا يزمنون لادنانها فلم تركب ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال اعجب اليهم منها
لانسان ما يشغلهم عنها واذا الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قتادة يحشر كل شي حتى الذباب
للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته
كالطاوس ونحو ابن عباس واذا الوحوش حشرت حشرها موتها وحشر كل شي الموت غير الجن والانس
فانهما يوقفان يوم القيمة ابي بن كعب حشرت اختلطت واذا البحار سجرت قرا ابن كثير وابو عمرو
سجرت مخففا والباقون بالتشديد من سجر التنور اذا ملاها بالحطب اي مليت وفجر بعضها
الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل مليت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار ك ابن زيد وسفيان
ووهب اوقدت فصارت نارا ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحر فيبعث الله
عليه ريحا دبورا فينفخه حتى يصير نارا الحسن يبست ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة وقيل صارت
مياهها بحرا واحدا من الحميم لاهل النار ابي بن كعب ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس في
اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت
وارجفت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج
بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت قال اختلطت واذا العشار عطلت اهملها
اهلها واذا البحار سجرت قالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاجج
قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء
السابعة العليا قال فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها
وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا
النفوس زوجت كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاجر مع
الفاجر والصالح مع الصالح ابن عباس ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثة الحسن وقتادة الحق
كل امرء بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى مقاتل زوجت نفوس المومنين بالحور العين
ونفوس الكافرين بالشياطين نظيرها احشروا الذين ظلموا وازواجهم واذا الموءدة سئلت الجارية
المقتولة المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فوءدها اي يثقلها حتى تموت واد
مقلوب من آد يئود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقل بالتراب كان الرجل من العرب
اذا ولدت له فاذا اراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية
واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال ابوها لامها طيبيها وزينيها حتى
اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فاذا بلغ بها البئر قال لها انظري الى هذه البئر فدفعها

من خلفها

من خلفها في البئر ثم يهيل على راسها التراب حتى تستوي البئر بالارض فذلك قوله تعالى ايمسكه
على هون ام يدسه في التراب ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها
حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما
حبسته فكانت طوايف من العرب يفعلون ذلك وانما حملهم من واد البنات الخوف من لحوق العار بهم
من اجلهن او الخوف من الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان
الملايكة بنات الله سبحانه والحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الواد
فبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوايدات فاحيا الوئيد فلم يوأد ك قال صاحب
الكشاف فان قلت ما معنى سؤال الموءدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن
موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله عز وجل لعيسى أانت
قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام
اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سئلت لقيل قتلت
وعن النعمان بن بشير قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في قول الله واذا الموءدة سئلت
قال جاء قيس بن عاصم التميمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله وادت ثماني بنات
في الجاهلية فقال اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا رسول الله اني صاحب ابل قال فاهد عن كل
واحدة منهن بدنة ان شيت ك سئلت باي ذنب قتلت وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا الصحف نشرت قرا نافع وابن عامر وعاصم
نشرت بالتخفيف والباقون بالتشديد عن ام سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة قلت يا رسول الله كيف بالنساء قال شغل الناس يا ام
سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل يريد صحف الاعمال تطوى
الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ك قتادة صحيفتك يا ابن ادم تطوى على عملك ثم تنشر
يوم القيمة فلينظر الانسان ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك
يساق الامر يا ابن ادم قيل المراد انه تنشر بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة
اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا
السماء كشطت قلعت ونزعت وجذبت وكشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة
والغطاء عن الشي واذا الجحيم سعرت قرا نافع وابن عامر والحلواني عن هشام وحفص والعليمي
عن ابي بكر سعرت مشددا والباقون بالتخفيف ومعناه اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله

وخطايا بني آدم وإذا الجنة أزلفت أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد
علمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه قال صاحب الكشاف فإن قلت نفس
تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس
قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه قول القائل قد أنزل القرن مصفرًا أنامله ۝
ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا يعدم عندي فارسًا
وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه
يقلل كثير ما عنده فضلًا أن يزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين علمت
نفس ما أحضرت لها من خير وشر وهو جواب لقوله إذا الشمس كورت قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
سنة في الدنيا وستة في الآخرة **قوله تعالى** فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل
إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول
شيطان رجيم إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن
يشاء الله رب العالمين ۝ فلا أقسم لا صلة وتأكيد وورود نفي للأقسام كما سبق
بالخنس قيل هي النجوم الخنسة الدراري السيارات تخنس في مجراها فترجع إلى ورائها وتكنس في وقت
اختفائها وغروبها كما تكنس الظباء في مغارها وقيل الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعًا
إلى أوله الجواري الكنس الغيب من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيت يتخذه الوحش من أغصان
الشجر وقيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى
تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي النجوم تبدو بالليل وتخفى بالنهار فلا ترى سئل علي رضي الله عنه
سئل علي رضي الله عنه ما الخنس الجوار الكنس قال هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس
بالليل فتأوي إلى مجاريها ابن زيد معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطلعها كل سنة لها في عام تأخر
تتأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه والكنس تكنس بالنهار فلا ترى عن عبد الله بن مسعود
الجواري الكنس هي بقر الوحش وإليه ذهب إبراهيم وجابر بن زيد سعيد بن جبير هي الظباء وهي
رواية العوفي عن ابن عباس وأصل الخنس الرجوع إلى وراء والكنوس أي تأوي إلى مكانسها وهي المواضع
التي تأوي إليها الوحوش والليل إذا عسعس الحسن إذا أقبل بظلامه وقال الآخرون إذا أدبر تقول العرب
عسعس الليل وسعسع إذا لم يبق منه إلا اليسير قال علقمة حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها
وعسعسا والصبح إذا تنفس أقبل وأضاء وبدا أوله وقيل امتد وارتفع إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم

فجعل

فجعل ذلك تنفسًا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انفلق إنه أي القرآن لقول لتنزيل رسول كريم هو جبريل ذي
قوة كقوله شديد القوى ذو مرة عند ذي العرش مكين لما كان حال المكانة على حسب حال المُمكِّن
قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته مطاع ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي
على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين أمين على الوحي وما صاحبكم محمد صلى الله عليه
وسلم بمجنون كما بهته الكفرة قال صاحب الكشاف وناهيك بهذا دليلًا على جلالة مكان جبريل وفضله
على الملائكة ومباينة منزلته بمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم إذا وازنت بين الذكرين
حين قرن بينهما وقايست بين قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه أي رأى محمد جبريل على صورته بالأفق المبين وهو الأفق
الأعلى من ناحية المشرق الذي يجيء منه النهار ولا شك أن هذا يدل على فضل جبريل وأما أنه يدل على
أنه أفضل من جميع الملائكة ومن محمد صلى الله عليه وسلم فلا عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجبريل إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء فقال لن تقوى على ذلك قال
بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح قال لا يسعني قال بعرفات قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فإذا هو بجبريل عليه السلام قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة
وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض فلما رآه النبي عليه
السلام خر مغشيًا عليه فتحول جبريل في صورته فضمه إلى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت
إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في التخوم السابعة وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل
أحيانًا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور حتى لا يحمل عرش ربك إلا عظمته
وما هو يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم على الغيب أي الوحي وخبر السماء وما اختبر به من الغيب من رؤية
جبريل وغير ذلك بضنين قراءة عاصم وحمزة وأهل المدينة والشام بالضاد أي ببخيل يقول يأتيه
علم الغيب من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه عن مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه
بل يعلمكم ويخبركم به وأما قرأ بالظاء أي بمتهم من الظنة وهي التهمة وإتقان الفصل بين الضاد
والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين
فإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها
من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتي يديه
وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي إحدى الحروف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء
فيخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي إحدى الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء
ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم

والقرآن ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان وضع المصلي احدى الحرفين مكان
صاحبها فهو كموضع الذال مكان الجيم والباء مكان السين لان التفاوت بين الضاد والظاء
كالتفاوت بين اخواتهما وما هو اي القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة
للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون تعدلون عن هذا القرآن وفيه الشفا
والبيان استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة المستقيمة اعتسافا او ذهابا في بنيات
الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل ان هو الا ذكر
للعالمين تذكير للخلق كلهم لمن شاء منكم بدل للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاءوا الاستقامة
بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعًا قال
الواسطي فاين تذهبون من ضعف الى ضعف ارجعوا الى صفة الربوبية ليستقر بكم القرآن
الحسن معنى هذه الآية مقرون بآية اخرى وهي قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه ان هو
الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يتبع الحق ويعمل به ويقيم عليه ثم قال وما تشاؤون الا ان
يشاء الله رب العالمين اي لا يقدرون على الاستقامة الا بمشيئة الله وتوفيقه ولطفه
عن ابي هريرة لما انزل الله تعالى على رسوله عليه السلام لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا ان
شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فان الامر الينا فانزل الله وما تشاؤون الا ان يشاء الله
رب العالمين اي لا يقدرون على الاستقامة الا بمشيئة الله وتوفيقه ولطفه عن ابي هريرة
لما انزل الله تعالى على رسوله عليه السلام لمن شاء منكم ان يستقيم الحسن والله ما شاءت
العرب الاسلام حتى شاء الله سبحانه وتعالى وعن وهب بن منبه قال الكتب التي انزلها الله
تعالى على الانبياء عليهم السلام بضع وتسعون كتابا فقرات منها بضع وثمانين كتابا فوجدت
فيها من جعل الى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر قال الواسطي اعجزك في جميع اوصافك
فلا تشاء الا بمشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصي الا بخذلانه فماذا
بقي لك وماذا تفتخر حسن افعالك وليس من فعلك شيء ۵ ۵ ۵ ۵

سورة الانفطار مكية

وهي ثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا وثمانون كلمة وتسع عشرة آية ۵

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت
واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس
ما قدمت واخرت ۵ اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت
تساقطت واذا البحار فجرت فتح بعضها في بعض عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت

بحرا واحدا

بحرًا واحدًا وزال البرزخ الذي بينهما الحسن ذهب ماؤها الكلبي مليت واذا القبور بعثرت بحثت
ونثرت واثيرت واستخرج ما في الارض من الكنوز ومن فيها من الموتى احياء يقال بعثرت الحوض
وبحثرته اذا هدمته فجعلت اسفله واعلاه بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع
راء مضمومة اليهما والمعنى بعثت الحيا واخرج موتاها وهذا من اشراط الساعة ان تخرج الارض
افلاذ كبدها من ذهبها وفضتها علمت نفس ما قدمت من عمل صالح او طالح واخرت من سنة
حسنة او سيئة عكرمة ما قدمت من الفرائض التي اداها واخرت من الفرائض التي ضيعتها
وقيل ما قدمت من الاعمال واخرت من المظالم وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من الزكوة
وقيل ما قدمت من الاسقاط ولا فراط واخرت من الاولاد وهذا جواب اذا **قوله تعالى**
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء
ركبك ۵ يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي خدعك وسولك حتى اضعت ما يجب
عليك والمعنى ما الذي حملك على هذا مع رب كريم قد انعم بالخلق والتسوية والتعديل قال صاحب
الكشاف فان قلت ما معنى قولك ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به
وانما يغتر بالكرم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو
بالباب فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا
من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث
خلقه حيًا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل
بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارًا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله الحسن
غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله
تعالى للقيمة بين يديه فقال ما غرك بي ماذا كنت تقول قال كنت اقول غرني ستورك المرخاة وهذا
على سبيل الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالستر وليس بالاعتذار ومقاتل غره عفو الله حين لم يعجل
عليه بالعقوبة السري غره رفق الله يحيى بن معاذ لو اقامني الله تعالى بين يديه فقال ما غرك بي
قلت غرني بك برك بي سالفا وآنفا ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت كرم الكريم
وقيل انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الاجابة حتى يقول غرني
كرم الكريم منصور بن عمار لو قيل لي ما غرك قلت يا رب الا ما قد علمته من فضلك على عبادك وصفحك
عنهم ذو النون المصري كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر الذي خلقك فسواك فعدلك سويًا

سائر الاعضاء فعدلك قرأ اهل الكوفة بالتخفيف اي صرفك وامالك الى اي صورة شاء حسنا وجميلا
وقصيرا او طويلا والباقون بالتشديد اي قومك وجعلك معتدل القامة والخلق من غير تفاوت فيه
لم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود
ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر وجعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم في اي صورة
ما شاء ما مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن
والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه في اي صورة
ما شاء ركبك بيان لعدلك ولهذا لم يعطف كما عطف ما قبلها والجار متعلق بركبك على معنى وضعك
في بعض الصور ومكنك فيه وقيل متعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب
على الحال وقيل متعلق بعدلك ويكون في اي بمعنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء
ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب تركيبا حسنا **قوله تعالى** كلا بل تكذبون
بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك
ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ٥ كلا ردع عن الاغترار
بالله وبكرمه بل تكذبون اي بل تستغفلون عن الحق والاسلام وتغترون بالاباطيل وتكذبون
بالدين اي بالجزاء والبعث والعدل والقصاص ولا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو سر من الطمع المنكر
وان عليكم لحافظين اي ملائكة حفظة كراما على الله كاتبين لا يخفى عليهم شيء من افعال بني ادم
ولولا انه يبعث الجازي على اعماله لما كان يكتب عليه وله افعاله وهذا تحقيق لما تكذبون به من الجزاء
يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها في تعظيم الكتبة بالثناء عليهم
تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه
ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة ان الابرار اي الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء فرائض
الله واجتناب معاصيه عن النبي عليه السلام انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما
ان لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق لفي نعيم في الجنة ولذاتها وان الفجار الكفار لفي جحيم في
النار والمها يصلونها يدخلونها يقاسون حرها وقيل يصيرون صلاءها اي حطبها يوم الدين يوم
القيمة انذار وتهويل وتشوير للكفار ووعد وبشارة ولطف للمؤمنين وما هم عنها بغائبين كقوله
تعالى وما هم بخارجين منها وقيل يريد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في
قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ عليها
عمله وحال الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم

الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يعني ان امر يوم القيمة لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة
وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه
فقال يوم لا تملك قرأ اهل مكة والبصرة يوم بالرفع ردا على اليوم الاول اي هو يوم الدين او على
يوم لا تملك والباقون بالنصب اي في يوم وقيل نصبه باضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار
اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا
عنها ولا نفعا لها بوجه والامر يومئذ لله ولا امر الا لله وحده ولا يملك الملك لاحد كما جعله لغير واحد
في الدنيا ٥

سورة المطففين

ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام انها مكية ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومقاتل انها
مدنية لكن ابن عباس وقتادة قالا فيها ثمان ايات مكية ان الذين اجرموا الى اخرها وقال مقاتل
فيها اية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين جابر بن زيد وابن السائب
انها نزلت بين مكة والمدينة وذكر هبة الله بن سلامة انها نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة
نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة وهي سبعمائة وثمانون حرفا ومائة وتسع وستون
كلمة وثلثون اية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ٥ ويل للمطففين الذين
ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن واصله من الشيء الطفيف وهو النزر القليل
والمطفف المبخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف
بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس بخمس قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد
الا سلط عليهم عدوهم وما حكم قوم بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة
الا حبس عنهم المطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح الوزن فقال
اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امر بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل
الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم
المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين
كان اهل المدينة يكيلون واهل مكة يزنون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول

اتقوا الله واوفوا الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن ليلجمهم
وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في
النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين
لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من الدلالة على ذلك ويجوز
ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة
فاما انفسهم فيستوفون لها اذا اكتالوا اخذوا على الناس اي منهم وعلى ومن يتعاقبان في هذا
الموضع يستوفون حقوقهم واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم يقال كلتك طعامك ووزنتك
حقك بمعنى كلت لك ووزنت لك قال الفراء من وعلى يتعاقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال
اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في
كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف
الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر ۵
والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان
الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا
الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل
لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة
فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت
في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ
والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو
الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما
وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند
الواو وقفة يبينان بها ما ارادا قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم
قلت كان المطففين لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال
من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم
من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن انكار
وتعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا اولئك
انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك

واعدل

واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك
بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه
عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا
وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل
حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل
قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثين وروي ان ابن عمر
رضي الله عنه قرأ ويل للمطففين فلما بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى حتى خر وامتنع
من قراءة ما بعده **قوله تعالى** كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك
ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل
معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم
به تكذبون ۵ كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث
والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عليه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم
وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر
سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو
ديوان الشر دون الله عز وعلا فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس
وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من
اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان سمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه
سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان
وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون
كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وسجين هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه
ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان
كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث يوم الدين وما يكذب به بذلك اليوم الا كل معتد متجاوز للحق
الى الباطل اثيم اثير بين كيف تكذيبه بيوم القيمة فقال اذا تتلى عليه اياتنا اي القران قال اساطير
الاولين احاديثهم واباطيلهم كلا ردع للمعتدي الاثيم عن التكذيب بل ران قرا حمزة والكسائي
وابو بكر بالامالة وفتحة الراء بل نفي لما قالوه ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدا وغلب عليها وهو

ان يصر على الذنب ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه ولا يقبل الخير ولا يميل اليه عن ابي هريرة انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب صقل قلبه وان
عاد زادت حتى يسود قلبه فذلك قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال المفسرون هو الذنب
على الذنب حتى يسود قلبه وقال حذيفة بن اليمان القلب مثل الكف فاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعًا
من اصابعه ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعا اخرى ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصابعه ثم يطبع على قلبه
وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرا هذه الاية الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب يقال ران
عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت
واصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله اذا غلبت عليه سكر فمعنى الاية غلب على قلوبهم واحاط بها حتى
غمرها وغشيها كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم انهم عن ربهم اي عن رؤية ربهم وقيل عن كرامة
ربهم يومئذ لمحجوبون ممنوعون مردودون غير مقبولين ولا مرضيين الزجاج في الاية دليل على ان الله سبحانه
يرى في القيمة ولولا ذلك لم يكن في الاية فايدة قال صاحب الكشاف وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجها المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون
عندهم ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته ثم انهم لصالوا الجحيم لازموا النار وقيل
يصيرون صلاها وهو الوقود ثم يقال هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون ويكررون ويوعدون وقيل
هذا جزاء ما كنتم به تكذبون قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف
في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا
من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
٥ كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار ما كتب من اعمالهم لفي عليين علم لديوان
الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحا الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من
السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء
السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق
تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه قتادة هو قائمة العرش اليمنى مقاتل ساق العرش علي بن طلحة وعطا بن عباس
هو الجنة عطية اعمالهم في كتاب الله عند الله في السماء الضحاك سدرة المنتهى وما ادريك ما عليون

كتاب

كتاب مرقوم رقم لهم بخير وبعد هذه الاية ان كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين وهي محل الملايكة
ومثله ان كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين وهو محل ابليس عن عبد الله بن عمرو ان اهل عليين
لينظرون الى اهل الجنة من كذا فاذا اشرف رجل اشرقت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل
عليين روي ان الملايكة ليصعدون بعمل العبد ويستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء من سلطانه اوحى
اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها
لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى الله اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب
على قلبه وانه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين يشهده المقربون يشهده الملايكة ان الابرار لفي نعيم يتنعم
في الجنان على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما اعطاهم الله من الكرامة والنعمة والى عدوهم
كيف يعذبون ابن عطا على ارائك المعرفة ينظرون الى المعروف وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤف اي الى
ما اعطاهم الله تعالى من الكرامة والنعمة والى عدوهم كيف يعذبون ابن عطا على ارائك المعرفة ينظرون
الى المعروف تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعيم وماءه ورونقه وغضارته وبريقه ونوره
يسقون من رحيق خمر صافية طيبة وقيل من خمر عتيقة مقاتل من خمر بيضا قيل من شراب خالص لا غش فيه
مختوم ختمت ومنعت ان يمسها ماس اوينالها يد الى ان يفك ختمها الابرار يوم القيمة مجاهد قيل
مختوم يختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رايحة
مسك اذا شرب وقيل تمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك ابن زيد ختامه عند الله مسك وختامه
اليوم في الدنيا طين ابن زيد مختوم ممزوج وقال الاخرون عاقبته واخر طعمه مسك ابو الدردا شراب
ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه لم يبق ذو روح
الا وجد طيبها وختم كل شي الفراغ منه ومنه ختم القران والاعمال بخواتيمها قرا الكسائي خاتمه اي ما يختم
به ويقطع والباقون ختامه اي مقطعه وقيل الخاتم والختام واحد وفي ذلك قيل في رحيق وقيل في نعيم الجنة
فليتنافس فليرتغب المتنافسون المرتغبون بالمبادرة الى طاعة الله مجاهد فليعمل العاملون نظيره
لمثل هذا فليعمل العاملون مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون ابن حيان فليتسارع المتسارعون
عطا فليستبق المستبقون زيد بن اسلم فليتشاح المتشاحون ابن جريج فليجد واطلبه وليحرصوا
عليه واصله من الشي النفيس وهو الذي يحرص عليه نفوس الناس وتطالبه وتتمناه ويريده كل واحد
منهم لنفسه وينفس به على غيره اي يضن ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق
على ما روي انها عين تجري في الهوى متسنما فتنصب في اواني اهل الجنة على مقدار ملوها فاذا امتلات
امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاءة عينا نصب على المدح قال

الزجاج بنصب على الحال تشرب منها المقربون الخمر والواسطي يشرب بها المقربون صرفا على بساط القرب في مجلس الانس ورياض القدس بكاس الرضا على مشاهدة الحق ان الذين اجرموا اشركوا هم مشركوا مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي وابل واشياعهم كانوا من الذين امنوا عمار وخباب وصهيب وبلال وغيرهم من فقرا المومنين يضحكون وبهم يستهزون ومن اسلامهم يسخرون مقاتل والكلبي نزلت في علي بن ابي طالب وذلك انه جاء في نفر من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فسخر منه المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكنا منه فانزل الله تعالى هذه الايات قبل ان يصل علي واصحابه الى رسول الله واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين قرا حفص بغير الف والباقون بالف متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقيل متفكهين بعيب المومنين وقيل معجبين وقيل لاهين ابن عيسى التفكه المتمتع بالماكول من غير اخذه للقوت والفاكهة الطالب ما يتفكه به من نوادر الامور وقيل هما بمعنى كطمع وطامع واذا راوهم اي واذا راى الذين اجرموا المومنين قالوا اي الذين اجرموا ان هاولاء اي المومنين لضالون اي خدع محمد هاولاء فضلوا وقيل يسمون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا اي وما ارسل المشركون عليهم على المومنين حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم شاهدين برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بالمشركين وقيل هذا من جملة قول المشركين وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هاولاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم يعني يوم القيمة من الكفار يضحكون كما ضحك الكفار من الذين امنوا في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المومنين على الارائك ينظرون حال من الذين امنوا والعامل فيها يضحكون اي يضحك الذين امنوا من الكفار ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العز والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون ينظرون اليهم قال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر في عدوه الذي كان في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى دليله قوله فاطلع فراه في سواء الجحيم هل ثوب الكفار جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اصل التثويب الدعا بعد الدعا ثم جعل كل مكافاة ثوابا وثوب واثيب بمعنى واحد وقيل يجوز ان يكون هل ثوب في موضع مفعول ينظرون اي ينظرون هل عذبوا شما منهم بذلك ويجوز ان يكون استينافا والمعنى اذا فعل بالكفار ما ذكر فهل جوزوا على سوء صنيعهم ٥

سورة الانشقاق مكية

وهي اربع مايه واربع وثلثون حرفا ومايه وسبع كلمات وخمس وعشرون آية ٥

قوله تعالى

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت ٥ اذا السماء انشقت تشققت وتقطعت ذاتها وقيل تشققت بالغمام من قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها استمعت له واطاعت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لنبي كاذنه لنبي يتغنى بالقران وقول جحاف ابن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم وحقيقته من اذن للشي اذا اصغى اليه باذنه للاستماع والسماع يستعمل للاسعاف والاجابة لذلك الاذن اي اجابت ربها الى الانشقاق وما اراده منها والمعنى ان السما فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطوع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يابى ولم يمتنع كقوله اتينا طايعين وحقت اي وحق لها ان تطيع ربها وحقق الله ذلك عليها هو من قولك محقوق بكذا وحقيق بذا اي هي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بانه القادر الذي ياتي له كل مقدور ويحق ذلك واذا الارض مدت من مد الشي فامتد وهي ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط وتستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى وقيل من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت رمت ما فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في بطنها شي كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها وحقت اي واذنت لربها في القاء ما في بطنها وتخليها حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب وقيل حذف جواب اذا اعلاما بمثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه قوله تعالى يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا ٥ يايها الانسان انك كادح جاهد الى ربك الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقا كدحا والكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر له منه وقيل فملاقيه اي فملاقي الكدح وقيل انك عامل واصل به الى ربك عملا فملاقيه ومجازا به خيرا كان او شرا الحسن انك ناصب في معيشتك الى لقاء ربك وعن النبي صلى الله عليه وسلم النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم على ما اسلف فاما من اوتي كتابه دواوين اعماله بيمينه فسوف

يحاسب حسابا يسيرا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال عن عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يحاسب يعذب قالوا يا رسول الله قد قال الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش الحساب عذب وعنه صلى الله عليه وسلم الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والاحتساب بالحسنات وعن عايشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ويتجاوز عنه وينقلب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مومنين او الى فريق المومنين او الى اهله في الجنة من الحور العين مسرورا مسرورا تاما خالصا عن الهم والحزن واما من اوتي كتابه وراء ظهره فتغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيوتى كتابه بشماله من وراء ظهره مجاهد يخلع يده من وراء ظهره فسوف يدعوا ينادي ثبورا بالويل والهلاك يقول يا ثبوراه ويصلى سعيرا قرا ابو عمرو والكوفيون غير الكسائي يصلى بفتح الياء وسكون الصاد والباقون بضم الياء وتشديد اللام انه كان في اهله مسرورا في الدنيا قيل في اهله فيما بين ظهرانيهم ومعهم على انهم كانوا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عز وجل عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الحور بعد الكور وعن ابن عباس كنت لا ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنت لها حوري حوري قال لبيد

يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

بلى قال بلى ايجاب بعد النفي في لن يحور اي ليس كما ظن بلى ليحورن الينا وليبعث ان ربه كان به بصيرا وباعماله لا ينساها ولا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه وقيل نزلت الاية في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد ٥

قوله تعالى فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يومنون واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ٥ فلا اقسم بالشفق مجاهد وعنه هو النهار وقال عكرمة ما بقي من النهار وابن عباس واكثر الناس هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وبغيبوبتها يتعلق اول وقت العشاء الاخرة واليه ذهب من الصحابة ابن مسعود وابن الزبير وعمر وابنه وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وانس بن مالك وابو قتادة الانصاري وابو هريرة وجابر بن عبد الله ومن التابعين سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار ومكحول ومن الفقها مالك والاوزاعي والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيدة واحمد واسحق وقال قوم الشفق

هو البياض

هو البياض واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وابو حنيفة في احدى الروايتين وروي انه رجع عنه والاصح ان الشفق هو الحمرة لاتفاق العباد له عليه ولان الشواهد في كلام العرب واشعارهم تشهد له قال الشاعر ٥ احمر اللون كحمرة الشفق ٥ سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه والليل وما وسق جمع وحمل يقال وسقته اسقه وسقا ومنه يقال للطعام المجتمع الكثير وسق وهو ستون صاعا وطعام موسق اي مجموع في غرارة ووعاء يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب ومالف واظلم عليه ودخل فيه عكرمة وما جمع فيه من دوابه وعقاربه وحياته وظلمته ضحاك ومقاتل وما ساق من ظلمة فاذا كان الليل ذهب كل شيء الى ماواه ابو القسم بن حبيب يشبه ان يكون على هذا القول من المقلوب لان اصله ساق يسوق عابن حمل من الظلمة ابن حبان اقبل من ظلمة او كوكب سعيد بن جبير وما عمل فيه والقمر اذا اتسق اذا اجتمع واستوى وتم نوره ليلة اربع عشرة قتادة اذا استدار وقيل سار من الهمدان الى اربع وهو في الايام البيض ويقال اتسق الشيء اذا تتابع واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت وهو افتعل من الوسق لتركبن قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء يعني لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة وقيل اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق بالغمام مرة وتطوى اخرى والاخرون بضم الباء وقيل لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال وامرا بعد امر في مواقف القيمة والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها ابن عباس الشدايد والاهوال الموت ثم العرض والعرب تقول لمن وقع في امر شديد وقع في بنات طبق وفي احدى بنات طبق ابو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا الطبق وقيل حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين الطبق فما لهم لا يومنون وهذا ادل دليل على حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكما من كان اليوم على حالة وغدا على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا قال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية

وضيع العزيمة فالهم لا يؤمنون وما منعهم من الايمان وقيل ما لهم في ان لا يؤمنوا بعد ظهور هذه الادلة
القاطعة والبراهين الساطعة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون ولا يستكينون
له والمراد به الكفار وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو
ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب
السجدة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قرأ اذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمن فسجدوا وعن
الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا اشارة الى المذكورين يكذبون والله اعلم بما يوعون بما يجمعون
في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء وقيل لا يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون
لانفسهم من انواع العذاب مجاهد يكتمون ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة فبشرهم
بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع لهم اجر غير ممنون غير مقطوع
وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة ۵ ۵ ۵

سورة البروج مكية

وهي اربعمائة وستون حرفا ومائة وتسع كلمات وثنتان وعشرون اية ۵

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج
واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود
اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ۵ والسماء ذات
البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل
عظام الكواكب وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد يوم الجمعة ومشهود
يوم عرفة عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة والمشهود
يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه
ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير الا استجاب له ولا يستعيذه من
سوء الا اعاذه منه ابن عباس الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة ثم
تلا قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم قال ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم شاهد
يوم عرفة ومشهود يوم الجمعة عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا
الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ان احدا لا يصلي علي الا عرضت

على

على صلوته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا
فنبي الله حي يرزق وقيل المراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلايق كلهم وبالمشهود ما في ذلك
اليوم من عجايبه وطريق تنكير شاهد ومشهود اما ما ذكر في قوله علمت نفس ما احضرت كانه
قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقيل شاهد ومشهود عيسى وامته
لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وساير الامم وقيل
الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم
جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو
ادم وقيل محمد والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وجواب القسم محذوف يدل عليه قوله قتل
اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم
حتى ياتسوا ويصبروا على ما كانوا يلقونه من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله عز وجل بمنزلة اوليك
المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود وهو
الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق فوقصت به ناقته في اخاقيق جرذان وهي
شقوق في الارض وعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك
وكان له ساحر فلما كبر قال اني قد كبرت فابعث لي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان
في طريقه راهب فقعد اليه الغلام وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من عند
الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت
الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى في طريقه
على دابة عظيمة قد حبست الناس لا يدعهم يجوزون فقال الغلام اليوم اعلم اكان الراهب
ارجى عند الله افضل ام الساحر فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من امر
الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب
فاخبره فقال له الراهب يا بني انت اليوم افضل مني قد بلغ الله من امرك ما ارى وانك
ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادوا فسمع
جليس الملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال هذه لك اجمع ان انت شفيتني فقال انا لا اشفي
احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله فدعا الله فشفي
فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال
ولك رب غيري قال ربي وربك واحد فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجي بالغلام فقال له الملك

يا بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال انا لا اشفي احدا انما يشفي الله
عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقال له ارجع عن دينك فابى فدعا
بالمنشار فوضعه في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك
فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم
ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف
بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه
الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى قرقور فلججوا به فان رجع عن دينه والا فاقذفوه وغرقوه فقال
اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات بهم السفينة وجاء يمشي الى الملك فقال له ما فعل اصحابك فقال
كفانيهم الله ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل بي ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس على صعيد
واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد ثم صلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضعه في كبد
قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال
الناس امنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما كنت تحذر قد امن الناس فامر بالاخدود
في افواه السكك واضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا حتى جاءت امراة
معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الغلام لها يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت في النار
سعيد بن المسيب كنا عند عمر رضي الله عنه اذ ورد عليه انهم وجدوا ذلك الغلام حيا الذي
ذكرناه وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب عمر رضي الله عنه واروه
حيث وجدتموه عن علي رضي الله عنه انهم قد اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب
وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته
فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح
الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم
يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها وهم الذين
ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق
منهم اثنا عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه
اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء
۝ النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب

الكثير

الكثير واذان الناس اذ ظرف لقتل اي لعن اصحاب الاخدود حين احدقوا بالنار قاعدين هم
عليها على النار قعود ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما تقول مررت عليه تريد مستعليا
لمكان تدنو منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود حضور ومقاتل يشهدون ان المؤمنين ضلال
حين تركوا عبادة الصنم قيل ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا
يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان
يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم اي وما عابوا منهم عيبا ولا وجدوا لهم
جرما ولا ارادوا منهم سوءا الا ان يؤمنوا بالله قيل وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا العزيز الحميد الذي
له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به
ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك
السموات والارض وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق
الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب
والله على كل شيء وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه قوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش
المجيد ۝ يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطر
وحين في الاخدود ان الذين فتنوا عذبوا واحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار في الاخدود
وقيل امتحنوهم ليرجعوا الى الكفر ثم لم يتوبوا من الكفر فلهم عذاب جهنم في الاخرة بكفرهم
ولهم عذاب الحريق نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين والمؤمنات
وقيل لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله احرقهم بتلك
النار التي احرقوا بها المؤمنين والمؤمنات روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم قوله ثم
لم يتوبوا دليل على ان التوبة تزيل عقاب القتل وعقاب كل ذنب ويجوز ان يريد الذين
فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين
في الاخرة بكفرهم وبفتنهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير اي النجاة العظيمة ان بطش ربك اخذ ربك بالعنف لشديد

وصف ذلك بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ الخلق ويعيدهم دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه وقيل اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذا لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة عطية العوفي عن ابن عباس انه يبدا البطش والعذاب للكفار في الدنيا ثم يعيد عليهم العذاب في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المتودد الى اوليائه بالمغفرة وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا ذو العرش المجيد قرا حمزة والكسائي وخلف المجيد بالجر على نعت العرش ومجده علوه وعظمته من جهة المقدار والباقون بالرفع صفة لله ومجده عظمته بحسب القدرة والقهر فعال لما يريد خبر مبتدا محذوف اي هو فعال لما يريده من افعال نفسه ولما يريده من افعال عباده وانما قال فعال لما يريد لانه ما يريد ويفعل في غاية الكثرة لان كل ما يوجد من المخلوقات الخير والشر والايمان والطاعة والكفر والمعصية والهداية والضلالة بارادته وفعله **قوله تعالى** هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قران مجيد في لوح محفوظ ۵ هل اتيك حديث الجنود الكافرة الهالكة ثم بين من هم فقال فرعون وثمود وفرعون بدل من الجنود واراد به اياه واله كما في قوله من فرعون وملائهم وثمود عطف على فرعون والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك يا محمد في تكذيب واستيجاب للعذاب اي لا يتدكرون والله من ورائهم محيط عالم بهم لا يخفى عليه شيء قادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر الجنود لانهم سمعوا بقصصهم وما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد التكذيب بل هذا الذي كذبوا به قران مجيد شريف كثير الخير وفي ما ينفع الخلق في الدنيا والاخرة وليس كما زعم المشركون قرا نافع محفوظ بالرفع على نعت القران يدل عليه قوله نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والباقون بالجر على نعت اللوح اي محفوظ من وصول الشياطين اليه ۵

سورة الطارق مكية

وهي مائتان وتسع وثلثون حرفا واحدى وستون كلمة وسبع عشرة اية ۵

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ ۵ نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل انحط

نجم

نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب فقال اي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فانزل الله تعالى والسماء والطارق يعني النجم يظهر ليلا ويخفى نهارا وكل ما جاء ليلا فهو طارق ومنه حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطرق الرجل اهله ليلا حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة يوم احد ۵ نحن بنات طارق نمشي على النمارق ۵ تريد ان ابانا نجم مشرقه وعلوه وما ادريك ما الطارق ثم فسره فقال تعالى النجم الثاقب اي المضيء المنير كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل وقيل لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها مجاهد المتوهج عطاء الثاقب الذي يرمى به الشياطين فيثقبهم ابن زيد كانت العرب تسمي الثريا نجما وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وتقول العرب للطائر اذا لحق ببطن السماء ارتفاعا قد ثقب ابن عباس الطارق نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم اماكنها من السماء هبط وكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد قال صاحب الكشاف فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة اخرى بين اي فائدة تحت قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل ذلك اظهارا لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ان كل نفس لما قراه ابن عامر وحمزة والكسائي لما بتشديد الميم على ان تكون ان نافية ويكون لما بمعنى الا وهي لغة هذيل يقولون نشدتك الله لما قمت يعنون الا قمت والمعنى ما نفس الا عليها حافظ من ربها والباقون بالتخفيف جعلوا ما صلة وان مخففة من الثقيلة اي ان كل نفس لعليها حافظ من ربها يحفظ عليها ويحصي عليها ما تكسب من خير او شر ابن عباس هم الحفظة من الملائكة قتادة هم حفظة يحفظون عملك وقيل مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا قتادة هم حفظة يحفظون عملك ورزقك واجلك اذا توفيته يا ابن ادم قبضت الى ربك ۵ الكلبي حافظ من الله يحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن ستون ومائة ملك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وجواب القسم ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان سواء كانت نافية او مخففة

من التقبيل مما يتلى به المقسم **قوله تعالى** فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم
تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ٥ لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية
الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته
وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته فلينظر الانسان
مم خلق من اى شئ خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق اى ماء ذى دفق مصبوب والدفق
صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذى هو مصدر دفق كاللابن والتامر والاسناد
المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل من ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين
ابتدى في خلقه يخرج من بين الصلب يعنى صلب الرجل والترائب يعنى ترائب المراة وهى
عظام الصدر حيث تكون القلادة ابن عباس موضع القلادة الوالبى عن ابن عباس من ثدى
المراة العوفى عنه يعنى بالترائب اليدين والرجلين والعينين سئل عكرمة عن الترائب
فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه سعيد بن جبير الجيد زيد الصدر مجاهد ما بين
المنكبين والصدر سفيان فوق الثديين ابن اسفل من التراقي قتاده النحر جعفر الصادق
عن سعيد الاضلاع التى هى اسفل الصلب وقيل عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور
من كلام العرب انها عظام النحر والصدر واحدتها تريبة قال الشاعر ٥ وبدت كان على ترائب
نحرها جمر الغضا في ساعة يتوقد ٥ انه اى ان الخالق لدلالة خلق عليه على رجعه لقادر
اى ان الخالق الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعة على اعادته خصوصا لقادر
لبين القدرة قتاده ان الله تعالى على بعث الانسان واعادته بعد الموت لقادر عكرمة
ان الله تعالى على رد الماء الذى خرج من الصلب اليه لقادر مجاهد على رد النطفة
في الاحليل لقادر الضحاك على رد الانسان ماء كما كان قبل لقادر ٥ مقاتل ان يقول
ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة
ابن زيد انه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير
في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب والاحليل او الى الحالة الاولى
نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها ما اخفى من
الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث قتاده ومقاتل وسفيان
يختبر السرائر عطا ابن ابى رباح السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء وغسل
الجنابة ولو شاء العبد ان يقول قد صمت وليس بصائم وقد صليت وليس بمصل وقد اغتسلت

ولم يغتسل

ولم يغتسل لفعل وعن الحسن رضى الله عنه انه سمع رجلا ينشد سيبقى لها في مضمر القلب
في الحشى والحشى سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له الانسان
الكافر من قوة من منعة ولا ناصر مانع ينصره ويمنعه **قوله تعالى** والسماء
ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا ٥ والسماء ذات الرجع ذات المطر رجعا
كما سمى اوبا قال رباء سماء لا تاوى تعلتها الا السحاب والا الاوب ٥ والسحل سمته عصدد
رجع واب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض
او ارادوا التفاول فسموه رجعا واوبا ليرجع ويوب وقيل لان الله يرجعه وقتا وقتا والمعنى يرجع
بالغيث وارزاق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا والارض ذات الصدع ذات النبات ابن زيد
يعنى بالرجع ان شمسها وقمرها يغيب ويطلع والارض ذات الصدع اى تصدع عن النبات
والاشجار والثمار والانهار نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا
انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعنى انه جد كله
لا يتنزل فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب
يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل ويتفكه بمزاح وان يلقى ذهنه الى ان جبار السموات
يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم يبالغ فيه يخشه فادنى
امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون
وانتم سامدون والغوا فيه انهم ان مشركى مكة يكيدون كيدا يعملون المكايد في ابطال امر الله
واطفاء نور الحق واكيد كيدا اوانا اقابلهم بكيدى من استدراجى لهم من حيث لا يعلمون
وقيل سعيهم في الاخرة بالنار وبالسيف في الدنيا وقيل نقض الله كيدهم وابطاله عليهم
كيد من الله وقيل استدراجى لهم الميقات الذى وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين لا تدع
عليهم واجعل لهم مهلة واجلا لا تستعجل هلاكهم وامهلهم امهالا يسيرا قيل هذه الفاظ
مختلفة والمعنى واحد وانما اختلفت احسانا بالتكرار وبعدهما مهل ثم امهل ثم اروادهم رويدا
وارود يعنى رويدا تصغيرا رواد بالترخيم قيل هو ما وقع لهم يوم بدر وقيل هو يقع في النهر وقيل هو منسوخ
وقيل محكم

سورة الاعلى مكية

وهى مائة واحدى وسبعون حرفا واثنان وسبعون كلمة وتسع عشرة آية ٥
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى
الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى

سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت
الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها
ولا يحيى ٥ سبح اسم ربك نزهه عما لا يصح فيه من المعانى التى هى الحاد فى اسمائه كاثبات
الشريك له فى ذاته وصفاته وافعاله والتشبيه ونحو ذلك كمثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو
الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان والاستوا على العرش حقيقة وان يصان عن
الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم والاعلى يصح ان يكون صفة للرب وللاسم عن عقبة
بن عامر لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم
فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله اجعلوها فى سجودكم سبح اسم ربك الاعلى يعنى
قل سبحان ربى الاعلى وقيل نزه ربك الاعلى عما يقول فيه الملحدون ويصفه المبطلون وجعلوا
الاسم صلة وقيل معناه نزه ذات ربك الاعلى عما لا يليق به لان الاسم والذات والحقيقى عبارة
الموجود والاثبات وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه اى لا يذكره الا انت له خاشع معظم ولذكره
محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية الذى خلق الخلايق فسوى كل شى خلقه ولم يات متفاوتا غير
ملتيم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعه حليم وقيل فسوى مستويا
اشهده على نفسه بانه ربه وانه خلقه على الفطرة وقيل فسوى اى فاحسن والذى قدر قرر الكساى
دال حقيقة والباقون بالتشديد فهدى مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة
والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها مقاتل والكلبى عرف خلقه كيف ياتى الذكر الانثى عطا جعل
لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل هدى لاكتساب الارزاق والمعايش وقيل خلق المنافع فى
الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منه وقيل هدى لدينه من شاء من خلقه
السدى قدر فى الرحم تسعة اشهر او اقل او اكثر فهدى للخروج من الرحم الواسطى قدر السعادة
والشقاوة ثم يسر لكل واحدة من الطايفتين سلوك ما قدر عليه وقيل قدر الارزاق فهداهم
لطلبها وقيل قدر الذنوب على عباده ثم هداهم التوبة وقيل قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه
وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى
ان مسح العين بورق الرازيانج يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة ايام
فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها
فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر
من حوايجه فى اغذيته وادويته والهامات البهايم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط
بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى والذى اخرج المرعى من من اخضر واصفر

واحمر

واحمر وابيض والمرعى ما ترعاه الدواب فجعله غثاء هشيما هو ما خف من النبات وهشم احوى
اسود اى اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورقته غثاء احوى دريسا اسود ويجوز ان يكون
احوى حالا من المرعى اى اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والذى فجعله غثاء بعد حوته
سنقرئك سنعلمك ونقراه عليك جبريل فلا تنساه الا ما شاء الله ان تنساه بشره الله باعطا
اية بينة وهو ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحى وهو امى لا يقرا ولا يكتب فيحفظه
ولا ينساه الا ما شا الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسيها وقيل
كان يعجل بالقراة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقراوه عليك قراة مكررة
الى ان يحفظه ثم لا ينساه الا ما شاء الله ثم يذكر بعد النسيان مجاهد والكلبى كان النبى صلى الله
عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالقران لم يفرغ من قراءة الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيا و وجه
الاستثنا على هذا التاويل على هذا التاويل ما قاله الفرا لم يشا ان ينسا شيا وهو كقوله
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وانت تقول فى الكلام لاعطينك كما
سالت الا ما شاء الله ان امنعك والنية ان لا امنعه وقيل فلا تنسى لعمل به وقيل الا ما شاء
يعنى القلة والندرة كما روى انه اسقط اية فى قراته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فساله
فقال نسيتها وقيل قال الا ما شاء الله والغرض نفى النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت
سهيمى فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شى وهو من استعمال القلة فى معنى النفى
وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراته وتكريره
فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيك برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر اى انك تجهر بالقراة
مع قراءة جبريل مخافة التفلت ان الله الجهر اى جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر
فلا تفعل فانا الفيك ما تخافه وقيل يعلم ما اعلنتم وما اسررتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن
من احوالكم وما هو مصلحة فى دينكم ومفسدة فينسى من الوحى ما شاء ويترك محفوظا ما شاء
ونيسرك عطف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة
التى هى اسهل وايسر وقيل ونيسرك لعمل الجنة وقيل هو متصل بالكلام الاول ومعناه يعلم الجهر
مما تقراه فى نفسك مخافة ان تنساه وثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى يهون عليك
الوحى حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة فذكر
عظ بالقران ان نفعت الذكرى قال صاحب الكشاف فان قلت كان الرسول صلى الله
عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين

احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون
على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا
ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه وقيل له فما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
فاصفح عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون
ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكَّرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا
عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد
ذلك وانه لن يكون سيذكر سيتعظ ويقبل الذكرى ويسمعها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر
ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق واما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك
ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتباعد عنها الاشقى في علم الله من الفاسق وقيل الذي هو اشقى الكفرة
لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل النار الكبرى جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ
عنه في مراتب الشدة **قوله تعالى** قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى ٥
قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلاة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء
او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى الصلوات الخمس نحو قوله
عز وجل واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي
رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله
قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر
تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة
معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه
بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد بل
تؤثرون الحياة الدنيا قراءة ابي عمرو ويؤثرون بالياء من تحت والباقون بالتاء فلا تفعلون ما
تفلحون به قال عرفجة الاشجعي كنا عند عبد الله بن مسعود فقرأ هذه الآية فقال اتدرون لم
آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها
ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الآجل والآخرة خير افضل
في نفسها وانعم وابقى وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب ان هذا الذي

ذكرت في السورة الكلبي يعني من قوله قد افلح من تزكى الى آخره ابن زيد يعني قوله والآخرة خير
وابقى قتادة تتابعت كتب الله فيها كما تسمعون ان الآخرة خير وابقى الضحاك ان هذا القرآن لفي
الصحف الكتب الاولى واحدتها صحيفة صحف ابرهيم وموسى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك
الصحف وقيل الى ما في السورة كلها قال ابو ذر قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف نبي
واربعة وعشرون الفا قال قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم
انبياء قلت كان آدم نبيا قال نعم كلمه الله وخلقه بيده يا ابا ذر اربعة من الانبياء عرب هود
وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة واربعة كتب منها
على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثين صحيفة وهو
اول من خط بالقلم وعلى ابرهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان
في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه ٥

سورة الغاشية مكية باجماع

وهي ثلثمائة واحد وثمانون حرفا واثنان وتسعون كلمة وست وعشرون آية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية
وجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا
من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ٥ هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي
تغشى بشدائدها وتلبسهم باهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب سعيد بن جبير
ومحمد بن كعب الغاشية النار دليله قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وجوه
يومئذ يوم اذ غشيت يعني يوم القيمة خاشعة ذليلة عاملة في النار ناصبة فيها اي عملا تعب
فيه الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال
قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها وانصبها في النار الكلبي يجرون في النار على وجوههم
الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار والنصب الدؤوب في العمل ابن مسعود تخوض
في النار كما تخوض الابل في الوحل عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم
القيمة سعيد بن جبير وزيد بن اسلم هم الرهبان واصحاب الصوامع ومعناها انها خشعت
لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب تصلى قرأ ابو عمرو وابو بكر
ويعقوب تصلى بضم التاء اعتبارا بقوله تسقى من عين آنية والباقون بفتح التاء وقيل المصلى
عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى
فوق الجمر وعلى المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية حارة بلغت اناها وحرها

وادراكها وقيل بلغت وقتها وحان شربها من اناً الليل ليس لهم طعام الا من ضريع مجاهد وعكرمة
هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث
طعام وابشعه وقيل الشبرق يسمى الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبًا
فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى
وعاد ضريعًا بان عنه النحائص ٥ وقال وحبس في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين
جرود الوالبي عن ابن عباس هو شجر من نار ابن زيد اما في الدنيا فالضريع الشوك اليابس الذي
ليس له ورق تدعوه العرب الضريع وهو في الاخرة شوك من نار سعيد بن جبير هو الحجارة عطا
هو شيء طرحه البحر المالح تسميه اهل اليمن الضريع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضريع
شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرًا من النار سماه
الله تعالى ضريعًا قال عمرو بن عبيد لم يقل الحسن في الضريع شيئًا الا انه قال هو بعض ما
اخفى الله تعالى من العذاب ابن كيسان هو طعام يضرعون منه ويذلون ويتضرعون الى الله
تعالى وعلى هذا المعنى يكون المعنى المضرع قال ابو الدرداء والحسن يقبح الله وجوه اهل النار
يوم القيمة يشبهها باعمالهم الحسنة في الدنيا فان الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل
عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون من الضريع ثم يستغيثون فيغاثون
بطعام ذي غصة فيعطشهم الله تعالى الف سنة ثم يسقون من عين انية شربة لا هنية
ولا مرية فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم
قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميمًا فقطع امعاءهم قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال
المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع فانزل الله تعالى
لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه اذا كان رطبًا فاذا يبس فلا تاكله شيء ورطبه
يسمى شبرقًا لا ضريعًا فان قيل كيف قال ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة وليس له اليوم
ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين اجيب بان العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم
اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن
مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس
وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء
منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن وقيل اريد ان لا طعام لهم اصلا
لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانسان لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما
بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد **قوله تعالى** وجوه

يومئذ

يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها
سرر مرفوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ٥ وجوه يومئذ ناعمة ذات
بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها في الدنيا راضية
لعلمها لما رات ما ادّاهم اليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو المكان والمقدار لا تسمع
فيها لاغية لغوًا وباطلا وقيل حلف كاذب يا مخاطب او الوجوه لاغية او كلمة ذات لغو او نفسا
بلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدايم قراه ابو عمرو
يسمع بضم الياء لاغية بالرفع ونافع كذلك الا انه قراه بالياء والباقون بالتاء مفتوحة لاغية
بالنصب فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة لقوله علمت نفس فيها سرر مرفوعة من رفعة
المقدار او التمكن او كليهما وهي اولى ليرى المومن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك
والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه واكواب موضوعة على حافات العيون
معدة للشراب وقيل يعنون انها موضوعة من حد الكبار واوساط بين الكبر والصغر لقوله
قدروها تقديرًا ونمارق وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض وقيل مصفوفة الى
جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى ونمارق
جمع نمرقة وزرابي بسط عراض فاخرة وقيل الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة
مسوطة متفرقة في المجالس **قوله تعالى** افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ٥
فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ٥ قال اهل التفسير
لما وصف الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر والضلالة
وكذبوا بها فذكرهم الله تعالى صنعه فقال افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل خلقا عجيبا
دالا على تقدير مقدر شاهد بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد
الشاسعة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وتنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من
اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرًا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن
بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك
ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها
لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم
وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحًا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها

قال انظر الى الابل كيف خلقت وكانت الابل من عيش العرب ومن حوايجهم وتكلمت العلماء في وجه تخصيص
الله سبحانه الابل من بين ساير الحيوانات فقال مقاتل لانهم لم يروا بهيمة اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل
الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة ولانه ليس شي من الحيوان سايقها غيرها وقال قتادة
ذكر الله تعالى ارتفاع سرر اهل الجنة وفرشهم فقالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه الاية وسيل الحسن
عن هذه الاية وقيل الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهرها
ولا يوكل لحمها ولا يحلب ذرها والابل من اعز مال العرب وانفسه وقال الحسن ايضا انها تاكل النوى والقت
وتخرج اللبن وقيل لانها في عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقايد الضعيف حتى ان الصبي الصغير
ياخذها بزمامها فيذهب بها حيث يشاء وحكى الاستاذ ابو القسم بن حبيب انه راى في بعض
التفاسير ان فارة اخذت بزمام ناقة فجعلت تجر والناقة تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام
فبركت فجرته فقربت فمها من جحر الفار فسبحان الذي قدرها وسخرها والى السماء كيف رفعت
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة
قلت قد انتظم هذه الاشيا نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها
نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسما
السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا
في اشعارهم فجوزوا ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه كيف رفعت رفعا بعيد المدا بلا امساك
وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية
فهي مهاد للتقلب عليها قال صاحب المفتاح فقل لي اذا لم توفه حقه من التيقظ وانه من اهل المدر
اني يستحلي كلام رب العزة مع اهل الوبر حيث يسرد لهم الدليل على استفادة لكنه الحق افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض
كيف سطحت لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم بعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها
وكذلك البواقي لكن اذا وفاه حقه يتيقظ لما عليه تقلبهم في حاجاتهم حال الاستحلا وذلك اذا نظر الى
اهل الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة الى اكثرها
نفعا وهي الابل واذا كان انتفاعهم بها لا يحصل الا بان ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر
واهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى ماوى ياويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا
ماوى ولا حصن الا الجبال لنا حال يخلا من تحير منيع .. فطرف وهو كليل فما ظنك بالتفات خاطرهم
اليها ثم اذا تعذر طول مكثهم في منزل ومن لاصحاب مواشي بذلك خزانة الصور لا يجد صورة الابل
حاضرة هناك ولا يجد صورة السماء لها مقارنة او يعوزه صورة الجبال بعدها او لا يحضر صورة الارض

ملهما

ملهما بعدهن لا وانما الحضري حيث لم تاخذ عنده تلك الامور ما جمع خياله تلك الصورة على ذلك
الوجه اذا تلا الاية قبل ان يقف على ما ذكرت ظن النسق لجهله معيبا للعيب فيه اي للحضري
فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر لقوله ان عليك
الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمسلط لقوله وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران وقرا هشام
بمسيطر بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة
مسيطر مسلط جبار تكرههم على الايمان قيل ثم نسخ ذلك باية القتال الا من تولى وكفر استثنا
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو
عذاب جهنم وقيل هو استثنا من قوله فذكر اي فذكر قومك الا من تولى وكفر فانك تقاتله
حتى يسلم ان الينا ايابهم معنى تقديم الخبر التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس
الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي
يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب في سنة الله لا تبديل لكلماته ٥

سورة والفجر مكية

وهي خمسماية وسبعة وتسعون حرفا ومايه وتسع وثلثون كلمة وثلثون اية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع
والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ٥ اقسم الله تعالى بالفجر كما اقسم
بالصبح والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس ابن عباس يعني بالفجر النهار كله عنه صلوة
الفجر عثمان بن محيصن فجر المحرم قتادة وهو اول يوم من المحرم تنفجر منه السنة الضحاك
فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن الايام بها عكرمة وزيد بن اسلم الصبح مقاتل غداة جمع
كل سنة القرظي انفجار الصبح من كل يوم الى انقضا الدنيا وليال عشر ذي الحجة عكرمة
ليالي الحج مسروق هي افضل ايام السنة الضحاك هي العشر الاول من شهر رمضان عن ابن
عباس هي العشر الاخير من رمضان يمان العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشورا
عطية العوفي ليال عشر الاضحى وانما نكرها لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي
العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها ولم يعرفها بلام العهد وان
كانت ليالي معهودة معلومة لانه لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة الذي في
التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز
والتعمية والشفع والوتر قيل الاشياء كلها شفعها ووترها وقيل شفع هذه الليالي
ووترها وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة لانها تاسع ايامها وذاك عاشرها وعن جابر

ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل والفجر وليال عشر عشر النحر
والشفع والوتر يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابي ايوب الانصاري سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوله والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم الاضحى والوتر ليلة النحر وعن عمران بن
حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر وقال هي الصلوات منها الشفع والوتر
وعن ابن الزبير فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وهما الشفع والوتر واما الليالي
العشر فالثمان وعرفة والنحر مجاهد ومسروق وابو صالح الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والليل والنهار والسما
والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر الله قال الله تعالى قل هو الله احد
الحسن وابن زيد اراد بالشفع والوتر الخلق كله منه شفع ووتر عطية عن ابن عباس الشفع صلاة
الغداة والوتر صلاة المغرب قتادة عن الحسن هو العدد منه شفع ومنه وتر مقاتل الشفع هو ادم
وحوا والوتر هو الرب تعالى وقيل الوتر ادم شفعه الله بزوجته حوا القرظي الزوج والفرد الربيع
عن ابي العالية الشفع الركعتان من صلاة المغرب والوتر الركعة الثالثة وقيل الشفع الصفا
والمروة والوتر البيت الحسين ابن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها
سبع كان الله تعالى اقسم بالجنة والنار مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة
بعده وهو يوم القيمة ابن عيينة الوتر الله وهو الشفع ايضا لقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ابو بكر الوراق سئل عن الشفع والوتر فقال تضاد اوصاف
المخلوقين العز والذل والعجز والقدرة والقوة والضعف والجهل والعلم والبصر والعمى والوتر انفراد
صفات الله عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وبصر بلا عمى وحياة بلا موت وما ورلها
وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع القران في الحج والتمتع فيه
والوتر الافراد فيه ابن عطا والفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان به تفجرت انوار الايمان وغابت ظلمات
الكفر وليال عشر ليالي موسى التي اكمل الله بها ميقاته بقوله واتممناها بعشر وقيل الشفع الافعال
والوتر النية وهو الاخلاص وقيل الشفع العبادة التي تتكرر كالصلاة والصوم والصلاة والزكاة
والوتر العبادة التي لا تتكرر كالحج وقيل الشفع النفس والروح اذا كانتا معا والوتر الروح بلا نفس
والنفس بلا روح كان الله تعالى اقسم بهما في حالتي الاجتماع والافتراق قرا حمزة والكسائي وخلف
الوتر بكسر الواو والباقون بفتح الواو وهما لغتان مستفيضتان والليل اذا يسر اذا مضى كقوله
والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس اكثر المفسرين يعني اذا سار فذهب قتادة اذا جاء وقيل مجاهد
وعكرمة والكلبي هي ليلة المزدلفة قرا اهل المدينة وابو عمرو يسري بالياء في الوصل وابن عامر

وعاصم

وعاصم والكسائي بحذف الياء في الحالين وابن كثير بالياء في الحالين على الاصل وقيل معنى يسري هل
في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشيا قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان يعظم
بالاقسام بها وقيل هي في اقسامي بها اقسام لذي حجى اي هو قسم عظيم يوكد مثله المقسم عليه وقيل هل
في ذلك الذي ذكرت قسم مقنع ومكتفي في القسم لذي حجر عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل
كما سمي عقلا لانه يعقله عن القبائح والفضائح ونهى لانه ينهى عما لا ينبغي واصل الحجر المنع يقال للرجل اذا
كان مالكا لنفسه قد حجر اضا بطالها انه لذو حجر ومنه قولهم حجر الحاكم على فلان والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله تعالى
الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب
عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ۵ الم تر كيف فعل ربك بعاد هو اسم
قبيلة هي قوم هود قيل لعقب عاد ابن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم
هاشم ثم قيل للاولين عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وليس بعدهم عاد الاخرى قال
ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وبعدها ارما ۵ فارم في قوله بعاد ارم عطف
بيان وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها وارم غير
منصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث والارم العلم يعني بعادا اهل اعلام ذات
العماد وذات العماد اسم المدينة سعيد بن المسيب كانت بعاد ارم ذات العماد دمشق
وبه قال خالد الربعي وعكرمة وابو سعيد المقبري القرظي هي الاسكندرية مجاهد هي امة
ومعناها القديمة قتادة هم قبيلة من عاد ابن اسحق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح مقاتل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد اباهم
فنسبهم اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام ابن نوح والصواب انها اسم قبيلة او اسم
بلدة وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدوا اهل عمد او طوال الاجسام
على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات
البنا الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات البنا الرفيع وان كانت صفة للبلدة
فالمعنى انها ذات اساطين روي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم
في بعض صحاري عدن في ثلاث مائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وهي مدينة عظيمة
قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار

والانهار المطردة ولما تم بناوها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث
الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فبينا هو
في صحارى عدن اذ هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن حصون كثيرة
واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احدًا يسأله عن ابله فلم ير خارجًا ولا داخلًا فنزل عن دابته
وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن اذ هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان
بالياقوت الابيض والاحمر فلما رأى ذلك دهش واعجبه ففتح احد البابين فاذا هو بمدينة لم ير احد
مثلها واذا قصور كل قصر معلق تحته اعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة
يقابل بعضها بعضًا مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق من مسك وزعفران فلما عاين الرجل ما عاين
ولم ير فيها احدًا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها شجر قد اثمرت تلك الاشجار
وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة اشد بياضًا من الشمس
فقال الرجل والذي بعث محمدًا بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها
الله في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجد
ها ولا من ياقوتها شيئًا فاخذ ما اراد ورجع الى اليمن فاظهر ما كان معه واعلم الناس بامره وباع
بعض ما حمل فلم يزل امره ينمي ويظهر وينتشر حتى بلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى
كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك اشقر احمر قصير على
حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل
التي لم يخلق مثلها في البلاد ومثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وثمود الذين جابوا قطعوا وخرقوا الصخر الحجر واحدها صخرة بالواد اي بوادي فاتخذوا منها بيوتًا
آمنين كما قال تعالى وينحتون من الجبال بيوتًا آمنين قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود
وبنوا الفًا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قراءة ورش باسقاط الياء لوادي وصلًا واثبتها في
الوصل والفاء ابن كثير برواية البزي وابن ياقوت يحذفها في الحالين لانها رأس آية وفرعون ذي الاوتاد
وقيل اراد بالاوتاد الجنود والجموع الذين يعمرون امره ويسددون مملكته وسمى الاجناد اوتادًا
لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم فلذلك سمي ذا الاوتاد لانه كانت ملاعب
واوتاد تضرب له فيغلب له تحتها وقال محمد يعني ذا البناء المحكم وقال سعيد بن كانت منارات يعذب
الناس عليها مجاهد وعنه كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده على الارض

واوتد يديه

واوتد يديه ورجليه ورأسه على الارض وقد عذب بالاوتاد ماشطة بنته وآسية امرأته الذين
طغوا في البلاد احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعًا على هم
الذين طغوا في البلاد او مجرورًا على وصف المذكورين وعاد وثمود وفرعون فاكثروا فيها في البلاد
الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب قال يعني لونًا من العذاب وقيل وجع عذاب يقال
صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى ساير ما يعذب به روي ان الحسن
اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطًا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد المكان
الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب
وانهم لا يفوتونه ابن عباس بحيث يرى ويسمع مقاتل يرصد الناس على الصراط فيجعل رصدًا من الملائكة
معهم الكلاليب والمحاجن والحسك الضحاك يرصد لاهل الظلم والمعصية وقيل معناه مرجع الخلق
ومصيرهم الى حكمه وامره الحسن وعكرمة يرصد اعمال بني آدم مقاتل ايضًا ممر الناس عليه عطاء ابن
ابي رباح لا يفوته احد بانه لا محيص عنه السدي ارصد النار على طريقهم حتى يهلكهم والمرصاد الطريق
عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله
فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فان جاء بها كاملة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكوة
فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فان جاء به تامًا جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فان
جاء به تامًا جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فان
خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة قوله تعالى
فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين
وتأكلون التراث اكلًا لمًا وتحبون المال حبًا جمًا كلا اذا دكت الارض دكًا دكًا وجاء ربك
والملك صفًا صفًا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني
قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ۝ فاما الانسان متصل
بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يرضى للانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه
فيها فاما الانسان اذا ما ابتلاه امتحنه ربه بالنعمة والسعة فاكرمه بالمال ونعمه بما وسع عليه
من الافضال فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ويسر ويحمد عليه ويشكر واما اذا ما ابتلاه امتحنه

بالفقر فقدر فضيق وقتر عليه رزقه فيقول ربي اهانن اذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما اعطاه
من سلامة الجوارح ورزقه من العافية والصحة وما اسرع كفر ابن ادم قرأ ابن عامر قدر بتشديد
الدال والباقون بالتخفيف وهما لغتان وكان ابو عمرو يقول قدر يعني قتر وهو ان يعطيك ما يكفيك
ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن قال صاحب الكشاف فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه ربه وحق التوازن ان يتقابل الواقعتان بعد اما واما تقول
اما الانسان فكفور واما الملك فشكور واما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه
فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول
ربي اكرمن خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
بين المبتدأ والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت الابتلا فوجب ان
يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلا
قلت لان كل واحد منهما ابتلا واختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ا يشكر ام يكفر واذا قدر
عليه فقد اختبر حاله ا يصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه
كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير
سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة
وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني
بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم
انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله
ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله
عز وجل اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم
كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة
مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الاحساب والانساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل
عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا
وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله واكرمه كلا ثم رد عليه فقال كلا لم ابتله بالغنى
لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي وان الفقر والغنى من تقديري وقضائي فلا اكرم من اكرمته
بالغنى وكثرة الدنيا ولا اهين من اهنته بالفقر وقلة الدنيا ولكني انما اكرم من اكرمته بطاعتي واهين
من اهنته بمعصيتي قال الفراء معنى قوله كلا لم يكن ينبغي له ان يكون هكذا ولكن ينبغي له ان يحمده على الامرين

على الغنى

على الغنى والفقر ثم قال بل لا تكرمون اليتيم اي بل شر من هذا القول وهو ان الله عز وجل يكرمهم
بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين
ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به اي اهنت من اهنت من اجل انه لا يكرم اليتيم قرا
اهل الكوفة يكرمون وما بعدها كلها بالياء من تحت والباقون بالتاء ولا تحضون قرا اهل الكوفة
تحاضون بالالف وفتح التاء وعن الكسائي تحاضون بالضم والباقون تحضون بغير الف ويأكلون
التراث الميراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام الحسن يأكل نصيبه ونصيب غيره
بكر بن عبد الله اللم الاعتداء في الميراث يأكل كل شيء يجده ولا يسال عنه احلال هو ام حرام ويأكل الذي
له ولغيره وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة
وهو عالم بذلك فيلم في الاكل من حلاله وحرامه قيل ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال مهلا
مهلا من غير ان يعرف فيه حبسه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات
من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون ابو عبيدة يقال لممت ما على الخوان
اذا اتيت ما عليه واكلته كله اجمع وتحبون المال حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع
الحقوق يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما هكذا ينبغي
ان يكون الامر ثم اتى بالوعيد واخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم مما فرطوا فيه حين لا ينفعهم فقال
عز من قائل اذا دكت الارض دكا دكا اي دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا اي كرر عليه
الدك حتى عادت هباء منبثا وبكس كل شيء عليها وجاء ربك الحسن امره وقضاؤه وقال
اهل الاشارة ظهرت قدرة ربك وقد استوت الامور وان الحق لا يوصف بتحويل من مكان الى مكان
واني له التحويل ولا مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشيء
فوت الاوقات ومن فاته شيء فهو عاجز والحق منزه ان تحوي صفاته الطبايع او تحيط به الصدور
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى الله تعالى والحركة والانتقال انما يجوزان على
من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور ايات اقتداره وتبين اثار قدرته وقهره وسلطانه
مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا
يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه والملك صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى عن ابي
سعيد الخدري لما نزلت هذه الاية تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى
اشتد على اصحابه ما راوا من حاله فانطلق بعضهم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا علي
لقد حدث امر قد رايناه في نبي الله صلى الله عليه وسلم فجاء علي رضي الله عنه فاحتضنه من خلفه

ثم قبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فقال جاء
جبريل فاقرأني هذه الاية كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
وجيء يومئذ بجهنم فقال علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف
زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع يومئذ يتذكر الانسان ما فرط فيه او يتعظ و
انى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يتذكر وبين
وانى له الذكرى تناف وتناقض يقول للانسان يا ليتني قدمت لحياتي اي في حيوتي الدنيا
لحياتي هذه اي حياة الاخرة وقيل يا ليتني قدمت في وقت حياتي في الدنيا فيومئذ لا يعذب
عذابه احد قرأ الكسائي ويعقوب يعذب بفتح الذال ولا يوثق بفتح الثاء والضمير للانسان
الموصوف وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى والباقون بالكسر فيهما والضمير فيهما لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله
عز وجل وحده في ذلك اليوم وقيل الضمير فيهما للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل عذاب
الانسان الموصوف اي مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن
يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك المطمئنة
الى ما وعد الله المصدقة بما قال مجاهد النفس المحسنة التي قد ايقنت ان الله ربها الكلبي هي التي
يبيض الله وجهها ويعطيها كتابها بيمينها فعند ذلك تطمئن الحسن المؤمنة الموقنة عطية
الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما اصابها لم يكن ليخطئها وان ما اخطأها لم يكن ليصيبها
حيان الامنة من عذاب الله ابن كيسان المخلصة ابن عطا العارفة بالله التي لا يصبر عنه
طرفة عين وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهي المتوكلة على الله
الواثقة بما ضمن لها من الرزق قيل يقال لها ذلك عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند دخول
الجنة ارجعي الى ربك اي الى موعد ربك ابو صالح هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة
قيل ادخلي في عبادي وادخلي جنتي معهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص اذا توفي العبد المؤمن
ارسل الله تعالى ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فقال لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة
اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح مسك وجده
احد في انفه قطوا الملائكة على ارجاء السماء فيقولون قد جاء من الارض روح طيبة
ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح له ولا بملك الا صلى عليه حتى يؤتى به الرحمن ثم تسجد
الملائكة فيقولون ربنا هذا عبدك فلان توفيته كان يعبدك لا يشرك بك شيئا فيقول مروه

فليسجد

فليسجد فتسجد النسمة ثم يدعى ميكائيل فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين حتى
اسألك عنها يوم القيامة ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الريحان
وان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن معه جعل له نور مثل نور الشمس في قبره
ويكون مثله كمثل العروس لا يوقظه الا احب اهله اليه فيقوم من نومته كانه لم يشبع منها
وقيل النفس الروح فيامر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد وقال بعض اهل الاشارة
يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها والرجوع الى الله تعالى هو سلوك
سبيل الاخرة راضية عن الله تعالى بما اعد لها مرضية رضي عنها ربها قيل نزلت في حمزة بن
عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال
اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله
وحكمها عام لجميع المؤمنين المطمئنين ٥

سورة البلد مكية

وهي ثلثمائة وعشرون حرفا واثنان وثمانون كلمة وعشرون اية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد ٥
اقسم الله تعالى بهذا البلد الحرام يعني مكة وما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة
المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم الحرام يعني مكة وما بعده على ان الانسان عليه
بقوله وانت حل بهذا البلد وانت يا محمد حل حلال بهذا البلد في المستقبل تصنع فيه ما تريد
من القتل والاسر وذلك ان الله احل لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قتل من قتل
واحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل واصحابه وحرم دار ابي سفيان ثم قال صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة
لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها
ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لبيوتنا وقبورنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قوله انك
ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وفي
كلام الله عز وجل اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا
على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها
فما بال الفتح وقيل وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد

الحرام كما استحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما يكابده من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلوا من مقاساة الشدايد ووالد وما ولد عكرمة وسعيد بن جبير الوالد الذي يولد له وما ولد العاقر الذي لا يولد له فعلى هذا تكون ما نافية وهو بعيد لا يصح الا باضمار عطية عن ابن عباس الوالد وولده وقيل المراد بوالد وما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم سبحانه بالذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشا ابيه اسمعيل ومن ولده وبه وتنكير الوالد للابهام المستقبل بالمدح والتعجب قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما ادم وولده وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان في كبد في نصب الجسد مكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة عبادة في مشقة فلا يلقاه الا مكابدا امر الدنيا والاخرة سعيد بن جبير في شدة الحسن ايضا يكابد الشكر على السرا والصبر على الضرا فلا يخلوا منهما عطا عن ابن عباس في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه وفصاله ومعاشه وحيوته وموته عمرو بن دينار عند نبات اسنانه عان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو ذلك اضعف الخلق وعن سعيد بن جبير ايضا في ضيق معيشة ابن كيسان المكابدة مقاساة الامر وركوب معظمه واصله الكبد الشدة وهو من الكبد فقال الرجل كبدا فهو كبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقامت الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الامر مقاتل في قوة نزلت في ابي الاسد واسمه اسيد بن كلدة ابن اسيد بن خلف الجمحي وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع قدميه ويقال هو شدة الامر والنهي والثواب والعقاب ابن زيد لقد خلقنا الانسان يعني ادم في كبد اي وسط السماء وذلك حين رفع الى الجنة ابو بكر الوراق لا يدرك هواه ولا يبلغ مناه حصيف في معاناه ومقاساة واسفال احواله نطفة ثم علقة الى اخر تمام الخلق ابن كيسان منتصبا راسه مقابلا مع راس امه ورجلاه مقابلا مع رجلي امه فاذا اذن الله في اخراجه انقلب راسه الى رجلي امه وقيل جري القلب غليظ الكبد مع ضعف خلقه ومهانة مادته جعفر الصادق في بلاء ومحنة ابن عطا في ظلمة وجهل محمد بن علي الترمذي مضيعا لما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه ايحسب الضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه

المتضعف

المتضعف للمؤمنين ان لن يقوم قيامه ولن يقدر على الانتقام منه وعلى ما فاته بما هو عليه قيل الحسب ابو الاسد ابن كلدة من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني الله وهو الوليد بن المغيرة **قوله تعالى** يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ك ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم يقول اهلكت انفقت مالا لبدا كثيرا بعضه على بعض وهو من التلبد في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مقاتل نزلت في الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه اذنب ذنبا فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الصدقات والكفارات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد قيل الله وقيل محمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم وكان كاذبا لم ينفق جميع ما قال يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا سعيد بن جبير وقتاده ايظن ان لم يره احد ويساله عن هذا المال من اين اكتسبه واين انفقه قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضماير وشفتين يطبقهما ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك فعادة نعم الله وان الله مظاهرة يقرر ذلك بها كما تشكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك بطبقتين وهديناه النجدين قال اكثر المفسرين بينا له طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فلا اقتحم العقبة اي فلم يجاوز هذا الانسان العقبة فيا من نعمي فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله عز وجل لا ان يهلك مالا لبدا في الريا والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية قال صاحب الكشاف فان قلت قل ما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فلا صدق ولا صلى لا ما تقع الا مكررة في الكلام الافصح قلت هي مكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك

والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس الحسن رضي الله عنه عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وما ادراك ما العقبة قيل شبه عظيم الذنوب وثقلها على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله مثل من اقتحم العقبة التي هي الذنوب حتى تذهب وتذوب كمن يقتحم عقبة فيستوي عليها ويجوزها وذكر عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم الحسن وقتادة هي عقبة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون والزالات ومنهم من يكردس في النار فتقتحمه على المؤمنين كما بين الصلاة الى العشاء قتادة هذا مثل ضربه يقول ان المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل من يتكلف صعود العقبة ابن زيد يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بين ما هي فقال وما ادريك ما العقبة قال سفيان ابن عيينة كل شي قال وما ادريك فانه اخبر به وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به فك رقبة خلصها من رق او عتق فمن اعتق رقبة كانت فداوه من النار قال عكرمة فك رقبة من الذنوب بالتوبة قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف واطعم بفتح الميم على الفعل لقوله ثم كان والباقون بالاضافة على الاسم لانه تفسير لقوله وما ادريك ثم اخبر ما هي فقال فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة مجاعة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة قد لصق بالتراب من الفقر وهي شدة الحال ۵ وانشد الهذلي ۵ وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا سفكنا دما البدن في تربة الحال عن البرا ابن عازب جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا يدخلني الجنة فقال لئن اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسالة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليستا واحدا قال لا عتق الرقبة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الركوب والفي على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير والله والحديث يدل على ان العتق افضل من الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة

فك الله بكل عضو منها عضوا من النار وفك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه لم يدركه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب دو نصب **قوله تعالى** ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة ۵ جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به ثم كان من الذين امنوا وتواصوا اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المومن وعن المعاصي وتواصوا اوصى بعضهم بعضا بالمرحمة برحمة الناس اوليك اصحاب الميمنة اي اليمين واليمن والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة الشمال والشوم اي المياميح على انفسهم والمشاهير عليهم نار موصدة قرا ابو عمرو وحمزة ويعقوب وحفص بالهمز ههنا وفي سورة الهمزة والباقون بلا همز وهما لغتان وهي المطبقة بالواو من اوصدت الباب وبالهمز من اصدته اذا اطبقته واغلقته وقيل معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة ومنه قيل للباب وصيد ۵

سورة والشمس مكية

وهي ماتان وسبعة واربعون حرفا واربع وخمسون كلمة وخمس عشرة اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشيها والسماء وما بناها والارض وما طحيها ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ۵ والشمس وضحيها ضوها اذا اشرق وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك فاده هو النهار كله مقاتل حرها كقوله في طه ولا تضحى يعني ولا يوذيك الحر والقمر اذا تلاها تبعها فاخذ من ضوها وسار خلفها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر طالعا اخذا من نورها والنهار اذا جلاها اي جلا الشمس وكشفها عند انتفاخ

النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء والمراد جماعة والنهار
اذا جلى الظلمة مجارت الحاجة عن الظلمة ولم يذكر لان معناها معروف الا ترى الى قولهم
اصبحت باردة وامسيت عاصفة وهبت شمالا فتكنى عن موصوف لم يجر ذكره لان معناه
معروف والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الافاق قال صاحب الكشاف
فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة وتنصب
بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن
للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها
ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز الفعل معها واضمر
فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن
هذه الواو ويحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع
بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما والسماء وما بناها قيل ما مصدرية
في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها قال صاحب الكشاف وليس بالوجه لقوله فالهمها
فجورها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من
لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة
التي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا وفي تنكير نفس وجهان احدهما ان يريد نفسا
خاصة من بين النفوس وهي نفس ادم والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة
المذكورة في قوله علمت نفس فالهمها فجورها وتقواها ابن عباس في رواية الوالبي بين لها خيرها
وشرها العوفي عنه علمها الطاعة والمعصية الكلبي عرفها ما يتقي وما ياتي ابن زيد وابن الفضل
جعل فيها ذلك بعني بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور قال صاحب الكشاف
ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من
اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور
واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى قوله وتمكينه من اختيار ما شاء ليس في الاية ما يدل
عليه واما قوله فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما فحواله ما هو الجواب في اسناد الفعل
الى العبد عن ابي الاسود الدؤلي قال لي عمران بن الحصين ارايت ما يعمل فيه الناس ويكادحون
فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه
وسلم واكدت عليهم الحجة قلت بلى شيء قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا

وقلت

وقلت له ليس شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي سددك الله انما
سألتك لاختبر عقلك ان رجلا من جهينة او مزينة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ارايت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه اشيء قضي عليهم من قدر سابق او فيما يستقبلون
مما اتاهم به نبيهم واكدت به عليهم الحجة فقال شيء قضي عليهم قال فقلت ففيم نعمل اذا قال من كان
الله خلقه لاحدى المنزلتين هيأه الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقواها قد افلح سعد وفاز وقيل قد افلح من زكيها جواب القسم اي افلحت نفس زكاها الله يعني
اصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للتقوى وقد خابت خسرت نفس من دسيها دسسها الله فاخملها
وخذلها ووضع منها واخفى محلها حتى عملت بالفجور وركبت المعاصي والعرب تفعل هذا كثيرا فتبدل
في الحرف المشدد بعض حروفه ياء وواوا حال المتقي سعيد بن جبير ومجاهد قد افلح من زكاها
قال احدهما اصلحها وقال الاخر طهرها وقد خاب من دساها قال احدهما اغواها وقال
الاخر اضلها قتادة دسيها اثمها وافجرها ابن عباس ابطلها واهلكها ابو صالح قد افلح نفس
زكاها الله وخابت نفس فسدها الله الحسن معناه قد افلح من زكى نفسه فاصلحها وحملها
على طاعة الله وقد خاب من دسيها من اهلها واضلها وحملها على معصية الله فجعل
الفعل للنفس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الاية قد افلح
من زكاها وقف ثم قال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها انت خير من
زكاها قال صاحب الكشاف سئل ابن عباس رضي الله عنهما فقال اتقرأ قد افلح من تزكى وقد
خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع
الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورطون على الله قدرا هو برئ
منه ومتعال عنه ويحيون لما لهم في نحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب
القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع
لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد فليس من جواب القسم في شيء
والاية والحديث يدلان على بطلان ما قاله صاحب الكشاف على ان الحجة العقلية القطعية
دالة على بطلانه وتشنيعه وشغبه دال على عجزه عن اثبات ما ذهب اليه قوله تعالى
كذبت ثمود بطغويها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها
فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها ٥ كذبت
ثمود بطغويها اي بطغوها مثلها في لست بالعلم بطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم

والصفة في فعلى من بنات الياء تقلب الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا
امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت
به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقيل كذبت ثمود بطغيانها وعدا وانها اعطا الخراساني
عن ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال كذبت ثمود بطغواها اي بعذابها اذ انبعث منصوب
بكذبت او بطغوى اشقاها قدار بن سالف عاقر الناقة وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا ويجوز
ان يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجماعة والمذكر
والمونث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين
والتفضيل للشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ فقال لهم رسول الله
ناقة الله نصب على التحذير اي احذروا عقر ناقة الله كقولك الاسد الاسد الصبي الصبي
وسقياها شربها من الماء فلا تزاحموها فيه ولا تستاثروا به عليها قال الله لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم فكذبوه اي فكذب ثمود رسول الله صالحا فيما حذرهم منه من نزول العذاب
فعقروها اي الناقة فدمدم فدمر عليهم واهلكهم ربهم بذنبهم بتكذيبهم رسوله وعقرهم
الناقة فسويها فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها فلم يفلت منهم احد المورج الدمدمة
الهلاك باستيصال قيل فدمدم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا
البسها الشحم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر ولا يخاف قرا
اهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وهكذا في مصاحفهم
عقباها عاقبتها ولا يخاف الله من احد تبعة في اهلاكهم وقيل الضمير الذي اضيف اليه عقبى
يجوز ان يكون لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها كما يخاف كل معاقب
من الملوك فيبقي بعضا لانها الضحاك والسدي والكلبي الضمير في يخاف للعاقر وفي الكلام تقديم
وتاخير تقديره اذا انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها ٥ ٥ ٥

سورة والليل مكية

وهي ثلثمايه وعشرة احرف واحدى وسبعون كلمة واحدى وعشرون اية ٥.
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى
والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى ٥ والليل اذا يغشى النهار
من قوله يغشى الليل النهار او الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او كل شيء يواريه بظلامه من قوله
اذا وقب والنهار اذا تجلى ظهر وقيل ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما
خلق اي القادر العظيم الذي خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما ادم وحوا ان سعيكم

مساعيكم

مساعيكم لشتى لاشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره شتى جمع شتيت اي ان
عملكم لمختلف فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها يدل عليه الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها
وبايع نفسه فموبقها قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا
للهدى وان لنا للاخرة والاولى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
ولسوف يرضى ٥ فاما من اعطى حقوق ماله واتقى الله فاجتنب محارمه ولم يعصه وصدق
بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
وقيل بالحسنى بالخلف ايقن بان الله سيخلف عليه يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط
منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا فسنيسره فسنهيئه لليسرى من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها
والجمها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له لليسرى للخلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه
الله قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه واما من بخل واستغنى بالنعمة في الخير
واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابله واتقى فسنيسره للعسرى للخلة العسرى وهو
العمل بما لا يرضاه الله حتى يستوجب به النار فكانه قال نخذله ونؤديه الى الامر العسر وهو العذاب
وقيل سندخله جهنم والعسرى اسم فان قيل فاي تيسير في العسرى اجيب بانه اذا جمع بين كلامين
احدهما ذكر الخير والاخر ذكر الشر جاز ذلك كقوله فبشرهم بعذاب اليم قال صاحب الكشاف فسنيسره
للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشد من قوله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقيل سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وقيل ارادبهما
طريق الجنة والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين وما يغني عنه ماله استفهام في معنى الانكار
او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يعني مات قاله مجاهد وابو صالح هوى في جهنم وقيل تردى في
الحفرة اذا قبر الكلبي نزلت في ابي سفيان بن حرب ان علينا للهدى اي بيان الحق من الباطل
الفرا يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من اراد الله فهو
على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال كقوله بيدك الخير وسرابيل تقيكم الحر
وان لنا للاخرة والاولى في طلبهما من غيرنا لكيما فقد اخطا الطريق فانذرتكم نارا تلظى يتوقد ويتوهج
لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى ابو هريرة لن يدخل الجنة الا من يابى قالوا يا ابا هريرة
ومن يابى ان يدخل الجنة فقرا قوله الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
قيل اراد السعي والتقي كقول طرفة غني رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد

قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه الذي يؤتي ماله يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة فقيل يتزكى بدل من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وقيل حال من الضمير في يؤتي فمحله النصب وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى اذا دخل الجنة بوعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه

سورة والضحى مكية

وهي مائة واثنان وسبعون حرفا واربعون كلمة واحدى وعشرون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث قيل سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين واصحاب الكهف وعن الروح فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما مقاتل اربعين يوما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبياء وقال المسلمون يا رسول الله ما ينزل عليك الوحي فقال وكيف ينزل علي الوحي وانتم لا تنقون براجمكم ولا تقلمون اظفاركم فانزل الله تعالى جبريل بهذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام وانا كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور وما نزل الا بامر ربك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دمي حجر

في اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلة او ثلثة لا يقوم فقالت له امراة يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلث وقيل ان المراة التي قالت ذلك ام جميل امراة ابي لهب فانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى قيل اراد النهار كله دليله قوله تعالى والليل اذا سجى فقابله بالليل قتادة ومقاتل اراد وقت الضحى وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس ويعتدل النهار من الحر والبرد في الشتاء والصيف وقيل هي الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى والساعة التي القي فيها السحرة سجدا بيانه وان يحشر الناس ضحى وقيل فيه وفي امثاله اضمار رب اي ورب الضحى والليل اذا سجى اقبل بظلامه وقيل ذهب الضحاك غطى كل شيء مجاهد وقتادة وابن زيد سكن بالخلق واستقر ظلامه يقال ليل ساج وبحر ساج اذا كان ساكنا ما ودعك جواب القسم اي ما قطعك ربك قطع المودع وما قلاك اي ما تركك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك حذف الضمير من قلا كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف وللاخرة خير لك من الاولى لما كان في ضمنه نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى اي يعطيك في الجنة الف قصر من لؤلؤ ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له وقيل موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وهيبة الاسلام وفشو الدعوة واستعلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله ابن عباس رضي محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقيل هي الشفاعة في جميع المؤمنين عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفع لامتي حتى يناديني ربي فيقال رضيت يا محمد فاقول رب رضيت ثم قال انكم معشر اهل العراق تقولون ان ارجى اية في القران يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل البيت نقول ان ارجى اية في كتاب الله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال اذا لا ارضى وواحد من امتي في النار واللام الداخلة على لسوف هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف

تقديره ولانت سوف يعطيك ربك كما في لا اقسم اي لانا اقسم وذلك لانه لا يجوز ان يكون
لام قسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد ولام الابتدا لا تدخل الا على الجملة
من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك ومعنى الجمع
بين حرفي التاكيد والتاخير ان الاعطا كاين لا محالة وان تاخر ثم اخبر الله تعالى عن حاله التي كان
عليها قبل الوحي وعدد عليه نعمه وانا ديه وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتدا الشبيبة ترشيحا
لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع منه الا الحسنى وزيادة الخير
والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمنصوبان
مفعولا احد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت
امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته فاوى اي فاواك
ووجدك ضالا فهداك اي ضالا عن علم الشرايع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب
وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب
مكة حين فطمته وجات به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب
فهداك فعرفك القران والشرايع او فازال ضلالك عن جدك وعمك قال صاحب الكشاف
ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية
فنعم وان اراد انه على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل
النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشانية فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان
نشرك بالله من شي وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر ووجدك عايلا فقيرا فاغناك
بمال خديجة ثم بالغنايم مقاتل فرضاك بما اعطاك من الرزق ابن عطا ووجدك فقير النفس
فاغنى قلبك وقيل فقيرا اليه فاغناك به وقيل وجدك غنيا بالمعرفة فقيرا عن احكامها فاغناك
باحكام المعرفة حتى تم لك الغنى عن بعضهم وجدك عايلا بقول الحق بالعلم فاغنيتك بالقران والعلم
والحكمة الاخفش وجدك ذا عيال دليله قوله صلى الله عليه وسلم وانا اغنى بقول ابن عطا
لم يكن معك كتاب ولا شريعة فاغناك بهما وقيل وجدك عايلا عن الصحابة محتاجا اليهم
فاكثر لك الاخوان والاعوان فاما اليتيم فلا تقهر واذكر يتمك عن ابي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم له او لغيره انا وهو كهاتين في الجنة اذا اتقى الله عز وجل واشار
بالسبابة والوسطى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اليتيم اذا ابكي اهتز لبكايه عرش الرحمن فيقول الله سبحانه للملايكة يا ملايكتي من ابكى هذا
اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فيقول الملايكة ربنا انت اعلم فيقول الله يا ملايكتي فاني اشهدكم

ان لمن

ان لمن اسكته وارضاه ارضيه يوم القيمة فكان عمر اذا راى يتيما مسح راسه واعطاه شيئا وعن
انس ابن مالك من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مونته كان له حجابا من النار يوم ومن مسح
راس يتيم كان له بكل شعرة حسنة واما السايل فلا تنهر فلا تزجره ولكن بذل يسير او رد جميل
واذكر فقرك الحسن في قول الله تعالى واما السايل فلا تنهر قال اما انه ليس بالسايل الذي ياتيك
ولكن طالب العلم يحيى بن ادم يقول واما السايل فلا تنهر قال اذا جاءك الطالب للعلم فلا تنهره وعن
ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم السايل ان يعطيه اذا سال وان راى
في يديه قلبين من ذهب ابرهيم ابن ادهم السايل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل توجهون
الى اهليكم بشي واما بنعمة ربك فحدث يعني النبوة مجاهد بالقران والتحديث بالنعمة شكرها واشاعتها
يريد ما ذكر من نعمة الايوا والهداية والاغنا وما عدا ذلك قيل كان عبد الله بن غالب اذا اصبح يقول
لقد رزقني الله البارحة خيرا رايت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فقال له يا ابا فراس
ان مثلك لا يقول مثل هذا فيقول ان الله عز وجل يقول واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث
بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدى به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر
افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الريا والسمعة لكفى به والمعنى انك كنت يتيما وضالا و
عايلا فاواك الله وهداك واغناك مهما يكن من شي وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك وهذه
الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم واوه فقد ذقت اليتم والهوان ورايت كيف فعل الله بك
وترحم على السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث
بنعمة الله كلها ويدخل تحته هداية الله الضلال وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله في انه هداه
من الضلال عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم
يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعم الله شكر وتركه
كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب

سورة الم نشرح مكية ن

وهي مايه وثلثه احرف وسبع وعشرون كلمة وثمان ايات **قوله تعالى** بسم الله
الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب ٥ الم نشرح استفهم عن انتفا الشرح على وجه الانكار
فافاد اثبات الشرح وايجاده فكانه قيل شرحنا لك صدرك يعني فتحنا ووسعنا ولينا لك
قلبك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى وقيل معنى
شرحنا لك صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا وقيل حتى احتمل المكاره

التي تعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او وسعناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه
الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ علما وحكمة ووضعنا حططنا عنك
وزرك اثمك الذي انقض ظهرك واوهنه وقيل حملك على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم
علمه بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه
ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ ورفعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سال جبريل عن هذه الاية قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي ه قتادة رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي بها اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاهد بالتاذين ومنه يقول
حسان بن ثابت   اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي   اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
ابن عطا جعلت تمام الايمان في ذكرك معي وقيل رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء وقيل
باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله ذو النون المصري همم الانبياء
تحول حول العرش وهمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق العرش وهمة محمد صلى الله عليه وسلم
فوق العرش كذلك قال ورفعنا لك ذكرك وذكر يوم الحق يوم القيمة الى محمد صلى الله
عليه وسلم كما عهم الى الله لعلمهم بجاهه عنده وفائدة زيادة لك ما في طريقه الابهام والايضاح
كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك ذكرك
وعنك وذلك كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين بالفقر
والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره
ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك فلا تيأس من
فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا فرجا بان يظهرك عليهم حتى يعادوا بالحق
الذي جئتهم به طوعا وكرها قال صاحب الكشاف فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب
اليسر والعسر قلت اراد ان الله عز وجل يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان
قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب
فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قلت
هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجا وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول
فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها

في النفوس

في النفوس وتمكنها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان
العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير
الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي
كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون
للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام
الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال قيل المراد باليسرين
ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفا وقيل
يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر والثواب
ومعنى تنكير يسرا التعظيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر ولما عدد نعمه عليه السالفة
ووعده الانعام بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها
وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة عقبها باخرى عن الحسن
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر
يسرين وعن ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه
لن يغلب عسر يسرين الحسن بن يحيى الجرجاني لن يغلب عسر يسرين ان الله بعث نبيه صلى الله
عليه وسلم مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره حتى قالوا نجمع لك مالا فاغتم وظن انهم كذبوه لفقره
فعزاه الله وعدد عليه نعمه ووعده الغنى فقال الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الى قوله ذكرك فهذا ذكر امتنانه عليه ثم ابتدا ما وعده من الغنى ليسليه مما خامر قلبه فقال
فان مع العسر يسرا والدليل عليه دخول الفاء في قوله فان مع العسر يسرا ولا تدخل الفاء
ابدا الا في عطف او جواب تقديره لا يحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا
ثم انجز ما وعده ففتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده حتى كان يهب المائتين
من الابل ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال ان مع العسر يسرا والدليل عليه ابتداؤه تعريه
من الفاء والواو وحروف النسق فهذا وعد عام لجميع المؤمنين يعني ان مع العسر يسرا في الدنيا
للمؤمنين ويسرا في الاخرة لا محالة فقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين يعني لن يغلب عسر
الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم الله في الاخرة انما يغلب
احدهما وهو يسر الدنيا واما يسر الاخرة فدائم غير زائل اي لا يجمعهما في الغلبة كقوله صلى الله
عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان ابو بكر الوراق ان مع اجتهاد
الدنيا جزاء الجنة قيل يرد اهل السعادة من احسان الدنيا الى رضوان العقبى فاذا فرغت

فانصب ابن عباس اذا فرغت من صلوتك فارغب الى ربك في الدعا وسئله حاجاتك وارغب
اليه مجاهد اذا قمت الى الصلوة فانصب في حاجتك الى ربك الضحاك اذا فرغت من الصلوة
المكتوبة فانصب الى ربك في الدعا وانت جالس امره اذا فرغ من صلوته ان يبالغ في دعايه
الحسن اذا فرغت من جهادك عدوك فانصب في عبادتك زيد بن اسلم اذا فرغت من جهاد العرب
وانقطع جهادهم فانصب لعبادة الله والله فانصب في عبادة ربك وصل وقيل امر بالقعود
للتشهد اذا فرغ من الصلوة والانتصاب للدعا الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب
استغفر لذنبك وللمؤمنين حنيد اذا فرغت من امر الخلق فاجتهد في عبادة الحق بن عطا اذا
فرغت من تبليغ الوحي فانصب لطلب الشفاعة والى ربك فارغب في جميع احوالك لا الى
سواه جعفر اذكر ربك على فراغ منك عن كل ما دونه وقيل اذا فرغت من العبادة فانصب الى الاعراض
عنها مخافة ردها عليك والى ربك فارغب في الاستغفار لعملك حاجي المسيحي عكرمة بن سليمان
قرات على اسمعيل بن عبد الله فلما بلغت الى والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فاني قرات
على شبل بن عباد وعلى عبد الله بن كثير فامراني بذلك وعن عبد الله بن كثير انه قرا على مجاهد فامره
بذلك واخبر مجاهد انه قرا على ابن عباس فامره بذلك واخبر ابن عباس انه قرا على ابي بن كعب
فامره بذلك واخبر ابي انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم فامره بذلك ٥

سورة والتين مكية

وهي مائة وخمسون حرفا واربع وثلثون كلمة وثمان ايات قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس
الله باحكم الحاكمين ٥ اقسم الله تعالى بالتين والزيتون لانهما عجيبان من بين
اصناف الاشجار المثمرة ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابرهيم وعطا بن ابي رباح
وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم هذا الذي تاكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه
الزيت عن ابي ذر اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال
لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم
وكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن عبد الرحمن بن غنم سافرت مع معاذ بن
جبل فمر بشجرة الزيتون فياخذ منها القضيب فيستاك ويقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول السواك الزيتون من الشجرة المباركة تطيب الفم وتذهب بالحفر سمعت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم هي سواكي وسواك الانبيا قبلي كعب الاحبار وقتادة وابن
زيد وعبد الرحمن بن غنم التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس الضحاك هما مسجدان
بالشام محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والتين مسجد ايليا والمعنى على هذا التاويل
ومنابت التين والزيتون حملان عطية التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون
بيت المقدس هشل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقيل التين جبال
ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما وطور سينين يعني جبل
موسى واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهو البقعة ونحو سيمون يرون في وجوه
الاعراب بالواو والياء والاقرار وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين
يعني مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله
كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون
الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا يعني ذا امن ومعنى القسم بهذه الاشيا
الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين
فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي
نودي فيه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومبعثه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم تعديل لشكله وصورته
وتسويه لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة
السوية انا رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة
وهم اصحاب النار وقيل في احسن تقويم اعدل قامة واحسن صورة وذلك ان الله خلق كل شي
منكبا على وجهه الا الانسان وقال ابو بكر بن طاهر مزينا بالعقل مؤديا للامر
مهديا بالتمييز مديد القامة يتناول ماكوله بيمينه ثم رددناه اسفل سافلين يعني الى
ارذل العمر حتى ينقص عمره ويضعف بدنه ويذهب عقله ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل
العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبر ان لهم اجرهم الذي عملوا
قبل ان تذهب عقولهم عكرمة لم يضر هذا الشيخ الهرم كبره اذا ختم له باحسن ما كان يعمل
وقيل السافلون الضعفى والهرمى والزمنى وقيل ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين
اسفل من سفل في حسن الصورة حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض
شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكان احد شي ويعبر كل شي
منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف والاستثناء على الاول

متصل ظاهرا لاتصال وعلى الثاني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة وعلى تخاذل نهوضهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم فانه يكتب لهم في حال هرمهم وعجزهم مثل الذي كانوا يعملون في حال شبابهم وصحتهم ووقت همهم فذلك قوله فلهم اجر غير ممنون التضعاف اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة والبرهان وتوبيخا للكافرين فما يكذبك بعد بالدين هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اى فما يكذبك ايها الانسان بعد هذه الحجة والبرهان بالدين بالحساب والجزاء اليس الله باحكم الحاكمين قال صاحب الكشاف هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره يعني انك تكذب اى كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب واى شي يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله عز وجل الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه من مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم ينكسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وانه يحكم عليهم بما هو اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

سورة العلق مكية

وهي مايتان وثمانون حرفا واثنتان وسبعون كلمة وتسع عشرة اية ه

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

ه اكثر العلماء على انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم اقرا باسم ربك محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرا مفتتحا باسم ربك ثم قل باسم الله ثم اقرا قال صاحب الكشاف قدم الفعل ههنا لان تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة وكان الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الوجه فيه عندي ان يحمل اقرا على معنى افعل القراءة واحدثها على نحو قولهم فلان يعطي ويمنع غير معدى الى مقروء وان يكون باسم ربك مفعول اقرا الذي بعده الذي خلق لم يذكر له مفعولا وعلى وجهين احدهما انه لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وثانيهما ان يقدر ويراد خلق كل شي ويتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض

المخلوقات

المخلوقات اولى بتقديره من بعض خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض وقيل يجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته خلق الانسان اراد به بني ادم لان بني ادم خلقوا من علق قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة واحدة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر وقيل اراد بالانسان ادم واراد بقوله من علق من طين يعلق باليد ثم كرر للتاكيد فقال اقرا وقيل يحتمل ان يكون الاول للعموم والثاني للخصوص كما قلنا في خلق خلق وربك الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به الحسن علم الانسان الكتابة بخلق العلم وقيل علم القران بان كتبه الله بالقلم في اللوح المحفوظ فقراه ونقل علم الانسان ما لم يعلم من البيان والعمل وقيل علم الانسان الكتابة والحرف وغيرهما مما فيه صلاح دنياه ودينه ويحتمل ان يكون الاول عاما ثم خص كما قيل في اقرا وخلق وقيل علم الانسان ما لم يعلم من انواع الهدى والبيان وقيل علم ادم الاسماء كلها وقيل الانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم **قوله تعالى** كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب ه

كلا قيل تاكيد بمعنى حقا وقيل زجر عما اتى ذكره فيما لابد من الطغيان وقيل ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ليتجاوز حده ويستكبر على ربه ان راه استغنى ان راى نفسه غنيا الكلبي يرتفع عن منزلته الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من فقر ينسي ومن غنى يطغي ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات

الى الانسان تهديدًا له وتحذيرًا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ارايت الذى ينهى عبدًا اذا صلى نزلت فى ابى جهل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلوة حين فرضت عليه عن ابى هريرة قال ابو جهل لعنه الله هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذى يحلف به لئن رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته فقيل له هاهو ذاك فانطلق ليطا على رقبته فما فجئهم منه الا انه يتقى بيده وينكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فانزل الله ارايت الذى ينهى عبدًا اذا صلى والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ارايت ان كان ذلك الناهى عن الهدى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرًا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد ارايت ان كذب عن الحق وتولى عن الدين الحق كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ما يفعل ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد شديد الذى ينهى عن الجملة الشرطية فى موضع المفعولين وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى ويصح ان يكون الم يعلم جوابًا للشرط كما يصح فى قولك ان اكرمتك اتكرمنى وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه وارايت الثانية وتوسطها بين مفعولى ارايت هى رايته مكررة للتوكيد كلا ردع لابى جهل لئن لم ينته عن ايذاء رسول الله ونهيه عن الصلوة لنسفعًا لناخذن بالناصية بمقدم راسه ولنذلنه والسفع القبض على الشىء وجذبه بشدة والسفع تاثير النار والشمس والمعنى لنسودن وجهه وكنى عن الوجه بالناصية وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكورة اكتفى بلام العهد عن الاضافة ثم ابدل فقال ناصية كاذبة وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة كاذبة ووصف الناصية بالكذب والخطا على الاسناد المجازى والكذب والخطا فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذبة خاطئة اى صاحب الناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه مجلسه ينتدى فيه القوم اى يجتمعون فيه والمراد اهل النادى كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس قال بن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى واغلظ له فقال ابو جهل اتهددنى فوالله لاملان عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردًا ورجالا مردًا فانزل الله فليدع ناديه اى قومه سندع الزبانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه

لاخذته الزبانية عيانًا والزبانية فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسى واصله زبانى فقيل زبانية على التعويض وقيل ملائكة العذاب كلا ردع لابى جهل اى ليس الامر كما يظنه ابو جهل لا تطعه اى اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد اى وصل واقترب من الله تعالى قيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله اذا كان ساجدًا

سورة القدر مدنية

قال الضحاك ومقاتل والاكثر انها مكية وهى ماية واثنا عشر حرفا وثلثون كلمة وخمس ايات

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر ٥ قال صاحب الكشاف عظم القران من ثلثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى انزل فيه انا انزلناه اى القران جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوضعناه فى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجومًا فكان بين اوله الى اخره ثلثة وعشرون سنة ثم عجب نفسه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وما ادريك ما ليلة القدر يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والحكم والفصل يقضى الله فيها قضاء السنة وهو مصدر قولهم قدر الله الشىء قدرًا وقدرًا لغتان كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره تقديرًا بمعنى واحد وهى الليلة التى قال الله عز وجل انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم وانما سميت مباركة لان الله تعالى ينزل فيها الخير كله والمغفرة والبركة وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر وقيل للحسين بن الفضل اليس قدر الله تعالى المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وعن سعيد بن جبير قال يوذن للحاج فى ليلة القدر فيكتبون باسمائهم واسماء ابائهم فلا يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم ولا ينقص وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها قال الزهرى هى ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الامير قدر اى جاه ومنزلة ويقال قدرت فلانا اى عظمته قال الله

تعالى وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته ابو بكر الوراق سميت بذلك لانه
من لم يكن ذا قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر وخطر اذا ادركها واحياها وقيل
لان كل عمل صالح يوجد فيها من المومن يكون ذا قدر وقيمة عند الله لكونه مقبولا فيها
وقيل لانه انزل فيها كتاب ذو قدر سهل بن عبد الله لان الله تعالى يعد الرحمة فيها
على عباده المومنين وقيل لانه ينزل فيها الى الارض ملايكة اولوا قدر وذووا خطر الخليل
بن احمد لان الارض تضيق فيها بالملايكة من قوله ومن قدر عليه رزقه واختلف
الصحابة في وقتها فقال بعضهم انما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت
وعن ابى ذر سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر هى شى يكون على عهد الانبياء
عليهم السلام فاذا قبضوا رفعت قال لا بل هى الى يوم القيمة قيل لابى هريرة زعموا ان
ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك هى في كل شهر رمضان استقبله وقال
بعضهم في ليالى السنة كلها وان من علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع
الطلاق ولم ينفذ العتق الى مضى سنة من يوم حلف وهى احدى الروايات عن بن مسعود
قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه
علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس والى هذا ذهب ابو حنيفة انها في
جميع السنة وحكى عنه ايضا انه قال رفعت ليلة القدر والجمهور من اهل العلم على
انها في شهر رمضان في كل عام وسيل بن عمر عن ليلة القدر افي كل رمضان هى قال نعم
وسيل الحسن افي رمضان هى قال نعم والله الذى لا اله الا هو انها لفي كل رمضان وانها
الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضى الله كل اجل وعمل ورزق وخلق الى مثلها واختلفوا
في اى ليلة هى منه قال ابو رزين العقيلى هى اول ليلة من شهر رمضان الحسن ليلة
سبع عشرة وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر والصحيح انها في العشر الاخير
من رمضان واليه ذهب الشافعى يدل عليه ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظنى بعض اهلى فنسيتها فالتمسوها
في العشر الغوابر وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوقظ
اهله في العشر الاواخر من شهر رمضان ثم اختلفوا في اى ليلة منها فقال ابو سعيد
الخدرى هى ليلة الحادية والعشرون واحتج على ذلك بان النبى صلى الله عليه وسلم
يعتكف العشر الاوسط من رمضان فلما كانت احدى وعشرين وهى التى كان يخرج
في صبحها من اعتكافه قال صلى الله عليه وسلم من اعتكف معى فليعتكف العشر

الاواخر

الاواخر فالتمسوها في كل وتر قال فامطرت السماء في تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف
المسجد قال ابو سعيد فابصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف علينا وعلى
جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وقال بعضهم هى الليلة
الثالثة والعشرون منها عن عمر جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انى رايت في النوم كان ليلة القدر ليلة سابقة بقى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارى روياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين قال معمر كان ايوب يغتسل ليلة ثلث وعشرين
ويمس طيبا سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقال اثنتان
وعشرون فقال هى الليلة ثم رجع فقال او الثالثة يريد ليلة ثلثة وعشرين وعن بن عباس
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له اخبرنى عن ليلة القدر فقلت ان الله عز وجل وتر يحب
الوتر السموات سبع والارضون سبع ورزق من سبع ويخرج من سبع ولا اراها الا في سبع
بقين من رمضان وقال عمر وافق راى رايك ثم ضرب منكبى فقال ما انت باقل القوم علما وقال زيد
بن ثابت وبلال هى ليلة اربع وعشرين ودليلهما ما روى عن بلال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة القدر ليلة اربع وعشرين وقيل هى الليلة الخامسة والعشرون يدل عليه
ما روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة
وقال قوم هى الليلة السابعة والعشرون واليه ذهب على بن ابى طالب وابى بن كعب وعايشة
ومعاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن بن عمر رضى الله عنهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر من كان متحريها فليتحرها في ليلة سبع وعشرين وعن
زر بن حبيش قال اتيت عبد الله بن مسعود فسالناه عن ليلة القدر فقال من يقم الحول يصبها
فاتينا ابى بن كعب فقلنا يا ابا المنذر اخبرنا عن ليلة القدر فانا اتينا بن ام عبد فقال من يقم
الحول يصبها فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن لقد علم انها في شهر رمضان وانها ليلة سبع وعشرين
فقلنا يا ابا المنذر بما علمت ذلك قال بالاية التى انبانا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحفظنا وعددنا قال فوالله انها لهى ما نستثنى فقلنا لابى المنذر ما الاية قال تطلع الشمس غداة
اذ كانت ليس لها شعاع وروى عن ابى بن كعب ايضا انه قال سمعت النبى صلى الله عليه
وسلم يا ذنى والا فصمتا انه قال ليلة القدر ليلة سبع وعشرين وبعض الصحابة قام بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الثالث والعشرين ثلث الليل فلما كانت الخامسة
والعشرين قام بنا نصف الليل فلما كانت ليلة السابعة والعشرين قام بنا الليل كله وابو بكر
الوراق ان الله تعالى قسم كلمات هذه السورة على ليالى شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين

اشار اليها فقال هي وقال بعضهم هي الليلة التاسعة والعشرون وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليلة القدر ليلة السابع والعشرون او التاسع والعشرين وان الملائكة في تلك
الليلة بعدد الحصا وعن ابي بكرة رضي الله عنه انه قال ما انا طالبها بعد شي سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر في تسع بقين او سبع بقين او ثلث يقين
او اخر ليلة فكان ابو بكرة اذا دخل رمضان صلى كما يصلي في ساير السنة فاذا دخل العشر
اجتهد وفي الجملة اخفى الله تعالى علم هذه الليلة عن الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان
طمعا في ادراكها كما اخفى الصلوة الوسطى في الصلوات واسمه الاعظم في الاسماء وساعة
الاجابة في ساعات الجمعة وغضبه في المعاصي ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات
رحمة منه وحكمة واما امارة ليلة القدر ففي الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في ليلة القدر من اماراتها انها ليلة بلجة سمحة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع واما
فضايلها وخصائصها فعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء
فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ سحر
ساحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر تنزل
الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى فيهم جبريل فينزل جبريل ومعه الوية تنصب منها
الوية لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سينا ولا يدع
فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا يسلم عليه الا مدمن خمر واكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران واما ادابها
وما يستحب فيها فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان وافيت
ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وعنها رضي الله عنها
لو علمت اي ليلة ليلة القدر ما سالت الله فيها الا العافية ليلة القدر خير من الف شهر
وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل
الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم واختلفوا في الحكمة الموجبة لهذا العدد فقيل ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما اربعة من بني اسرايل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوا الله طرفة
عين فعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت
امتك من عبادة هاولاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا
من ذلك ثم قرا عليه انا انزلناه في ليلة القدر الايات هذا افضل مما عجبت انت وامتك فسر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والناس معه وعن ابن ابي نجيح ان النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر

ذكر رجلا من بني اسرايل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك
فانزل الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير
من الف شهر الذي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله وقيل ان الرجل فيما مضى كان
لا يستحق ان يقال له فلان عابد حتى يعبد الله الف شهر وهي ثلث وثمانون سنة واربعة
اشهر فجعل الله لامة محمد ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدون فيها وقيل معناه عمل صالح
في ليلة القدر خير من عمل الف شهر ليس فيها ليلة القدر مجاهد سلام الملائكة والروح
عليك تلك الليلة خير من سلام الخلق عليك الف شهر تنزل الملائكة الى السماء الدنيا
والروح يعني جبريل يدل عليه ما روى قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان ليلة القدر نزل جبريل في جماعة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر
الله تعالى كعب ومقاتل الروح طايفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة ينزلون
من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر الواقدي ملك عظيم ينزل من في ليلة القدر باذن ربهم
من كل امر اي تنزل من كل امر قضاه الله وقدره في تلك السنة الى قابل سلام هي من الملائكة ثم
الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال سلام اي ما ليلة القدر الا سلامة وخير كلها ليس فيها
شر الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة الا السلامة فاما الليالي الاخر فيقضي فيهن البلاء
والسلامة مجاهد هي سلامة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى وقيل
ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقيل هي تسليم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد
من حيث تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك يا مؤمن
حتى مطلع الفجر اي الى مطلع الفجر قرا الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام فانه موضع الطلوع والباقون
بفتح اللام بمعنى الطلوع **سورة المنفكين وتسمى سورة لم يكن وسورة القيمة**
مدنية وقيل مكية وهي ثلثماية وسبعة وتسعون حرفا واربع وتسعون كلمة وثمان ايات
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا
صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة
وذلك دين القيمة ف لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
والمشركين وهم عبدة الاصنام منفكين منتهين عن كفرهم وشركهم زايلين تقول العرب
ما انفك فلان يفعل كذا اي ما زال واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وفك

البيان وهو حوزا لقطني كان الكفار من الفريقين من اهل الكتاب وعبدة الاصنام
يقولون قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى
يبعث النبي الموعود والذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فحكى الله عنهم عز وجل ما كانوا يقولونه حتى تاتيهم البينة الحجة الواضحة محمد صلى الله
عليه وسلم اتاهم فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان ابن كيسان معناه
لم يكن هاولا الكفار تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث
فلما بعث تفرقوا فيه ثم فسر البينة فقال رسول من الله فائدة التنكير من المعرفة ومع
لان التنكير موصوفة يتلوا صحفا كتبا مطهرة من الباطل اي قراطيس مطهرة من الباطل
فيها في تلك القراطيس كتب من الله قيمة مستقيمة عادلة ناطقة بالحق وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب في امر محمد فكذبوه الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني انهم كانوا يعدون
اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي
الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى
يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق
حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما
وانفكاك الشيء عن الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى
انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا بعد مجي البينة والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق
وانقشاعهم عنه وقيل تفرقهم فرقا فمنهم من امن ومنهم من كفر وقال ليس بنا ومنهم
من عرف وعاند وقيل من اول السورة الى قوله فيها كتب قيمة حكمها فيمن امن من اهل الكتاب
والمشركين ومن قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب حكمه فيمن لم يومن من اهل الكتاب
والمشركين بعد قيام الحجج قال صاحب الكشاف فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين
اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم
به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف
وما امروا يعني هاولا الكفار في التورية والانجيل الا الا ليعبدوا اي الا ان يعبدوا الله
على هذه الصفة يعني مخلصين له الدين التوحيد والطاعة حنفاء مائلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام ابن عباس حجاجا قتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات
والاخوات والعمات والخالات واقامة المناسك سعيد بن جبير لا يسمى العرب حنيفا الا
من حج واختتن ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة وذلك الذي ذكر دين القيمة اي دين الملة

المستقيمة

المستقيمة وقيل القيمة ههنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف اليها على معنى وذلك
دين الكتب القيمة فيما يدعوا اليه ويامر به وسيل الخليل بن احمد عن قوله وذلك دين القيمة
فقال القيمة جمع القيم والقيم والقايم واحد والمعنى وذلك دين القايمين لله بالتوحيد
وقيل وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه
الصفة ولكنهم حرفوا وبدلوا **قوله تعالى** ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ه للخليقة قرا نافع
البريئة بالهمز والمد في الحرفين ومثله روى ابن ذكوان عن اهل الشام على الاصل لانه من
قولهم برا الله الخلق يبراوهم الله قال الله تعالى من قبل ان نبراها والباقون بالتشديد
من غير همز قيل لهذه القراءة وجهان احدهما انه ترك الهمز وادخل التشديد عوضا منه وثانيهما
ان يكون فعيلة من البرا وهو التراب يقول العرب بفيك البرا فالبرية معناها المخلوقون
من التراب **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ه الصادق رضي الله عنهم بما كان سبق لهم من
العناية والتوفيق ورضوا عنه بما من عليهم من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبولهم ما جاء به من دينا ورضاء الخلق عن الله رضاهم بما يرد عليهم من احكامه
ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضا عنه محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا
باب الله الاعظم ومستراح العابدين محمد بن خفيف الرضا ينقسم قسمين رضا به ورضا
عنه فالرضا به ربا ومدبرا والرضى عنه فيما يقضي ويقدر وقيل الرضا رفع الاختيار ذو
النون الرضا سرور القلب بمر القضا حارث المحاسبي الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم
ابو عمرو الدمشقي الرضا نهاية الصبر ابو بكر بن طاهر الرضا خروج الكراهية من القلب حتى
لا يكون الا فرحا مسرورا الواسطي هو النظر الى الاشيا بعين الرضا حتى لا تسخطك شي
الا ما يسخط مولاك ابن عطا هو النظر الى قديم اختيار الله للعبد فيترك التسخط عليه
السري اذا انت لا ترضى عن الله فكيف تسال الله الرضى عنك ه

سورة الزلزلة مكية

وهي مائة واربعة وسبعون حرفا وخمس وثلثون كلمة وثمان ايات **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض
اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ

يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره ٥ اذا زلزلت الارض حركت حركة شديدة لقيام
الساعة زلزالها الذي تستوجبه في مشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس
بعده ونحو قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام
والاهانة وقيل زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه واخرجت الارض اثقالها موتاها وكنوزها
وما دفن فيها فالقتها على ظهرها والاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها
من الدفاين اثقالها وقال الانسان ما لها ما للارض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت
ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم
من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هو قول الكافر لانه كان لا يومن بالبعث
فاما المومن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها اي يومئذ تخبر
الارض الناس بما عمل عليها من خير وشر فتقول الارض يوم القيمة وحد علي وصام وصلى واجتهد
واطاع ربه فيفرح المومن بذلك وتقول للكافر اشرك علي وزنا وسرق وشرب الخمر فيوبخ في المشهد
وتشهد عليه الجوارح والملايكة مع علم الله تعالى حتى يود انه سيق الى النار وما يرى وقال صاحب
الكشاف تحدث الارض والاتيانها مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث
باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا
ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه والحق انه ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير
وشر ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث وقيل منصوب بمضمر ويومئذ تحدث وحذف المفعول
الاول لتحدث والمفعول الثاني لها اخبارها والاصل تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره
اياها بالتحديث وقيل المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها
بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين وقيل
بان ربك بدل من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته
كذا وحدثته بكذا بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها فيه قال الزاجر اوحى لها
القرار فاستقرت اي امرها بالقرار ابن عباس والقرظي وابن زيد اوحى لها اي اليها والمعنى
يوحي الله اليها يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القبور الى الموقف بيض الوجوه ابيض
وسود الوجوه وعين وقيل عن موقف الحساب اشتاتا متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة
واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة نملة صغيرة
وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ابن عباس والقرظي وابن زيد اوحى لها اي اليها والمعنى

يوحي الله

يوحي الله لها يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم ليس مومن ولا كافر عمل خيرا ولا شرا في الدنيا
الا اراه الله اياه فاما المومن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما
الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته وقال محمد بن كعب في هذه الاية فمن يعمل مثقال ذرة من خير
من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله
خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا من مومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده
حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شيء يدل على ذلك ما روى ابو قلابة عن انس كان ابو بكر
رضي الله عنه ياكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فرفع ابو بكر يده وقال
يا رسول الله اني اجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره
فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاها يوم القيمة مقاتل نزلت هذه الاية
في رجلين وذلك انه لما نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه
فما احب ناهذا فيرده صغيرا وكان الاخر يتهاونون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة واشباه
ذلك ويقول ليس علي من هذا شيء انما وعد الله النار على الكباير وليس في هذا اثم فانزل الله يرغبهم
في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر
ويكثر ذنبهم فالاثم الصغير في عين صاحبه يوم القيمة اعظم من الجبال روي ان رجلا بالحسن وهو
يقرا هذه السورة فلما بلغ اخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة فقال الحسن لقد فقه الرجل

سورة العاديات مكية

وهي مائة وثلثة وستون حرفا واربعون كلمة واحدى عشرة اية ٥ قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات
صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد
وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم
بهم يومئذ لخبير ٥ اقسم بخيل الغزاة فعدوا ابن عباس وعطا ومجاهد وعكرمة
والحسن والكلبي وابو العالية والربيع وقتادة والمقاتلان وابن كيسان هي الخيل التي
تعدو في سبيل الله فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وجهدن في الجري ابن عباس
وليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب قال اهل اللغة واصل الضبح
للثعالب واستعير في الخيل وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه وانما
تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من تعب او فزع او طمع ونصب وعن ابن عباس
انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح وانتصاب ضبحا على المصدر بتعدي

تضبحن ضبحًا وقيل انتصابه بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو
وقيل انتصابه على الحال اى ضابحات مقاتل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى
حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري احد النقباء فابطأ خبرهم وقال
المنافقون قتلوا جميعًا فاخبر الله تعالى عنها فقال والعاديات ضبحًا يعني تلك الخيل عدت
حتى ضبحت وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة وقيل هو صوت انفاسها اذا عدت
وقال قوم هي الابل قال الشعبي تمارى علي وابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى فالعاديات
ضبحًا فقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعًا فهل تثيره الا بحوافرها وهل تضبح
الابل انما تضبح الخيل قال علي رضي الله عنه ليست كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا الا فرس
ابلق للمقداد وعن ابن عباس بينا انا جالس في الحجر اتاني رجل فسالني عن العاديات ضبحًا فقلت
له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني
فذهب الى علي رضي الله وهو تحت سقاية زمزم فساله عن العاديات ضبحًا فقال اذهب
فادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة غزاها
النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام وهي يوم بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس
للمقداد فكيف تكون العاديات انما العاديات ضبحًا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة
الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى ما قاله علي رضي الله عنه والى قول علي ذهب
ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل
كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثغر للثور وما اشبه ذلك وقيل ضبحًا
يعني ضبعًا تمد اعناقها في السير والضبح والضبع بمعنى واحد قالت صفية بنت عبد المطلب
الا والعاديات غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار فالموريات قدحًا عكرمة وعطاء والضحاك
هي الخيل تورى النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة والارض المحصبة مقاتل والكلبي
والعرب تسمي تلك النار نار حباحب او ابي حباحب وكان شيخًا من مضر في الجاهلية من ابخل
الناس وكان لا يوقد نارًا لخبز ولا غيره حتى تنام كل عين فاذا نام اصحابه اوقد نويرة تتقد مرة
وتخمد اخرى فاذا استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب
هذه النار بناره اي لا ينتفع بها احد كما لا ينتفع بنار ابي حباحب قدحًا اي قادحات صاكات
وقيل والقادحات قدحًا والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد
وانتصب قدحًا بما انتصب به ضبحًا فالمغيرات تغير على العدو صبحًا في وقت الصبح وقال
القرظي هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح

والاغارة

والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن فهيجن به اي بذلك المكان
الذي انتهين اليه كناية عن غير مذكور لان المعنى مفهوم مشهور نقعًا اي غبارًا فوسطن به
اي دخلن به وسطهم يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم
كلها بمعنى واحد جمعًا اي جمع العدو وهم الكتيبة القرظي يعني جمع منى ان الانسان لربه
لكنود لكفور وكند النعمة كنودًا ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع الكفور جحود لنعم الله
الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة وقضاعة
الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط
قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان اعظمها في
جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه اي الانسان على ذلك اي على كنوده لشهيد يشهد
على نفسه ولا يقدر ان يجحد لظهور امره وقيل وان الله على كنود الانسان لشهيد لشاهد
على سبيل الوعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما الكنود قالوا الله ورسوله
اعلم قال الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويمنع عبده عطاه الكنود الذي لا يعطي في النائبة
ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئًا الفضيل بن عياض الكنود الذي
انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي انسته
الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة ابو بكر الوراق الذي يرى النعمة ولا
يرى المنعم ابو بكر الواسطي هو الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقيل بسام هو الذي يعامل ربه على
عقد العوض دون الوفاء تفسير الهلوع والكنود قوله اذا مسه الشر جزوعًا واذا مسه الخير
منوعًا وقيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الحقود وقيل الحسود وقيل جهول لقدره
وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره وانه اي الانسان لحب الخير اي المال من قوله تعالى
ان ترك خيرًا فسماه الله خيرًا لان الناس يعدونه خيرًا ابن زيد سمى الله تعالى المال
خيرًا وعسى ان يكون خبيثًا وحرامًا لشديد لبخيل ممسك يقال فلان شديد ومتشدد
قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه
لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه وقيل اراد لشديد لقوي والمعنى وانه لحب
المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقًا له ضابطًا وقيل اراد
انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور

اذا بعثت ونثر ما في القبور وحصل ميز وابرز ما فيها من خير او شر ان ربهم جمع الضمير لان الانسان اسم الجنس يومئذ لخبير عالم ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرته بهم والقراة بكسر الالف لاجل اللام فلولاها لكانت مفتوحة بوقوع العلم عليها ه

سورة القارعة مكية

وهي مائة واثنان وخمسون حرفا وست وثلثون كلمة واحدى عشر اية **قوله تعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ماهيه نار حامية ه القارعة القيامة لانها تقرع القلوب قيل البلية التي تقرع القلوب بشدة المخافة وقيل الصيحة التي ذكرت في القران وقيل هي النار وما القارعة اي هي عظيم الشان قطيعة الحال وما ادراك ما القارعة اي لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها يوم يكون ظرف منصوب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش كالطير الذي يتساقط في النار المبثوث المتفرق شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وقال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي ه وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وقيل كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا من الهول نظيره يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبغ الوانا المنفوش المندوف شبه الجبال بالعهن لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها فاما من ثقلت موازينه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخفف فهو في عيشة راضية ذات رضى وقيل في معنى مفعول اي مرضية وقيل راض صاحبها فالحذف الصاحب انث حملا على اللفظ واما من خفت موازينه فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا ه قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وما ذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل فامه هاوية اي مسكنه وماواه وهاوية من اسماء جهنم قتادة وعكرمة هام راسه هاوية منحدر في النار من اعلى الى اسفل وقيل فامه هاوية كانها النار

العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوى فيها سبعين خريفا اي فماواه النار وما ادريك ماهيه الضمير الراجع الى الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول وقيل الضمير للهاوية والهاء للسكت وقيل الى القارعة ثم فسر فقال نار حامية اي بلغت النهاية في الحرارة ه

سورة التكاثر مكية

وهي مائة وعشرون حرفا وثمان وعشرون كلمة وثمان ايات ه **قوله تعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ه الهاكم اشغلكم التكاثر التباهي والتفاخر بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه عليكم حتى زرتم المقابر ودفنتم فيها قتادة نزلت هذه الاية في اليهود حيث قالوا نحن اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وروي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم وقيل اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاشتياق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما يقول المنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله عز وجل وان هذا التنبيه لكم نصيحة وعليكم رحمة كلا تكرار التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة وقيل معناه لو تعلمون علم اليقين لشغلكم عن التكاثر والتفاخر وقيل معناه لو تعلمون علم اليقين لشغلكم ذلك عما انتم فيه ثم استانف لترون الجحيم على نية القسم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح

الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به لا مدخل فيه
للريب وكرر معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقيل لترون الجحيم يصلح
أن يكون في معنى المضي جوابا للو بعدين لو تعلمون علم اليقين لرأيتم الجحيم بقلوبكم ثم رأيتموها
بالعين اليقين وقيل ذكر كلا ثلاث مرات أراد تعلمون عند النزع وتعلمون في القبر وتعلمون في القيمة
ثم ذكر الثالثة علم اليقين لأنه صار عيانا ما كان مغيبا ثم لترونها عين اليقين أي الرؤية التي
هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار وقرأ ابن عامر والكسائي لترون
بضم التاء وفتح التاء في ثم لترونها والباقون بالفتح فيهما ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم عن النبي
صلى الله عليه وسلم عن النعيم عن الماء البارد وعنه صلى الله عليه وسلم عن الرطب وعن الماء البارد
وعن عبد الله بن عمر هو الماء البارد في الصيف وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أكل خبز البر وشرب
الماء البارد وكان له ظل فذلك الذي يسال عنه وعنه صلى الله عليه وسلم النعيم الأمن والصحة
وقيل عن النعيم عن اللهو والنعيم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه والنعيم الذي
يسال عنه الإنسان ويعاقب عليه هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا
ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه
مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده ويتقوى بها على دراسة
العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا
مسلمين

سورة والعصر مكية

قوله تعالى

وهي ثمانية وستون حرفا وأربع عشرة كلمة وثلث آيات
بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر
إلا الذين آمنوا وعملوا الصلحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ٥ والعصر
ابن عباس والدهر ابن كيسان الليل والنهار ويقال لهما العصران والغداة والعشي أيضا
عصران الحسن بعد زوال الشمس إلى غروبها قتادة آخر ساعة من ساعات النهار مقاتل
صلوة العصر أقسم الله تعالى بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله والصلوة الوسطى صلاة
العصر في مصحف حفصة بنت عمر رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقوله صلى
الله عليه وسلم من فاتته فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكاليف في أدائها أشق لتهافت الناس
في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم وقيل أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما
جميعا من دلائل القدرة وقيل أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس

بدليل

بدليل الاستثناء إن الإنسان لفي خسر أي خسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى أن الناس
لفي خسران من تجاراتهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم ليسوا في خسران وتواصوا وتحابوا
فأوصى بعضهم بالحق بالقرآن عن الحسن وقتادة وقال مقاتل الإيمان والتوحيد وقيل على العمل بالحق
وتواصوا بالصبر على أداء الفرائض وإقامة أمر الله وبالصبر عن المعاصي أراد أن الإنسان إذا عمر
في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع وخسران في تجارته إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا فإنهم تكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا
يعملونها في حال شبابهم وقوتهم وصحتهم وهو مثل قوله لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم
رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ٥ ٥

سورة الهمزة مكية

قوله تعالى

وهي مائة وثلثون حرفا وثلثون كلمة وتسع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده
يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدريك ما الحطمة نار الله
الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة في عمد ممددة ٥ ويل لكل
همزة من الهمز أي الكسر كالهزم لمزة من اللمز أي الطعن يقال لمزه ولهزه وطعنه والمراد
الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك
عادة منهم قد ضروا بها ونحوهما اللعنة التي تلعن الناس لعنا كثيرا والضحكة للذي يضحك
على الناس ضحكا كثيرا قال وإذا أغيب فأنت الهامز اللمزة أبو العالية والحسن وعطاء بن
أبي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل إذا أقبل واللمزة الذي يغتابه من خلفه
إذا أدبر وغاب ضده الكلبي نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة
تقع فيهم ويغتابهم مقبلين ومدبرين محمد بن إسحق ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت
في أمية بن خلف الجمحي مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه
وسلم ويطعن في وجهه مجاهد وغيره ليست خاصة لأحد بل لكل من كانت هذه صفته
الذي جمع مالا قرأ نافع وعاصم وابن كثير وأبو عمرو جمع بتخفيف الميم والباقون بالتشديد
وهو مطابق لعدده الذي جمع مالا قرأ نافع وعاصم وابن كثير وأبو عمرو جمع بتخفيف الميم
والباقون بالتشديد وهو مطابق لعدده الذي جمع بدل من كل وقيل في محل النصب على الذم
وعدده وأحصاه مقاتل استعده وادخره وجعله عتادا له وقيل جمع ماله وقومه الذين
ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد يحسب أن ماله أخلده في الدنيا أخلده وخلده بمعنى

اي طول المال امالُه ومنّاه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدًا في الدنيا لا يموت او يعمل من يشيد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيًّا وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدًا فيه كلا ردع له عن حسبانه وقيل يقول الله كذبت لينبذن ليقذفن ويطرحن في النار سميت بذلك لانها تحطم اي تكسر وما ادراك ما الحطمة تعجيب وتعظيم لها نار الله الموقدة تفسير لها التي تطلع على الافئدة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالمًا منه بادنى الاذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه قيل انما خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها وقيل تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها انها عليهم موصدة الكلبي مطبقة مغلقة في عمد قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم عُمُد بضمتين والباقون بفتحتين وهما جمعان لعمود مثل اديم وادم وادم وافيق وافق وافق والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج ويشعرهم بالحبس الى الابد فتوصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد استيثاقًا في استيثاق ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل فسدت عليهم بها الابواب قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي عمد مؤصدة على ابوابها ليتاكد ياسهم منها ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

سورة الفيل مكية

وهي ست وتسعون حرفا وعشرون كلمة وخمس ايات **قوله تعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرًا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول ٥ روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارًا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويًا عظيمًا واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرًا سودًا وقيل خضرًا

وقيل

وقيل بيضًا ويجوز ان يكون من كل صنف مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع من قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في تاريخ عام الفيل قال مقاتل كان امر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال الكلبي وعبيد بن عمير كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي ابل فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت واخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك … لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوًا محالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

يا رب لا ارجو لهم سواكا … يا رب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرية وهو اول جدري ظهر الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل والمعنى انك رايت اثار فعل الله باصحاب الفيل وسمعت الاخبار متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعًا ونحو قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان يفسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم وارسل عليهم طيرا ابابيل كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا الواحدة ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها

بالابابيل وارسل عليهم طيرا ابابيل كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا الواحدة ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزمة بالطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها من سجيل اى يرمى الطير اصحاب الفيل بحجارة من سجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه فجعلهم كعصف ماكول كزرع اكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزائه الزرع اذا اكل اى وقع فيه الاكال وهو ان تاكله الدود او تبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على اداب القران او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه وقيل شبه بتقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث مجاهد العصف ورق الحنطة قتادة هو التبن الحسن كنا ونحن غلمان بالمدينة ناكل الشعير اذا قصب وكان يسمى العصف سعيد بن جبير هو الشعير النابت الذي يوكل ورقه فيقطع اطراف الزرع قبل ان يسنبل ويدرك عكرمة فصار الحب اذا اكل فصار اجوف ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له المورج هو ما يقصف من الزرع فسقطت اطرافه

سورة قريش مكية

وهي ثلثه وسبعون حرفا وسبع عشرة كلمة واربع ايات قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

٥ لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين وانما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل لايلاف متعلق بما قبله اى فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرا المترجم لايلاف في الركعة الثانية من صلوة وقرا في الركعة الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترى احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم

يتخطفون

يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك الفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مولف قال من المولفات الرمل ادماء حرة وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وقيل قريش من التقرش وهو التكسب والتقلب والجمع والطلب وكانوا تجارا وكانوا على المال والافضال حراصا وسال معوية بن عباس رضي الله عنهما لم سميت قريش قريشا قال لدابة في البحر يقال لها القرش تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى قال معاوية وهل تعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال ان بحر وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل وقيل خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم عليه السلام ٥

سورة ارايت مكية

وهي مائة وثلثه وعشرون حرفا وخمس وعشرون كلمة وسبع ايات ٥

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ٥ ارايت هل عرفت الذي يكذب بالدين بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اى يقهر اليتيم ويزجره ويدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة والدع الدفع في جفوة ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علامة التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو امن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله عز وجل وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يوخرون الصلوة عن وقتها

ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلوة في السر اذا غاب الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا
شانه قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس مجاهد لاهون غافلون عنها
لا يبالي صلى او لم يصل الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاته لم يندم ابو العالية
لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وعنه ايضا هو الذي ان سجد قال برأسه
هكذا ملتفتا الضحاك هم الذين يتركون الصلاة الذين هم يراؤن الذين هم عادتهم الرياء باعمالهم
ويمنعون حقوق اموالهم عن عبد الله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك
الكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ابو عبيدة الماعون في الجاهلية كل
منفعة وعطية وعارية وهو في الاسلام الطاعة والزكوة تقول العرب دعني ما دمت حتى تعطيك
الماعون اي الطاعة والانقياد قطرب اصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا
معن اي شيء قليل وسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل
منعه كالملح والماء والنار والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين
والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلوة
وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم نرى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم
من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وقيل فذلك عطف على الذي يكذب اما عطف ذات على
ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني
وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال
فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع
ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير
مزكين اموالهم وانما جعلت المصلون وهو الجمع قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد
لان معناه الجمع لان المراد به الجنس والفرق بين عن صلاتهم وبين في صلاتهم ان معنى
عن صلاتهم انهم ساهون عن الصلوة سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل
المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في الصلوة ان السهو يعتريهم
فيها بوسوسة الشيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم شرع سجود السهو
في الصلوة واثبته الفقهاء في كتب الفقه وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في
صلوتهم يراؤن من المرآة هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه
الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق

الفرائض

الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها
اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة
بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا
للاقتداء به كان حسنا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح
على ان الاحتراز عن الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص الموفقين بالتأييد الالهي ٥

سورة الكوثر مكية

وهي اثنان واربعون حرفا وعشر كلمات وثلاث ايات **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانئك هو الابتر ٥ نزلت في العاص بن وائل وذلك انه رأى النبي صلى الله
عليه وسلم يخرج من المسجد وهما التقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش
في المسجد جلوس فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تحدث قال ذلك الابتر يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابتر فسمته قريش عند موت ابنه ابتر فانزل الله
انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد كثرة مفرطة كوثرا
سفيان بن عيينة قيل لعجوز رجع ابنها من السفر اب ابنك قالت اب بكوثر يعني بمال كثير
عن انس بن مالك بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه اذ اغفى اغفاءة او اغمي عليه
فرفع رأسه متبسما فقال هل تدرون مم ضحكت قالوا الله ورسوله اعلم فقال انه نزلت علي سورة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك حتى ختم فلما قرأها قال اتدرون ما الكوثر انه نهر
في الجنة وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير لذلك النهر حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته
عدد الكواكب فيختلج منهم العبد فاقول رب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك عن ابن عباس ان الكوثر الخير الكثير الذي اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم الحسن الكوثر
العلم والقرآن عكرمة النبوة عطاء الكوثر حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يكثر الناس
عليه روي في صفته على ما جاء في التفسير والاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف
الكوثر فقال حصباؤه الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وهو احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم
السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث
الرؤوس الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره

لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فصل لربك صلوة العيد يوم النحر
وانحر نسكك انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر قبل ان يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر
سعيد بن جبير ومجاهد فصل لربك صلوة العصر المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال بعضهم
نزلت هذه الاية يوم الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وصدوا عن البيت
فامره الله تعالى ان يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
فصل لربك وانحر وضع اليد اليمنى على ساعده اليد اليسرى ثم وضعهما على صدره والمعنى اعطيت
ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احدا غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين
فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفر من اكرم معط واعظم منعم
فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير
الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان شانئك هو الابتر يعني ان عدوك
ومبغضك هو الاقل الاذل المنقطع دابره الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المومنين
هم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر
يبدا بذكر الله عز وعلا ويثني بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له
ابتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا
صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاصي بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب
له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له ه ه ه

سورة الكافرون مكية

وهي اربعة وتسعون حرفا وست وعشرون كلمة وست ايات قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون
ما اعبد لكم دينكم ولي دين ه قل يا ايها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون
قد علم الله منهم انهم لا يومنون نزلت في رهط من قريش هم الحارث السهمي والعاصي بن وائل
والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن امية بن خلف
قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك
سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك
فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤوسهم فقراها عليهم فايسوا منه
عند ذلك واذوه واذوا اصحابه لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في الحال

ولا

ولا انا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وقيل نزل
القران بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام
كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان افتنان المتكلم والخطيب وخروجه
من شيء الى شيء افضل من اختصاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فباي الاء ربكما
تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في غير موضع من سورة واحدة وقال كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
وقال وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين وقال فان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرا كل هذه يراد بها التاكيد وقد يقول القائل ارم ارم عجل عجل ومنه الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم صعد المنبر ذات يوم فقال ان بني مخزوم استاذنوا ان ينكحوا فتاتهم عليا فلا اذن ثم
لا اذن لانه فاطمة بضعة مني يسرها ما يسرني ويسوءها ما يسوءني وقال الاخر يا علقمه يا علقمه
خير تميم كلها واكرمه قال صاحب الكشاف لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل
الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى
لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة
الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني عبادة
صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام فلا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت
ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام
قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان
المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم الشرك ولي دين الاسلام قرا نافع وحفص وهشام ولي بفتح الياء
والباقون بسكونها وهذه الاية منسوخة باية السيف ه ه ه

سورة النصر مدنية

وهي تسعة وسبعون حرفا وسبع عشرة كلمة وثلث ايات قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ه
اذا جاء اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل وقوعه من اعلام النبوة
بنصر الله على من عاداك وناواك والنصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض
اي اغاثها والفتح فتح البلاد بمان فتح المداين والقصور وعامة المفسرين على انه فتح مكة والمعنى
نصر الله الرسول صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية كان فيما اشترطوا ان من احب

ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش
وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان بينهما شر قديم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا دخلنا في الحرم الهك الهنا
فقال كلمة عظيمة لا اله لي اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فيه فلعمري انكم لتسرقون في الحرم فلا تصيبون
ثاركم منه فلما دخلت خزاعة مكة لجوا الى دار بديل بن ورقا الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع فلما
تظاهرت قريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله من العهد
بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس
فقال لا هم اني ناشد محمدا وذكر الابيات الى قوله هم بيتونا بالوتير هجدا فقتلونا ركعا وسجدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن
سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فاخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس
كانكم بابي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقا فلقوا ابا سفيان
بعسفان بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد في العقد ويزيد في المدة وقد
رهبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل فظن انه قد اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل او في بطن هذا الوادي قال او ما
اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان المدينة لقد علف بها النوى
فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد اتى بديل محمدا
ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته ام حبيبة فلما
ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته فقال يا بنية اوغبت بي عن الفراش
ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم احب
ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج
حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه فكلمه وسأله ان يكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه فقال ما انا
بفاعل ولا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد احدا الا الذرية لجاهدتكم ثم

خرج

خرج فدخل على علي رضي الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها
الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك اوفى القوم رحما واقربهم
قرابة وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت
الى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون
سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما يجير على رسول الله احد
فقال يا ابا حسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيئا يغني عنك شيئا
ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال
لا والله لا اظن ثم قال لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد اني قد اجرت بين الناس ثم
ركب بعيره فانطلق فلما ان قدم على قريش قالوا ما وراك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا
ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت بن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم
جئت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشي صنعته فوالله ما ادري
هل يغني شيئا ام لا فقالوا وماذا امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل
اجاز ذلك محمد قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بالجهاد وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عايشة رضي الله عنها وهي
تصلح بعض جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت ما ادري ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه ساير الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ
العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وخرج عامدا الى مكة لعشر
مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس
معه حتى اذا كان بالكديد افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران في
عشرة الاف من المسلمين ولم يكن يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزبير على خيل المهاجرين والانصار واعطاه رايته وامره بغرزها
باعلا مكة بالحجون وقال للزبير لا تبرح حيث امرتك ان تغرز رايتي حتى اتيك ثم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة وضربت هنالك قبة وامر خالد بن الوليد فيمن كان اسلم
من قضاعة وبني سليم واناس انما اسلموا قبل ذلك وامره ان يدخل من اسفل مكة وفيها
بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم

قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة ابن ابي جهل وسهيل بن عمرو
كانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين
بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا سعد بن عبادة
ان يدخل في بعض الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل
الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نامن ان
يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ادركه فخذ
الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلا مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد
فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلهم فهزمهم ولم يكن بمكة قتال غير ذلك
وقتل من المشركين اناس قريب من اثنا عشر او ثلثة عشر ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة
من خيل خالد بن الوليد ورجلان كانا في جبل فشذا عنه وسلكا طريقا اخر غير طريقه فقتلا جميعا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة
ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا انه عهد في نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار
الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله انه كان
قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان فكان اخاه من الرضاع فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له فصمت رسول الله عليه السلام طويلا
ثم قال نعم فلما انصرف به عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من اصحابه اما والله
لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله
فقال ان النبي لا يقتل بالاشارة وعبد الله بن خطل رجل من تيم بن غالب وانما امر بقتله انه كان
مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له مولى يخدمه وكان مسلما ونزل منزلا وامر
المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله
ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان وكانتا يغنيا بهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما
معه والحويرث بن نقيل وكان ممن يوذيه بمكة ومقيس ابن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري
الذي قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا وعكرمة ابن ابي جهل وسارة مولاة كانت بني عبد
المطلب وكانت ممن توذيه بمكة فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحارث
فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان عكرمة يحدث ان الذي رده الى الاسلام بعد خروجه الى اليمن انه كان
يقول اردت ركوب البحر لالحق بالحبشة فلما اتيت لاركب السفينة قال صاحبها يا عبد الله

لاتركب

لاتركب سفينتي حتى توحد الله عز وجل وتخلع ما دونه من الانداد فاني اخشى ان لا تفعل
ان نهلك فيها قلت وما يركبها احد الا قال هذا قال نعم لا يركبها احد الا اخلص قلت ففيم فارق
محمدا صلى الله عليه وسلم فهذا الذي جانا به فوالله ان الهنا في البحر الهنا في البر
فعرفت الاسلام عند ذلك ودخل في نفسي واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن الحرث المخزومي
وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من
قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احديهما وهربت الاخرى حتى استومن لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامنها واما الحويرث ابن نقيل فقتله علي رضي الله عنه فلما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة وقف قائما على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل ماثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين
الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج الا وقتل الخطا بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة منها
اربعون خلفة في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالاباء الناس من ادم وادم خلق من تراب ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله
عليم خبير يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقا فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله سبحانه امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيا
فلذلك يسمى اهل مكة الطلقا ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
فجلس لهم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل من مجلسه ياخذ على الناس البيعة فبايعوه على السمع
والطاعة وقال عروة بن الزبير خرج صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف
نفسه في البحر فامنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو امن قال يا رسول الله اعطني ما يعرف به
امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى
ادركه بجدة وهو يريد يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك في نفسك ان تهلكها
فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جيتك به فقال له ويلك اغرب عني فلا تكلمني
قال يا صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس عمك عزك
وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع معه
حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا زعم انك امنتني قال
صدق قال فاجعلني في امري بالخيار شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر ولما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة ابن ابي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبعري الى نجران

فرمي حسان ابن ثابت عبد الله بن الزبعري وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه

لا تعدمن رجلا احلك بغضه نجران في عيش احذ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعري رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم واما هبيرة ابن ابي وهب فقد اقام بمكة كافرا وقال حين بلغه اسلام هانئ بنت ابي طالب وكانت تحته واسمها هند

اشاقتك هند ام اتاك سؤالها كذلك النوى اسبابها وانتقالها

وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف من بني غفار اربع مائة ومن اسلم اربعمائة ومن مزينة الف ومن بني سليم سبعمائة ومن جهينة الف واربعمائة وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف من العرب من تميم وقيس واسد وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة فقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنين ورايت الناس يدخلون في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين الحسن لما فتح رسول الله عليه السلام مكة قالت العرب بعضها لبعض اما اذا ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان وكانوا يدخلون في دين الله افواجا عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهم لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح جاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ويدخلون في محل النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت وقيل هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له انه كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع منك مثل ذلك وقيل انه كان توابا فانك حينئذ لاحق به وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرتقب الزوال كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهم كانت يدنيه ويأذن له مع اهل

بدر

بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح الاية ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فسالني فقلت ليس كذلك ولكن اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور اجله ونعيت اليه نفسه فذلك علامة موته فقال عمر رضي الله عنه ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال نعيت الي نفسي بانه مقبوض في تلك السنة قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عبد الله لما نزلت فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انك انت التواب وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله يكثر ان يقول قبل ان يموت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك قالت قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي اراك قد احدثتها تقولها قال جعلت لي علامة في امتي اذا رايتها اذا جاء نصر الله والفتح الى اخر السورة وعنها رضي الله عنها اذا جاء نصر الله ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الا قال سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي مقاتل لما نزلت هذه الاية وقراها على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وابائنا واولادنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع

سورة تبت مكية

وهي سبعة وسبعون حرفا وثلث وعشرون كلمة وخمس ايات قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب في جيدها

حبل من مسد ٥ عن ابن عباس لما انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من
رجل يجي ومن رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب
يا بني فهر يا بني لوي لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لكم ساير هذا اليوم ما دعوتموني الا لهذا
فانزل الله تعالى تبت اي خابت وخسرت يدا ابي لهب اي نفسه هو اخبر عن يديه والمراد به
نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله كقوله فبما كسبت ايديكم وقدمت ايديكم
بما كسبت يداك ونحوها التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم
والتعجيز وتب معناه وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب
العاويات وقد فعل قال صاحب الكشاف فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه
ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما
وكذلك يجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء
وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرا يدا ابي لهب كما قيل علي بن ابي
طالب ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير
مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى
فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله
كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب
وجنته واشراقها فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك ما اغنى عنه ماله ابن مسعود
لما دعا رسول الله اقربيه الى الله قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي
فانزل الله ما اغنى عنه ماله ما استفهام في معنى الانكار ومحلها النصب اي اي شيء اغنى عنه
ماله وقيل ما نفي اي لم يغن عنه ماله من عذاب الله وما كسب مرفوع معطوف على ماله وما
موصولة بمعنى مكسوبه او مصدرية بمعنى كسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني
راس المال والارباح ابو العالية ماله يعني اغنامه وكان صاحب سائمة وما كسب يعني
وما كسب من نسلها ومنافعها وقيل ماله الذي ورثه من ابيه عبد المطلب والذي كسبه
بنفسه وقيل ماله التالد والطارف وعن ابن عباس وما كسب ولده عن ابي الطفيل كنت
عند ابن عباس يوما فجاءه بنو ابي لهب يختصمون في شيء بينهم فاقتتلوا عنده فقام يحجز بينهم فدفعه

بعضهم

بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولده
انهم كسبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل احدهم من كسبه الضحاك
ما نفعه ماله الخسيس يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة
عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله الى ما عملوا من عمل سيصلى السين للوعيد اي هو كائن
لا محالة وان تراخى وقته نارا ذات لهب وامراته ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي
سفيان وكانت عوراء حمالة الحطب نقالة الحديث والكذب ابن عباس ومجاهد وقتادة
والسدي كانت تمشي بالنميمة تقول العرب فلان يحطب على فلان اذا وشى واغرى قال
الاعشى من البيض لم تصعد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الجزل ٥ يعني لم تمش
بالنمائم الضحاك وابن زيد كانت تاتي بالشوك والعضاه فتطرحها في طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه لتعقرهم الربيع ابن انس كانت تبث السعدان على طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيطاه كما يطا احدكم الحرير مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم بحزمة من الحسك
والشوك والسعدان فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات يوم تحمله اعيت فقعدت
على حجر تستريح فاتى ملك يجذبها من خلفها فاهلكها سعيد بن جبير حمالة الخطايا دليله قوله وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم وتقول العرب فلان يحطب على ظهره اذا اساء قرا عاصم حمالة
بالنصب على الذم والباقون بالرفع على تقدير سيصلى نارا هو وامراته فيكون امراته عطفا على
الضمير في سيصلى وحمالة بدل منها وقيل تقديره وامراته حمالة الحطب في النار ايضا وقيل الحطب
هاهنا النميمة يعني انها كانت تحملهم بالنميمة على معاداته والعلة في تشبيههم النميمة بالحطب
هي ان الحطب توقد وتضرم كذلك النميمة قيل النميمة نار محرقة وان الحطب تصير نارا او النار سبب
التفريق وكذلك النميمة في جيدها في عنقها حبل من مسد ابن عباس وعروة بن الزبير سلسلة
من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها السدي
حلق الحديد وهي السلسلة تختلف في جهنم كما يختلف الحبل والدلو في البير مجاهد من مسد من
حديد يكون في البكرة يقال له المحور الشعبي ومقاتل من ليف الضحاك وغيره في الدنيا من ليف وهو
الحبل الذي كانت تحتطب به فخنقها الله به فاهلكها وفي الاخرى من نار سعيد بن المسيب كانت
لها قلادة في عنقها فاخرة فقالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ابن زيد حبال من شجر
تنبت باليمن يقال لها مسد وكانت تفتل والمسد في كلام العرب الذي فتل من الحبال فتلا شديدا
من ليف كان او جلدا او غيرهما قال الشاعر ومسد امر من ايانق ودابة ممسودة الخلق ٥ اذا كانت
شديدة الاسر والمعنى في جيدها حبل مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها

في جيدها كما تفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحصيرًا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس
الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي أم ما تعير
من حمالة الحطب غرا ساد خمي في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ناعب الحسب ويحتمل أن يكون
المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال
على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد
من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه ٥ ٥ ٥

سورة الإخلاص مكية

وهي سبعة وأربعون حرفا وخمس عشرة كلمة وأربع آيات **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد. الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوًا أحد ٥ روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وروى مسلم في افراده
من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تعدل ثلث القرآن وعن أبي بن كعب أن
المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة وعن ابن
عباس أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا أمن ذهب
هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وعن الضحاك وقتادة ومقاتل
جاء ناس من أحبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن
بك فان الله تعالى أنزل نعته في التورية فأخبرنا من أي شيء هو ومن أي جنس من ذهب هو أم من نحاس
أم من صفر أم من حديد أم من فضة وهل يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها فأنزل الله
هذه السورة وهي نسبة الله خاصة الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسبعة أساقفة من بني الحرث بن كعب فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم صف لنا ربك من أي شيء هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ربي ليس هو من شيء
وهو بائن عن الأشياء فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد مبتدأ وخبر والجملة هو الشأن كقولك
هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله عز وجل واحد لا ثاني له وهو مبتدأ والجملة خبره
ولا يحتاج الى الراجع لأن هذه الجملة حكمها حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى
وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا
والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وقيل هو مبتدأ والله خبره أحد بدل من الله

يعني الذي

يعني الذي تسألون وصفه هو الله أحد وقيل هو واحد وقيل أحد وواحد بمعنى واحد وأصله
وحد وفرق قوم بينهما فقال بعضهم الواحد للفصل والأحد للغاية وقيل أحد بذاته واحد
بصفاته وقيل أحد بذاته واحد بصفاته وقيل ان الواحد يدل على أزليته وأوليته لأن
الواحد في الأعداد ركنها وأصلها ومبدأها والأحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته
ونفي أبواب الشرك عنه فالأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد فأحد يصلح
في الكلام في موضع الجحود والواحد في موضع الاثبات تقول لم يأتني منهم أحد وجاءني منهم واحد
معناه أنه لا واحدا ثاني ولا اثنان وإذا قلت جاءني منهم واحد فمعناه أنه لم يأتني اثنان وقال
ابن الأنباري أحد في الأصل واحد ابن عطاء قل هو الله أحد هو المنفرد بإيجاد المفقودات والمتوحد
باظهار الخفيات الله الصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه إذا قصده وهو السيد المصمود اليه
في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتعرفون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد
متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني
عنهم ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد ابن جبير الصمد الذي لا جوف له سعيد بن المسيب
الذي لا حشو له الشعبي الذي لا يأكل ولا يشرب القرظي تفسيره ما بعده عن أبي بن كعب الصمد الذي
لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يرث الا سيورث وان الله تعالى
لا يموت ولا يورث أبو وائل هو السيد الذي قد انتهى سؤدده عن ابن أبي طلحة هو السيد الذي
قد كمل في جميع أنواع الشرف والسؤدد قتادة الصمد الباقي بعد خلقه عاصم ومعمر هو الدائم
علي بن موسى الرضا هو الذي آيس العقول عن الاطلاع على كيفيته محمد بن علي الترمذي
هو الأول بلا عدد والباقي بعد العدد والقائم بلا عمد الحسين بن الفضل هو الأزلي
بلا ابتداء وقيل هو الذي جل عن شبهة المصورين وقيل هو غني عن البحوث والتأليف عن
ذاته علي رضي الله عنه الذي ليس فوقه أحد السدي هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث
عند المصائب يمان الذي لا ينام كعب الأحبار الذي لا يكافئه من خلقه أحد مقاتل بن حيان الذي
لا عيب فيه الربيع الذي لا تعتريه الآفات سعيد بن جبير أيضا الكامل في جميع صفاته وأفعاله
أبو هريرة هو المستغني عن كل أحد والمحتاج اليه كل أحد مرة الهمداني الذي لا يبلى ولا يفنى الحسين
ابن الفضل أيضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه محمد بن
علي أيضا الصمد الذي لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا تبلغه الأنظار وكل شيء عنده
بمقدار ابن عطاء الصمد الذي لم يبق عليه أثر فيما أظهر الجنيد الذي لم يجعل لأعدائه سبيلا
الى معرفته وقيل هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته ولا يسع له اللسان ولا يشير اللسان ابن عطا

انما هو المتعالي عن الكون والفساد جعفر الصادق للغالب الذي لا يغلب الذي لم يحط بخلقه
من معرفتها الا الاسم والصفة وقال الصمد خمس حروف الالف دليل على احديته واللام دليل على
الالهية وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران في الكتابة فدل ذلك على ان احديته
واللام دليل على الالهية وهما مدغمان لا يظهران على البيان وتظهران في الكتابة فدل ذلك
على ان احديته والهيته خفية لا تدرك بالحواس وانه لا يقاس بالناس فخفاؤه في اللطف
دليل على ان العقول لا تدركه ولا تحيط به علما واظهاره في الكتابة دليل على انه يظهر في قلوب
العارفين ويبدو لاعين المحبين في دار السلام والصاد دليل على صدقه فوعده صدق وقوله
صدق وفعله صدق ودعا عباده الى الصدق والميم دليل على ملكه فهو الملك على الحقيقة والدال
علامة دوامه في ابديته وازليته لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد
وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث
وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكن له كفوا احد اي لم يماثله ولا يشاكله
فيجوز ان يكون من المكافاة في النكاح بغيا للصاحبة قرا حمزة ويعقوب ساكنة الفاء مهموزة ومثله
روى العباس عن ابي عمرو واسمعيل عن نافع وحفص عن عاصم مثقلة غير مهموزة والباقون
مثقلا مهموزا وكلها لغات صحيحة فصيحة ومعناه المثل احد اي هو احد وانما قدم الظرف الذي
هو لغو غير مستقر والاصل ان يؤخر مثل هذا الظرف في الكلام العربي الفصيح لان هذا الكلام انما
سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا مصبه و [...] هذا الظرف فكان ذلك
اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصف
الباري سبحانه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة الى من هو
خالق الاشياء وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه
واقعا على غاية الاحكام والاتساق والانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله
احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس محتاجا الى غيره وكل مخلوق
محتاج اليه فهو غني على الاطلاق وهو يستدعي ان لا يكون له غرض في خلقه الاشياء وقوله لم يولد
وصف بالقدم والازلية وقوله لم يلد نفي للتشبيه والمجانسة وقوله لم يكن له كفوا احد
تقرير لذلك وتثبيت للحكم به سيل رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن تفسير هذه السورة
فقال هو احد بلا تاويل عدد الله الصمد بلا تبعيض وافتقار لم يلد فيكون موروثا
هالكا ولم يولد فيكون الها مشاركا ولم يكن له من خلقه كفوا احد ابو علي الرودباري وجدنا
انواع الشرك ثمانية النقص والتالف والكثرة والعدد وكونه علة ومعلولا والاشكال والاضداد

فنفى الله

فنفى الله تعالى عن صفته نوع العدد والكثرة بقوله قل هو الله احد ونفي النقص والتالف
بقوله الله الصمد ونفي العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفي الاشكال والاضداد بقوله
ولم يكن له كفوا احد خصصات الوحدانية قيل في تفسير هذه السورة انظر الى كمال
حقائق هذه السورة اشار اولا الى هويته المحضة التي لا اسم لها الا انها هو ثم عقبه بذكر
الالهية التي هي اقرب اللوازم لتلك الحقيقة واشدها تعريفا ثم عقبه بذكر الاحدية
لفائدتين الاولى ان لا يقال ترك التعريف الكامل بترك المقومات وعدل الى ذكر اللوازم
الثانية ليدل على انه في ذاته واحد من جميع الوجوه ورتب الاحدية على الالهية ولم يرتب
الالهية على الاحدية فان الالهية عبارة عن استغنائه عن الكل وافتقار الكل اليه
وما كان كذلك كان الها واحدا مطلقا والا لكان مفتقرا الى اجزائه فالالهية من حيث هي
هي تقتضي الاحدية والاحدية لا تقتضي الالهية ثم عقب ذلك بقوله الصمد فدل على تحقيق
معنى الالهية بالصمدية التي معناها وجوب الوحدة والبداية لوجود ما عداه من الموجودات
ثم عقب ذلك ببيان انه لا يتولد عنه غيره لانه غير مولود متولد من غيره وبين انه اذا كان
الها لجميع الموجودات فياضا للوجود عليها لا يجوز ان يفيض الوجوب على غيره وبين انه
اذا كان الها لجميع المخلوقات لم يكن وجوده من فيض غيره ثم عقب ذلك ببيان انه
ليس في الوجود ما يساويه في قوة الوجود فمن اول السورة الى قوله الله الصمد في بيان
حقيقته وانه غير مركب اصلا ومن قوله لم يلد الى قوله كفوا احد في بيان انه ليس له
ما يساويه من نوعه ولا من جنسه لا بان يكون متولدا عنه ولا بان يكون هو متولدا
عنه ولا بان يكون هو موازنا له في الوجود وبهذا القدر يحصل معرفته ولما كان الغرض
الاقصى من طلب العلوم باسرها معرفة ذات الله وصفاته وكيفية صدور افعاله
عنه وهذه السورة دالة على سبيل الايماء والرمز على ما يتعلق بذاته لا جرم كانت معادلة
لثلث القران قال الامام الله اسم لمن هو خالق هذا العالم ومدبر له والصمد في اللغة
عبارة عن المصمت وهذا في حق الله محال فوجب حمله على كونه فردا منزها عن جميع
جهات التركيب لان الصمد هو الذي لا جوف له والفرد المطلق من كل وجه لا يكون
له ظاهر وباطن فصح حكم الصمد لارادة الفرد المطلق وانما قدم ذكر قوله الله على قوله
الصمد لانا في المرتبة الاولى نعرف كونه خالقا لهذا العالم ومدبرا له وفي المرتبة
الثانية ان الامور التي لاجلها افتقر هذا العالم الى الخالق وجب نفيها عن ذلك الخالق
لئلا يلزم التسلسل او الدور وتلك الامور هي التركيب والحاجة والامكان فلما كان اول

علم الخلق فالله هو العلم بكونه خالقاً ثم يتوسل بذلك الى العلم بكونه فرداً مطلقاً منزهاً عن جهات
التركيب لاجرم وقع قوله الله مقدماً على قوله الصمد لتكون الترتيب اللفظي مطابقاً للترتيب
العقلي اذا عرفت هذا فنقول قوله الله يدل على كونه تعالى خالقاً لهذا العالم وقوله الصمد
يدل على كونه تعالى منزهاً عن جهات التركيب واما كونه تعالى خالقاً لهذا العالم فيدخل
في جميع الصفات السلبية اما بيان المقام الاول فهو ان كون العالم مركباً دل على انه ممكن
الوجود وكل ممكن فلا بد وان يكون مستنداً الى المؤثر وافتقاره الى المؤثر اما ان يكون حال عدمه
او حال حدوثه او حال بقائه والقسم الثالث محال والا لزم افتقار الموجد الموجد بوجده وذلك
محال لان تكوين الكائن محال في العقول فبقي ان يكون افتقار العالم الى المؤثر اما حال عدمه او حال
حدوثه وعلى التقديرين يلزم حدوث العالم واذا ثبت حدوث العالم وجب قدم الصانع اذ لو كان
حادثاً لافتقر ايضاً الى صانع آخر ولزم التسلسل او الدور وهما محالان واذا ثبت حدوث العالم
وقدم الصانع فنقول تأثير الصانع في وجود العالم اما ان يكون بالطبع والايجاب او بالقدرة
والاختيار والاول باطل لان العلة لا ينفك عن المعلول فيلزم من قدم الباري قدم العالم ومن
حدث العالم حدوث الباري وذلك يوجب الجمع بين النقيضين وهو محال فثبت ان تأثيره
في وجود العالم بحيث ان يكون بالقدرة والاختيار فثبت ان اله العالم قادر مختار والقادر
اذا فعل الفعل المتقن المحكم يجب ان يكون عالماً فثبت ان اله العالم عالم وايضاً القادر لا بد وان
يخصص فعله بوقت معين دون ما قبله وما بعده وذلك المخصص يجب ان يكون بالارادة
فثبت ان اله العالم يجب ان يكون مريداً وايضاً لما ثبت انه قادر عالم مريد وجب ان يكون
حياً لان بديهة العقل شاهدة بان الميت لا يكون قادراً عالماً مريداً فثبت ان قولنا الله دل
على هذه الصفات الثبوتية واما الصمد فانه دل على انه فرد مطلق وكونه فرداً مطلقاً دل
على احوال الحالة الاولى انه اذا كان فرداً يمتنع ان يكون جسماً لان كل جسم مركب ويمتنع
ان يكون متحيزاً لان كل متحيز مركب واذا ثبت انه ليس بمتحيز امتنع ان يكون مختصاً بالحيز
والجهة او حالاً في المتحيز والا لكان محتاجاً الى محله فحينئذ يحصل هناك حال ومحل فلا يكون
فرداً صمداً فثبت ان الصمد لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا حالاً في شيء ولا محلاً لشيء ولا مركباً من
اشياء البتة الحالة الثانية انه لما كان صمداً بمعنى كونه كان فرداً امتنع ان يكون له ضد وند
لانا لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما لاشتركا في الوجوب بالذات ولتباينا بالتعين
وما به المشاركة غير ما به المخالفة فيكون كل مركباً من الوجود الذي به يشارك الآخر ومن
التعين الذي به يشارك الآخر ومن التعين الذي به تباين الآخر وكل مركب ممكن فيلزم من فرض

موجودين

موجودين واجبي الوجود لذاتهما كونهما ممكني الوجود لذاتهما وما افضى وجوده الى عدمه فهو
محال فثبت انه يستحيل ان يحصل في الوجود موجود واجب الوجود لذاته الا الواحد فثبت
ان قوله الصمد يدل على جميع الصفات السلبية واعلم ان الصفات السلبية هي المسميات
في القرآن بصفات الجلال والصفات الثبوتية هي المسميات في القرآن بصفات الاكرام كما قال
تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام فمن عرف معنى قوله الله احد الله الصمد فقد عرف
الله بجميع صفات الجلال والاكرام وقد بينا ان صفات الاكرام لا تعرف قبل العلم بصفات الجلال
فلهذا السبب كان ذكر قوله الله احد مقدماً على ذكر قوله الصمد واما قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفواً احد فاعلم ان المحققين جرت عادتهم ان يذكروا في اول الباب الاصل والقاعدة ثم
يخرجون عليه المسائل فها هنا وقع ترتيب هذه السورة على هذا المنهاج لانه ذكر اولاً كونه الهاً
ثم توسل بكونه الهاً الى كونه صمداً على ما حققنا لانه رتب على كونه صمداً احكاماً ثلثة اما الاول قوله
لم يلد فالمعنى انه لم يتولد عنه غيره ولان الولد عبارة عن ان ينفصل عنه بعض من ابعاضه ثم
يربى فيصير مساوياً له في الذات والحقيقة وهذا محال لان انفصال البعض منه انما يمكن اذا
كان في نفسه مركباً والمركب لا يكون احداً صمداً فامتنع ان يتولد عنه غيره والحكم الثاني قوله
لم يولد انه لم يولد من غيره اي انه غير مولود من غيره لانه لو كان كذلك لكان محدثاً محتاجاً الى
الموجد فلم يكن الهاً لكل المحدثات فامتنع كونه متولداً من غيره وايضاً لو فرضنا انه تولد من غيره
فذلك الغير كان مركباً وكل مركب ممكن فذلك الغير ممكن وهو انما تولد عنه فيكون وجوده متولداً
عن موجود ممكن الوجود فهذا هو بالامحالة اولى فثبت ان كونه احداً صمداً ينافي كونه والداً
او ولداً والحكم الثالث قوله تعالى ولم يكن له كفواً احد وتقريره انا لو فرضنا مكافياً له في الوجود
لكان ذلك المكافي له اما ان يكون ممكناً وهو محال لان الممكن محتاج الى الغير والمحتاج لا يكون
مكافياً للغني واما ان يكون واجباً واجب الوجود اكثر من واحد وقد بينا فيما تقدم انه لو حصل في
الوجود موجودات وكان كل واحد منهما واجباً لذاته لاشتركا في الوجوب الذاتي واختلفا في
التعين فيكون كل واحد منهما مركباً وكل مركب ممكن فيلزم من فرض موجودين واجبين كون كل
واحد منهما ممكناً لذاته مركباً في حقيقته ولما كان فرداً صمداً امتنع حصول التركيب فيه فهذا
تفسير هذه السورة على وفق القوانين العقلية ومن تأمل حق التأمل علم ان المعقول لا يرتقي في
المباحث الالهية الى مقام اعلى منه قال صاحب الكشاف فان قلت لم كانت هذه السورة
عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها تعدل ثلث القرآن قلت لامر ما يسود من يسود وما
ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلاً من اعترف بفضلها وصدق

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله عز وجل بمكان وكيف لا يكون ذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا مع العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا دليلا على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة ٥

سورة الفلق مدنية

وهي اربعة وسبعون حرفا وثلث وعشرون كلمة وخمس ايات وعن الحسن وعطا وعكرمة وجابر انها مكية والاول اصح ويدل عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عايشة رضي الله عنها فنزلت عليه المعوذتان ذكر القصة التي هي سبب نزولها قال ابن عباس وعايشة رضي الله عنهم دخل بعضها في بعض كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بير لبني زريق يقال لها ذروان ويقال اروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر راسه ولبث ستة اشهر يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه وبينما انه يفعل الشيء وما يفعله فبينا هو نايم اذا تاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد ابن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بير ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة صخرة تترك في اسفل البير اذا احتفرت فاذا ارادوا تنقية البير جلس المنقي عليها فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عايشة اما شعرت ان الله اخبرني بداي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ما تلك البير كانه نقاعة الحنا ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله المعوذتين فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت

العقده

العقدة الاخيرة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من عين وحاسد والله يشفيك فقالوا يا رسول الله افلا ناخذ الخبيث فنقتله فقال صلى الله عليه وسلم اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عايشة رضي الله عنها ما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا سمعه من احد لنفسه قط الا ان يكون شيا هو لله فيغضب لله وينتقم

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ٥ جابر ابن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والقرظي وابن زيد الفلق الصبح والفرق ايضا الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وهذا رواية العوفي عن ابن عباس والذي يدل على هذا قوله تعالى فالق الاصباح الحسن كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك قال الله فالق الحب والنوى ابن عباس هو سجن في جهنم عن عبد الجبار الخولاني قدم رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى دور اهل المدينة وما هو فيه من العيش والنضارة وما وسع عليهم في دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق قيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وقيل عن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال ذلك الكلام الضحاك والوالبي عن ابن عباس الخلق السدي ووهب هو جب في جهنم الكلبي هو واد في جهنم عبد الله بن عمرو شجرة في النار محمد الترمذي عطف الله على قلوب خواص عباده فقذف النور فيها فانفلق الحجاب وانكشف الغطا وقيل فلق المكنون من القلوب فاماده على الالسنة وقيل اشار الحق الى جميع خلقه في معنى القطيعة عنه بكلمة واحدة وهي من لطايف القران قل اعوذ برب الفلق وفالق الاصباح وفالق الحب والنوى وفلق البحر لموسى وفلق الاسماع والابصار وفلق القلوب حتى انكشف له قال النبي صلى الله عليه وسلم سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره وفلق الصدور وفتقها وشرحها لتدارك ما جرى فيها من المباشرة وقيل امر بالاستعاذة برب الفلق فلق ظلمة العدم بنور الوجود وانما قال برب الفلق ولم يقل باله الفلق لان الرب للمربوب والمربوب لا يستغني في شي من حالاته عن الرب انظر الى الطفل الذي يربيه والده ما دام مربوبا هل يستغني عن الرب ولما كانت الماهيات

الممكنة غير مستغنية في شيء من اوقات وجودها ولا احوال ثبوتها عن الباري تعالى ذكر ذلك
بلفظ الرب ولم يذكر بلفظ الاله فان الافعال غير محتاجة الى الاله من حيث هو اله فان الاله
من حيث هو اله يستحق العبادة والمربوب لا يكون مقولا بالقياس الى المستحق للعبادة فالعلة
لابد له من خالق ورب موثر ولا يحتاج الى المعبود من حيث هو كذلك من شر ما خلق اي من شر
كل شيء سوى الله وصفاته وقيل من شر خلقه وشرهم ما يفعله المخلوقون من المعاصي والماثم ومضارة
بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعل غير المكلفين من الاكل والنهش
واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وصفه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار
والقتل في السم الحسن شر ما خلق ابليس وذريته وقيل جهنم ومن شر غاسق ليل اذا وقب اذا اعتكر
ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت الجراحة
امتلات دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت **وفي الحديث**
لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلا روت
عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاشار الى القمر فقال
يا عايشة تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ابن قتيبة الغاسق القمر اذا
كسف فاسود ومعنى وقب دخل في الكسوف وقيل انه النجم عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب قال النجم اذا طلع ابن زيد الثريا ١
اذا سقطت وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها
واصل الغسق الظلمة والوقوب والمعنى ومن شر مظلم اذا دخل بان سكن بظلامه وقيل
سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد قال صاحب الكشاف ويجوز ان
يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة
الثريد والتعوذ من شر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه العذر واسند الشر اليه لملابسته
له من حدوثه فيه ومن شر النفاثات ابن قتيبة هن السواحر يعني اي ينفثن اذا سحرن
ورقين الزجاج يتفلن بلا ريق كانه نفخ يقال نفث ينفث نفثا اذا نفخ معه ريق ومعنى تفل نفخ
نفخا معه ريق وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللواتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى الاستعاذة
من شرهن قلت فيه ثلثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن
اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن

والثالث

والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من باطلهن من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد
بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في
العقد وقيل يجوز ان يراد بهن اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن
كانهن يسحرنهم بذلك ومن شر حاسد اذا حسد قال الحسين بن الفضل جمع الله سبحانه الشرور
في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطبايع اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل
بمقتضاه من بغي الغوايل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده
بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم
من حاسد ويجوز ان يراد بالحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهار اثره فان قيل
قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان
من حيث لا يعلم كانه يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر وعرفت
النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض
دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات على معنى انه يريد
ان يحصل له من الخيرات مثل ما حصل لغيره لا انه يريد زوال الخيرات عن غيره ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين ٥ ٥ ٥ ٥

سورة الناس مدنية

روى ابو صالح عن ابن عباس وروى كريب عن ابن عباس انها مكية وهي سبعة وتسعون
حرفا وعشرون كلمة وست ايات **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ٥ خص الناس باضافة الرب
وهو رب كل شيء لتعظيمهم وتشريفهم ولانه لما امر بالاستعاذة من شرهم اعلم انه ربهم
ليعلم انه هو الذي يعيذه من شرهم قال صاحب الكشاف انما اضيف اليهم خاصة لان الاستعاذة
وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بملك الناس
الذي يملك امورهم عليهم اله الناس وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم
خطب بسيدهم وولي امرهم ويحذو بهم ملك الناس اله الناس عطف بيان كقوله سيرة
ابي حفص عمر الفاروق بين ملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس

فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان وانما لم يكتف باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة
لانه عطف بيان للبيان وكانه مظنة الاظهار دون الاضمار من شر الوسواس اي الشيطان
والوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال
سمي الشيطان به كانه وسوسة في نفسه لان الوسوسة صنعته وعمله الذي هو عاكف عليه
وقيل اريد ذو الوسواس والموسوس الذي يكثر الحديث في نفسه ووسوسة الشيطان تصل الى القلب
في خفاء وقيل وسواس الناس من نفسه وهي الوسوسة التي تحدث بها نفسه الخناس الذي عادته ان
يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كما جاء في الحديث ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا
ذكر الله تنحى وخنس واذا نسي الله عز وجل التقم قلبه فحدثه ومناه الذي يوسوس في صدور الناس عن
ابرهيم التيمي اول ما يبدا الوسواس من قبل الوضوء مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري في جسد
العبد مجرى الدم في العروق سلطه الله عز وجل على ذلك الذي يوسوس يجوز في محله النصب والرفع
على الشتم والذم والجر على الصفة من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان
جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر انه قال هل تعوذت بالله من شياطين
الانس وقيل قوله الذي يوسوس في صدور الناس يعني في صدور الجنة يوسوس الجني كما يوسوس
الانسي فان قال قايل فالجن ناس فالجواب عنه ان الله تعالى قد سماهم في هذا الموضع ناسا كما سماهم
رجالا فقال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقد ذكر عن بعض العرب
انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فجعل منهم ناسا قال صاحب الكشاف واجود منه ان يراد
بالناس الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان
الموصوفان بنسيان حق الله فنعوذ بالله من شياطين الانس والجن ونستغفر من جميع ما
صدر من المعاصي والذنوب ونسبح بحمده ونقدسه من النقايص والعيوب وقد تم تفسير
المعوذتين وبتمامه تم ما يسر الله من تفسير كتابه العزيز وقرانه الكريم من الفاتحة الى الخاتمة
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والصلوة والتسليم
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وشفيع
المذنبين وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله
رب العالمين غفر الله لمولفه ومالكه
وكاتبه ومن كان السبب في احيايه
ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة
ولجميع المسلمين

حسبي الله ونعم ...
... الكتب التي وقفها الفقير
... لامر ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين ... عبد ...
وكفى عبده